

تأليف العلامة الفقيه الشيخ المؤرخ

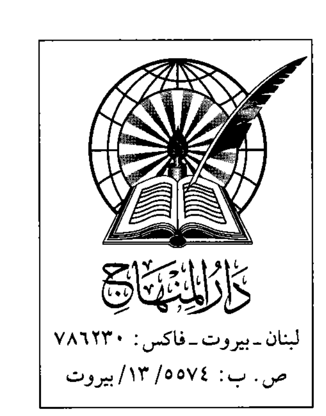
عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي

(١٣٤٤-١٤١٠هـ)

رحمه الله تعالى

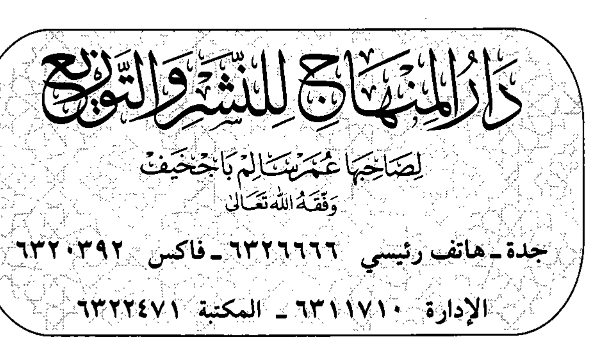
المجلد الأول

دار المنهاج



لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ٥٥٧٤/١٣/ بيروت

الطبعة الثالثة
١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



الموزعون المعتمدون

- السعودية: دار المنهاج للنشر والتوزيع ـ جدة
هاتف: ٦٣١١٧١٠ـ فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
مكتبة دار كنوز المعرفة ـ جدة
هاتف: ٦٥١٠٤٢١ـ فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
مكتبة الشنقيطي ـ جدة ـ هاتف: ٦٨٩٣٦٣٨
مكتبة المأمون ـ جدة ـ هاتف: ٦٤٤٦٦١٤
مكتبة الأسدي ـ مكة المكرمة ـ هاتف: ٥٥٧٠٥٠٦
مكتبة نزار الباز ـ مكة المكرمة ـ هاتف: ٥٧٤٩٠٢٢
مكتبة المصيف ـ الطائف ـ هاتف: ٧٣٦٨٨٤٠ـ٧٣٣٠٢٤٨
مكتبة الزمان ـ المدينة المنورة ـ هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ هاتف: ٤٦٥٠٠٧١ـ٤٦٥٤٤٢٤
مكتبة الرشد ـ الرياض ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
مكتبة جرير ـ الرياض ـ هاتف ٤٦٢٦٠٠٠
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية ـ الرياض ـ هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
دار أطلس ـ الرياض ـ هاتف: ٤٢٦٦١٠٤
مكتبة المتنبي ـ الدمام ـ هاتف: ٨٤١٣٠٠٠

- الإمارات العربية المتحدة: **مكتبة دبي للتوزيع** ـ دبي
هاتف: ٢٢١١٩٤٩ـ٢٢٢٤٠٠٥ ـ فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
دار الفقيه ـ أبو ظبي ـ هاتف ٦٦٧٨٩٢٠ ـ فاكس ٦٦٧٨٩٢١
مكتبة الجامعة ـ أبو ظبي ـ هاتف: ٦٢٧٢٧٩٥ـ٦٢٧٢٧٢٦
- الكويت: **دار البيان** ـ الكويت
هاتف: ٢٦١٦٤٩٠ ـ فاكس: ٢٦١٦٤٩٠
دار الضياء للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ تلفاكس ٢٦٥٨١٨٠
- قطر: **مكتبة الأقصى** ـ الدوحة
هاتف: ٤٤٣٧٤٠٩ـ ٤٣١٦٨٩٥
- مصر: **دار السلام** ـ القاهرة
هاتف: ٢٧٤١٥٧٨ ـ فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
- سوريا: **دار السنابل** ـ دمشق ـ هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣
- جمهورية اليمن: **مكتبة تريم الحديثة** ـ تريم (اليمن)
هاتف: ٤١٧١٣٠ ـ فاكس: ٤١٨١٣٠
مكتبة الإرشاد ـ صنعاء ـ هاتف: ٢٧١٦٧٧
- لبنان: **الدار العربية للعلوم** ـ بيروت
هاتف: ٧٨٥١٠٨ـ٧٨٥١٠٧ ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com


منتهى السول
على
وسائل الوصول
إلى شمائل الرسول ﷺ



ضبطه ورقمه

عبد الجليل العطا البكري

مع الشكر والتقدير لكافة الذين ساهموا
في مراجعة وتصحيح وتدقيق وقراءة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله خالق الثقلين الهادي إلى النجدين ، والصلاة والسلام على رحمة الدارين ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

يُولد الإنسان على فطرة سليمة ، وهيئة قويمة وطريقة مستقيمة ، ثم ما يلبث أن يُغْمس في الفتن ويُبلى بالمحن ، ويتأرجح في الإحن ، ويختلط عليه الحابل بالنابل ، فلم يزل مرتبكاً وغافلاً ؛ لا يستطيع أن يمسك بزمام نفسه ، ولا يدري إلى أين تقوده ، وكيف يكون مصيره إلى أحسن تقويم ؟ أم إلى أسفل سافلين ؟! .

نعم ؛ إن الإنسان في هذه الحياة مَثَله مَثَل الغريق السابح في بحر متلاطم يصارع أمواجه ، ومن ثَمَّ تخورُ قواه ، وينتظر طوق نجاة ينشله إلى برِّ الأمان ، ولكن ما هو طوق النجاة هذا ؟ وما هي أحباله ؟ إنه الإيمان ، وأحبالُه شمائل الرسول النبي العربي الهاشمي المُطَّلبي أبي البتول ، فإليها ينتهي السُّول ، وعلى وسائلها يتمّ الوصول إلى كل مأمول ، ويكون بها القبولُ في المعلوم والمجهول ، والكيف والكم ، والأخص والأعم فيما عُلم وما لم يُعلم ؛ من الكنز المطلسم والسرِّ المُكَتَّم ، والسلسبيل المطمطم ، وفيض الله الأعظم ؛ يُلهمه من يُلهم ، وكل مغرم بصبابته متيَّم ، وفي علم الله هام وهيَّم .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ وسلمْ وبارك على سيدنَا محمدٍ طوقِ النجاةِ ، وعلى ذريَّاتهِ الطاهراتِ وزوجاتهِ المطهراتِ ، وأصحابِه العدولِ الثقاتِ ، والتابعينَ من المحسنينِ والمحسناتِ ، والمؤمنينِ والمؤمناتِ ، والمسلمينِ والمسلماتِ ؛ عددَ ما في الحياةِ والمماتِ ويومِ الحسراتِ ، مما أنزلتَهُ في كتابِكَ ، أو علّمتَهُ أحداً من خلقِكَ ، أو جعلتَهُ عندَكَ في الغيبيَّاتِ من الخيراتِ ، وعددَ ما جرتْ

وتجري بهِ الألسنُ من الدعواتِ ، وما أتتْ وتأتي بهِ الجوارحُ من الطاعاتِ ، وعددَ ما لم تنبسْ بهِ الشفاهُ ، وما لم يمر بالنفوسِ من خَطَراتٍ ، وبالعقولِ من خاطراتٍ ؛ بعددِ المعلوماتِ والمجهولاتِ ، في عالمِ الأرضينَ والسماواتِ ، وما بينهُمَا وما فيهِمَا من مخلوقاتٍ ، صلاةً تغفرُ لي بها الزلاَّتِ ؛ الكبيراتِ منها والصغيراتِ ، السابقاتِ منها واللاحِقاتِ ، وتصلحُ لي ما مضى من أعمالي وما هو آتٍ ، كما توفقني لجميعِ الخيراتِ ، وتُسدِّدُنا بجميعِ الصالحاتِ ، حتى تشهدَ ذاتي الفانيةُ ذاتَكَ الباقيةَ ؛ يا مَنْ بيدهِ الفضلُ ، ومنه الوصلُ وعليه الوكلُ ، كن لي مُخْرِجاً من جميعِ الضائقاتِ ، ومتحمِّلاً عني جميعَ التَبِعاتِ مما قَصّرْتُ فيه من التكليفاتِ وأداءِ الأماناتِ ، بدافعِ الشهواتِ أو بعارضِ السهواتِ ، وانفحني اللَّهُمَّ بالنفحاتِ في جميعِ الأويقاتِ واللحظاتِ ، مع لطفِكَ والعفوِ والعافيةِ والمعافاةِ ؛ من كافةِ الشرورِ وجميعِ الآفاتِ والبلياتِ .

ربي ؛ واجعلْ مِثْلَ ذلك لوالديَّ ولزوجي وذرِّيَّتي أزواجاً وزوجات ، ولمن تعلّقَ بزمامي من محبينَ ومحِبَّاتٍ ، وكانَ في خِدمتي وكنت في خدمتهِ من الصالحينَ والصالحاتِ ، والصدّيقينَ والصدّيقات من أهلِ الأرضينَ والسماواتِ .

اللَّهُمَّ ؛ إني أعوذُ بِكَ من شرِّ النفسِ وسيئآتِها والموبِقاتِ ، والكفرِ والمكفراتِ ؛ من الأقوالِ والأفعالِ والنياتِ .

اللَّهُمَّ ؛ بالنبواتِ المعجزاتِ ، والرسالاتِ الباهراتِ ، والولاياتِ المتواصلاتِ ، والكلماتِ التامَّاتِ وبالباقيات الصالحاتِ ، وبالطاعاتِ المتقبلاتِ ، وبالحسناتِ المضاعفاتِ ، وبالأمنياتِ المتحقِّقاتِ ، وبالأُعطياتِ الجزيلاتِ ، وبالخيرات الكثيراتِ ، وبأهلِ الكراماتِ ، وبأعلى المقاماتِ للوارثينَ والوارثاتِ ، وبسيِّدِ الساداتِ طوقِ النجاةِ .

اللَّهُمَّ ؛ ألزمنَا العُروةَ الوثقى وأحملنَا على المحجَّةِ البيضاءِ ، وجمّل

أحوالَنَا بالتقوىٰ ، وألبسنَا حُللَ السعاداتِ وأكرِمنَا بدوامِ المناجاةِ ، وأتحفْ البصيرةَ بالمشاهداتِ والشكرَ بالعبراتِ ، ولا تجعلْ لِي إلى غيرِكَ التفاتاً ولا عنكَ انفلاتاً ، لا إلهَ إلاّ أنتَ بِكَ وعليكَ توكّلتُ في جميعِ الحالاتِ .

اللَّهُمَّ ؛ إن الفوتَ موتٌ وأنتَ الوارثُ الباعثُ ؛ فانظر إلى عبادِكَ وتقبَّلْ منهم القليلَ يا جليلُ .

اللَّهُمَّ ؛ وانظرْ من عبيدِكَ الحالَ يا ذا الجلالِ ، ويا مَنْ عطاؤُهُ وثوابُهُ ليس بتحصيلِ حاصلِ الأعمالِ ، بل بجودِ جوادٍ وتفضُّلِ مفضالٍ ، أكرِمنا يا كريمُ بحسنِ خواتمِ الأعمالِ ، وحسن الخاتمةِ عندَ دنوِّ الآجال .

اللَّهُمَّ ؛ ولا تجعلْ في رزقنا حائلاً بيننا وبينَكَ يا شديدَ المِحالِ ، إنَّ في تدبيرك ما يغنيني عن الحيل ، وإنَّ في كرمك ما هو فوق الأمل ، وإنَّ في حلمك ما يسدُّ الخلل ، وإنَّ في عفوك ما يمحو الزلل .

اللَّهُمَّ ؛ فبقوَّةِ تدبيرِك وفيضِ كرمِك وسَعَة حلمك وعظيم عفوك ؛ صلِّ وسلمْ في كلِّ حال على سيدنا محمد مزيلِ الضلال ، ودائرةِ كؤوس السلسال ، ويتيمة عِقد الآل ؛ باب حضرة الجلال ، وساقي كؤوس الوصال ، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل ، والتابعين بإحسان إلى يوم المآل ، ولك الحمدُ كما قلتَ وكما ينبغي أن يُقال .

الناشر

السيد الدكتور : هاشم محمد علي مهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجَمَة الشَّيْخ عَبْد الله اللحْجي

بقلم : فضيلة العلامة الدكتور المحَدث المسند

السيد : محمد بن علوي المالكي من علماء البلد الحرام

هو شيخُنا العلاَّمة الفقيه المرجع ، المحدِّث المسند ، العارف بالله الشيخ : عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللَّحْجي الحضرميُّ الشحاري ، ثم المراوعي ، ثم المكي .

ولد سنة : ١٣٤٣ بقرية نوبة عياض من قرى لَحْج ، ثم سافر إلى المراوعة قبل البلوغ ؛ وهو في الثانية عشرة لطلب العلم ، فأخذ عن مشايخها وهم : السيد عبد الرحمن بن محمد الأهدل ، وهو شيخ التخرُّج والانتساب في اليمن ، فقد لازمه أكثرَ من عشر سَنَوات ، وقرأ عليه كثيرا من المقروءات ، وخدمه وانتفع به ، وحضر دروسه وسمع منه ، وقرأ عليه ؛ في التفسير والحديث والفقه وقواعد الفقه وأصول الفقه والعقائد ومصطلح الحديث والتصوُّف والفرائض والنحو والصرف والمعاني والبيان والعروض والمنطق .

وأجازه إجازةً عامَّة بكلِّ ما تجوز له روايته ، وفي العلوم الشرعية والعقلية والأحزاب والأوراد والأذكار والصلوات المأثورة وغير المأثورة ، وكتب له الإجازة بخطِّه الشريف .

ومن شيوخِ الشيخ اللحجي في المراوعة : الشيخ العلامة السيد : عبد الرحمن بن حسن بن عبد الله بن محمد معوّضه قاسم الأهدل المروعي ، سمع منه وقرأ عليه ، وحضر عنده في الفقه والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وقواعد الفقه وغيرها ، وأجازه إجازةً عامَّة .

ومن شيوخ الشيخ عبد الله اللحجي في اليمن : الشيخ العلاَّمة الحَبْر البحر الفهَّامة أبو الفضائل عزُّ الدين السيد : محمد حسن هند بن عبد الباري بن محمد بن حسن بن عبد الباري الأهدل ، حضر دروسه وسمع منه ، وقرأ عليه في الفقه والحديث والمنطق والعقائد والأصول والتجويد والعروض وغيرها ، ولازمه واستفاد منه وقرأ عليه كثيرا ، فله عليه مِنَّةٌ كبرىٰ بعد شيخه السيد عبد الرحمن محمد الأهدل رحمهم الله تعالى . آمين وقد أجازه إجازة عامَّة .

رحلته إلى مكة المكرمة :

رحل إلى مكة سنة : ١٣٧٤هـ ، ومكث بها سنة واحدة ، ثم عاد إلى اليمن ، ثم رجع إلى الحجاز عام : ١٣٧٧هـ ؛ واستقرَّ به المقام في مكة المكرمة إلى وفاته .

اتّصاله بالوالد السيد علوي المالكي :

اتصل الشيخ عبد الله اللَّحجي بالوالد في أول سنةٍ جاء فيها إلى مكَّة ؛ وهي سنة : ١٣٧٤هـ ، فقرأ عليه في المسجد الحرام ، وأخذ عنه مدَّة أقامته الأولى ؛ وهي سنة كاملة . ثم رجع إلى بلاده ، ثم جاء إلى مكة المكرمة مرَّة ثانية عام : ١٣٧٧هـ ، واستقرَّ بها إلى وفاته ؛ ملازماً لسيِّدي الوالد السيد علوي المالكي ملازمةً تامَّةً . وقرأ عليه في المسجد الحرام بباب السلام ، وفي بيته ، وبالقرارة ثم بالحلقة ، ثم بالعتيبية كتباً عديدة ؛ في التفسير والحديث والأصول والمنطق والتاريخ وتاريخ التشريع والقواعد والتصوف .

وممّا قَرَأه عليه : « موطأ الإمام مالك » ، و« صحيح البخاري » ، و« صحيح مسلم » ، و« سنن أبي داود » ، و« سنن الترمذي » .

وكان الشيخ عبد الله هو القارىءَ أمام الوالد في الدرس في المسجد الحرام .

وكذلك قرأ عليه كتاب « بلوغ المرام » و« رياض الصالحين » و« الشفا » و« الشمائل » للترمذي بالمسجد النبوي في الروضة الشريفة جوار الحُجْرة

المشرَّفة ؛ في الدروس الخاصَّة .

و« ألفية السيوطي » ، و« طلعة الأنوار » ؛ وشرحها : « رفع الأستار » ، و« نيل المرام في تفسير آيات الأحكام » ؛ في الدروس العامَّة بالمسجد الحرام . وكان الشيخ عبد الله هو القارىءَ فيها .

و« رسالة » جدِّي السيِّد عبَّاس المالكي في الاستعارات ، و« رسالة في علم المناظرة » و« رسالة في علم الوضع » وطائفة من « الإتقان » ، وطائفة من « الموافقات » للشاطبي وكتباً كثيرة ، ولازمه ملازمةً تامَّةً ، وخدمة في كثير من شؤونه العلمية ، وكتب له كثيراً من فوائده ، وأملىٰ عليه كثيراً من رواياته .

وكنتُ لا أرى مجلساً من مجالس والدي إلاّ وأرى الشيخَ عبد الله اللحجي في ذلك المجلس ؛ سواء كان مجلسَ علم ، أو مذاكرة ، أو ضيافة ، أو ذكر ، أو دعوة . ونَسَخ بيده كثيراً من المخطوطات المفيدة ، والمجاميع العديدة ، والرسائل النادرة باسم سيِّدي الوالد . أي : هديَّةً له .

وكان كلٌّ منهما يحبُّ الآخر وينظر إليه بعين الفضل . وكان الشيخ عبد الله المذكور يقول: أنا لا أشبع من مجالسةِ شيخنا السيد علوي. وإني إذا أصبحت أفكر في الذهاب إليه وأهيِّىءُ نفسي لذلك ، وكان يقول أيضاً عنه : هو شيخُنا الذي فتح قلوبنا وزكَّىٰ نفوسنا، وأمدَّنا بما لا ننساه، وعرَّفنا بالناس ، وأَخَذنا إلى الأفاضل من أهل الحرمين الشريفين ، واجتمعنا عنده وفي رحابه بكبار علماء المسلمين من الوافدين في الحج والعمرة والزيارة . واتّصلنا بهم وأخذنا عنهم واستجزناهم ببركته وإشارته ، فعنه أخذنا ، وبه تخرَّجنا، ولولاه ما كنّا ولا أصبحنا ولا أمسينا. هكذا سمعته منه بلفظه رحمه الله.

وقد كان لسيِّدي الوالد الحبيب علوي المالكي عنايةٌ خاصَّة وتامَّة بالشيخ عبد الله اللحجي ؛ فقد كان يأخذُه معه في أكثر مجالسه واجتماعاته ورحلاته خارج مكَّة المكرَّمة للوعظ والإرشاد ، أو للإصلاح بين الناس ، أو لزيارة العلماء والصالحين ، أو لحضور مجالس الذكر وقراءة القرآن . فقد حجَّ معه

مرَّاتٍ ، وزار معه المدينة المنورة مرَّات ، وسافر معه إلى الطائف وجُدَّة مرَّات . وكان سيِّدي الوالد الحبيبُ علوي المالكي قد أعطاه غرفته الخاصَّة التي تسمَّىٰ بـ(الخلوة) في رباط السليمانية . ثم الخلوة الثانية المطلَّة على الحرم من جهة باب السليمانية ، والتي كانت تسمَّىٰ بـ« المدرسة » . ثم خلوة أخرى في مشاريع توسعة الحرم الأولى .

وكان الشيخ عبد الله متفرِّغاً للعلم والتعليم ؛ يعيش مع طلبة العلم ويسكن معهم وينام ، فكانت أوقاته كلُّها مصروفةً للعلم والدرس والتدريس والطلاب .

وكان سيِّدي الوالد يقضي أكثر أوقاته التي لا ارتباط فيها بمدرسة أو موعد في هذه الخلوة مع الشيخ عبد الله ومن معه من الطلاب في دروس خاصَّة عالية ، ومذاكرات وفوائد سامية .

وعناية الوالد السيِّد علوي المالكي بالوافدين معلومة وظاهرة للجميع ويعتبرها من وظائفه المهمة التي أوجبها هو على نفسه . يقول فضيلة الأخ الشيخ أحمد جمهوري البنجري ـ فيما كتب إليّ بخطه ـ :

قال شيخُنا العلاَّمة المحقق الشيخ إسماعيل[1] : إنه (أي السيد علوي المالكي) علاَّمة زمانه ، فخر أوانه والمقدّم بين أقرانه المتفننين بشتَّىٰ فنون المنقول والمعقول ، والقائم على هَدي جدِّه المصطفى الرسول ﷺ ـ إلى أن قال ـ وله عليّ وعلىٰ غيري من أهل العلم الوافدين إلى بلد الله الأمين للإقامة به مِنَّةٌ عظمى ونعمة كبرى ؛ حيث إنَّه يقوم برعاية الغرباء من الطلاب ، ويُسدِي إليهم كلَّ جميل ، وساعدهم بكلِّ ما في وسعه مما يحتاجونه مما يسهِّل لهم سبيل الإقامة . فجزاه الله عنا أحسنَ الجزاء .

ومن شيوخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكَّة المكرمة : الإمامُ العلاَّمة

---

(١) أي الشيخ إسماعيل الزين المتوفى بمكة .

المحدِّث شيخُنا الشيخ : حسن بن محمد المَشَّاط المكِّي المالكي ، حضر دروسه وسمع منه ، وقَرَأ عليه أشياء كثيرة في الحديث وغيره ، كـ« صحيح البخاري » ، و« صحيح مسلم » ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، و« موطأ الإمام مالك » ، و« مسند الإمام أحمد » ، و« مسند الشافعي » ، و« سنن الشافعي » ، و« سنن البيهقي » ، و« شمائل الترمذي » ، و« الشفاء » للقاضي عياض ، و« الأوائل » السُّنبلية بكمالها ، وقرأ عليه كثيرا من المسلسلات والأثبات ، كثبت الشيخ محمد بن علي الشنواني ، وحسن الوفا بثبت الشيخ فالح الظاهري الحجازي .

وثبت السيد حسين بن محمد الحبشي المكي (« فتح القوي ») ، وثبت الشيخ وليِّ الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، وثبت الشيخ محمد ضَمَّا بن حسن البناني الفاسي ، وقرأ عليه « رفع الأستار » ، و« شرح طلعة الأنوار » ، و« شرح البيقونية » كلاهما تأليفه ، وغير ذلك من مقروءات ومسموعات ، فله عليَّ منّة كبرى . ولازمه مدَّة طويلة واستفاد منه فوائد جمَّة جزاه الله عنه خيرا ، وأجازه إجازة عامة مرَّات متعدِّدة ، وكتب ذلك بخطِّه الشريف وألبسه الخرقة ، وأسمعه حديث الرحمة المسلسل بالأولية .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكة المكرمة العلاَّمةُ الإمام المؤرِّخ المحقق شيخ المشايخ السيد الشيخ محمد العربي ابن التَّبَّاني الواحدي الجزائري المكي ، سمع منه وحضره وقرأ عليه كتاب « الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير » للحافظ السيوطي ، وطائفة من « تفسير الجلالين » ، وطائفة من كتاب « زاد المعاد في هَدْي خير العباد » للحافظ ابن القيم ، وطائفة من « رياض الصالحين » للإمام النووي ، وطائفة من « سيرة ابن هشام » ، وأوائل كتاب « وسائل الوصول إلى شمائل الرسول » ﷺ للعلامة الشيخ يوسف النبهاني ، وقرأ عليه تأليفه « محادثة أهل الأدب في أنساب العرب » واستفاد منه وقد أجازه إجازة عامَّة .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكة المكرمة العلاَّمة المُسنِد الشيخ : محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكِّيُّ ، قرأ عليه كتاب « آداب البحث والمناظرة » لطاش كُبْري زاده ، و« الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة » ، ورسالته المسماة « تشنيف السمع في علم الوضع » ، وسمع عليه كثيرا من المسلسلات بأعمالها القولية والفعلية ، وأضافه على الأسودين التمر والماء . وأجازه إجازة عامَّة .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي من أهل مكة المكرمة العلامة السيد : محمد أمين الكتبي المكيُّ الحنفي ، سمع منه وحضر لديه في درس التفسير والحديث والعربية كـ « شرح ابن عقيل » ، و« شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » في النحو والصرف ، وكتاب « العِزِّي » في الصرف ، و« شرح الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون » ، و« دلائل الإعجاز » للشيخ عبد القاهر الجرجاني .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكَّة المكرَّمة العلاَّمة الشيخ : محمد يحيى أمان المكِّيُّ الحنفي القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة ، وقرأ عليه من أوَّل « سنن الترمذي » ، ومن أوَّل « تفسير الجلالين » ، وأجازه إجازة عامَّة في كلِّ ما تجوز له روايته .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللَّحجي من أهل المدينة المنوَّرة العلاَّمة الشيخ : أمين بن أحمد الطرابلسي ـ طرابلس الغرب ـ المالكيُّ المدرِّس بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة ، اجتمع به كثيرا في المدينة المنوَّرة ومكَّة المكرمة في منزله وغيره ، واستفاد منه فوائدَ جمَّة ، وقد قرأ عليه شيئا من « المنظومة الشاطبية » المسمَّاة « حرز الأماني » في علم القراءات السبع ، وشيئا من شرحها لأبي شامة ، وتعلَّم منه شيئاً من علم الفرائض ، وأجازه بما تجوز له روايته .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكَّة المكرَّمة العلاَّمة الشيخ : إسحاق بن إبد بن محمد نور الصامولي ، قرأ عليه كتابا في علم الصرف ، وأجازه بماله من مرويَّات ومقروءات ومسموعات إجازة عامَّة .

ومن مشايخ الشيخ عبد الله اللحجي بمكَّة المكرَّمة العلامة الشيخ : حسن بن

سعيد بن محمد بن أحمد اليماني المكيُّ الشافعي ، اجتمع به في داره بمكَّة مراراً وتردَّد إليه ، وحضر دروسه في المسجد الحرام ؛ في « صحيح مسلم » ، و« شرح المحلي » في الفقه ، و« الأشباه والنظائر » للسيوطي ، وسمع من فوائده كثيرا ، وقد أجازه بكلٍّ ما تجوز له روايته ؛ من منقول ومعقول ، وأوراد وأذكار .

روايته وأسانيده :

يروي الشيخ عبد الله اللَّحْجي عن كثير من العلماء المحققين . ويأتي في الدرجة الأُولى شيوخُه الذين قرأ عليهم وجلس بين يديهم ، فقد استجازهم وروى عنهم ، وأخذ عمن اعتنى منهم بالإسناد والرواية المسلسلاتِ القوليةَ والفعلية ؛ كالمسلسل بالأولية وصنَّف فيه جزءا خاصًا سمَّاه : « إعانة ربِّ البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأوَّلية » ، وإضافة إلى ذلك فقد استجاز جملة من أئمة الحديث ، واستفاد من مواسم الحج والعمرة والزيارة بلقاء العلماء وزيارتهم ، واستجازتهم والرواية عنهم .

ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الباري بن علي عاموه اليماني الحديدي الحنفي ، والشيخ محمد بن أحمد السالمي الزبيدي ، والسيد علي بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن أبكر الأهدل الزبيدي ، والسيد أبكر مهادن بن عبد الرحمن بن إسماعيل الأهدل الزبيدي ، والسيد محمد بن سليمان إدريسي الأهدل الزبيدي ، والسيد محمد بن يحيى دوم الأهدل (قاضي الزهرة باليمن) ، والشيخ عبد الله بن علي العمودي الشافعي (قاضي أبي عريش) ، والشيخ محمد إبراهيم بن المَلاَّ سعد الله الفضلي الختني ، والمشهور بـ« البخاري » وهو ليس من بخارا ، والشيخ محمد يوسف البَنُّوري بن محمد زكريا الباكستاني ، والشيخ محمد خير بن يار محمد الباكستاني ثم المكي ، والسيد محمد المكي ابن السيد محمد بن جعفر الكتاني الفاسي ثم الشامي ، والشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي السهارنفوري ؛ ثم المدني ، والسيد سالم بن أحمد بن جندان آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، والسيد عبد الله بن أحمد الهدار آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، والشيخ سلامة العَزَّامي

القضاعي الشافعي المصري ، والشيخ عبد السلام بن عبد القادر الفاسي .

وأكثر هؤلاء اجتمع بهم في مواسم الحج في رحاب شيخه السيد علوي بن عبَّاس المالكي الذي كان مجمعا للوفود من الحجاج والمعتمرين من علماء العالم الإسلامي . وقد صنف ثبتاً صغيراً في حجمه ؛ كبيرا في علمه ، ضمّنه شيوخه ومرويَّاتِهم باختصار وخَتَمه بفوائدَ نفيسةٍ ، وذكر فيه أنَّه أجاز أهل عصره ؛ فقال : هذا ؛ وإني قد أجزتُ مَن أدرك حياتي ممن أراد الرواية عني ، وقَبِل الإجازة مني ؛ اقتداءً بالأئمة الذين فعلوا ذلك وأجازوه .

قال الشيخ العلامة المحقق محمد بن علي ابن علاَّن الصدِّيقي المكي المتوفىٰ سنة : ١٠٥٧هـ رحمه الله تعالى في آخر « شرح الأذكار » المسمَّىٰ « الفتوحات الربانية » ، قال الإمام النووي في«الإرشاد» : (إذا أجازَ لغير معين بوصف العموم ؛ كقوله : أجزتُ للمسلمينَ ، أو لكلِّ أحدٍ ، أو لمن أدركَ زماني ، وما أشبهَهُ . ففيه خلافٌ للمتأخِّرينَ المجوِّزينَ لأصلِ الإجازةِ . فإن كانَ مقيَّداً بوصفٍ خاصٍّ فهوَ إلى الجوازِ أقربُ ، وجوَّزَ جميع ذلكَ الخطيبُ ، وجوَّز القاضي أبو الطيِّب ، الإمام المحقِّق الإجازةَ لجميع المسلمين الموجودين عندَها ، ثمَّ قالَ : وأجازَ أبو عبد الله بن مَنْدَه لِمَنْ قالَ : لا إلٰه إلاَّ الله ، وأجاز أبو عبد الله بن عتَّاب وغيره من أهل المغرب لِمَنْ دخلَ قرطبة مِنْ طلبة العلم ، وقالَ أبو بكر الحازمي الحافظ : الذين أدركتهم من الحفّاظ ، كأبي العلاء وغيره ، كانوا يميلونَ إلى جوازِ هذه الإجازة العامَّة .

قال الشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى : ولم يسمع عن أحدٍ يُقتدى به أنَّهُ استعملَ هذه الإجازةَ فروىٰ بها ، ولا عن الشرذمة الَّتي سَوَّغتها ، وفي أصل الإجازة ضعف فتزداد بهذا ضعفاً كثيراً لا ينبغي احتماله .

وهذا الذي قالَهُ الشيخ ابن الصلاح خِلاف ظاهِرِ كلام الأئمَّة المحقِّقينَ والحفَّاظِ المتقنينَ ، وخلاف مقتضىٰ صحَّة هذه الإجازة ، وأيّ فائدة إذا لم يرو بها) . انتهى كلام الإمام النووي رحمه الله تعالى [١] .

---

(١) كتاب « المرقاة إلى الرواية والرواة » ؛ للشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي ص ٦٠ـ٦١ .

ثم قال الشيخ اللحجي في آخر ثبته « المرقاة » : وأنا الفقير إلى الله عبدُ الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي أجزتُ مَن أدرك حياتي بما أجاز به الحافظ ابن الديبع رحمه الله تعالى ، ورجوتُ ما رجاه من فضل الله وكرمه .

ذَا سَنَــدي ؛ فَــإِنْ قَبِلْــتَ حَبَّــذَا　　أَوْ لَـمْ يُنَـاسِـبْ خَلْـفَ ظَهْـرِكَ انْبِـذَا

حرر في ٢٨ شعبان المعظم سنة : ١٣٩٨هـ بمكة المكرمة بمنزلي في جبل الحفاير المطل على الشُّبَيكة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وألف من هجرة من له العزُّ والشرف ، كتبه مؤلِّفُه الفقير إلى الله عزَّ وجلَّ : عبد الله بن سعيد اللحجي بن محمد عبادي اللحجي الحضرمي المكي ؛ فتح الله عليه فتوح العارفين ، وألحقه بالقوم الصالحين ، وغفر ذنوبه أجمعين بمنه وكرمه . آمين .

والشيخ عبد الله عالمٌ فقيه نَحْويٌّ مشارك ، له عناية كاملة بالحديث الشريف ، يبذل في شراء كتبه ما يملك ، وينقب عن نوادره ، ويتصيَّد نفائسه ، يسعىٰ للقاء الرجال والأخذِ عنهم ، حسن الاعتقاد فيهم ، عفيف النفس ، صادق العزم ، عالي الهمة ، بعيد عن المداراة والمجاملة .

اشتغل بالتدريس في المراوعة في الجامع الكبير ، وتصدَّىٰ لإفادة الطلاب ونشر العلم ، وأقبل عليه الطلاب وكان هو خليفةَ الشيخ السيد عبد الرحمن هناك .

وفي مكَّة المكرَّمة كان بجانب ملازمته لسيِّدي الوالد وصحبته له وحضوره مجالسه ودروسه واشتغاله بكتابة رسائله وفتاويه وبحوثه حريصاً على نفع الطلاب وإرشادهم بتدريسهم في المسجد الحرام في أوقاته الأخرى ، وتدريسه في عدة مدارس ؛ منها المدرسة الصولتية ، ومدرسة دار العلوم الدينية ، والفخرية .

ومن **مناقبه الحميدة وخصاله المجيدة** : أنه كان حريصا كلَّ الحرص على اقتناء الكتب النفيسة عامَّة ، وخصوصا كتب الحديث والتاريخ والسيرة النبوية والتصوف ، ويبذلُ في شرائها كلَّ ما يملك ، وقد يكون محتاجا إلى ثمنها ؛ ولكنه كان رحمه الله يقدّم حاجة الروح على حاجة الجسم .

ومن **مناقبه الحميدة** التي شهدناها ورأيناها فيه : حرصُه العظيم على لقاء

الرجال من أئمة العلم (ذوي الأسانيد العالية) ، ومن العارفين بالله المشهورين بالولاية والصلاح . وكان ممّا يوصيني به عند سفري إلى مصر ؛ أو المغرب ؛ أو باكستان أو غيرها من البلاد : أن أستجيز له ممّن أستجيزه ، ويقول لي : أشرِكْني معك في إجازاتك . وقد طلبتُ له الإجازة من جملة من علماء العصر ، ومنهم الشيخ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الفاسي ، والشيخ محمد عبد الله العربي العقوري ، لكن الأخيرَ لم يذكره في أسانيده فلعلَّه نسيه !!.

ومن **مناقبه العظيمة** وخصاله الكريمة رحمه الله : اعتناؤُه العظيم بالنسخة التي يَدرُسها ؛ أو يُدرِّسها ، فيبحث عن النسخ الصحيحة القديمة ، ويقابلها بالنسخة المطبوعة الجديدة ، ويضبطها ضبطاً متقناً معتنىً به ، ولمّا كنّا نقرأ « سنن أبي داود » ، و« الترمذي » علىٰ سيّدي الوالد في المسجد الحرام بعد العشاء ، ويُشكِل علينا لفظٌ أو ضبطُ اسم ، أو نشكُّ في كلمة هل هي ساقطة أو زائدة ؟؟ كان كثيراً ما يقول سيِّدي الوالدُ للشيخ عبد الله في الدرس : (ماذا عندك في نسختك ؛ يا شيخ عبد الله) ، فكان يقول قولاً مفيداً يحلّ الإشكال ويزيل اللبس . وأحياناً كان سيِّدي الوالد يقول له : (راجع لنا هذه المسألة ؛ يا شيخ عبد الله) ، فكان يأتينا اليوم الثاني بالمفيد .

ومن **مناقبه الشريفة** رحمه الله : أنَّ أوقاتَه كلَّها كانت مملؤة بالوظائف والواجبات بين علم وتعليم ، ودرس وتدريس ، وملازمة لدروس الوالد ؛ والشيخ حسن المشاط .

وهو مع جلالة قدره وعظيم رتبته وعلوّ مقامه وسَعَة علمه ؛ إلاّ أنه كان عظيمَ المواظبة على حضور دروس الوالد ومجالسه في الدرجة الأولى ، ودروس الشيخ حسن المشاط .

فقد كان يقضي مع سيِّدي الوالد كلَّ يوم مِن بعد العصر في ما بين المنزل والحرم إلى ما بعد العشاء بساعة فيما عدا قبل العشاء .

فقد كان يذهب إلى درس الشيخ حسن المشاط (في الحديث) . . .

مواظباً على هذا الترتيب لا يكاد يتركه إلاّ لعذر طارىء ، أو لتوقّف الدروس في الصيف ؛ أو رمضان . ومع توقّف الدروس العامة في الحرم إلاّ أنه لا يترك الحضور عند الوالد في مجلسه يومياً بعد العصر إلى انقضاء المجلس في مواسم الحجّ . وقد كتبت عنه « جريدة المدينة » بعد وفاته تحقيقاً بقلم الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن مغربي جاء فيه : كان رائدنا من العلماء الأفاضل عالماً ضليعاً ، وفقيهاً متمكِّناً ، وعاملاً صالحاً ، هو واحد من العلماء الذين كرَّسوا حياتَهم لطلب العلم درساً وتدريساً ؛ يجود بعلمه على العامَّة والخاصَّة .

كان رحمه الله محبّاً لطلابه ومحبّاً لأساتذته ومشايخه قبل ذلك ، إذ يعدُّ مرجعا قويّاً للكتابة عن العلماء بمكَّة ، وبعد حضور مجالس وحلقات العلم بالمسجد الحرام تصدَّىٰ للتدريس بالمسجد الحرام بعد أن أخذ الإجازة من علماء الحرم المكي ؛ فعقد حلقته العلمية والدينية تحت أروقة المسجد الحرام ، وكانت تكتظُّ بالطلاب الذين انتفعوا بعلمه ؛ فأقبل عليه عامَّة الطلبة وخاصَّتهم ينهلون من مورده العذب في كثير من علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية .

وقد درَّس شيخنا في حلقته بالحرم الشريف « الصحيحين » ، وكتب : « منهاج الطالبين » في فقه الشافعية ، و« متن الغاية والتقريب » ، وعلوم اللغة العربية بفروعها ، وقد أخذ عنه كثير من طلبة العلم الذين ينتمون إلى كثير من البلدان العربية ، وأصبح لهم مكانة علمية مرموقة[١] .

صلتي بالشيخ اللَّحجي

أما اتصالي بالشيخ عبد الله اللحجي ؛ فقد كان اتصالا وثيقاً وقويّاً وعظيماً .

فقد لازمته بأمر والدي ، وله عليَّ فضل عظيم ومِنّة كبرى ؛ قرأت عليه وأخذت عنه ، وحفظت عليه متوناً كثيرة ، ورافقته في خلوته برباط السليمانية ؛ إذ كنت أذهب إليه كلَّ يوم في الظهر ونقرأ ونذاكر ونحفظ تحت

---

(١) جريدة المدينة ملحق الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ .

إرشاده ، ثُمَّ نخرج معه إلى المسجد الحرام لصلاة العصر وتسميع بعض المتون ، ثم نمشي معه إلى مجلس سيِّدي الوالد السيِّد علوي بعد العصر ؛ حيث كان الشيخ اللحجي يحضر يومياً بعد العصر إليه ؛ فيجلسان في مذاكرة ومدارسة وكتابة وإرشادٍ للناس ، ثم نخرج جميعاً معه في معيَّة سيِّدي الوالد إلى المسجد الحرام فنحضر جميعاً الدرس الأول بعد المغرب .

ثم يقوم الشيخ اللحجي بعد الدرس إلى مجلس شيخنا الشيخ حسن المشاط ؛ وكنت أقوم معه إلى درس الشيخ حسن المشاط .

ثم نرجع بعد العشاء إلى سيدي الوالد فنحضر معه درس الحديث لمدَّة ساعة ، وكان هو المقرئَ ، وقد حضرت بقراءته كُتُبا كثيرة بين يديّ سيدي الوالد (السَّرَّاد) منها : « سنن الترمذي » ، و« سنن أبي داود » ، وفي آخر « سنن أبي داود » هو الذي اقترح على سيِّدي الوالد أن أقوم أنا بسرد الحديث والقراءة بين يديه ، فبدأت بإرشاده واقتراحه بالقراءة بين يدي والدي ؛ وحضور كبار تلاميذه في ذلك الدرس و وكنت أراجع الدَّرس وأطالعُه قبل القراءة مسترشداً بالشيخ عبد الله في كلِّ مشكل من الأسماء ؛ أو ضبط القراءة واستمر الحال على هذا إلى وفاة الوالد السيد علوي المالكي سنة ١٣٩١هـ .

صلة خاصة :

ومما أعتزُّ به وأفتخرُ تلك السنة التي تركت فيها مدرسة الفلاح وعزمتُ على التفرُّغ لطلب العلم وحفظ المتون تفرُّغا كاملا ؛ بعيدا عن النظام المدرسي والمنهج المقرَّر وجوِّ الاختبارات ، وكان سيِّدي الوالد مشغولا بمدرسة الفلاح يوميّاً .

وكان مِن حسن الحظ والسعد أنَّ الشيخ عبد الله اللحجي ترك التدريس بدار العلوم بتلك السنة فوقع الاتفاق بينه وبين سيِّدي الوالد على أن يقوم بتدريسي يوميا من الصباح إلى الظهر ، والالتزام بمنهج معين مرتَّب ، وجدول منظم ؛ يشتمل الحديث والتفسير والمصطلح وأصول الفقه والقواعد والنحو والصرف والفرائض والفقه المالكي والتوحيد في يوم دراسيٍّ كامل . وقد اختار هو بنفسه

أن يأتي إلى دارنا في الحلقة القديمة المعروفة بـ « حارة النقا » وهي ليست ببعيدة عن محل سكناه إذ ذاك ، لأنه كان يسكن قريبا منا في بيت (الملاه) المعروف (جهة الراقوبة) .

وقد قرأت عليه في تلك السنة كُتُباً كثيرة وحفظت متوناً كثيرة ، وكلٌّ ذلك مفصَّل في محله من كتبي في الأسانيد والتراجم والإجازات ، وقد استمرَّ الحال على هذا الترتيب (سنة ونصفاً) وهي سنة (٩٨/ ٩٩هـ) ، وتأهَّلتُ بعدها لدخول اختبار كلية الشريعة بالأزهر الشريف مع من كان أكبرَ منِّي سِناً وأعلى شهادة بفضل الله تعالى ، ثم بفضل والدي السيِّد علوي ، وشيخي الشيخ عبد الله اللحجي .

مؤلفاته :

له مؤلفات مفيدة في بابها ، ونافعة لطلابها منها ما طبع في حياته وهي :

١ ـ إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية .

٢ ـ إعانة ربِّ البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأولية .

٣ ـ المرقاة إلى الرواية والرواة . ذكر فيه شيوخه ومقروءاته عليهم .

٤ ـ رسالة جمع فيها أربعين حديثاً . وهذه طبعت في حياته .

٥ ـ وله « منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول » شرح فيه كتاب « الشمائل » للشيخ يوسف النبهاني ، وهو الذي نقدِّمُه للقُرَّاء اليوم ، والذي تبرَّع بطبعه بعض المحسنين جزاهم الله خيراً ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

٦ ـ وله « إسعاف أهل الخبرة بحكم استعمال الصائم للإبرة » .

٧ ـ وله « فتح المنان في شمائل شيخنا عبد الرحمن » .

٨ ـ وله عدَّة مناظيم منها : نظمه للقيلات المعتمدة في « المنهاج » للنووي .

٩ ـ وله « نظم في الغزوات » .

١٠ ـ وله « حديقة الأبرار شرح بهجة الأنوار » .

وفاته :

بعد حياة حافلة بالخير وطلب العلم والتدريس تحت أروقة الحرم المكي الشريف ؛ انتقل شيخنا الشيخ عبد الله اللحجي إلى رحمة الله تعالى ليلة الأحد الموافق للسادس والعشرين جمادى الأولى : ١٤١٠هـ بمكّة المكرمة بعد مرض خفيف استمرّ يومين ؛ أو ثلاثة .

وصُلِّيَ عليه يوم الأحد بالمسجد الحرام وشيعت جنازته التي حضرها حشد كبير من العلماء والطلاب ومحبِّيه رحمه الله رحمةَ الأبرار والصالحين .

ودفن بمقبرة المعلاه بجانب شيوخه الكرام السيد علوي المالكي ، والشيخ محمد العربي ، والشيخ حسن المشاط وغيرهم .

وقد ترك ولدين هما أحمد ومحمد ، وثلاث بنات . وخلَّف مكتبة قيِّمةً سعى في تكوينها وزيادتها واعتنى بها ، وفيها الكثير من كتب التراث والعلوم الدينية .

وبعد ؛ فهذه كلمات مختارة مما كتبته عن شيخنا الشيخ عبد الله اللحجي في ثبتي الكبير ، وضمن تراجم شيوخي وسيظهر إن شاء الله في وقته . والله يتولّى الجميع برعايته .

وكتبه خادم العلم الشريف ببلد الله الحرام

السيد محمد بن علوي بن عبَّاس المالكي الحسني المكيّ

في ليلة الجمعة : ١٨ جمادى الأولى ١٤١٨هـ

مكة المكرمة

تعريف بكتاب

منتهىٰ السول علىٰ وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ



كتاب (**منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ**) ، تأليف العالم العلاّمة البحر الفهّامة ، خاتمة المحققين ، شهاب الملّة والدين ، قطب زمانه ، وسيّد أوانه ؛ الشيخ عبد الله بن سعيد اللّحجي ، ت١٤١٠هـ .

بدأت معرفتي بهٰذا الكتاب في منتصف عام ١٤٠٧هـ حينما كنت جالساً مع شيخي الأجل مؤلِّف الكتاب ، وقال لي : نريدُ أَن نقرأَ هٰذا الكتاب وناولني الجزء الأَوَّل منه ، وإذا به الكتاب الَّذي كنت أسمع أَنَّ شيخنا رحمه الله تعالىٰ أَلَّفه ، في حقِّ الجناب النَّبويِّ ، ولٰكنَّهُ كانَ يُخفيهِ ولا يُبديهِ . . فلبَّيتُ مُسرعاً في إجابته ؛ لِأَنَّ ذٰلك ما كنتُ أَبغي .

فأَلفيتُ الكتاب كُنَيْفاً مُلِيءَ عِلماً ، إذ لم يؤلَّف في زمانه مثله علماً وتحقيقاً . .

شرح فيه وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول ﷺ للشيخ يوسف بن إسماعيل النَّبهانيّ ت١٣٥٠هـ .

دعاه إلىٰ وضع هٰذا الشَّرح عليه : أَنَّ هٰذا الكتاب من أَجلِّ ما أُلِّف في محاسن قطب الوسائل ، ومنبع الفضائل ، الحائز لكل المفاخر الفاخرة ، وسيِّد أَهل الدُّنيا والآخرة ، سيِّدنا رسول الله ﷺ ، فإِنَّهُ جمعَ شمائله من متفرّقات كتب

علماء الإسلام ، ورتَّبها أَحسن ترتيب ، ونظمها أَحسن نظام ، بحيث إِنَّ القارىء لهٰذا الكتاب كأنَّه يُشاهد طلعة ذٰلك الجناب ، ويرىٰ محاسنه الشريفة في كلِّ باب . .

فأَراد شيخنا الشارح أَن يشرح لفظه ويُجلّي معناه ، ويوضِّح مقصوده ومرماه .

وذٰلك بإِتمام مباحثه ، وتوسيع دائرته ، وإِضافة فوائد ، وتقييد شوارد . . فجاء بهٰذا الحجم الَّذي بين يديك ـ أربعة أَسفار كبار بينما متنه يقع في ٢٠٨ صفحة من القطع الوسط .

فهو بحقٍّ لم تكتحل عين زماننا بمثله ، إِذ خلا من الحشو الزائد ، وجمع ما تطمح إِليه نفوس مبتغي الفوائد ، مع دقة تعبير ، وسلامة أُسلوب وجودة تحقيق ، بأسلوب لا يقدر عليه في زماننا غيره ، وهو أسلوب سبك عبارة المؤلف مع الشرح في قالب واحد ، وكأَنَّها كتبت بقلم واحد ، ولسان واحد ، إِذ كيف تجتمع موارد أفهامهما في أربعة أسفار ضخام إِلاّ لمثل هٰذا الشيخ الأجل ، الَّذي كان العلم قد مزج بلحمه ودمه ، فكان منه ذٰلك الإِبداع . .

ولا غرابة في ذٰلك ، فمع ما كان عليه شيخنا من إمامة في العلم في سائر فنونه المعقولة والمنقولة . . إلاّ أَنَّه مع ذٰلك ظلَّ في تأليفه وتنقيحه نحواً من خمس وعشرين سنة تقريباً ، حيث اْبتدأ تأليفه في الخامس والعشرين من شهر صفر لسنة ١٣٧٦هـ وفرغ من تنقيحه وتبييضه في الخامس عشر من شهر محرم ١٤٠٠هـ .

ولا عجب في أَن يظل في تأليفه هٰذه الفترة كلّها؛ فإِنَّ الموضوع يتناول الجناب النَّبويّ ، الَّذي يتعيَّن أَن تكون الكتابة فيه لائقة بعظمته ، ومعتمدة علىٰ نصوص الكتاب المنزل عليه ، ونصوص سنَّته ، وعبارات علماء أمته ، ومستوحاة من كمال محبته وعظيم منزلته . .

وإِنَّك إِن أَنعمت نظرك في عبارات هٰذا الكتاب ، ستجد أَنَّ المؤلِّف رحمه الله تعالىٰ قد كتبه من ضوء ذٰلك ، وأَتىٰ بما لا مزيد عليه لراغب وسالك ، لذلك كان حريصاً عليه ضنيناً به ، لأَنَّه مهجة روحه ، وأَعظم نسليه . .

ولقد كلَّفني في آخر سني حياته بتصويره ، وكان ذٰلك في شهر ذي الحجّة

الحرام من عام ١٤٠٩هـ ، وكان يعطيني كل يوم جزءاً ، ويقول لي : لا تعد إلاّ به .

وذات يوم وأنا أَقرأ لديه فيه ، قال لي بعد فراغي من قراءتي عليه وهو يسمع : أَنّىٰ لي بهٰذا الكتاب أَن يُطبع ؟!

ففهمتُ أَنَّه يشير لي أَن أَقوم بهٰذا الدَّور بعد وفاته ، فتبسَّمتُ في وجهه ، وتبسَّم لي كذٰلك ، غير أَنّي لم أَستطع التَّعبير بالاستعداد مهابة له وإِجلالاً ، فقد كان والله كما قيل في الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ :

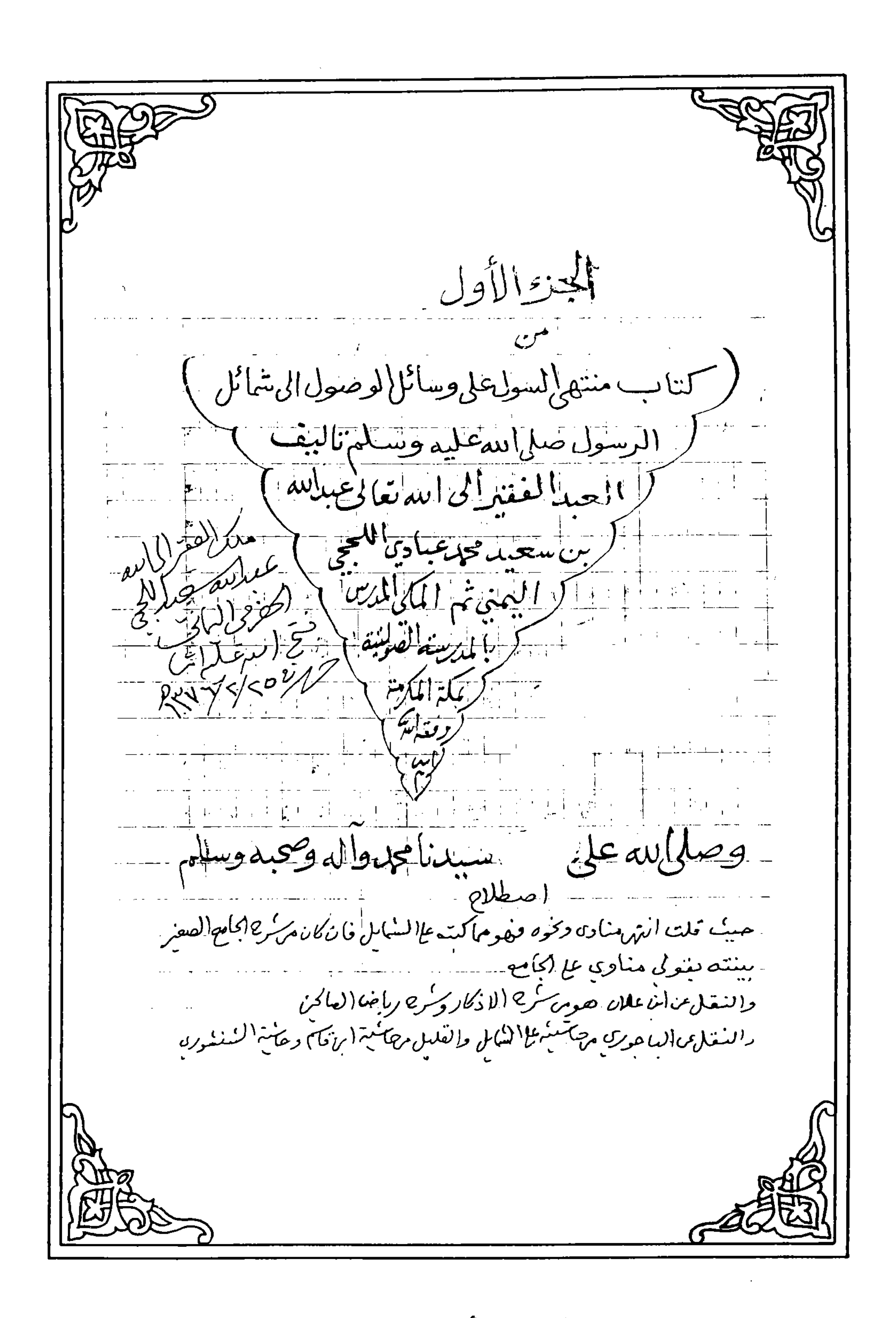
يأبىٰ الجواب فلا يراجع هيبة   والسّـائلـون نـواكـس الأَذقـان
أَدب الوَقار وعزّ سلطان التُّقَىٰ   فهو المهيب وليس ذا سلطان

فماهو والله ببعيد عن حقيقة مضمون هٰذين البيتين ، ويشهد لذلك كلّ من عرف الشيخ من قريب وبعيد .

أَخيراً ها هي الأُمنية قد تحقَّقت اليوم بعد عشر سنين ، والحمد لله الَّذي بنعمته تتمّ الصالحات .

وكتبه الفقير إلىٰ الله تعالىٰ
د/ أَحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدّاد

مدير إدارة الإِفتاء والبحوث
دائرة الأَوقاف والشؤون الإِسلاميّة ـ دبي
في ١٦ من شهر شعبان المكرّم لعام ١٤١٨هـ
الموافق ١٦ من شهر ديسمبر لعام ١٩٩٧م



الجزء الأول

من

كتاب منتهى السول على وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف العبد الفقير الى الله تعالى عبدالله بن سعيد محمد عبادي اللحجي اليمني ثم المكي المدرس بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة وفقه الله آمين

ملك الفقير الى الله عبدالله سعيد اللحجي الحضرمي اليماني فتح الله عليه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

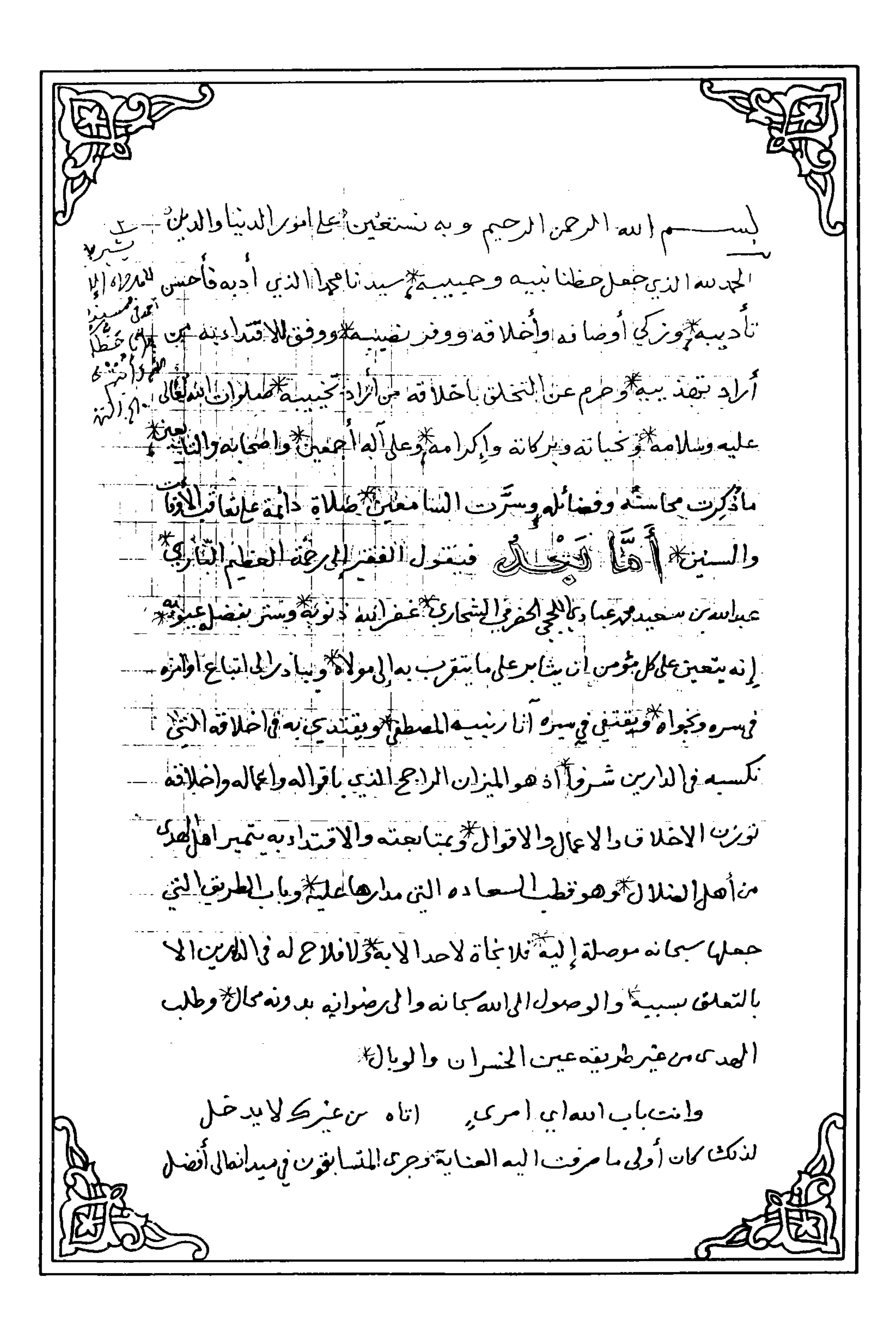
اصطلاح

حيث قلت انتهى مناوي ونحوه فهو مما كتبه على الشمائل فان كان من شرح الجامع الصغير بينته بقولي مناوي على الجامع

والنقل عن ابن علان هو من شرح الاذكار وشرح رياض الصالحين

والنقل عن الباجوري من حاشيته على الشمائل والقليل من حاشية ابن قاسم وحاشية الشنشوري

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على أمور الدنيا والدين

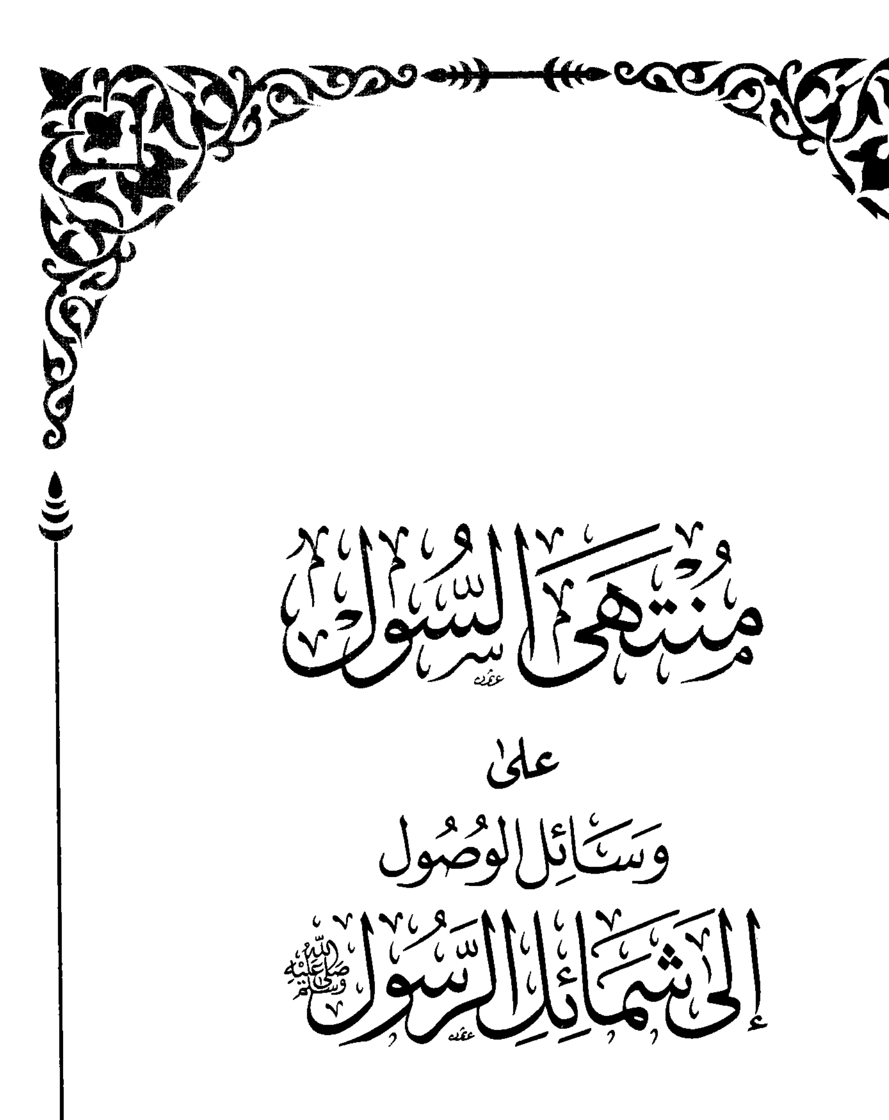
الحمد لله الذي جعل حظنا نبيه وحبيبه* سيدنا محمدا الذي أدبه فأحسن
تأديبه* وزكى أوصافه وأخلاقه ووفر نصيبه* ووفق للاقتداء به من
أراد تهذيبه* وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه* صلوات الله تعالى
عليه وسلامه* وتحياته وبركاته وإكرامه* وعلى آله أجمعين* وأصحابه والتابعين
ما ذكرت محاسنه وفضائله وسرت السامعين* صلاة دائمة على تعاقب الأزمان
والسنين* أما بعد فيقول الفقير إلى رحمة العظيم الباري*
عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي الحضرمي الشحاري* غفر الله ذنوبه* وستر بفضله عيوبه*
إنه يتعين على كل مؤمن أن يثابر على ما يتقرب به إلى مولاه* ويبادر إلى اتباع أوامره
في سره ونجواه* ويقتفي في سيره آثار نبيه المصطفى* ويقتدي به في أخلاقه التي
نكسبه في الدارين شرفا* إذ هو الميزان الراجح الذي بأقواله وأعماله وأخلاقه
توزن الأخلاق والأعمال والأقوال* وبمتابعته والاقتداء به يتميز أهل الهدى
من أهل الضلال* وهو قطب السعادة التي مدارها عليه* وباب الطريق التي
جعلها سبحانه موصلة إليه* فلا نجاة لأحد إلا به* ولا فلاح له في الدارين إلا
بالتعلق بسببه* والوصول إلى الله سبحانه وإلى رضوانه بدونه محال* وطلب
الهدى من غير طريقه عين الخسران والوبال*

وأنت باب الله أي امرئ ... أتاه من غيرك لا يدخل

لذلك كان أولى ما صرفت إليه العناية وجرى المتسابقون في ميدانها أفضل

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة





منتهى السول

على

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ

تأليف العلامة الفقيه الشيخ المؤرخ

عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي

(١٣٤٤ - ١٤١٠هـ)

رحمه الله تعالى

اصطلاح : حيث قلت : انتهى مناوي ، ونحوه ، فهو مما كتبه على « الشمائل » فإن كان من (شرح « الجامع الصغير ») بيّنتُه بقولي : (مناوي على « الجامع ») .

والنقل عن ابن علاّن هو من (شرح « الأذكار ») و(شرح « رياض الصالحين ») .

والنقل عن الباجوري من (حاشيته على « الشمائل ») والقليل من (حاشية ابن قاسم) ، و(حاشية الشنشوري)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدنيا والدين

الحَمد لله الَّذي جعل حظَّنا[1] نبيَّه وحبيبَه ؛ سيدنا محمَّداً الذي أدَّبه فأحسن تأديبَه ، وزكَّى أوصافه وأخلاقه ووفَّر نصيبَه ، ووفَّق للاقتداء به مَن أراد تهذيبَه ، وحَرَم عن التخلُّق بأخلاقه مَن أراد تخييبَه ، صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وتحيَّاته وبركاته وإكرامه ، وعلى آله أجمعين ، وأصحابه والتابعين ، ما ذُكِرت محاسنه وفضائله وسَرَّت السامعين ؛ صلاةً دائمة على تعاقب الأوقات والسنين .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فيقول الفقير إلى رحمة العظيم الباري ؛ عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللحجي الحضرمي الشحاري ، غفر الله ذنوبه ، وستر بفضله عيوبه :

إنَّه يتعيَّن على كلِّ مؤمن أن يثابر على ما يتقرَّب به إلى مولاه ، ويبادر إلى اتِّباع أوامره في سرِّه ونجواه ، ويقتفيَ في سيره آثار نبيِّه المصطفى ، ويقتدي به في أخلاقه التي تُكسبه في الدارين شرفا ، إذ هو الميزان الراجح الذي بأقواله وأعماله وأخلاقه توزن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وبمتابعته والاقتداءِ به يتميَّزُ أهل الهدى من أهل الضلال ، وهو قطب السعادة التي مدارها عليه ، وباب الطريق التي جعلها سبحانه موصلة إليه ، فلا نجاةَ لأحد إلاَّ به ، ولا فلاح له في الدارين إلاَّ بالتعلُّق بسببه ، والوصولُ إلى الله سبحانَه وإلىٰ رضوانه بدونه محالٌ ، وطلب الهدى من غير طريقه عينُ الخسران والوبال .

وَأَنْتَ بَابُ ٱللهِ أَيُّ ٱمرِىءٍ أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لاَ يَدْخُلُ

لذلك كان أولى ما صُرفت إليه العنايةُ ، وجرى المتسابقون في ميدانه إلى أفضل غاية ؛ فنُّ الشمائل المحمَّديّة ؛ المشتمل على صفاتِه السنية ، ونعوته البهيَّة ، وأخلاقه الزكيَّة ، التي هي وسيلةٌ إلى امتلاءِ القلب بتعظيمه ومحبَّته ، وذلك سببٌ

---

(١) يشير به إلى ما رواه الإمام أحمد في « مسنده » : « أنا حَظُّكُمْ مِنَ النبيين وَأَنْتُمْ حَظِّي من الأمم . . . الخ » . انتهى .

لاتِّباع هديه وسنَّته ، ووسيلةٌ إلى تعظيم شرعه وملَّته ، وتعظيمُ الشريعة واحترامها وسيلةٌ إلى العمل بها والوقوفِ عند حدودها ، والعمل بها وسيلة إلى السعادة الأبديَّة والسيادة السرمدية ، والفوز برضا ربِّ العالمين ؛ الذي هو غاية رغبة الراغبين ، ونهاية آمال المؤمِّلين .

ولمَّا كان كتاب « وسائل الوصول إلى شمائل الرسول » من أجلِّ ما أُلِّف في محاسن قطب الوسائل ومنبع الفضائل ؛ الحائز لكل المفاخر الفاخرة ، وسيِّد أهل الدنيا والآخرة ، فإنه جمَعَ شَمْل شمائل سيِّد الأنام ؛ من متفرقات كتب علماء الإسلام ، ورتَّبها أحسنَ ترتيب ونظمها أحسن نظام ؛ بحيث إنَّ مُطالِع هذا الكتاب كأنه يشاهد طلعةَ ذلك الجناب ، ويرى محاسنه الشريفة في كل باب .

دعاني حبُّ سيِّد الأحباب إلى وضع تعليقاتٍ على هذا المجموع المستطاب ؛ تكون مرجعا لي في تفهُّم عبارته عند إقرائه وقراءته ؛ راجيا أن أفوز بقسط من التعلُّق بجناب الرسول الأعظم ، وأن أكون معدوداً من جملة خادميه وحزبه ؛ صلّىٰ اللهُ عليه وسلّم ، وأن أنخرط في سلك المحبِّين لسيِّد المرسلين ، وأن أُدليَ بدلوي معهم في بحر فضل خاتم النبيين ، إذِ الخوض في جداول بحاره يكسب الإِنسان شرفاً وفخراً ، والتعلُّق بشيءٍ من أسبابه فيه سعادة الدنيا والأخرى ، مستمِداً ذلك مما كتبه الأئمة الأعلام على أصوله المأخوذة من دواوين الإسلام ، كـ« حاشية الباجوري » ، وشروح « المواهب » ، و« الإحياء » ، و« الجامع الصغير » ، وقليلاً ما عرَّجتُ على غيرها كـ« شرح القاموس » ، و« نهاية » ابن الأثير ؛ معتمداً عليها في عزو الأحاديث ومالها من تفسير ، وربَّما تصرَّفتُ في النزر النادر بالتقديم والتأخير ، أو راجعتُ لتخريج الأحاديث من الأُمهات وغيرها وذلك شيء يسير ، وسمَّيتُه :

« مُنْتَهَىٰ ٱلسُّول عَلَىٰ وَسَائِلِ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ شَمَائِلِ ٱلرَّسُولِ »

وأنا أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش الكريم ؛ أن يجعله سبباً لمحبَّته ومحبَّةِ رسولِه الرؤوف الرحيم ، وأن ينفعني والمسلمين به كما نفع بأصله الأصيل ، وأن يتقبَّلَه مني ويعفوَ به عني ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

قال المصنف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في ذيل كتابه « وسائل الوصول » :

قال جامعُه الفقير : يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النَّبهاني ؛ عفا الله عنه :

لَمَّا كان هذا الكتاب الشريف الفائق ، المشتمل على الكثير الطيِّب من شمائل خير الخلائق ؛ متفرِّعاً عن كتاب « الشمائل » للإمام أبي عيسى الترمذي ، وأصول كتب الحديث المعتمدة التي أجلُّها وأشهرها الكتب الستَّة ؛ وهي دواوين الإسلام . « صحيحا البخاري ومسلم » ، و« سنن أبي داود » ، و« جامع الترمذي » ، و« سنن النسائي » ، و« سنن ابن ماجه » ؛ رأيت من الصواب أن أذكر أسانيدي فيها إلى مؤلِّفيها ؛

فأقول : إنِّي أروي هذه الكتب وغيرَها بالإجازة عن علاَّمة عصره الإمام الكبير سيِّدي الشيخ : إبراهيم السقا المصري الشافعي شيخ مشايخ الجامع الأزهر ، وقد ذكرت إجازته لي في ذيل كتابي « الشرف المؤبَّد لآل محمد » في ضمن ترجمة لي ، اقتصرتُ فيها على بيان بعض ما تمسُّ الحاجة إليه من التعريف بي ، وهو رحمه الله تعالى يرويها عن عدَّة أشياخ أجلاَّء ؛

منهم الأُستاذ العلاَّمة وليُّ الله تعالىٰ الشيخ ثُعَيْلب ، عن شيخَيْه الإمامين : الشهاب أحمد الملوي ، والشهاب أحمد الجوهري ؛ عن شيخهما مسند عصره وفريد زمانه الشيخ : عبد الله بن سالم البصري صاحب الثبت الشهير .

ومنهم الأستاذ محمد بن محمود الجزائري ، عن شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين ، عن شيخه أحمد الجوهري ، عن شيخه : عبد الله بن سالم البصري .

ومنهم الأستاذ العلاَّمة المحقِّق الشيخ : محمد صالح البخاري ، عن شيخه رفيع الدين القَنْدَهاري ، عن الشريف الإدريسي ، عن عبد الله بن سالم البصري رحمهم الله تعالى .

قال عبد الله بن سالم بن محمد بن محمد بن عيسى البَصري منشأً ، المكيُّ مولداً وإقامةً وإفادةً ، الشافعي مذهباً : أخذتُ كتاب « الشمائل » للترمذي عن الحافظ البابلي ؛ عن سالم السنهوري ، عن النجم الغيطي ، عن القاضي زكريا ، عن الحافظ ابن حجر بسماعه ؛ عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم المقدسي ؛

بسماعه عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري ، بسماعه عن أبي اليُمْن زيد بن حسن بن يزيد الكندي ، قال : أنبأنا به أبو شجاع عمر بن عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي ، قال : أنبأنا به أبو القاسم أحمد بن محمد الخليل البلخي ، قال : أنبأنا به أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، قال : أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشامي ؛ قال : حدَّثنا به مؤلِّفُه أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى .

قال عبد الله بن سالم البصري : وَأخذتُ « صحيح البخاري » عن شمس الدين : أبي عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي القاهري من أوَّله إلى قوله « بوادره » ، وأجازةً لسائره في سنة سبعين وألف بقراءة الشيخ عيسى المغربي عام مجاورته بمكَّة المشرَّفة عليه ؛ لكونه ضريراً ، عن أبي النَّجَا سالم بن محمد السنهوري سماعاً عليه لبعضه وإجازة لسائره . قال : قرأتُه جميعاً على المُسنِد النجم الغيطي ؛ بقراءته لجميعه على شيخ الإسلام القاضي زكريا ؛ بقراءته لجميعه على شيخ السَّنَد أبي الفضل ابن حجر العسقلاني ؛ بسماعه لجميعه على الأستاذ إبراهيم بن أحمد التنوخي ؛ بسماعه لجميعه على أبي العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحجَّار ؛ بسماعه لجميعه على السراج الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي سماعاً . قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأوَّل بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي ؛ قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي ؛ قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي ؛ قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبري ؛ قال أخبرنا به مؤلِّفُه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . . . ، فذكره .

قال عبد الله بن سالم البصري : وأخذت « صحيح مسلم » بن الحجاج القشيري ؛ عن الشيخ محمد البابلي المذكور ؛ بقراءة الشيخ عيسى المغربي المزبور ، من أوَّل (كتاب « الإيمان ») إلى حديث ضمام بن ثعلبة ، وسائره بالإجازة عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري ؛ سماعاً عليه لبعضه وإجازةً لسائره ؛ بقراءته على النجم الغيطي ؛ بسماعه لجميعه على شيخ الإسلام القاضي زكريا ؛ بقراءته لجميعه على الحافظ أبي نعيم رضوان بن محمد العقبي ؛ بسماعه لجميعه على الشرف أبي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك ،

بقراءة الحافظ ابن حجر في أربعة مجالس سوى مجلس الختم ؛ عن أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي ؛ سماعاً عليه لجميعه ، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم النابلسي ؛ سماعاً لجميعه عن محمد بن علي بن صدقة الحرَّاني ؛ سماعاً لجميعه عن فقيه الحرم : أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفُرَاوي ؛ سماعاً لجميعه عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي سماعاً ؛ قال : أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي النيسابوري سماعاً ؛ قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد سماعاً ؛ قال : أخبرنا مؤلِّفُه إمام السند والمسلمين : أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج القشيري النيسابوري سماعاً . . . ، فذكره .

قال عبد الله بن سالم البصري : وأخذتُ (« سنن » الحافظ أبي داود) ؛ عن الشيخ محمد البابلي المذكور ؛ بقراءة الشيخ عيسى المغربي المزبور ، من أوَّله إلى (باب كراهية استقبال القبلة عند الحاجة) ، وبإجازة سائره عن سليمان بن عبد الدائم البابلي ؛ عن الجمال يوسف بن القاضي زكريا ؛ عن والده قراءةً ، وسماعاً لبعضه ، وإجازة لسائره ؛ قال : أخبرنا العِزُّ عبدُ الرحيم بن الفرات ؛ سماعاً عليه لبعضه وإجازة لسائره ؛ عن أبي العباس أحمد بن محمد بن الجوخي إذناً ؛ عن الفخر علي بن أحمد بن البخاري سماعاً ؛ عن أبي جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طَبْرَزَد البغدادي سماعاً ؛ قالَ : أخبرنا به الشيخان : أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكروخي ، وأبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد الدُّومي سماعاً عليهما ملفَّقا ؛ قالا : أخبرنا به الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيبُ البغدادي ، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ؛ عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ؛ قال : أخبرنا به مؤلِّفُه : أبو داود سليمانُ بن الأشعث السجستاني ؛ سماعاً لجميعه . . . . ، فذكره .

قال عبد الله بن سالم البصري : وأخذت « الجامع » للحافظ الترمذي ؛ عن الشيخ محمد البابلي بقراءة الشيخ عيسى المغربي لجميعه عليه ؛ عن علي بن يحيى الزيادي ؛ عن الشهاب أحمد بن حمزة الرملي ، عن الزين القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ؛ عن العزِّ عبد الرحيم بن محمد بن الفرات مشافهة ؛ بإجازته من

أبي حفص عمر بن حسين المراغي ؛ عن الفخر ابن البخاري ؛ عن عمر بن طبرزد ؛ قال : أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل الكروخي ؛ قال : أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمودُ بن القاسم الأزدي ؛ قال : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي ؛ قال : أخبرنا أبو العبَّاس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي ؛ قال : أخبرنا به مؤلِّفُه الحافظ الحجة : أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . . . ، فذكره .

قال عبد الله بن سالم البصري : وأخذتُ « السنن الصغرى » المسمّاة بـ« المجتبى » للنسائي عن الشيخ محمد البابلي ؛ بقراءة الشيخ عيسى المغربي لجميعه ؛ عن الشهاب أحمد بن خليل السبكي ، وأبي النجا سالم بن محمد السنهوري ؛ كلاهما عن النجم الغيطي ؛ عن القاضي زكريا ؛ سماعاً لبعضه ، وإجازة لسائره ؛ بقراءته لجميعه على الزين رضوان بن محمد ؛ عن البرهان إبراهيم بن أحمد التنوخي إجازة مشافهة لجميعه ؛ بسماعه على أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار ؛ بإجازته من أبي طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي بن القبيطي ؛ بسماعه لجميعه على أبي زرعة : طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني سماعاً ؛ قال : أخبرنا به القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكَسَّار ؛ قال : أخبرنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الحافظ الشهير بـ« ابن السُّنِّي » الدينوري ؛ قال : أخبرنا به مؤلِّفُه الحافظ : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله تعالى . . . ، فذكره .

قال عبد الله بن سالم البصري : وأخذت « السنن » لابن ماجه ؛ عن الشيخ محمد البابلي ؛ بقراءة الشيخ عيسى المغربي من أوَّله إلى (باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ) ، وبالإجازة لسائره عن البرهان : إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللَّقاني ، وعلي بن إبراهيم الحلبي ، عن الشمس محمد بن أحمد الرملي ؛ عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري ؛ عن أبي الفضل الحافظ ابن حجر العسقلاني ؛ قراءة عليه لغالبه ، وإجازة لسائره ؛ بقراءته على أبي العبَّاس أحمد بن عمر بن علي البغدادي اللؤلؤي نزيل القاهرة ؛ عن الحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي سماعاً لجميعه ؛ عن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي

سماعاً ؛ عن الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ؛ سماعاً على أبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي ؛ عن الفقيه أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقوِّمي القزويني سماعاً ؛ قال : أخبرنا به أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ؛ قال : حدَّثنا به أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سَلَمة بن بحرٍ القَطَّان ؛ قال : حدَّثنا به مؤلِّفُه الحافظ : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني رحمه الله تعالى .

قال المصنف الشيخ يوسف النبهاني أيضاً : قلتُ :

وقد رويت هذه الكتبَ وكثيراً من كتب العلم النقلية والعقلية ؛ بعضُها سماعاً ، وبعضُها إجازة ؛ من طرق أخرى ؛ منها :

طريق الشاميين : أجازني بها العلاَّمة السيد الشريف محمود أفندي حمزة (مفتي الشام كان) ـ عليه الرحمة والرضوان ـ بإجازة مطوَّلة حافلة كتبها بخطه الفائق الحسن سنة : ـ ١٢٩٢ ـ اثنتين وتسعين بعد المائتين والألف ؛ في شهر شعبان المعظَّم بعد أن قرأتُ عليه قسماً من أول « صحيح البخاري » في منزله في دمشق الشام .

ومنها **طرق أخرى** كطريق شيخ المشايخ الراسخين ، وعلاَّمة العلماء العاملين ؛ شيخ مشايخي : الشيخ إبراهيم الباجوري ؛ عن شيخيه العلاَّمتين : محمدٍ الفضالي ، وحسن القويسني ، وغيرهما ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ ، فقد قرأت على علماء أعلام من أجلاَّء تلامذته ، وأجازوني ؛ أجلُّهم شيخنا العلاَّمة شيخ الإسلام سيدي الشيخ : محمد شمس الدين الأنبابي شيخ الجامع الأزهر الآن حفظه الله ، وفيما ذُكِر هنا غُنْية عمَّا لم يذكر .

وصلىٰ الله وسلم على سيِّدنا محمَّد سيِّد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى كلام النبهاني رحمه الله تعالى .

يقول الفقير إلى الله مؤلِّفُ هذا الشرح : عبد الله بن سعيد اللحجي وفقه الله تعالى :

إنِّي أروي الكتب الستة : « الصحيحين » البخاريَّ ومسلماً ، وأبا داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ؛ بالإجازة العامَّة عن عدَّة مشايخ أعلام ؛ بأسانيدهم المعروفة لديَّ عن علماء الإسلام ، وأخصُّ بالذكر منهم شيخي العلاَّمة وليَّ الله تعالى وجيه الدين : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الباري الأهدل ، وهو يروي عن عدَّة مشايخ كرام ؛ أَخَصُّهم والدُه العلاَّمة جمال الدين : محمد بن عبد الرحمن الأهدل ، وهو يروي عن شيخه العلاَّمة مفتي الديار اليمنية ، شيخ الإسلام البدر الساري الأكمل ، السيد : محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل ، وهو يروي عن عمِّه صنوِ أبيه وليِّ الله تعالى شرف الإسلام : الحسن بن عبد الباري بن محمد بن عبد الباري بن محمد الطاهر الأهدل ، عن شيخ الإسلام ومفتي الأنام العلاَّمة المسند وجيه الدين السيد : عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل الزبيدي ، وهو يروي عن مشايخه المذكورين في ثبته : « النفس اليماني » ، ومن أخصِّهم : والدُه العلاَّمة نفيس الإسلام السيد : سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل ؛ عن شيخه العلاَّمة وليِّ الله تعالى صفيّ الدين : أحمد بن محمد شريف مقبول الأهدل ، عن شيخه وخالِه خاتمة المُحدِّثين العلامة عماد الدين : يحيى بن عمر مقبول الأهدل ؛ عن الشيخ العلاَّمة مُحدِّث الحرمين : عبد الله بن سالم البصري المكي بأسانيده المذكورة في ثبته المسمَّىٰ بـ« الإمداد » الذي جمعه ولده سالم بن عبد الله بن سالم البصري .

وأما **سندي إلى المؤلف** فإني أروي كتابَه هذا عن شيخنا العلامة : الشيخ محمد العربي بن التبَّاني بن الحسين بن عبد الرحمن بن يحيى بن مخلوف الواحدي ـ نسبة إلى قبيلة في الجزائر يقال لهم بنو عبد الواحد ـ ، الجزائري ولادةً ومنشأً ؛ قراءة لبعضه ، وإجازةً لباقيه ، وكذلك سائر كتب المؤلف أرويها عن شيخي المذكور بالإجازة العامة ، وشيخُنا المذكور يروي عن المؤلِّف الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني بالإجازة العامة «ح» .

وأعلىٰ من ذلك : إنِّي أروي هذا الكتاب « وسائل الوصول » وسائر مؤلفات الشيخ يوسف النبهاني عن مؤلِّفها مباشرةً بالإجازة العامَّة منه لأهل عصره ؛ كما صرَّح بذلك في كثير من مؤلفاته ، ومنها كتاب « حزب الاستغاثات بسيد

السادات » ؛ فإنَّه ذكر في طُرَّته ما نصُّه :

يقول مؤلِّفُه : قد أجزتُ بهذا الحزب وبكتابي « مفرج الكروب » و« مزدوجة الأسماء النبوية » وغيرها من مؤلفاتي ومرويَّاتي كلَّ مَنْ قَبِل الإجازة من أهل عصري بشرط الأهلية ؛ ولو بعد حين ، اقتداءً بمن فعل ذلك من أئمة العلماء والمحدِّثين رضي الله عنهم أجمعين . انتهى .

وقد قبلتُ الإجازة ، وأدركتُ من حياة المؤلف سبعَ سنوات تقريباً ، فإنَّ وفاةَ المؤلِّف كانت في سنة : ـ ١٣٥٠ ـ خمسين وثلٰثمائة وألف هجرية ؛ وولادتي في سنة : ـ ١٣٤٣ ـ ثلاث وأربعين وثلٰثمائة وألف هجرية تقريباً .

ثم رأَيت في « الفتوحات الربانية على الأذكار النووية » للشيخ محمد بن علي بن عَلاَّن الصدِّيقي المكي في آخرها ما نصُّه : قال المصنِّف ـ يعني النووي ـ في « الإرشاد » :

إذا أجاز لغير معيَّن بوصف العموم ؛ كقوله : « أجزتُ للمسلمين » ، أو « لكل أحد » أو « لمن أدرك زماني » . . . وما أشبهه !! ، ففيه خلافٌ للمتأخرين المجوِّزين لأصل الإجازة ، فإن كان مقيَّداً بوصف خاصٍّ ! فهو إلى الجواز أقرب ، وجَوَّزَ جميعَ ذلك الخطيبُ ، وجَوَّزَ القاضي أبو الطيب الإمام المحقِّقُ الإجازة لجميع المسلمين الموجودين عندها . ثم قال : وأجاز أبو عبد الله بن منده ؛ لمن قال « لا إلٰه إلاَّ الله » . وأجاز أبو عبد الله بن عتاب وغيره من أهل المغرب لمن دخل قرطبة من طلبة العلم . وقال أبو بكر الحازمي الحافظ : الذين أدركتُهم من الحفّاظ كأبي العلاء وغيره كانوا يميلون إلى جواز هذه الإجازة العامَّة .

قال الشيخ ـ يعني ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى : ولم يُسمَع عن أحد يُقتدىٰ به أنه استعمل هذه الإجازة فروى بها ، ولا عن الشرذمة التي سوَّغَتْها . وفي أصل الإجازة ضعفٌ ؛ فتزداد بهذا ضعفاً كثيراً لا ينبغي احتماله .

وهذا الذي قاله الشيخُ خلافُ ظاهر كلام الأئمة المحقِّقين والحُفَّاظ المتقنين ، وخلافُ مقتضىٰ صحَّة هذه الإجازة . وأيُّ فائدة إذا لم يُرْوَ بها !! . انتهى .

قلت : وقد أجاز كذلك جماعة من المتأخرين الحفَّاظ ؛ كالحافظ السيوطي ، فأجاز لمن أدرك عصره ، وأجاز كذلك ابن حجر الهيتمي في آخرين .

انتهى كلام ابن علان في « شرح الأذكار » رحمه الله تعالى .

وفي « النفس اليماني » : وقد اختار الخطيب صحَّة هذه الإجازة ، وكذلك الحافظ ابن منده ؛ فإنَّه أجاز لمن قال « لا إلٰه إلا الله » . وإلى هذا ذهب الحافظ السلفي . وقال القاضي عياض : وإلى الإجازة للمسلمين « مَن وُجد منهم وَمن لم يوجد » ذهب جماعة من مشايخ الحديث . وذكر الحافظ السخاوي أنَّ الإمام النووي استعملها ، فإنَّه رأى بخطه في بعض تصانيفه : وأجزتُ روايته لجميع المسلمين . حتى إنَّه لكثرة مَن جوَّزها أفردهم الحافظ أبو جعفر محمد بن الحسن البغدادي بمصنَّف رتَّبهم فيه على حروف المعجم . وكذلك جمعهم أبو رشيد بن الغزالي الحافظ في كتاب سمَّاه « الجمع المبارك » .

قال النووي مشيراً إلى التعقُّب على ابن الصلاح ، حتى إنَّه لم ير من استعملها ، ولا حتَّى مَن سوَّغها : إن الظاهر من كلام مَن صحَّحها جوازُ الرواية بها . وهذا يقتضي صحَّتها ، وأيُّ فائدة غير الرواية !! .

ومن فروع هذه المسألة : ما سبق نقلُه عن المحقِّقين من المحدثين والأصوليين والفقهاء ؛ كالحافظ مُغْلطاي ، وتلميذه الحافظ الزين العراقي ، وتلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وتلميذه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وتلميذه العلاَّمة : المحقِّق ابن حجر الهيتمي من جواز الإجازة لفلان ، ولمن سيولد له مِن ذريَّته تبعاً .

وأنَّه يجوز العمل بها ؛ تحمُّلاً ، وأداءً ، وأخذاً .

هذا ؛ وقد استعمل جمع من علماء الحديث من المتقدمين والمتأخرين الإجازة لمن أدرك حياته ، واستعمل ذلك من مشايخنا سيِّدي الوالد ، وسيِّدي العلاَّمة عبد الله بن سليمان الجرهزي ، فإنَّهما في سنة : ـ ١١٩٤ ـ أربع وتسعين ومائة وألف هجرية أجازا لمن أدرك حياتهما ، وكان ذلك بمحضر جمع من العلماء والأعيان ، واستدعى ذلك منهما السيد الولي العلامة قاسم بن سليمان الهجام .

انتهى كلام « النفس اليماني » .

ثم قال فيه أيضاً : وأجزتُ كافَّة مَن أدرك حياتي ، ولا سيما من وقعت بيني وبينه المعرفة ، وخصوصاً من وقعت بيني وبينه الاستفادات العلمية ، وأولادهم ، ومَنْ سيولد لهم ؛ راجياً بذلك ـ إن شاء الله ـ من الربِّ الكريم الخيرَ الشَّامل الكثير ، فإنَّه القادرُ على ذلك . انتهى ملخصاً .

وفي « النفس اليماني » أيضاً : وهذا الشيخ المعمَّر الحافظ الشهير سيِّدي محمد بن سِنَّة العمري ؛ هو شيخي بطريق الإجازة العامَّة ، لأنه أجاز لأهل عصره الموجودين ، وكانت وفاته في عشر التسعين بعد مائة وألف ، كما أفادني بذلك جمع من علماء الحرمين الشريفين رووا عن تلميذه العلاَّمة صالح الفُلاَّني المغربي عنه .
انتهى كلام « النفس اليماني » .

وممَّنْ أجاز لمَنْ أدرك حياته : أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء ، وأبو الحسين عبيد الله بن الربيع القرشي ، والقطب محمد بن أحمد بن علي القُسْطُلاَّني ، وأبو الحجَّاج المِزِّي الحافظ ، والفخر ابن البخاري ، وخلق من المُسْنِدِين ؛ كالحَجَّار ، وزينب بنت الكمال .

واستجاز بها خلقٌ لا يُحصَون ؛ منهم أبو الخطَّاب بن دِحْيَة ، فإنَّه سأل أبا جعفر بن مضاء الإجازة العامة في كلِّ ما يصحُّ إسناده إليه على اختلاف أنواعه لجميع مَن أراد الرواية من طلبة العلم الموجودين حينئذ ؛ فأسعفهم بها .

ومنهم : أبو الحسن محمد بن أبي الحسن الورَّاق ، فإنَّه سأل أبا الوليد بن رشد الإجازة لكلِّ مَن أحبَّ الحمل عنه من المسلمين حيث كانوا أحياءَ في عام الإجازة فأجابه لذلك ؛ كما ذكره السخاوي في « شرح ألفية الحديث » رحمه الله تعالى .

وكذلك أجاز لأهل عصره : الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني ؛ ذكره الشيخ ابن عابدين في « ثبته » ؛ ناقلاً من « القول السديد باتصال الأسانيد » ثبتِ الشهاب أحمد المنيني ، فإنَّه قال فيه : وقد أخبرني بإذنه لأهل عصره الشيخُ محمد بن الطيب المغربي نزيل المدينة المنورة ، وهو ثقة ثَبْت . والله أعلم . انتهى .

وكذلك أجاز لأهل عصره : الشيخ العلاَّمة الفقيه المحدِّث محمد عابد بن أحمد بن علي الحنفي السندي ثم المدني ، فإنَّه قال في كتابه « حصر الشارد » : وقد

أجزت كافَّة مَن أدرك حياتي من المسلمين أن يرويَ عني جميع ما اشتمل عليه هذا السِّفْر بالأسانيد التي ذكرتها .

وكذلك أجاز لأهل عصره : العلاَّمة الفاضل خاتمة المحققين مولانا الشيخ فالح بن محمد المدني ؛ فإنَّه قال في آخر ثبته « حسن الوفاء » : وقد أَجزتُ بهذه المرويَّات وبما تضمَّنَته من الأثبات المذكورة ، وبجميع ما يؤثر عني كلَّ مَن أراده ممن أدرك حياتي . . . إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى .

وممن أجاز لمن أدرك حياته : العلاَّمة الحافظ عبد الرحمن بن علي الدَّيْبَع اليمني الزبيدي المتوفىٰ سنة : ـ ٩٢٢ ـ اثنتين وعشرين وتسعمائة هجرية ؛ قال رحمه الله تعالى نظماً :

أَجَزْتُ لِمُدْرِكِي وَقْتِي وَعَصْرِي ... رِوَايَةَ مَا تَجُوزُ رِوَايَتِي لَهْ
مِنَ ٱلمَقْرُوءِ وَٱلمَسْمُوعِ طُرّاً ... وَمَا أَلَّفْتُ مِن كُتُبٍ قَلِيْلَهْ
وَمَالِي مِنْ مُجازٍ مِنْ شُيُوخِي ... مِنَ ٱلكُتُبِ ٱلقَصِيْرَةِ وَٱلطَّوِيْلَهْ
وَأَرْجُو ٱللهَ يَخْتِمُ لِيْ بِخَيْرٍ ... وَيَرْحَمُنِي بِرَحْمَتِهِ ٱلجَزِيْلَهْ

انتهى .

ولنبدأ بترجمة المصنف ؛ فنقول : هو بوصيريُّ العصر ، الأديب الشاعر المُفْلِق ، العلاَّمة المتقن الورع ، الحُجَّة التقي العابد ، الطائر الصيت ، المحبُّ الصادق المتفاني في حبِّ رسول الله ﷺ المكثر من مدائحه ؛ تأليفاً ، ونقلاً ، ورواية ، وإنشاءً وتدويناً ، ناصر الدين أبو الفتوح ؛ وأبو المحاسن :

يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد بن ناصر الدين النبهاني .

« نسبة لبني نبهان » : قوم من عرب البادية ؛ نزلوا بقرية « إِجْزِم » بصيغة فعل الأمر ، وبها ولادته ، وهي قرية واقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين ؛ تابعةٌ لقضاء حيفا من أعمال عكا .

وكانت ولادته يوم الخميس سنة : ـ ١٢٦٥ ـ خمس وستين ومائتين وألف هجرية تقريباً .

وحفظ القرآن على والده ؛ وكان شيخاً معمَّراً بلغ الثمانين ، وكان إذ ذاك ممتعاً بكمال عقله ، وحواسِّه وقوَّته ، وحفظه ومحافظته على ضروب الطاعات وحسنِ تلاوة القرآن العظيم ، وكان يختم كلَّ ثلاثة أيّام ختمة ، ثم وُفِّق إلى قراءته ثلاث مرَّات كلَّ أسبوع ، ولهذه المزايا والفضائل أبلغُ الأثر في تكوين هذا الناشىء الذي تغذَّىٰ بِلَبانِ الهدىٰ والتقى بين يدي والده الصالح ؛ في تلك البيئة النقية الطاهرة .

ولما أتمَّ حفظ القرآن الكريم وحفظ بعض المتون ؛ أرسله والده إلى مصر ، وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، فالتحق بالأزهر الشريف في غُرَّة محرَّم الحرام سنة : ـ ١٢٨٣ ـ ثلاث وثمانين ومائتين وألف هجرية ، وجاور في رواق الشوام ، ودأب على الدرس والتحصيل ، وتلقَّى العلم من كبار الأئمَّة وجهابذة علماء الأمَّة ؛ المبرِّزين في علوم الشريعة واللغة العربية ، من أهل المذاهب الأربعة ، وكان موفَّقاً حَسَن الاختيار والاهتداء إلى الراسخين في العلم ؛ المحققين في المعقول والمنقول ، الذين لا يشقُّ لهم غبار ؛ كالشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفىٰ سنة : ١٢٩٨ ، والشيخ محمد الدمنهوري الشافعي المتوفىٰ سنة : ١٢٨٦ ، والشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي المتوفىٰ سنة : ١٢٨٧ ، والشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي المتوفىٰ سنة : ١٢٩٣ ، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الشافعي المتوفىٰ سنة : ـ ١٣٠٥ ـ خمس وثلْثمائة وألف ، والشيخ أحمد راضي الشرقاوي الشافعي ، والشيخ مصطفى الإشراقي الشافعي ، والشيخ عبد اللطيف الخليلي الشافعي ، والشيخ صالح أجياوي الشافعي ، والشيخ محمد العشماوي الشافعي ، والشيخ محمد شمس الدين الأنبابي الشافعي (شيخ الجامع الأزهر) ، والشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي ، والشيخ أحمد البابي الحلبي الشافعي ، والشيخ شريف الحلبي الحنفي ، والشيخ فخر الدين اليانيه وي الحنفي ، والشيخ عبد القادر الرافعي الطرابلسي الحنفي « شيخ رواق الشوام » ، وشقيقه الشيخ عمر مفتي طنطا الحنفي ، والشيخ مسعود النابلسي الحنفي ، والشيخ حسن العدوي المالكي المتوفىٰ سنة : ١٢٩٨ ، والشيخ محمد الحامدي المالكي ، والشيخ محمد روبه المالكي ، والشيخ حسن الطويل المالكي ، والشيخ محمد البسيوني المالكي ، والشيخ يوسف

البرقاوي الحنبلي « شيخ رواق الحنابلة » رحمهم الله تعالى وجزاهم عن الأمة المحمدية أحسَن الجزاء .

ثم بدا لصاحب الترجمة أن يسافر من مصر ليساهم في خدمة الإسلام ؛ فرجع في رجب سنة ١٢٨٩ ، وأقام في مدينة عكا ينشر العلم ، فأفاد المسلمين ، وأعلىٰ منار الدين ، ثم في سنة ١٢٩٢ رحل إلى الشام ، واجتمع على جماعة من العلماء ، أحدهم ـ بل أوحدهم ـ الإمام الفقيه المُحدِّث البارع في أكثر الفنون ؛ مفتي الشام المرحوم السيد محمود أفندي الحمزاوي ، وحصلت بينه وبينه مودَّة ، فاستجازه بعد أن قرأ عليه في منزله بحضور جملة من طلبة العلم الشريف ؛ فأجازه بإجازة مطوَّلة فائقة إجازة عامة بجميع مروياته ، وجال في بلاد الشرق العربي ، وبَرِّ الترك ؛ فدخل الأُسْتانة والموصل وحلب وديار بكر وشهرزور وبغداد وسامَرَّا وبيت المقدس والحجاز .

ولما شاع ذكره ، وأشرقت شمسُه ، واهتدى به الناس ؛ تقلَّب في مناصب القضاء في ولايات الشام ؛ حتى صار رئيساً في محكمة الحقوق العليا ببيروت ؛ وذلك سنة : ـ ١٣٠٥ ـ خمس وثلٰثمائة وألف ، وحجَّ عام ألف وثلٰثمائة وعشرة ، ثم دخل الحجاز بعد ذلك ، وأقام بالمدينة المنوَّرة مدَّة ؛ وألَّف المؤلفاتِ النافعةَ التي سارت بها الركبان ، وانتشرت في سائر البلدان ، وهي :

- إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم .
- إرشاد الحيارى في التحذير من مدارس النصارى .
- أسباب التأليف .
- أفضل الصلوات في الصلاة على سيد السادات .
- الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين .
- الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين .
- الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين .
- أربعين الأربعين من أحاديث سيد المرسلين .
- الأنوار المحمدية مختصر « المواهب اللدنية » .
- أحسن الوسائل في أسماء النبي الكامل .
- الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة .

- بلوغ الآمال مختصر كتاب « فتح المتعال في مثال النعال » .
- تهذيب النفوس في ترتيب الدروس ؛ وهو مختصر «رياض الصالحين» للإمام النووي .
- تفسير « قرة العين من البيضاوي والجلالين » .
- جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ « أربع مجلدات » .
- جامع كرامات الأولياء « مجلدان » .
- جامع الصلوات على سيد السادات .
- جامع الثناء على الله تعالى .
- حزب الأولياء الأربعين المستغيثين بسيد المرسلين ﷺ .
- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ .
- خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام .
- الدلالات الواضحات شرح « دلائل الخيرات » .
- رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة .
- الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا .
- الرائية الكبرى .
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ .
- سعادة الميعاد في موازنة « بانت سعاد » .
- السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ ، وهي المعشَّرات .
- سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله .
- الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى .
- الشرف المؤبّد لآل محمد ﷺ ، وهو أوّل مؤلفاته .
- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ .
- سعادة الأنام في اتِّباع دين الإسلام .
- الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية .
- الصلوات الأربعين للأولياء الأربعين .
- صلوات الأخيار على النبي المختار ﷺ .
- صلوات الثناء على سيد الأنبياء ﷺ .

ـ طيبة الغرَّاء في مدح سيد الأنبياء . وهي همزِيَّته .

ـ العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ، وهو ديوانه .

ـ الفتح الكبير في ضمٍّ الزيادة إلى « الجامع الصغير » ، وهو كتاب جمع فيه بين « الجامع الصغير » وذيلِه المسمَّى « زيادة الجامع الصغير » ؛ كلاهما للحافظ السيوطي في ثلاث مجلدات .

ـ الفضائل المحمدية . ترجمها بعض السادة العلوية للغة الجاوية .

ـ القول الحقُّ في مدح سيِّد الخلق ﷺ .

ـ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، ومعها أسماء رجالها المسمَّى « الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية » « أربع مجلدات » .

ـ المزدوجة الغرَّاء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى .

ـ مفرِّحُ القلوب ومفرج الكروب .

ـ منتخب الصحيحين ، مذيَّلاً بتعليقات اسمها « قرة العين على منتخب الصحيحين » .

ـ المبشِّرات المنامية .

ـ مختصر « إرشاد الحيارى » .

ـ مثال نعله الشريف . وذَكَر حوله كثيراً من الفوائد .

ـ كتاب « الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما » .

ـ نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في معجزات سيد المرسلين والرد على أعدائه إخوان الشياطين .

ـ النظم البديع في مولد الحبيب الشفيع ﷺ .

ـ الورد الشافي ؛ يشتمل على الأدعية والأذكار النبوية .

ـ وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ . وهو الكتاب الذي نحن بصدد شرحه .

ـ هادي المريد إلى طرق الأسانيد . وهو ثبته الجامع النافع .

ـ البرهان المسدَّد في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .

ـ دليل التجّار إلى أخلاق الأخيار .

ـ الرحمة المهداة في فضل الصلاة .

ـ حسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر بعد الجمعة .

ـ رسالة التحذير من اتخاذ الصور والتصوير .

ـ تنبيه الأفكار لحكمة إقبال الدنيا على الكفار . كلها[1] طبعت في مجموعة واحدة ، وكلٌّ هذه التصانيف مطبوعةٌ تداولتها الأيدي في سائر بلاد الإسلام .

وأوَّل ما ظهر من مؤلفاته كتاب « الشرف المؤبَّد لآل محمد ﷺ » ، ثم همزيته المسماة « طيبة الغراء » ؛ وبها اشتهر ، وتناقل الناس ماله من خبر ، وذلك لبلاغتها وانسجامها وطلاوتها .

ثم عَظُم ذِكْره بما صنَّف وابتكر ، ونظم ونثر ، وطبع ونشر ، خصوصاً في الجانب المحمدي الأعظم ، فقد خدم السيرة المحمدية والجناب النبوي أرفعَ الخِدَمات ، ووقف حياته على ذلك ؛ فنشر وكتب ما لم يتيسَّر لغيره في عصرنا هذا ولا عشر معشاره ، وذلك من آثار بركته ﷺ .

ولما أُحيل إلى المعاش شدَّ أَزرَه وشَمَّر عن ساعد الجدِّ ، وأقبل على العبادة بهمَّة عالية وعزيمة صادقة ، وقلب دائب على الذكر وتلاوة القرآن ، وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ ، فأحيا ليله ونهاره بإقامة الفرائض ونوافل الطاعات ؛ لا يفتر ولا يسأم ، حتى عُدَّ ما يقوم به من خوارق العادات .

وكان يتردَّد إلى المدينة المنوَّرة للزيارة النبوية ويقيم فيها مدَّة أيام الشتاء ، وكانت أنوار العبادة وتعظيم السنة والعمل بها ظاهرةً على وجهه المبارك ، ولم يزل على الحال المرضيّ حتَّىٰ دعاه مولاه ؛ فأجابه ولَبَّاه .

وكانت وفاته في بيروت في أوائل شهر رمضان الكريم سنة : ـ ١٣٥٠ ـ خمسين وثلثمائة وألف هجرية ، عن عمر يُنَاهز الخمس والثمانين ، وهو قويُّ البدن ، تامُّ الصحَّة ، مستوفٍ لقراءة أوراده وما اعتاده من الطاعات وأعمال الخير . أجزل الله ثوابه ، وألحقنا به على الإيمان الكامل في غير ضَرَّاء مُضِرَّة ، ولا فتنة مضلَّة ، بفضله ورحمته . آمين .

وهذا أوان الشروع في المقصود مستعيناً بالله ذي الكرم والجود :

---

(١) أي : الكتب الستة الأخيرة .

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال المصنف (بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيْمِ) بتقديم البسملة ، وافتتاحُ كُتب العلم بها جرىٰ عمل الأئمة المصنِّفين واستقرَّ أمرهم ؛ حسبما قاله الحافظ ابن حجر . قال : وكذا معظمُ كتب الرسائل ، والقصد :

١ ـ الاقتداءُ بالكتاب العزيز ، فإنَّ العلماء متَّفقون على استحباب البسملة في أوَّله في غير الصلاة ، والإجماعُ منعقد على تقديمها في خطِّ المصحف ؛ وإن كانت ليست آية منه عند مالك .

٢ ـ والعملُ بقول النبي ﷺ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيْهِ بِبِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيْمِ ؛ فَهُوَ أَبْتَرُ » . رواه الخطيب بهذا اللفظ في كتاب « الجامع » ، وفي رواية : « أَقْطَعُ » ، وفي رواية : « أَجْذَمُ » بالجيم والذال المعجمة ، وهو من التشبيه البليغ في العيب المنفِّر ، ومعنى الجميع : أنَّه ناقص البركة غيرُ تامٍّ في المعنى ؛ وإن تمَّ في الحس .

ومعنى « ذِيْ بَالٍ » ؛ أي : حال يُهتمُّ به . ومعنى الابتداء بالبسملة : الاستعانةُ بالله عزَّ وجلَّ ، على زيادة لفظ « اسم » ؛ أو أنَّه هنا واقعٌ على المسمَّىٰ . أو معناه : التبرُّك باسمه سبحانه . فالباءُ للاستعانة ، أو للملابسة ، أو المصاحبة ؛ بقصد التبرُّك ، و« الاسم » مشتقٌّ من السموِّ ؛ وهو العلوُّ ، وقيل : من السِّمَة ؛ وهي العلامة .

واسم الجلالة : عَلَمٌ على ذاته تعالى ، فهو خاصٌّ به سبحانه وتعالى ، إذ لا يسمَّىٰ به غيره تعالى ، فهو أخصُّ الأسماء ، وهو أعرف المعارف وأعظم الأسماء ، لأنه دالٌّ على الذات الموصوف بصفات الإلٰهية كلِّها ، فهو اسمٌ جامع لمعاني الأسماء الحُسنَىٰ كلِّها ، وما سواه خاصٌّ بمعنىً ، فلهذا يضاف إليه جميع الأسماء ولا يضافُ هو إلى شيءٍ ، وكلُّ أسمائه تعالى للتخلُّق إلاَّ هذا الاسم ؛ فإنَّه

للتعلُّق فحسب ، وحظُّ العبد منه التوَلُّهُ ؛ وهو استغراقُ القلبِ والهِمَّةِ به تعالى ، فلا يرى غيره ، ولا يلتفتُ لسواه . وهو عربيٌّ عند الأكثر **وهو الحق** .

واختُلِف فيه : هل هو مرتجلٌ ؛ أو مشتق ، والأول هو المشهور والمختار .

والرحمن والرحيم : صفتان للمبالغة من الرحمة .

و« الاسم » مجرورٌ بالباء ، و« الجلالةُ » مجرورٌ بالمضاف ، و« الرحمن » نعتٌ لاسم الله ، وعلى أنَّ « الرحمن » عَلَم يكون بدلاً من « اسم الله » ، أو عطف بيان ؛ وصُوِّب .

والرحيم نعتٌ للجلالة على الأوَّل ، أو لـ« الرحمن » على الثاني ، إذ لا يتقدَّم البدلُ ؛ ولا العطف على النعت ، والجملة تحتمل الخبرية والإنشائية ، وقد قيل بكلٍّ منهما .

(**اَلْحَمْدُ للهِ**) أتى ـ رضي الله عنه ـ بالحمدلة بعد البسملة !! :

١ ـ قضاءً لبعض ما يجبُ من حمد الله تعالى والثناءِ عليه ؛ بذكر أوصاف كماله ، وشكرِ نعمه وآلائه ؛ التي أعظمُها الهدايةُ للإيمان والإسلام ، ومن جملتها تأليفُ هذا الكتاب .

و ٢ ـ اقتداءً بالكتاب العزيز ، وبالنبي ﷺ في ابتدائه بالحمد في جميع خطبه .

و ٣ ـ عملا بجميع روايات الحديثِ السابقِ ؛ ففي رواية « كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيْهِ بِـ(اَلْحَمْدُ للهِ) فَهُوَ أَقْطَعُ » ، وفي رواية « بِحَمْدِ ٱللهِ » ، وفي رواية « كُلُّ كَلاَمٍ لاَ يُبْدَأُ فِيْهِ « بِٱلْحَمْدِ للهِ » فَهُوَ أَجْذَمُ » وفي رواية : « كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيْهِ بِـ« بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيْمِ » فَهُوَ أَقْطَعُ » ، وفي رواية « كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لاَ يُفْتَتَحُ بِذِكْرِ ٱللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ » ؛ أَوْ قَالَ « أَقْطَعُ » على التردُّد . فروايةِ البسملة صريحة فيها ، ورواية : « الحمدُ لله » ـ بالرفع ـ صريحةٌ فيه . ورواية : « بالحمدِ لله »

رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، . . . .

ـ بالخفض ـ ، أو « بحمد الله » !! يحتمل أن يكون المراد الابتداءُ بلفظ « الحمد لله » بهذه الصيغة ، ويحتمل أن يكون المراد الابتداء بمادة الحمد ؛ وإن لم يكن بهذه الصيغة . حتَّى لو قال : « حَمدتُ الله » أو : « أحمده » لأجزأه ، ويحتمل أن يكون المرادُ الثناء ، ولو لم يكن بهذه المادة ، حتى لو أتى بالبسملة لاكتُفي بها . وعلى هذا المعنى روايةُ : « بِذِكْرِ ٱللهِ » .

ولما تعارضت روايةُ البسملةِ وروايةُ الحمدلةِ ظاهراً ـ إذ الابتداء بأحدِ الأمرين يفوِّت الابتداءَ بالآخر ، وكان الجمعُ بينهما ممكناً ؛ بأن يقدّم أحدَهما على الآخر فيقع الابتداء به حقيقة ، وبالآخر بإضافته إلى ما سواه ـ أتَى بهما معاً .

وقدَّم البسملة !! لأنها أولى بالتقديم ، لأنَّ حديثَها أقوى ، وعملاً بكتاب الله الوارد بتقديمها .

والحمدُ هو : الثناءُ على المحمود بجميل صفاته على جهة التعظيم ؛ سواء كان في مقابلة نعمة ، أو لا . وكلٌّ من صفاته تعالى جميلٌ ، فهو ثناءٌ على الله تعالى بجميع صفاته .

واختار الجملةَ الاسمية !! اقتداءً بالكتاب العزيز ، ولأنها تفيد الدوام والاستمرار ، والجملة خبريةٌ لفظاً ؛ إنشائيةٌ معنىً .

(رَبِّ) أي : مالك . وأصلُ التربية : نقلُ الشيء من أمر إلى أمر حتى يصل إلى غاية أرادها المربِّي ، ثم نقل إلى المالك والمصلح للزوم التربية لهما غالباً .
(ٱلْعَالَمِيْنَ) اسمُ جمعٍ خاصٌ بمَنْ يعقل ؛ وهم الجنُّ والإنس والملائكة ، وقيل : جمع سلامة لـ« العالَمِ » على غير قياس ، والعالَم ـ في اللغة ـ : كلُّ نوع ، أو جنس فيه علامة يمتاز بها على سائر الأنواع والأجناس الحادثة . فيقال في الأنواع : « عالَم الإنسان » ؛ و« عالم الطير » ؛ و« عالم الخيل » . ويقال في الأجناس : « عالم الحيوان » ، و« عالم الأجسام » ، و« عالم الناميات » .

. . . .

ويحتمل أن تكون المناسبة في تسمية النوع والجنس بـ« العالَم » أنَّ لهما من الفصول والخواصِّ ما يُعلمان به . ونقله المتكلمون إلى كلِّ حادث .

والمناسبة في هذه التسمية : أن كلَّ حادث فيه علامةٌ تميِّزُه عن مُوْجِدِهِ المولى القديم ، حتَّى لا يلتبس به أصلا ، ولهذا ردَّ مولانا جلَّ وعلا على الضالين الذين جعلوا له شركاء من الحوادث ، فقال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [الرعد/ ٣٣] أي : اذكروا أوصافهم حتى يُنظَر أفيها ما يصلح للألوهية ؛ أم لا !! .

ويحتمل أن تكون المناسبة أنَّ كلَّ حادث يحصل العلم للناظر فيه بما يجب للمولى العظيم مِن عليِّ الصفات ، وتنزُّهه عن سماتِ المحدثات . فالمناسبة الأُولى تقتضي أن العالَمَ مأخوذٌ من العلامة ، والمناسبةُ الثانية تقتضي أنَّه مأخوذ من العلم .

وقد أشعر قولُه « رَبِّ ٱلعَالَمِيْنَ » أنَّ التربية كلَّها ـ وهي : إيصال كلِّ حادث إلى كماله الذي أُريد له ـ ليست إلاَّ من المولى تبارك وتعالىٰ .

وهذه التربيةُ على قسمين : عامة ؛ وخاصَّة .

فالعامَّة : التربيةُ بالإيجاد والتنميةِ والإمداد بالحياة والحواسِّ وغيرهما مما هو مشتركٌ بين عموم الأجساد .

والخاصَّة : التربيةُ الروحانية بالعلوم والمعارف العلمية والعملية ، وضبط الحركات والسَّكَنات للجَرْي على مقتضاهما . وهذه التربية هي العزيزة الشريفة الموصلة إلى الفوز برضا مولانا جلَّ وعلا ، والتمتُّع بما لا يحاط بوصفه من نعيم الجنان أبدَ الآباد ، وقد جعل الله سبحانه هذه التربية الخاصَّة لا تحصلُ لأحد من أهل الأرض إلاَّ على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وجعل الحاصل منها على يد نبينا ومولانا محمد ﷺ الحظَّ الأوفر والنصيب الأكثر ؛ مع سهولةٍ فيها وقلَّة معاناةٍ ، كما قال تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٥] ، وقال في

حَمْداً يُوَافِي نِعَمَهُ ، ويُكَافِئُ مَزِيدَهُ ، . . . .

وصف أُمَّة نبينا محمد ﷺ ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف/١٥٧] ، وقد عُرِف كثرةُ مَن تربَّىٰ على يده ﷺ هذه التربيةَ الخاصَّة من حديثٍ ورد بأن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ؛ ثمانون صفاً منها لهذه الأمة ، ولعلهم إن كانوا ثلثي أهل الجنة يكون لهم من الجنة ونعيمها أكثر من الثلثين ؛ كثلاثة أرباع أو تسعة أعشارٍ أو نحو ذلك ، لما علم من تخصيص المولى تبارك وتعالى لهم بكرامة تضعيف الثواب لهم بالعمل والزمان والمكان والحال ، فلم ينل غيرهم من الجنة إلاَّ اليسير ، فكأنها إنما خلقت لهم ومن أجلهم .

(**حَمْداً**) ؛ أي : حمدت حمداً (**يُوَافِي نِعَمَهُ**) أي : يقابلها ويوجَد معها بحيث يكون بقدرها ؛ فلا تقع نعمة إلاَّ مقابلة بهذا الحمد ، بحيث يكون الحمد بإزاء جميع النعم ، وهذا على سبيل المبالغة بحسب ما ترجَّاه ، وإلاَّ ! فكل نعمة تحتاج لحمد مستقلٍّ .

والنِّعم جمع نعمة ؛ وهي : ملائم تحمد عاقبته . ومِن ثَمَّ قيل : لا نعمة لله على كافر ، وإنما ملاذُّه استدراجٌ .

(**وَيُكَافِئُ**) ـ بهمزٍ في آخره ـ (**مَزِيْدَهُ**) المزيد : مصدر ميمي ؛ من (زاده الله النعم) أي : حمداً يساوي ويطابق نعمَه التي أنعم بها علينا ، المزيدة على نعم سائر الأمم الماضية ؛ كفضل يوم الجمعة ، وصيرورة وجه الأرض مسجداً ، والتراب طهوراً ـ مثلاً ـ ، مطابقة النعل بالنعل ؛ لا ينقص عنها بأدنى نقصان .

قال أصحابنا ؛ كالقاضي حسين والمتولي وإمام الحرمين والغزالي : لو حلف إنسان (ليحمدنَّ الله تعالى بمجامع الحمد) ، ومنهم مَن قال : بـ« أجلِّ التحاميد » ؛ فطريقُه في بَرِّ يمينه أن يقول « الحمدُ لله حمداً يوافي نعمَه ويكافئُ مزيده » . قال في « الروضة » : وليس لهذه المسألة دليلٌ معتمد ، أي : من الأحاديث ، وإلاَّ ! فدليله من حيث المعنى ظاهرٌ ؛ نَقَلَه ابن حجر في « الإمداد » .

وَيُضَاهِي كَرَمَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ ٱللهُ . . . .

وفي « التحفة » : ولو قيلَ يَبَرُّ بـ : « يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك » ؛ لكان أقرب ، بل ينبغي أن يتعيَّن ؛ لأنَّه أبلغُ معنىً ، وصحَّ به الخبر . انتهى .

قال النووي في « الأذكار » : قال أصحابنا : ولو حلف إنسان « لَيُثْنِيَنَّ على الله تعالى أحسنَ الثناء » ؛ فطريق البِرِّ أن يقول : لا أحصي ثناءً عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك .

وزاد بعضهم في آخره : فلك الحمد حتَّى ترضى . وصوَّر أبو سعيد المتولِّي المسألة ؛ فيمن حلف « لَيُثْنِيَنَّ على الله تعالى بأجلِّ الثناء وأَعظمه » ، وزاد في أول الذكر : سبحانك . انتهى .

(**وَيُضَاهِي**) أي : يشابه في الكثرة (**كَرَمَهُ**) الواسع .

(**وَأَشْهَدُ**) ؛ أي : أعترف بلساني مع الإذعان بالقلب الذي هو حديث النفس التابعُ للمعرفة . ولا يكفي الاعتراف باللسان فقط ـ كما كان يفعله المنافقون ـ ولا المعرفةُ من غير إذعان ، لأن بعض الكفَّار يعرفون الحقَّ لكنَّهم غيرُ مؤمنين ؛ لعدم الإذعان . (**أَنْ**) ؛ أي : أنَّه ؛ أي : الحال والشأن (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللهُ**) ، فـ« أنْ » مخفَّفةٌ من الثقيلة ، واسمها ضميرُ الشأن ، و« لا » نافيةٌ للجنس ، و« إله » اسمُها مبنيٌّ معها على الفتح في محلِّ نصب ، و« إلاَّ » أَداةُ حَصْرٍ ، ولفظ الجلالة [اللهُ] ـ بالرفع ـ بدلٌ من الضمير المستتر في الخبر ، أو [اللهَ] ـ بالنصب ـ على الاستثناء ؛ لا على البدلية من محل اسم « لا » ، لأنَّها لا تعمل إلاَّ في النكِرات ، واسم « الله » معرفة . وهل يقدَّر الخبر من مادة الوجود ، أو من مادَّة الإمكان !؟ اختار بعضهم الأوَّل ؛ لأنه لو قدِّرَ من مادة الإمكان لم يُفِدْ وجودَ الله تعالى ، والراجحُ الثاني ، لأنه لو قُدِّر من مادة الوجود لم يفد نفيَ إمكان غيره تعالى من الإلـٰهية ؛ مع أنَّ المقصود من الكلمة المشرفة .

وأمَّا وجودُه تعالىٰ !! فمتَّفقٌ عليه بين أرباب المِلل كلِّها ، فلا ضرر في عدم إفادته علىٰ هذا التقدير . والمعنىٰ عليه : لا إلٰهَ ممكنٌ إلاَّ الله ، فإنَّه ممكن ؛ أي : غير ممتنع . فيصدُق بالواجب والجائز . والواقع أنَّه واجب . والحقُّ أنَّ المنفيَّ ـ في الكلمة المشرَّفة ـ المعبودُ بحقٍّ غيرُ الله تعالىٰ ؛ باعتبار الواقع ، كما انحطَّ عليه كلام الشيخ الأمير . والمعنىٰ : لا معبود بحقٍّ في الواقع إلاَّ اللهُ . هكذا قرَّره الباجوري رحمه الله تعالىٰ .

(**ٱلْمَلِكُ**) ـ بكسر اللام ؛ ـ من المُلك ـ بضم الميم ـ أي : المتصرِّف بالأمر والنهي ؛ سواء كان له أعيانٌ مملوكة ؛ أم لا . وأما « مالك » ـ بالألف ـ ! فهو من المِلك ـ بكسر الميم ـ أي : المتصرِّفُ في الأعيان المملوكة ، سواء كان متصرِّفاً أيضاً بالأمر والنهي ، أم لا . فبينهما العمومُ والخصوص الوجهي علىٰ هذا . والله تعالىٰ متصرِّف بالأمر والنهي ، ومتصرِّفٌ في الأعيان المملوكة له ، فهو مَلِكٌ مالكٌ . ولذلك قُرِىءَ بهما في قوله تعالىٰ ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة] .

والتفرقة بين المُلك ـ بضم الميم ـ والمِلك ـ بكسرها ـ عُرْفٌ طارىءٌ ، وإلاَّ فهما لغتان في مصدر « مَلَك » كما قاله البيضاوي في « تفسيره » ؛ نقله الباجوري رحمه الله تعالىٰ . (**ٱلْحَقُّ**) أي : الثابت ، من : حقَّ الشيءُ : ثَبَت ، فهو تعالىٰ ثابت أزلاً وأبداً ، فلم يسبقه عدم ؛ ولا يلحقه عدم ، بخلاف ما عداه ! فإنَّه مسبوق بعدم وملحوقٌ به ؛ ولو بالقابلية كالجنة والنار . وهو المراد بالبطلان في قوله :

أَلاَ كُـلُّ شَـيْءٍ مَـا خَـلاَ اللهَ بَـاطِـلُ . . . .

(**ٱلْمُبِيْنُ**) أصله مُبْين ـ بسكون الباء وكسر الياء : نقلت حركة الياء إلىٰ الساكن قبلها ـ ومعناه : المُظهِر للحقِّ فيُتَّبع ، وللباطل فيُجتنَب ، أو المظهر للأمور العجيبة الدالَّة علىٰ ملكه وَحَقِّيَّتِهِ ، وهذا كلُّه إن أُخذ من « أبان » بمعنىٰ : أظهر . فإن أخذ من « أبان » بمعنىٰ : بان ، أي : ظهر !! كان معناه البيِّن الظاهر الذي لا خفاء فيه .

(**وَأَشْهَدُ**) إنما كرَّر لفظ الشهادة مع الاستغناء عنه بـ« أشهد » الأول !! لمزيد

الاعتناء بالشهادة المتعلِّقة بنبينا ﷺ (أَنَّ سَيِّدَنَا) ؛ أي : [سيد] جميع المخلوقات إنساً وجناً وملائكة وغيرهم . والسيد : يطلق على الحليم الذي لا يستفزُّه غضب ، وعلىٰ مَن كثر سواده ، أي : جيشه ، وعلىٰ غير ذلك .

(مُحَمَّداً) بدل من « سيدنا » ، وهذا الاسم أشرفُ أسمائه ﷺ وأشهرُها بين العالمين ، ولذا خُصَّت به الكلمة المشرَّفة (عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) خبَران لـ« أَنَّ » . وإنَّما قدَّم الوصف بالعبودية علىٰ الوصفِ بالرسالة !! امتثالاً لقوله ﷺ : « وَلْكِنْ قُولُوا عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ » . ومعنىٰ العبودية : التذلُّل والخضوع . وهي وصف شريف جليل ، ولذلك وُصِفَ بها في أسنىٰ المقامات ؛ كمقام الإسراء ، ومقام إنزال الكتاب ، وغير ذلك . ومما يُعزىٰ للقاضي عياض رحمه الله تعالىٰ .

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفاً وَتِيهاً ... وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ ٱلثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ صَيَّرتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيَّا

ومن خصائصه ﷺ : أنَّ الله تعالىٰ خاطبه بالنبوة والرسالة في القرآن ؛ دون سائر أنبيائه . والنبي : رجل اختصَّه اللهُ بسماع وحيه بمَلَك ، أو دونه . وقيل : هو رجل أُوحي إليه بالعمل بشرع معيَّن . وقال القرافي : إنَّ النبوَّة ليست هي مجرَّدَ الوحي كما يعتقده كثيرٌ ، لحصوله لمن ليس بنبي كـ (مريم) ؛ وليست بنَبِيَّة علىٰ الصحيح . بل النبوةُ عند المحققين إيحاءُ الله تعالىٰ الرجلَ بحكم إنشائي . انتهىٰ .

ثم اختلف فيما يفترقُ به النبيُّ والرسول ، وما يزيد الرسول علىٰ النبي !! فقيل : إن الرسول هو النبيُّ المأمور بتبليغ ما أُوحي إليه . فهو أخصُّ من مطلق النبيِّ ، لزيادته عليه بالأمر بالتبليغ . وقيل : إن حكم التبليغ والإرسال يعمُّهما ، وإنَّما يفترقان في أمر آخر من كون الرسول يأتي بشرع جديد ؛ أو نسخ لبعض شرع مَن قبله ، أَوْ لَهُ كتاب مخصوص ، والنبيُّ إنما يأتي مؤكِّداً لشرع غيره ؛ كيوشع بن نون ، فإنه بُعث مؤكِّداً لشريعة موسىٰ عليهما الصلاة والسلام .

ثم النبي والرسول إذا أُطلقا في القرآن والسنة ؛ فإنما المرادُ بهما نبينا

سَيِّدُ ٱلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

ٱللَّهُمَّ ؛ . . . .

محمد ﷺ ، وهو الرسول المطلَق لكافَّة الخلق من الأولين والآخِرين . فرسالته عامَّة ، ودعوتُه تامَّة ، ورحمتُه شاملة ، وإمداداته في الخلق عامّةٌ ، وكلُّ مَن تقدَّم من الأنبياءِ والرسل قبلَه ؛ فعلىٰ حَسَب النيابة عنه ، فهو الرسول علىٰ الإطلاق .

(سَيِّدُ ٱلخَلْقِ) قد ورد إطلاق « السيِّد » عليه ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ صحيحة ؛ كما في حديث الترمذي : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ » . . . الحديث ، وفي حديث الشفاعةِ : « اِنْطَلِقُوا إِلَىٰ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ » . . وفي حديث « الصحيحين » : « أَنَا سَيِّدُ ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلقيَامَةِ » .

وسيادتُه ﷺ أعلىٰ وأظهر وأوضح من أن يُستدلَّ عليها ، فهو سيِّد العالَم بأسره من غير تقييد ؛ ولا تخصيص ، وفي الدنيا والآخرة .

وإنما قال في الحديث : « أَنَا سَيِّدُ ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ » ! ! لظهور انفراده بالسؤدد والشفاعة فيه من غيره حين يلجأ إليه الناس في ذلك ؛ فلا يجدون سواه ، وجميع الخلائق مجتمعونَ ؛ أوَّلهم وآخِرُهم ، وإنسُهم وجِنُّهم وفيهم الأنبياء والمرسلون ، وتلك الدار دار الدوام والبقاء ؛ فهي المعتبرة .

وقد كان ﷺ معلوماً بالسيادة نسباً وطبعاً ، وخُلُقاً وأدباً ، إلىٰ غير ذلك من المكارم قبل ظهوره بالنبوة ، يَعرِف ذلك مَن اعتنىٰ بالسِّيَرِ ؛ وتعرَّف أحواله من الصغر إلىٰ الكبر ، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه .

(أَجْمَعِيْنَ) توكيدٌ لاستغراق أفراد المنحصر في المضاف إليه .

(ٱللَّهُمَّ) هو توجُّه للمطلوب ، وطلب لحصول المرغوب ؛ بالتوسُّل بالاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ؛ وإذا سُئل به أَعطىٰ . ولُفِظ به بصيغةٍ حُذِف فيها « ياء » النداء المتضمِّنة لوجود البينونة النفسانية ، إذ حذفُها يقتضي زوالَ ذلك .

وتعويض الميم من حرف النداء في لفظ الجلالة ! يقتضي قوَّة الهمَّة في الطلب

صَلِّ أَفْضَلَ صَلاَةٍ وَأَكْمَلَهَا ، وَأَدْوَمَهَا ، وَأَشمَلَهَا ، عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ . . . .

والجزم . وإنّما جُعل هذا الاسم العظيم في أوائل الأدعية غالباً !! لأنه جامعٌ لجميع معاني الأسماء الكريمة ؛ وهو أصلها .

(صَلِّ) ، الصَّلاةُ من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم . ولفظها مختصٌّ بالمعصوم ؛ من نَبِيٍّ ومَلَك ؛ تعظيماً لهم ، وتمييزاً لمراتبهم عن غيرهم .

(أَفْضَلَ صَلاَةٍ وَأَكْمَلَهَا) ـ أي : أَتمَّها ـ (وَأَدْوَمَهَا وَأَشْمَلَهَا) ـ أعمّها ـ (عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ) الصحيح : جواز الإتيان بلفظ « السيد » و« المولىٰ » ونحوهما مما يقتضي التشريفَ والتوقير والتعظيم في الصلاة علىٰ سيِّدنا محمَّد ﷺ ، وإيثار ذلك علىٰ تركه ، ويقال في الصلاة وغيرها . وقال صاحب « مفتاح الفلاح » : وإياك أن تترك لفظ السيادة ؛ ففيه سرٌّ يظهر لمن لازم هذه العبادة .

(عَبْدِكَ) سمَّاه الله تعالىٰ عبداً وشرَّفه بهذا الاسم ، وذلك غاية التفضيل والتكريم حيث أجلَّ قدره ، وعظَّم أمره ؛ فقال ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء/١] . والعبدُ : اسم مضاف لاسم الرب والسيِّد والمالك ، فإن العبد مَن له ربٌّ ، فمن عَرف نفسه بالعبودية عَرف ربَّه بالربوبية . فشهود العبودية مستلزِمٌ لشهود الربوبية . ومَن لا يغفل عن العبودية بالكلية هو العبد علماً وحالاً وتحقُّقاً ووجوداً ، وعدم الغفلة عن العبودية كمالُ الإنسان ، وذلك موقوف علىٰ العبودية . فالعبودية كمالٌ ، وهو عين الكمال الإنساني . ولما كان لسيدنا محمد ﷺ كمالُ الرسالة وجب أن يكون له كمال العبودية . فكان ﷺ أكملَ الكُمَّلِ علىٰ الإطلاق ، وعبوديته أكملُ كلِّ كمال . ولما كانت العبودية عينَ الكمال ؛ وكان له ﷺ كمالُ العبودية ؛ أثنىٰ الله عليه باسم العبد وسمَّاه به في أشرف مقاماته ، فقال تعالىٰ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء/١] ، وقال ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم] ، وقال ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف/١] ، وكان ﷺ يقول ـ كما في البخاري ـ : « لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ، وَلَٰكِنْ قُولُوا عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ » فاستثبت

ٱلَّذِي خَصَّصْتَهُ بِٱلسِّيَادَةِ ٱلْعَامَّةِ ، فَهُوَ سَيِّدُ ٱلْعَالَمِينَ عَلَىٰ ٱلإِطْلَاقِ ، وَرَسُولِكَ ٱلَّذِي بَعَثْتَهُ بِأَحْسَنِ ٱلشَّمَائِلِ وَأَوْضَحِ ٱلدَّلَائِلِ ؛ . . . .

ما هو ثابت له ، وأسلمَ لله بما هو له لا سواه . وليس للعبد إلاَّ اسم العبد ، ولذا كان « عبد الله » أحبَّ الأسماء إلىٰ الله تعالىٰ ، كما ورد عنه ﷺ . ولما خُيِّر ﷺ بين أن يكون نبياً مَلِكاً ، أو نبياً عبداً ؛ اختار أن يكون نبياً عبداً . فاختار ما هو الأتمُّ والأحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ وما يضاف إليه ، لأن النبي والعبدَ تصحُّ إضافتهما ، إذ يقال « نبيُّ الله » و« عبدُ الله » ؛ بخلاف الملك ؛ إذ لا يحسن أن يقال : « ملك الله » !! لما يوهم من عكس النسبة ؛ قاله الفاسي .

(**ٱلَّذِي خَصَّصْتَهُ بِٱلسِّيَادَةِ ٱلعَامَّةِ**) علىٰ جميع المخلوقات ـ أي : جعلتها مقصورةً عليه ؛ أي : أعطيته هذه المرتبة دون غيره ـ ، (**فَهُوَ سَيِّدُ ٱلعَالَمِيْنَ**) : جميع الخلق ؛ الإنس والجنِّ والملائكة وغيرهم في الدنيا والآخرة (**عَلَىٰ ٱلإِطْلَاقِ**) من غير تقييد ؛ ولا تخصيص ، (**وَرَسُولِكَ**) المختصِّ منك بالرِّسالة الجامعة الكاملة المحيطة السارية في تضاعيف الوجود بالإمداد من عين الجود ؛ المستولية علىٰ أطوار العوالِم وحركات أدوارها ، وإدراج جزئيَّاتِها في أسوار كلِّيَّاتها علىٰ الإحاطة والشمول ؛ بحكم ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ [٧٩/ النساء] ، ـ أي : مطلقاً لم تتقيَّد بقيد ـ ولم تختصَّ رسالته بمخصِّصٍ ، فهو رسولٌ للكافَّة بالكافَّة من الإمداد بمنافعهم ؛ من وجود ونموٍّ ورزق وهداية ، ودَلالة علىٰ طرق رَشَادهم ، وما هو الأصلحُ بهم في معاشهم ومعادِهم ، وما يلتحق بذلك من الرحمة المرسَل بها بمقتضىٰ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] (**ٱلَّذِي بَعَثْتَهُ بِأَحْسَنِ ٱلشَّمَائِلِ**) : كريم الأخلاق ، وجميل الأفعال ، واستقامة الطريق .

والشمائل : جمع شِمال ـ بالكسر ـ وهي الأخلاق والصفات المحمودة .

(**وَ**) بعثته بـ(**أَوْضَحِ**) ـ أي : أبيَن ـ (**ٱلدَّلَائِلِ**) ؛ أي : الحجج البالغة القاطعة ، والبراهين الواضحة الساطعة ؛ الدالَّة علىٰ صدقه وصحَّة نبوَّته ورسالته دلالةً واضحة ، كانشقاق القمر ، وتسليم الحجر والشجر ، وحنين الجذع ، ونبع

لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلَاقِ .

صَلاَةً تُنَاسِبُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْقُرْبِ ٱلَّذِي مَا فَازَ بِهِ أَحَدٌ ، وَتُشَاكِلُ مَا لَدَيْكُمَا مِنَ ٱلْحُبِّ ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ بِهِ فِي ٱلأَزَلِ وَٱلأَبَدِ .

الماء من بين أصابعه ، وتسبيح الحصىٰ في كَفِّه ، ومجيءِ الشجر لدعوته ، وكذا شهادة الكتب المنزَّلة ، واتصافه بأنواع الكمالات ، وما اشتمل عليه من محاسن الصفات :

لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ فِيْـهِ آيَـاتٌ مبَيِّنَـةٌ   لَكَـانَ مَنْظَـرُهُ يُنْبِيْـكَ بِـٱلْخَبَـرِ

(**لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلَاقِ**) قال الباجي : كانت العرب أحسنَ الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم ، وكانوا ضلُّوا بالكفر عن كثير منها ؛ فبُعِث ﷺ ليتمِّم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلُّوا عنه ، وبما قُضِيَ به في شرعه . انتهىٰ .

وهذا مقتبَسٌ من حديث : « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلاقِ » . رواه الإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي ؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الحاكم : صحيحٌ علىٰ شرط مسلم ، ورواه الإمام مالك في « الموطَّأ » بلاغاً ؛ بلفظ « إِنَّمَا بُعِثْتُ . . . الخ » .

(**صَلاَةً تُنَاسِبُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْقُرْبِ**) المعنويِّ الذي هو قرب المكانةِ الرفيعة لاَ قُرْبُ المكان (**ٱلَّذِي مَا فَازَ**) ـ أي : ظفر ـ (**بِهِ أَحَدٌ**) من الخلق ، (**وَ**) صلاة (**تُشَاكِلُ**) ـ أي : تشابِهُ ـ (**مَا لَدَيْكُمَا مِنَ الحُبِّ**) : اسمٌ من المحبّة ، ومحبّة الله للعبد : إرادةُ تقريبِه وإكرامه ، ومحبّة العبد لله : معنىً يجعله الله في قلبه ، وهو تعلُّق الهيبة والأنس ، يعرف بآثاره ويظهر بأنواره ، وهو الذي يقطع الوساوس ، ويلذُّ بالخدمة ، ويُسلِّي عن المصائب ، ويبعث علىٰ إيثار الحق علىٰ كلِّ شيءٍ ، ولا يزال مجموعاً علىٰ ربِّه بكلّيّته ؛ فبدنه للخدمة ، وقلبه للذكر ، وروحه للمحبّة ، وسرُّه للمشاهدة ، وهو مقام الحبيب (**ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ بِهِ**) ، ويُعطي كلَّ مَنْ أُهِّل له علىٰ مقدار ما قُسم له منه ؛ نبيّاً كان أو وليّاً . وقوله (**فِي الأَزَلِ وَالأَبَدِ**) الأزل : استمرار

صَلاَةً لاَ يَعُدُّهَا وَلاَ يَحُدُّهَا قَلَمٌ وَلاَ لِسَانٌ ، وَلاَ يَصِفُهَا وَلاَ يَعْرِفُهَا مَلَكٌ وَلاَ إِنْسَانٌ . صَلاَةً تَسُودُ كَافَّةَ ٱلصَّلَوَاتِ كَسِيَادَتِهِ عَلَىٰ كَافَّةِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ . صَلاَةً يَشْمَلُنِي نُورُهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِي فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِي ، وَيُلاَزِمُ ذَرَّاتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي . وَعَلَىٰ آلِهِ .....

الوجود في أزمنةٍ مقدَّرة غيرِ متناهية في جانب الماضي ، والأبد : استمرار الوجود في أزمنة مقدَّرة غيرِ متناهيَة في جانب المستقبل .

(**صَلاَةً لاَ يَعُدُّهَا**) ـ أي : لا يحصيها ـ (**وَلاَ يَحُدُّهَا**) المراد حدُّ العدد ومنتهاه : أي لا ينهيها (**قَلَمٌ**) بالكتابة ، (**وَلاَ لِسَانٌ**) بالكلام ، (**وَلاَ يَصِفُهَا**) ـ أي : ينعتُها ـ (**وَلاَ يَعْرِفُهَا مَلَكٌ وَلاَ إِنْسَانٌ**) لِعُظْمِها وكثرتها ، فلا يحاط بها ولا يُدرىٰ حقيقتُها .

(**صَلاَةً تَسُودُ**) ؛ أي : تشرُفُ وتفضُل (**كافَّةَ**) ـ أي : جميع ـ (**ٱلصَّلَوَاتِ**) التي صلَّىٰ بها الناس عليه ﷺ ؛ أي : تصيرُ أفضلَ عند التفاضل (**كَسِيَادَتِهِ**) الجامعة لجوامع السؤدد ؛ أي : مثل سيادته ؛ أو فضله (**عَلَىٰ كَافَّةِ ٱلمَخْلُوقَاتِ**) ؛ فيكون فضلُ صلاة المصنِّف علىٰ صلاة الناس مطابقةً لفضله ﷺ علىٰ الناس ، وبينهما بونٌ بعيد ، لأنَّه أفضلُ الخلق علىٰ الإطلاق ، فتكون الصلاةُ المطلوبة أفضلَ الصلوات علىٰ الإطلاق .

(**صَلاَةً يَشْمَلُنِي**) ـ أي : يعمُّني ـ (**نُورُهَا مِنْ جَمِيْعِ جِهَاتِي**) الستِّ : يمين ، وشمال ، وأمام ، وخلف ، وفوق ، وتحت (**فِي جَمِيْعِ**) أجزاء (**أَوْقَاتِي**) الليليَّة والنهاريَّة ، (**وَيُلاَزِمُ جَمِيْعَ ذَرَّاتِي**) : ـ أجزائي ـ (**فِي**) حال (**حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي**) ، والقصدُ من ذلك إحاطة النور به ، وتعميم جوارحه ، وعدم مفارقته لذلك النور ؛ ولو بعد موته ، وذلك ببركة الصلاة والسلام علىٰ سيِّد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام (**وَعَلَىٰ آلِهِ**) ، فصَل بينه وبين آله بـ« عَلَىٰ » !! ردّاً علىٰ الشيعة ، فإنَّهم يمنعون ذلك ، وينقلُون فيه حديثاً موضوعاً لفظه : « مَنْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ آلِي بـ« عَلَىٰ » لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتِي » .

والصحيح جواز إضافة « آل » إلى الضمير . وآلُ نبيِّنا عند الشافعي : مؤمنو بني هاشم والمطلب، وهذا بالنسبة للزكاة ؛ دون مقام الدعاء . ومن ثَمَّ اختار الأزهريُّ وغيرُه من المحققين أنَّهم هنا « كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ » لحديثٍ فيه .

(**ٱلأَطْهَارِ**) جمع : طَهِير وطَهِر ؛ كما في « القاموس » أي : المطهَّرين في عناصرهم ، وهو مقتبَس من قوله تعالىٰ ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ ﴾ [الأحزاب] ، وفي وصف « الآل » بالأطهار تصريحٌ بأنهم مستحِقُّون للصلاة عليهم تَبَعاً له ﷺ كما عَلِمْناهُ في حديث : كَيْفَ نُصَلِّي عليك !! قال : « قُولُوا اَللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ » ولم يقل : « آل محمد الأتقياء » أو السالمين من المعاصي والتبعات . . . أو نحو ذلك ، فدلَّ علىٰ أن ذلك حقٌّ لهم كيفما كانوا . ولله درُّ الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالىٰ آمين ـ حيث يقول :

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ ٱللهِ حُبُّكُمُ فَرْضٌ مِنَ ٱللهِ فِي ٱلقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ ٱلقَدْرِ أَنَّكُمُ مَن لَّمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لاَ صَلاَةَ لَهُ

فظهر بهذا أن تارك الصلاة علىٰ الآل تاركٌ لفضيلة عظيمة وسُنَّة جسيمة .

(**وَأَصْحَابِهِ**) اسمُ جمع لـ« صاحب » ، بمعنىٰ الصحابي ؛ وهو : من اجتمع مؤمناً بالنبي ﷺ بعد نبوته في حال حياته ومات علىٰ ذلك ؛ ولو أعمىٰ ، أو غير مميز ، أو مَلَكاً ، أو جنيّاً ـ علىٰ الأصح ـ كما شملته « مَنْ » .

وهم أفضل من آلٍ لا صحبةَ لهم . وإنما قَدَّم الآل ؛ لأنَّ الصلاة وردت عليهم بالنصِّ ، وأما الصلاة علىٰ الصحب ؛ فبالقياس .

(**ٱلأَخْيَارِ**) فيه إشارة إلىٰ أنَّ الصحابةَ كلَّهم عدولٌ ، وأنَّ طعن

وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ :

الطاعن في بعضهم غيرُ مرضيٍّ ولا مقبول . وبين الآل والصَّحبِ عمومٌ وخصوص من وجه ؛ لاجتماعِ الآل والصحب فيمن كان من أقاربه واجتمع به ؛ كسيدنا علي بن أبي طالب ، وانفرادِ الآل فيمن كان من أقاربه ولم يجتمع به ؛ كأشراف زماننا هذا ، وانفرادِ الصحب فيمن اجتمع به ولم يكن من أقاربه ؛ كأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . (**وَسَلِّمْ تَسْلِيْماً كَثِيْراً**) السلام : هو تسليمهُ من كلِّ آفة ونقص .

(**أَمَّا بَعْدُ**) كلمةٌ يؤتَىٰ بها للانتقال من أسلوب إلى آخر . وأتى بها !! تأسِّياً به ﷺ ، فإنَّه كان يأتي بها في خُطَبِهِ ونحوها كما صحَّ عنه ، بل رواها عنه اثنان وثلاثون صحابياً ؛ كما قاله ابن علاَّن . وقال الزرقاني : روى ذلك أربعون صحابياً ؛ كما أفاده الرهاوي في « أربعينه » المتباينة الأسانيد . انتهى .

وأوَّل مَن قالها داود عليه السلام ـ كما قيل ـ فهي « فصل الخِطَاب » الذي أُوْتِيَهُ . لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد ، والخطب والمواعظ . قال العلقمي في « حاشية الجامع الصغير » : وبهذا قال كثير من المفسرين .

وقيل : أول من قالها قُسُّ بن ساعدة الإيادي ، وقيل : كعب بن لؤي ، وقيل : يعرب بن قحطان ، وقيل : « سحبانُ وائلٍ » بالإضافة الذي كان في الجاهلية ، لا سحبانُ بنُ وائل الذي كان في زمان معاوية ، خلافاً لمن وَهِم فيه . نبَّه عليه البلغيثي عن التلمساني في « حاشية الشفا » . قال : ولا يدلُّ قول سحبان بن وائل :

« لَقَدْ عَلِمَ ٱلحَيُّ ٱليَمَانُونَ أَنَّني إِذَا قُلْتُ : « أَمَّا بَعْدُ » أَنِّي خَطِيْبُهَا »

على أنَّه أوَّل مَن قالها . انتهى .

وعلى هذه الأقوال فـ« فصل الخطاب » الذي أُوتيه داود عليه الصلاة والسلام هو : « ٱلْبَيِّنَةُ عَلَىٰ ٱلْمُدَّعِي ، وٱليَمِيْنُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ » .

فَقَدْ خَطَرَ لِي أَنْ أَجْمَعَ كِتَاباً أَجْعَلُهُ وَسِيلَةً لِبُلُوغِي مِنْ رِضَا ٱللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ٱلْمَرَامَ ، وَذَرِيعَةً لِلانْتِظَامِ فِي سِلْكِ خُدَّامِهِ ....

وقال المحققون : فصل الخطاب الفصلُ بين الحق والباطل .

وهي ظرفٌ مبنيٌّ على الضَّم ؛ كغيره من الظروف المقطوعة عن الإضافة .

ويجوز ضمُّ الدَّال مع التنوين ، كما يجوز نصبُه منَّوناً ؛ وغيرَ منوَّن .

ووجوه ذلك مفصَّلة في كتب النحو ؛ كـ« شرح القطر » وغيره .

وهي ظرفُ زمان كثيراً ؛ كـ« جاء زيد بعد عمرو » ، وَظرف مكان قليلاً ؛ كـ« دارُ زيد بعد دار عمرو » . وهي هنا صالحة للزمان باعتبار اللفظ ، وللمكان باعتبار الرَّقْم . ولكون « أمّا » نابَتْ منابَ اسم الشرط الذي هو « مهما » ؛ أجيبت بالفاء ، إِذِ التقدير : مهما يكن من شيءٍ بعد ما تقدَّم من الحمد والشهادتين والصلاة والسلام على النبي ﷺ ؛ (**فَقَدْ خَطَرَ لِي**) . الخاطر : ما يخطُر في القلب من تدبير أمر ، فيقال : خَطَر ببالي ، وعلىٰ بالي ، خَطْراً ، وخطوراً من بابَيْ « ضرب ، وقعد » ؛ (**أَنْ أَجْمَعَ**) ؛ أي : أؤلِّف (**كِتَاباً**) ـ أي ـ مكتوباً ، وتنوينه للتعظيم . وهو ـ في الأصل ـ مصدرٌ سُمِّي به المكتوب على التوسُّع ، ثم غلب في العرف على جمع من الكلمات المستقلة بالتعيين المفردة بالتدوين (**أَجْعَلُهُ وَسِيْلَةً**) ـ أي : سبباً ـ (**لِبُلُوغِي**) : وصولي (**مِنْ رِضَا ٱللهِ تَعَالَىٰ**) . هو كنايةٌ عن فعله به ما يفعل الراضي عمن يرضى عنه . وهو إيصال الخير إليه ، لأن البلوغَ الوصولُ والانتهاءُ إلى غاية مقصودة ، لكن مع اعتبار ضرب من التمكُّن والقوّة ، لأنَّ المادَّة بتقاليبها دائرةٌ على هذا المعنى ، والغايةُ المقصودةُ هنا رضا الله تعالىٰ ، (**وَ**) رضا (**رَسُوْلِهِ**) ﷺ ، وذلك غايةُ المطالب والمقاصد . وقوله (**ٱلْمَرَامَ**) أي : المطلوب مفعول « بلوغي » ، كقوله تعالىٰ ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ [مريم] (**وَذَرِيْعَةً**) أي : وسيلة (**لِلانْتِظَامِ**) أي : الاندراج (**فِي سِلْكِ**) ـ بكسر السين ـ أصلُ معناه : الخيط ، ومقصودُه بذلك التقرُّب إليه ﷺ حتى يكون معدوداً من جملة (**خُدَّامِهِ**) ـ بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ـ: جمع خادم مثل كاتب وكُتَّاب ،

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ قِلَّةِ عِلْمِي ، . . . .

والمرادُ كونُه من المشتغلين بخدمة الجناب النبوي لينخرط في سلك المحبوبين عند رسول الله ﷺ ويُدلي بدَلْوه معهم في بحر فضله الذي لا يخيب قاصدُه ، ولا يظمأُ واردُه ، مستمطِراً سحائب إحسانه ، مستنزِلاً غزيرَ بِرِّه وآمتنانه ، لأنَّ أدنىٰ انتساب إليه ﷺ يحصل غاية النفع والشرف ، إذ لم يخلقِ الله خلقاً أكرمَ عليه منه ﷺ ، ولم يخلق جاهاً أعظم من جاهه ؛ فيحصل لخادمه من الجاه بحسب مالَهُ ﷺ من العزِّ والشرف .

قال سيِّدي عبد الوهَّاب الشعراني : ما في الوجود مَن جعل الله له الحَلَّ والربط ، دنيا وأخرى ؛ مثل النبي ﷺ ، فمن خدمه على الصدق والمحبَّة والوفاء ، دانت له رقاب الجبابرة ، وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقرّباً عند ملوك الدنيا . ومَن خدم السيِّد خدمته العبيد . وكما أن غلامَ الوالي لا يُتعرَّض له إذا سَكِر مثلاً ؛ إكراماً للوالي ، فكذلك خُدَّام النبي ﷺ لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة ؛ إكراماً لرسول الله ﷺ . فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرةُ الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله ﷺ الاستنادَ الخاصَّ . ولله درُّ مَن قال :

وَإِذَا مَـا ٱلْجَنَـابُ كَـانَ عَظِيْمَـا مُـدَّ مِنْـهُ لِخَـادِمِيـهِ لِـوَاءُ
وَإِذا عُظِّمَـتْ سِيَـادَةُ مَتْبُـو عٍ أَجَـلَّ أَتبـاعَـهُ ٱلْكُبَـرَاءُ

وقد كان المصنِّف رحمه الله تعالى ممَّن له القِدْحُ المُعَلَّى في خدمة الجناب النبوي ؛ بالتأليف والمديح والصلوات ونشر علوم السنة النبوية ، نظَمَنا الله تعالى في سلك أحبابه المنعلِّقين بجنابه (عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ) بمَنِّه وكرمه . آمين .

(**ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ قِلَّةِ عِلْمِي**) . في « القاموس » : نظرَهُ ونظر إليه ؛ نَظَراً ، ومنظراً : تأمَّله بعينه . قال الشارح : هكذا فسَّره الجوهري . وفي « البصائر » : والنظر أيضاً تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته . وقد يراد به التأمُّل والفحص ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلة بعد الفحص . وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس/١٠١] ـ أي : تأمَّلوا ـ .

وَضَعْفِ فَهْمِي ، وَكَثْرَةِ ذُنُوبِي ، وَوَفْرَةِ عُيُوبِي . . فَأَحْجَمْتُ إِحْجَامَ مَنْ عَرَفَ حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ تَخَطَّرْتُ سَعَةَ ٱلْكَرَمِ ، وَكَوْنِي مِنْ أُمَّةِ هَـٰذَا ٱلنَّبِيِّ ٱلْكَرِيمِ . . فَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ ٱلطِّفْلِ عَلَىٰ ٱلأَبِ ٱلشَّفِيقِ ٱلْحَلِيمِ ، . . . .

واستعمالُ النظر في البصر أكثرُ استعمالاً عند العامَّة ، وفي البصيرة أكثر استعمالاً عند الخاصَّة . ويقال : نظرت إلى كذا ؛ إذا مددتَ طرفَك إليه ، رأيته ؛ أو لم تره ، ونظرتَ إليه إذا رأيته وتدبَّرته ، ونظرتَ في كذا : تأمّلته . ثم قال : وإذا قلتَ « نظرت إليه » لم يكن إلاَّ بالعين ، وإذا قلتَ « نظرتَ في الأمر » ؛ احتمل أن يكون تفكُّراً وتدبراً بالقلب . انتهى .

(**وَضَعْفِ فَهْمِي**) هذا منه تواضعٌ رحمه الله تعالىٰ ، (**وَكَثْرَةِ ذُنُوبِي**) ؛ جمع ذَنْب ، وهو الإثم والمعصية . وقد أذنَبَ الرجل صار ذا ذنْب . وقد قالوا : إن هذا من الأفعال التي لم يُسمع لها مصدر على فعلها ، لأنه لم يُسمع إذناب كـ« إكرام » ، (**وَوَفْرَةِ**) ، أي : كثرة (**عُيُوبِي**) ؛ جمع عيب : وهو الوصمة (**فَأَحْجَمْتُ**) عمَّا أردتُ من تأليف الكتاب المذكور ، أي : كففتُ عنه . يقال « حجمتُه عن الشيء » ؛ أي كففتُه عنه ، وأحجم هو عنه أي : كفَّ . وهو من النوادر مثل : كببته فأكبَّ ؛ قاله الجوهري (**إِحْجَامَ**) ، أي : إحجاماً مثل إحجام (**مَنْ عَرَفَ حَدَّهُ**) ـ أي : عرف نفسَه بالقصور ـ (**فَوَقَفَ عِنْدَهُ**) أي : عند حدِّه ، حيث كان قاصراً عن بلوغ هذه الرتبة .

(**ثُمَّ تَخَطَّرْتُ**) أي : تذكَّرت (**سَعَةَ ٱلْكَرَمِ**) من الله سبحانه وتعالى ، (**وَ**) تخطَّرْتُ (**كَوْنِيْ مِنْ أُمَّةِ هٰذا ٱلنَّبِيِّ ٱلْكَرِيْم فَـ**) رجوتُ أن يكرمني اللهُ بنيل هذا الأَرَب ؛ لأجل نبيه ﷺ فقَوِيَ رجائي ، وَ(**أَقْدَمْتُ**) على تنفيذ هذا العزم ، وهو تأليف الكتاب (**إِقْدَامَ**) أيْ : إقداماً مثل إقدام (**ٱلطِّفْلِ عَلَىٰ ٱلأَبِ**) أي : أبيه (**ٱلشَّفِيْقِ**) كثير الشفقة (**ٱلحَلِيْمِ**) على ولده ؛ فلا يعاقبه إذا أساء ، لأن حلمه وشفقته يمنعانِه . والنبي ﷺ هو أبو المؤمنين ، وأزواجُه أمهاتهم ، لا سيما

بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ قَوْلَ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فَكَمْ مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَدْمٍ ، لاَ أَدَبَ لَهُ ....

(بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ قَوْلَ ٱللهِ تَعَالَىٰ) في سورة التوبة واصفاً له بالرحمة والرأفة لأمتهِ ، حيث قال ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ ـ أيها العرب ـ ﴿رَسُولٌ﴾ ـ هو محمد ﷺ ـ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ـ أي : منكم تعرفون نسبه وحسبه ، وأنَّه من ولد إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . وهو ترغيبٌ للعرب في نصره ، فإنَّه تم شرفهم بشرفه ، وعزُّهم بعزه، وفخرهم بفخره ، فإنه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والأخلاق الحميدة ـ ﴿عَزِيزٌ﴾ ـ أي: شديد ـ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ـ أي : عَنَتكم ، أي مشقَّتُكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ ـ أن تهتدوا ـ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ ـ شديد الرحمة ـ ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ مريدٌ لهم الخير . وقيل : بالمؤمنين رؤوف ؛ أي : بالطائعين منهم ، رحيم بالمذنبين . قال الحسن بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالىٰ إلاَّ للنبي ﷺ فسمَّاه رؤوفاً رحيماً . وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج] .

(فَكَمْ) خبريةٌ ، بمعنى عددٌ كثير ومُمَيِّزُهَا قوله (مِنْ أَعْرَابِيٍّ) فهو مجرورٌ بـ« من » ؛ كما في قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النجم/٢٦] ، والأعرابيُّ : ساكن البادية (فَدْم) ـ بفتح فسكون ـ هو من الناس العييُّ عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلَّةِ فَهْم ، وهو أيضاً : الغليظ الأحمق الجافي ؛ كما في « القاموس » . ويصحُّ إرادة كلٍّ من المعنيين هنا .

(لا أَدَبَ لَهُ) ، قال الحافظ السيوطي في « التوشيح » : الأدبُ : استعمالُ ما يُحمد قولا وفعلا . وقيل : الأخذُ بمكارم الأخلاق . وقيل : الوقوف مع المستحسنات . وقيل : تعظيم مَن فوقك والرفق بمَن دونك ، يقال : إنه مأخوذ من المأدبة ، وهي الدعوة إلى الطعام ، سُمِّي به !! لأنَّه يُدعى إليه . انتهى .

وَلاَ فَهْمَ ، وَلاَ عَقْلَ لَهُ وَلاَ عِلْمَ ، وَلاَ كَرَمَ وَلاَ حِلْمَ . . قَابَلَ جَنَابَهُ ٱلشَّرِيفَ بِمَا غَضِبَ لَهُ ٱلْمَكَانُ وَٱلزَّمَانُ ، . . . .

(وَلاَ فَهْمَ) الفهم : سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها . وقيل : الفهم تصوُّر المعنى من اللفظ . وقيل : هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن . وفي « إحكام الآمدي » :

الفهم جَودة الذهن من جهة تهيُّئِهِ لاقتناص ما يردُ عليه من المطالب .

(وَلاَ عَقْلَ لَهُ) كامل . والعقل : نور روحاني يُقذَف به في القلب ؛ أو الدماغ ، به تُدْرِك النفس العلوم الضرورية والنظرية . واشتقاقه من العقل ؛ وهو : المنع !! لمنعه صاحبَه عما لا يليق ، وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ، ثم لا يزال ينمو ويزيد إلى أن يكمل عند البلوغ . وقيل : إلى أن يبلغ أربعين سنة ، فحينئذ يستكمل عقله ، كما صرَّح به غير واحد . وفي الحديث : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ نُبِّىءَ بَعْدَ ٱلأَرْبَعِيْنَ » وهو يشير إلى ذلك .

(وَلاَ عِلْمَ) العلْم : هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع لموجب . وقال الحكماء : هو حصول صورة الشيء في العقل . والأوَّل أَخصُّ من الثاني . وقيل : العلم هو إدراك الشيء على ما هو به. وقيل : زوال الخفاء من المعلوم ، والجهل نقيضه . وقيل : العلم صفة راسخة يُدرَك بها الكليات والجزئيات . وقيل : العلم وصول النفس إلى معنى الشيء . وقيل : هو مستغنٍ عن التعريف .

(وَلاَ كَرَمَ) الكرم : هو الإنفاقُ بطِيْب نفس فيما يعظُم خطره ونفعه .

(وَلاَ حِلْمَ) الحلم : حالة تَوَقُّرٍ وثبات عند الأسباب المحركات .

(قَابَلَ جَنَابَهُ ٱلشَّرِيْفَ) الجناب ـ بفتح الجيم ـ أصله الجانب؛ وهو: شِقُّ الإنسان. فكأنَّ للإنسان شيئاً محسوساً يسمَّى بالجناب والقدر ؛ يُحتَشَم صاحبه لأجله . والمراد هنا : ذاتُه ﷺ . والمعنى : فكم من أعرابيٍّ جِلْفٍ واجهه ﷺ (بِمَا) أي : بخلق سَيِّءٍ (غَضِبَ لَهُ) أي : لأَجْل ذلك الخلق الصادر منه (ٱلْمَكَانُ وَٱلزَّمَانُ) ؛

غيرةً عليه ﷺ أن تُنتَهك حرمته ؛ كما وقع له مع قومه الذين وَطِئوا ظهره ، وأَدْمَوا وجهه ، وكسروا رَباعِيَتَهُ ، فأبىٰ أن يقول إلاَّ خيراً . وقال : « اَللَّهُمَّ ؛ اَغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » . ولما تصدَّى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله ﷺ في ناحية تحت شجرة وحده قائلاً ؛ والناس قائلون في غزوة ذات الرقاع ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ إلاَّ وهو قائمٌ بيده السيف صَلْتاً . فقال : مَن يمنعك مني ؟ . فقال : « اَللهُ » . فسقط السيف من يده ، فأخذه النبي ﷺ ؛ وقال : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ » قال : كن خيرَ آخذ . فتركه وعفا عنه ، فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس . ﷺ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنتُ عند النبي ﷺ ؛ وعليه بُردٌ غليظُ الحاشية ، فجَبَذه أعرابيٌّ بردائه جَبْذَة شديدة حتى أثَّرت حاشية البُرد في صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد ؛ احمل لي على بعيرَيَّ هٰذينِ مِن مال الله الذي عندك ، فإنَّك لا تحمل لي من مالك ؛ ولا من مال أبيك . فسكت النبي ﷺ ، ثم قال : « اَلْمَالُ مَالُ ٱللهِ وَأَنَا عَبْدُهُ » ، ثم قال : « وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ مَا فَعَلْتَ بِي ! » قال : لا . قال : « وَلِمَ ؟ » قال : لأنَّك لا تكافىءُ بالسيئةِ السيئةَ !! فضحك النبي ﷺ ، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيرٌ وعلى آخر تمرٌ .

وإسناد الغضب إلى الزمان والمكان مجازٌ عقلي لوقوعه فيهما .

(وَ) كم من أعرابي غليظ الطبع (خَاطَبَهُ) ﷺ (بِمَا) ، أي : بكلام خشن (عَبَسَ) من باب (ضرب) عُبُوسا : قطب وجهه فهو عابس (لَهُ) ، أي : لأجل هذا الكلام (وَجْهُ ٱلسَّيْفِ ، وَٱحْتَدَّ) أي : غضب (لَهُ لِسَانُ ٱلسِّنَانِ) ـ بكسر السين ؛ ككتاب . المراد به الرمح ـ ومعناه في الأصل : نصلُ الرمح ؛ أي : حديدَتُه . يعني أنَّه استحق القتلَ ، فكأَنَّ السيف والرمحَ هاج بهما الغضب على هذا الأعرابي يريدان الانتقام منه ؛ نُصرةً لرسول الله ﷺ . كما وقع له ﷺ مع الرجل الذي قال له : اعدل ؛ فإنَّ هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجهُ الله تعالى ، فلم يردَّ عليه إلاَّ بقوله :

فَكَانَ جَوَابَهُ ٱلإِغْضَاءُ ، وَٱلْعَفْوُ عَمَّنْ أَسَاءَ ، بَلْ أَدْنَاهُ وَقَرَّبَهُ ، وَمَا لاَمَهُ وَمَا أَنَّبَهُ ، بَلْ أَفْرَغَتْهُ أَخْلاَقُهُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ فِي قَالَبِ . . . .

« وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ !! خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِن لمْ أَعْدِلْ » ، ونهىٰ مَن أراد من أصحابه قتلَه .

وفي الكلام استعارتان بالكناية ؛ حيث شبَّه كلاً من السيف والسنان بإنسان يريد الانتقام نصرةً لرسول الله ﷺ . وحذف المشبَّه به الذي هو الإنسان ، ورمز له بشيء من لوازمه ؛ وهو الوجه واللسان ، والعبوسُ والاحتداد (ترشيح)[1] .

(**فَكَانَ جَوَابَهُ**) ﷺ لذلك المسيء (**ٱلإِغْضَاءُ**) ، أي : الإمساك وعدم المؤاخذة . وفي « المصباح » : أغضىٰ عينيه : قارب بين جفنيهما . ثم استعمل في الحلم فقيل : أغضىٰ ؛ إذا أمسك عفواً عنه . وفي « المحكم » : أغضىٰ على قذىً ، صبر على أذى . انتهى .

(**وَ**)كان جوابَه (**ٱلعَفْوُ عَمَّنْ أَسَاءَ**) ، لأنَّه ﷺ لا ينتقم لنفسه إلاَّ أن تُنتَهك حرماتُ الله تعالى ؛ فينتقم لله . كما عفا عن اليهودية التي سمَّته في الشاة بعد اعترافها ، ولم يؤاخذ لبيدَ بن الأعصم إذ سحره ؛ وقد أُعلم به وأوحي إليه بشرح أمره !! (**بَلْ أَدْنَاهُ**) ؛ أي : ذلك الأعرابي المسيء (**وَقَرَّبَهُ**) عطفُ تفسير ، (**وَمَا لاَمَهُ**) : عَذَله ، (**وَمَا أَنَّبَهُ**) أي : عنَّفَه . يقال : أَنَّبه تأنيباً : عنَّفَه ولامه ووبَّخه ، والتأنيبُ أشدُّ العذل ؛ وهو التوبيخ والتثريب . والتأنيب المبالغةُ في التوبيخ والتعنيف ، ومنه حديث توبةِ كعب بن مالك : ما زالوا يؤنِّبُوني .

(**بَلْ أَفْرَغَتْهُ أَخْلاَقُهُ ٱلمُحَمَّدِيَّةُ**) أي : صبَّته (**فِي قَالَبِ**) ـ بفتح اللام وكسرها ـ : هو الشيء يفرغ فيه الجواهر ليكون مثالاً لما يُصَاغ منها ، وهو دخيل . والصواب أنَّه معرّب ، وأصله كالب ، لأن هذا الوزن ليس من أوزان العرب كـ« الطابق » ونحوه ؛ وإن ردَّه الشهابُ في « شرح الشفا » بأنه غير صحيح ، فإنها

---

(١) الترشيح : ضربٌ من ضروب البلاغة ، بمعنىٰ : تأكيد المعنى السابق.

كِيمِيَاءِ ٱلسَّعَادَةِ بِأَيَادِي ٱلإِحْسَانِ ، حَتَّىٰ ٱضْمَحَلَّتْ حِدَّةُ ذَلِكَ ٱلْوَحْشِ وَٱنْقَلَبَتْ حَدِيدَتُهُ جَوْهَرَةَ إِنْسَانٍ ، فَتَبَدَّلَ بُغْضُهُ بِٱلْحُبِّ ، وَبُعْدُهُ بِٱلْقُرْبِ ، وَحَرْبُهُ بِٱلسِّلْمِ ، وَجَهْلُهُ بِٱلْعِلْمِ . . . .

دعوى خالية عن الدليل . وصيغته أقوىٰ دليل على أنَّه غير عربي ، إذ فاعَل ـ بفتح العين ـ ليس من أوزان العرب ، ولا من استعمالاتها . انتهى « شرح القاموس » .

(**كِيْمِيَاءِ ٱلسَّعَادَةِ**) المراد بذلك تهذيبُ النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها ، واكتساب الفضائل وتحليتها بها . والكيمياء لغة مولَّدة من اليونان ؛ أصل معناها الحذق والحيلة ؛ قاله الخفاجي .

(**بِأَيَادِي ٱلإِحْسَانِ**) جمع يد ؛ وهي الجَارحة . ثم أُطلِقت على النعمة مجازاً . ويحتمل أن يكون المعنى بأيادٍ هي الإحسان ، فالإضافة بيانيَّةٌ .

(**حَتَّىٰ ٱضْمَحَلَّتْ**) : ذهبت (**حِدَّةُ**) ـ بكسر الحاء وتشديد الدَّال المهملتين ـ : هي ما يعتري الإنسان من الخِفَّة والطيش والغضب ، تقول : حَدَدْتُ على الرجل أحِدُّ ـ بالكسر ـ حِدَّةَ أيضا ؛ عن الكسائي . (**ذَلِكَ ٱلْوَحْشِ**) أصل الوحش : حيوان البَرِّ الَّذي لا يُستأنس . فشُبه به الإنسان الذي لم يتهذَّب بالأخلاق الحسنة بجامع النُّفرة من كُلٍّ ، (**وَٱنْقَلَبَتْ**) أي : تبدَّلت (**حَدِيْدَتُهُ**) : القطعة من الحديد المعروف (**جَوْهَرَةَ إِنْسَانٍ**) كامل بالإضافة . والمرادُ أنَّ هذا الأعرابي الجلف الذي كان سيِّءَ الأخلاق نافراً كالوحش يُشْبِهُ الحديد في القسوة ؛ لَمَّا أشرقت عليه شمس النبوة ، ورأى تلك الطلعةَ البهيَّة، وأبصر الأخلاق المحمدية، وسمع الحِكَم المصطفِيَّة[1] ؛ تهذَّبت نفسه ، وحسنت أخلاقه ، وتغيَّرت طباعه ؛ (**فَتَبَدَّلَ بُغْضُهُ**) للنبي ﷺ ؛ وللإسلام (**بِٱلحُبِّ**) لهما ، (**وَ**) تبدَّل (**بُعْدُهُ**) عنهما (**بِٱلقُرْبِ**) منهما ، (**وَ**) تبدَّل (**حَرْبُهُ بِٱلسِّلْمِ**) ـ بكسر السين : الصلح ـ (**وَ**) تبدَّل (**جَهْلُهُ بِٱلعِلْمِ**) .

---

(١) تقتضي قواعد اللغة : المصطفوية .

وَٱسْتَحَالَ إِنْسَاناً بَعْدَ أَنْ كَانَ ثُعْبَاناً ، وَصَارَ حَبِيباً بَعْدَ أَنْ كانَ ذِيباً .

فَهَـٰذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ شَوَاهِدِ مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَطْمَعَنِي بِإِمْكَانِ قَبُولِي فِي جُمْلَةِ خَدَمِهِ ، وَدُخُولِي فِي عِدَادِ حَشَمِهِ ، وَلاَ يَبْعُدُ عَنْ سَعَةِ كَرَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَهَبَ لِي إِكْرَاماً لِرَسُولِهِ فَوْقَ مَا أَمَّلْتُهُ مِنَ ٱلرِّضَا وَٱلْقَبُولِ .

وللجلال السيوطي رحمه الله تعالى فيما يقال بكسر أوَّله وضدُّه بفتح أوله ، هذان البيتان :

عَــن ٱلأَوَائِــلِ أَسْمَــاءٌ أَوَائِلُهَــا ... بِـٱلكَسْـرِ جَـاءَ ، وَأَضْـدادٌ لَهَـا فُتِحَـا

الْعِلْـمُ وَٱلحِلْـمُ وَٱلسِّلْـمُ ٱلغِنَـى وَتَـلاَ ... خِصْـبٌ وَفَتـحٌ لأَضْـدَادِ لَهَـا وَضحـا

وذيَّل عليهما السيد المرغني حفيد السيد محمد عثمان المرغني في « شرحه » لمولد جدِّه المذكور ذاكراً أضداد ذلك ؛ وهو ما كان أوَّله مفتوحاً ؛ فقال :

وَذَاكَ جَهْـلٌ وَحَـربٌ يَـا فَتَـى سَفَـهٌ ... جَـدْبٌ وَفَقْـرٌ لِـرَبِّ فَضْلُـهُ طَفَحَـا

(**وَٱسْتَحَالَ**) أي : صار (**إِنْسَاناً**) حقيقيًّا (**بَعْدَ أَنْ كَانَ**) إنساناً صُوريًّا يُشبه في أخلاقه (**ثُعْبَاناً**) ، وهو : الحية الضخمة الطويلة تصيد الفأر ، (**وَصَارَ حَبِيْباً بَعْدَ أَنْ كَانَ ذِيباً**) ؛ أي : كالذيب في الخبث والدَّهاء .

(**فَهٰذا ؛ وَأَمْثَالُهُ مِنْ شَوَاهِدِ مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ ﷺ أَطْمَعَنِي**) ، أي : جعلني طامعا (**بِإِمْكَانِ قَبُولِي فِي جُمْلَةِ خَدَمِهِ**) المشتغلين بنشر محاسنه ونُصرةِ دينه ، (**وَدُخُوْلِيْ فِي عِدَادِ**) ـ بكسر العين المهملة : المِثْل ـ (**حَشَمِهِ**) ـ بفتح أوَّلَيْهِ للواحد والجمع ـ وهم خاصَّةُ الرجل الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جِيرَة ؛ إذا أصابه أمر . وفي « الصحاح » : حشَمُ الرجل : خَدَمه ومَن يغضب له . سُمُّوا بذلك !! لأنهم يغضبون له . انتهى .

(**وَلاَ يَبْعُدُ عَنْ سَعَةِ كَرَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَهَبَ لِيْ**) أي : يعطيني (**إِكْرَاماً لِرَسُولِهِ**) ـ مفعول لأجله ـ (**فَوْقَ**) ـ أي : زيادة على ـ (**مَا أَمَّلْتُهُ**) ؛ أي : رجوته (**مِنَ ٱلرِّضَا وَٱلقبُولِ**) بيان لـ « ما » .

وَهَا أَنَا قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، وَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ، فَجَمَعْتُ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ . . . .

(وَهَا) ـ بفخامة الألف ـ حرفُ تنبيه للمخاطَب ينبّه بها على ما يساق إليه من الكلام . وتفصل « ها » التنبيه المذكورة من اسم الإشارة بـ(أَنَا) وأخواته من ضمائر الرفع المنفصلة كثيرا ، نحو : ها أنا ذا أفعل كذا . والإخبار عن هذا الضمير بغير اسم الإشارة كما هنا شاذٌّ ؛ كما صرح به ابن هشام في « حاشية التسهيل » ؛ وإن وقع في ديباجة « المغني » حيث قال : (وهَا أنا بائح بما أسررتُه) . ومثلُه قول المصنف .

(قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ) قيل : التوكُّل ترك تدبير النفس ، والانخلاع عن الحول والقوة . وهو فرعُ التوحيد والمعرفة ، (وَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ) . هذا اقتباس ، وهو جائز عند المالكية والشافعية باتفاق ، غير أنَّهم كرَّهوه في الشعر خاصَّة . هكذا حكى اتفاق المذهبين الشيخُ داود الشاذلي الباهلي . وقد نصَّ على جوازه القاضي عياض ، وابن عبد البر ، وابن رشيق ، والباقلاني ، وهم من أجِلَّة المالكية ، والنووي شيخ الشافعية ، ورواه الخطيب البغدادي وغيره بالإسناد إلى الإمام مالك أنَّه كان يستعمله . قال السيوطي : وهذه أكبر حجَّة على مَن يزعم أن مذهب مالك تحريمُه ، وقد نفى الخلاف في مذهبه الشيخ داود ، وهو أعرف بمذهبه ، وأما مذهبنا !! فأنا أعرِفُ أنَّ أئمَّته مجمعون على جوازه ، والأحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم . فمن نسب إلى مذهبنا تحريمَه ، فقد فَشَرَ ، وأبان عن أنه أجهل الجاهلين . انتهى ذكره الزرقاني على « المواهب » .

(فَجَمَعْتُ هٰذَا ٱلْكِتَابَ) ، قال الأردبيلي : يطلق الكتاب على مطلق الخطِّ ، وعلى الكلام المكتوب ؛ تسميةً لاسم المفعول بالمصدر ، وعلى مطلق الكلام ؛ اتساعاً ، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [١٠٥/ النساء] .

ثمَّ شاع استعماله في التعارف فيما جُمع فيه الألفاظ الدالَّة على نوع من المعنى ،

مِنْ آثَارِهِ فِي شَمَائِلِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَدْخَلْتُ فِيهِ جَمِيعَ ٱلشَّمائِلِ ٱلَّتِي رَوَاهَا ٱلإِمَامُ ٱلْحَافِظُ أَبُو عِيسَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ ٱلتِّرْمِذِيُّ

أو أكثر ، لما بين المصدر والمكان من التعلُّق الخاصِّ ، فيقال : أتاني كتاب عن فلان ، وسيَّرتُ إلى فلان كتاباً ، ومنه ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا ﴾ [٢٨/ النمل] وأمَّا في عرف المؤلفين ؛ فيطلق تارة على مكتوب مشتمل على حكم أمر مستقل منفرد عن غيره ؛ وعن آثاره ولواحقه وتوابعه وأسبابه وشروطه ، وتارة على مكتوب مشتمل على مسائلِ علم أو أكثر . وقد يسمَّىٰ ذلك المكتوب باسم خاصٍّ ، وهو المراد هنا .

(**مِنْ آثَارِهِ**) ؛ أي : محاسنه (**فِي شَمَائِلِه**) جمع شِمال ـ بالكسر ـ أي : أخلاقه (**ٱلشَّرِيْفَةِ** ﷺ) وصفاته المحمودة ، (**وَأَدْخَلْتُ**) ـ أي : أدرجت ـ (**فِيْهِ**) ؛ أي : في هذا الكتاب (**جَمِيْعَ**) كتاب (« **ٱلشَّمَائِلِ**) النبوية » (**ٱلَّتي رَوَاهَا**) بأسانيده (**ٱلإِمَامُ ٱلحَافِظُ أَبُو عِيْسَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَىٰ**) بن سورة بن موسى بن الضحَّاك ؛ (**ٱلتِّرْمِذِيُّ**) . قال الأصفهاني في كتابه « لبُّ اللباب في الأنساب » : التِّرمذي ـ بضمِّ التاء ، وفتحها ، وكسرها ـ نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له : « جيحون » ، خرج منها جماعة ، منهم : الترمذي صاحب « الجامع » و« العلل » . انتهى . وسكت عن بيان حركة ميمه ، وبيَّنها أَصْلُ أَصْلِهِ : السمعَانيُّ ، وعبارته : التِّرمذي ؛ بكسر المثناة من فوق والميم ، وبضمِّها ، وبفتح المثناة وكسر الميم . انتهى . وفي الراجح من هذه اللغات خلافٌ . فقال ابن سيِّد الناس : المتداولُ بين أهل تلك المدينة فتحُ التاء وكسر الميم ، والذي نعرفه قديما كسرهُما معاً ، والذي يقوله المتقنون أهل المعرفة بضمِّهما . وكلٌّ واحد يقول لها معنىً يدَّعيه . انتهى .

وفي « طبقات الحفاظ » للذهبي : قال شيخنا ابن دقيق العيد : تِرمذ ـ بالكسر ـ هو المستفيض على الألسنة حتى يكاد يكون كالمتواتر . وقال الباجي : سمعت عبد الله بن محمد الأنصاري يقول : هو بضمِّ التاء . انتهى . وهو الحافظ الضرير أحدُ الأئمة الستَّة ، قيل : إنَّه ولد أكْمَه ، طاف البلاد فسمع من قتيبة وعلي بن حُجْر

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بَعْدَ حَذْفِ مُكَرَّرِهَا وَأَسَانِيدِهَا ، وَلَمْ أَتَقَيَّدْ بِتَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيبِهِ ، بَلْ سَلَكْتُ أُسْلُوباً غَيْرَ أُسْلُوبِهِ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا مِنْ كُتُبِ ٱلأَئِمَّةِ ٱلآتِي ذِكْرُهُمْ أَكْثَرَ مِنْهَا بِكَثِيرٍ ، ....

وأبي كريب وخلائق ، وأخذ علم العلل والرجال عن البخاري ، وروى عنه حمَّاد بن شاكر ، وأحمد بن حسنويه ، ومحمد بن أحمد بن محبوب ، وآخرون . وقد سمع منه البخاري أيضاً . قال ابن حبان في « الثقات » : كان ممَّن جمع وصنَّف وحفظ وذاكر .

ولد سنة : ـ ٢٠٩ ـ مائتين وتسع ـ بتقديم المثناة على المهملة ـ قال المستغفري : مات في شهر رجب سنة : ـ ٢٧٩ ـ تسع ـ بتقديم المثناة على المهملة ـ وسبعين ـ بتقديم المهملة على الموحدة ـ ومائتين ، فعمره سبعون سنة ـ بتقديم المهملة على الموحدة ـ . (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) ورحمه رحمة واسعة . آمين .

(**بَعْدَ حَذْفِ مُكَرَّرِهَا**) أي : حذف الأحاديث المكرَّرة فيها من نوعٍ واحد بدون زيادة . (**وَ**) بعد حذف (**أَسَانِيْدِهَا**) جمع إسناد ؛ وهو : الإخبار عن طريق المتن ، والسند : رجال المتن . وقيل : هما بمعنى وعليه جرى الجلال السيوطي في « ألفيته » حيث قال :

وَٱلسَّنَدُ ٱلإِخْبَارُ عَنْ طَرِيقِ   مَتْنٍ كَٱلاسْنَادِ لَدَىٰ فَرِيقِ

وعبَّر المصنف بالحذف الذي يكون عادة بعد الذكر !! إشعاراً بأن السند مما يعتني به أرباب الإتقان ، فكأنَّه ذكره ثم حذف ، ولو عَبَّر بالترك ونحوهِ لما فهم ذلك .

(**وَلَمْ أَتَقَيَّدْ بِتَرْتِيبِهِ**) ، أي : الترمذي ، (**وَ**) لم أتقيَّد بألفاظ (**تَبْوِيْبِهِ**) أي : تراجم الأبواب ، (**بَلْ سَلَكْتُ أُسْلُوباً غَيْرَ أُسْلُوبِهِ**) أي : طريقةً غير طريقته ، (**وَأَضَفْتُ**) ؛ أي : ضممت (**إِلَيْهَا**) ـ أي : « شمائل الترمذي » ـ (**مِنْ كُتُبِ الأَئِمَّةِ الآتِي ذِكْرُهُمْ**) زياداتٍ (**أَكْثَرَ مِنْهَا**) ؛ أي : « الشمائل الترمذية » . (**بِكَثِيرٍ**) ؛ بحيث أن الزيادة تبلغ نحو ثلاثة أمثال « الشمائل الترمذية » .

وَأَلْحَقْتُ بِغَرِيبِ ٱلأَلْفَاظِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ٱلْحَاجَةُ مِنْ ضَبْطٍ أَوْ تَفْسِيرٍ . فَجَاءَ كِتَاباً حَافِلاً لَيْسَ لَهُ فِي بَابِهِ نَظِيرٌ .

وَسَمَّيْتُهُ : « **وَسَائِلَ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ شَمَائِلِ ٱلرَّسُولِ** »

وَهَـٰذَا بَيَانُ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي نَقَلْتُهُ مِنْهَا ، وَرَوَيْتُهُ عَنْهَا :

١ ـ « كِتَابُ ٱلشَّمَائِلِ » لِلإِمَامِ ٱلتِّرْمِذِيِّ .

٢ ـ « ٱلْمَصَابِيحُ » . . . .

(**وَأَلْحَقْتُ بِغَرِيْبِ ٱلأَلْفَاظِ**) اللغوية ، أي : التي هي غير مألوفة الاستعمال ، أي : أتبعتها (**مَا تَدْعُوْ إِلَيْهِ الحَاجَةُ مِنْ ضَبْطٍ**) لحروفه نحو « بالفوقية ، أو التحتية » وبيان ما قد يشتبه من الحركات ، (**أَوْ تَفْسِيْرٍ**) أي : شرح معنى للفظ خفيٍّ ؛ بأن يكون فيه غموض بحيث يَعْسُر فهم معناه من مبناه إلاَّ للعارف ، أو تكون دلالته فيها غموض ، بأن يكون ذلك اللفظ مصروفاً عن ظاهره لمقتضٍ .

(**فَجَاءَ**) ـ أي : فبعد إتمامه ـ على الكيفية التي ذكرها صار (**كِتَاباً حَافِلاً لَيْسَ لَهُ فِي بَابِهِ نَظِيْرٌ**) ، لما جمع فيه مما تفرَّق في غيره ؛ من صحيح الأخبار ومشهورها ؛ المشتملة على شمائله وأخلاقه الحميدة وعباداته وغيرها .

(**وَسَمَّيْتُهُ « وَسَائِلُ الوُصُولِ**) ـ الوسائل : جمع وسيلة ؛ وهي ما يكون سبباً لتحصيل شيء ـ (**إِلَىٰ شَمَائِلِ ٱلرَّسُولِ** ») ﷺ .

(**وَهَذَا بَيَانُ**) أسماء (**ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي نَقَلْتُهُ مِنْهَا ، وَرَوَيْتُهُ عَنْهَا** :

كِتَابُ « ٱلشَّمَائِلِ » لِلإِمَامِ) أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (**ٱلتِّرْمِذِيِّ**) الحافظ الضرير ، وقد تقدَّمت ترجمتُه قريباً .

(**المَصَابِيْحُ**) أي : كتاب « مصابيح السنة » ، قيل : إنَّ مؤلِّفَه لم يسمِّه بـ« المصابيح » نَصّاً منه ، وإنما صار هذا الاسم عَلَماً بالغلبة من حيث إنَّه قال في مقدِّمَتها : أما بعد ؛ فهذه ألفاظ . . . إلى أن قال : هن مصابيح الدجى . . . الخ . قسمه مؤلفه إلى صحاح وحِسان ، مريداً بالصحاح : ما أخرجه الشيخان : البخاري

لِلإِمَامِ ٱلْبَغَوِيِّ .

٣ ـ « اَلإِحْيَاءُ » لِلإِمَامِ ٱلْغَزَالِيِّ .

ومسلم ، أو أحدهما . وبالحسان : ما أخرجه أرباب السنن الأربعة مع الدارمي ، أو بعضهم ؛ وهو اصطلاح له ، ولم يعيِّن فيه مَن أخرج كلَّ حديث على انفراده ، ولا الصحابي الذي رواه (لِلإِمَامِ) ركن الدين محيي السنة : أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء (ٱلْبَغَوِيِّ) نسبة إلى « بغا » : قرية من قرى خراسان بين مرو وهراة ، الفقيه الشافعي المحدِّث المفسر صاحب المصنَّفات المبارك له فيها ، لقصده الصالح ، المتعبِّدُ الناسك الرباني ، المولود سنة : ـ ٤٣٦ ـ ست وثلاثين وأربعمائة ، والمتوفَّىٰ بمرو سنة : ـ ٥١٦ ـ ست عشرة وخمسمائة هجرية ، له كتاب « التهذيب » في الفقه الشافعي ، و« شرح السنة » في الحديث ، و« مصابيح السنة » في الحديث ، و« الجمع بين الصحيحين » ، وتفسير « معالم التنزيل » ، وغير ذلك رحمه الله تعالى . آمين .

(الإِحْيَاءُ) ؛ أي « إحياء علوم الدين » الذي هو أَجَلُّ كتب المواعظ وأعظمُها ، حتى قيل فيه : إنَّه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي « الإحياء » لأغنى عما ذهب .

(لِلإِمَامِ) حجَّة الإسلام : أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ٱلْغَزَالِيِّ) ـ بالتخفيف للزاي في المشهور ؛ نسبة إلى « غزالة » : قرية من قرى طوس ، أو بتشديد الزاي [غَزَّالي] نسبة إلى صناعة الغزل . الشافعي ، جامع أشْتات العلوم ، المبرز في المنطوق منها والمفهوم ، مَن شاع ذكره في البلاد ، واشتهر فضله بين العباد .

ولد بـ« الطابران » : قصبة طوس بخراسان سنة : ـ ٤٥٠ ـ خمسين وأربعمائة ، ورحل إلى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين ؛ حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم كلَّ ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدَّى للردِّ على مبطليهم ؛ وإبطال دعاويهم ، وصنَّف في كلِّ فنٍّ من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها ، وأجاد وصفها وترصيفها ، ورحل إلى بغداد ؛ فالحجاز ؛ فبلاد الشام ؛ فمصر ، وكان شديد الذكاء ، سديد النظر ، عجيب

الفطرة ، مفرط الإدراك ، قويّ الحافظة ، بعيد الغور ، غوّاصا على المعاني الدقيقة ، جَبَلَ علم ، مناظراً محجاجاً .

ثم عَزَفَتْ نفسه عن الدنيا ؛ فرفض ما فيها من التقدُّم والجاه ، وأخذ يجول في البلاد ، ويجاهد نفسه جهاد الأبرار ، ويكلِّفها مشاقَّ العبادات ، ويبلوها بأنواع القُربِ والطاعات ، إلى أن صار قطب الوجود ؛ وتكلَّم على لسان أهل الحقيقة ، وحدَّث بكتاب « الإحياء » ، وقد شهد له أبو العباس المرسي بالصدِّيقيَّة العظمى .

وكانت وفاته بطوس سنة : ـ ٥٠٥ ـ خمس وخمسمائة هجرية . رحمه الله تعالى .

(« الشِّفَا) بالتعريف بحقوق المصطفى » ﷺ ، وهو كتاب عظيم النفع كثيرُ الفائدة ، لم يُؤَلَّف مثله في الإسلام ، وقد جربت قراءتَه لشفاءِ الأمراض المزمنة ، وتفريج الكروب ، ودفع الخطوب ؛ شكر الله سعيَ مُؤَلِّفِهِ ، وجازاه عليه بأتمِّ الجزاء وأعظمه . ولم ينصف الذهبي في قوله : إنه محشوٌّ بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالَّة على قلَّة نقده بما لا يحتاج قدر النبوة لَهُ . انتهى . نعم ؛ في كتاب « الشفا » أحاديثُ ضعيفة ، وأخرى قيل فيها : إنها موضوعة ، تبع فيها « شفاء الصدور » للخطيب أبي الربيع سليمان بن سبع السبتي . والله أعلم .

(لِلْقَاضِي) أبي الفضل : (عِيَاضٍ) بن موسى بن عياض اليحصبي نَسَباً ؛ نسبة إلى يحصب بن مالك « قبيلة من حمير » ، السَّبْتي داراً وبلداً ؛ نسبة إلى « سبتة » مدينة مشهورة بالمغرب ، الأندلسي أصلاً ، المالكي مذهباً .

الإمام البارع المتفنِّن ، عالم المغرب ، المتمكِّن في علم الحديث ، والأصلين ، والفقه والعربية . وكان مِن أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم . وله مصنفات في كلِّ نوع من العلوم المهمَّة . وكان من أصحاب الأفهام الثاقبة .

وكانت ولادته في نصف شعبان سنة : ـ ٤٧٦ ـ ست وسبعين وأربعمائة . وقَدِم

الأندلس طالباً للعلم ، وعُني بِلِقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجَمَعَ من الحديث كثيراً . واستُقْضِيَ ببلده مدَّة طويلة حُمدت سيرتُه فيها . ثم نُقِل عنها إلى قضاء غرناطة ؛ فلم يطل أمره بها ، وتوفي بمراكش سنة : ـ ٥٤٤ ـ أربع وأربعين وخمسمائة . ودفن بباب « ايلان » داخل المدينة . رحمه الله تعالى رحمة الأبرار . آمين .

(**التَّهْذِيبُ**) ؛ أي : « تهذيب الأسماء واللُّغات » جمع فيه مؤلفه الألفاظ الموجودة في « مختصر المزني » ، و« المهذَّب » ، و« الوسيط » ، و« التنبيْه » ، و« الوجيز » ، و« الروضة » ، وقال : إن هذه الستة تجمع ما يُحتاج إليه من اللغات . وضَمَّ إلى ما فيها جُمَلاً مما يُحتاج إليه مما فيها من أسماء الرجال والنساء والملائكة والجن وغيرهم ممن له ذِكْر في هذه الكتب بروايةٍ ؛ أو غيرها ، مسلماً كان ؛ أو كافراً ، بَرّاً كان ؛ أو فاجراً .

ورتَّبه على قسمين : الأول في الأسماء ؛ وصَدَّره باسم النبي ﷺ والكلام على أحواله وشمائله ، والثاني في اللغات . وهو كتاب جيّد في بابه مفيدٌ مشهور .

(**لِلإِمَامِ**) الحافظ الحُجَّة الهادي الناس إلى المَحَجَّة ، أستاذ المتأخرين ، وشيخ الإسلام والمسلمين ، وقدوة الحُفَّاظ والمحدثين ، حامل لواء مذهب الشافعي على كاهله ، ومحرِّرُ دلائله في بُكَرِهِ وأصائله ، المتَّفق على جلالته وعلوِّ رتبته وولايته ، وارتقاء مكانته : أبي زكريا يحيى بن شَرَف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن حِزام بن محمد بن جمعة الشيخ محيي الدين (**اَلْنَّوَوِيّ**) نسبة لـ« نوَى » : قرية من قرى حوران دمشق ، الشافعي ، صاحب التصانيف النافعة .

ولد سنة : ـ٦٣١ـ إحدى وثلاثين وستمائة بِـ« نَوَىٰ » . واجتهد في جميع العلوم ، واعتنى بالحديث فسمع من كثير من الشيوخ ، وسمع الكتب الستة و« المسند » و« المُوَطَّأ » و« شرح السنة » ، و« سنن الدراقطني » وأشياء كثيرة . وتفقَّه على الكمال سِلاَّر .

٦ ـ « ٱلْهَدْيُ ٱلنَّبَوِيُّ » لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ ٱبْنِ أَبِي بَكْرٍ ٱلشَّهِيرِ بِٱبْنِ قَيِّمِ ٱلْجَوْزِيَّةِ .

٧ ـ « ٱلْجَامِعُ ٱلصَّغِيرُ » . . . .

وكان حافظاً للحديث وفنونه ، وصحيحه وعليله ، رأساً في معرفة مذهب الشافعي . وتخرَّج به جماعة من العلماء ؛ منهم علاء الدين بن العطَّار ، وحدَّث عنه الحافظ المِزِّي ، وغيرهما . وكان له الزهد والقناعة ، ومتابعةُ السلف من أهل السنة والجماعة ، والمثابرة على أنواع الخير ؛ لا يصرف ساعة في غير طاعة ، مع التفنُّن في أصناف العلوم ، فقهاً ، ومتون أحاديث ، وأسماء رجال ، ولغة ونحواً وصرفاً وغير ذلك . وحجَّ حِجَّتين ، ونفع الله بتصانيفه في حياته وبعد وفاته .

ولم يزل على الحال المرضيِّ إلى أن وافاه الحِمام في الرابع والعشرين من شهر رجب الحرام سنة : ـ ٦٧٦ ـ ست وسبعين وستمائة . رحمه الله تعالى رحمة الأبرار . آمين .

(**الْهَدْيُ ٱلنَّبَوِيُّ**) المسمى « زاد المعاد في هدي خير العباد » (**لِلإِمَامِ**) شمس الدين أبي عبد الله (**مُحَمَّدِ بْنِ أَبِيْ بَكْرٍ**) بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرْعي الدمشقي (**ٱلشَّهِيْرِ بـ« ابْنِ قَيِّمِ ٱلجَوْزِيَّةِ**») الحنبلي العلاَّمة الحافظ المحدِّث المصنِّف المشهور.

ولد سنة : ـ ٦٩١ ـ إحدى وتسعين وستمائة ، وأخذ عن والده ، والصفي الهندي ، وابن تيمية ، وبرع في جميع العلوم ، وغلب عليه حبُّ ابن تيمية حتَّى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ؛ بل ينتصر له في جميع ذلك . وهو الذي نشر علمه بما صنَّفه من التصانيف ، وهو طويل النَّفَس في تصانيفه ، يتعانىٰ الإيضاحَ جَهْدَه ؛ فيسهب جدَّاً ، ومعظمها من كلام شيخه ، متصرِّف في ذلك ، وله ملكة قوية ، ولا يزال يدندن حولَ مفرداته ، ينصرُها ويحتجُّ لها .

ومات في شهر رجب الحرام سنة : ـ ٧٥١ ـ إحدى وخمسين وسبعمائة هجرية . رحمه الله تعالى .

(« **الجَامِعُ ٱلصَّغِيْرُ**) في أحاديث البشير النذير » . وهو المعجم الوحيد الآن

لِلإِمَامِ ٱلسُّيُوطِيِّ .

٨ ـ وَ« شَرْحُهُ » لِلإِمَامِ ....

المتداول بين الناس ، وهو من أكبر منن مؤلِّفه على المسلمين الذي يعرفون به كَلِم نبيِّهم ، ومخرِّجيها ، ومظانِّها ، ومرتبتها في الجملة (لِلإِمَامِ) فخر المتأخِّرين ، علم أعلام الدين ، خاتمة الحفَّاظ والمحدِّثين : أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري المصري (السُّيُوطِيِّ) الشافعي . ويقال « الأُسيوطي » ؛ نسبة إلى « سيوط » . قال في « القاموس » : « سيوط » أو « أسيوط » بضمِّهما : بلدة بصعيد مصر . انتهى .

ولد سنة : ـ٨٤٩ـ تسع وأربعين وثمانمائة ، ونشأ على التجرُّد في العلم فجمع غالب فنونه ، وكان نادرةً من نوادر الإسلام في القرون الأخيرة ؛ حفظاً ، واطِّلاعاً ، ومشاركة ، وكثرةَ تأليف ، وكان أعلَمَ أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ؛ رجالاً ، وغريباً ، ومتناً ، وسنداً ، واستنباطاً للأحكام منه . وأخذ العلم عن نحو ستمائة شيخ ، وادَّعى الاجتهاد ، وكان يرى النبي ﷺ يقظةً ويسأله عن أحاديث . وله من المصنفات نحو ستمائة .

قال الشيخ عبد الحي اللكنوي في « حواشي الموطأ » : تصانيفه كلُّها مشتملةٌ على فوائد لطيفة ، وفرائد شريفة ، تشهدُ كلُّها بتبحُّره ، وسَعة نظره ، ودِقَّة فكره ، وأنه حقيق بأن يعدَّ من مجدِّدي الملَّة المحمدية في بدء المائة العاشرة وآخر التاسعة كما ادَّعَاه بنفسه ، وشهد بكونه حقيقاً به مَن جاء بعده كـ« علي القاري » المكي ، في « المرآة » شرح « المشكاة » . انتهى .

قال العارف الشعراني : ولو لم يكن للسيوطي من الكرامات ؛ إلاَّ إقبال الناس على تآليفه في سائر الأقطار بالكتابة والمطالعة ؛ لكان في ذلك كفاية . انتهى .

وكانت وفاته في سنة : ـ ٩١١ ـ إحدى عشرة وتسعمائة هجرية . رحمه الله تعالى .

(وَشَرْحُهُ) المسمَّى « ٱلسِّرَاج المنير شرح الجامع الصغير » (لِلإِمَامِ) العالم العلاَّمة ، الفقيه الفهَّامة الشيخ : علي بن أحمد بن محمد نور الدين بن إبراهيم

ٱلْعَزِيزِيِّ .

٩ ـ « ٱلْمَوَاهِبُ » لِلإِمَامِ ٱلْقُسْطُلاَّنِيِّ .

المصري (ٱلعَزِيْزِيّ) ـ نسبة لـ « العزيزية » من الشرقية بمصر ـ البولاقي الشافعي المتوفىٰ سنة : ـ ١٠٧٠ ـ سبعين وألف هجرية ببولاق . رحمه الله تعالى .

(« المَوَاهِبُ) اللدنية بالمنح المحمدية » كتابٌ جليلُ المقدار ، عظيم الوقع ، كثير النفع ، ليس له نظير في بابه ، وهو من الكتب المشهورة المخدومة . أشرقت من سطوره أنوار الأُبَّهة والجلالة ، وقَطَرت من أديمه ألفاظُ النبوة والرسالة ، أحسن فيه ترتيبا وصنعاً ، وأحكمه ترصيعاً ووضعاً ، وكساه الله فيه رداء القبول ، ففاق على كثير مما سواه عند ذوي العقول . فالله يتولَّى جزاءه ويرحمه رحمة واسعة . آمين .

ومما ينسب لبنت الباعوني «زوجة القُسْطُلاَّني» هذان البيتان مدحاًفي كتابه «المواهب» :

كِتَـابُ «ٱلمَـوَاهِـبِ» مَـا مِثْلُـهُ ... كِتَـابٌ جَلِيْـلٌ وَكَـمْ قَـدْ جَمَـعْ

إِذَا قَـالَ غَمْـرٌ : لَـهُ مُشْبِـهٌ ... يَقُولُ ٱلوَرَىٰ : مِنْكَ لاَ يُسْتَمَعْ

(لِلإِمَامِ) العلاَّمة الحُجَّة الرِّحلة المحدِّث المسند الحافظ : شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد بن الجمال محمد بن الصفي محمد بن المجد حسين بن التاج علي الخطيب (ٱلقُسْطُلاَّنِيّ) ـ بضم القاف وسكون السين وضمِّ الطاء المهملة وتشديد اللاَّم ـ المصري الشافعي .

ولد سنة : ـ ٨٥١ ـ إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ، وأخذ عن الشهاب العَبَّادي ، والبرهان العجلوني ، والشيخ خالد الأزهري النَّحْوي ، والحافظ السخاوي وغيرهم ، وحجَّ مراراً ، وجاور بمكَّة مرَّتين ، وكان متعفِّفاً جيِّدَ القراءة للقرآن والحديث والخطابة ، شجيَّ الصوت ، مشاركاً في الفضائل ، متواضعاً ، متودِّداً ، لطيف العشرة ، اشتهر بالصلاح والتعفُّف .

وصنَّف التصانيف التي سارت بها الركبان في حياته ، وأشهرها : شرحُه على « البخاري » الذي هو أجمع الشروح وأحسنُها من حيث الجمعُ وسهولة الأخذ والتكرار والإفادة . وهو للمدرِّس أحسن وأقرب من « فتح الباري » وغيرِه ، وما ألطف قول بعضهم في مدحه :

١٠ ـ « كَشْفُ ٱلْغُمَّةِ » لِلإِمَامِ ٱلشَّعْرَانِيِّ .

تُطَالِبُنِي بِجَمْعِ ٱلكُتْبِ نَفْسِي ... وَفِيْهَا لَذَّتَا بَصَرِي وَسَمْعِي
فَقُلْتُ لَهَا : ٱلدَّفَاتِرُ لَيْسَ تُحْصَىٰ ... وَمَا رُمْتِيْهِ يَقْصُرُ عَنْهُ وُسْعِي
نَعَمْ شَرْحُ الإِمَامِ القُسْطُلاَنِي ... لَهُ فِي ٱلنَّفْسِ وَقْعٌ أَيُّ وَقْعِ
إِذَا ظَفِرَتْ بِهِ كَفَّايَ يَوْماً ... ظَفِرْتُ بِمُفْرَدٍ يَأْتِي بِجَمْعِ

وله « منهاج الابتهاج شرح مسلم بن الحجاج » في ثمانية أجزاء ؛ لم يكمل .

ومات ليلة الجمعة سابع المحرم سنة : ـ ٩٢٣ ـ ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية ، ودفن بقرب الأزهر عند الإمام العيني « شارح البخاري » . رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار .

(« **كَشْفُ ٱلْغُمَّةِ**) عن جميع الأُمَّة » في الحديث . ذكر مؤلفه أنه جمعه من كتب الحُفَّاظ المعتمدة ؛ كالستة ، ومعاجم الطبراني ، ومجاميع السيوطي ، مرتباً على أبواب كتب الفقه ، ولم يَعْزُ فيه الأحاديث إلى مخرِّجيها ، وأنه لا يذكر فيه إلاَّ محل الاستدلال فيقول : « كان رسول الله ﷺ يفعل كذا » أو « يسكت على كذا » أو « يقول كذا » أو « يُقِرُّ أصحابه على كذا » . ولا يذكر القصة إلاَّ إذا اشتملت على موعظة ؛ أو اعتبار ، أو أدب . وقد خرَّج أحاديثَه مؤرِّخُ مكَّة المكرَّمة الشهاب أحمد الحضراوي الشافعي المتوفَّىٰ سنة : ـ ١٣٢٧ ـ سبع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية في كتاب سمَّاه « « سراج الأئمة » في تخريج أحاديث « كشف الغمة عن جميع الأمة » » (**لِلإِمَامِ**) الفقيه المحدِّث الصوفي العارف المسلِّك ، العلاَّمة المتبحِّر في علوم الشريعة والحقيقة ، القطب الرباني سيدي أبي المواهب عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي (**ٱلشَّعْرَانِيّ**) نسبة إلى « ساقية أبي شعرة » ؛ من قرى « المنوفية » ، ويقال : « الشعراوي » ، الشافعي الأنصاري ، وذكر في بعض كتبه أنَّه من ذرية محمد بن الحنفية أفضلِ أولاد سيدنا عليٍّ بعد السبطين رضي الله تعالى عنهم .

ولد سنة : ـ ٨٩٨ ـ ثمان وتسعين وثمانمائة في « قلقشندة » بمصر ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحُبب إليه الحديث فلازم الاشتغال به ، ومع ذلك لم

١١ ـ « طَبَقَاتُ ٱلأَوْلِيَاءِ » .

١٢ ـ وَ« كُنُوزُ ٱلْحَقَائِقِ » لِلإِمَامِ ٱلْمُنَاوِيِّ .

يكن عنده جمودُ المحدِّثين ، وأخذ عن مائتي شيخ ، وأخذ الطريق عن نحو مائة شيخ ، اطَّلع على سائر أدلَّة المذاهب غالباً ؛ المستعملة والمندرسة ، وعَلِمَ استنباط كلِّ مذهب منها لكثرة محفوظاته .

وتآليفه تزيد على ثلاث مائة كتاب في علوم الشريعة وآلاتها ، وكان جيِّد النظر ، صوفي الخبر ، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف ، وكان مواظبا على السنَّة ، مجانباً للبدعة ، مبالغاً في الورع ؛ مؤثِراً لذي الفاقة على نفسه .

وتوفي في سنة : ـ ٩٧٣ ـ ثلاث وسبعين وتسعمائة هجرية . رحمة الله تعالى عليه .

« **طَبَقَاتُ ٱلأَوْلِيَاءِ** » الكبرى المسمى : « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » ابتدأها بمقدِّمة في كرامات الأولياء ، ثم أتبع ذلك بثمانية أبواب في سيرة رسول الله ﷺ ، ثم بالخلفاء الراشدين ، يلي ذلك تراجم الصوفية : في عشر طبقات لكل مائة سنة طبقةٌ ؛ مرتبا على حروف المعجم .

(« **وَكُنُوزُ ٱلحَقَائِقِ**) في حديث خير الخلائق » ؛ فيه عشرة آلاف حديث في عشرة كراريس ، في كلِّ كراسة ألف حديث ، وفي كل ورقة مائة حديث ، مرتَّباً على حروف المعجم ، لكن من غير ذكر للصحابي الراوي للحديث ، وهو مشحونٌ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وفي رموزه بَعض تحريف يغلب على الظنِّ أنه من النُّسَّاخ .

وهذان الكتابان كلاهما (**لِلإِمَامِ**) الكبير الحجة الثَّبْت ، القدوة العلاَّمة الحافظ : عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الملقب « زين الدين الحدادي » (**ٱلمُنَاوِيّ**) ـ بضم الميم ، نسبة إلى « مُنية بن حصيب » ـ القاهري الشافعي ، صاحب القلم السيَّال والتصانيف السائرة ، أَجلُّ أهل عصره من غير ارتياب .

وكان إماماً فاضلاً ، زاهداً عابداً ، قانتاً لله خاشعاً له ، كثير النفع ، وكان متقرباً

يحسن العمل ، مثابراً على التسبيح والأذكار ، صابراً صادقاً . وكان يقتصر يومَه وليلته على أكلة واحدة من الطعام . وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره .

ومن مشايخه : الشمس الرملي ، والشعراني ، والنجم الغيطي . وحضر دروس الأستاذ سيِّدي محمد البكري في التفسير والتصوف .

وكانت ولادته في سنة : ـ ٩٥٢ ـ اثنتين وخمسين وتسعمائة هجرية ، ووفاته في صفر سنة : ـ ١٠٣١ ـ إحدى وثلاثين وألف هجرية يوم الخميس ، وصُلِّي عليه يوم الجمعة بالجامع الأزهر . رحمه الله تعالى . آمين .

(**حَاشِيَةُ ٱلشَّمَائِلِ**) الترمذية المسماة « المواهب اللَّدُنِّيَّة على الشمائل المحمدية » (**لِشَيْخِ مَشَايِخِيْ**) الذين منهم الشيخ إبراهيم السَّقَّا ، والشيخ عبد الرحمن الشربيني ، والشيخ محمد شمس الدين الأنبابي ، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري رحمهم الله تعالى . آمين .

(**أُسْتَاذُ ٱلأُسْتَاذِيْنِ**) ، قال في « شرح القاموس » : لفظ « الأستاذ » من الألفاظ الدائرة المشهورة التي ينبغي التعرُّض لها وإيضاحها ؛ وإن كان أعجميا . وكون الهمزة أصلا هو الذي يقتضيه صنيع الشهاب الفيُّومي ، لأنه ذكره في الهمزة ، وقال : الأُستاذ كلمة أعجمية ، ومعناها : الماهرُ بالشيء العظيم ، وفي « شفاء العليل » : ولم يوجد في كلام جاهلي . والعامة تقوله بمعنى الخَصيّ ، لأنه يؤدِّب الصغار غالباً .

وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب له سمَّاه « المطرب في أشعار أهل المغرب » : الأُستاذ كلمة ليست بعربية ، ولا توجد في الشعر الجاهلي ، واصطلحت العامة إذا عَظَّموا المحبوب أن يخاطبوه بـ« الأستاذ » .

وإنما أخذوا ذلك من الماهر بصنعته !! لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدِّبُهُم ، فكأنه أستاذ في حسن الأدب ؛ حدثنا بهذا جماعة ببغداد ، منهم أبو الفرج ابن

الجوزي ؛ قال : سمعته من شيخنا اللُّغوي أبي منصُور الجواليقي في كتابه « المُعَرَّب » من تأليفه . قاله شيخنا رحمه الله تعالى . انتهى .

(خَاتِمَةِ) ـ أي : آخر ـ (ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْعَامِلِيْنَ) بعلمهم ؛ بملازمة الاستقامة والأخذ بالعزائم حسب الاستطاعة ، أي : أنَّه محافظ على العمل بالعلم زيادة على غيره ، فلا ينافي أن غيرَه من العلماء يعملون بعلمهم ، ولا يخلو عالِمٌ من العمل بالعلم ، ولو لم يكن من ذلك إلاّ معرفته بالمعصية : أنَّها معصية إذا وقع فيها ، وهذا أَقلُّ فائدة العلم . بخلاف الجاهل ، فإنه قد يفعل المعصية وهو يعتقدها طاعة يحتسب عليها الثواب ؛ كالذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

قال العارف الشعراني في « البحر المورود » : كان سيِّدي عليّ الخوَّاص يقول : قم لأهل العلم مطلقا ، فإنَّه لا يوجد لنا عالم إلاّ وهو عامل بعلمه ، وذلك لأنَّه إذا زَلَّ يعرف أَنَّه عصى الله تعالى ؛ فيستغفر الله تعالى ويندم ويتوب ، فقد عمل بعلمه ، ولو أنه كان جاهلاً ما اهتدى للتوبة ، فلولا علمُه ما كان تاب ، فقد نفعه علمه .

انتهى .

(ٱلشَّيْخِ) العلاَّمة : المحقِّق شيخ الجامع الأزهر برهان الدين (إِبْرَاهِيْم) بن محمد بن أحمد (ٱلبَاجُورِيِّ) ـ نسبة إلى « باجور » ؛ قرية من قرى « المنوفية » بمصر ـ .

ولد سنة : ـ ١١٩٨ ـ ثمان وتسعين ومائة وألف هجرية بمصر ، ونشأ بها .

وتعلَّم في الأزهر فأخذ عن مشايخ كثيرين ، منهم : العلاَّمة المحقِّق الشيخ حسن القويسني ، والمحقِّق الشيخ محمد الفضالي ، وكان من العلماء الصالحين والأئمة المحققين في سائر الفنون ، وألَّف المؤلفات النافعة بالعبارة القريبة السهلة مع جودة الإيضاح .

وتقلَّد مشيخة الأزهر سنة : ـ ١٢٦٣ ـ ثلاث وستين ومائتين وألف ، وتخرَّج

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

فَهَـٰذِهِ أُصُولُهُ ، لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا شَيْءٌ مِنْهُ . اَللّٰهُمَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ ٱلْغَرِيبِ ، فَإِنِّي رَاجَعْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْهُ فِيهَا كُتُبَ ٱللُّغَةِ ، وَذَلِكَ نَزْرٌ يَسِيرٌ .

على يده جمع كثير من العلماء ، منهم خليفته شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الأنبابي ، ومنهم الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري ، والشيخ إبراهيم السقَّا ، والشيخ عبد الرحمن الشربيني .

واستمر في مشيخة الأزهر إلى أن توفي بالقاهرة سنة : ـ ١٢٧٧ ـ سبع وسبعين ـ بتقديم المهملة على الموحدة ـ ومائتين وألف هجرية . رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

(رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنهُم أَجْمَعِيْنَ) ، ونفعنا بعلومهم ، وأعاد علينا من فُهُومهم . آمين .

(فهٰذِهِ) الكتب (أُصُولُهُ) التي يستند إليها ، والأصول : جمع أصل ؛ وهو أسفل الشيء . يقال : قعد في أصل الجبل وأصل الحائط ، وقلع أصل الشجرة . ثم كَثُر حتَّى قيل : أصل كل شيءٍ ما يستندُ وجود ذلك الشيء إليه . فالأبُ أصل للولد ، والنهر أصل للجدول ؛ قاله الفيومي .

(لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا شَيْءٌ مِنْهُ) يعني : أنَّ ما فيه هو موجود في هذه الكتب (اَللّٰهُمَّ ؛ إلاَّ أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ) الخارج (فِي تَفْسِيْرِ ٱلْغَرِيْبِ) من الألفاظ بحيث لم يوجد في هذه الكتب ، وذلك نادرٌ ؛ (فَإِنِّيْ رَاجَعْتُ فِيْمَا) أي : غريب الألفاظ الذي (لَمْ أَجِدْهُ) ؛ أي : لم أجد شرح معناه (فِيْهَا) أي : هذه الكتب الأصول راجعت (كُتُبَ ٱللُّغَةِ) ، مفعول « راجعت » ؛ أي : بحثت عن معناه في كتب اللغة كـ« النهاية » لابن الأثير ، و« لسان العرب » لابن منظور ، (وَذٰلِكَ) ـ أي : الذي لم أجِدْه في الأُصول (نَزْرٌ) ـ أي : قليل ـ (يَسِيْرٌ) جِدّاً .

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي بَعْضِ « ٱلشَّمَائِلِ » ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ رَاوِي ٱلْحَدِيثِ وَٱلإِمَامِ ٱلْمُخَرِّجِ لَهُ ، وَفِي بَعْضِهَا ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ فَقَط ، وَلَمْ أَذْكُرْ فِي بَعْضِهَا غَيْرَ مَتْنِ ٱلْحَدِيثِ تَابِعاً فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ٱلأُصُولَ ٱلْمَذْكُورَةَ .

تنبيه : تستعمل « اَللَّهُمَّ » على ثلاثة أوجه ؛

أحدها : النداء المحض ، وهو المعروف في كتب النحو .

ثانيها : أن يذكرها المجيبُ تمكيناً للجواب في ذهن السامع ؛ نحو « اللهم نعم » ، في جواب : أزيدٌ قائم ؟ ومنه قوله ﷺ : « اَللَّهُمَّ ؛ نَعَمْ » . في جواب ضمام لَمَّا سأله بقوله : أسألُك بربِّك وربِّ مَن قبلك ، آلله أَرسلك إلى الناس كافة ؟! آلله أمرك أن تصلي هذه الصلواتِ ؟! . . . إلى آخر أسئلته . وفي كلِّها يجيبُه ﷺ بقوله : « اَللَّهُمَّ نعَم » .

الثالث : أن تُستعمل دليلاً على النُّدرة وقِلَّة الوقوع ؛ أو بُعْدِه ، نحو : « أنا أزورُك اللهم ؛ إذا لم تَدعُني » . إذِ الزيارة مع عدم الطلب قليلةٌ . ومنه قول المؤلفين « اَللّهم ؛ أن يقال كذا » . قيل : وهي على هذين موقوفة ؛ لا معربة ، ولا مبنية ؛ لخروجها عن النداء . فهي غير مركَّبة ، لكن استظهر الصَبَّان بقاءَها على النداء مع دلالتها على التمكين ، أو الندرة ، فتكون معربة كالأوَّل . ولو سُلِّم ! فيقال إنَّه منادَىٰ صورةً ؛ فله حكمه . والله أعلم ؛ قاله « الخضري على ابن عقيل » .

(**وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي بَعْضِ**) هذا الكتاب (« **ٱلشَّمَائِلِ** » **ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ رَاوِيْ ٱلحَدِيْثِ**) كابن عباس وأنس وأبي هريرةَ (**وَ**) ذكرت (**ٱلإِمَامِ ٱلمُخَرِّجِ**) ـ بضم الميم ـ (**لَهُ**) . أي : للحديث ؛ كالبخاريِّ ومسلم ، (**وَ**) ذكرت (**فِي بَعْضِهَا ٱسْمَ ٱلصَّحَابِيِّ فَقَط**) بدون ذكر اسم الإمام المخرج للحديث ، (**وَلَمْ أَذْكُرْ فِيْ بَعْضِهَا غَيْرَ مَتْنِ ٱلحَدِيْثِ**) مقتصراً عليه بدون ذكر الصحابي ؛ ولا غيره (**تَابِعَاً فِي جَمِيْعِ ذٰلِكَ ٱلأُصُوْلَ**) التي هي الكتب (**ٱلمَذْكُورَةَ**) آنفاً . والمصنِّف لم يتبع الأصول المذكورة فيما ذكر ، فإنَّه حذف كثيراً من أسماء الرواة المخرجين الذين وَعَدَ بهم ؛ إيثاراً

وَقَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَىٰ مُقَدِّمَةٍ ، . . . .

للاختصار ولاسيما فيما أَوَّله : كان رسول الله ﷺ متَّصفا بكذا ؛ أو يفعل كذا . فإنه جعل ذلك أوَّل الكلام وحَذَف اسم راوي الحديث ، ومخرِّجه ؛ اعتماداً على ما ذكَره في الخطبة من الكتب التي نقل الأحاديث منها ، فيلزم حذف قوله « تابعاً في جميع ذلك الأصول المذكورة » ؛ نبَّه عليه المصنف رحمه الله تعالى نفسُه في طُرَّة بعض مؤلفاته .

(**وَقَدْ رَتَّبْتُهُ**) أي : الكتاب ؛ أي المقصود منه بالذات ، فلا يُنافي أنَّ الخطبة مقصودة . والترتيب ـ لغةً ـ : جعل كلّ شيء في مرتبته ، و ـ عرفا ـ : جعل الأشياء الكثيرة بحيث يُطلق عليها اسم الواحد ، ويكون لبعض أجزائه نسبةٌ إلى بعضها بالتقدُّم والتأخر . والمراد أَلَّفْتُهُ مرَّتباً حال كونه مشتملاً (**عَلَىٰ مُقَدِّمَةٍ**) : ما يذكر قبل الشروع في المقاصد ، وهي بكسر الدال وفتحها ، فإن كَسَرْتَها ؛ ـ وعليه اقتصر السعد في « شرحَي التلخيص » ـ فإمَّا مِن « قدَّم » اللازم مثقَّلا ـ من باب التفعيل ـ بمعنى « تقدَّم » ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ [الحجرات/ ١] !! ، أي : لا تتقدموا . وإمَّا مِن « قدَّم » المتعدي مثقَّلا أيضا ، والمفعول هو نفسُها ، لأنها اشتملت على أمور تقتضي تقديمَها ، أو المفعول هو قارئها وعارفها . وإن فَتَحتَ الدَّال ؛ فهي اسم مفعول من « قدَّم » المتعدي مثقَّلاً أيضاً . لكن الكسر أحسنُ ؛ لإشعاره بأن التقديم لها ذاتيٌّ ؛ لا جعلي ، ولأجل هذا ـ والله أعلم ـ اقتصر عليه السعد . وصرَّح الجلال المحلي في شرح « جمع الجوامع » بأن فتح الدال فيها قليلٌ .

واعلم أنَّ المقدمة ؛ إمَّا مقدمة علم ، وإما مقدِّمة كتاب .

فمقدمة الكتاب تطلق على طائفة من كلامه ؛ قُدِّمَتْ أمام المقصود لارتباطٍ بها وانتفاع بها فيه .

ومقدمة العلم تطلق على أمور يتوقَّف الشروع في العلم بالبصيرة على معرفتها ، كحدِّه ، وموضوعه ، وغايته ؛ كما أفاده السعد في « المطوَّل » و« المختصر » .

فمقدمة الكتاب : اسم للألفاظ المخصوصة الدالَّة على المعاني المخصوصة ،

وَثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ ، وَخَاتِمَةٍ .

اَلْمُقَدِّمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَنْبِيهَيْنِ :

ـ اَلتَّنْبِيهُ ....

ومقدّمة العلم : اسمٌ للمعاني المخصوصة . فبين المقدمتين التباينُ ، أي : باعتبار الحقيقة والتعقُّل ، وأما باعتبار المصدوق الخارجي ، فبينهما العموم والخصوص بإطلاق ، فمقدِّمة العلم أعمُّ ، فكل مقدِّمةِ علمٍ فهي مقدمة كتاب ، ولا عكس . فمقدِّمة كتابنا هذا هي مقدِّمةُ علم ، لأنه يُنتفع بها في هذا الكتاب وغيرِه من كلِّ ما أُلِّف في فنه ، وهي مقدمة كتاب أيضا ، لأن هذا الكتاب مؤلَّف في ذلك الفن الذي جُعِلَتْ مقدمة له .

ومقدمةُ الإمام النووي في « المنهاج » الذي أشار لها بقوله : فحيث أقول « في الأظهر » أو « المشهور » فمن القولين أو الأقوال . . الخ ما قال ، هي مقدمةُ كتاب فقط ، لأنه إنما ينتفع بها في ذلك الكتاب الذي هو « المنهاج » ، ولا ينتفع بها في غيره من الكتب المؤلفة في فن الفقه ، إذ لم يُلتزَم فيها اصطلاح « المنهاج » ، وهناك أبحاث تتعلَّق بنسبة ما بين المقدمتين فراجعها إن شئت .

(**وَثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ**) عدد أبواب الجنة ، وحَرِيٌّ به أن يقال فيه :

هٰـذَا ٱلْكِتَـابُ جَنَّـةٌ ... أَبْـوَابُهَـا ثَمَـانِيَـهْ
أَمَـا تَـرَاهَـا وَهِـيَ لاَ ... تَسْمَـعُ فِيْهَـا لاَغِيَـهْ !!

(**وَخَاتِمَةٍ**) ، الخاتمة ـ في الأصل ـ : وصف ؛ أي مسائل خاتمة . لكن صارت علماً بالشخص على المسائل المذكورة فيها .

(**ٱلْمُقَدِّمَةُ**) المذكورة ـ فـ« أل » للعهد الذكري ـ (**تَشْمَلُ**) أي : تحتوي (**عَلَىٰ تَنْبِيهَيْنِ**) اثنين .

(**اَلتَّنْبِيهُ**) هو ـ لغة ـ : الإيقاظ . وقال الجرجاني : هو ـ لغة ـ : الدلالة عما غفل عنه المخاطَب . و ـ في الاصطلاح ـ : ما يُفهم من مجملٍ بأدنى تأمُّل إعلاماً بما

ٱلأَوَّلُ : فِي مَعْنَىٰ لَفْظِ ٱلشَّمَائِلِ .

ـ وَٱلتَّنْبِيهُ ٱلثَّانِي : فِي ٱلْفَوَائِدِ ٱلْمَقْصُودَةِ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱلْبَابُ ٱلأَوَّلُ : فِي نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ، وَفِيهِ فَصْلاَنِ :

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي نَسَبِهِ ٱلشَّرِيفِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي أَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱلْبَابُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ :

في ضمير المتكلِّم للمخاطَب . وقيل : التنبيه قاعدةٌ تعرف بها الأبحاث الآتية مجملة . انتهى .

(**ٱلأَوَّلُ** : **فِي مَعْنَىٰ لَفْظِ ٱلشَّمَائِلِ**) لغةً واستعمالاً . (**وَٱلتَّنْبِيهُ ٱلثَّانِيْ** : **فِي**) ذكر (**ٱلفَوَائِدِ ٱلمَقْصُوْدَةِ**) بالذَّات (**مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ** ﷺ) ، ليكون ذلك من أكبر الدواعي إلى صرف العناية إليها ، والاهتمام بها .

(**ٱلْبَابُ ٱلأَوَّلُ** : **فِي**) ذكر (**نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ** ﷺ **وَأَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ**) المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة ، (**وَفِيْهِ**) أي : هذا الباب (**فَصْلاَنِ** :

ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : **في**) ذكر (**نَسَبِهِ ٱلشَّرِيْفِ**) الذي طَهَّره الله من سِفاح الجاهلية ، والذي هو أشرف الأنساب ، فهو (ﷺ) سلالةُ آباءٍ كرام .

(**ٱلفَصْلُ ٱلثَّانِيْ** : **فِي**) ذكر (**أَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ** ﷺ) مع ذكر مَن اعتنى بجمعها وألَّف فيها من العلماء .

(**ٱلبَابُ ٱلثَّانِي** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُوْلِ ٱللهِ** ﷺ) أي : كون أجزاءِ بدنه تامَّة معتدلةَ المقادير ، (**وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ**) القائمة به ، (**وَفِيْهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ** :

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي جَمَالِ صُورَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاشَاكَلَهَا .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ بَصَرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱكْتِحَالِهِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ شَعْرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَيْبِهِ وَخِضَابِهِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ عَرَقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَائِحَتِهِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ طِيبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَطَيُّبِهِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ صَوْتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي) ذكر (جَمَالِ صُوْرَتِهِ) ؛ أي : حُسْنها الظاهر في جسده بتناسب أعضائه ، وصفاء لونه ، واعتدال قدِّه (ﷺ وَمَا شَاكَلَهَا) . وقيل : المراد حسن وجهه ، وحسن الصورة أمرٌ محمودٌ يدلُّ على حسن السريرة ، ويُمدح به كُمَّلُ الرجال .

(الفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ بَصَرِهِ ﷺ) ، لكونه يرىٰ مَن خلفَهُ كما يرى مَن أمامَه ؛ ونحو ذلك . (وَ) بيان صفة (اكْتِحَالِهِ) ؛ أي : استعماله الكُحل . وما يتعلَّق بذلك .

(ٱلفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ شَعْرِهِ ﷺ) ؛ أي : مقداره ؛ طولاً ، وكثرةً ، وغير ذلك . (وَ) في بيان ما ورد في (شَيْبِهِ وَخِضَابِهِ) أي : تلوين الشعر ، (وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ) من الترجيل والادِّهان .

(الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ عَرَقِهِ) ـ بفتح العين والراء ـ أي : رشح بدنه (ﷺ) لوناً وريحاً وكثرة . (وَ) صفة (رَائِحَتِهِ ٱلطَّبِيْعِيَّةِ) من غير أن يَمَس طيباً .

(الفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ طِيْبِهِ ﷺ وَتَطَيُّبِهِ) ؛ أي : استعماله الطِّيب وما يلحق بذلك .

(الفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ صَوْتِهِ ﷺ) من كونه حَسَناً يبلغ حيث لا يبلغ صوتُ غيره .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ : فِي صِفَةِ غَضَبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرُورِهِ .
ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ : فِي صِفَةِ ضَحِكِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُكَائِهِ وَعُطَاسِهِ .
ـ اَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ : فِي صِفَةِ كَلاَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُكُوتِهِ .
ـ اَلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ : فِي صفَةِ قُوَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

اَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ لِبَاسِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِرَاشِهِ وَسِلاَحِهِ ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ :

(**اَلفَصْلُ ٱلسَّابِعُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ غَضَبِهِ ﷺ وَسُرُورِهِ**) ، من كونه يُرىٰ رضاه وغضبه في وجهه ؛ فصَفاء بشرته ، وكونه إذا غضب احمرَّت وجنتاه . . . ونحو ذلك .

(**اَلفَصْلُ ٱلثَّامِنُ** : **في**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ ضَحِكِهِ ﷺ**) ؛ لكونه جُلُّ ضَحِكِهِ التبسُّمُ ، (**وَبُكَائِهِ**) ؛ من كونه لَيْسَ بشهيق ورفع صوت ، بل بدمع العين ، (**وَعُطَاسِهِ**) ـ بضم العين المهملة : على وزن غُراب ـ .

(**اَلفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ كَلاَمِهِ ﷺ**) أي : تَكَلُّمه ، أو ما يتكلَّم به ، ويصحُّ إرادة كلٍّ منهما ، (**وَ**) صفة (**سُكُوتِهِ**) ككونه كثير السكوت لا يتكلَّم في غير حاجة ونحو ذلك .

(**اَلفَصْلُ ٱلعَاشِرُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ قُوَّتِهِ**) واحدة القُوَىٰ ، مثل غرفة وغُرَف ، وذلك ككونه (ﷺ) تامَّ القوة في الجماع وغيره ، شديدَ البطش عند الاحتياج إلى ذلك .

(**اَلبَابُ ٱلثَّالِثُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ لِبَاسِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ**) من قميص وإزار وعمامة وغيرها ، (**وَ**) صفة (**فِرَاشِهِ**) ـ بكسر الفاء ـ وخاتَمِهِ ونعله ، (**وَ**) في صفة (**سِلاَحِهِ**) ـ بكسر السين ـ كالحربة والرمح والسيف ، (**وَفِيْهِ سِتَّةُ فُصُولٍ** :

- ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي صِفَةِ لِبَاسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مِن قَمِيصٍ وَإِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَقَلَنْسُوَةٍ وَعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ فِرَاشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُنَاسِبُهُ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ خَاتَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ نَعْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُفِّهِ .

(**ٱلْفَصلُ ٱلأَوَّلُ**: **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ لِبَاسِهِ** ﷺ) ـ بوزن كتاب ـ : ما يُلبس .

(**مِنْ قَمِيْصٍ**) : اسم لما يُلبس من المخيط الذي له كُمَّانِ وجَيْبٌ ويُسلك به في العنق ، (**وَإِزَارٍ**) : ما يَسترُ أسفلَ البدن ، (**وَرِدَاءٍ**) : ما يَستر أعلاه .

(**وَقَلَنْسُوَةٍ**) ـ بفتح القاف واللام ؛ وسكون النون ، وضمِّ المهملة ، وفتح الواو ـ : غشاءٌ مبطَّنٌ يَستُر الرأس، ويقال لها في عرفنا : «طاقيَّة»؛ أو «كوفيَّة»، (**وَعِمَامَةٍ**) : كلُّ ما يُلَف على الرأس (**وَنَحْوِهَا**) ، أي : المذكورات : كجُبَّة ، وبُرْد .

(**الفَصْلُ ٱلثَّانِيْ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ فِرَاشِهِ** ﷺ) ـ بكسر الفاء ـ بمعنى مفروش ؛ كـ« كتاب » بمعنى مكتوب ، وهو : اسم لما يُفرش كاللباس لما يلبس .
(**وَ**) ذِكْر (**مَا يُنَاسِبُهُ**) ؛ أي : الفراش كالوسادة والدِّثار .

(**الفَصْلُ الثَّالِثُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ خَاتِمِهِ**) ـ بفتح التاء وكسرها ـ وفيه صفةُ تختُّمه (ﷺ) ، أي : لبسه الخاتم . والمراد بالخاتم : الطابع الذي كان يَخْتِمُ به الكتب ، لا خاتمَ النبوة ، فإنَّه البَضعة الناشزة بين كتفيه ، وليس مراداً هنا .

(**الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ نَعْلِهِ** ﷺ) وكيفية لُبسه إياها ، والنعل : كلُّ ما وُقِيَت به القدم عن الأرض ، وهو مؤنث ، وربَّما ذُكِّر باعتبار الملبوس ، لأنَّ تأنيثه غيرُ حقيقي . والنعل لا يَشمل الخُفَّ عُرفا ؛ فلذلك أفرده بترجمة ؛ فقال : (**وَ**) في بيان ما ورد في صفة (**خُفِّهِ**) ﷺ ، والخفُّ معروف ،

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ سِلاَحِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : كَانَ مِنْ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَمِّيَ سِلاَحَهُ وَدَوَابَّهُ وَمَتَاعَهُ .

ٱلْبَابُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ أَكْلِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ :

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي صِفَةِ عَيْشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُبْزِهِ .

جمعه : خفاف ؛ كـ« رُمْح ورِمَاح » .

(**ٱلفَصْلُ ٱلخَامِسُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ سِلاَحِهِ** ﷺ) والسلاح : آلة الحرب ، فكلُّ عُدَّةٍ للحرب فهو سلاح ، ويُطلق السلاح على السيف وحدَه .

(**ٱلفَصْلُ ٱلسَّادِسُ** : **كَانَ مِن خُلُقِهِ** ﷺ **أَنْ يُسَمِّيَ سِلاحَهُ**) ، كدرعه « ذات الفضول » و« ذات الوشاح » . (**وَ**) أن يسمِّي (**دَوَابَّهُ**) ؛ جمع دابَّة ، وهي ـ لغةً ـ : كلُّ ما يَدِبُّ على الأرض ، خَصَّها العرفُ العامُّ بذوات الأربع ، (**وَ**) أن يسمِّي (**مَتَاعَهُ**) المتاع ـ في اللغة ـ : كلُّ ما ينتفَع به ؛ كالطعام والبز ، وأثاث البيتْ . وأصل المتاع : ما يتبلغ به من الزاد ، وهو اسم من « مَتَّعْتَهُ » بالتثقيل : إذا أعطيتَه ذلك ، والجمع أمتعة .

(**البَابُ ٱلرَّابِعُ**) من الكتاب (**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ أَكْلِ رَسُوْلِ ٱللهِ** ﷺ) وإدامه ، والأَكل ـ بفتح الهمزة ـ : إدخال الطعام الجامد من الفم إلى البطن ، سواء كان بقصد التغذِّي ، أو غيره كالتفكُّه . (**وَ**) في بيان ما ورد في صفة (**شُرْبِهِ**) أي : كيفية شربه ، وفيه ذكرُ شرابه . (**وَ**) بيان ما ورد في صفة (**نَوْمِهِ**) ﷺ ، والنوم : حالة طبيعية تتعطَّل معها القوى تسير في البخار إلى الدماغ . (**وَفِيْهِ سِتَّةُ فُصُوْلٍ**) ستأتي .

(**ٱلفَصْلُ ٱلأَوَّلُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ عَيْشِهِ** ﷺ) أي : كيفية معيشته حال حياته إلى وقت مماته . (**وَ**) في بيان ما ورد في صفة (**خُبْزِهِ**) ـ بضم الخاء

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ أَكْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِدَامِهِ .
ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ٱلطَّعَامِ وَبَعْدَهُ .
ـ ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ فَاكِهَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ـ ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ شَرَابِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدَحِهِ .
ـ ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ نَوْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المعجمة وإسكان الباء ـ : الشيء المخبوز ، أي اسم ما يؤكل من نحو بُرٍّ .

(**الفَصْلُ الثَّانِي** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ أَكْلِهِ** ﷺ) من الأخباز ، (**وَ**) في بيان ما وردَ في (**إِدَامِهِ**) ﷺ ، والإدام ـ بكسر الهمزة ـ : ما يساغ به الخبز ويصلح به الطعام ، فيشمل الجامد كاللحم والجبن بحسب اللغة ؛ لا العرف .

(**الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ** : **فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ** ﷺ) ؛ أي : في بيان الأخبار الواردة في الذكر الذي كان يقوله ﷺ (**قَبْلَ ٱلطَّعَامِ**) ؛ وهو التسمية ، (**وَبَعْدَهُ**) ؛ أي : بعد الفراغ من الطعام ، وهو الحمدلة ، ومثل الطعام الشراب .

(**الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ فَاكِهَتِهِ** ﷺ) والفاكهة : ما يُتَفكَّه ـ أي : يتنعَّم ويتلذَّذ ـ بأكله ؛ رَطْباً كان أو يابساً ، كتين وعنب ورُطَب وزبيب ورُمَّان وبِطِّيخ .

(**الفَصْلُ ٱلْخَامِسُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ شَرَابِهِ** ﷺ) ، والشراب : ما يُشرب من المائعات . وفي هذا الفصل بيان الأحاديث التي فيها كيفية شُربه ﷺ . قال في « المصباح » : الشُّرب مخصوص بالمصِّ حقيقة ، ويطلق على غيره مجازاً . (**وَ**) في بيان ما ورد في (**قَدَحِهِ**) ﷺ . والقدح ـ بفتحتين ـ : ما يُشرب فيه ، وهو إناء لا صغير ولا كبير ، وجمعه : أقداح ؛ كـ« سبب وأسباب » .

(**الفَصْلُ السَّادِسُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ نَوْمِهِ** ﷺ) ؛ من كونه على اليمين ، أو غيره ، وقدرِه ووقته ، وما يَرقد عليه ، وما كان يفعله قبل النوم وبعدَه .

ٱلْبَابُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ خُلُقِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمِهِ ، وَعِشْرَتِهِ مَعَ نِسَائِهِ ، وَأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ ، وَحَيَائِهِ وَمِزَاحِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ وَجُلُوسِهِ ، وَكَرَمِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، . . . .

(**البَابَ الخَامِسُ**) من الكتاب (**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) ـ بضم الخاء واللام ـ : الطبع والسجيَّة ، وهو اسم للأوصاف الباطنة . (**وَحِلْمِهِ**) ـ بكسر الحاء المهملة ـ قال في « الشفاء » : هو حالة توقُّر وثبات عند الأسباب المحركات . (**وَ**) صفة (**عِشْرَتِهِ**) ـ بكسر العين المهملة ـ : اسم من المعاشرة والتعاشُر ؛ وهي المخالطة (**مَعَ نِسَائِهِ**) وغيرهم ، (**وَ**) في صفة (**أَمَانَتِهِ**) في كلِّ شيء يحفظه . (**وَ**) صفة (**صِدْقِهِ**) وهو : مطابقة خَبرِهِ للواقع ، (**وَ**) صفة (**حَيَائِهِ**) . قال القاضي عياض في « الشفاء » : الحياءُ رِقَّة تعتري وجهَ الإنسان عند فعل ما يتوقَّع كراهته ، أو ما يكون تركُه خيراً من فعله . (**وَ**) صفة (**مِزَاحِهِ**) ـ بكسر أوله ـ مصدر مازَحَهُ وهو : الانبساط مع الغيرِ من غير إيذاءٍ له فيتولَّد منه الضحك . (**وَ**) صفة (**تَوَاضُعِهِ**) ـ بضم الضاد المعجمة ـ : هضم النفس . قال ملا علي قاري : وهو من المَلَكَات المورثة للمحبَّة الربانية والمودَّة الإنسانية . انتهى . قال بعضهم : ومعنى التواضع عند المحققين : أن لا يرى العبدُ لنفسه قدراً ولا قيمة ولا مزية ، ويرى الحال التي هو فيها أعظمَ من أن يستحقَّها . (**وَ**) صفة (**جُلُوْسِهِ**) ؛ أي : من كونه على شبه الحَبْوة ، وإلى القبلة ، وصفة جلوسه مع أصحابه ، ونحو ذلك . (**وَ**) صفة (**كَرَمِهِ**) ـ بفتح أوَّلَيْه ـ قال في « الشفاء » : هو الإنفاق بطيب نفس فيما يعظمُ خطره ونفعُه . انتهى . أي : فلا يطلق على ما يَحْقُر قدرُه ويقلُّ نفعه . (**وَ**) صفة (**شَجَاعَتِهِ**) ـ مثلث الشين ـ ؛ مصدر شَجُع ـ بالضمِّ ـ شَجَاعة ، وهي ـ كما قال الشامي ـ : انقياد النفس مع قوة غضبيَّة ، ومَلَكة يصدر عنها انقيادها في إقدامها مقدرته على ما ينبغي في زمن ينبغي وحال ينبغي . انتهى .

والشُّجاع ـ بالضم ـ : الشديدُ القلب عند البأس ، المستهينُ بالحروب .

وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُول :

ـ اَلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي صِفَةِ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمِهِ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ عِشْرَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نِسَائِهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُنَّ .

(**وَفِيْهِ**) ـ أي : هذا الباب ـ (**سِتَّةُ فُصُوْلٍ**) ستأتي :

(**الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ خُلُقِهِ** ﷺ) ـ بضمتين ـ حقيقتُه أَنَّه صورة الإنسان الباطنة ؛ وهي نفسُه وأوصافها ومعانيها ، المختصَّة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حَسَنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلَّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلَّقان بأوصاف الصورة الظاهرة ، ولهذا تكرَّرت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع ؛ قاله في « النهاية » .

(وَ) صفة (**حِلْمِهِ**) ـ بكسر الحاء المهملة ـ قال الخفاجي : هو ضبط النفس والطبع عند هَيَجان الغضب ، وعدم إظهاره . انتهى .

وٱعلم أنَّ الحلم من أصحِّ السِّمات على محمود الصفات ، وهو يُدرَك بالتخلُّق وحمل النفس عليه ، فهو مكتسبٌ ؛ كما يدلُّ عليه الحديث : « إِنَّمَا ٱلعِلْمُ بِٱلتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا ٱلحِلْمُ بِٱلتَّحَلُّمِ » . وقال علي رضي الله عنه : مَن حَلُم ساد ، ومن تفهَّم ازداد .

وللحلم عشرة أسباب : رحمة الجُهَّال ، وَالقدرةُ على المعفو عنه ، والترفُّع شرفاً وعلوَّ هِمَّة ، والاستهانة أَنَفة وعجباً ، والحياء ، والفضل ، والاستكفاف ـ أي : جعل السكوت والصبر سببا لكفِّ الجاهل ، وخوف العقوبة ؛ إما لضعف نفس ، أو لرأي وحزم ، ورعاية نعمة أو حرمة ، وتوقع الفرصة دهاءً ومكراً . فإن خلا الحلم عن هذه الأسباب كلّها كان ذُلاً . وكلٌّ واحد منها يحمل على عدم الانتقام في الحال ؛ أو دواماً .

(**الفَصْلُ ٱلثَّانِي** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ عِشْرَتِهِ** ﷺ **مَعَ نِسَائِهِ**) : أزواجه وغيرهن (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُنَّ**)، وقد كان حَسَن العِشْرة معهُنَّ رضوان الله عليهن .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ أَمَانَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِدْقِهِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ : فِي صِفَةِ حَيَائِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِزَاحِهِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ : فِي صِفَةِ تَوَاضُعِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُلُوسِهِ .

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ كَرَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .....

(**الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ أَمَانَتِهِ** ﷺ) في كلِّ شيء ، وكونه موثوقاً به في أموال الناس وأحوالهم ، (**وَ**) مما ورد في (**صِدْقِهِ**) ﷺ ؛ وهو مطابقة خبره للواقع .

(**الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ حَيَائِهِ** ﷺ) ، والحياء هنا بالمدِّ . وأمَّا بالقصر ! فهو بمعنى : المَطَر . والممدود معناه ـ في الشرع ـ : خُلُقٌ يبعث ـ أي : يحملُ ـ مَن قام به على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حقِّ ذي الحقِّ . (**وَ**) صفة (**مِزَاحِهِ**) ـ بكسر أوَّله مصدر مازَحَهُ ؛ فهو بمعنى الممازحة ـ وهو الانبساط مع الغير من غير إيذاءٍ له . وبه فارَقَ الاستهزاء والسخرية .

(**الفَصْلُ ٱلخَامِسُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ تَوَاضُعِهِ** ﷺ) ـ بضمِّ الضاد المعجمة ـ : أي تذلُّله وخشوعه ؛ قاله الباجوري . وقال ابن القيم : التواضع انكسارُ القلب لله ، وخفضُ جناح الذلِّ والرحمة للخلق حتى لا يَرى له على أحدٍ فضلاً ، ولا يَرى له عند أحدٍ حقّاً ، بل ويرى الحقَّ لذلك الأحد . انتهى ؛ نقله الزرقاني . (**وَ**) صفة (**جُلُوسِهِ**) ككَوْنه محتبياً ، ومتوفِّزاً ، ومستقبل القبلة ، ونحو ذلك .

(**الفَصْلُ ٱلسَّادِسُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ كَرَمِهِ** ﷺ) ، والكرمُ والجود والسخاء معانيها متقاربةٌ ، وبعضهم جعل بينها فرقاً ؛ فقال :

الكَرَم ـ بفتحتين ـ : الإنفاق بطيب نفس فيما يَعظُم خطره .

والجود : إعطاء ما ينبغي شرعاً لمن ينبغي أن يُعطَىٰ ؛ لاستحقاقه لأجل الصفة القائمة به ؛ كالفقر .

وَشَجَاعَتِهِ .

ٱلْبَابُ ٱلسَّادِسُ : فِي صِفَةِ عِبَادَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلاَتِهِ . وَصَوْمِهِ ، وَقِرَاءَتِهِ ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ .

- ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي صِفَةِ عِبَادَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلاَتِهِ .
- ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي صِفَةِ صَوْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والسَّخاء : سهولةُ الإنفاق ، وتجنُّب اكتسابِ ما لا يحمد من الصنائع المذمومة ؛ كالحجامة ، وأكل ما لا يحلّ ، مأخوذ من الأرض السَّخَاويَّة ؛ وهي الرخوة اللينة ، ولذا وُصِفَ الله تعالى بـ« جواد » دون « سخي » . وقيل ـ في الثلاثة ـ غير ما ذكرنا . والله أعلم .

(وَ) في بيان ما ورد في صفة (**شَجَاعَتِهِ**) ـ مثلث الشين المعجمة ـ : مصدر شجُع ـ بالضمِّ ـ شجاعة ؛ فهو شجيع وشجاع ـ بضم الشين ـ وبنو عقيل تفتحها ؛ حملا على نقيضه ، وهو جَبَان . وبعضهم كَسَرها للتخفيف ؛ فراراً مِن توالي حركات متوالية من جنس واحد .

(**البَابُ ٱلسَّادِسُ**) من الكتاب (**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ عِبَادَةِ رَسُولِ ٱللهِ** ﷺ) قال الباجوري : العبادةُ : أقصى غاية الخضوع والتذلُّل . وتُعورفت في الشرع فيما جُعل علامةً على ذلك ؛ من صلاة وصوم وجهاد وقراءة وغير ذلك . انتهى .

والمراد بالعبادة هنا : ما هو أعمُّ من العبادات الظاهرة والباطنة ؛ كالتفكُّر والخوف والخشية ، فلذا عَطَف عليها قولَه (وَ) صفة (**صَلاَتِهِ**) ، من عطف الخاصِّ على العامِّ للاهتمام ، لأنها عمود الإسلام ، وكذا قولُه (وَ) صفة (**صَوْمِهِ وَقِرَاءَتِهِ**) ﷺ ، (**وَفِيْهِ**) أي : هذا الباب (**ثَلاَثَةُ فُصُولٍ**) يأتي بيانها :

(**الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ عِبَادَتِهِ** ﷺ) ـ بكسر العين وتخفيف الموحدة ـ (**وَ**) صفة (**صَلاَتِهِ**) النافلة كمّاً وكيفاً .

(**الفَصْلُ ٱلثَّانِي** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ صَوْمِهِ** ﷺ) ، والصوم والصيام

ـ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي صِفَةِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ٱلْبَابُ ٱلسَّابِعُ : فِي أَخْبَارٍ شَتَّىٰ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ كَانَ يَقُولُهَا فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَثَلاَثِ مِئَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

كلاهُما مصدر لِـ«صَامَ» ؛ فهما بمعنى واحد ، وهو ـ لغةً ـ : الإمساكُ ؛ ولو عن الكلام ، و ـ شرعاً ـ : الإمساكُ عن المفطِّرات جميع النهار بنيَّة ، والمراد به هنا ما يشمل الفرض والنفل .

(**الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ قِرَاءَتِهِ** ﷺ) للقرآن . والمرادُ بصِفة القراءة : الترتيل ، والمدُّ ، والوقف ، والإسرار ، والإعلان ، والترجيع وغيرها .

(**البَابُ السَّابِعُ**) من الكتاب (**فِي**) ذكر (**أَخْبَارٍ**) ـ بالتنوين ـ جمع خبر ؛ وهو مرادف للحديث . وقيل : الحديث ما جاء عن النبي ﷺ ، والخبر : ما جاء عن غيره ، ومِن ثَمَّ قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكَلَها « الأخباري » ، ولمن يشتغل بالسنة النبوية « المحدِّث » . (**شَتَّىٰ**) ـ بتشديد المثناة الفوقية ـ : جمع شتيت ؛ كـ(مريض ومرضىٰ) ، أي : متفرِّقة مختلفة (**مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ ٱللهِ** ﷺ) كالكلام على فضلاته وريقه ، وكونه وُلِدَ مختوناً ، (**وَ**) في ذكر (**بَعْضِ أَذْكَارٍ**) بالتنوين ـ جمع ذِكْر ـ وهو لغة : كلُّ مذكور ، وشرعاً : قول سِيْقَ لثناءٍ ؛ أو دعاء . وقد يستعمل شرعاً أيضا لكلِّ قول يُثاب قائله . (**وَ**) ذكر بعض (**أَدْعِيَةٍ**) جمع دعاء ، وهو : الطلب على سبيل التضرُّع . وقيل : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات . (**كَانَ يَقُولُهَا**) ؛ أي : هذه الأذكار والأدعية (**فِي أَوْقَاتٍ**) وحالات (**مَخْصُوصَةٍ**) ؛ كعند رؤية الهلال ، وسماع الرعد ، وإذا عصفت الرياح ، ونحو ذلك ، (**وَ**) في ذكر (**ثَلاَثِ مائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً**) مرتَّبة على حروف المعجم . وخُصَّ هذا العدد ! لأنه عِدَّة أصحاب طالوت ، وعدَّة أهل بدر رضوان الله عليهم (**مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ** ﷺ) ؛ من إضافة الصفة للموصوف ، أي : كَلِمه الجوامع ،

وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ :

ـ اَلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي أَخْبَارٍ شَتَّىٰ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي بَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ كَانَ يَقُولُهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي ثَلاَثِ مِئَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ حَدِيثاً مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

اَلْبَابُ ٱلثَّامِنُ: فِي طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسِنِّهِ وَوَفَاتِهِ، وَرُؤْيَتِهِ

وهي ما قلَّ لفظُه وكثُر معناه، أو التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة.

(**وَفِيْهِ**) ؛ أي : هذا الباب (**ثَلاَثَةُ فُصُولٍ**) تأتي :

(**الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ** : **فِي**) ذكر (**أَخْبَارٍ شَتَّىٰ**) ؛ أي : مختلفة (**مِنْ أَحْوَالِهِ** ﷺ) القولية والفعلية والخلقية .

(**الفَصْلُ ٱلثَّانِيْ** : **فِي**) ذكر (**بَعْضِ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ**) ـ بالتنوين ـ جمع دعاء ، وهو أفضل من تركه عند جمهور العلماء ، ومن أعظم العبادات (**كَانَ يَقُولُهَا**) ؛ أي : هذه الأذكارَ والأدعيَة النبي (ﷺ **فِي أَوْقَاتٍ**) وحالات (**مَخْصُوصَةٍ**) ؛ كالصباح والمساء ، وعند الكرب ، وعند الخروج من بيته ، ونحو ذلك .

(**الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ** : **فِي**) ذكر (**ثَلاَثِ مِائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ حَدِيْثاً**) ـ تقريباً ـ (**مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ** ﷺ) ؛ أي : كلِمِه الجوامع للمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة بنظمٍ لطيف لا يعثر الفكر في طلبه ، ولا يلتوي الذهن في فهمه .

(**اَلبَابُ ٱلثَّامِنُ**) من الكتاب ؛ وهو آخر الأبواب (**فِي**) بيان الأحاديث الواردة في (**طِبِّهِ**) ـ بكسر الطاء ـ اسم مصدر ؛ مِن طَبَّهُ طَبّاً ـ بالفتح ـ إذا دَاوَاه ، والمراد بيانُ ما يتداوى به (ﷺ) من الأمراض البدنية ، (**وَ**) بيان الأحاديث الواردة في (**سِنِّهِ**) أي : مقدار عمره الشريف ، (**وَ**) في (**وَفَاتِهِ**) أي : تمام أجله ، (**وَ**)في (**رُؤْيَتِهِ**)

فِي ٱلْمَنَامِ ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ :

ـ اَلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ : فِي طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي : فِي سِنِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ .

ـ اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ : فِي رُؤْيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَنَامِ .

اَلْخَاتِمَةُ : تَشْتَمِلُ عَلَىٰ خَمْسِينَ حَدِيثاً ، أَكْثَرُهَا صِحَاحٌ

الرؤية ـ التي بالتاء ـ تشمل : رؤية البصر في اليقظة ، ورؤية القلب ، ولهذا احتاج المصنف إلى تقييدها بقوله (**فِي ٱلْمَنَامِ**) ، أمَّا التي بالألف ! فهي خاصَّة برؤية القلب في المنام ، وقد تستعمل في رؤية البصر أيضاً . (**وَفِيْهِ**) أي : هذا الباب (**ثَلاَثَةُ فُصُوْلٍ**) تأتي :

(**الفَصْلُ الأَوَّلُ** : **فِي**) ذكر شيء من الأحاديث الواردة في (**طِبِّهِ** ﷺ) الذي تطبَّبَ به ، والذي وصفه لغيره ؛ سواء كان طِبّاً رُوْحانياً ؛ أو جسمانياً .

(**اَلفَصْلُ اَلثَّانِيْ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**سِنِّهِ** ﷺ) أي : مقدار عمره الشريف ، والسِّنُّ بهذا المعنى مؤنَّثةٌ ؛ لأنها بمعنى المُدَّة ، (**وَ**) بيان ما ورد في (**وَفَاتِهِ**) ؛ أي : تمام أجله الشريف ، فإن الوفاة ـ بفتح الواو ـ مصدر « وَفَىٰ ؛ يَفِيْ » بالتخفيف ، أي : تمَّ أجله . وهذا الفصل مضمونُه يسكب المدامع من الأجفان ، ويجلب الفجائِع لإثارة الأحزان ، ويُلهِب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان .

(**الفَصْلُ اَلثَّالِثُ** : **فِي**) بيان ما ورد في (**رُؤْيَتِهِ** ﷺ **فِي ٱلمَنَامِ**) ، مذهب أهل السنة أنَّ حقيقةَ الرؤيا اعتقاداتٌ يخلقُها الله تعالى في قلب النائِم كما يخلقُها في قلب اليقظان ؛ يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة .

(**اَلْخَاتِمَةُ**) المذكورة ، فـ« أل » فيها للعهد الذكري (**تَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسِيْنَ**) ـ هكذا ذَكر هنا في الخطبة أنَّها خمسون ، لكن زاد عليها المصنِّفُ عشرين حديثا ؛ فكان المجموع سبعين ـ (**حَدِيْثاً** ، **أَكْثَرُهَا صِحَاحٌ**) ـ جمع صحيح ـ ؛ وهو : الحديث الذي رواه العدل الضابط ضبطاً تامّاً عن مثله إلى منتهاه ؛ من غير شذوذ

وَحِسَانٌ مِنْ أَدْعِيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلْعَظِيمَ رَبَّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ أَنْ يَجْعَلَ هَـٰذَا ٱلْكِتَابَ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱلْجَارِي نَفْعُهَا فِي ٱلْحَيَاةِ وَبَعْدَ ٱلْمَمَاتِ ، . . . . . .

ولا علَّة قادحة . (وَحِسَانٌ) جمع حَسَن ؛ وهو : الحديث الذي رواه العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، من غير شذوذ ولا علَّة قادحة ، فالحَسَن مساوٍ للصحيح في التعريف والشروط . فكلُّ ما يشترط في الحديث الصحيح يشترطُ في الحديث الحسن ؛ إلاَّ الضَّبط ، فإنَّه يشترط في الصحيح الضبط التامُّ ، ولا يشترط في الحسن إلاَّ مطلقُ الضبط . (مِنْ أَدْعِيَتِهِ) الواردة عنه (ﷺ) ؛ منقسمةٌ إلى قسمين : استعاذات ، ودَعَوات ؛ معتبراً فيها أوَّل الحديث ، فما كان استعاذة جعل في القسم الأول ، وما كان دعاءً جعل في القسم الثاني . وافتتحها بالدَّعوات القرآنية .

(وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلعَظِيْمَ) البالغ أقصى مراتب العظمة ؛ وهو الذي لا يتصوَّره عقلٌ ، ولا يحيط بكنهه بَصَر ، فلا يتعاظمه مسؤول ؛ وإن عَظُم ، ومنه مطلوب المصنِّف ؛ وهو كون كتابه من الحسنات الجارية ؛ أي : المستمر ثوابها في حياته وبعد موته . ، (رَبَّ ٱلعَرْشِ ٱلكَرِيْمِ) ـ بالجرِّ ـ نعت للعرش ، ويجوز نصبُه ؛ نعتاً لله سُبحانَهُ . ومَن وسِعَتْ ربوبيَّتُه العرش الذي وسع المخلوقات بأسرهم جدير بأن يعطي المصنِّفَ مطلوبه ، ويُنيله مرغوبه ، وهو قوله (أَنْ يَجْعَلَ هٰذَا ٱلكِتَابَ) « وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ » (مِنْ أَفْضَلِ ٱلحَسَنَاتِ ؛ ٱلجَارِي) ؛ أي : المستمر (نَفْعُهَا) للناس وللمصنِّف (فِي ٱلحَيَاةِ) الدُّنيا ، ومعنى النفع في حقِّ المؤلف في الدنيا : أن يتذكَّر بها ، ومعنى النفع في حقِّ الناس في الدنيا : هو أن يُلهمهم الله الاشتغال بها تعلُّماً وتعليماً ، وأن يوفِّقَهم للعمل بما فيها . (وَ) معنى النفع للناس وللمصنِّف (بَعْدَ ٱلمَمَاتِ) : أن تكون سبباً لحلولهم في دار النعيم . أخرج الطبراني في « الكبير » : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ يَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ كَانُوا أَضْيَافاً للهِ تَعَالَىٰ ؛ وَإِلاَّ حَفَّتْهُمُ ٱلمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ يَقُومُوا ، أَوْ يَخُوضُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ ،

بِجَاهِ نَبِيِّهِ سَيِّدِ ٱلرُّسُلِ ٱلْكِرَامِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ .

ومَا مِنْ عَالِمٍ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ عِلْمٍ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَمُوتَ ، أَوْ يَنْسَخُهُ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَدْرُسَ ! إلاَّ كَانَ كَالغَادِي ٱلرَّائِحِ فِي سَبِيْلِ ٱللهِ ، وَمَنْ بَطُؤَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

وفي هذا الحديث وأمثاله ؛ كحديث مسلم : « إِذَا مَاتَ ٱبْنُ آدَمَ ٱنْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِن ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ـ أي : وهي الوقف ـ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ ـ « أي : مسلمْ » ـ يَدْعُو لَهُ » . وكالأحاديث فيمن سَنَّ سنة حسنة ؛ أو سيئة . بشرى عظيمةٌ لمن نَسَخ علماً نافعاً ؛ وهي أنَّه يكون له أجرُه ، وأجرُ مَن قَرَأه ، أو نسخه ، أو عمل به مِن بعده ما بقي خَطُّه والعملُ به ، وإنذارٌ عظيم لمن نسخ علماً فيه إثمٌ ؛ وهو أنَّ عليه وِزْرَه ، ووزر مَن قَرَأه ، أو نسخه ، أو عمل به بعده ما بقيَ خطُّه والعملُ به . انتهى ؛ ذكره ابن حجر الهيتمي في «الزواجر » في « الكبيرة الثامنة والتاسعة والأربعين » . والله أعلم .

(**بِجَاهِ نَبِيِّهِ سَيِّدِ ٱلرُّسُلِ ٱلكِرَامِ**) أي : أتوسَّل بما لَهُ ﷺ من المنزلة والحظِّ والرتبة عند الله سبحانه وتعالى ، إذ هو ﷺ سيِّدُ أهل الوَجَاهة ، وأفضلُ السَّادات الذين هم الرُّسُل الكرام (**عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ**) ، وآلِ كلٍّ وأصحابه الكرام ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القيام . آمين .

ٱلْمُقَدِّمَةُ: وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَنْبِيهَيْنِ

ٱلتَّنْبِيهُ ٱلأَوَّلُ: فِي مَعْنَىٰ لَفْظِ ٱلشَّمَائِلِ

هِيَ فِي ٱلأَصْلِ : ٱلأَخْلاَقُ وَٱلطَّبَائِعُ .

قَالَ فِي « ٱلْقَامُوسِ » : (ٱلشِّمَالُ : ٱلطَّبْعُ ، وَٱلْجَمْعُ : شَمَائِلُ) ا هـ

وَقَالَ فِي « لِسَانِ ٱلْعَرَبِ » : (مُفْرَدُهَا : شِمَالٌ ؛ بِكَسْرِ ٱلشِّينِ .

قَالَ جَرِيرٌ :

(**ٱلْمُقَدِّمَةُ**) ـ بكسر الدّال ـ أي : المقدِّمة نفسَها ، لأنَّها اشتملت على أمور تقتضي تقديمَها ، وقد سبق فيما قرَّرناه أنها مقدِّمةُ علمٍ ؛ لأنها يُنتفع بها في هذا الكتاب وفي غيره من كُلِّ ما أُلِّفَ في فَنِّ الشمائِل ، وهي مقدِّمة كتاب أيضاً ؛ لأن هذا الكتاب مؤلَّف في ذلك الفنّ الذي جُعِلت مقدِّمةً له .

(**وَهِيَ**) ـ أي : هذه المقدِّمة ـ (**تَشْتَمِلُ**) أي : تحتوي (**عَلَىٰ تَنْبِيْهَيْنِ** :

ٱلتَّنْبِيْهُ ٱلأَوَّلُ : **فِي مَعْنَىٰ لَفْظِ ٱلشَّمَائِلِ**) في اللغة ، (**هِيَ فِي ٱلأَصْلِ**) أي : أصل معنى الشمائل ـ لغةً ـ : (**الأَخْلاَقُ**) ؛ جمع : خُلُق ـ بسكون اللام وضمِّها ـ (**وَٱلطَّبَائِعُ**) جمع : طبيعة ، وهي الخليقة والسجية التي جُبِلَ عليها الإنسان .

(**قَالَ**) أي : المجدُ الفيروزآبادي (**فِي**) كتاب (« **ٱلقَامُوسِ**) المحيط » شاهداً على ما قاله المصنف : (**ٱلشِّمَالُ**) ـ بكسر الشين ـ : (**ٱلطَّبْعُ**) والخُلُق ، (**وَٱلجَمْعُ شَمَائِلُ** . **انتهى** .) كلام « القاموس » . وقال الراغب : قيل للخليقة شِمال لكونه مشتملاً على الإنسان اشتمال الشمال على البدن . ومن سجعات « الأساس » : ليس من شمائلي وشِمالي أن أعمل بشِمالي .

(**وَقَالَ**) ؛ أي : ابن منظور (**فِي**) كتاب (« **لِسَانِ ٱلعَرَبِ** ») في مادة (شمل) شاهداً لما قاله المصنف : (**مُفْرَدُهَا**) ـ أي : مفرد الشَّمائل ـ (**شِمَالٌ ـ بِكَسْرِ الشِّيْنِ**) المعجمة ـ : (**قَالَ جَرِيْرُ**) بن عطيَّة بن حذيفة الخَطَفىٰ بن بدر الكلبي

. . . . وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا

وَقَالَ صَخْرٌ أَخُو ٱلْخَنْسَاءِ :

اليربوعي ؛ من تميم . أشعَرُ أهل عصره .

ولد سنة : ـ ٢٨ ـ ثمان وعشرين ، ومات سنة : ـ ١١٠ ـ مائة وعشر في اليمامة ، وعاش عمره كلَّه يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ، وكان هجَّاءً مُرّاً ؛ فلم يثبت أمامَه غيرُ الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً ، وقد جُمعت نقائضه مع الفرزدق وطُبعت في ثلاثة أجزاء . وديوان شعره مطبوعٌ في جزأين . وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرةٌ جدّاً ، وكان يكنى بـ« أبي حزرة » . انتهى .

وقد نَسَب هذا البيت في « شرح القاموس » لعبد يغوث بن وقَّاص الحارثي ؛ تبعاً لابن برِّي وغيره وهو :

أَلَـمْ تَعْلَمَـا أَنَّ ٱلمَـلاَمَـةَ نَفْعُهَـا قَلِيلٌ (وَمَا لَوْمِيْ أَخِيْ مِنْ شِمَالِيَا)

يجوز أن يكون واحداً ؛ أي : من طبعي ، وأن يكون جمعاً ؛ من باب « هِجَانٍ[1] ودِلاَصٍ » ؛ أي : يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث ؛ والجمع والواحد ، أو تقديره : من شمائلي فقُلب .

(**وَقَالَ صَخْرُ**) بن عمرو بن الشرِّيد السُّلَمي : قتل في الجاهلية ؛ وهو (**أَخُو ٱلخَنْسَاءِ :**) الصحابيَّة الشاعرة ، واسمها : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَمية ، من بني سُلَيم من قيس عيلان ؛ من مضر ، أجمعوا على أنه لم تكن امرأة أشعرَ منها على الإطلاق من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي ، وأدركت الإسلام فأسلمت ، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم ، فكان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرُها ، فكانت تنشد ؛ وهو يقول : « هِيهِ يَا خَنْسَاءُ » . أكثرُ شعرها وأجودُه رثاؤُها لأخويها صخر ومعاوية ، وكانا قد قُتلا في الجاهلية . لها ديوان شعر طبع فيه ما بقي محفوظاً من شعرها .

روي أنها شهدت حرب القادسية سنة ستَّ عشرة ومعها أربعة بنين لها ؛ فلم تزل

---

(١) ورد في هامش (اللحجي) : هِجَان ككتاب : الخيار من كل شيء . ودلاص ككتاب أيضاً : ملساء لينة . يستوي فيه الواحد والجمع .

أَبَا ٱلشَّتْمِ إِنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي   وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ ٱلْخَنَا منْ شِمَالِيَا

وَقَالَ آخَرُ :

هُمُ قَوْمِي وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ   شَمَائِلَ بُدِّلُوهَا مِنْ شِمَالِي

تحضُّهم على القتال وتذكُر لهم الجنَّة بكلام فصيح ؛ فأَبْلَوا يومئذ بلاءً حسناً واستُشْهدوا . فكان عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها أرزاقهم .

(**أَبَا ٱلشَّتْمِ**) ـ في « شرح القاموس » : أَبَا ٱلفَخْر ـ (**إِنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيْمَتِيْ**) ؛ أي : فجعوني بها . وعنىٰ بقوله « كريمتي » أخاه معاوية بن عمرو ؛ إذ قتله الأعداء . يريد أنه حسيب ، لأن من معاني الكريمة : الحسيب ، يقال : هو كريمةُ قومه . قال الشاعر :

وَأَرَىٰ كَرِيْمَكَ لاَ كَرِيْمَةَ دُونَهَ   وَأَرَىٰ بِلاَدَكَ مَنْقَعَ ٱلأَجْوَادِ

وفي الحديث : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيْمَةُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » أي : كريم قوم .

(**وَأَنْ**) ـ مخفَّفة من الثقيلة ـ واسمها : ضميرُ الشأن محذوفٌ ؛ أي : أنَّه (**لَيْسَ إِهْدَاءُ**) ـ أي : إرسال ـ (**ٱلخَنَا**) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ : فاحش الكلام (**مِنْ شِمَالِيَا**) ، أي : من أخلاقي وطباعي .

(**وَقَالَ**) شاعر (**آخَرُ**) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ بمعنى مغاير . أمَّا بكسر الخاء ؛ فهو مقابل الأول . وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

وَآخِرٌ بِكَسْرِ خَاءٍ مُعْجَمَهْ   مُقَابِلٌ لأَوَّلٍ فَلْتَفْهَمَهْ

وَآخَرٌ بِفَتْحِهَا مَا قَابَلا   لِلْغَيْرِ فَاعْلَمْ وَادْعُ لِلَّذِي جَلاَ

وسيأتي عَزْوُ هذا البيت لـ(لَبِيْد) ، وهو قوله : (**هُمُ قَوْمِيْ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ   شَمَائِلَ**) كذا في « لسان العرب » كـ« التهذيب » ، أي : أنكرت أخلاقهم . كما سيأتي للمصنف . وفي روايةٍ : وَهُم أَنْكَرْنَ مِنِّي   شَمَائِلَ (**بُدِّلُوْهَا**) ـ بضمِّ أوَّله ؛ مبنيًا للمفعول ؛ كما ضبطه في « التهذيب » على كلا الروايتين (**مِنْ شِمَالِي** .

أَيْ : أَنْكَرْتُ أَخْلاَقَهُمْ) .

ثُـمَّ قَـالَ فِـي مَـادَّتِهَـا أَيْضـاً : (وَٱلشِّمَـالُ : خَلِيقَـةُ ٱلـرَّجُـلِ ، وَجَمعُهَا : شَمَائِلُ . وَإِنَّهَا لَحَسَنَةُ ٱلشَّمَائِلِ ، وَرَجُلٌ كَرِيمُ ٱلشَّمَائِلِ ؛ أَيْ : فِي أَخْلاَقِهِ وَمُخَالَطَتِهِ) ا هـ

وَقَدِ ٱسْتَعْمَلَ عُلَمَاءُ ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّمَائِلَ فِي أَخْلاَقِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَصْلِهَا ، وَفِي أَوْصَافِ صُورَتِهِ ٱلظَّاهِرَةِ أَيْضاً . . . . .

أيْ : **أَنْكَرْتُ أَخْلاَقَهُمْ**) المقتبسةَ من أخلاقي . وهذا على الرواية التي في المصنف . وعلى الرواية الأخرى معناه : أنَّهم أنكروا مني أخلاقاً من أخلاقي المعروفة عندهم .

(**ثُمَّ قَالَ**) ؛ أي : ابن منظور (**فِي**) « لسان العرب » في (**مَادَّتِهَا**) ـ أي : مادَّة شمل ـ (**أَيْضاً**) بعد نحو ثلاث صفحات (**وَٱلشِّمَالُ**) ـ بالكسر ـ (**خَلِيْقَةُ ٱلرَّجُلِ**) ؛ أي : طبيعته وسَجِيَّته (**وَجَمْعُهَا** : **شَمَائِلُ**) . وقال لبيد :

هُـمُ قَـوْمِـي وَهُـمْ أَنْكَـرْنَ مِنِّـي شَمَـائِـلَ بُـدِّلُـوهَـا مِـن شِمَـالِـي

وقال الراغب : قيل للخليقة شِمال !! لكونه مشتملاً علىٰ الإنسان اشتمال الشمال علىٰ البدن . (**وَإِنَّهَا لَحَسَنَةُ ٱلشَّمَائِلِ ، وَرَجُلٌ كَرِيْمُ ٱلشَّمَائِلِ ؛ أَي** : **فِي أَخْلاَقِهِ وَمُخَالَطَتِهِ**) ، ويقال فلان مشمولُ الخلائق ؛ أي : كريم الأخلاق ، أُخِذ من الماء الذي هَبَّت به الشَّمَال فبرَّدَتْهُ . ورجل مشمول : مرضيُّ الأخلاق طَيِّبُها . قال ابن سِيْدَه : أراه من الشَّمُول . (**أنْتَهَىٰ**) أي : كلام ابن منظور في « لسان العرب » .

(**وَقَدِ ٱسْتَعْمَلَ عُلَمَاءُ ٱلحَدِيْثِ ٱلشَّمَائِلَ**) ؛ أي : لفظة « الشمائل » (**فِيْ**) مَعْنَيَيْهَا الحقيقي والمجازي فجعلوها اسماً لـ (**أَخْلاَقِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ ﷺ**) ؛ أي : صورته الباطنة (**عَلَىٰ أَصْلِهَا**) ؛ أي : أَجْرَوا هذه اللفظة علىٰ حقيقتها اللُّغوية حيث استعملوها في صورته الباطنة ؛ وهي نفسُه وأوصافها ومعانيها الخاصَّة بها ، (**وَ**) استعملوها (**فِي أَوْصَافِ صُوْرَتِهِ ٱلظَّاهِرَةِ**) ؛ وهي نفسُه وأوصافها ومعانيها (**أَيْضاً**

عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْمَجَازِ فَٱعْلَمْ ذٰلِكَ .

اَلتَّنْبِيهُ ٱلثَّانِي : فِي ٱلْفَوَائِدِ . . . .

علَىٰ سَبِيْلِ ٱلمَجَازِ) ، ولكلٍّ من الصورتين أوصافٌ حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلَّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلَّقان بأوصاف الصورة الظاهرة ، ولهذا تكرَّرت الأحاديث في مدح حُسن الخلق في غير موضع . كقوله : « أَكْمَلُ ٱلمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » . وقوله : « إِنَّ ٱلعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ ٱلصَّائِمِ ٱلقَائِمِ » ، وقوله : « بُعِثْتُ ، لأُتَمِّمَ مَكارِمَ ٱلأَخْلاَقِ » . وكذلك جاءت في ذمِّ سوءِ الخُلُق أيضاً أحاديث كثيرة ، (**فَٱعْلَمْ ذٰلِكَ**) والله يتولَّىٰ هداك .

فائدة : قال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ : الأحاديث التي فيها صفة النبي ﷺ داخلةٌ في قسم المرفوع بالاتفاق ، مع أنَّها ليست قولاً له ﷺ ، ولا فعلاً ، ولا تقريراً . انتهىٰ .

(**التَّنْبِيْهُ ٱلثَّانِيْ** : **فِي**) بيان (**ٱلفَوَائِدِ**) جمع فائدة ؛ وهي ـ لغة ـ: ما استفدتَه من علم ، أو مال ، أو غيرهما ؛ كجاه ، و ـ اصطلاحاً ـ: المصلحةُ المترتِّبةُ علىٰ الفعل من حيث إنَّها ثمرته ونتيجته . وأما من حيث إنَّها في طرف الفعل : فتسمَّىٰ « غاية » . فالفائدة والغايةُ متَّحدان ذاتاً ؛ مختلفان اعتباراً ، كما أن العلَّة والغرض كذلك . فالعلَّة : هي المصلحةُ المترتبة علىٰ الفعل من حيث إنَّها باعثة للفاعل علىٰ الفعل ، وأما من حيث إنَّها مقصودةٌ للفاعل من الفعل ؛ فتسمىٰ « غرضاً » .

والفائدةُ والغايةُ أعمُّ من العلَّةِ والغرضِ عموماً مطلقاً ، فتجتمع الأربعة فيما لو حفر بقصد الماء وبعد تمام الحفر ظهر الماء ، فإنَّ هذا الماء يسمَّىٰ « فائدة » من حيث إنَّه نتيجة الحفر ، ويسمَّى « غاية » من حيث إنه في طرف الحفر ، ويسمَّىٰ « علَّةً » من حيث إنَّه باعث علىٰ الحفر ، ويسمَّىٰ « غرضاً » من حيث إنَّه مقصود من الحفر .

فاختلفت العبارات باختلاف الاعتبارات ، وقد يوجد الأَوَّلان ـ أي : الفائدة

ٱلْمَقْصُودَةِ : مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَيْسَ ٱلْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَارِيخِيٍّ تَمِيلُ إِلَيْهِ ٱلنُّفُوسُ ، وَتَجْنَحُ إِلَيْهِ ٱلْقُلُوبُ ، وَيُتَحَدَّثُ بِهِ فِي ٱلْمَجَالِسِ ، وَيُسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَىٰ ٱلْمَقَاصِدِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْفَوَائِدِ .

وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَائِدُ أُخْرَىٰ مُهِمَّةٌ فِي ٱلدِّينِ .

ـ مِنْهَا : ٱلتَّلَذُّذُ بِصِفَاتِهِ ٱلْعَلِيَّةِ وَشَمَائِلِهِ ٱلرَّضِيَّةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والغاية ـ ولا يوجد الأخيران ـ أي : العلة والغرض ـ كما لو حفر بقصد الماء فبعد تمام الحفر ظهر كنز ؛ فيقال له « فائدة » ؛ لأنه نتيجة الحفر ، ويقال له « غاية » ؛ لأنه في آخر الحفر ، ولا يقال له علة ؛ ولا غرض !! لأنه لم يكن باعثاً علىٰ الحفر ، ولا مقصوداً للحافر من الحفر . والله أعلم .

(**ٱلْمَقْصُوْدَةِ**) للمؤلفين (**مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ** ﷺ) في الكتب .

اعْلَمْ أَنَّه (**لَيْسَ ٱلمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ**) : أوصافه (ﷺ **مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَارِيْخِيٍّ تَمِيْلُ إِلَيْهِ**) الأفئدة ، وترتاح إليه (**ٱلنُّفُوسُ**) ، وتُسَرُّ بِهِ الأرواح ، وتنشرح له الصدور ، (**وَتَجْنَحُ إِلَيْهِ ٱلقُلُوبُ**) ، وتلتذُّ به الأسماع ، وتتنزّهُ فيه الأبصار ، (**وَيُتَحَدَّثُ**) ـ بضمِّ أوَّله ـ (**بِهِ**) أي : يُذكر ويُروىٰ (**فِي ٱلمَجَالِسِ**) للاطلاع علىٰ سيرة مَن تقدَّم ، وللإحاطة بأخبار مَن سبق ، (**وَيُسْتَشْهَدُ**) ـ مبنياً للمجهول ـ أي : يُؤتىٰ (**بِهِ**) شاهداً (**عَلَىٰ ٱلمَقَاصِدِ**) والأغراض التي تراد ، (**وَنَحْوِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلفَوَائِدِ**) التاريخية . لا ؛ ليس المقصود ذلك .

(**وَإِنَّمَا ٱلمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ شَمَائِلِهِ** ﷺ) في الكتب (**فَوَائِدُ**) ـ أي : حصول فوائد (**أُخْرَىٰ**) ـ زائدة علىٰ ما تقدّم (**مُهِمَّةٌ**) ـ أي : يُهتم بها ـ (**فِي ٱلدِّيْنِ**) ويُتقرَّب بها إلىٰ ربِّ العالمين . (**مِنْهَا**) أي : هذه الفوائد الأخرىٰ : (**ٱلتَّلَذُّذُ**) ـ أي : حصول اللذَّة ـ (**بِصِفَاتِهِ ٱلعَلِيَّةِ**) الكاملة ، (**وَشَمَائِلِهِ ٱلرَّضِيَّةِ**) ، لأنَّ في ذكرها وسماعها تنعُّماً وتلذُّذاً بحبيب القلوب وقُرَّة العيون (**صلىٰ الله عليه وسلم**) ،

ـ وَمِنْهَا : ٱلتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱسْتِجْلاَبُ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلْكَامِلَةِ وَأَخْلاَقِهِ ٱلْفَاضِلَةِ ، كَمَا يَتَقَرَّبُ ٱلشَّاعِرُ إِلَىٰ ٱلْكَرِيمِ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلْجَمِيلَةِ ، وَخِصَالِهِ ٱلنَّبِيلَةِ .

وَلاَ شَكَّ أَنَّ جَمْعَ ....

وهو ضرب من الوصال به ﷺ ، ووجهٌ من وجوه القرب منه ﷺ والاجتماع به ؛ لما فيه من إمتاع حاسَّة السمع واللسان بأوصاف المحبوب الذي هو وسيلة إلىٰ حضوره بالقلب ، فإذا فات النظر إليه بالبصر ؛ لم يفت التمتُّع به بالسمع والنظر إليه بالبصيرة . كما قال بعضهم :

يَـا وَارِداً مِـنْ أُهَيْـلِ ٱلحَـيِّ يُخْبِـرُنِـي ... عَـنْ جِيْـرَتِـي شَنِّـفِ ٱلأَسْمَـاعَ بِـٱلخَبَـرِ
نَـاشَـدْتُـكَ ٱللهَ يَـا رَاوِي حَـدِيْثِهِـمُ ... حَدِّثْ فَقَدْ نَابَ سَمْعِي ٱلْيَوْمَ عَنْ بَصَرِي

وقال بعضهم في مدح الشمائل مشيراً إلىٰ المعنىٰ :

أَخِـلاَّيَ إِنْ شَـطَّ ٱلحَبِيْـبُ وَرَبْعُـهُ ... وَعَـزَّ تَـلاقِيْـهِ وَنَـاءَتْ مَنَـازِلُـهْ
وَفَـاتَكُـمُ أَنْ تَنْظُـرُوهُ بِعَيْنِكُـمُ ... فَمَـا فَـاتَكُـمْ بِـٱلسَّمْـعِ هٰـذِي شَمَـائِلُـهْ

وقال بعضهم في المعنىٰ :

يَـا عَيْـنُ إِنْ بَعُـدَ ٱلحَبِيْـبُ وَدَارُهُ ... وَنَـأَتْ مَـرَابِعُـهُ وَشَـطَّ مَـزَارُهُ
فَلَقَـدْ ظَفِـرْتِ مِـنَ ٱلحَبِيْـبِ بِطَـائِـلٍ ... إِن لَّـمْ تَـرَيْـهِ فَهٰـذِهِ آثَـارُهُ

(**وَمِنْهَا ٱلتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ**) ؛ أي : طلب القرب منه (ﷺ ، **وَاسْتِجْلاَبُ**) أي : طلب جَلْب (**مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ**) ؛ بأن يكون جامعُ الشمائل محبوباً عنده ﷺ ، وراضياً عنه ؛ بسبب خدمة جنابه ﷺ ، وتعظيم قدره والثناءِ عليه (**بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلكَامِلَةِ وَأَخْلاَقِهِ ٱلفَاضِلَةِ**) ، وفي ذلك تعلُّق به وتودُّد ، واستعطاف وانتساب ، وتعرُّض لنفحات فضل الممدوح ، واستمطارٌ لسحائِب إحسانه ، واستنزالٌ لِغَزِيْرِ بِرِّه وامتنانه ، وتقرُّبٌ إليه بفتح أبواب خزائن ما يأتي من قِبَله ، (**كَمَا يَتَقَرَّبُ ٱلشَّاعِرُ إِلَىٰ**) الممدوح (**ٱلكَرِيْمِ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ ٱلجَمِيْلَةِ**) الحسنة ، (**وَخِصَالِهِ ٱلنَّبِيْلَةِ**) العظيمة ، لأنَّ الكرام إذا مُدِحوا أجزلوا المواهب والعطايا ، (**وَلاَ شَكَّ أَنَّ جَمْعَ**

شَمَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَشْرَهَا . . هُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ مَدْحِهِ بِٱلْقَصَائِدِ ، وَقَدْ رَضِيَ عَمَّنْ مَدَحَهُ بِهَا كَـ : حَسَّانَ ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ ، وَكَافَأَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ .

شمَائِلِهِ ﷺ **وَنَشْرَهَا**) بين الناس لِتتعطَّر بها المجالس والمدارس (**هُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ مَدْحِهِ**) ﷺ (**بِٱلْقَصَائِدِ ، وَقَدْ رَضِيَ عَمَّنْ مَدَحَهُ بِهَا** ؛ **كـ**« **حَسَّانَ**) بنِ ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي ، أبي الوليد ، الصحابي شاعر النبي [ﷺ] ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، وعاش ستين سنة في الجاهلية وستِّين سنة في الإسلام ، وكان من سُكَّان المدينة المنورة ، وتوفي بها سنة : ـ ٥٤ ـ أربع وخمسين . وعَمِيَ قبيل موته . رضي الله تعالىٰ عنه .

(**وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَوَاحَةَ**) بنِ ثعلبة الأنصاري الخزرجي ؛ أبي محمد ، صحابي ، يعدُّ من الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحديبية ، واستخلفه النبي ﷺ علىٰ المدينة في إحدىٰ غزواته ، وصحبه في عمرة القضاء ، وله فيه رجز ، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة ـ بأدنىٰ البلقاء ، من أرض الشام ـ فاستُشهِد فيها سنة : ـ ٨ ـ ثمان من الهجرة النبوية . رضي الله تعالىٰ عنه . آمين .

(**وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ**) بنِ أَبي سُلْمَىٰ المَازِنيّ ؛ أبي المُضَرِّب ، شاعر عالي الطبقة ؛ من أهل نجد ، له ديوان شعر ، وكان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ ، وأقام يشبِّبُ بنساء المسلمين ؛ فهدر النبي ﷺ دمه ؛ فجاء كعب مستأمِناً وقد أسلم ، وأنشده لاميَّته المشهورةَ التي مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ . . . .

فعفا عنه النبي ﷺ ، وخلع عليه بُردته ، وكانت وفاته سنة : ست وعشرين هجرية . رحمهم الله تعالى و(**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ**) أجمعين .

(**وَ**) قد (**كَافَأَهُمْ**) النبي ﷺ (**عَلَىٰ ذَٰلِكَ**) المديحِ .

فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَىٰ عَمَّنْ يَعْتَنِي بِجَمْعِ شَمَائِلِهِ وَنَشْرِهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ـ وَمِنْهَا : تَعَرُّضُنَا لِمُكَافَأَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا ، وَإِنْقَاذِهِ إِيَّانَا مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلضَّلاَلِ إِلَىٰ أَنْوَارِ ٱلْهُدَىٰ ، وَمِنَ ٱلشَّقَاوَةِ ٱلأَبَدِيَّةِ إِلَىٰ ٱلسَّعَادَةِ ٱلسَّرْمَدِيَّةِ ، وَهَـٰذِهِ نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ لاَ تُمْكِنُ مُقَابَلَتُهَا بِشَيْءٍ ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ مُكَافَأَتِهِ عَلَيْهَا إِلاَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

فَجَزَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ بِهِ مُرْسَلاً عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ

(**فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَىٰ عَمَّنْ يَعْتَنِي بِجَمْعِ شَمَائِلِهِ وَنَشْرِهَا**) للناس تعلُّما وتعليماً ؛ علىٰ أنَّ في ذلك تعرُّضاً لنفحات الرحمة الإلٰهية ، لأنه إذا كانت رحمته تعالىٰ تتنزَّل عند ذكر الصالحين ؛ فما بالك بسيّد الصالحين وسندهم ومُمِدِّهم (ﷺ) !!! فأدنىٰ ٱنتسابٍ إليه يحصِّل غاية النفع والشرف ، إذ لم يخلق الله تعالىٰ خَلْقاً أكرمَ عليه من نبينا محمد ﷺ ؛ كما قال ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما .

(**وَمِنْهَا**) ـ أي : الفوائد ـ . (**تَعَرُّضُنَا لِمُكَافَأَتِهِ** ﷺ **عَلَىٰ إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا**) ؛ أداءً لبعض ما يجبُ له ﷺ ، إذ هو الواسطة بين الله وبين عباده ، فكل خير ونعمة وبركة ؛ قَلَّتْ أو جَلَّتْ ، منه حصلت ، وبطلعته ظَهَرت ، (**وَ**) أعظمها إحسانه إلينا بـ (**إِنْقَاذِهِ**) أي : تخليصه (**إِيَّانَا مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلضَّلاَلِ**) : الكفر (**إِلَىٰ أَنْوَارِ ٱلْهُدَىٰ**) : الإسلام ، (**وَ**) إخراجه إيَّانا (**مِنَ ٱلشَّقَاوَةِ ٱلأَبَدِيَّةِ**) أي : التي لا نهاية لها ، (**إِلَىٰ ٱلسَّعَادَةِ ٱلسَّرْمَدِيَّةِ**) المستمرَّة ، (**وَهٰذِهِ نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ**) ، بل هي أكبر النعم علىٰ الإطلاق ، إذْ (**لاَ تُمْكِنُ مُقَابَلَتُهَا**) ؛ أي : موازنتها (**بِشَيْءٍ**) من النِّعَم الباقية الواصلة إلينا منه ﷺ ، (**وَلاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ مَكَافَأَتِهِ**) : جزائه (**عَلَيْهَا إِلاَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ**) ، وإذا كان الإنسان يُحبُّ مَن مَنَحَهُ من دنياه ـ مرَّة ؛ أو مرتين ـ معروفاً فانياً منقطعاً ، أو استنقذه من هَلَكةٍ ، فما بالك بمن مَنَحَهُ مِنَحاً لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العذاب الأليم ما لا يفنىٰ ولا يحول ؟!!

(**فَجَزَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ بِهِ مُرْسَلاً عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ**) ـ أي :

أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، دَائِنِينَ بِدِينِهِ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ وَٱصْطَفَىٰ بِهِ مَلاَئِكَتَهُ ، وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَلَمْ تُمْسِ بِنَا نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَلاَ بَطَنَتْ . . . .

الله ـ تعالىٰ (أَنْقَذَنَا) : خلَّصنا (بِهِ) ببعثته ﷺ (مِنَ ٱلْهَلَكَةِ) ؛ أي : الهلاك ، وهو ظُلْمة الكفر ، إلىٰ نور الإيمان ، وأخرجنا به من نار الجهل إلىٰ جنان المعارف والإيقان ، (وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ، وخيريَّة الأُمَّة بخيرية نبيِّها (دَائِنِينَ) ؛ أي : متعبِّدين (بِدِينِهِ ٱلَّذِيْ ٱرْتَضَىٰ) ؛ وهو الإسلام ، (وَٱصْطَفَىٰ بِهِ مَلاَئِكَتَهُ ، وَمَن أَنْعَمَ عَلَيْهِ) به (مِنْ خَلْقِهِ) من النبيين والصِّديقين ، والشهداء والصالحين ، وسائر عباده المؤمنين ، (فَلَمْ تُمْسِ) ـ بضمٍّ أوله ـ ولم تصبح (بِنَا نِعْمَةٌ) من الله علينا (ظَهَرَتْ وَلاَ بَطَنَتْ) ؛ مأخوذ من قوله تعالىٰ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [٢٠/ لقمان] .

وقد أخرج البيهقي في « شُعَب الإيمان » ؛ عن عطاء قال : سألت ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما عن قوله تعالىٰ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [٢٠/ لقمان] قال : هذا من كنوزِ علمي ؛ سألت رسول الله ﷺ ، فقال : « أَمَّا ٱلظَّاهِرَةُ ؛ فَمَا سَوَّىٰ مِنْ خَلْقِكَ ، وَأَمَّا ٱلبَاطِنَةُ ؛ فَمَا سَتَرَ مِنْ عَوْرَتِكَ ، وَلَوْ أَبْدَاهَا لَقَلاَكَ أَهْلُكَ فَمنْ سِوَاهُم » .

وأخرج البيهقيُّ ، والديلميُّ ، وابن النَّجار ؛ عنه أيضاً : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال : « أَمَّا ٱلظَّاهِرَةُ ؛ فَٱلإِسْلاَمُ ، وَمَا سَوَّىٰ مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقِهِ ، وَأَمَّا ٱلبَاطِنَةُ ؛ فَمَا سَتَرَ مِنْ عَمَلِكَ » .

وفي رواية عنه موقوفة : « النِّعمةُ الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : ما سُتر عليك من الذنوب والعيوب والحدود » ؛ أخرجه ابن مردويه عنه .

وفي رواية عنه موقوفة أيضاً : «النِّعمة الظاهرة والباطنة هي : لاإلٰه إلاَّ الله» ؛ أخرجها عنه ابن جرير وغيره . وتفسيرهما ما قاله مجاهد : نعمة ظاهرة ؛ هي لا إلٰه إلاَّ الله علىٰ اللسان ، وباطنة ؛ قال : في القلب . أخرجها سعيد بن منصور ، وابن جرير .

نِلْنَا بِهَا حَظّاً فِي دِينٍ وَدُنْيَا ، أَوْ رُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا ، أَوْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمَا . إِلاَّ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُهَا ٱلْقَائِدُ إِلَىٰ خَيْرِهَا ، وَٱلْهَادِي إِلَىٰ رُشْدِهَا .

(**نِلْنَا بِهَا**) ؛ أي : بسببها (**حَظّاً**) : نصيباً (**فِي دِيْنٍ**) ، كالعلم والعمل والمعرفة ، (**وَدُنْيَا**) ، كالجاه والقبول ، (**أَوْ رُفِعَ بِهَا**) : بسببها (**عَنَّا مَكْرُوْهٌ**) : شيءٌ نكرهه (**فِيْهِمَا**) ، أي : في الدين والدنيا ؛ (**أَوْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمَا**) في الدين أو الدنيا (**إِلاَّ وَ**) حبيبُنا (**مُحَمَّدٌ** ﷺ **سَبَبُهَا**) ؛ أي : سببٌ في حصولها ، وواسطةٌ في وصولها ، وهو (**ٱلْقَائِدُ**) : اسم فاعل ، من : « قاده يقوده » ؛ أي : جَذَبه من أمامه بسبب حسِّي ؛ أو معنوي ليتبعه (**إِلَىٰ خَيْرِهَا** ، **وَٱلْهَادِيْ**) : الدَّالُّ (**إِلَىٰ رُشْدِهَا**) . فله ﷺ علينا من الأيادي العظيمة ، والمنن الجسيمة ؛ دين ودنيا وآخرة ما لايُحصىٰ بحيث أَنَّا نسبحُ فيها ؛ ونتقلب ظهراً لبطن . ولا منعِم من الخلق مثلُه ، لأنه الواسطة لنا في كلِّ خير ، وجميعُ النعم التي وصلت إلينا من الله تعالىٰ السابقة واللاحقة من نعمة الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة ، فنعمه علينا تابعةٌ لنعم الله تعالىٰ ، ونعم الله تعالىٰ لا يُحصيها عَدَد ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣٤/إبراهيم] ، فهو ﷺ الواسطة بين الله وبين خلقه في كلِّ نعمة ؛ يفيضها الباري أوَّلاً عليه ، ومنه تتفرَّعُ إلىٰ المخلوق .

قال سيدي عبد الرحمن بن مصطفىٰ العَيْدَروس : كلُّ مَن حصلت له الرحمة في الوجود ، أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة ، والظاهر والباطن ، والعلوم والمعارف والطاعات ؛ إنما خرج له ذلك على يد رسول الله ﷺ ، وبواسطته ﷺ ، وهو الذي يقسمُ الجنَّة بين أهلها ، ولذلك عَدُّوا من خصائصه ﷺ أَنَّه أعطِي مفاتيح خزائن أجناس العالم ، فيُخرِج لهم بقدر ما يطلبون بحسب القسمة الإلـٰهية ، فكلُّ ما ظهر في هذا العالم ؛ فإنما يُعطيه سيِّدنا محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح ، فلا يخرج شيء من الخزائن الإلـٰهية إلاَّ على يديه ﷺ ، وهو معنى اسم « الخليفة » ، فلا طاقة لأحد بالتَّقي والشهود بدون واسطته ﷺ ، فهو المرآة الكبرى والمَجلىٰ الأعظم ،

. . . .

وأقواله وأفعاله كلُّها دائرةٌ على الدلالة على الله تعالى والتعريفِ به ، ولا نهايةَ للمعرفة ، فما دام الإنسان يترقَّىٰ فيها ؛ فهو مغترفٌ من بحره ومستمدٌّ منه ، حتى الأنبياء والمرسلون ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـولِ ٱللهِ مُلْتَمِـسٌ غَرْفاً مِنَ ٱلبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ ٱلدِّيَمِ

انتهى . مُلَخَّصًا من « تقريب الوصول » للسيد أحمد دحلان رحمه الله تعالى .

وقال سيِّدي عبد العزيز الدبَّاغ ـ رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا ببركاته ـ في كتاب « الإبريز » : إنَّ أرباب الكشف والعيان يشاهدون سيِّد الوجود ﷺ ، ويشاهدون ما أعطاه الله عزَّ وجلَّ وما أكرمه الله به مما لا يطيقه غيره ، ويشاهدون غيره من المخلوقات ؛ الأنبياء والملائكة وغيرهم ، ويشاهدون ما أعطاهم الله من الكرامات ، ويشاهدون المادَّة سارية من سيِّد الوجود ﷺ إلى كلِّ مخلوق في خيوط من نور فائضة من نوره ﷺ ؛ ممتدَّة إلى ذوات الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وذوات غيرهم من المخلوقات ، ويشاهدون عجائب ذلك الاستمداد وغرائبه . قال رضي الله تعالى عنه : ولقد أخذ بعض الصالحين طَرَف خبزة ليأكُلَه ، فنظر فيه وفي النعمة التي رُزِقَها بنو آدم ؛ قال : فرأى في ذلك الخبز خيطاً من نور ، فتبعه بنظره فرآه متصلاً بخيط نوره الذي اتصل بنوره ﷺ ، فرأى الخيط المتصل بالنور الكريم واحداً ، ثم بعد أن ٱمتدَّ قليلاً جعل يتفرَّع إلى خيوط ؛ كُلّ خيط متَّصلٌ بنعمةٍ مِن نعم تلك الذوات .

قال تلميذُه سيِّدي أحمد بن المبارك : وصاحب هذه الحكاية هو الشيخ نفسه .

قال : وقال رضي الله تعالى عنه : ولقد وقع لبعض أهل الخذلان ـ نسأل الله تعالى السلامة ـ أنَّه قال : « ليس لي من سيّدنا محمد ﷺ إلاَّ الهداية إلى الإيمان ، وأما نور إيماني ؛ فهو من الله عزَّ وجلَّ ، لا من النبي ﷺ » . فقال له الصالحون : أرأيت إن قطعنا ما بين نور إيمانك وبين نوره ﷺ ، وأبقينا لك الهداية التي ذكرت ؛ أترضىٰ بذلك !؟ فقال : نعم ، رضيت . قال رضي الله عنه : فما تمَّ كلامُه حتَّىٰ

وَهَـٰذِهِ ٱلْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ : (. . فَجَزَاهُ ٱللهُ . . . إِلَىٰ آخِرِهَا) عِبَارَةُ إِمَامِنَا ٱلشَّافِعِيِّ . . . .

سجد للصليب وكفر بالله ورسوله ؛ ومات على كفره !! نَسْأل الله تعالى السلامة والحماية ، والتوفيق والهداية . انتهى مُلخَّصاً ، نقله المصنف في كتابه « حُجَّة الله على العالمين » وأطال في هذا الموضوع ، فليراجع ثمة .

وقد ضَمَّن المصنف هذا المعنى الذي قاله سيِّدي عبد العزيز في هَمزيته : « طيبة الغراء » ؛ فقال :

مَصْدَرُ ٱلْمَكْرُمَاتِ مَوْرِدُهَا ٱلعَذْ ... بُ كِـرَامُ ٱلْـوَرَىٰ بِـهِ كُـرَمَـاءُ
أَفْـرَغَ ٱللهُ فِيْـهِ كُـلَّ ٱلعَطَـايَـا ... وَٱلْبَـرَايَـا مِنْـهُ لَهَـا ٱسْتِعْطَـاءُ
إِنَّمَا مَا حَوَىٰ ٱلزَّمَانُ مِنَ ٱلفَضْـ ... ـلِ وَمَـا حَـازَهُ بِـهِ ٱلفُضَـلاَءُ
كُلُّـهُ عَنْـهُ فَـاضَ مِـنْ غَيْـرِ نَقْـصٍ ... مِثْلَ مَا فَـاضَ عَـنْ ذُكَـاءَ ٱلضِّيَـاءُ

قال المصنف : (**وَهٰذِهِ ٱلعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ** : (**فَجَزَاهُ ٱللهُ** . . . **إِلَىٰ آخِرِهَا**) **عِبَارَةُ إِمَامِنَا**) وإمام الأئمة المجتهِدِ المطلق :

أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (**ٱلشَّافِعِيِّ**) ؛ نسبةً إلى جدِّه شافع ، القرشي المطَّلبي المكي ،

أحد الأئمة الأربعة ؛ أصحاب المذاهب المتبوعة المشتهرة ، عالِم قريش ومجدد الدين على رأس المائتين .

ولد بـ« غَزَّة » ؛ من أرض فلسطين ، سنة : ـ ١٥٠ ـ مائة وخمسين هجرية ، وحُمل منها إلى مكة ؛ وهو ابن سنتين ، وحفظ القرآن ؛ وهو ابن سبع سنين ، وحفظ « الموطأ » ؛ وهو ابن عشر ، وأفتىٰ ؛ وهو ابن خمس عشرة سنة .

وكان يُحيي الليل إلى أن مات .

وزار بغداد مرتين ، وبها ألَّف مذهبه القديم .

وقصد مصر ونزلها سنة : ـ ١٩٩ ـ تسع وتسعين ومائة ، وبها ألَّف مذهبَه

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ نَقَلْتُهَا مِنْ « رِسَالَتِهِ » ٱلَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ صَاحِبُهُ ٱلرَّبِيعُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ .

ـ وَمِنْهَا : أَنَّ مَعْرِفَةَ شَمَائِلِهِ ٱلشَّرِيفَةِ تَسْتَدْعِي مَحَبَّتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ....

الجديد ، وتوفي بها (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) سنة : ـ ٢٠٤ ـ أربع ومائتين هجرية ؛ وعمره أربع وخمسون سنة ، ودفن بالقرافة ، وقبره معروف يزار .

قال المبرِّد : كان الشافعي أشعرَ الناس وآدبَهم ، وأعرفَهم بالفقه والقراءات .

وقال الإمام أحمد ابن حنبل : ما أحد ممَّن بيده محبرةٌ ، أو ورق ؛ إلاَّ وللشافعي في رقبته مِنَّة .

وكان من أحذق قريش بالرمي ؛ يُصيب من العشرة عشرة . بَرَع في ذلك أوَّلاً كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث .

وكان ذكياً مُفْرِطَ الذكاء ، آيةً في الحفظ ، له تصانيف كثيرة تدلُّ على سَعة علمه وتحقيقه ومتانة دِينه . رحمه الله تعالى . آمين . ومناقبه جَمَّة أفردَها العلماءُ بالتصنيف .

(نَقَلْتُهَا مِنْ رِسَالَتِهِ) المعروفة باسم « الرسالة » : في أصول الفقه ، وهي (ٱلَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ صَاحِبُهُ) وتلميذه أبو محمد (ٱلرَّبِيعُ بنُ سُلَيْمَانَ) بنِ عبد الجَبَّار بن كامل (المرادي بالولاء) ، المصري (راوي كتب الإمام الشافعي) وراوي مذهبِهِ الجديد . وهو المراد عند إطلاق « الربيع » . وهو أَوَّل مَن أملى الحديث بجامع ابن طولون ، وكان مؤَذِّناً ، وفيه سلامة وغفلة . ومولده سنة : ـ ١٧٤ ـ أربع وسبعين ومائة بمصر ، ووفاته بها سنة : ـ ٢٧٠ ـ سبعين ومائتين هجرية . (رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ) ونفعنا بعلومه . آمين .

(وَمِنْهَا) ؛ أي : الفوائد (أَنَّ مَعْرِفَةَ شَمَائِلِهِ ٱلشَّرِيفَةِ تَسْتَدْعِيْ) ، أي : تقتضي (مَحَبَّتَهُ ﷺ) التي هي روح الإيمان ؛ الذي هو أصل كلِّ سعادة وسيادة .

والمحبة : مَيْلٌ روحاني يَسْتجلِب الودَّ ويَسلُب البعد ، وللناس في حَدِّها

لِأَنَّ ٱلإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَىٰ حُبِّ ٱلصِّفَاتِ ٱلْجَمِيلَةِ وَمَنِ ٱتَّصَفَ بِهَا ، وَلاَ أَجْمَلَ وَلاَ أَكْمَلَ مِنْ صِفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلاَ شَكَّ أَنَّ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا وَلَمْ يَكُنْ مَطْبُوعاً عَلَىٰ قَلْبِهِ بِطَابَعِ ٱلضَّلاَلِ . . يُحِبُّ صَاحِبَهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَقِينٍ ، . . . .

اختلافٌ كثير ، وعباراتهم فيها ؛ كما قيل : وإن كثرت ! إنما هي في الحقيقة اختلافُ أحوال ، وليست باختلاف أقوال . وأكثرها يرجع إلى ثمراتها ؛ دون حقيقتها .

وقيل : إنها من المعلومات التي لا تُحَدُّ ، وإنَّما يعرفها مَنْ قامت به ؛ وُجداناً . ولا يمكن التعبيرُ عنها ، ولا تُحَدُّ بِحَدٍّ أوضحَ منها . (**لأَنَّ ٱلإِنْسَانَ مَجْبُولٌ**) ؛ أي : مطبوع (**عَلَىٰ حُبِّ ٱلصِّفَاتِ ٱلجَمِيْلَةِ** ، **وَ**) على حبِّ (**مَنِ ٱتَّصَفَ بِهَا**) من أفراد المؤمنين ؛ فكيف بعباده الصالحين !! فكيف بسيِّد الأوَّلين والآخرين !!

(**وَ**) لا ريب أنَّه (**لاَ أَجْمَلَ** ؛ **وَلاَ أَكْمَلَ مِنْ صِفَاتِهِ** ﷺ) ، وإذا كان المرءُ يحبُّ غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة ؛ فكيف بهذا النبي الكريم ، والرسول الواسع الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم !! (**فَلاَ شكَّ أَنَّ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا**) ـ أي : على شمائله ، (**وَ**) الحال أنَّه (**لَمْ يَكُنْ مَطْبُوعاً**) ؛ أي : مختوماً (**عَلَىٰ قَلْبِهِ بِطَابَعِ ٱلضَّلاَلِ**) وعمىٰ البصيرة ـ (**يُحِبُّ صَاحِبَهَا** ﷺ **بِيَقِيْنٍ**) ، وفي محبَّتنا له ﷺ منٌ عظيمة علينا ، لأنَّها موجبة لمعيَّته ومجاورته وصحبته ، لحديث : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . رواه الشيخان ؛ عن أنس ، وابن مسعود . ولحديث : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . رواه مسلم .

ومحبَّة رسول الله ﷺ يظهر أثرها في اتباع سنَّته ، وسلوكِ طريقته ، ولها مع ذلك علاماتٌ أخرى ؛ منها : أنْ تُحِبَّ بحبِّه ، وتبغض ببغضه ، فلا تحبُّ إلاَّ ما أَحَبَّ ، وَلا تُبغِضُ إلاَّ ما أَبغَضَ ، فيكون هواكَ تبعاً له ولما جاء به .

ومنها : أن تواليَ بولايته ، وتعاديَ بعداوته ، لأنَّ محبَّ المحبوب ومحبوبَه محبوبان ، ومبغضَه وبغيضَه مبغوضان .

وَبِمِقْدَارِ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ وَنَقْصِهَا تَكُونُ زِيَادَةُ ٱلإِيمَانِ وَنَقْصُهُ ، . . . . . .

ومن علاماتِ محبَّته أيضاً : إيثارُ محبَّته على كلِّ محبوب ، واشتغال الباطن بذكره بعد ذكر الله عز وجل ، والإكثار من الصلاة عليه ، وأن يودَّ رؤيته بجميع ما يملك ؛ أو بملء الأرض ذهباً ؛ لو كان له .

ومنها : التخلُّق بأخلاقه ، والتأدُّب بشمائله وآدابه ؛ من الجود ، والإيثار ، والحلم ، والصبر ، والتواضع ، والزهد في الدنيا ؛ والإعراض عن أبنائها ، ومجانَبَة أهل الغفلة واللهو ، والإقبال على أعمال الآخرة ؛ والتقرُّب من أهلها ، والحبّ للفقراء والتحبُّب إليهم والتقرُّب منهم ، وكثرة مجالستهم ، واعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا ، ثم الحبُّ في الله لأهل العلم والدين والصلاح والزهد ، والبغض في الله للظَّلَمة والمبتدعة والفسقة المعْلِنين ، واتِّباعه في مقامات اليقين ؛ مثل الخوف والرجاء ، والشكر والحياء ، والتسليم والتوكُّل ، والشوق والمحبة ، وإفراغ القلب لله عزَّ وجلَّ ، وإفراد الهَمِّ به تعالى ، ووجود الطمأنينَة بذكره سبحانه ، والرِّضا بما شرعه ؛ حتى لايجد في نفسه حرجاً مما قضى ، ونصرته ونصرة دينه باتِّباع سنَّته واعتقادها ، وإيثارها على الرأي والهوى ، واجتناب البدع كلِّها ، والذَّبِّ عن شريعته ، والتسلِّي عن المصائب شُغلاً بحاله ، وجمعاً في محبَّة محبوبه ؛ واغتباطاً به ، وتسليةً بما أصاب محبوبه ؛ وتعظيمه عند ذكره ، وكثرة الشوق إلى لقائه ؛ إذ كل حبيب يحبُّ لقاء حبيبه ، ومحبَّة القرآن الذي أتى به ، والتلذُّذ بذكره ، والطرب عند سماع اسمه ، فمن تخلَّق بهذا كلِّه ؛ فله من الآية نصيبٌ موفور ، وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٣١/آل عمران] ، فجعل اللهُ تعالى جزاء العبد على حُسْن متابعة الرسول ﷺ محبَّةَ الله تعالى إياه ، ولا يكون متَّبعاً له إلاَّ عن محبَّة الله تعالى إيَّاه ، وأَثَرته إيَّاه عمَّن سواه .

(وَ) يتفاوت الناس في المحبة ، فـ(**بِمِقْدَارِ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ**) ﷺ (وَ) بمقدار (**نَقْصِهَا** ؛ **تَكُوْنُ زِيَادَةُ ٱلإِيْمَانِ وَنَقْصُهُ**) ، فمن كان في محبَّته أقوىٰ ؛ كان في الإيمان أبلغَ وأثبت ، ومن لا محبَّة له ؛ لا إيمان له ، إذِ الإيمان مشروطٌ

بَلْ رِضَا ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلسَّعَادَةُ ٱلأَبَدِيَّةُ ، وَنَعِيمُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَدَرَجَاتُهُمْ فِيهَا ، جَمِيعُ ذَٰلِكَ يَكُونُ بِمِقْدَارِ مَحَبَّةِ ٱلْعَبْدِ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةً وَنَقْصاً ، كَمَا أَنَّ سَخَطَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلشَّقَاوَةَ ٱلأَبَدِيَّةَ وَعَذَابَ أَهْلِ ٱلنَّارِ وَدَرَكَاتِهِمْ ....

بمحبَّته ﷺ ، أصلُه بأصلها ، وكمالُه بكمالِها ، فمحبَّته ﷺ ركن للإيمان ؛ لا يثبت إيمان عبد ولا يُقبل إلاَّ بمحبَّته ﷺ ، (**بَلْ رِضَا ٱللهِ**) الذي هو الإنعام ؛ أو إرادة الإنعام منه (**تَعَالَىٰ**) ؛ أي : تَرَفَّعَ ، جملة معترضة ، أو حاليَّة للتعظيم والتمييز ، ولا يقال ذلك في غير الله سبحانه ، مثل « تبارك » و« عزَّ وجلَّ » ، لأنَّه صار شعاراً لله عزَّ وجلَّ . (**وَٱلسَّعَادَةُ ٱلأَبَدِيَّةُ**) الحاصلة بالموت على الإيمان ، (**وَنَعِيمُ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ وَدَرَجَاتُهُمْ**) ؛ أي : مراتبهم العليَّة (**فِيْهَا**) ؛ أي : الجنة . (**جَمِيْعُ ذٰلِكَ**) مبتدأٌ ثان ، وخبرُه الجملةُ بعدَه ، وجملة المبتدأ الثاني وخبرِه خبرُ المبتدأ الأول الذي هو « رضا الله » وما عطف عليه .

(**يَكُونُ**) متفاوِتا (**بِمِقْدَارِ مَحَبَّةِ ٱلعَبْدِ لَهُ ﷺ زِيَادَةً وَنَقْصاً**) ، وهذا في الحقيقة حثٌّ للمؤمن على تقوية رابطته وزيادةِ محبَّته لنبيه ﷺ ، فإنَّ العاقل لا يترك الخيرَ الكثير ما أمكنَه ، فمن أراد رضا الله سبحانه وسَعَة النعيم في الآخرة ؛ فليُكثر من الأسباب التي تزيد في محبَّته له ﷺ، لأنَّ المحبَّة أساسُ الخيرات ، وبها تزكو الأعمال وتحسُنُ الأحوال .

وللمحبَّة درجاتٌ ، وللناس فيها مقامات ، وأصلُها حاصلٌ لكلِّ مسلم ، لأنَّها أصل الدين ، ومَن ليس فيه محبَّة ـ كما قيل ـ لا يساوي حبَّة . ولا حَدَّ للمحبة ، وما يجب للنبي ﷺ منها ؛ لا يقدر أحدٌ على القيام به ، إذ لا مِنَّةَ لأحدٍ بعد الله كما لَهُ علينا ، فاستحقَّ أن يكون حظُّه من محبَّتنا له أوفىٰ وأزكى من محبَّتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين ، بل لو كان في كلِّ منبت شعرة منا محبَّةٌ تامَّة له ﷺ ؛ لكان ذلك بعضَ ما يستحقُّه .

(**كَمَا أَنَّ سَخَطَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَٱلشَّقَاوَةَ ٱلأَبَدِيَّةَ**) الحاصلة بالموت على الكفر ـ والعياذ بالله من ذلك ـ ، (**وَعَذَابَ أَهْلِ ٱلنَّارِ وَدَرَكَاتِهِمْ**) ؛ أي : منازلهم

فِيهَا . . يَكُونُ بِمِقْدَارِ بُغْضِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، زِيَادَةً وَنَقْصاً .

ـ وَمِنْهَا : ٱتِّبَاعُهُ وَٱلاقْتِدَاءُ بِهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا يُمْكِنُ بِهِ ٱلاقْتِدَاءُ ؛ كَسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ ، وَزُهْدِهِ ، وَعِبَادَتِهِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ ، وَشَرَائِفِ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، . . . . .

(**فِيهَا**) ؛ أي : النار (**يَكُونُ**) ذلك (**بِمِقْدَارِ بُغْضِهِ** ﷺ ؛ **زِيَادَةً وَنَقْصاً**) ، فمن كان شديدَ البغض له ﷺ ؛ كان السُّخط عليه أكثَر ، وعذابُه أوفَر ، نعوذ بالله من بغضه ؛ ومن بغض عباد الله الصالحين . ونسأل الله أن يميتنا على محبَّته ، ويحيِيَنا على سُنَّته ، ويحشرنا في زمرته . آمين .

(**وَمِنْهَا**) ؛ أي : من الفوائد المقصودة بجمع شمائله ﷺ : (**ٱتِّبَاعُهُ**) فيما كان عليه هو وأصحابه ، ويشمل ذلك الاعتقاداتِ ، والأقوالَ والأفعال ، والأخلاق والأحوال ، (**وَٱلاقْتِدَاءُ بِهِ**) فيها (**لِمَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ**) . التوفيق : هو خَلْق قدرة الطاعة في العبد . ولا يكون الاقتداء به ﷺ في كلِّ شيء ، بل (**فِيمَا يُمْكِنُ بِهِ ٱلاقْتِدَاءُ**) ، لأن أفعاله ﷺ على قسمين :

قسمٌ لا يجوز الاقتداء به فيه ، وذلك كإباحة المكث في المسجد ؛ وهو جنب ، وكالوصال في الصوم ، وكإباحة النظر إلى الأجنبيات ، ونكاح أكثر من أربع نسوة ، والنكاح بلفظ الهبة ، وبلا وليٍّ ولا شهود . فهذه الأشياء من خصائصه ﷺ ، لا يُقتدىٰ به فيها .

وقسم يجوز الاقتداء به فيها ، بل يندبُ التأسِّي به فيها ، وذلك (**كَسَخَائِهِ**) ﷺ ؛ وهو : سهولة الانفاق ، وتجنُّب اكتساب ما لا يُحمد ؛ وهو الجود ، (**وَحِلْمِهِ**) ؛ وهو : حالةُ توقر وثبات عند الأسباب المحركات ، (**وَتَوَاضُعِهِ**) ؛ أي : هضم النفس في غير مَنْقَصَةٍ ولا مَذلَّة ، (**وَزُهْدِهِ**) ، وهو : عدم الميل إلى الدنيا ، وقلَّة المبالاة بوجودها وفقدها ؛ اعتماداً على خالقها ، (**وَعِبَادَتِهِ**) المتعارَفة في الشرع ؛ من نحو طهارة وصلاة وصيام ، (**وَغَيْرِهَا مِنْ مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ**) : أوصافه ، (**وَشَرَائِفِ أَحْوَالِهِ** ﷺ) ؛ كحيائه ، وصدقه ،

وَذَلِكَ مُسْتَوْجِبٌ لِمَحَبَّةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ ٱلدَّارَيْنِ .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وأمانته ، وكرمه ، وشجاعته ، إذ مِن علامة محبَّته التخلُّق بأخلاقه في الجود ، والإيثار ، والحلم ، والصبر ، والتواضع ، وغيرها من أخلاقه العظيمة .

وأعظم العلامات لمحبَّته ﷺ : الاقتداءُ به ، واستعمال سنَّته ، وسلوك طريقته ، والاهتداءُ بهديه ، والتأدُّب بآدابه ، والوقوف مع ما حَدَّ لنا من شريعته ﷺ ، (**وَذَٰلِكَ**) كلُّه (**مُسْتَوْجِبٌ لِمَحَبَّةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ ٱلدَّارَيْنِ**) : دار الدنيا ودار الأخرى .

ولمحبَّة الله تعالى علاماتٌ ، منها : تقديمُ أمره على هوى النفس ، ورعايةُ حدود الشرع ، والتزام التقوى والورع ، والتشوُّق إلى لقائه تعالى ، والخلوُّ عن كراهية الموت ، والرضا بقضائه ، ومحبَّة كلامه والتلذُّذ بتلاوته وسماعه ، والطَّرَب عند ذكره أو سماعِ اسمه ، وعدمُ الصبر على ذلك ، ومحبَّة رسول الله ﷺ واتِّباعه ، كما (**قَالَ تَعَالَىٰ** ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي**) ـ في جميع ما جئتُ به ـ (**يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾) [آل عمران/٣١] والمرادُ بمحبَّةِ الله تعالى للعبد : قَبُوله والإثابةُ على أعماله ، إذ معنى المحبَّة الأصلي محالٌ في حقِّه تعالىٰ ، والمعنى أنَّ اتِّباعَ النبي ﷺ فيما جاء به دليلٌ على محبَّة الإنسان لربِّه ، فمن يدَّعي حبَّ الله ولا يحبُّ رسولَه لا ينفعه ذلك . كما قيل :

أَلاَ يَا مُحِبَّ ٱلْمُصْطَفَىٰ زِدْ صَبَابَةً ... وَضَمِّخْ لِسَانَ ٱلذِّكْرِ مِنْكَ بِطِيبِهِ
وَلاَ تَعْبَأَنْ بِٱلْمُبْطِلِيْنَ فَإِنَّمَا ... عَلاَمَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبِيْبِهِ

وحبُّ الله تعالى يوجد بصدق المتابعةِ لرسول الله ﷺ ، ويلزم من محبَّة الله تعالى إيثارُ طاعته على هوى نفسه ، فمن ادَّعى المحبَّةَ من غير طاعة ؛ فدعواه باطلة لا تقبل .

تَعْصِي ٱلإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ!! ... هٰذَا لَعَمْرِي فِي ٱلقِيَاسِ بَدِيْعُ

جَعَلَنَا ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلْمُتَّبِعِينَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَرْعِهِ ٱلْقَوِيمِ ، وَصِرَاطِهِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ، وَحَشَرَنَا تَحْتَ لِوَائِهِ ، فِي زُمْرَةِ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيمُ .

لَـوْ كَـانَ حُبُّـكَ صَـادِقـاً لأَطَعْتَـهُ إِنَّ ٱلمُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ يُطِيْـعُ

وإذا تحقَّق العبدُ بمحبَّة الله ورسوله ، وصَدَق في متابعة أمره ونهيه ؛ خشع وتأدَّب ظاهراً وباطناً ، لأنَّ ما في الباطن يلوحُ على الظاهر ويعودُ عليه ؛ لما بينهما من الارتباط ، ولما أن الإنسانَ عمدتُه والمعتبرُ فيه هو باطنه ؛ به يصلح وبه يفسد ، والمحبَّة تُنتج الخوف ، لأن مقاماتِ اليقين مرتبطٌ بعضها ببعض ، فمن حصلت له المحبَّة ؛ نال من مقام الخوف والرجاء والحياء وغيرها من المقامات والأحوال قسطاً وافراً ، حَسبَما نصَّ على هذا أئمة الطريق .

وإذا صحَّت المتابعة لرسول الله ﷺ ؛ نتج عنها بفضل الله تعالى تطهيرُ السريرة وتنوير البصيرة ، وكان عن ذلك خالصُ الحبِّ وصفاء الودِّ ، والله ذو الفضل العظيم . (**جَعَلَنَا ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلْمُتَّبِعِيْنَ**) ٱلْمُقْتَفِينَ (**لَهُ** ﷺ **فِي شَرْعِهِ ٱلْقَوِيْمِ**) ، لأن التابع له وَاصِلٌ لسعادة الدارين ، (**وَ**) في (**صِرَاطِهِ**) الصراط ـ بالصاد وبالسين ـ : الطريق المستوي ؛ أو الواضح (**ٱلْمُسْتَقِيْمِ**) الذي لا عوج فيه ، (**وَحَشَرَنَا**) الحشر : الجمع والاجتماع من الأماكن إلى المحشر الذي هو مكان الجمع . والاجتماع أبداً لا يكون إلاَّ على عظيم القوم ؛ فهو سلطان ذلك اليوم العظيم (**تَحْتَ لِوَائِهِ**) لواء الحمد ، (**فِي زُمْرَةِ**) ؛ أي : جماعة (**أَهْلِ مَحَبَّتِهِ**) ووداده (**عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيْمُ**) . آمين .

اَلْبَابُ ٱلأَوَّلُ

(الباب الأول)

الباب : هو الطريق إلى الشيء والموصل إليه . وهو حسيٌّ حقيقي ؛ كباب الدار ، ومعنويٌّ مجازي ؛ ككلّ سبب موصل إلى أمر ، وكتراجم الكتب المترجمة بالأبواب .

والباب في عُرف المصنفين : اسمٌ لجملة من العلم مشتملة على مسائل غالباً . وكذا يعرَّف : ما أُفرد من كتاب أو فصل . فإن جمعتَ الثلاثة فقل :

الكتاب : اسمٌ لجملةٍ من العلم مشتملة على أبواب وفصول ومسائل غالبا .

والباب : اسم لجملة من الكتاب مشتملةٍ على فصول ومسائل غالباً .

والفصلُ : اسمٌ لجملة من الباب مشتملة على مسائل غالباً .

ووَضَع العلماء التراجم تسهيلاً للوقوف على مظانِّ المسائل ؛ وتنشيطاً للنفوس .

قال الزمخشري : وذلك لأنَّ القارىءَ إذا ختم باباً من كتاب ثم أخذ في آخر ؛ كان ذلك أنشطَ له وأبعثَ على الدرس والتحصيل ، بخلاف ما لو استمر على الكتاب بطوله . ومثله المسافر إذا علم أنَّه قطع مِيلاً وطوى فرسخاً ؛ نَفَّس ذلك عنه ونَشَط للسير . ومِن ثَمَّ كان القرآن سُوَراً وأجزاءً وأعشاراً . انتهى .

ثم لِتَعرف أَنَّ الأَولى بالقارئ أن يصرِّح بقراءة الترجمة ، أَمَّا أَوَّلاً ! فَلأَنها جزءٌ من التصنيف الذي أخذ في قراءته ، ويتأَكَّدُ ذلك في حقِّ مريد الرواية ، وأمّا ثانياً ! فلأَنها تفتقر إلى البيان كغيرها من مسائل ذلك التصنيف الذي أَخذ في قراءته ؛ قاله الأُبِّي في « شرح مسلم » .

قال أبو العبَّاس الهلالي بعد نقله بأخصر من هذا : ولأنَّ فيها إشارةً إجمالية إلى جميع المسائل المترجم لها ، ولمعرفة المسائل بوجه إجمالي ضابطٍ لجميعها فائدةٌ عظيمة .

فِي نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ

وَفِيهِ فَصْلاَنِ

(في) ذكر (نَسَبِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ) محرَّكة ، واحد الأنساب ، معروف ، وهو : أن تذكر الرجل ؛ فتقول هو فلان بن فلان ، أو تنسبه إلى قبيلة ؛ أو بلد ؛ أو صناعة (وَ) في ذكر (أَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ) جمع اسم ؛ وهو : اللفظُ الدالُّ على المسمَّى ـ بفتح الميم ـ . ووجه ذكر أسمائه ﷺ التي هي كالتتمة لفضائله ﷺ !! أنَّ ذكر أسمائه ﷺ تعيِّنُه وتشخِّصه ، ويحصل بها معرفةٌ تامَّة به ﷺ وبأسمائه وصفاته ، وبعظيم قدره عند خالقه . وقد قال في « الشفاء » : ومن خصائصه تعالى له أَنْ ضَمَّنَ أسماءه ثناءه ؛ وطوى أثناء ذكره عظيمَ شكره .

ومعرفتُه ﷺ مقصودةٌ لذاتها . ثم معرفةُ أنَّ له أسماءً كثيرة تدلُّ على عظمه ، وذلك يحصِّل تعظيمه ويزيد في محبَّته ، ثم معرفتُها تفصيلا تفيدُ زيادةً في محبَّته وتعظيمه أيضاً . (وَفِيْهِ) أي : هذا الباب (فَصْلاَنِ) يأتي بيانُهما :

ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ
فِي نَسَبِهِ ٱلشَّرِيفِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ . . .

(ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ)

ـ بالصاد المهملة ـ لغةً : الحاجزُ بين الشيئين ، والفصل في الأصل مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، أي : الفاصل بين ما قبله وما بعده والحاجز بينهما ، أو بمعنى اسم المفعول ؛ إذ مسائله مفصولةٌ عما قبله وعمَّا بعده .

والفصل في عرف المصنفين : اسمٌ لجملة من الباب مشتملةٍ على مسائلَ غالبا ، وقد مرَّ آنفاً الكلام على ذلك بأوسع .

(فِي) ذكر (نَسَبِهِ ٱلشَّرِيْفِ ﷺ) ،

وهو خيرُ أهل الأرض نسباً على الإطلاق ، فلِنَسَبِهِ من الشرف أعلى ذروة . وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ، ولهذا شهد له به أبو سفيان عدوُّه إذ ذاك بين يدي ملك الروم ، فأشرفُ القوم قومُه ، وأَشرف القبائل قبيلتُه ، وأشرف الأفخاذ فخذُه ؛ فـ (هُوَ) ﷺ النبيُّ العربي ، الأبطحي الحَرَمي ، القرشي الهاشمي ، نخبة بني هاشم ، المختارُ المنتخب من خير بطون العرب ، وأعرقها في النسب ، وأشرفها في الحسب ، وأنضرها عوداً ، وأطولها عموداً ، وأطيبُها أَرُومة ، وأعزُّها جُرثومةً ، وأفصحُها لساناً ، وأوضحها بياناً ، وأرجحها ميزاناً ، وأصحُّها إيماناً ، وأعزُّها نفراً ، وأكرمها معشراً ؛ من قِبَلِ أبيه وأُمِّه ، ومن أكرم بلاد الله على عباده ؛ (سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ) اسم مفعول على الصفة ؛ للتفاؤل بأن يكثر حمده . وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلَّق به .

قال في « الفتح » : المحمَّدُ : الذي حُمد مرَّة بعد أخرى ، أو الذي تكاملت فيه الخصالُ المحمودة (رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ) وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم (ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ) ،

قال الحافظ : لم يُختَلَف في اسمه . انتهى . قال ابن الأثير : وكنيته أبو قُثَم ـ بقافٍ فثاء مثلثة ـ وهو من أسمائه ﷺ ؛ مأخوذ من القَثْم ؛ وهو الإعطاء ، أو من الجمع ؛ يقال للرجل الجموعِ للخير قثومٌ وقُثَم ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو أحمد . انتهى .

فإن قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى حَمْلٌ !! فلعله كُنِّي بالإلهام ، وإن قُلنا بعدَ ولادته !! فظاهرٌ .

(ٱبْنِ) شيخِ البطحاء (عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ) مجاب الدعوة ، مُحَرِّمُ الخمرِ على نفسه . قال ابن الأثير : وهو أوَّل مَن تحنَّث بحراء ؛ كان إذا دخل شهر رمضان صعِده وأطعم المساكين . وقال ابن قتيبة : كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رءوس الجبال ، فكان يقال له : « الفَيَّاض » لجوده . ويقال له « مطعم طير السماء » ، واسمه « شيبةُ الحمد » ، وكنيته « أبو الحارث » بابن له هو أكبر أولاده . وإنَّما سُمِّي « عبدَ المطَّلب » !! قيل : لأن عمَّه المطَّلب جاء به إلى مكَّة رديفه ؛ وهو بهيئةٍ رَثَّةٍ ، فكان يُسأل عنه ؛ فيقول : « هو عبدي » ؛ حياءً من أن يقول : « ابن أخي » . فلما أُدخل مكة وأُصلح من حاله أظهر أنَّه ابن أخيه ؛ فلذلك قيل له « عبد المطلب » . وهو أوَّل من خَضَب بالسَّواد من العرب ، وعاش مائة وأربعين سنة ، كما قاله عالم النسب الزُّبير بن بكَّار وتبعوه ؛ قاله الزرقاني .

(ٱبْنِ هَاشِمِ) ، واسمه : عمرو ، وإنَّما قيل له « هاشم » ؛ لأنه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب . وكان هاشم أفخرَ قومه وأعلاهم ، وكانت مائدته منصوبة لا تُرفع ؛ لا في السَّراء ، ولا في الضَّراء . وكان يحمل ابن السبيل ، وكان نور رسول الله ﷺ في وجهه يتوقَّد شعاعه ، ويتلألأُ ضياؤه ، ولا يراه حَبْرٌ إلاَّ قَبَّل يده ، ولا يمرُّ بشيء إلا سَجَد إليه . تغدو إليه قبَائل العرب ووفود الأحبار ؛ يحملون بناتِهم يعرضون أن يتزوَّج بهنَّ ، حتَّى بعث إليه هرقل ملك الروم ، وقال : إنَّ لي ابنةً لم تلد النساءُ أجملَ منها ؛ ولا أبهى وجها ، فاْقدُم عليَّ حتى أُزوِّجَكها ؛ فقد بلغني جودك وكرمك . وإنَّما أراد بذلك نورَ المصطفى ﷺ الموصوفَ عندهم في

الإنجيل ، فأبىٰ هاشم . ومات وسنُّه عشرون ، وقيل : خمس وعشرون سنة . انتهى . « زرقاني » .

(ٱبْنِ عَبْدِ مَنَافِ) ـ بفتح الميم وخِفَّة النون ـ ، من : « أناف ينيف إنافةً » ؛ إذا ارتفع . وقيل : الإنافة : الإشرافُ والزيادة . لُقِّب بذلك !! لأنَّ أمه حُبَّى ـ بضم الحاء المهملة وموحدة مُشددة مُمالة ـ أخدمته صنماً عظيماً لهم يسمَّى « مناة » ، ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مَناة بن كنانة ، فحوَّلَهُ « عبد مناف » ، واسمه : المغيرة ، كما قال الشافعي ؛ منقولٌ من الوصف ، والهاء للمبالغة ، سُمِّي به !! تفاؤلاً أنَّه يُغير على الأعداء . وساد في حياة أبيه . وكان مطاعاً في قريش ، ويدعَىٰ « القمر » لجماله . قال الواقدي : وكان فيه نور رسول الله ﷺ ، وفي يده لواء نزار وقوس إسماعيل . قال ابن هشام : ومات بـ « غَزَّة » .

(ٱبْنِ قُصَيِّ) ـ بضمِّ القاف ـ تصغير قَصِيْ ـ بفتح فكسر ؛ فياء ساكنة ـ من : (قصا يقصو) ؛ إذا بَعُد . ولُقِّب بذلك !! لأنَّه بَعُد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته أُمُّه فاطمة بنت سعد العذري في قصّة طويلة . ذكرها ابن إسحاق . واسمه « مُجَمِّعٌ » ؛ بالتشديد اسم فاعل ، قال الشاعر :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَىٰ « مُجَمِّعاً » بِـهِ جَمَّـعَ ٱللهُ ٱلْقَبَـائِـلَ مِـنْ فِهْـرِ

وكان قُصَيّ أوّلَ بني كعب أصاب مُلْكاً طاع له به قومه ، وكانت له الحجابة والسقاية والرِّفادة والندوة واللواء ، وحاز شرف مكَّة جميعاً ، وكان رجلاً جَلْداً جميلاً ، وعالمَ قريش وأقومها بالحقِّ .

(ٱبْنِ كِلَابِ) ـ بكسر الكاف وتخفيف اللام ـ وهو ، إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة ؛ نحو : كالبتُ العَدُوَّ مكالبة ، وإما من الكِلاب ؛ جمع كلب : الحيوان المعروف !! كأنهم يريدون الكثرةَ ؛ كما يسمون بـ« سباع » و« أنمار » وغير ذلك .

وسئل أعرابي : لم تسمُّونَ أبناءكم بِشَرِّ الأسماء ؛ نحو كلب وذئب ، وعبيدَكُم

بأحسن الأسماء ؛ نحو رزق ومرزوق ورباح ؟! فقال : إنَّما نُسمِّي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدَنا لأنفسنا . يريد الأعرابي : أنَّ الأبناء عِدَةٌ للأعداء وسهامٌ في نحورهم ؛ فاختاروا لهم هذه الأسماء دون عبيدهم ، لأنهم لا يُقصَد منهم قتال غالباً ، بل كان عاراً عند العرب .

واسم كلاب : « حكيمٌ » ، قال الحافظ : ولُقِّب بـ « كِلاب » !! لمحبَّته كِلاب الصيد ، وكان يجمعُها ، فمَنْ مرَّت به فسأل عنها قيل : هذه كلابُ ابنِ مُرَّة ، وقال القُسْطُلاَّني : لمحبَّته الصيد ، وكان أكثرُ صيده بالكلاب ؛ قاله المهلب وغيره .

(ٱبْنِ مُرَّةَ) بضمِّ الميم ، منقول من وصف الرجل بالمرارة ، فالتاء للمبالغة . وله ثلاثة أولاد : يقظة ؛ وبه يكنَّىٰ ، وكلاب ، وتيم ؛ ومن نسله الصدِّيقُ وطَلحة .

(ابنِ كَعْبٍ) قال السهيلي : سُمِّي بذلك ؛ لستره على قومه ولين جانبه لهم . منقولٌ من « كعب القدم » . وقال ابن دريد وغيره : من « كَعْب القناةِ » ، وسُمِّي بذلك !! لارتفاعه وشرفِهِ فيهم ، فكانوا يخضعون له حتى أَرَّخوا بموته إلى عام الفيل ؛ فأَرَّخوا به ، ثم بموت عبد المطلب . وكعبٌ أَوَّل مَن جمع الناس يوم العَروبة ـ وهو : اسم يوم الجمعة ـ في الجاهلية اتفاقا . ولم يكن ثَمَّ صلاةٌ يجمعهم إليها ، بل كانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم . وكان فصيحا يأمرُهم بتعظيم الحَرَم ، ويذكِّرُهم بمبعث النبي ﷺ ، ويُعلِمُهم بأنَّه من ولده ، ويأمرهم باتِّباعه والإيمان به . وينشدُ في ذلك أبياتاً . منها قوله :

يَـا لَيتَنِـي شَـاهِـدٌ فَحْـوَاءَ دَعْـوَتِـهِ   حِيْنَ ٱلعَشِيْرَةُ تَبْغِي ٱلحَقَّ خُذْلاَنَا

وكان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة سنة وستون سنة ؛ قاله الزرقاني على « المواهب » .

(ٱبْنِ لُؤَيٍّ)ـ بضم اللام والهمزة ، ويُسَهَّل بإبدال همزته واواً ـ .

وفي « النور والإرشاد » : الهمزُ أكثرُ عند الأكثرين . ولؤي تصغير « لأَىٰ » بوزن

(عصا)؛ وهو الثور الوحشيُّ ، وكنية لؤي : « أبو كعب » ، وله سبعةُ أولاد ذكور .

(ٱبْنِ غَالِبِ) ـ بالمعجمة وكسر اللام ـ منقول من اسم فاعل مشتق من الغَلَب ـ بفتَحات ، أو فتح فسكون ـ ويقال غَلَبة : بهاء . وله وَلَدان : لؤيٌّ وتَيْمٌ ، وبه يُكَنَّى .

(ٱبْنِ فِهْرِ) ـ بكسر الفاء وسكون الهاء فراءٌ ـ منقولٌ من الفهر : الحجر الطويل ؛ قاله السهيلي . وقال الخشني : الفهر : حجرٌ ملءُ الكفِّ ؛ يذكَّر ويؤنَّث . وخَطَّأ الأصمعيُّ مَن أَنَّثَهُ ، وفي « الفتح » : الفِهْر : الحجر الصغير . وفي « الإرشاد » : الطويل الأملس .

واسم فهرٍ « قريش » ، وإليه تُنسب قبائل قريش ؛ كما قاله جماعة ، ونُسِب للأكثر . قال الزُّهري : وهو الذي أدركتُ عليه مَن أدركتُ من نُسَّاب العرب : أنَّ مَن جاوز فهراً ؛ فليس من قريش ، بل يقال له « كِنَانيٌّ » ؛ نسبةً إلى كنانةَ بنِ خزيمة بن مدركة . على القول الصحيح الذي صَحَّحه الدمياطِيُّ والعراقيُّ وغيرهما ، والحُجَّةُ لهم حديثُ مسلم والترمذي ؛ مرفوعاً : « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ ، وَٱصْطَفَىٰ قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ » . . . الحديث . وقيل غير ذلك .

وقبائل قريش فرقتان : بطاح ، وظواهر . فقريش البطاح : مَن دخل مكَّة مع قصي . والظواهر : مَن أقام بظاهر مكة ؛ ولم يدخل الأبطح .

(ٱبْنِ مَالِكِ) اسم فاعل من مَلَك يملِك ؛ فهو مالك ، والجمع : مُلاَّك ، ويكنَّىٰ « أبا الحارث » ؛ قاله في « الخميس » . سُمِّي « مالكاً !! » ؛ لأنه كان ملك العرب .

(ٱبْنِ ٱلنَّضْرِ) ـ بفتح النون وإسكان الضاد المعجمة فراء ـ واسمه « قيس » ، ولُقب بـ « النضر » !! لنضارة وجهه وإشراقه وجماله ؛ منقول من « النضر » : اسمُ الذهب الأحمر ، وله من الذكور مالك والصَّلْت ، ويَخْلُد ـ بفتح التحتيَّة وسكونِ المعجمة ، وضمِّ اللام فدال مهملة ـ وبه يكنَّىٰ أبوه ، ولكن لم يُعْقِبْ إلاَّ من مالكٍ .

(ٱبْنِ كِنَانَةَ) ـ بكسر الكاف ونونين مفتوحتين ، بينهما ألف ، ثم هاء ـ ؛ منقول من « الكِنانة » التي هي الجَعْبة ـ بفتح الجيم وسكون العين المهملة ـ .

سُمِّي بذلك !! تفاؤلاً بأنه يصير كالكِنانة الساترة للسهام ؛ فكان ستراً على قومه ، وقيل غير ذلك .

(ٱبْنِ خُزَيْمَةَ) تصغيرُ خَزَمة ـ بمعجمتين مفتوحتين ـ وهي : مرَّة واحدة من الخزم ، وهو : شدُّ الشيء وإصلاحه . وقال الزَّجَّاجي : يجوزُ أنَّه من الخزم ـ بفتح فسكون ـ تقول : خزمتُه ؛ فهو مخزوم إذا أَدخلتَ في أنفه الخزام ؛ قاله في « الفتح » .

وفي « تاريخ الخميس » : إنَّما سُمِّيَ « خزيمة » ؛ تصغيرُ خَزَمة !! لأنَّه اجتمع فيه نور آبائه ؛ وفيه نور رسول الله ﷺ . انتهى .

قال ابن عباس : ومات خزيمة على مِلَّة إبراهيم .

(ٱبْنِ مُدْرِكَةَ) ـ بضمٍّ فسكون فكسر ففتح ، ثم هاء مبالغة ـ ؛ منقول من اسم فاعل من الإِدراك ، لُقِّبَ به !! لإدراكه كلَّ عزٍّ وفخر كان في آبائه ، وكان فيه نورُ المصطفى ﷺ ظاهراً بيِّناً ، واسمه « عمرو » عند الجمهور . وهو الصحيح .

(ٱبْنِ إِلْيَاس) ـ بتحتيَّة مع كسر الهمزة ؛ في قول ابن الأنباري ، وهي همزة قطع تُثْبَت في الابتداء والدَّرْج ـ والمعروف أنَّه اسمُه ، وفي « سيرة مغلطاي » : أنَّ اسمَه حبيبٌ .

وفي « تاريخ الخميس » : إنما سُمِّي « إلياس » !! لأنَّ أباه كَبُر ولم يولد له ، فولد على الكبر واليأس ؛ فسُمِّي « إلياس » ، وكنيته « أبو عَمْرو » ، وله أخ يقال له « إلناس » ـ بنون ـ ؛ ذكره ابن ماكولا والجوهريُّ .

وقال قاسم بن ثابت العوفي الأندلسيُّ المالكيُّ : إنَّه بفتح الهمزة ضدّ الرجاء ، واللام فيه للتعريف ، والهمزةُ للوصل . قال السهيلي : وهذا أصحُّ من قول ابنِ الأنباري . انتهى .

وإلياس أوَّل مَن أهدى البُدْن إلى البيت الحرام .

ويُذكَر أنَّه كان يُسمع في صُلبه تلبيةُ النبي ﷺ .

ولم تزل العرب تعظِّمُه تعظيمَ أهل الحكمة ؛ كـ« لقمان » وأشباهه . وكان

يدعىٰ كبير قومه وسيد عشيرته ، ولا يُقطع أمر ولا يُقضىٰ بينهم دونَه .

قال الزبير بن بكَّار : ولَمَّا أدرك إلياسُ أنكر على بني إسماعيل ما غيَّروا من سَنن آبائهم وسيرتهم ، وبان فضلُه عليهم ، ولان جانبُه لهم ، حتَّى جمعهم رأيُه ورضوا به ، فردَّهم إلى سَنن آبائهم وسيرهم .

قال ابن دحية : وهو وصيُّ أبيه ، وكان ذا جمال بارع .

(ٱبْنِ مُضَرَ) ـ بضم الميم وفتح الضاد المعجمة ـ غَير مصروف للعلمية والعدل .

قال الحافظ : قيل سُمِّي به ؛ لأنه كان يحب شُرب اللبن الماضر ؛ وهو الحامض ، وفيه نظر ، لأنّه يستدعي أَنَّه كان له اسمٌ غيره قبل أن يتَّصفَ بهذه الصفة ، نعم ؛ يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ، ولا يلزم أن يكون متَّصفاً بهذه الصفة : وقيل : سُمِّي به لبياضه . وقيل : لأنه كان يمضُر القلوب لحُسْنه وجماله .

وهو أوَّل مَن سَنَّ الحُدَاء للإبل . قال البلاذري : وذلك أنَّه سقط عن بعيره وهو شابٌ ؛ فانكسرت يده ، فقال : يا يداه . . يا يداه . فأتت إليه الإبل من المرعى ، فلما صحَّ وركب حَدَا ؛ وكان من أحسن الناس صوتاً .

(ٱبْنِ نِزَارِ) ـ بكسر النون ، فزاي ، فألف ، فراء ـ مأخوذ من النَّزْر ؛ وهو القليل .

قيل : إنَّه لما وُلد ونظر أبوه إلى نور محمد ﷺ بين عينيه فَرِح فرحا شديداً ، ونَحَر وأطعم ؛ وقال : إنَّ هذا كلَّه نزر ـ أي : قليل ـ لِحَقِّ هذا المولود ؛ فسُمِّي « نزاراً » لذلك ، وكان اسمُه « خَلْدان » ، وكنيته « أبو إياد » ، وقيل : « أبو ربيعة » ، وكان أجملَ أهل زمانه وأكبرَهم عقلاً ، وكان مقدَّماً ، وانبسطت إليه اليدُ عند الملوك .

وفي « الْوَفَا » : يقال إنَّ قبر نزار . بـ« ذات الجيش » قرب المدينة .

(ٱبْنِ مَعَدٍّ) ـ بفتح الميم والمهملة وشدِّ الدال ـ وسُمِّي « معدّاً »!! لأنه كان

ٱبْنِ عَدْنَانَ .

إِلَىٰ هُنَا إِجْمَاعُ ٱلأُمَّةِ ، وَمَا بَعْدَهُ إِلَىٰ آدَمَ لاَ يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ يُعْتَمَدُ .

صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ، ولم يحارب أحداً إلاَّ رجع بالنصر والظَّفَر .

وكُنْيته « أبو قضاعة » . وقيل : أبو نزار .

(ٱبْنِ عَدْنَانَ) ـ بزنة فَعْلان ـ من المعدن ، أي : الإقامة ؛ قاله الحافظ وغيره . وفي « الخميس » : سُمي به !! لأنَّ أعين الجن والإنس كانت إليه وأرادوا قتله . وقالوا : لئن تركنا هذا الغلام حتى يُدْرِكَ مَدْرَكَ الرجال لَيَخْرجَنَّ من ظهره مَن يسودُ الناس . فوَكَّل اللهُ به مَن يحفظه . انتهى .

وحكى الزُّبير : أنَّ عدنان أوَّلُ مَن وضع أنصاب الحرم ، وأوَّل من كَسىٰ الكعبة ، أو كسيت في زمانه . وقال البلاذري : أوَّل مَن كساها الأنطاعَ عدنان .

ولما استشعر المصنف قولَ سائلٍ : « لِمَ لَمْ توصل النسب إلى آدم ؟ » قال : (إِلَىٰ هُنَا إِجْمَاعُ ٱلأُمَّةِ) ، والإجماع . حجَّة ، لعصمة الأُمة عن الخطأ ، لقوله ﷺ « لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ » .

(وَمَا بَعْدَهُ) ؛ أي : بعد عدنان (إِلَىٰ) إسماعيلَ بنِ إبراهيم ، ومنه إلى (آدَمَ) قال العلماء : (لاَ يَصِحُّ فِيْهِ شَيْءٌ يُعْتَمَدُ) . قال العسقلاني في « السيرة » : اختُلف فيما بين عدنان وإسماعيل اختلافاً كثيراً ، ومن إسماعيل إلى آدم متَّفقٌ على أكثره ، وفيه خُلْف يسير في عدد الآباء ، وفيه خُلْف في ضبط بعض الأسماء . انتهى .

وعن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون بأسمائهم . وقال عروة بن الزُّبير : ما وجدنا أَحداً يعرف بعد مَعدِّ بن عدنان . وسئل الإمام مالك ؛ عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم!! فكَرِه ذلك . قيل له : فإلى إسماعيل . فكَرِه ذلك أيضا . وقال : مَن أخبره بذلك !!؟ وكذا رُوي عنه في نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فالذي ينبغي : الإعراضُ عما فوق عدنان ، لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وعواصة تلك الأسماء مع قِلَّة الفائدة .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱنْتَسَبَ . . لَمْ يُجَاوِزْ فِي نِسْبَتِهِ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ بْنِ أُدَدٍ ، ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ : « كَذَبَ ٱلنَّسَّابُونَ » ؛ قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨] .

وَهَٰذَا ٱلنَّسَبُ أَشْرَفُ ٱلأَنْسَابِ عَلَىٰ ٱلإِطْلَاقِ .

فَعَنِ ٱلْعَبَّاسِ . . . .

(وَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ إِذَا ٱنْتَسَبَ) ـ أي : ذكر نسبه ـ (لَمْ يُجَاوِزْ فِيْ نِسْبَتِهِ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ بْنِ أُدَدٍ) ـ بضمِّ الهمزة ودال مهملة مفتوحة ـ (ثُمَّ يُمْسِكُ) عما زاد ؛ توطئةً لقوله (وَيَقُوْلُ : « كَذَبَ ٱلنَّسَّابُونَ ») أي : الرافعون النسبَ إلى آدم ، يقولها مرتين أو ثلاثا . رواه في « مسند الفردوس » ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا . لكن قال السُّهيلي : الأصحُّ في هذا الحديث أنَّه من قول عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه . وقال غيره : كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٩/ إبراهيم] قال : كَذَبَ النسَّابون . يعني : أنَّهم يدَّعون علم الأنساب ، ونفى اللهُ علمَها عن العباد بقوله ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٩/ إبراهيم] ، و (قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ) في سورة الفرقان (﴿ وَقُرُونًا) ـ أقواماً ـ (بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾) لا يعلمهم إلا ٱلله (وَهٰذَا ٱلنَّسَبُ أَشْرَفُ ٱلأَنْسَابِ عَلَىٰ ٱلإِطْلَاقِ ، فـ)ـقد روىٰ الترمذيُّ وقال : حديث حسن ؛ (عَنِ ٱلعَبَّاسِ) بنِ عبد المطَّلب أبي الفضل الهاشمي ، عمِّ النبي ﷺ ، كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين ؛ أو ثلاث ، وكان رئيساً جليلاً في قريش قبل الإسلام ، وكان إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية . قيل : أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتمُ إسلامه ؛ مقيماً بمكة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ يعظِّمُه ويكرمه ويبجِّلُه . وكان وَصُولاً لأرحام قريش ؛ محسناً إليهم ، ذا رأي وكمال عقل ، جواداً ؛ أعتق سبعين عبداً .

وكانت الصحابة تكرمه وتعظِّمُه وتقدِّمُه ، وتشاوره وتأخذ برأيه .

وله من الأولاد عشرة ؛ وثلاث بنات . وتوفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلْخلْقَ فَجعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلْقَبَائِلَ فَجعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلْبُيُوتَ فَجعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً » .

يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل : من رمضان سنة : اثنتين وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين ؛ وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** . **أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ**) . وفي الترمذيِّ : قال العبَّاس : قلت : يا رسول الله ؛ إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مَثَلَك مَثَلَ نخلة في كبوة ـ أي : كُناسة . أي : هو كالشجرة المثمرة وأصلُها خبيث . فقد مدحوه وذَمُّوا أصله ـ فقال رسول الله ﷺ مبيناً أن أصلَه طيِّب : (« **إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلخَلْقَ**) ـ أي : المخلوقات ، و« أل » للاستغراق ، فتدخل الملائكة ، فهو نصٌّ في أفضلية جنس البشر على جنس المَلَك . أو المرادُ : الثقلان ، أو المراد : بنو آدم فِرَقاً ـ (**فَجَعَلَنِي**) ـ أي : صيَّرني ـ (**مِنْ خَيْرِهِمْ**) ـ أي : خيرِ فِرَقهم ؛ أي : أشرفها ، والمراد بالفِرَق الذي هو خيرُهم : العربُ ـ (**ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلقَبَائِلَ**) ـ من العرب أي : اختار خيارَهم ؛ فضلاً منه ـ (**فَجَعَلَنِيْ مِنْ خَيْرِ قَبِيْلَةٍ**) ـ منهم ؛ وهم قريش ، أي : قَدَّر إيجادي في خير قبيلة ـ (**ثُمَّ تَخَيَّرَ ٱلبُيُوْتَ**) ـ أي : اختارهم شرفاً ـ (**فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ**) ـ أي : أشرفها ؛ وهم بنو هاشم ، وإذا كان كذلك ـ (**فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً**) ـ أي : روحاً وذاتاً ـ (**وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً**) ـ أي : أصلاً ، إذ جئت من طيِّب إلى طيِّب ، إلى صلب أبي بفضل الله عَلَيَّ ولطفه في سابق علمه .

ولم يقل « ولا فخر » ؛ كما في خبر : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » !! لأنَّ هذا بحسب حال المخاطَبين في صفاء قلوبهم بما يعلمه من حالهم ، أو هذا بعد ذاك .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : « إِنَّ ٱللهَ حِيْنَ خَلَقَ ٱلخَلْقَ بَعَثَ جِبْرِيْلَ ؛ فَقَسَمَ ٱلنَّاسَ قِسْمَيْنِ ؛ فَقَسَمَ ٱلعَرَبَ قِسْماً ، وَقَسَمَ ٱلعَجَمَ قِسْماً ، وَكَانَتْ خِيَرَةُ ٱللهِ فِي ٱلعَرَبِ . ثُمَّ قَسَمَ ٱلعَرَبَ قِسْمَيْنِ ؛ فَقَسَمَ ٱليَمَنَ قِسْماً ، وَقَسَمَ

مضَرَ قِسْماً وَقُرَيْشاً قِسْماً ، وَكَانَتْ خِيرَةُ ٱللهِ فِي قُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِيْ مِنْ خَيْرِ مَنْ أَنَا مِنْهُمْ » رواه الطبراني ، وحَسَّن العراقي إسناده ، وهو شاهدٌ لخبر المصنِّف وكالشرح له .

قال بعض العلماء : والتفاضلُ في الأنساب والقبائل والبيوت باعتبار حُسْن خِلْقة الذات والتفاضل فيما قام بها من الصفات ؛ حتى في الأقوات ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل/٧١] وهذا جارٍ في سائر المخلوقات ، فضلُ الله يؤتيه من يشاء ، فلا اتجاه لما عساه يقال : الإنسان كلُّه نوع ؛ فما معنى التفاضل في الأنساب !! انتهى « زرْقاني » .

(وَ) روى مسلم ، والترمذيُّ بأتمَّ منه ـ وقال : حديث صحيح غريب ـ (عَنْ) أبي شَدَّاد (وَاثِلَةَ بْنِ ٱلأَسْقَعِ) بن عبد العُزَّىٰ بن عبدِ ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكِنَاني اللَّيْثي (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) قيل : أسلم والنبيُّ ﷺ يتجهَّزُ إلى تبوك ، وشهدها معه ، وشهد فتح دمشق وحمص . وقيل : إنَّه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين ؛ وكان من أهل الصُّفَّة .

روي له عن رسول الله ﷺ ستة وخمسون حديثاً ؛ روى له البخاري حديثاً ، ومسلم حديثاً آخر .

سكن الشام ؛ فسكن دمشق ، ثم استوطن « بيت جبرين » ؛ وهي بلدة بقرب بيت المقدس ، ودخل البصرة ؛ وكان له بها دار .

رَوَىٰ عنه أبو إدريس الخولاني ، ومكحول ، وأبو المليح ، ويونس بن ميسرة وخلق سواهم .

وتوفي بدمشق سنة : ست ـ أو خمس ـ وثمانين هجرية ؛ وهو ابن ثمان وتسعين سنة رحمه الله تعالى ، وأبوه صحابيٌّ ؛ كما في « الإصابة » . رضي الله تعالى عنهما .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَٱصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ....

(قَالَ) واثلةُ : (قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ) ـ أي : اختار ـ (مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيْمَ إِسْمَاعِيْلَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ بَنِيْ كِنَانَةَ) ـ وهم عدَّة قبائل ؛ أبوهم كنانة بن خزيمة ـ (وَٱصْطَفَىٰ مِنْ بَنِيْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً) ـ وفيه إبطالٌ للقول بأن جِماع قريش مُضَر ، وإبطال للقول الآخر بأنَّ جماعَهم إلياس ـ (وَٱصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِيْ هَاشِمٍ ، وَٱصْطَفَانِيْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) ؛ زاد ابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر ـ : « ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ ٱبْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . انتهى .

قال الحليمي : أراد تعريف منازل المذكورين ومراتِبَهم ، كرجل يقول « كان أبي فقيهاً » لا يريد الفخر ؛ بل تعريف حاله دون ما عداه . وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله تعالى عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء . انتهى . ونقله عنه البيهقيُّ في « الشُّعَب » . وأقرَّه .

وقال الحافظ ابن حجر : ذَكَرَهُ لإفادة الكفاءة ، والقيام بشكر النعم . والنهيُ عن التفاخر بالآباء موضعُه مفاخرةٌ تفضي إلى تكبُّر ؛ أو احتقارِ مسلم . انتهى ؛ نقله الزرقاني على « المواهب » .

(وَ) روى الطبرانيُّ في « الأوسط » ؛ (عَنْ) عبد الله (بنِ عُمَرَ) بنِ الخطَّاب : أبي عبد الرحمن العالِم المجتهد العابد ، لَزوم السنة ، الفَرور من البدعة ، الناصح للأُمَّة (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) .

روى ابن وهب عن مالك ؛ قال : بلغ ابنُ عمر ستًّا وثمانين سنة ، وأفتى ستِّين سنة .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ ٱخْتَارَ خَلْقَهُ ؛ فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَٱخْتَارَ مِنْهُمُ ٱلْعَرَبَ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ ٱلْعَرَبَ فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً ، ثُمَّ ٱخْتَارَ قُرَيْشاً فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَٱخْتَارَنِي ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ ، أَلاَ مَنْ أَحَبَّ ٱلْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ ٱلْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ » .

وقال نافع : ما مات حتى أعتق أكثر من ألف ، وشهد الخندق وما بعدها .

قال الحافظ ابن حجر : ولد في السنة الثانية ؛ أو الثالثة من المبعث ، لأنه ثبت أَنَّه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة ؛ وهي بعد المبعث بخمس عشرة ، ومات في أوائل سنة ثلاث وسبعين . رحمه الله تعالى .

(**قَالَ**) ـ أي : ابن عمر ـ (**قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ** : « **إِنَّ ٱللهَ ٱخْتَارَ**) ـ أي : اصطفى ـ (**خَلْقَهُ**) ـ مُميّزاً لهم على غيرهم ممَّن لو تعلَّقت بهم الإرادةُ وَوُجِدوا كانوا دونهم في الفضل ، لكونهم لم يختاروا ، فلا يَرِدُ أنَّ الاختيار إِنَّما يكون فيما يُختار من شيء ، ولا يقال : اختار شيئاً ، إذ لابدَّ من مختارٍ ومختار منه . ومحصَّل الجواب : اختيارُهم ممن يُقدَّر وجودُهم ـ (**فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِيْ آدَمَ ، ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي آدَمَ**) ـ أي : نظر إليهم ـ (**فَٱخْتَارَ مِنْهُمُ ٱلعَرَبَ**) ـ وبهذا التأويل اندفع ما يقال : لا حاجةَ لقوله « ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِي آدَم » بل لا يصحُّ ، لأنه عينُ ما قبله ـ (**ثُمَّ ٱخْتَارَ ٱلعَرَبَ**) ـ أي : نظر إليهم ـ (**فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً**) ـ أي : قبائل قريش ـ (**ثُمَّ ٱخْتَارَ قُرَيْشاً**) ـ أي : نظر إليهم ـ (**فَٱخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِيْ هَاشِمٍ**) ـ دون غيرهم ـ (**ثُمَّ ٱخْتَارَ بَنِيْ هَاشِمٍ**) ـ أي : نظر إليهم ـ (**فَٱخْتَارَنِيْ**) ـ من بني هاشم ـ (**فَلَمْ أَزَلْ خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ ، أَلاَ مَنْ أَحَبَّ ٱلعَرَبَ فَبِحُبِّيْ**) ـ أي : فبسبب حبّه لي ـ (**أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ ٱلعَرَبَ**) ـ أظهر للتعظيم ـ (**فَبِبُغْضِيْ**) ـ أي : بسبب بغضه لي ـ (**أَبْغَضَهُمْ** ») .

وقد روى الترمذي ؛ وقال : حسن غريب ؛ عن سلمان رفعه : « يَا سَلْمَانُ ؛ لاَ تُبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِيْنَكَ . » قلت : يا رسول الله ؛ كيف أُبغضُك وبك هداني الله ؟! قال « تُبْغِضُ ٱلعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي » .

. . . .

وروىٰ الطبرانيُّ ؛ عن علي رفعه : « لاَ يُبْغِضُ ٱلعَرَبَ إِلاَّ مُنَافِقٌ » . انتهىٰ .

وقد أَلَّف الحافظ العراقيُّ « رسالة في فضائل العرب » . وتلاه الشيخ ابن حجر الهيتمي ، رحمهم الله تعالىٰ ، فأَلَّف رسالة سماها « مَبلغ الأَرَب في فضائِل العرب » .

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي أَسْمَائِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اِعْلَمْ . . أَنَّ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَاءً كَثِيرَةً .

(ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِيْ)

من الباب الأوَّل

(فِي) ذكر بعض (أَسْمَائِهِ)

جمع : اسم ؛ وهو كلمة وَضَعَتْها العرب بإزاء مسمَّىً ، متىٰ أُطلقت فُهِم منها ذلك المسمَّىٰ .

فعلىٰ هذا لا بدَّ من مراعاة أربعة أشياء : ١ ـ الاسم ، و٢ ـ المسمَّىٰ ـ بفتح الميم ـ ، و٣ ـ المسمِّي ـ بكسرها ـ ، و٤ ـ التسمية .

فالاسم : هو اللفظ الموضوع علىٰ الذَّات لتعريفها وتخصيصها عن غيرها ؛ كلفظ « زيد » .

والمسمَّىٰ : هو الذاتُ المقصود تمييزُها بالاسم كشخص زيد .

والمسمِّي ـ بالكسر ـ : هو الواضع لذلك اللفظ .

والتسمية : هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات . والوضع : تخصيص لفظ بمعنىً إذا أُطلق فُهِم منه ذلك المعنىٰ للعالم بالوضع .

(الشَّرِيْفَةِ) وذكر شيء من معانيها (ﷺ) وشرَّف وكرَّم .

(اِعْلَمْ أَنَّ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَسماءً كَثِيْرَةً) ، وكثرةُ الأسماء تدلُّ علىٰ شرف المسمَّىٰ ؛ للعناية به وبشأنه . ولذا ترىٰ المسمَّيات في كلام العرب أكثر محاولة واعتناء ؛ كما في « الشامية » . يعني : أَنَّهم أكثر ما يحاولون في المسمَّيات تمييزها بالأسماء الكثيرة المميزة لها والدالَّة علىٰ شرفها ؛ لا سيما إذا لوحظت المناسبة بين

كلِّ اسم ومسمَّاه . وقد سمَّىٰ الله تعالىٰ نبيَّنا محمداً ﷺ بأسماءٍ كثيرة في القرآن العظيم وغيرِه من الكتب السماوية ، وعلىٰ ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

(**قَالَ ٱلإِمَامُ**) الحافظ وليُّ الله تعالىٰ الشيخ محيي الدين (**ٱلنَّوَوِيُّ**) الشافعيُّ صاحب التصانيف النافعة المباركة (**فِي**) كتاب (« **ٱلتَّهْذِيبِ** ») ؛ أي : « تهذيب الأسماء واللغات » : (**قَالَ ٱلإِمَامُ ٱلحَافِظُ**) هو أحد مراتبَ خمسةٍ لأهل الحديث ، أوَّلها ١ ـ الطالبُ ؛ وهو : المبتدىءُ ، ثمَّ ٢ ـ المحدِّثُ ؛ وهوَ : من تحمَّل روايته واعتنىٰ بدرايته ، ثمَّ ٣ ـ الحافظ ؛ وهو : مَن حفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ، ثمَّ ٤ ـ الحُجَّة ؛ وهو مَن حفظ ثلثمائة ألف حديث ، ثمَّ ٥ ـ الحاكم ؛ وهو : مَن أحاط بجميع الأحاديث ، ذكره المُطَرِّزي .

فائدة : أخرج ابن أبي حاتم في كتاب « الجرح والتعديل » ؛ عن الزُّهري : لا يولد الحافظ إلاّ في كلِّ أربعين سنة . ولعل ذلك في الزمن المتقدِّم ، وأما في زماننا هذا ؛ فقد عُدم فيه الحافظ ؛ كذا قاله الباجوري في « حاشيته على الشمائِل الترمذية » .

قال السيد عبد الحي الكتاني في « فهرس الفهارس » : وهو عجيبٌ ، لأن الحافظ ما دام كما وصفه به الحافظ ابن الجزري : مَن رَوىٰ ما يصل إليه ، ووعىٰ ما يحتاج إليه . انتهى . وكما وصفه به الخَفَاجيُّ ؛ مِن أنه : مَن أكثر مِن رواية الحديث وأتقنها !! فغير منقطع ، ولم يُختَم بالسيوطي والسخاوي ؛ كما قيل .

فمن طالع واطَّلع ، وتوسَّع في تتبع تراجم الشاميين والمصريين واليمنيين والهنديين والمغاربة من القرن التاسع إلىٰ الآن لم يجد الزمانَ خلا عمَّن يتَّصف بأقلّ ما يُشترط فيمن يُطلق عليه اسم الحافظ في الأعصر الأخيرة .

وغاية ما يُشترط فيه عندي الآن : أن يكون علىٰ الأقل قد اشتهر بالتعاطي والإتقان لهذه الصناعة ؛ فأخذ فيها وأُخِذ عنه ، وأَذعن من يُعتبر إذعانه لقوله فيها ، بعد تجريبه عليه : الصدق والتحرِّي فيما ينقل ويقول ، وبُعد الغور . وتمَّ له سماع

مثل الكتب السِّتَّة والمسانيد الأربعة علىٰ أهل الفن المعتبرين ، وعَرَف الاصطلاح معرفة جيدة ، وَدَرس كتب ابن الصلاح وحواشيه ، وشروح الألفية وحواشيها ، وترقَّىٰ إلىٰ تدوين معتبر في السُّنَّة وعلومها ، وعُرف فيه بالإجادة قلمُه ، والاطلاع والتوسعة مذهبه ، والاختيار والترجيح في ميادين الاختلاف نظرُه ، مع اتساع في الرواية ؛ بحيث أخذ عن شيوخ إقليمه ما عندهم ، ثم شَره إلىٰ الرواية عمَّن هم في الأقاليم الأُخَر بعد الرحلة إليهم ، وعرف العالي والنازل ، والطبقات والخطوط والوَفَيات ، وحصَّل الأصول العتيقة ؛ والمسانيد المعتبرة ، والأجزاء والمشيخات المفرَّقة ، وجمع من أدوات الفنِّ ومتعلَّقاته أكثر ما يمكن أن يحصل عليه ، مع ضبطه وصونه لها ، واستحضاره لأغلب ما فيها ، وما لا يستحضره عَرَف المظانّ له منها علىٰ الأقلِّ ، ويشبُّ ويشيخ وهو علىٰ هذه الحالة من التعاطي والإدمان والانقطاع له . فمن حصَّل ما ذُكر ، أو تحقَّق وصفه ونعته به ؛ جاز أن يوصف بالحفظ عندي بحسب زمانه ومكانه . انتهىٰ كلام الشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالىٰ .

قال : فلذلك أردتُ أن أُرشِدَك إلىٰ مَن وقفتُ علىٰ وصفه من الأئمة المعتبرين بالحفظ والإتقان ، وإنه من كبار محدِّثي الزمان ، ووُجد مع الحافظ ابن حجر وبعده إلىٰ الآن ، لتعلم أَنَّ فضل الله لا ينحصر بزمان ؛ أو مكان ؛ أو جهة من الجهات ، فهو سبحانه يعطي بلا امتنان ؛ ولا تحجيرَ عليه من أهل الزمان .

ثم ذكر ثمانية وخمسين شخصاً بأسمائهم من أهل القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ، وترجم لجميعهم . رحمهم الله تعالىٰ . آمين .

(**ٱلْقَاضِيْ أَبُو بَكْرٍ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ**) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي (**ٱلْمَالِكِيُّ**) ، وُلد في « إشبيلية » سنة : ـ ٤٦٨ ـ ثمان وستين وأربعمائة ، ورحل إلىٰ المشرق ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، وصنَّف كتباً في الحديث والفقه، والأصول والتفسير، والأدب والتاريخ، وولي قضاء «إشبيلية».

فِي كِتَابِهِ « عَارِضَةُ ٱلأَحْوَذِيِّ فِي شَرْحِ ٱلتِّرْمِذِيِّ » : قَالَ بَعْضُ ٱلصُّوفِيَّةِ : ....

قال ابن بشكوال : هو ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمَّتها وحُفَّاظها .

ومن مؤلفاته « العواصم من القواصم »، و« عارضة الأحوذي شرح الترمذي » ، و« أحكام القرآن » ، و« القبس شرح موطأ مالك بن أنس » ، و« الإنصاف في مسائل الخلاف » ، و« أعيان الأعيان » وغيرها . ومات بقرب « فاس » سنة : ـ ٥٤٣ ـ ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ودفن بها . رحمة الله تعالىٰ عليه . آمين .

(**فِي كِتَابِهِ « عَارِضَةُ ٱلأَحْوَذِيِّ فِي شَرْحِ**) جامع (**ٱلتِّرْمِذِيِّ »**) رحمه الله تعالىٰ ، (**قَالَ بَعْضُ ٱلصُّوفِيَّةِ**) : اعلم أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يَتَسَمَّ أفاضلُهم في عصرهم بتسميةِ عَلَمٍ سوىٰ صحبة الرسول الأعظم ﷺ ، إذ لا فضيلة فوقَها . فقيل لهم « الصحابة » ، ولمَّا أدركهم أهلُ العصر الثاني سُمِّي مَن صحب الصحابة « التابعين » . ورأوا ذلك أشرفَ سِمَة . ثم قيل لمن بعدهم « أتباع التابعين » ، ثم اختلفت الناس بعدهم وتباينت المراتب فيهم ، فقيل لخواصِّ الناس ممَّن لهم شِدَّة عناية بأمر الدين « الزُّهَّاد والعُبَّاد » . ثم ظهرت البدع ، وحصل التداعي بين الفرق ، فكل فريق ادَّعَوا أن فيهم زهاداً ، فانفرد خواصُّ أهل السنَّة المراعون أنفاسهم مع الله تعالىٰ الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم « الصوفية » . ثُم التسمية بـ« الصوفية » غلبت علىٰ هذه الطائفة ؛ فيقال « رجل صوفي » ، وللجماعة « صوفية » ، لأنَّ الحقَّ صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه ، ومَن يتوصَّل إلىٰ التصوُّف بالاكتساب والتشبُّه بهم يقال له « متصوِّف » ، وللجماعة « المتصوفة » .

والتصوُّف اسم جامد ؛ كاللَّقب ، وقع علىٰ كلِّ مَن اجتمع قلبه وقتَ ذكره ، وتفرَّق في أحوال أسباب فكره ، وتزايدت أشواقه عند السماع ، وخفيت حقائقه عند الاجتماع . ولهم فيه تعاريف كثيرة . والقول بأنه مشتقٌّ من الصَّفا ، أو من لبس الصوف ، أو من الصف الأوَّل ؛ يُحْوِجُ إلىٰ تكلُّف ، مع عدم الشاهد علىٰ ذلك في

لله عَزَّ وَجَلَّ أَلْفُ ٱسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ ٱسْمٍ) ٱنْتَهَىٰ.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ،

معظم الأقوال؛ وإن كان معانيها لا يخلو عنها الصوفي باعتبار رسمه وحاله.

واعلم أن حقيقة الصوفيِّ: مَن له جِدٌّ وصدق وإخلاص في متابعة سيِّد المرسلين وإمام المرشدين؛ عليه وعلىٰ إخوانه صلوات رَبِّ العالمين. انتهىٰ.

من «شرح الرسالة القشيرية» وحواشيها.

(**للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفُ ٱسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفُ ٱسْمٍ. ٱنْتَهَىٰ**) كلام النووي المنقولُ عن ابن العربي رحمهم الله تعالىٰ. قال الشَّاميُّ: والذي وقفتُ عليه من ذلك خمسمائة اسم، مع أن في كثير منها نظراً. أو المراد الأوصاف؛ لا أنَّها كلَّها أعلام وضِعَت له. انتهىٰ.

(**وَ**) روىٰ البخاريُّ ومسلم؛ (**عَنْ جُبَيْرِ**) ـ بضم الجيم وموحدة، مصغَّراً ـ (**ٱبْنِ مُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ**) بن نوفل القرشي النوفلي الصحابي العالم بالأنساب، أسلم بين الحديبية والفتح، وقيل: في الفتح. وتوفي سنة: سبع وخمسين ـ أو ثمان، أو تسع وخمسين ـ هجرية. (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ** : « **إِنَّ لِيْ أَسْمَاءً**) ـ كذا رواه الأكثر عن الزُّهري عن شعيب؛ عند الشيخين. ومَعْمَر ويونس وعُقَيل وسفيان بن عيينة؛ عند مسلم والترمذيّ. ورواه مالك في «الموطأ»؛ عن الزهري، ومن طريقه أخرجه البخاريُّ أيضاً بلفظ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ» ولم ينفرد بها مالك، بل تابعه محمد بن ميسرة عن الزهري. أخرجه البيهقي وأشار إليه عياض، فـ«خَمْسَةُ» زيادة ثقة غيرُ منافية؛ فيجبُ قبولها. ولهذا تعقَّب الحافظ وغيره مَن زعم أنَّها من الراوي كما يأتي. انتهىٰ. «زرْقاني علىٰ «المواهب»».

(**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ**) ـ أفعل من الحمد، قُطِعَ مُتَعَلَّقُهُ للمبالغة. وبدأ

وَأَنَا ٱلْمَاحِي ٱلَّذِي يَمْحُو ٱللهُ بِيَ ٱلْكُفْرَ ، وَأَنَا ٱلْحَاشِرُ ٱلَّذِي يُحْشَرُ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ قَدَمَيَّ ، . . . .

بهما !! لأنهما أشهر أسمائه ، وقَدَّم محمَّداً!! لأنه أشهرُهما ـ (**وَأَنَا ٱلمَاحِيْ**) ـ بحاء مهملة ـ (**ٱلَّذِيْ يَمْحُو ٱللهُ بِيَ ٱلْكُفْرَ**) أي : يزيله ، لأنه بُعث والدنيا مظلمةٌ بغياهب الكفر ؛ فأتىٰ ﷺ بالنور الساطع حتَّى محاه .

قال القاضي عياض : أي : من مكة وبلاد العرب ، وما زُوي له من الأرض ووعد أَنَّه يبلغ ملك أمته . قال : أو يكون المحوُ عامّاً بمعنىٰ الظهور والغلبة ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [٣٣/ التوبة] .

وفي « الفتح » : **استُشْكِل** بأنه ما انمحىٰ من جميع البلاد .

وأُجيب بحمله علىٰ الأغلب ، أو علىٰ جزيرة العرب ، أو أنَّه يمحىٰ بسببه أولاً فأوَّلاً ، إلىٰ أن يضمحلَّ في زمان عيسى ، فإنَّه يرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام .

وتُعُقِّب بأن الساعة لا تقوم إلاَّ علىٰ شرار الناس .

ويُجاب بجواز أن يرتدَّ بعضهم بعد موت عيسى ، وترسل الريح اللّيِّنة فتقبِض روح كلِّ مؤمن ومؤمنة ؛ فحينئذ فلا يبقىٰ إلا الشِّرار .

(**وَأَنَا ٱلحَاشِرُ ٱلَّذِيْ يُحْشَرُ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِيْ**) بكسر الميم وبتخفيف الياء ؛ بالإفراد ، و[قَدَمَيَّ] بتشديد الياء مع فتح الميم علىٰ التثنية ، روايتان .

وفي معنىٰ القَدَم قولان : الأثرُ ، أو الزمان . فعلىٰ الأوَّل معنىٰ « علىٰ قدمي » : علىٰ أثري . أي : أنَّه يحشرُ قبل الناس . ويرجِّحُه روايةُ نافع بن جبير « بُعِثْتُ مَعَ السَّاعَةِ » .

وعلىٰ الثاني معنىٰ « علىٰ قدميَّ » أي : وقتَ قيامي علىٰ قدميَّ ؛ بظهور علامات الحشر ، إشارة إلىٰ أنَّه لا نبي بعدَه ؛ ولا شريعة .

واستشكل التفسير باقتضائه أَنَّه محشورٌ ؛ فكيف يُفَسَّر به حاشر اسم فاعل ؟! .

وأجيب : بأن إسناد الفعل إلىٰ الفاعل إضافةٌ ؛ وهي تصحُّ بأدنىٰ ملابسة ، فلما

وَأَنَا ٱلْعَاقِبُ ٱلَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ » .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ . . . .

كان لا أمّة بعد أمته ، لأنَّه لا نبيَّ بعدَه ؛ نُسب الحشر إليه لوقوعه عَقِبَهُ . أو معناه أول مَن يُحشر ؛ كحديث : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلأَرْضُ » ، أو علىٰ مشاهدتي قائماً لله شاهداً علىٰ الأُمم ، وقيل : معنىٰ القَدَم السبب .

(وَأَنَا ٱلعَاقِبُ) زاد يونس في روايته عن الزهري : (ٱلَّذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ ») وقد سمَّاه الله رؤوْفاً رحيماً . قال البيهقي : « وقد سمَّاه » مدرجٌ من قول الزهري . قال الحافظ : وهو كما قال . وكأنه أشار إلىٰ ما في آخر سورة براءة[1] ، وأما قوله : « ٱلَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ » . فظاهره الإدراج أيضاً ، لكن في رواية ابن عيينة عند الترمذي وغيره ؛ بلفظ « ٱلَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ » . انتهىٰ .

وجزم السيوطي علىٰ « الموطأ » بأنه مدرج من تفسير الزهري لرواية الطَّبَراني الحديثَ من طريق معمر إلىٰ قوله : « وَأَنَا ٱلعَاقِبُ » . قال معمر : قلتُ للزُّهري : ما العاقب ؟! قال : الذي ليس بعده نبي . قال أبو عبيد : قال سفيان : العاقبُ آخر الأنبياء . انتهىٰ .

ولا ينافيه رواية « بَعْدِي » بياء المتكلم !! لأنَّها قد تردُ علىٰ لسان المفسِّر حكايةً عن لسان مَن فَسَّر كلامه إذا قويَ تفسيره عنده ؛ حتَّى كأنَّه نطق به . وفي رواية نافع بن جبير : فإنَّه عقب الأنبياء . قال الحافظ : وهو محتمِلٌ للرفع والوقف . انتهىٰ .

(وَ) روىٰ التِّرمذيُّ في «الشمائل » ؛ (عَنْ) أبي عبد الله (حُذَيْفَةَ) بنِ [اليمان :] حِسْل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جِرْوَة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن

---

(١) من قوله تبارك وتعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَقِيتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ طُرُقِ ٱلْمَدِينَةِ ؛ فَقَالَ : « أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا نَبِيُّ ٱلرَّحْمَةِ ،

نزار بن مَعدٍّ بن عدنان العبسي ؛ حليف بني عبد الأشهل ؛ من الأنصار .

قالوا : واليمان لقب « حِسل » لُقِّب به . لأنه أصاب دماً في قومه فهرب إلىٰ المدينة ، فحالف بني عبد الأشهل من الأنصار ، فسمَّاه قومه « اليمان » ، لأنَّه حالف الأنصار ؛ وهم من اليمن .

أسلم حذيفة وأبوه ، وهاجرا إلىٰ رسول الله ﷺ وشَهِدا جميعاً أُحُداً[1] وقُتل أبوه يومئذ ؛ قتله المسلمون خطأً فوهب لهم دمه ، وأسلمت أمُّ حذيفة وهاجرت .

وكان صاحبَ سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين يَعلمُهم وحدَه ، وكان كثير السؤال لرسول الله ﷺ عن أحاديث الفتن والشرِّ ليجتنبها .

وتوفي بالمدائن سنة : ـ ٣٦ ـ ست وثلاثين ، بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالىٰ عنهما بأربعين ليلة ، ولم يُدرك حذيفة وقعةَ الجمل ، لأنَّها كانت في جمادىٰ الأولىٰ سنة : ـ ٣٦ ـ ست وثلاثين . (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) ؛ وعن والده ووالدته ، وعن الصحابة أجمعين . آمين .

(قَالَ : لَقِيْتُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقِ ٱلمَدِيْنَةِ) ـ أي : سِكَكها ـ (فَقَالَ : « أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا نَبِيُّ ٱلرَّحْمَةِ) أي : سببها . قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] . فقد رحم الله جميعَ المخلوقات ، لأمنهم به من الخسف والمسخ وعذابِ الاستئصال ، وما بُعِثَ به سببٌ لإسعادهم ، وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم ، فبُعث رحمةً لأمَّته ، ورحمةً للعالمين ، ورحيماً بهم ، ومترحِّماً مستغفراً لهم ، وجعل أمته مرحومة ؛ ووصفها بالرحمة ، وأمرها بالتراحم وحضَّ عليه ؛ فقال : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ ٱلرُّحَمَاءَ » ، وقال : « ٱلرَّاحِمُونَ

---

(١) وإنما لم يشهدا بدراً !! لأن كفار قريش حينما عارضوهما في طريق الهجرة أخذوا منهما عهداً ألاّ يقاتلا مع محمد [ﷺ] ، فاستشار حذيفة رسول الله ﷺ فأمره بأن يبر عهده .

وَنَبِيُّ ٱلتَّوْبَةِ ، وَأَنَا ٱلْمُقَفِّي ، وَأَنَا ٱلْحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ ٱلْمَلاَحِمِ » .

يرْحَمْهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي ٱلأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ » . . . إلى غير ذلك . فكانت الرحمة في هذه الأُمَّة أكثرَ من غيرها من الأمم . وبالجملة فقد ظهر على يد النبي ﷺ ما لم يظهر على يد غيره .

(وَنَبِيُّ ٱلتَّوْبَةِ) أي : الآمر بها بشروطها المقررَّة ، أو كثير التوبة إلى الله تعالى ، كثير الرجوع إليه ؛ « إِنِّي أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ سَبْعِيْنَ مَرَّةً ؛ أَوْ مِائَةَ مَرَّة » .

(وَأَنَا ٱلْمُقَفِّي) ـ بكسر الفاء على أنَّه اسم فاعل ، أَو [المُقَفَّىٰ] بفتحها على أنه اسم مفعول ـ . فمعناه على الأوَّل : الذي قفَّى آثارَ مَن سبقه من الأنبياء ، وتبع أطوار مَن تقدَّمه من الأصفياء . قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام/٩٠] أي : في أصل التوحيد ومكارم الأخلاق ؛ وإن كان مخالفاً لهم في الفروع اتفاقاً . ومعناه على الثاني : الذي قَفَّى به على آثار الأنبياء وختم به الرسالة ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ [الحديد/٢٧] . وفي ذلك من الفضل له ﷺ أنَّه وقف علىٰ أحوالهم وشرائعهم ؛ فاختار الله له من كلِّ شيء أحسنَه ، وكان في قصصهم له ولأمته عِبَرٌ وفوائد .

(وَأَنَا ٱلْحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ ٱلمَلاَحِمِ ») ـ بفتح الميم وكسر الحاء المهملة ـ جمع الملحمة ؛ وهي : الحرب ذات القتل الشديد ، وسُمِّيت بها !! لاشتباك الناس فيها كالسُّدى واللُّحمة في الثوب . وقيل : لكثرة لحوم القتل فيها .

وسُمِّي « نَبِيّ الملاحم !! » لحرصه على الجهاد ومسارعته إليه ، ولم يجاهد نبيٌّ وأمَّته ما جاهد المصطفى ﷺ وأمَّتُه .

أو سُمِّي « نبيّ الملاحم !! » لأنه سببٌ لتلاحمهم واجتماعهم .

قال الخَطَّابي : فإن قيل : كيف الجمع بين كونه « نَبِيّ الرحمة » و« نَبيّ الملاحم » ؛ لاسيما مع قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] ؛

وَمَعْنَىٰ (ٱلْمُقَفِّي) : ٱلْمُتَّبِعُ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَكَانَ آخِرَهُمْ وَخَاتِمَهُمْ . وَ(ٱلْمَلاَحِمُ) هِيَ : ٱلْحُرُوبُ .

فَفِي تَسْمِيَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ ٱلْمَلاَحِمِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ ٱلْقِتَالِ بِٱلسَّيْفِ . وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ . . . . . .

ومع قوله ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » !!؟

فالجواب : أن بعثه ﷺ بالحرب والسيف من وجوه الرحمة ، لأن الله تعالى أيَّد رسله عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات ، وجرت عادته تعالى في الأمم السابقة أنهم إذا كَذَّبوا عُوجلوا بالعذاب المستأصِل إثر التكذيب ، واستُؤْنِيَ[1] بهذه الأمة ؛ ولم يعاجَلوا بالعذاب المستأصِل ، وأمرَ بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ، ولم يُجاحُوا[2] بالسيف ، لأن للسيف بقية ، وليس للعذاب المستأصِل بقية .

ومن وجوه الرحمة : ما صحَّ أنَّه ﷺ جاءه مَلَك الجبال ؛ فقال : إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين . فقال : « أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ ٱللهُ منْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يُوَحِّدُهُ ؛ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » .

ومن وجوه الرحمة أيضاً : أنَّ اللهَ تعالى وضع عن أمَّته الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلها . قال العلماء : وإنما اقتصر على هذه الأسماء !! لأنها معلومةٌ للأمم السابقة ؛ بكونها في كتبهم .

(**وَمَعْنَىٰ ٱلمُقَفِّي**) ـ بكسر الفاء ؛ وفتحها ـ : (**ٱلْمُتَّبِعُ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ ٱلرُّسُلِ**) في أصل التوحيد ومكارم الأخلاق ، (**وَكَانَ آخِرَهُمْ وَخَاتِمَهُمْ**) ؛ لكونه قَفَّى آثارهم .

(**وَٱلمَلاَحِمُ**) ـ بفتح الميم وكسر الحاء المهملة ـ (**هِيَ : ٱلحُرُوبُ** ، **فَفِيْ تَسْمِيَتِهِ** ﷺ « **نَبِيَّ ٱلمَلاَحِمِ** » **إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ ٱلقِتَالِ بِٱلسَّيْفِ**) المُشعِر بكثرة الجهاد مع الكفار في أيام دولته ، (**وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ**) المصطفى

---

(١) استُؤْخِر .

(٢) من الجوح : الهلاك والاستئصال .

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ . وَٱلْمَلاَحِمُ ٱلَّتِي وَقَعَتْ وَتَقَعُ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَبَيْنَ ٱلْكُفَّارِ . لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا قَبْلَهُ ؛ فَإِنَّ أُمَّتَهُ يُقَاتِلُونَ ٱلْكُفَّارَ فِي أَقْطَارِ ٱلأَرْضِ عَلَىٰ تَعَاقُبِ ٱلأَعْصَارِ إِلَىٰ أَنْ يُقَاتِلُوا ٱلأَعْوَرَ ٱلدَّجَّالَ .

وَفِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (سَمَّاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ٱلْقُرْآنِ رَسُولاً ، نَبِيّاً ، أُمِّيّاً ، شَاهِداً ، مُبَشِّراً ، نَذِيراً ، دَاعِياً إِلَىٰ ٱللهِ بِإِذْنِهِ ،

(ﷺ **وَأُمَّتُهُ**) ، ونُصر بالرعب وأُحلَّت له الغنائم .

واستَشعر نقضَ هذا النفي بنحو قتالِ يوشع الجبَّارين ، وقتالِ داود جالوت ، وحمل الإسرائيلي السلاحَ ألف شهر في سبيل الله ؛ فأشارَ للجواب بقوله : (**وَٱلمَلاَحِمُ ٱلَّتِي وَقَعَتْ وَتَقَعُ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَبَيْنَ ٱلكُفَّارِ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا قَبْلَهَ**) ﷺ ، (**فَإِنَّ أُمَّتَهُ**) لا يزالون (**يُقَاتِلُوْنَ ٱلكُفَّارَ فِي أَقْطَارِ ٱلأَرْضِ**) ـ جمع قُطر ـ بضم القاف ـ هو : الناحية ـ (**عَلَىٰ تَعَاقُبِ ٱلأَعْصَارِ**) ـ جمع عصر ؛ وهو الدهر ـ والجهاد ماضٍ ومستمرٌّ في أُمَّته منذ بعث الله نبيَّه ﷺ (**إِلَىٰ أَنْ يُقَاتِلُوا**) ـ أي : أُمَّتُهُ ـ (**ٱلأَعْوَرَ ٱلدَّجَّالَ**) لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، فاستمرارهُ منهم ودوامُه لم يوجد لغيرهم ، فإنَّ قتالَ مَنْ قبلهم ؛ وإن حصل فيه شدَّة ، لكنه مضى وانقطع .

(**وَفِيْ «ٱلتَّهْذِيْبِ »**) للإمام النووي رحمه الله تعالى : (**سَمَّاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ٱلقُرْآنِ**) في سورة الأعراف (**رَسُوْلاً نَبِيّاً أُمِّيّاً**) ؛ في قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ** ﴾ [١٥٧/ الأعراف] ، وفي قوله ﴿ **فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ** ﴾ [١٥٨/ الأعراف] والأمّيُّ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نُسبَ : إمَّا لِلأُمِّ ؛ لأنه باقٍ على حالته التي ولد عليها، أو لـ« أُمِّ القرى» وهي : مكة ، لكونه ولد بها ؛ قاله الصاوي .

وسمَّاه في سورة الأحزاب : (**شَاهِداً**) على مَن أُرسل إليهم ، (**مُبَشِّراً**) مَن صدَّقه بالجنة ، (**نَذِيْراً**) منذراً مَن كذَّبه بالنار ، (**دَاعِياً إِلَىٰ ٱللهِ**) : إلى طاعته ؛ (**بِإِذْنِهِ**) : بأمره .

والحكمةُ في الإذن : تسهيلُ الأمر وتيسيرُه ، لأنَّ الدخول في الشيء من غير إذن

وَسِرَاجاً مُنِيراً ، وَرَؤُوفاً رَحِيماً ، وَمُذَكِّراً ، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً ....

متعذِّرٌ ، فإذا حصل الإذن سَهُل وتيسر . ومن هنا أخذ الأشياخ استعمالَ الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد ؛ فقد سَهُلت له الطريق وتيسَّرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدَّر بنفسه ؛ فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق ؛ قاله الصاوي .

(وَسِرَاجاً مُنِيراً) ؛ أي : مَثَلُه في الاهتداء ، فهو ﷺ تُقتبس منه الأنوار الحسيَّة والمعنوية ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب] (وَ) سمَّاه الله تعالى في سورة التوبة (رَؤُوْفاً) : شديد الرحمة ؛ (رَحِيْماً) : يريد لهم الخير . قال تعالى ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة] . قال الحسن بن المفضَّل : لم يجمعِ الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلاَّ للنبي ﷺ فسمَّاه « رَؤُوْفاً رحيماً » ؛ وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة] .

(وَ) سمَّاه (مُذَكِّراً) في سورة الغاشية في قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية] (وَجَعَلَهُ رَحْمَةً) للعالمين ، ورحمة مهداة ، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] فهو رحمة لجميعِ الخلق : المؤمن بالهداية ، والمنافق بالأمان من القتل ، والكافر بتأخير العذاب عنه .

وروى الحاكم ؛ عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ رفعه : « إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » . وللطبراني : « بُعِثْتُ رَحمَةً مُهدَاةً » ، قال ابن دحية : معناه : أن الله بعثني رحمة للعباد لا يريد لها عوضاً ، لأن المُهدِي إذا كانت هديَّته عن رحمة لا يريد لها عوضاً . انتهى .

وقال أبو بكر بن طاهر ـ رحمه الله تعالى ـ : زَيَّن الله تعالى محمداً ﷺ بزينة الرحمة ، فكَوَّنَه وجميعَ شمائله وصفاته رحمةً على الخلق ، وحياته رحمة ، وموته رحمة ، كما قال ﷺ : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ » ، وكما قال « إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطاً وَسَلَفاً » . انتهى ؛ قاله الزرقاني .

وَنِعْمَةً وَهَادِياً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا . . . .

(وَ) جعله (نِعْمَةً) ـ بالكسر ـ : الحالة الحسنة . فهو ﷺ النعمة العظمى على العالم ؛ لكونه رحمة للعالمين ونوراً . قال سهل بن عبد الله التُّستَري ـ في قوله تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣٤/ إبراهيم] ـ قال : نعمته محمد ﷺ . وقال تعالى ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [٨٣/ النحل] يعني : يعرفون أنَّ محمداً نبيٌّ بالمعجزات الظاهرات ثم يكذِّبُونه ؛ عِناداً وافتراءً . وهذا التفسير مرويٌّ عن مجاهد ، والسُّدِّي ؛ وقال به الزجَّاج . انتهى « زرقاني » .

(وَ) جعله (هَادِياً ﷺ) أي : دالاً ، وداعياً ؛ أي : ذا دَلالة ودعاء ، لأنه اسم فاعل من هَدَى ؛ هداية . وأَصل معنى الهداية : الدلالة بلُطفٍ لما يوصل ، أو الموصلة ـ على الخلاف المشهور ـ .

وهي أنواع : ما يعمُّ كلَّ مكلَّف من العقل والعلومِ الضروريَّة ، ودعاؤه إيَّاهم على أَلْسِنة رسله ، والتوفيق الذي يختصُّ به مَن اهتدى ، والتي في الآخرة في قوله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [٤٣/ الأعراف] ولا يقدر الإنسان يهدي إلا بالدعاء ؛ أي : الدعوة . ومنه قوله ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾ [الرعد] أي : داع . وتُطلق على خَلْق الاهتداء ؛ وهو التوفيق ، وذلك مختصٌّ بالله ، ولذا قال ﴿ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٥٦/ القصص] . انتهى « زرقاني » .

و (قَالَ) ؛ أي النووي أيضاً ؛ في كتاب « التهذيب » بعد ما سبق ـ :

(وَعَنْ) أبي العبَّاس عبدِ الله (بْنِ عَبَّاسٍ) بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي المكي الصحابي ابن الصحابي (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا) ابنِ عمِّ رسول الله ﷺ ، حبر الأمة ، وبحر العلوم ، وترجمان القرآن ، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة ، وحَنَّكه بريقه حين ولد ؛ وهم في الشِّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهو أحد العبادلة الأربعة ، وأحد المكثرين في الرواية ، وكانت تُشَدُّ إليه الرِّحال ، ويُقصد من جميع الأقطار .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِسْمِي فِي ٱلْقُرْآنِ : مُحَمَّدٌ ، وَفِي ٱلإِنْجِيلِ : أَحْمَدُ ، وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ : أُحِيدُ ، . . . .

رُوي له عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثا ؛ اتفق البخاري ومسلم منها على خمسةٍ وتسعين ، وانفرد البخاريُّ بمائة وعشرين ، ومسلمٌ بتسعة وأربعين . وتوفي رسول الله ﷺ ؛ وهو ابن ثلاثَ عشرةَ سنة .

وكانت وفاته بالطائف سنة : ثمان وستين . وصلَّىٰ عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم ماتَ ربَّانيُّ هذه الأمَّة . رحمه الله تعالى ورضي عنه . آمين .

(**قَالَ**) ؛ أي : ابنُ عباس ؛ فيما أخرجه ابن عدي وابن عساكر بسند واهٍ عنه .

(**قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ : « اِسْمِي فِي ٱلقُرْآنِ : مُحَمَّدٌ ،**) هو في الأصل اسم مفعول الفعل المضاعف ؛ وهو حَمَّدَ ، سمِّي بذلك إلهاماً من الله تعالى ، ورجاءَ لكثرة الحمد لَهُ . ولذلك قال جدُّه (لما قيل له : لِمَ سَمَّيتَ ابنك محمداً ؟ وليس من أسماء آبائك ولا قومك !!) : رجوتُ أن يُحمد في السماء والأرض . وقد حقَّق الله رجاءه ، فإنَّ الله حمده حمداً كثيراً بالغاً غايةَ الكمال ، وكذلك الملائكة والأنبياء والأولياء في كلِّ حال ، وأيضا يحمده الأوَّلون والآخِرون وهم تحتَ لوائه يوم القيامة عند الشفاعة العظمى .

(**وَفِي ٱلإِنْجِيْلِ : أَحْمَدُ ،**) هو في الأصل أَفعل تفضيل ، سُمِّي بذلك !! لأنه أحمدُ الحامدين لربِّه . ففي « الصحيح » : أنه يُفتح عليه يوم القيامة بمحامدَ لم يُفتح بها على أحد قبله . ولذلك يُعقد له لواء الحمد ، ويُخصُّ بالمقام المحمود .

وبالجملة : فهو أكثر الناس حامديَّة ومحموديَّة ، فلذلك سُمِّي « أحمد » و« محمد » . ولهذين الاسمين الشريفين مَزِيَّة على سائر الأسماء ؛ فينبغي تحرِّي التسمية بهما .

(**وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أُحِيْد ،**) ـ بهمزة مضمومة ، ثم حاء مهملة مكسورة ؛ فمثناة تحتية ساكنة ، ثم دال مهملة ـ هكذا ضبطه بعضهم على وزن الفعل فهو عربي .

وَإِنَّمَا سُمِّيتُ أَحِيدُ لأَنِّي أُحِيدُ أُمَّتِي عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

وَزَادَ نَقْلاً عَنِ ٱبْنِ عَسَاكِرَ : . . . .

والمشهور ضبطه [أَحْيَد] ـ بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية ؛ على وزن اسم التفضيل ـ ، وبه ضبطه البرهان في « المقتفى » . قال الشُّمُنِّي : وهو المحفوظ . وهو غير عربي .

(وَإِنَّمَا سُمِّيْتُ « أَحِيدُ » لأَنِّي أُحِيْدُ أُمَّتِيْ عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ ») ؛ أي : أدفعُهم وأُباعدهم عنها بشفاعتي . أو لأنَّه حادَ عن الطريق الباطل ، وعَدَل بأمَّتِه إلى سبيل الحق . وهو غير منصرف ؛ للعلَمية والعُجمة على الثاني ، أو وزن الفعل مع العلَمية على الأول . نقله الشامي ؛ عن البلقيني .

(وَزَادَ) ـ أي : النووي في « التهذيب » ـ (نَقْلاً عَنْ) « تاريخ دمشق » للإمام علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي أبي القاسم (ابْنِ عَسَاكِرَ) ؛ أحد أكابر حفاظ الحديث ومَن عُني به ؛ سماعاً وجمعاً ، وتصنيفاً واطلاعاً ، وحفظاً لأسانيده ومتونه ، وإتقانه لأساليبه وفنونه . وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصار ، وهو رفيقُ أبي سعد بن السَّمعاني (صاحب « الأنساب ») في رحلاته .

وكان[1] ولادةُ ابن عساكر في دمشق سنة : ـ ٤٩٩ ـ تسع وتسعين وأربعمائة هجرية .

وصنَّف « تاريخ الشام الكبير » في ثمانين مجلداً ، فحاز فيه قَصَب السبق . ومَن نظر فيه وتأمَّله رأى ما وصفه فيه وأَصَّله ، وحكم بأنه فريدُ دهره في التواريخ ، وأَنَّه الذروةُ العلياء من الشماريخ . وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكرَّرات ، وسَمَّى المختصر « تهذيب تاريخ ابن عساكر » . وطُبع من « التهذيب » نحو سبعة أجزاء .

---

(١) يجوز تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثاً مجازياً .

وله غيره من المؤلفات في الحديث . وغيره ؛ مثل : « أطراف الكتب الستة » ، و« المعجم المشتمل لشيوخ النبل » ، و« كشف المغطّىٰ في فضل الموطّا » ، و« تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان » . وكتاب « أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً ؛ من أربعين مدينة »، و« تاريخ المزة »، و« معجم الصحابة »، و« معجم النسوان » ، و« تهـذيـب المُلتَمَس مـن عـوالي مـالـك بـن أنـس » ، و« معجم أسمـاء القـرى والأمصار » ، و« تبيين كذب المفتري في ما نُسب إلى أبي الحسن الأشعري » .

وكانت وفاته في الحادي عشر من رجب الحرام سنة : ـ ٥٧١ ـ إحدى وسبعين وخمسمائة ، وعمره : اثنان وسبعون سنة . وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ، ودفن بمقابر باب الصغير . رحمه الله تعالى . آمين .

(« **ٱلْفَاتِحَ**) في حديث الإسراء ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ؛ من طريق الربيع بن أنس : قول الله تعالى له فيما خاطبه به ليلة المعراج : « وَجَعَلْتُكَ فَاتِحاً وَخَاتِماً » . وفي حديث أبي هريرة أيضاً في الإسراء قوله ﷺ حين أثنى على ربه : « وَجَعَلَنِي فَاتِحاً وَخَاتِماً » ، فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً ، وفتح أمصار الكفر ، وفتح أبواب الجنة ، وفتح به أَعْيُناً عُمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلفاً ، وفَتَح به طُرُق العلم النافع ، وطرق العمل الصالح ؛ فسلكهما المؤمنون . وفتح به الدنيا والآخرة ، والقلوبَ والأسماع والأبصار ، وقد يكون المراد بـ« الفاتح » : المُبَدَّأ ، أي : المقدَّم في الأنبياء والخاتم لهم . كما قال عليه الصلاة والسلام : « كُنْتُ أَوَّلَ ٱلنَّبِيِّينَ فِي ٱلخَلْقِ وَآخِرَهُمْ في ٱلبَعْثِ » . انتهى ؛ من « المواهب » .

(وَطَه) روى الحافظ النقَّاش ؛ عنه عليه الصلاة والسلام : « لِي فِي ٱلقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءٍ : مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَيَاسِيْنُ ، وَطَهَ ، وَٱلْمُزَّمِّلُ ، وَٱلْمُدَّثِّرُ ، وَعَبْدُ ٱللهِ » وهذا إن صحَّ ؛ فيفيد أنَّ خمسةً في حديث جبير بن مطعم السابق الواقع في بعض الروايات ، المرادُ منها : الحصر المقيَّد ؛ لا المطلق .

وَيَاسِينَ ، ....

وقد روى ابن عدي في « الكامل » ؛ عن جابر وغيره مرفوعاً : « إِنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي عَشَرَةَ أَسْمَاء » فذكر الخمسة التي في حديث جبير ؛ وزاد : « وَأَنَا رَسُولُ ٱلرَّحْمَةِ ، وَرَسُولُ ٱلتَّوْبَةِ ، وَرَسُولُ ٱلمَلاَحِمِ ، وَأَنَا ٱلمُقَفِّي ؛ قَفَّيْتُ ٱلنَّبِيِّيْنَ عَامَّةً ، وَأَنَا قُثَمُ » : والقثم : الكامل الجامع .

وروىٰ ابنُ مردويه ، وأبو نعيم في « الدلائل » ؛ عن أبي الطفيل رَفَعَهُ : « لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ عِنْدَ رَبِّي : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَٱلفَاتِحُ ، وَٱلخَاتِمُ ، وَأَبُو ٱلقَاسِمِ ، وَٱلحَاشِرُ ، وَٱلعَاقِبُ ، وَٱلمَاحِي ، وَيَاسِيْنُ ، وَطَهَ » . قيل : معنى طه : يا رجل . وقيل : هو اسم الله . وقيل معناه : يا إنسان . وقيل معناه : يا طاهر ؛ يا هادي ، وقيل معناه : يا مطمع الشفاعة للأمة ، ويا هادي الخلق إلى الملَّة .

(وَيَاسِيْن) ، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال : « لِي عِنْدَ رَبِّي عَشَرَةُ أَسْمَاء » . . . الحديث السابق آنفاً الذي رواه ابن مردويه وأبو نعيم ؛ عن أبي الطُّفَيل ، لكن ضعَّفه ابن دحية ؛ وتبعه السيوطي بأنَّ فيه أبا يحيى وَضَّاعٌ ، وسيف بن وهب ضعيف . قال الشامي : وليس كذلك ، فإن أبا يحيى التيميَّ اثنان :

١ ـ إسماعيل بن يحيى الوضَّاع المجمع على تركه ؛ وليس هو الذي في سند هذا الحديث !! .

و٢ ـ إسماعيل بن إبراهيم التيمي ، كذا سُمِّيَ هو وأبوه في رواية ابن عساكر ؛ وهو ـ كما قال الحافظ في « التقريب » ـ ضعيف . انتهى . أي : لاَ وَضَّاع ، فيكون في سنده ضعيفان ، فهو ضعيفٌ فقط . ورواه البيهقيُّ ؛ عن محمد بن الحنفية مرسلاً ؛ فيُعتَضَد . انتهى « زرقاني » .

وقيل : معنى ياسين : « يا إنسان » بلغة طي ؛ قاله ابن عباس والحسن . وقيل : يا محمد ؛ قاله ابن الحنفية والضَحَّاك . وقيل : يا رجل ؛ قاله أبو العالية .

وعن أبي بكر الوراق : يا سيِّد البشر . وعن جعفر الصادق : أنه أراد يا سيِّد ؛ مخاطبةً للنبي ﷺ ، وفيه مِن تعظيمه وتمجيده ما لا يخفىٰ . انتهى « مواهب » .

وَعَبْدَ ٱللهِ ، . . . .

(وَعَبْدَ ٱلله) ، سمَّاه الله تعالى به في أشرف مقاماته صريحاً ؛ في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [١٩/الجن] . أو معنىً ؛ كبقية الآيات لإضافة « عبد » فيها إلى ضميره تعالى ، فساوىٰ في المعنى « عبد الله » فلا يرد : أنّه لم يسمِّه به إلاَّ في آية واحدة . قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [٢٣/البقرة] . ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [١/الفرقان] ، وقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [١/الكهف] ، فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه ، وفي مقام التحدِّي بأن يأتوا بمثله ، وقال تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [١٩/الجن] فذكره في مقام الدعوة إليه بالعبودية ، وقال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١/الإسراء] ، وقال ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [١٠/النجم] . ولو كان له اسم أشرفَ منه لسمَّاه به في تلك الحالات العلية !! .

ولمَّا رفعه الله تعالى إلى حضرته السنيّة ، وَرَقَّاهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ المعالي العلوية ، أَلْزَمَهُ ـ تشريفاً له ـ اسمَ العبودية . وقد جمع بين صفتها ظاهراً وباطناً ؛ فكان يجلسُ للأكل جلوسَ العبد ، وكان يتخلَّىٰ عن وجوه الترفُّعات كلِّها في مأكله وملبسه ومبيته ومسكنه ، كما يأتي تفصيلُ ذلك كلِّه في شمائله ؛ إظهاراً لظاهر العبودية فيما يناله العيان ، صدقاً عمَّا في باطنه مِن تحقُّق العبودية لربِّه ، تحقيقاً لمعنى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [٣٣/الزمر] .

ولما خُيِّر بين أن يكون نبيّاً ملكاً ، أو نبيّاً عبداً ؛ آختار أن يكون نبيّاً عبداً ، فآختار ما هو الأتمُّ ، فكان ﷺ يقولُ ـ كما في « الصحيح » ؛ من حديث عمر ـ : « لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ، وَلَكِنْ قُولُوا (عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُه) » . فأثبتَ ما هو ثابتٌ له من العبودية والرِّسالة ، وأسلم لله ما هو له ؛ لا لسواه . وليس للعبد إلاّ آسمُ العبد ، ولذا كان « عبد الله » أحبَّ الأسماء إلى الله ؛ كما قال ﷺ : « أَحَبُّ ٱلأَسْمَاءِ إِلَىٰ ٱللهِ : عَبْدُ ٱللهِ ، وَعَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ » . رواه مسلم . انتهى « مواهب » .

وَخَاتِمَ ٱلأَنْبِيَاءِ . وَقَالَ ٱلْقُسْطُلاَّنِيُّ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » ، وَٱلْبَاجُورِيُّ فِي « حَاشِيَةِ ٱلشَّمَائِلِ » : ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ « شَوْقُ ٱلْعَرُوسِ وَأُنْسُ ٱلنُّفُوسِ » ، وَهُوَ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلدَّامَغَانِيُّ نَقْلاً عَنْ كَعْبِ ٱلأَحْبَارِ

(وَخَاتِمَ ٱلأَنْبِيَاءِ) ؛ هو اسم مستقلٌّ في العدِّ ؛ وإن كان بمعنى خاتم النبيين .
(وَقَالَ) العلاَّمة الحافظ أبو العبَّاس : أحمد بن محمد شهاب الدين (ٱلْقُسْطُلاَّنِيُّ) المصريُّ الشافعي رحمه الله تعالى ؛ (فِي « ٱلْمَوَاهِبِ) اللَّدُنيّة بِٱلمِنَحِ ٱلمُحَمَّدِيَّةِ » .
الذي كلُّه حسناتٌ ، (وَ) الإمام العالم العامل برهان الدين : إبراهيم بن محمد بن أحمد (ٱلبَاجُوْرِيُّ) شيخُ الجامع الأزهر ؛ (فِي « حَاشِيَةِ الشَّمَائِلِ ») الترمذية المسماة « المواهب اللدنيّة على الشمائل المحمديّة » (ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ « شَوْقُ ٱلعَروسِ ، وَأُنْسُ ٱلنُّفُوسِ » ؛ وَهُوَ) الإمام أبو عبد الله : (حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ) بن إبراهيم (الدَّامَغَانِيُّ) ـ بفتح الميم والمعجمة ـ نسبة إلى « دامغان » : مدينة من بلاد « قومس » المتوفَّىٰ سنة : ـ٤٧٨ـ ثمانٍ وسبعين وأربعمائة هجرية ، رحمه الله تعالى ، من مؤلفاته كتاب « الزوائد والنظائر وفوائد البصائر » ، و« شوق العروس وأُنس النفوس » ، وكذا ذكره الحافظ ابن الجوزيِّ في كتاب « التّبصرة » ؛ (نَقْلاً عَنْ) أبي إسحاق (كَعْبِ ٱلأَحْبَارِ) التابعيِّ المشهور ابنِ ماتع بن هينوع ـ ويقال : هيسوع ـ ويقال : عمرو بن قيس بن معن بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن جمهر بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حِمْيَر بن سبأ الحميري .

أدرك النبيَّ ﷺ ؛ ولم يره ، وأسلم في خلافة أبي بكر ، وقيل : في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما . وصحب عُمَر وأكثر الرواية عنه ، ورَوَىٰ أيضا عن صهيب ، وروَىٰ عنه جماعة من الصحابة ؛ منهم ابن عُمر ، وابن عبَّاس ، وابن الزبير ، وأبو هريرة ، وخلائق من التابعين ؛ منهم ابن المسيّب .

وكان يسكن حمص ، ذكره أبو الدرداء ، فقال : إن عنده علماً كثيراً . واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه . ولا عبرةَ بكلام مَن طعن فيه ؛ كابن كثير في « البداية » .
وكان قبل إسلامه على دين اليهود ، وكان يسكن اليمن .

أَنَّهُ قَالَ : اِسْمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ : عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلنَّارِ : عَبْدُ ٱلْجَبَّارِ ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلْعَرْشِ : عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ ، وَعِنْدَ سَائِرِ ٱلْمَلَائِكَةِ : عَبْدُ ٱلْمَجِيدِ ، وَعِنْدَ ٱلأَنْبِيَاءِ : عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ ، وَعِنْدَ ٱلشَّيَاطِينِ : عَبْدُ ٱلْقَهَّارِ ، . . . .

وتوفِّي في خلافة عثمان سنة : اثنتين وثلاثين ؛ وقد جاوز المائة ، ودفن بحمص متوجِّهاً إلى الغزو . وما وقع في « الكشاف » وغيرِه « أنَّه أدرك زمن معاوية » !! فلا عبرةَ به . وروى له الستَّة ؛ إلا البخاري ، فإنَّ له فيه حكايةً لمعاوية عنده . ومناقبه وحِكَمُهُ وأحواله كثيرة مشهورة . رحمه الله تعالى آمين .

(**أَنَّهُ قَالَ**) ـ فيما تلقَّاه من الكتب السابقة ؛ لأنَّه حبرُها ـ :

(**اسْمُ ٱلنَّبِيِّ** ﷺ **عِنْدَ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ « عَبْدُ ٱلكَرِيمِ »**) ، لأنَّ الذي أوصلهم إليها فتكرَّم الله عليهم فيها بما لا عين رأت ؛ ولا أذن سمعت ؛ ولا خطر على قلب بشر : هو المصطفى ﷺ بشفاعته في فصل القضاء الذي تنصَّل منه الرؤساء ، ولأنَّه الذي ابتدأ فتح بابها لهم ، ولأنَّ تكرُّم الله عليه فيها لا يضارعُه شيءٌ .

(**وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلنَّارِ « عَبْدُ ٱلجَبَّارِ »**) لأنَّه جَبَرهم وقهرهم بالخلود فيها ؛ لمخالفته ﷺ ، ومخالفةِ مَن قبله ، لأنَّ تكذيب واحدٍ تكذيبٌ للجميع ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الشعراء] .

(**وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلعَرْشِ « عَبْدُ ٱلحَمِيْدِ »**) لحمده على إسرائه إليه ، وحمدهم على رؤيته ﷺ عنده .

(**وَعِنْدَ سَائِرِ ٱلمَلائِكَةِ « عَبْدُ ٱلمَجِيْدِ »**) ، لأنَّ كُلاً منهم يمجِّدُ اللهَ تعالى ويعبده بنوع ، وجَمَعَها الله كلَّها له ﷺ .

(**وَعِنْدَ ٱلأَنْبِيَاءِ « عَبْدُ ٱلوَهَّابِ »**) ، لأنَّ الله تعالى وهبهم النبوَّة والآياتِ البينات ، ثم وهبه ما وهبهم ورفعه عليهم درجات .

(**وَعِنْدَ ٱلشَّيَاطِيْنِ « عَبْدُ ٱلقَهَّارِ »**) ؛ لأنه قهرهم وأذلَّهم ببعثته ، ومنعهم من استراق السمع وغير ذلك .

وَعِنْدَ ٱلْجِنِّ : عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ ، وَفِي ٱلْجِبَالِ : عَبْدُ ٱلْخَالِقِ ، وَفِي ٱلْبَرَارِي : عَبْدُ ٱلْقَادِرِ ، وفِي ٱلْبِحَارِ : عَبْدُ ٱلْمُهَيْمِنِ ، وَعِنْدَ ٱلْحِيتَانِ : عَبْدُ ٱلْقُدُّوسِ ، وَعِنْدَ ٱلْهَوَامِّ : عَبْدُ ٱلْغِيَاثِ ، وَعِنْدَ ٱلْوُحُوشِ : عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ ، وَعِنْدَ ٱلسِّبَاعِ : عَبْدُ ٱلسَّلَامِ ، وَعِنْدَ ٱلْبَهَائِمِ : عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ ، وَعِنْدَ ٱلطُّيُورِ : عَبْدُ ٱلْغَفَّارِ ، ....

(وَعِنْدَ ٱلجِنِّ « عَبْدُ ٱلرَّحِيْمِ ») ؛ لأنه رحمهم برسالته ؛ فلم يكلِّفهم الأعمال الشاقَّة كالمحاريب والتماثيل ، وعادت بركته على كثير منهم فآمنوا به .

(وَفِي ٱلجِبَالِ « عَبْدُ ٱلخَالِقِ ») ؛ الذي خلقه بشراً ليس كالأبشار ، كما أنَّه خلقها أرضاً ؛ لا كالأرض .

(وَفِي ٱلبَرَارِي «عَبْدُ ٱلقَادِرِ») ؛ الذي من قدرته أنَّه خلق منه سيِّد الأوَّلين والآخرين .

(وَفِي ٱلبِحَارِ « عَبْدُ ٱلمُهَيْمِنِ ») ، لأنَّه أَجلُّ مَن يؤمن بأَنَّه لا يُحصي قطراته ، ولا يحفظه إلاَّ اللهُ تعالى .

(وَعِنْدَ ٱلحِيْتَانِ « عَبْدُ ٱلقُدُّوسِ »)لأنَّها ؛ وإن قَدَّسَتِ اللهَ تعالىٰ كثيراً حتى قيل : ما صيدت سمكة حتى ينقطعَ تسبيحُها ؛ فهو في جنب تقديسه ﷺ لا شيء .

(وَعِنْدَ ٱلهَوَامِّ « عَبْدُ ٱلغِيَاثِ ») ؛ الذي أغاثَ الناس من أذاها ببركته ، ثم أغاثها هي بأن سَخَّر لها رزقها ببركته .

(وَعِنْدَ ٱلوُحُوشِ « عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ ») ؛ الذي يرزقها ببركة هذا الذي كلُّه رحمة للعالمين .

(وَعِنْدَ ٱلسِّبَاعِ « عَبْدُ ٱلسَّلَامِ ») ؛ الذي سلَّم الناس من عَدائها .

(وَعِنْدَ ٱلبَهَائِمِ « عَبْدُ ٱلمُؤْمِنِ ») ، لأنه أَجلُّ مَن يُؤمن بأن تسخيرها منه تعالى .

(وَعِنْدَ ٱلطُّيُورِ « عَبْدُ ٱلغَفَّارِ ») ؛ الذي يغفر الذنوب ويسترُها أقوى من سترها بيضَها وفراخها بجناحها .

وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ : مُؤذُ مُؤذُ ، وَفِي ٱلإِنْجِيلِ : طَابَ طَابَ ، وفِي ٱلصُّحُفِ : عَاقِبٌ ، وَفِي ٱلزَّبُورِ : فَارُوقُ ، وَعِنْدَ ٱللهِ : طَٰهَ ، وَيَاسِينُ ، وَعِنْدَ ٱلْمُؤْمِنِينَ : مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ « مَوْذُ . . مَوْذُ ») بالتكرير ، ويروى بألف بدل الواو : « ماذْ ماذْ » ؛ ومعناه : طيِّب . . طيِّب . ولاريبَ أنَّه ﷺ طيِّب الطيِّبين ، وحسبُك أنَّه كان يؤخَذ من عرقه ليُطيَّب به ، فهو ﷺ طيَّبَ الله نفحه في الوجود ؛ فتعطَّرت به الكائنات وسَمَتْ ، واغتذت به القلوب فطابت ، وتنسَّمت به الأرواح فنمت ؛ قاله في « المواهب » .

وقال المصنِّف في كتاب « الأسمىٰ فيما لسيِّدنا محمد ﷺ من الأسما » : وقد بسط الكلام على « ماذ . . ماذ » ابنُ القيِّم في « جلاء الأفهام » ، ونقلتُه عنه في « سعادة الدارين » ، وهو اسمُه ﷺ في التوراة . ومَن عَرَف قاعدةَ لغتهم ونطقهم بالحروف : علم يقيناً أنَّ معناه محمّد بلا شك ، ومَن راجع عبارة ابن القيم المذكورة يظهر له ذلك ظهوراً بيِّناً . انتهى .

(وَفِي ٱلإِنْجِيْلِ « طَابْ . . طَابْ ») بالتكرير ، قال العزفي : من أسمائه في التوراة . ومعناه طيب . وقيل : معناه ما ذكر بين قوم إلاَّ طاب ذكره بينهم .

(وَفِي ٱلصُّحُفِ) التي نُزِّلت على موسى قبلَ التوراة ؛ وصُحُفِ إبراهيم : (« عَاقِبٌ ») هو الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبيٌّ ، لأن العاقب هو الآخِر ؛ أي : عقب الأنبياء . قيل : وهو اسمه في النار . فإذا جاء لحرمة شفاعته خمدت النار ، وسكنت . كما رُوي أنَّ قوماً مِن حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالىٰ ذكر محمد ﷺ . حتى يُذكِّرَهم جبريل فيذكرونه ؛ فتخمد النار وتنزوي عنهم .

(وَفِي ٱلزَّبُورِ « فَارُوْقُ ») هو : كثيرُ الفرق بين الحق والباطل .

(وَعِنْدَ ٱللهِ « طَه » و« يَاسِيْنُ ») تقدَّم الكلام عليهما .

(وَعِنْدَ ٱلمُؤْمِنِيْنَ « مُحَمَّدٌ » ﷺ) تقدَّم الكلامُ عليه أيضا .

وَكُنْيَتُهُ : أَبُو ٱلْقَاسِمِ ؛ لأَنَّهُ يَقْسِمُ ٱلْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا .

قال كعبُ الأحبار : (**وَكُنْيَتُهُ**) ـ قال الحافظ ابن حجر : بضمِّ الكاف وسكون النون ؛ من الكناية ، تقول (كنيتُ عن الأمر) إذا ذكرتَه بغير ما يُستدل به عليه صريحاً ـ واشتهرت الكُنىٰ في العرب حتَّى ربما غلبت على الأسماء كـ« أبي طالب » ، وقد يكون للواحد كنيةٌ فأكثر ، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعا .

فالاسم والكنية واللَّقب يجمعها العَلَم ـ بفتحتين ـ وتتغاير بأن اللَّقب : ما أشعر بمدح أو ذمٍّ ، والكنية : ما صُدِّرت بـ« أب » أو « أم » ، وماعدا ذلك ؛ فالاسم . انتهى .

وقال ابن الأثير في كتابه « المرصَّع » : الكنية من الكناية ؛ وهي : أن تتكلَّم بالشيء وتريدَ غيرَه ، جيء بها لاحترام المُكْنىٰ بها وإكرامه وتعظيمه ؛ كيلا يصرِّحَ في الخطاب باسمه ، ومنه قول الشاعر :

أُكْنِيْـهِ حِيْـنَ أُنَـادِيْـهِ لأُكْـرِمَـهُ وَلاَ أُلَقِّبُـهُ ، وَٱلسَّـوْءَةُ اللَّقَـبُ

ولقد بلغني أن سبب الكُنىٰ في العرب : أنَّه كان لهم ملك من الأُوَل وُلِد له وَلَد توسَّم فيه النجابة ؛ فشُغف به ، فلما نشأ وصلح لأدب الملوك أحبَّ أن يُفرد له موضعا بعيداً عن العمارة ، يقيم فيه ويتخلَّق بأخلاق مؤدِّبيه ، ولا يعاشر من يضيِّع عليه بعض زمانه ، فبنى له في البَرِّيَّة منزلاً ونقله إليه ، ورتَّب له مَن يؤدِّبه بأنواع الآداب العلمية والملكية ، وأقام له حاجته من الدنيا ، وأضاف له مِن أقرانه بني عمِّه وغيرهم ليُؤنسوه ويحببوا إليه الأدب بالموافقة ، وكان المَلِك كلَّ سنة يمضي له ؛ ومعه مَن له عنده ولد ، فيسأل عنهم ابنُ الملك ؛ فيقال له : هذا أبو فلان ، وهذا أبو فلان . للصبيان الذين عنده ، فيعرفُهم بإضافتهم إلى أبنائهم ؛ فظهرت الكُنىٰ في العرب . انتهى .

(**أَبُو ٱلْقَاسِمِ**) باسم أكبر أولاده عند الجمهور . وقال العزفي وغيره : (**لأَنَّهُ يَقْسِمُ ٱلْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا**) يوم القيامة . وقيل : لقوله عليه الصلاة والسلام : « إنِّي

قَوْلُهُ : (مُؤذُ مُؤذُ) : نَقَلَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » عَنِ ٱلسُّهَيْلِيِّ :

جعِلْتُ قَاسِماً أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ » . وقد جاء تكنيته « بأبي القاسم » في عدَّة أحاديث صحيحةٍ ؛ كقول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في « الصحيح » : قال أبو القاسم .

وقال أنسٌ : كان ﷺ في السوق ، فقال رجل : يا أَبا القاسم . فالتفت ﷺ ، فقال : إني لم أَعْنِكَ إنَّما دعوتُ فلاناً ، فقال : « سَمُّوا بِٱسْمِي ، وَلاَتَكَنُّوا بِكُنْيَتِي » . رواه الشيخان البخاري ومسلم . وظاهره المنع مطلقاً ، وهو المشهور عن الشافعي . وقيل : يختصُّ بمن اسمه محمَّد ، لحديث : نهىٰ أن يُجمع بين اسمه وكنيته . ومذهب مالك وأكثرِ العلماء ـ كما قال القاضي عياض في « شرح مسلم » ـ: الجواز مطلقاً . والنَّهي مختصٌّ بزمانه ، لإذنه ﷺ لجماعة أن يُسمُّوا مَن يولد لهم بعده « محمداً » ويكنُّوه بـ« أبي القاسم » . وهذه أشهر كُناه ﷺ .

(**قَوْلُهُ « مَوْذُ . . مَوْذُ » نَقَلَ**) العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الشهاب الحجازي الأنصاري الخزرجي ، الفاضل الأديب ، الشاعر البارع ، صاحب التصانيف ، أجاز له العراقيُّ والهيثميُّ . ومات في رمضان سنة : ـ ٨٧٥ ـ خمس وسبعين وثمانمائة . رحمه الله تعالى في « حاشية الشفاء » ؛ كما (**فِي « ٱلمَوَاهِبِ**) اللَّدُنيَّة » ؛ (**عَنِ**) الحافظ العلامة البارع أبي القاسم وأبي زيد : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن إصبغ بن حسين بن سعدون الخثعمي الأندلسي المالقي (**السُّهَيْلِيِّ**) نسبة إلى قرية قريبة من بلد « مالقة » ، سُمِّيت بالكوكب « سُهَيل » !! لأنه لا يُرى في جميع بلاد الأندلس إلاَّ من جبل مطلٍّ على هذه القرية يرتفع ـ نحو درجتين ـ ويغيب ، الإمام صاحب التصانيف الأنيقة .

ولد بإشبيلية سنة ـ ٥٠٨ ـ ثمانٍ وخمسمائة هجرية ، كان واسع المعرفة غزير العلم ، نَحْوياً متقدِّماً لغوياً ، بل كان إماماً في لسان العرب . عالماً بالتفسير وصناعة الحديث ، عارفاً بالرجال والأنساب ، عارفاً بعلم الكلام وأصول الفقه ، حافظاً للتاريخ القديم والحديث ، ذكيًّا نبيهاً ، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة ، وكان ضرير البصر ؛ عمي وهو ابن سبع عشرة سنة .

أَنَّهُ بِضَمِّ ٱلْمِيمِ ، وَإِشْمَامِ ٱلْهَمْزَةِ ضَمّاً بَيْنَ ٱلْوَاوِ وَٱلْأَلِفِ ، مَمْدُوداً .
وَقَالَ : نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَالَ مَعْنَاهُ :
طَيِّبٌ طَيِّبٌ) ٱنْتَهَىٰ .

وحمل الناسُ عنه ، وسمع منه أبو الخطاب ابن دحية الحافظ ، وجماعة .

وصنَّف كتاب « الروض الأنف » كالشرح لـ« السيرة النبوية » ، فأجاد وأفاد ، وذكر أنَّه استخرجه من مائة وعشرين مصنَّفاً . وله كتاب « التعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام » ، و« الإيضاح والتبيين لما أُبهم من تفسير الكتاب المبين » ، و« نتائج الفكر » و« كتاب الفرائض » .

قال ابن دحية : كان يتسوَّغ بالعفاف ، ويتبلغ بالكفاف ، حتى نُمِيَ خبرُه إلى صاحب مُرَّاكش فطلبه وأحسن إليه ، وأقبل عليه . وأقام بها نحواً من ثلاثة أعوام .

وتوفي بها في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة : ـ ٥٨١ ـ إحدى وثمانين وخمسمائة هجرية . رحمه الله تعالى . آمين .

(**أَنَّهُ**) ضبطَه (**بِضَمِّ ٱلمِيمِ وَإِشْمَامِ الهَمْزَةِ ؛ ضَمّاً بَيْنَ ٱلوَاوِ وَٱلأَلِفِ ، مَمْدُوْدَاً وَقَالَ**) ـ أي : السُّهَيلي ـ : (**نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ ، وَقَالَ**) ـ أي : هذا المسلم العالم ـ: (**مَعْنَاهُ : طَيِّبٌ . . طَيِّبٌ**) . والتكرار للتأكيد ، أو المراد طيِّبٌ في نفسه ؛ أو دنياه ، وطيِّبٌ في صفاته وآخرته . وكونُه اسماً واحداً مثل « مرمر » أو مركَّب خلافُ الأصل . وزعمُ أنَّ دَاله مهملة لم يقلْه أحد . (**ٱنْتَهَىٰ**) كلام « المواهب » مع شيء من الشرح .

وقال المصنف بعد أن ذكر « مَوْذْ مَاذْ » . و« مَاذْ مَاذْ » ، و« مَوْذْ مَوْذْ » و« مَيْذْ مَيْذْ » ؛ كلُّها بمعنى محمَّد . وقد بَسَط الكلام على (ماذ ماذ) ابن القيم في « جلاء الأفهام » ، ونقلتُه عنه في « سعادة الدارين » . وهو اسمه ﷺ في التوراة . ومَنْ عرف قاعدة لغتهم ونطقهم بالحروف ؛ علم يقينا أنَّه محمد بلا شك . ومَن راجع عبارة ابن القيم المذكورة يظهر له ذلك ظهوراً بيِّناً . انتهى .

فَيَكُونُ بِمَعْنَىٰ ٱلاسْمِ ٱلآخَرِ وَهُوَ : (طَابَ . . طَابَ) .

وَأَمَّا ٱلفَارُوقُ : فَهُوَ ٱلَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ ، وَهُوَ مَعْنَىٰ ٱسْمِ (ٱلْبَارَقْلِيطِ) ٱلْمَذْكُورِ فِي « إِنْجِيلِ يُوحَنَّا » .

وَقَدْ أَلَّفَ خَاتِمَةُ ٱلْحُفَّاظِ جَلاَلُ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيُّ رِسَالَةً سَمَّاهَا : « ٱلْبَهْجَةُ ٱلسَّنِيَّةُ فِي ٱلأَسْمَاءِ ٱلنَّبَوِيَّةِ » جَمَعَ . . . .

وأما على ما نقله السُّهيلي عن العالم الإسرائيلي ! (**فَيَكُونُ بِمَعْنَىٰ ٱلاسْمِ ٱلآخَرِ ، وَهُوَ** « **طَابْ . . طَابْ** » في أنَّ كُلاً منهما معناه طيِّب .

(**وَأَمَّا ٱلفَارُوْقُ ! فَهُوَ ٱلَّذِيْ يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلحَقِّ وَٱلبَاطِلِ**) ، وقد سبق لنا : أنَّ معناه كثير الفرق بين الحق والباطل ، (**وَهُوَ مَعْنَىٰ ٱسْمِ «ٱلبَارَقْلِيْط»**)؛ بالموحدة ـ « وبالفاء بدلها » ـ وفتح الراء والقاف بعدها لام مكسورة فتحتية ساكنة فطاء مهملة ؛ وبسكون الراء مع فتح القاف بعدها لامٌ مكسورة ، وبفتح الراء مع سكون القاف ، وكسر الراء وسكون القاف . قال ثعلب : معنى البار قليط الذي يفرِّق بين الحق والباطل . وقيل معناه : روحُ الحق ، لأنَّه ﷺ قائمٌ بالحق ؛ كقيام الروح بالحيوان .

قال التقي الشمُنِّي : وأكثر أهل الإنجيل على أن معناه المخلِّص ، وهذا الاسم هو (**ٱلمَذْكُورُ فِي إِنْجِيْلِ يُوْحَنَّا**) ، من أتباع عيسى ؛ وليس نبيًّا . إذ ليس بين عيسى ونبينا نبيٌّ ، كما قال ﷺ وهوالصحيح .

وقال صاحب « الخميس » ؛ عن « المنتقى » : إنما قال في « إنجيل يوحنا » !! لأن عيسى لم تظهر دعوته في عصره ، وإنما أَخَذ الإنجيلَ عنه أربعةٌ من الحواريين : مَتَّىٰ ، ويوحنَّا ، وقيسر ، ولوقا . فتكلَّم كُلُّ واحد من هؤلاء بعبارة لملاءمة الذين اتبعوا دعاءهم ، ولذا اختلفت الأناجيلُ الأربعة اختلافاً شديداً .

(**وَقَـدْ أَلَّـفَ**) الإمـام العـلاَّمـة المجتهـد (**خَـاتِمَـةُ ٱلحُفَّـاظِ**) الجـامـع بيـن الشريعة والحقيقة ؛ نادرة علماء الدنيا الحافظ : (**جَلاَلُ ٱلدِّيْنِ**) عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر (**ٱلسُّيُوطِيّ**) نسبة إلى « إِسيوط » ؛ قرية من قرى مصر . ـ وقد تقدَّمت ترجمته ـ (**رِسَالَةً سَمَّاهَا** « **البَهْجَةُ ٱلسَّنِيَّةُ فِي ٱلأَسْمَاءِ ٱلنَّبَوِيَّةِ** » **جَمَعَ**

فِيهَا نَحْوَ ٱلْخَمْسِ مِئَةٍ . وَنَقَلَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » عَنْ كِتَابِ « أَحْكَامِ ٱلْقُرْآنِ » لأَبِي بَكْرِ ٱبْنِ ٱلْعَرَبِيِّ : أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ أَلْفَ ٱسْمٍ ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ ٱسْمٍ .

قَالَ ٱلْقَسْطَلاَّنِيُّ : (وَٱلْمُرَادُ : ٱلأَوْصَافُ ، فَكُلُّ ٱلأَسْمَاءِ ٱلَّتِي وَرَدَتْ أَوْصَافُ مَدْحٍ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ . . فَلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ ٱسْمٌ .

فِيهَا) من الأسماء (**نَحْوَ ٱلخَمْسِ مائةٍ**) ، وألَّف قبله الحافظ ابن دحية كتاباً سمَّاه « المستَوْفىٰ في أسماء المصطفى ﷺ » في نحو مجلَّدين ، جمع فيه للنبي ﷺ فوق الثلاث مئة . وذكر أماكنَها في القرآن والأخبار ، وضبط ألفاظها ، وشَرَح معانيها . واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة غالبها صفات له ﷺ . قال مُلاًّ علي قاري : وكان شيخ مشايخنا السيوطيُّ اختصره في كراريس ؛ وسمَّاه « بالبهجة البهية في الأسماء النبوية » .

(**وَنَقَلَ**) ؛ ـ أي : القُسْطُلاَّني ـ (**فِي** « **المَوَاهِبِ**) اللَّدُنِّية » ؛ (**عَنْ كِتَابِ** « **أَحْكَامِ ٱلقُرْآنِ** ») ، وكذلك في « عارضة الأحوذي شرح الترمذي » ـ كما تقدّم ـ وكلاهما (**لأَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلعَرَبِيِّ**) المالكي المشهور : (**أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ أَلْفَ ٱسْمٍ**) وهذا العدد قليل في حقه تعالى ، (**وَلِلنَّبِيِّ** ﷺ **أَلْفُ ٱسْم**) قال الشامي : والذي وقفتُ عليه من ذلك : خمس مائة اسم . مع أن في كثير منها نظراً .

(**قَالَ**) العلامة (**القُسْطُلاَّنِيُّ**) في « المواهب اللدنية » : (**وَٱلمُرَادُ ٱلأَوْصَافُ**) ، لا أنَّها كلَّها أعلام وضعت له ! (**فَكُلُّ ٱلأَسْمَاءِ ٱلَّتِيْ وَرَدَتْ أَوْصَافُ مَدْحٍ**) ، وكثير ما يطلق الاسم على الصفة للتغليب ، أو لاشتراكهما في تعريف الذات وتمييزها عن غيرها .

(**وَإِذَا كَانَ كَذَٰلِكَ ؛ فَلَهُ** ﷺ **مِنْ كُلِّ وَصْفٍ ٱسْمٌ**) . قال ابن عساكر : وَإِذِ اشتُقَّت أسماؤه من صفاته كثرت جداً . انتهى .

ويمكن أن هذا مُستَنَدُ مَن قال مِن الصوفية : « إنَّها ألفٌ » ـ كما تقدم ـ .

ثُمَّ إِنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ ، أَوِ ٱلْغَالِبُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ . وَكُلُّ ذَٰلِكَ بَيِّنٌ بِٱلْمُشَاهَدَةِ لاَ يَخْفَىٰ .

وَإِذَا جَعَلْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ ٱسْماً . بَلَغَتْ أَسْمَاؤُهُ مَا ذَكَرَ ، بَلْ أَكْثَرَ .

قَالَ : وَٱلَّذِي رَأَيْتُهُ فِي كَلاَمِ شَيْخِنَا ـ يَعْنِي ٱلْحَافِظَ ٱلسَّخَاوِيَّ ـ . .

(**ثُمَّ إِنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ ؛ أَوِ ٱلغَالِبُ عَلَيْهِ ، ومِنْهَا مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ**) بينه وبين غيره ، (**وَكُلُّ ذٰلِكَ بَيِّنٌ بِالمُشَاهَدَةِ لاَ يَخْفَىٰ**) . وقال ابن القيِّم : ينبغي أن يُفرَّقَ بين ١ ـ الوصف المختصِّ به ؛ أو الغالب عليه ؛ فيشتق له منه اسم ، وبين ٢ ـ المشترك فلا يكون له منه اسم يخصُّه . قال الزرقاني : قال شيخنا : ولا منافاة ، لجواز أن مراده إذا ورد مصدرٌ ؛ أو فعل معناه مشتركٌ بينه وبين غيره ؛ ثم اشتُقَّ له منه اسم لا يكون مختصّاً به ، بل هو باق على اشتراكه ، ولكنه يُحمل عليه بقرينة .

(**وَإِذَا جَعَلْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ ٱسْماً بَلَغَتْ أَسْمَاؤُهُ مَا ذَكَرَ**) ـ أي : ابن دحية من الثلاث مائة ـ (**بَلْ**) بلغت (**أَكْثَرَ**) . و« بل » انتقالية .

(**قَالَ**) ـ أي ـ القُسْطُلاَّني : (**وَٱلَّذِيْ رَأَيْتُهُ فِي كَلاَمِ شَيْخِنَا يَعْنِي : ٱلحَافِظَ**) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين (**السَّخَاوِيَّ**) الأصل ؛ نسبة إلى « سخا » ؛ قرية من قرى مصر ، القاهري الشافعي المؤرِّخ الحُجَّة الثبت ، العلامة ؛ في التفسير والحديث والأدب .

ولد في ربيع الأول سنة : ـ ٨٣١ ـ إحدى وثلاثين وثمان مائة بالقاهرة ، أخذ عن مشايخ عصره بمصر ونواحيها حتى بلغوا أربعمائة شيخ ؛ منهم ابن هشام ، والعَلَم البلقيني ، والشرف المناوي ، والشمُنِّي ، وابن الهمام ، وابن حجر ، ولازمه وانتفع به ؛ وتخرَّج به في الحديث . وأقبل على هذا الشأن بكليته وتدَّرب فيه ، وسمع العالي والنازل ، وساح البلدان سياحة طويلة .

وحجّ مرات ، وجاور هو وأَهله وأولاده بالحرمين مجاوراتٍ ، وانتفع به أهل

فِي « ٱلْقَوْلِ ٱلْبَدِيعِ » ، وَٱلْقَاضِي عِيَاضٍ فِي « ٱلشِّفَا » ، وَٱبْنِ ٱلْعَرَبِيِّ فِي « ٱلْقَبَسِ » وَ« ٱلأَحْكَامِ » ، وَٱبْنِ سَيِّدِ ٱلنَّاسِ . . . .

الحرمين ، وبرع في الحديث وفاق الأقران ، وحفظ من الحديث ما صار به متفرِّداً عن أهل عصره ، وطار اسمه في الآفاق ، وأخذ عنه علماء الآفاق ، من المشايخ والطلبة والرفاق . وله اليد الطُّولىٰ في المعرفة بأسماء الرجال ، وأحوالِ الرواة ، والجرح والتعديل ، وبعده مات فنّ الحديث ، وأَسِفَ الناس على فقده ؛ ولم يخلِّف بعده مثله .

وصنَّف زهاء مائتي كتاب أشهرها « الضوء اللامع » في أهل القرن التاسع . ولو لم يكن له إلاَّ هذا الكتاب ؛ لكان أعظمَ دليل على إمامته .

وكانت وفاتُه بالمدينة المنورة في عصر يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة : ـ ٩٠٢ ـ تسع مائة واثنتين هجرية ، رحمه الله تعالى رحمةَ الأبرار .

(**فِي** « **ٱلقَوْلِ ٱلبَدِيْعِ**) في الصلاة على الحبيب الشفيع » ، (**وَ**) في كلام الإمام العلاَّمة (**ٱلقَاضِي عِيَاضٍ**) بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى ـ وقد تقدَّمت ترجمتُه ـ (**فِي** « **الشّفَا**) بتعريف حقوق المصطفى » . الذي كلُّه حسنات ، (**وَ**) في كلام الحافظ القاضي أبي بكر (**ٱبْنِ العَرَبِيِّ**) المالكي (**في** « **ٱلقَبَسْ**) على موطأ مالك بن أنس » ، (**وَ**) في (« **الأحكام** ») له (**وَ**) في كلام الإمام العلامة المحدِّث الحافظ الأديب البارع : أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز (**ابْنِ سَيِّدِ ٱلنَّاسِ**) بن أبي الوليد بن منذر بن عبد الجبار بن سليمان اليَعْمري الأندلسيّ الأصل ، المصري .

ولد في ذي القعدة سنة : ـ ٦٧١ ـ إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع من خلائق نحو الألف ، ولازم ابنَ دقيق العيد وتخرَّج عليه ، وأعاد عنده عليه ، وكان يحبُّه ويثني عليه ، وأخذ العربية عن البهاء ابن النحَّاس . وكتَب الخط المغربي والمصري فأتقنهما ، وكان أحدَ الأعلام الحُفَّاظ ؛ إماماً في الحديث ، ناقداً في الفن ، خبيراً

وَغَيْرِهِمْ . يَزِيدُ عَلَىٰ ٱلأَرْبَعِ مِئَةٍ ، ثُمَّ سَرَدَهَا مُرَتَّبَةً عَلَىٰ حُرُوفِ ٱلْمُعْجَمِ) .
وَذَكَرَ مِنْهَا ٱلإِمَامُ ٱلْجُزُولِيُّ ....

بالرجال والعلل والأسانيد ، عالماً بالصحيح والسقيم ، حسن التصنيف ، صحيح العقيدة ، أديباً شاعراً بارعاً ، متفنِّناً في البلاغة ، ناظماً ناثراً مترسِّلاً . وصنف « السيرة الكبرى » ، و« الصغرى » ، و« شرح الترمذي » ولم يكمله ، فكمَّل عليه الحافظ العراقي ؛ ولم يتمَّ أيضا .

ومات في شعبان سنة : ـ ٧٣٤ ـ أربع وثلاثين وسبعمائة هجرية رحمه الله تعالى ؛ ولم يُخلِّف في مجموعه مثلَه . رحمه الله تعالى . آمين .

(**وَغَيْرِهِمْ يَزِيْدُ عَلَىٰ ٱلأَرْبَعِمِائَةِ**) قال السيوطي : وكثير منها لم يرد بلفظ الاسم ، بل بصيغة المصدر ، أو الفعل . وقد اعتبر ذلك عياضٌ وابن دحية ، وهو خلافُ ما اعتبره الجمهور ؛ خصوصا أهل الحديث في أسمائه تعالى . انتهى .

ونقل الغزالي الاتفاق ـ وأَقرَّه في « الفتح » ـ على أنَّه لا يجوز لنا أن نسمِّيَه ﷺ باسم لم يسمِّه به أبوه ؛ ولا سَمَّى به نفسه . انتهى . أي : لا يجوز أن نخترع له عَلَماً ؛ وإن دلَّ على صفة كمال ، ولا يَرِدُ على الاتفاق وجودُ الخلاف في أسمائه تعالى ، لأن صفاتِ الكمال كلَّها ثابتةٌ له عزَّ وجلَّ ، والنبي ﷺ إنما يُطلق عليه صفات الكمال اللائقة بالبشر ، فلو جُوِّز ما لم يَرِدْ بِهِ سماع لربَّما وُصف بأوصاف تليق بالله دونه على سبيل الغفلة ؛ فيقع الواصف في محظور وهو لا يشعر . (**ثُمَّ سَرَدَهَا**) ؛ أي : الأسماء التي وقف عليها ؛ أي : ذكرها (**مُرَتَّبَةً عَلَىٰ حُرُوفِ**) الخط (**المُعْجَمِ**) ؛ اسم مفعول من أعجمتُ الكتاب بالألف : أزلتُ عجمتَه بما يميِّزه عن غيره بِنَقْط وشكل ؛ كما في « المصباح » ،

وكأنَّه أراد الإزالة الكاملة ، وإلاَّ ! فهي حاصلةٌ بالنَّقْط فيما يُنْقَط كجيم وباء ، فلا حاجة لزيادة ، والإهمال . انتهى « زرقاني » .

(**وَذَكَرَ مِنْهَا ٱلإِمَامُ**) العلاَّمة الوليُّ الصالح محمد بن سليمان بن عبد الرحمن (**الجُزُولِيّ**) السِّملالي الشريف الحسني الشاذلي . صَاحِبُ « دَلاَئِلِ ٱلْخَيْرَاتِ » ؛

من أهل « سوس » المراكشية . تفقَّه « بفاس » ، وحفظ « المدوَّنة » في فقه مالك وغيرها . وحجَّ وقام بسياحة طويلة ثم استقرَّ « بفاس » . ودخل الخلوة للعبادة نحو أربعةَ عشر عاما ، ثم خرج للانتفاع به ، فأخذ في تربية المريدين ، وتاب على يده خلقٌ كثير ، وانتشر ذكره في الآفاق ، وظهرت له الخوارقُ العظيمة ، والكراماتُ الجسيمة والمناقب الفخيمة ، واجتمع عنده من المريدين أكثر من أثني عشر ألفا .

ومن كراماته رضي الله عنه أنَّه بعد وفاته بسبع وسبعين سنة نقلوه من قبره في بلاد سوس إلى مراكش ، فوجدوه كهيئته يوم دُفن ولم تقدر عليه الأرض ، ولم يغيّر طولُ الزمن من أحواله شيئاً ، وأثرُ الحلق من شعر رأسه ولحيته ظاهر كحاله يومِ موته ، إذ كان قريب العهد بالحلق . ووضع بعض الحاضرين إصبعه على وجهه حاصراً بها فَحصر الدم عما تحتها ؛ فلما رفع إصبعه رجع الدم ، كما يقعُ ذلك في الحي .

وقبره بمراكش عليه جلالة عظيمة ، والناس يزدحمون عليه ، ويكثرون من قراءة « الدلائل » عنده .

وثبت أن رائحة المسك توجد من قبره من كثرة صلاته على النبي ﷺ .

والجُزولي نسبة إلى « جُزولة » أو « كُزولة » ؛ بطن من البربر ، وكانت وفاته سنة : ـ ٨٧٠ ـ سبعين وثمانمائة رحمه الله تعالى آمين ، وأعاد علينا من بركاته آمين ؛

(فِي) كتابه (« دَلَآئِلِ ٱلْخَيْرَاتِ ») الذي قيل ؛ في سبب تأليفه : إنَّ مؤلِّفَه سيِّدي محمد بن سليمان الجزولي حضره وقتُ الصلاة ، فقام يتوضَّأُ ؛ فلم يجد ما يخرج به الماء من البئر . فبينما هو كذلك إذ نظرت إليه صبيَّة من مكان عال ؛ فقالت له : من أنت ؟ فأخبرَها . فقالت له : أنت الرجل الذي يُثنىٰ عليك بالخير ؛ وتتحيَّرُ فيما تُخرّج به الماء من البئر !! فبصَقت في البئر ففاض ماؤها على وجه الأرض ، فقال الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه : أقسمتُ عليكِ ؛ بمَ نلتِ هذه المرتبة ؟! فقالت : بكثرة الصلاة على مَن كان إذا مشى في البرِّ الأقفر تعلَّقت

مِئَتَيْنِ وَوَاحِداً .

الوحوش بأذياله ﷺ . فحلف يمينا أن يؤلِّف كتابا في الصلاة على النبي ﷺ .

(**مِائَتَيْنِ وَوَاحِداً**) قال الفاسي شارح « الدلائل » : وهو جمع الشيخ أبي عمران الزَّنَاتي أتى بها الجُزولي على ترتيبه ولفظه . انتهى .

ثم جاء بعد الجُزولي الحافظُ السُّيوطي ؛ فجمع منها ما ذكره ابن دحية وغيره ، وما استخرجه هو من القرآن والحديث ؛ فبلغ ذلك ثلثمائة وبضعةً وأربعين اسماً . وشرحها بكتاب سمَّاه « الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة » ﷺ .

وجمعها معاصره الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » ﷺ ، فأبلغها إلى أربعمائة وثلاثين اسماً .

ثم ذكرها القُسطُلاَّني تلميذ السّخاوي في « المواهب اللدنيّة » ، وزاد على شيخه المذكور قليلاً .

ثم أبلغها الحافظ الشاميُّ تلميذ الحافظ السيوطي إلى أكثر من ثمانمائة . وذكر زياداتِه الزرقانيُّ في « شرح المواهب » مفرَّقة في حروفها .

وكلُّهم رتَّبوها على الحروف ماعدا صاحب « الدلائل » . وكلُّ واحد منهم ذكر أسماء لم يذكرها غيره ، حتى إنَّ صاحب « الدلائل » الذي هو أقلُّهم عدداً ومتقدِّم عليهم في الزمن ؛ ذكر منها أسماءَ لم يذكروها .

ثم جاء المصنِّف الشيخ يوسف النبهاني فجمع جميع ما ذكروه كلُّهم في مؤلَّف مختصر سمَّاه كتاب « الأسمىٰ فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما » ؛ فبلغت نحو الثمانمائة وستين اسماً مرتَّبة علىٰ حروف المعجم شرَحها شرحاً مختصراً . ولم يجتمع هذا العدد لأحدٍ غيرِ المصنّف في هذا الكتاب .

ثم نظم هذا المؤلَّف في رسالة مزدوجة سمَّاها « أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل » وحذف من المزدوجة الأسماء الأعجمية ؛ كـ« البارقليط » ، واشتملت المزدوجة علىٰ نحو ثمانمائة وأربعة وعشرين اسماً ، والتزم في هذه

المزدوجة في الشطر الخامس أن يذكر فيه ضمير النبي ﷺ لتتمكَّن الصلاة عليه ، وهذا أوَّل « المزدوجة » ، قال رحمه الله تعالىٰ بعد البسملة :

اَلْحَمْـــــدُ للهِ ٱلْغَنِـــــيِّ ٱلأَحَـــــدِ ٱلْـــوَاحِـــدِ ٱلْفَـــرْدِ ٱلْعَلِـــيِّ ٱلصَّمَـــدِ
اَلسَّيِّـــدِ ٱلْمُطْلَـــقِ خَيْـــرِ سَيِّـــدِ مُـــوْلـــي أَسَـــامِـــي عَبْـــدِهِ مُحَمَّـــدِ
خَيْـــرِ ٱلْـــوَرَىٰ ذَاتـــاً وَوَضْعـــاً وَسَمَـــا صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا وَسَلَّمَـــا
صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا وَشَـــرَّفَـــا وَٱلآلِ وَٱلصَّحْـــبِ وَكُـــلِّ الْحُنَفَـــا
وَبَعْدُ ؛ فَٱسْمَعْ يَا مُحِبَّ ٱلْمُصْطَفَىٰ نَظْـــمَ أَسَـــامِيْـــهِ تَجِـــدْ فِيهـــا ٱلشِّفَـــا
نَظَمْـــتُ مِنْهَـــا فِيْـــهِ مَـــا قَـــدْ عُلِمَـــا صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا وَسَلَّمَـــا
أَبْلَغْتُهَـــا ٱلثَّمَـــانِـــيَ المِئِينَـــا بِـــٱلنَّظْـــمِ وَٱلنَّيِّـــفِ وَٱلعِشْـــرِيْنَـــا
نَظَمْتُهَـــا عِقْـــداً لَـــهُ ثَمِيْنَـــا زَيَّـــنَ صَـــدْرَ عَصْـــرِنَـــا تَـــزْيِيْنَـــا
بِحُسْنِـــهِ فَـــاقَ ٱلـــلآلِـــي قِيَمَـــا صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا وَسَلَّمَـــا
سَمَّيْتُهـــا بِـ« أَحْســـنِ ٱلـــوَسَـــائِـــلِ فِـــي نَظْـــمِ أَسْمَـــاءِ ٱلنَّبِـــيِّ ٱلكَـــامِـــلِ »
أَبْغِـــي رِضَـــىٰ ٱللهِ لِهٰـــذَا ٱلقَـــائِـــلِ وَكُـــلِّ قَـــارِىءٍ لَهَـــا وَقَـــابِـــلِ
مِمَّـــنْ غَـــدَا لَـــهُ مُحِبّـــاً مُسْلِمَـــا صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا وسَلَّمَـــا

قال المصنف : ويمكن إبلاغ أسمائه الشريفة ﷺ إلىٰ الألف ، ولكن بذكر أوصافه ﷺ المنقولة عن الصحابة في شمائله الشريفة عليه الصلاة والسلام . وقد ذكروا منها كثيراً في أسمائه المجموعة هنا ؛ ولكنهم لم يستوفوها ، وبقي منها مما لم يذكروه أوصافٌ كثيرةٌ ؛ هي أولىٰ بعدِّها في أسمائه ﷺ مِن بعض الأسماء التي ذكروها !! ولعل الحاملَ لهم علىٰ ذلك اشتراط أن تكون أوصافُه التي عَدُّوها في أسمائه ﷺ واردةً عنه ﷺ في الحديث ، ولم يعتبروا جميعَ ما ورد عن الصحابة في وصفه عليه الصلاة والسلام ، إلا إذا كان موافِقاً لما ورد عنه بلفظه ﷺ ، وإن كان الظاهرُ خلافَ ذَلك ، فإن كثيراً من الأسماء المذكورة هي من أوصاف شمائله الواردة عنهم كـ« الأزجِّ » و« الأبلج » و« المُفَلَّج » و« الأدعج » ، وما أشبه ذلك من أوصافه ﷺ الواردة عنهم . فقد كان يمكن مع ذكر « الوسيم » في ذكر الأسماء ذكر

وَقَالَ فِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : (وَكُنْيَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَشْهُورَةُ : أَبُو ٱلْقَاسِمِ ، وَكَنَّاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَا إِبْرَاهِيمَ) .

« القسيم » أيضاً ، فإنَّه وارد منه في « الشمائل » ومعناهما واحد ؛ وهو الجميل . وهو أولىٰ من ذكر الجُمَل التي ذكروها في الأسماء ، ولا سيما إذا كان فيها خطابٌ من الله للمؤمنين ؛ كقوله ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ [١٢٨/التوبة] ، أو خطاب من المؤمنين لله كقوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٧/ الفاتحة] ، فقد عَدُّوا هذين في الأسماء ، وعدوا أوصافاً لم تَرِد موردَ التسمية ؛ مثل « المقصوص عليه » ، « المتلوّ عليه » . . . ونحوهما . وعَدُّوا مِن أوصاف شمائله الشريفة الواردة عن أصحابه « الأَنْوَر المتجرّد » ومثل هذا كثير في شمائله لم يعدُّوه . والقصد أنَّهم لو تتبَّعوا أوصافه الشريفة الواردَة عن أصحابه في الشمائل ؛ لوجدوا مثل هذه الأسماء المتقدِّمة كثيراً . وكانت تبلغ ألفاً أو تزيد ، فمن ذلك وصف أصحابه له ﷺ بأنه كان فخماً مفخّماً ، حسن الجسم ، معتدل الخلق ، بادناً ونحو ذلك مما هو مذكور في « الشمائل » من أوصافه الشريفة الواردة عن أصحابه ؛ ولم يذكروه في الأسماء ، مع أنهم ذكروا ما هو مثله أو أقلُّ مناسبة منه ، وقد ذكروا في الأسماء « المفخَّم » ؛ ولم يذكروا « الفخم » مع أنهما سواء مثل « القسيم » و« الوسيم » !! .

وقولهم : إن أكثرَها أوصاف لا أسماء أعلام ؛ يظهر أَنَّهم كانوا يتتبعونها من الكتاب والسنة ، ويستنبطونها من المصادر والأفعال الواردة فيهما ، وعن الصحابة في شمائله الشريفة حتىٰ بلغتْ هذا المبلغ . وقد كان يمكنني أن أزيدها من « الشمائل » فتبلغ الألفَ ؛ لكني لم أتجاسر علىٰ ذلك بِعَدِّ ذلك من أسمائه ﷺ ؛ وإن كان وارداً عن أصحابه . انتهىٰ كلام المصنف ملخصاً .

(**وَقَالَ**) الإمام النووي (**فِي « ٱلتَّهْذِيبِ » : وَكُنْيَتُهُ ﷺ**) ـ وقد سبق الكلام علىٰ الكنية وسببها ـ (**ٱلْمَشْهُورَةُ**) ، ولذا بَدَأ بها (« **أَبُو ٱلْقَاسِمِ** ») ؛ باسم أكبر أولاده عند الجمهور . وقال العزفي وغيره : لأنَّه يقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة . وقيل : لقوله عليه الصلاة والسلام : « **إِنِّي جُعِلْتُ قَاسِماً أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ** » ـ كما تقدَّم ـ . (**وَكَنَّاهُ جِبْرِيلُ ﷺ « أَبَا إِبْرَاهِيمَ »**) باسم آخر أولاده ؛ كما جاء في حديث

أنس عند البيهقي في مجيء جبريل إليه عليهما الصلاة والسلام ، وقوله : « السلام عليك ؛ يا أبا إبراهيم » وذلك لما وقع في نفسه ﷺ ، من تردُّدِ « مابور » الغلام الذي أهدي مع مارية عليها ، فبعث علياً ليقتله ؛ فوجده ممسوحاً ، فرجع فأخبره ﷺ . فقال : « اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي صَرَفَ عَنَّا أَهْلَ ٱلبَيْتِ » .

ولفظ الحديث عند البيهقي وابنِ الجوزي رحمهما الله تعالىٰ ؛ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : لَمَّا وُلد إبراهيم من مارية كاد يقعُ في نفس النبي ﷺ منه ، حتىٰ أتاه جبريل فقال : « السلامُ عليك يا أبا إبراهيم » .

وعند الطبراني ؛ من حديث ابن عَمْرو بن العاص في القصَّة أنَّ النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب : « أَلاَ أُخْبِرُكَ يَا عُمَرُ ؛ أَنَّ جِبْرِيْلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ بَرَّأَهَا وَقَرِيْنَهَا مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ فِي بَطْنِهَا غُلاَماً مِنِّي ، وَأَنَّهُ أَشْبَهُ ٱلنَّاسِ بِي ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَمِّيَه إِبْرَاهِيْمَ ، وَكَنَّانِي بـ« أَبِي إِبْرَاهِيْمَ » ، وَلَوْلا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُحَوِّلَ كُنْيَتِي ٱلَّتِي عُرِفْتُ بِهَا لَتَكَنَّيْتُ بـ« أَبِي إِبْرَاهِيْمَ » كَما بِهِ كَنَّانِي جِبْرِيْلُ » . انتهىٰ .

ويكنىٰ ﷺ بـ« أبي الأرامل » ، وبـ« أبي المؤمنين » انتهىٰ « زرقاني » .

(**وَأَفْضَلُ أَسْمَائِهِ ﷺ : مُحَمَّدٌ**) ، لما فيه من خصائص ، منها : أنَّه لا يصحُّ إسلام كافر إلاَّ به ، وتعيَّن الإتيان به في التشهُّد عند قوم فيهما .

ومنها كون سفينة نوح جَرَت به ، ومنها أنَّ آدم تكنَّىٰ به في الجنة ؛ دون سائر بنيه .

ومنها أنَّه يخرج منه بالضرب والبسط عدد المرسلين ثلثمائة وثلاثة عشر ، لأنَّ الميم إذا كُسرت فهي ميم ، والحرف المشدَّد بحرفين ؛ فهي ثلاث ميمات بمائتين وسبعين[1] ، ودال بخمسة وثلاثين ، والحاء بثمانية بلا تكسير .

(**قَالَ**) العلاَّمة (**ٱلْقُسْطُلاَّنِيُّ**) ـ بضم القاف وسكون السين المهملة ، وضمِّ

(١) علىٰ حساب الجُمَّل الصغير .

(وَقَدْ سَمَّاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهَـٰذَا ٱلاسْمِ قَبْلَ ٱلْخَلْقِ بِأَلْفَيْ عَامٍ ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

الطاء المهملة وتشديد اللام بعدها نون وياء ، نسبةً لـ « قسطيلية » بلد بالأندلس . أو من إقليم إفريقية غربي « قَفْصة » علىٰ خلاف في ذلك ، ولا مانع من أن تكون قسطيلية اسماً للبلدة والإقليم معاً ، وهو الظاهرُ لي من كلامهم . انتهىٰ ؛ ذكره في « فتح ربِّ الأرباب » .

(**وَقَدْ سَمَّاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِهَٰذَا ٱلاسْمِ**) ـ وهو اسم محمد ـ (**قَبْلَ ٱلخَلْقِ بِأَلْفَيْ عَامٍ**) ؛ أي : بمدَّة لو قُدّرت بالزمان كان مقدارُها ذلك ، وإلاَّ فقبل الخلق ؛ لا ليل ولا نهار ، (**كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيْثِ**) أبي نعيم الطويل المرويِّ ؛ عن (**أَنَسٍ**) بن مالك بن النَّضر بن ضَمْضَم ـ بفتح الضادين المعجمتين ـ ابن زيد بن حرام ـ بالراء ـ بن جندب ـ بضم الدال وفتحها ـ ابن عامر بن غَنْم ـ بفتح الغين المعجمة وإسكان النون ـ ابن عديِّ بن النجار بن ثعلبة بن عَمرو بن الخزرج بن حارثةَ الأنصاري الخزرجي النَّجَّاري النضري « خَادِمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ » كان يتسمَّىٰ بذلك ويفتخرُ به . وحُقَّ له ذلك ، كنَّاه رسول الله ﷺ « أبا حمزة » ببقلة كان يحبُّها ، وأُمُّه أمُّ سُلَيم وكانت خدمتُه للنبي ﷺ عشرَ سنوات ، مدَّة إقامته بالمدينة المنورة ؛ ثبت ذلك في « الصحيح » ، وحَمَلَ عنه حديثاً كثيراً . فروَىٰ عن النبي ﷺ ألفَي حديث ومائتين وستَّةً وثمانين حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومسلمٌ منها علىٰ مائة وثمانية وستِّين ، وانفردَ البخاريُّ بثلاثة وثمانين ، وانفرد مسلم بأحد وسبعين حديثاً . وكان أكثرَ الصحابة مالاً وأولاداً ، لدُعاء النبي ﷺ له بذلك . (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**) .

قال ابن قتيبة في « المعارف » : ثلاثة من أهل البصرة لم يموتوا حتَّىٰ رأىٰ كلُّ واحد منهم مائةَ ذكَرٍ من صُلبه : أنس بن مالك ، وأبو بكْرة ، وخليفة بن بدر . واتفق العلماء علىٰ مجاوزة عمره مائة سنة ، لأنه ثبت في « الصحيح » أنَّه كان له قبل الهجرة عشر سنين ، وكانت وفاته سنة : ثلاث وتسعين ـ بتقديم المثناة علىٰ السين ـ هذا هو القول الصحيح في وفاته . وهو الذي عليه الجمهور . فعمره ـ كما ترىٰ ـ يزيد علىٰ المائة رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه . آمين .

وَرَوَىٰ ٱبْنُ عَسَاكِرَ عَنْ كَعْبِ ٱلأَحْبَارِ : أَنَّ آدَمَ أَوْصَىٰ ٱبْنَهُ شِيثاً فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ ؛ أَنْتَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ، فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ، . . . .

(وَرَوَىٰ) الحافظُ عليُّ بن الحسن الدمشقي أبو القاسم (ٱبْنُ عَسَاكِرَ) رحمه الله تعالىٰ (عَنْ كَعْبِ ٱلأَحْبَارِ) جمع حبر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ وإليه يضاف كالأول لكثرة كتابته بالحِبْر ؛ حكاه أبو عبيد ، والأزهريُّ ؛ عن الفراء .

وقال ابن قتيبة وغيره : كعب الأحبار : العلماء ؛ وَاحِدُهم حَبْر ؛ كما في « مشارق » القاضي ، و« تهذيب » النووي ، و« مثلثات » ابن السِّيد ، والنور وغيرهم . وأَغربَ صاحبُ « القاموس » في قوله : كعب الحَبْر ، ولا تقل « الأحبار » فإنَّها دعوىٰ نفيٍ غيرُ مسموعة مع مزيد عدالة المثبتين ، بل إضافته إلىٰ الجمع أقوىٰ في المدح ؛ سواءٌ قلنا إنَّه المداد ، أو العلماء ؛ أي : ملجؤهم . انتهىٰ « زرقاني » وتقدَّمت ترجمته رحمه الله تعالىٰ .

(أَنَّ آدَمَ) عليه الصلاة والسلام (أَوْصَىٰ ٱبْنَهُ شِيْثاً) الذي هو أجمل أولاده وأشبهُهم به وأحبُّهم إليه وأفضلهم ، وعلَّمه الله الساعاتِ والعبادةَ في كلِّ ساعة منها ، وأنزل عليه خمسين صحيفة ، وزوَّجه الله أختَهُ التي وُلدت بعده ؛ وكانت جميلة كأمِّها حَوَّاء ، وخطب جبريل وشهدت الملائكة ، وكان آدمُ وليَّها ، ورزقه الله أولاداً في حياة أبيه ، وعُمِّر تسعمائة واثنتي عشرة سنة ـ وقيل : عشرين ـ ومات لمُضِيِّ ألف واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم ، ودفن في غار أبي قُبَيس ، وكان وصيّاً لآدم علىٰ أولاده ، ولم يمت آدمُ حتَّىٰ بلغ أولاده وأحفادُه أربعين ألفاً ، الصُلْبية منهم أربعون . انتهىٰ « زرقاني ؛ علىٰ « المواهب »» .

(فَقَالَ) ـ أي : آدم ـ (أَيْ) بفتح الهمزة ؛ حرفُ نداء للقريب أي يا ـ (بُنَيَّ ؛ أَنْتَ خَلِيْفَتِيْ مِنْ بَعْدِيْ ، فَخُذْهَا) ـ أي : الخلافة ـ (بِعِمَارَةِ ٱلتَّقْوَىٰ) ؛ أي : بعمارتك إيَّاها بالتقوىٰ فيها ، بأن تقوم بحقِّ الخلافة (وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ) : العقد

وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ ٱللهَ فَٱذْكُرْ إِلَىٰ جَنْبِهِ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱسْمَهُ مَكْتُوباً عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ ، ثُمَّ طُفْتُ ٱلسَّمَاوَاتِ فَلَمْ أَرَ فِيهَا مَوْضِعاً إِلاَّ وَرَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ ، وَإِنَّ رَبِّي أَسْكَنَنِي ٱلْجَنَّةَ ، فَلَمْ أَرَ فِيهَا قَصْراً وَلاَ غُرْفَةً إِلاَّ وَجَدْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَىٰ نُحُورِ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ ، وَعَلَىٰ وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ ٱلْجَنَّةِ ، وَعَلَىٰ وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَىٰ ، وَعَلَىٰ وَرَقِ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ، وَعَلَىٰ أَطْرَافِ ٱلْحُجُبِ ، ....

المحكم ، تأنيثُ الأوثق ؛ مأخوذ من الوثائق ـ بالفتح ـ وهو حَبْل ـ أو قَيْد ـ يُشَدُّ به الأسير ، والدابَّة . مستعارة للتمسُّك بالحق .

(**وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ ٱللهَ فَٱذْكُرْ إِلَىٰ جَنْبِهِ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱسْمَهُ مَكْتُوباً عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ**) أي : قوائمه (**ثُمَّ**) إني (**طُفْتُ ٱلسَّمَاوَاتِ فَلَمْ أَرَ فِيهَا مَوْضِعاً إِلاَّ وَرَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ ، وَإِنَّ رَبِّيْ أَسْكَنَنِيْ ٱلْجَنَّةَ ؛ فَلَمْ أَرَ فِيْهَا قَصْراً وَلاَ غُرْفَةً إِلاَّ وَجَدْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ**) ؛ أي : المذكور (**وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَىٰ نُحُورِ**) ؛ جمع نحر : موضع القلادة من الصدر ، ويطلق علىٰ الصَّدر أي علىٰ صدور (**ٱلحُوْرِ ٱلعِيْنِ**) : ضخام العيون ، كسرت عينه بدل ضَمِّها !! لمجانسة الياء ، ومفردُه عيناء ؛ كحمراء ، (**وَعَلَىٰ وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ**) ـ جمع أجمة : الشجر الملتفّ ؛ أي : علىٰ أغصان شجر ـ (**ٱلجَنَّةِ**) .

والقَصَبُ : كلُّ نباتٍ لساقه أنابيب وكعوب ؛ كما في « مختصر العين » .

(**وَعَلَىٰ وَرَقِ شَجَرَةِ طُوْبَىٰ**) تأنيث الأطيب : شجرة في الجنة ، (**وَعَلَىٰ وَرَقِ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ**) ؛ وهما من عطف الجزء علىٰ الكلّ ، لأنهما من جملة شجر الجنة ، (**وَعَلَىٰ أَطْرَافِ ٱلْحُجُبِ**) الأستار الَّتي في الجنة ، أو المحلأت التي لا يتجاوزها الرائي إلىٰ ما وراءها إن صحّ ما يُروى ؛ من أن ثَمَّ سبعين ألف حجاب مسيرة كلُّ حجاب خمسمائة عام ، لأنها في حقّ المخلوق . أما الخالق !! فمنزَّه عن أن يحجبه

وَبَيْنَ أَعْيُنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ ، فَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَلاَئِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا .

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ :

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ ٱللهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ

وَضَمَّ ٱلإِلَـٰهُ ٱسْمَ ٱلنَّبِيِّ إِلَىٰ ٱسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي ٱلْخَمْسِ ٱلْمُؤَذِّنُ : أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو ٱلْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَـٰذَا مُحَمَّدُ

شيءٌ ، ولم يصحَّ في ذلك غيرُ ما في مسلم « حِجَابُهُ النور » انتهىٰ « زرقاني » .

(**وبَيْنَ أَعْيُنِ ٱلمَلاَئِكَةِ فَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ ؛ فَإِنَّ ٱلمَلاَئِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا**) :

بَدَا مَجْدُهُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمٍ ... فَأَسْمَاؤُهُ فِي ٱلعَرْشِ مِنْ قَبْلُ تُكْتَبُ

(**قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ**) الأنصاري شاعره المؤيَّد بروح القدس (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) آمِيْن :

(**أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ**) كائن (**مِنَ ٱللهِ**) ؛ أي : موجود له وكائن (**مِنْ نُورٍ**[1]) صفتان لـ« خاتم » ، فلم يَتَّحِدْ حَرْفا جَرٍّ بعامل واحد (**يَلُوحُ**) : يظهر ، (**وَيُشْهَدُ**) : يشاهد .

(**وَضَمَّ ٱلإِلَٰهُ ٱسْمَ ٱلنَّبِيِّ إِلىٰ ٱسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي ٱلخَمْسِ ٱلمُؤَذِّنُ « أَشْهَدُ »**) وهذا من خواصِّ هذا الاسم أيضاً ؛ وهو أنَّ الله قَرَنه مع اسمه .

(**وَشَقَّ**) ـ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ ؛ من (شَقَّ الشيء) إذا جعله قطعتين ؛ أي : اشتق (ـ **لَهُ مِنْ إِسْمِهِ**) بقطع الهمزة للضرورة اسماً (**لِيُجِلَّهُ**) : يعظِّمه (**فَذُو ٱلعَرْشِ مَحْمُودٌ ، وَهَٰذَا مُحَمَّدُ**) . أخرج البخاريُّ في « تاريخه الصغير » ؛ من طريق علي بن زيد بن جدعان ؛ قال : كان أبو طالب يقول :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو ٱلعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَٰذَا مُحَمَّدُ

---

(١) المحفوظ ـ كما في ديوانه ـ : من الله مشهود يلوح ويُشهد .

. . . .

فتوارد حَسَّان معه ، أو ضمَّنه شعره . وبه جزم في « الخميس » ، ولم يُعرف في العرب مَن تسمَّىٰ محمداً قبلَ النبي ﷺ إلاّ جماعة حَصَرهم الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري » ؛ في خمسة عشر نفساً :

الأول ـ وهو أشهرهم ـ: محمد بن عديّ بن ربيعة بن سُواءَة بن جُشَم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي .

الثاني : محمد بن أُحيحة ـ بضم الهمزة وفتح المهملة ـ ابن الجُلاح ـ بضم الجيم وتخفيف اللام آخره حاء مهملة ـ الأوسي .

الثالث : محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر بن تميم العنبري التميمي .

الرابع : محمد بن البراء ؛ ويقال : البر بن طَرِيف ـ بمهملتين بوزن رغيف ـ ابن عتواره بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري .

الخامس : محمد بن الحارث بن حُدَيج ـ بمهملتين فتحتية : فجيم مُصَغَّر ـ ابن حويص .

السادس : محمد بن حرماز ـ بكسر المهملة وسكون الراء وآخره زاي ـ ابن مالك بن عمرو بن تميم اليعمري .

السابع : محمد بن حمران بن أبي حمران ، واسمه ربيعة بن أبي ربيعة ؛ واسمه : مالك الجعفي ؛ المعروف بـ « الشُّوَيْعِر » مُصغَّر شاعر .

الثامن : محمد بن خُزَاعي ـ بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين فألف فمهملة فتحتية ؛ اسم بلفظ النسب ـ ابن علقمة بن حرابة السُّلَمِي ؛ من بني ذكوان بطن من سليم .

التاسع : محمد بن خولي ـ بالخاء المعجمة : وسكون الواو ـ الهمداني .

العاشر : محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي .

وَأَمَّا ٱسْمُ أَحْمَدَ : فَقَدْ قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ فِي « حَاشِيَتِهِ » :
هُوَ فِي ٱلأَصْلِ أَفْعَلُ تفْضِيلٍ ، ....

الحادي عشر : محمد بن اليُحْمِد ـ بضمِّ التحتية وسكون المهملة وكسر الميم ـ الأَزْدي .

الثاني عشر : محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة التميمي .

الثالث عشر : محمد بن الأُسَيِّدي ـ بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر التحتية الثقيلة ـ .

الرابع عشر : محمد الفُقَيمي ـ بضم الفاء وفتح القاف وسكون التحتية ـ .

الخامس عشر : محمد بن عمرو بن مُغْفِل ـ بضمِّ أوَّله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ـ ، والد هُبَيْب ـ بموحدتين مصغَّر ـ .

وكلُّهم لم يدركوا الإسلام إلاَّ الأوَّل ؛ وهو محمد بن عدي ، ففي سياق خبره الذي رواه البغويُّ وابنُ سعد وابن شاهين وابن السَّكن وغيرهم ما يشعر بإدراكه الإسلام . ولفظ الخبر ؛ عن خليفة بن عبدة النصري قال : سألت محمد بن عدي : كيف سَمَّاك أبوك في الجاهلية محمداً ؟! قال : سألتُ أَبي عمَّا سألتني ؛ فقال : خرجت رابعَ أربعة من تميم أنا أحدُهم ، وسفيان بن مجاشع ، ويزيد بن عمرو ، وأسامة بن مالك ؛ نريد الشام ، فنزلنا على غدير عند دير ؛ فأشرف علينا الديراني ؛ فقال لنا : إنَّه يُبعث منكم وشِيكاً نبي فسارِعوا إليه . فقلنا : ما اسمُه ؟ قال : محمد . فلما انصرفنا وُلِد لكلٍّ منا ولد فسمَّاه محمداً لِذلك . انتهى .

وقد ذكره ابن سعد والبغويُّ والبارودِيُّ وغيرهم في الصحابة ، وأنكره ابن الأثير على ابن منده ؛ وتبعه الذهبي ، فقال : لا وجه لذكره فيهم .

قال في « الإصابة » : ولا إنكار عليه ، لأن سياقه يقتضي أنَّ له صحبةً .

(**وَأَمَّا ٱسْمُ أَحْمَدَ** !! **فَقَدْ قَالَ**) الشيخ العلاَّمة إبراهيم (**ٱلبَاجُورِيُّ**) رحمه الله تعالى (**فِي** « **حَاشِيَتِهِ** ») على « الشمائل » : (**هُوَ فِي ٱلأَصْلِ** « **أَفْعَلُ** » **تَفْضِيلٍ**)

وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ أَحْمَدُ ٱلْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ ؛ فَفِي « ٱلصَّحِيحِ » : أَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِمَحَامِدَ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَكَذَلِكَ يُعْقَدُ لَهُ لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ ، وَيُخَصُّ بِٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ .

وَبِٱلْجُمْلَةِ : فَهُوَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ حَامِدِيَّةً وَمَحْمُودِيَّةً ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَحْمَدَ وَمُحَمَّداً . وَلِهَـٰذَيْنِ ٱلاسْمَيْنِ ٱلشَّرِيفَيْنِ مَزِيَّةٌ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلأَسْمَاءِ ، فَيَنْبَغِي تَحَرِّي ٱلتَّسْمِيَةِ بِهِمَا ، . . . .

حذف المفضَّل عليه قصداً للتعظيم نحو « الله أكبر » ، أي : من كلِّ شيء . ثم نقل ولُحِظ أصلُه ، فلا يرد عليه أنَّه عَلَم ؛ فكيف يفيد ما ذكره ؟ .

(**وسُمِّيَ بِذَٰلِكَ** !! **لأَنَّهُ أَحْمَدُ ٱلحَامِدِيْنَ لِرَبِّهِ**) ، وكذلك معنى « أحمد » فاسمه مطابقٌ لمعناه (**فَفِي « ٱلصَّحِيْحِ »**) : البخاري ومسلم (**أَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ**) في المقام المحمود (**بِمَحَامِدَ**) ـ جمع محمدة ، بمعنى حمد ـ (**لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلَهُ**) ؛ أي : يلهمه الله محامد عظيمة لم يُلهمها لغيره ، وأصل الفتح ضدُّ الغلق ؛ فاستعير للإلهام ، (**وَكَذَٰلِكَ يُعْقَدُ لَهُ لِوَاءُ ٱلحَمْدِ**) الحقيقي وعِلْم حقيقته عند الله ؛ أي : لواء يتبعه كلّ حامد ومحمود ، وأصحاب الحمد مَن لهم الشفاعة يومئذ كالأنبياء ، أو هو تمثيل لشهرته في الموقف وعدمُ التأويل أَسَدُّ ـ كما قيل ـ (**وَيُخَصُّ بِٱلمَقَامِ ٱلمَحْمُوْدِ**) ؛ وهو مقام الشفاعة العظمىٰ الذي يحمدُه فيه الأوَّلون والآخرون .

(**وَبِٱلجُمْلَةِ فَهُوَ**) ﷺ (**أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ حَامِدِيَّةً وَمَحْمُودِيَّةً ، فَلِذَٰلِكَ سُمِّيَ أَحْمَدَ وَمُحَمَّداً**) ، لأنَّ هٰذين الاسمين اشتُقَّا من أخلاقه ﷺ وخصائله المحمودة : التي لأجلها استحقَّ أن يسمَّى « محمداً » و« أحمد » .

(**وَلِهَٰذَيْنِ ٱلاسْمَيْنِ ٱلشَّرِيْفَيْنِ مَزِيَّةٌ**) أي : فضلٌ (**عَلَىٰ سَائِرِ ٱلأَسْمَاءِ**) ؛ أي : سوى « عبد الله » و« عبد الرحمن » ـ على ما اعتمده العلامة ابن حجر في « التحفة » ؛ من أفضليتهما على اسمَيْ « محمد » و« أحمد » ـ (**فَيَنْبَغِي تَحَرِّيْ ٱلتَّسْمِيَةِ بِهِمَا**) ؛ أي : باسْمَيْ « محمد » و« أحمد » ، وقد سمَّى الإمام الشافعيُّ

فَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْقُدْسِيِّ : « إِنِّي آلَيْتُ عَلَىٰ نَفْسِي أَنْ لاَ أُدْخِلَ ٱلنَّارَ مَنِ ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَلاَ مُحَمَّدٌ » .

وَرَوَاهُ ٱلدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ ....

ولَده محمداً ؛ وقال : سَمَّيْتُهُ بأحبِّ الأسماء إليَّ .

ومن خصائصه ﷺ أنَّ اسمه ميمونٌ ونافع في الدنيا والآخرة ، (**فَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيْثِ ٱلْقُدْسِيِّ**) الذي رواه أبو نعيم : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي ؛ لا عَذَّبْتُ أَحَداً تَسَمَّىٰ بِٱسْمِكَ فِي ٱلنَّارِ » » .

كما جاء في التسمية بـ « محمد » و « أحمد » فضائلُ عليَّةٌ في عدَّة أحاديث . فمنها ما ورد عنه ﷺ أنَّه قال : « يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَي ٱللهِ تَعَالَىٰ فَيَأْمُرُ بِهِمَا إِلَىٰ ٱلجَنَّةِ ، فَيَقُولاَنِ : رَبَّنَا بِمَ ٱسْتَأْهَلْنَا ٱلجَنَّةَ ؛ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلاً تُجَازِيْنَا بِهِ ٱلجَنَّةَ !؟ فَيَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ٱدْخُلاَ ٱلجَنَّةَ ؛ (**إِنِّي آلَيْتُ عَلَىٰ نَفْسِيْ أَنْ لا أُدْخِلَ ٱلنَّارَ مَنِ ٱسْمُهُ أَحْمَدُ وَلاَ مُحَمَّدٌ** ») .

ومنها ما (**رَوَاهُ**) (**ٱلدَّيْلَمِيُّ**) في « مسند الفردوس » ؛ (**عَنْ**) أمير المؤمنين الإمام (**عَلِيٍّ**) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المكي المدني الكوفي أمير المؤمنين « ابن عم رسول الله ﷺ » .

وأمه فاطمةُ بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية . وهي أوّل هاشمية وَلَدت هاشمياً . أسلمت وهاجرت إلى المدينة .

وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ ؛ وصلَّى عليها رسول الله ﷺ ، ونزل في قبرها .

وكنية علي : « أبو الحسن » . وكنَّاه رسول الله ﷺ « أبا تراب » ، فكان أحبَّ ما ينادىٰ به إليه . وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة ، وصهرُه علَى فاطمة سيِّدةِ نساء العالمين ، وأبو السِّبْطين ، وأوّل هاشمي ولد بين هاشميين ، وأوّل خليفة من بني هاشم .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنِ ٱسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَوْ أَحْمَدُ . . إِلاَّ قَدَّسَ ٱللهُ ذَٰلِكَ ٱلْمَنْزِلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ) ٱنْتَهَىٰ .

وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وأحد الستَّة أصحابِ الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ .

وأحد الخلفاءِ الراشدين ، وأحد العلماء الربَّانيين ؛ والشُّجعان المشهورين ، وأحد الزُّهَّاد المذكورين ، وأحد السابقين إلى الإسلام .

توفي في الكوفة ليلةَ الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة : أربعين . ضربه ابن ملجم « أشقى الآخِرين لعنه الله » بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغَه ، ليلة الجمعة الموافق ١٧ رمضان سنة : أربعين هجرية في قصة يطول شرحها ، وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة على الأصحِّ .

والأحاديث الصحيحة الواردة في فضله كثيرة ، ومناقبة جَمَّة أُفردت بالتأليف (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) وكرَّم وجهه في الجنة . آمين .

(**مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنِ ٱسْمُهُ « مُحَمَّدٌ » أَوْ « أَحْمَدُ » إِلاَّ قَدَّسَ ٱللهُ ذَٰلِكَ ٱلْمَنْزِلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . انتهى**) .

قال العلاَّمة السيد عبد الله بن محمد بن الصِّديق الغُماري : وللحافظ أبي عبد الله : الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي جزء مطبوع في فضل التسمية بـ« محمد » و« أحمد » . انتهى . لكن قال المجدُ صاحب « القاموس » في خاتمة « سفر السعادة » ؛ باب فضيلة التسمية بـ« محمد » و« أحمد » : والمنعُ من ذلك لم يصحَّ فيه شيء . وتبعه العجلوني في « كشف الخفا » ، وسبقهما الحافظ ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر الموصلي في كتاب « المغني عن الحفظ والكتاب » ؛ فقال : قال أبو حاتم الرازي : قد ورد في هذا الباب أحاديثُ عن رسول الله ﷺ ليس فيها ما يصحُّ . وتعقَّبه الشيخ حسام القدسي في رسالته « انتقاد المغني » بما فيه نظر ، فليراجعه مَن أراده .

اَلْبَابُ ٱلثَّانِي

فِي صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيفَةِ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

(اَلْبَابُ ٱلثَّانِي)

من الأبواب الثمانية(فِي صِفَةِ خِلْقَةِ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ) ؛

أي : صورته التي خُلق عليها ، (وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلشَّرِيْفَةِ) ؛

كصفة بصره ، وشعره ، وشيبِهِ ، وخضابه ، وعرقه ، وطِيبه ، وتطيُّبه .

(وَفِيْهِ عَشَرَةُ فُصُوْلٍ .

ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

فِي جَمَالِ صُورَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا شَاكَلَهَا

ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ :

فِي جَمَالِ صُوْرَتِهِ ﷺ) ؛

وهي : ما يظهر للناظرين من جسده (ﷺ) ، وفي « المصباح » ؛ قال سيبويه : الجمالُ رقَّة الجسد ، والأصل جَمَالة بالهاء مثل (صبح صَبَاحة) لكنهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال .

(وَمَا شَاكَلَهَا) ،

أي : ناسبها .

واعلم أنَّ الكلامَ على خِلْقَتِهِ ﷺ يستدعي الكلام على ابتداء وجوده ؛ فاحتيج إلى ذكره ، وإن أغفله المصنِّف رحمه الله تعالى .

وملخصه أنه صحَّ في « مسلم » أنَّه قال : « إنَّ ٱللهَ كَتَبَ مَقَادِيْرَ ٱلْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ ٱلْمَاءِ » . ومن جملة ما كُتب في الذكر ؛ وهو « أُمُّ الكتاب » : أَنَّ محمداً خاتم النبيين .

وصحَّ أيضاً : « إِنِّي عِنْدَ ٱللهِ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَخَاتَمُ ٱلنَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِيْنَتِهِ » أي : لَطريح ملقىً قبل نفخ الروح فيه .

وصحَّ أيضاً : يا رسول الله ؛ متىٰ كُنت نبيّاً ؟! قال : « وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ» . ورُوي «كُتِبْتَ»؛ من الكتابة . وروىٰ الترمذي وحسَّنه: يا رسول الله ؛ متى وجبتْ لك النبوة ؟! فقال : « وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ » . ومعنى وجوب النبوة وكتابتها ثبوتُها وظهورُها في الخارج ؛ أي : للملائكة ، وروحه ﷺ في عالم الأرواح ؛ إعلاماً بعظيم شرفه وتميُّزه عن بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

. . . .

وخُصَّ الإظهار بحالةِ كون آدم بين الروح والجسد !! لأنَّه أوانُ دخول الأرواح إلى عالم الأجساد ، والتمايز حينئذ أتمُّ وأظهر فاختُصَّ ﷺ بزيادةِ إظهار شرفه حينئذ ، ليتميَّز على غيره تميُّزاً أظهرَ وأتمَّ .

وأجاب الغزالي في بعض كتبه عن وصف نفسه بالنبوة قبل وجود ذاته ، وخبرِ « أَنَا أَوَّلُ ٱلأَنْبِيَاءِ خَلْقاً وَآخِرُهُمْ بَعْثاً » : بأن المراد بالخلق هنا التقدير ، لا الإيجاد ، فإنه قبل أن تحمل به أُمُّه لم يكن مخلوقا موجوداً ، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير ؛ لاحقةٌ في الوجود . فقوله : « كُنْتُ نَبِيّاً » ـ أي : في التقدير ـ قبل تمام خِلْقة آدم . إذ لم يُنْشأ إلاَّ لِيُنتزَع من ذريَّته محمد ﷺ . وتحقيقُه أنَّ للدارِ في ذهن المهندسين وجوداً ذهنيّاً ؛ سبباً للوجود الخارجي وسابقاً عليه ، فاللهُ تعالى يقدِّر ثم يُوجد على وفق التقدير ثانياً . انتهى .

وذهب السبكي إلى ما هو أحسنُ وأبينُ ؛ وهو أنَّه جاء : « إِنَّ ٱلأَرْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ ٱلأَجْسَادِ » . والإشارة بـ« كُنْتُ نَبِيّاً » إلى روحه الشريفة ، أو حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلاَّ الله تعالى ، ومَن حباه بالاطلاع عليها .

ثم إنَّ الله تعالى يُؤتي كلَّ حقيقة منها ما شاء ؛ في أيِّ وقتٍ شاء ، فحقيقته ﷺ قد تكون من قَبْل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له ؛ وأفاضه عليه فصار نبيا ، وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ، فحقيقته موجودةٌ من ذلك الوقت ؛ وإن تأخَّر جسده الشريف المتَّصفُ بها ؛ فحينئذٍ فإيتاؤه النبوة والحكمةَ وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته مُعجَّل لا تأخير فيه ، وإنما المتأخِّر تكَوُّنه وتنقُّله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ . ومَن فسَّر بـ (علم الله تعالى أنَّه سيصير نبيًّا) !! لم يصل لهذا المعنى ، لأن علمَه تعالى محيطٌ بجميع الأشياء ، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفهمَ منه أنَّه أمر ثابت له ، وإلاَّ لم يختصَّ بأنه نبيٌّ حينئذ ، إذ الأنبياء كلُّهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى .

وقال العماد ابن كثير ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية [٨١/ آل عمران] :

. . . .

إنَّ الله تعالى لم يبعث نبياً إلاَّ أخذ عليه العهد في محمد ﷺ إنْ بُعث ؛ وهو حي : ليؤمِنَنَّ به وَلَينصرَنَّه ، ويأخذ العهد بذلك .

وأخذ السبكي من الآية : أنَّه على تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم ؛ فتكون نبوَّتُه ورسالته عامَّة لجميع الخلق من آدم إلى يوم القيامة . وتكون الأنبياءُ والأُمم كلُّهم من أمته . فقوله : « وَبُعِثْتُ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ كَافَّةً » يتناول مَن قبل زمانه أيضا ، وبه يتبيَّنُ معنى قوله « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلجَسَدِ » ، وكذا حكمةُ كونِ الأنبياء تحتَ لوائه في الآخرة وصلاتِه بهم ليلة الإسراء .

فأَوَّل الأشياءِ على الإطلاق : النور المحمّدي ، ثم الماء ، ثم العرش ، ثم القلم . ولما خلق الله آدم جعل ذلك النورَ في ظهره ؛ فكان يلمع في جبينه ، ولما توفي كان ولده شيث وصيَّه ، فوصَّى ولدَه بما وصَّاه به أبوه « أن لا يوضع هذا النور إلاَّ في المطهَّرات من النساء » ، ولم يزل العمل بهذه الوصية إلى أن وصل ذلك إلى عبدِ الله مطهَّراً من سِفاح الجاهلية كما أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك في عِدَّة أحاديث . ثم زوَّج عبد المطلب ابنَه عبد الله بآمنةَ بنتِ وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريشٍ نسباً وموضعاً ؛ فدخل بها ، وحملت بمحمد ﷺ ، فظهر في حمله ومولده عجائِب تدلُّ لما يؤول إليه أمر ظهوره ورسالته .

وقد صح أَنَّ أُمَّه ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام ، ووُلد مختوناً ـ في قولٍ ـ عام الفيل ، وحكي الاتفاق عليه ، والمشهور أنَّه بعده بخمسين يوما ، وقيل : بأربعين ، وقيل : بعشر سنين ، وقيل غير ذلك .

ثم الجمهورُ على أَنَّه ولد في شهر ربيع الأول ، فقيل : ثانِيَهُ . وقيل : ثامِنَهُ . وانتصر له كثير من المحدِّثين . وقيل : عاشِرَهُ . وقيل : ثانِيَ عَشَرِهِ وهو المشهور . وقيل غير ذلك ، وذلك في يوم الاثنين ـ كما صحَّ في « مسلم » ـ عقب الفجر ـ كما في رواية ضعيفة ـ

قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : (اِعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَمَامِ ٱلإِيمَانِ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ٱلإِيمَانَ بِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ خَلْقَ بَدَنِهِ ٱلشَّرِيفِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ خَلْقُ آدَمِيٍّ مِثْلُهُ .

ومدَّة حمله تسعةُ أشهر ، أو عشرة ، أو ثمانية ، أو سبعة ، أو ستة : أقوال .

بمكة بمولده المشهور الآن؛ وهو الأصحُّ. وقيل: بالشِّعب . وقيل : بالروم .

ثم أرضعته حليمة السعدية ، والمشهور موت أبيه بعد حمله بشهرين ، وقيل : وهو في المهد ، وماتت أمه ودفنت بالأبواء ، وقيل : بالحجون . وجمع بعض كما في « الخميس » بأنها دفنت أوّلاً بالأبواء ؛ وكان قبرها هناك ، ثم نُبشت ونقلت إلى مكة ؛ كما في الزرقاني على « المواهب » .

ومات جدُّه كافلُه عبد المطلب ؛ وله ثمان سنين ، أو : تسع ، أو : عشر ، أو ست : أقوال .

ثم كَفَله عمُّه شقيقُ أبيه أبو طالب .

وتزوَّج خديجةَ ؛ وهي بنت أربعين . وهَدَمت قريش الكعبة وعمره خمسٌ وثلاثون سنة .

ثم لما بلغ أربعين سنة ـ أو : وَأربعين يوماً ، أو : وَشهرين ـ بعثه الله رحمة للعالمين يوم الاثنين ؛ لخبر « مسلم » ، في رمضان ، وقيل : ربيع . فأقام بمكَّة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين .

(قَالَ) ـ أي ـ العلاّمة القُسطلاّني (فِي « المَوَاهِبِ) ٱللَّدُنِّيَّةِ بِٱلمِنَحِ ٱلمُحَمَّدِيَّة » :

(اِعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَمَامِ ٱلإِيمَانِ بِهِ ﷺ ، ٱلإِيمَانُ) ؛ أَي : التصديقُ والاعتقاد (بِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ خَلْقَ) ـ أي : تقدير ـ (بَدَنِهِ ٱلشَّرِيفِ عَلَىٰ وَجْهٍ) ـ أي : حال ؛ وهيئة ـ (لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ خَلْقُ آدَمِيٍّ مِثْلُهُ) ؛ أي : لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما ٱجتمع في بدنه ﷺ . وسِرُّ ذلك : أنَّ المحاسنَ الظاهرة آياتٌ

وَلله دَرُّ ٱلأَبُوصِيرِيِّ حَيْثُ قَالَ :

فَهْوَ ٱلَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِىءُ ٱلنَّسَمِ

على المحاسن الباطنة ، والأخلاق الزكية ؛ ولا أكمل منه ﷺ ، ولا مساوٍ له في هذا المدلول ؛ فكذلك الدالُّ ، فيكون ما يُشاهَد مِن خلق بدنه آياتٌ على ما يتَّضحُ من عظيم خُلُق نفسه الكريمة . وما يتَّضحُ من عظيم أخلاقِ نفسه ، آياتٌ على ما تحقَّق له من سِرِّ قلبه المقدَّس ، أي : ما اشتمل عليه من المعاني البديعة .

فالمعاني مكنونةٌ فيه لا يُطَّلَع عليها ، ولكن يُستدَلُّ عليها بما ظهر من أخلاقه وكمالاته . وهو ﷺ ؛ وإن ظهر منه كمالاتٌ لا تُحصىٰ ؛ فهي بالنسبة لما خَفِيَ كنقطة من بحرٍ . فالمراتب إذن ثلاث : المشاهَدُ دليلٌ على الباطن ، وذلك الباطنُ دليلٌ على ما أُودع في قلبه من العلوم والمعارف .

(وَلِلّهِ دَرُّ ٱلأَبُوصِيْرِيِّ) : محمد بن سعيد الصَّنهاجي الدَّلاصي المولد ، المغربي الأصل ، البوصيري المنشأ . ولد بـ « دلاص » أول شوال سنة : ـ ٦٠٨ ـ ثمان وستمائة ، وبرع في النظم . قال فيه الحافظ ابن سيِّد الناس : هو أحسن من الجزار والوراق. ومات سنة : ـ ٦٩٥ ـ ٦٩٤ ـ خمس؛ أو: أربع وتسعين وستمائة .

كان أحد أبويه من « بوصير الصعيد » والآخر من « دَلاص » بفتح الدال المهملة : قرية بـ « البهنسا » ، فرُكِّبت النسبة منها ؛ فقيل الدلاصيري . ثم اشتهر بالبوصيري ؛ لنشأته بها ، أو لأنَّها بلد أبيه . فقوله « الأبوصيري » مُنتَقَد ، لأنَّ القرية إنما هي « بوصير » والنسبة إليها البوصيري ، كما في « المراصد » و« اللباب » و« لُبِّه » في باب الموحدة ؛ لا الهمزة . (حَيْثُ قَالَ) في « بردة المديح » :

(فَهُوَ ٱلَّذِي تَمَّ) : كمل (مَعْنَاهُ) : حال باطنِهِ ، (وَصُوْرَتُهُ) : حالُ ظاهِرِه ؛ بالرفع عطف على « معناه » والنصبِ مفعول معه (ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ) : اختاره (حَبِيْباً بَارِىءُ) : خالق (ٱلنَّسَمِ) : جمع نَسَمة ـ بفتحتين ـ : وهي الإنسان .

و«ثُمَّ» للترتيب في الإخبار؛ دون الصفات، أو في الاصطفاء؛ كما قال المحلِّي، نظراً للوجود الخارجي ، فإن اتخاذه حبيباً ومخاطبتَه به بعد تمام معناه وصورته :

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ ٱلْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

وَقَدْ حَكَىٰ ٱلْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي (كِتَابِ ٱلصَّلَاةِ) ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ . لَمَا طَاقَتْ أَعْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ٱنْتَهَىٰ .

(**مُنَزَّهٌ**) : مبعَّد (**عَنْ شَرِيْكٍ فِيْ مَحَاسِنِهِ**) ؛ جمع مَحْسَن ؛ بمعنى الحسن أي : لا شريك له في حسنه ، (**فَجَوْهَرُ ٱلحُسْنِ**) أصله (**فِيْهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ**) ؛ أي : متفرِّق .

ومعنى البيتين : هو الذي كَمُلَ باطنه في الكمالات ، وظاهرُه في الصفات . ثم اختاره خالق الإنسان حبيباً لا شريك له في الحُسن . وجوهره لا يقبل القسمة بينه وبين غيره . كما أن الجوهر الفرد المتوهَّم في الجسم ، ويقول المتكلمون : الجسم مركَّب منه غير منقسم بوجه ؛ لا بالفرض ، ولا بالوهم ، ومَن كان موصوفاً بكمال الصفات ظاهراً وباطناً كان محبوباً ؛ قاله الشيخ خالد .

(**وَقَدْ حَكَىٰ**) الشيخ العلاَّمة محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ـ بإسكان الراء وبالحاء المهملتين ـ أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي (**ٱلقُرْطُبِيُّ**) ـ بضم القاف والطاء المهملة وموحدة ـ ؛ نسبةً إلى قرطبة مدينة بالأندلس ، المفسِّر و كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين ، الزّاهدين المشغولين بأمور الآخرة . أوقاته ما بين توجُّه وعبادة وتصنيف . وله تصانيف كثيرة .

أخذ عن أبي العبَّاس أحمد بن عمر القرطبي شارح «مسلم» المتوفى بالإسكندرية سنة : ـ ٦٢٦ ـ ست وعشرين وستمائة . وأخذ عن غيره واستقر بـ« مِنْيَة ابن خصيب » ، وبها مات سنة : ـ ٦٧١ ـ إحدى وسبعين وستمائة (**رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِ ٱلصَّلَاةِ**) ؛ عن بعضهم : (**أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ ﷺ**) ؛ رفقاً من الله تعالى بنا ، (**لأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ لَمَا طَاقَتْ أَعْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ ﷺ**) ؛ لعجزنا عن ذلك . (**انتهى**) ما في « المواهب » . ولقد أحسن البوصيري حيث قال :

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلْجِسْمِ . رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ .

وَرَوَىٰ ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ . . . .

أعْيَا ٱلْوَرَىٰ فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ ... لِلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ
كَٱلشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ ٱلطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ[1]

و(كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ حَسَنَ ٱلجِسْمِ) ، والحسن ـ كما قال بعضهم ـ : عبارة عن كلِّ بهج مرغوب فيه حِسًّا ؛ أو عقلاً . وهو هنا صادق بهما جميعا . والجسم : هو الجسد من البدن والأعضاء . والمراد بحُسْن جسمهِ أَنَّه معتدل الخَلْق ، متناسب الأعضاء ؛ كما في المناوي .

(رَوَاهُ) أي : ما ذُكر من حُسن جسمه (غَيْرُ وَاحِدٍ) من المحدِّثين ؛ منهم الحافظ الترمذي في « الشمائل » عن أنس رضي الله تعالى عنه . ومنهم الحافظ البيهقيُّ عن رجل من الصَّحَابة ؛ كما في الزرقاني . وذكره الإمام النووي في « التهذيب » .

(وَرَوَىٰ) مسلمٌ في « صحيحه » ، و(ٱلتِّرْمِذِيُّ) في « الشمائل » ؛ (عَنْ أَنَسٍ) « خادمِ رسول الله ﷺ عشر سنين » . والمرادُ حيث أُطلق أنس بن مالك ؛ وإن كان هناك جماعة يسمَّى كلٌّ منهم أنساً . وقد تقدَّمت ترجمته (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ :

كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ) « كان » مع المضارع لا تفيد التكرار ، كما نقله النووي في « شرح مسلم » ؛ عن المحققين . وقال ابن الحاجب : تفيدُه ، وليس المرادُ أَنَّها تفيده مطلقا ، بل في مقام يقبله ، لا كما هنا .

(لَيْسَ بِٱلطَّوِيْلِ) خبرُ « كان » وليس لنفي مضمون الجملة حالا ؛ وهو

---

(١) أمم : قرب .

ٱلْبَائِنِ ، وَلاَ بِٱلْقَصِيرِ ، وَلاَ بِٱلأَبْيَضِ ٱلأَمْهَقِ ، . . . .

المناسبُ هنا . وقيل : إنها لنفي مضمونها في الماضي ، وعليه فتكون حالاً ماضية قُصد دَوَام نفيها (ٱلْبَائِنِ) ـ بالهمز ـ ووهم مَن جعله بالياء لوجوب إعلال اسم الفاعل ؛ إذا أُعل فعله ، كبائع وقائل . وهو إمَّا من « بان يبين بياناً » ؛ إذا ظهر على غيره ، وعليه فهو بمعنى الظاهر طوله . أو مِن « بان يبون بَوْناً » ؛ إذا بعُد ، وعليه فهو بمعنى البعيد عن حدِّ الاعتدال ، ويصحُّ أن يكون من البَيْن ؛ وهو القطع ، لأن مَن رأى فاحشَ الطول تصوَّر أنَّ كُلاً من أعضائه مبانٌ عن الآخر . انتهى « مناوي » .

(وَلاَ) عطف على خبر « ليس » ولا مؤكِّدة للنفي ، (بِٱلْقَصِيْرِ) ـ أي ـ المتردِّد الداخل بعضه في بعض ـ كما سيأتي ـ . والمعنى أَنَّه كان متوسِّطا بين الطول والقصر ، لا زائد الطول ولا القصر .

وفي نفي أصل القصر ونفي الطول البائن لا أصل الطول إِشعارٌ بأنه ﷺ كان مربوعاً ؛ مائلاً إلى الطول ، وأنَّه كان إلى الطول أقربَ ؛ كما رواه البيهقي .

ولا ينافيه وصفُه الآتي بأنه ربعة !! لأنه أمرٌ نسبي ، ويوافقه خبر البراء : كان ربعة ؛ وهو إلى الطول أقرب . وقد ورد عند البيهقي ؛ وابن عساكر أَنَّه ﷺ لم يكن يماشيه أحدٌ من الناس إلاَّ طاله ﷺ ، ولربَّما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولُهما ، فإذا فارقاه نُسب إلى الرَّبْعة . وفي « خصائص ابن سبع » : كان إذا جلس يكون كتفُه أعلى من الجالس . قيل : ولعل السرَّ في ذلك أنَّه لا يتطاول عليه أحدٌ صورةً ، كما لا يتطاول عليه معنىً .

(وَلاَ) ـ عطف على خبر « ليس » ولا مؤكِّدة للنفي ـ (بِٱلأَبْيَضِ ٱلأَمْهَقِ) ؛ أي : الشديد البياض الخالي عن الحُمرة والنُّور ؛ كالجص ؛ وهو كريه المنظر ربَّما توهَّمُه الناظر أبرصَ ، بل كان بياضُه نيِّرا مشرَّبا بحمرة ؛ كما في روايات أُخر ؛ منها أنَّه كان أزهر اللون . فالنفيُ للقيد فقط .

واعلم أنَّ أشرف الألوان في هذه الدار البياضُ المشرَّب بالحمرة ، وفي الآخرة البياضُ المشرَّب بصفرة .

وَلاَ بِٱلآدَمِ ، وَلاَ بِٱلْجَعْدِ . . . .

فإن قيل : من عادة العرب أن تمدح النساء بالبياض المشرَّب بصفرة ، كما وقع في لاميَّة امرئ القيس . وهذا يدلُّ على أنَّه فاضل في هذه الدار أيضا .

أجيب بأنه لا نزاع في أنه فاضل فيها ، ولكن البياض المشرَّب بحُمْرة أفضل منه فيها ، **وحكمةُ التفرقة** بين هذه الدار ؛ وتلك الدار : أن الشَّوْبَ بالحُمرة ينشأ عن الدم وجريانه في البدن وعروقه ، وهو من الفضلات التي تنشأ عن أغذية هذه الدار ، فناسب الشوب بالحمرة فيها . وأما الشَّوْبُ بالصفرة التي تورث البياض صقالةً وصفاءً ؛ فلا ينشأ عادةً عن غذاء من أغذية هذه الدار ؛ فناسب الشوب بالصفرة في تلك الدار ، فظهر أنَّ الشوب في كلٍّ من الدارين بما يناسبه ، وقد جمع الله تعالى لنبيه ﷺ بين الأشرفين ، ولم يكن لونُه في الدنيا كلونه في الأُخرى !! لئلا يفوتَه أحد الحُسْنَيين . انتهى ملخصاً من المناوي وابن حجر رحمهما الله تعالى .

(**وَلاَ بِالآدَمِ**) ، أي : ولا بالأسمر الآدم ؛ أي : شديد الأدمة أي : السمرة ، وآدم ـ بمدِّ الهمزة ـ أصله : أأدم ـ بهمزتين ـ على وزن « أفعل » أبدلت الثانية ألفاً ، وعُلِم مما ذكر أن المنفيَّ إنَّما هو شِدَّة السمرة ، فلا ينافي إثبات السمرة في الخبر الآتي ، لكن المراد بها الحُمْرة ، لأن العرب قد تُطلِق على مَن كان كذلك أسمر . ومما يؤيِّدُ ذلك روايةُ البيهقي كان أبيضَ ؛ بياضه إلى السمرة .

وفي « مسند أحمد » ؛ عن الحبر : جسمه ولحمه أحمر . وفي رواية : أسمر إلى البياض .

فثبت بمجموع هذه الروايات أنَّ المراد بالسمرة : حمرةٌ تخالط البياض ، وبالبياض المثبت ما يخالط الحمرة . وأما وصف لونِه في أخبارٍ بشدَّة البياض كخبر البزار ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : كان شديدَ البياض . وخبرِ الطبراني ؛ عن أبي الطُّفَيل : ما أنسى شدَّة بياض وجهه !! فمحمول على البريق واللَّمعان ، كما يشير إليه حديث : كأنّ الشمس تحرك في وجهه ، انتهى « مناوي وباجوري » .

(**وَلاَ بِٱلجَعْدِ**) ـ بفتح الجيم وسكون العين ـ من الجعودة ؛ وهي في الشعر أن

ٱلْقَطَطِ وَلاَ بِالسَّبْطِ .

وَمَعْنَى(ٱلْبَائِنِ) : اَلظَّاهِرُ طُولُهُ .

وَ(ٱلأَمْهَقِ) : ٱلشَّدِيدُ ٱلْبَيَاضِ ، ٱلْخَالِي عَنِ ٱلْحُمْرَةِ .

وَ(ٱلآدَمِ) : ٱلأَسْمَرُ . وَ(ٱلْجَعْدِ) : مَنْ فِي شَعْرِهِ ٱلْتِوَاءٌ .

وَ(ٱلْقَطَطِ) : شَدِيدُ ٱلْجُعُودَةِ . وَ(ٱلسَّبْطِ) : مُسْتَرْسِلُ ٱلشَّعْرِ .

يتكسَّر تكسُّراً تامَّاً ، ولا يترسّل (**ٱلقَطَطِ**) ـ بفتحتين ـ كجَسَد على الأشهر ، وبكسر الثاني ؛ وهو شدَّة الجعودة . قال المناوي : والجعد يَرِد بمعنى : الجواد ، والكريم ، والبخيل ، واللئيم جميعاً ، ومقابل السَّبط ، ويوصف بالقَطط في الكلِّ ؛ فالقَطط لا يعيِّنُ المراد ، فلذا قابله بقوله :

(**وَلاَ بِٱلسَّبِطِ**) ـ بفتح المهملة وكسر الموحدة ، وتسكن ، وبفتحتين ـ . والمراد أنَّ شعره ليس نهاية في الجعودة ؛ وهي تكسره الشديد ، ولا نهاية في السبوطة ؛ وهي عدم تكسُّره وتثنِّيه بالكلية ، بل كان وَسَطاً بينهما ، و« خَيْرُ الأُمور أوسطُها » .

قال الزمخشري : الغالب على العرب جعودة الشعر ، وعلى العجم سُبُوطته . وقد أحسنَ الله لرسوله الشمائِل ، وجمع فيه ما تفرق في غيره من الفضائل .

(**وَمَعْنىٰ ٱلبَائِنِ**) ـ بالهمزة ـ : (**ٱلظَّاهِرُ طُوْلُهُ ، وَ**) معنى (**ٱلأَمْهَقِ : ٱلشَّدِيْدُ ٱلبَيَاضِ ٱلخَالِيْ عَنِ ٱلْحُمْرَةِ**) ، والنّور كالجصِّ ؛ وهو كريه المنظر ربما توهَّمه الناظرُ بَرَصاً ، بل كان بياضه ﷺ نيِّراً مُشَرَّبا بحُمرة ـ كما تقدم ـ .

(**وَ**) معنى (**ٱلآدَمِ : ٱلأَسْمَرُ**) ، والسُّمرة : منزلة بين البياض والسواد .

(**وَ**) معنى (**ٱلجَعْدِ : مَنْ فِي شَعْرِهِ ٱلْتِوَاءٌ**) ، وفي « المصباح » : جَعُدَ الشعرُ ـ بضم العين وكسرها ـ جعودة ، إذا كان فيه التواء وانقباض .

(**وَ**) معنى (**ٱلقَطَطِ**) ـ بفتحتين ، وبفتح فكسر ـ : (**شَدِيْدُ ٱلجُعُودَةِ ، و**) معنى (**ٱلسَّبِطِ : مُسْتَرْسِلُ ٱلشَّعْرِ**)؛

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِلاً مَرْبُوعاً ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنكِبَيْنِ ، عَظِيمَ ٱلْجُمَّةِ ....

(وَ) في « الشمائل الترمذية » ؛ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه :

(كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ رَجِلاً) ـ بفتح الراء وكسر الجيم ـ وهو : الذي بين الجعودة والسُّبُوطة ؛ قاله الأصمعيُّ وغيرُه : ووقع في الروايات المعتمدة بضم الجيم !! فيحتمل أن يكون المراد به المعنى المتبادر المتعارف الذي يُرادُ بلفظ الرجل ؛ وهو المقابل للمرأة ، ومعناه واضح ، وهو خبر مُوَطِّىءٌ ، لأن الخبر في الحقيقة قولُه (مَرْبُوعاً) إذ هو يفيد الفائدة المعتدَّ بها ، كقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحشر] ، ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل] .

والمربوع يُرادف الرَّبْعَة ؛ وهو : المتوسِّطُ بين الطويل والقصير . وهذا تقريبٌ ؛ لا تحديد ، فلا ينافي أنَّه كان يضرب إلى الطول ؛ كما في خبر ابن أبي هالة الآتي : كان أطولَ من المربوع ؛ وأقصرَ من المشذَّب .

(بَعِيْدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنكِبَيْنِ)، روي بالتكبير، و [بُعَيْد] بالتصغير ، و« ما » موصولةٌ ، أو موصوفة ، لا زائدة ؛ كما زعمه بعضُهم . والمَنكِبَان ـ تثنية مَنكِب ـ وهو : مجمعُ العَضُد والكتف ، والمراد بكونه بعيدَ ما بين المنكبين : أنَّه عريضُ أعلى الظهر ، ويلزمُه أنَّه عريضُ الصدر ، ومِن ثَمَّ جاء في رواية : « رَحْبَ الصدر » ، وذلك آية النَّجابة ، وفي رواية التصغير إشارةٌ إلى تقليل البُعد ؛ إيماءً إلى أن بُعْد ما بين منكبيه لم يكن منافياً للاعتدال .

(عَظِيْمَ ٱلجُمَّةِ) ـ بضم الجيم وتشديد الميم ـ أي : كثيفها . قال حسوس : والجُمَّة عند جمهور أهل اللغة : ما سَقَط من شعر الرأس إلىٰ المنكبين . وأما الوَفْرة !! فهي : التي تصل إلىٰ شحمة الأذن ، وأما ما نزل عن الأُذنين ؛ ولم يصل إلىٰ المنكبين !! فهو اللِّمّةُ ، وعلىٰ هذا قول مَن قال :

اَلْـوَفْـرَةُ ٱلشَّعْـرُ لِشَحْمَـةِ ٱلأُذُنْ ... وَجُمَّـةٌ إِنْ هِـي لِمَنكِـبِ تَكُـنْ

إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ .

وَمَعْنى (ٱلرَّجِلِ) : مَنْ فِي شَعْرِهِ تَكَسُّرٌ قَلِيلٌ .

وَ(ٱلْجُمَّةُ): مُجْتَمَعُ شَعَرِ ٱلرَّأْسِ ؛ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْوَفْرَةِ وَٱللِّمَّةِ .

وَسَـــمٌ مَـــا بَيْنَهُمَـــا بِـــٱللِّمَّـــةِ قَدْ قَالَ ذَا جُمْهُورُ أَهْلِ ٱللُّغَةِ

وقال الزَّمخشريُّ في المقدمة : الجُمَّة : ما تدلَّىٰ من الشعر إلىٰ شحمة الأذن .

وفي « الصحاح » : الجُمَّة : الشَّعر المجموعُ علىٰ الرأس وظاهرِه مطلقاً .

وفي « ديوان الأدب » : إن الجُمَّة هي الشعر إذا تدلَّىٰ من الرأس إلىٰ شحمة الأُذن ، وإلىٰ المنكبين ، وإلىٰ أكثرَ من ذلك . فتحصَّل أنَّ في الجُمَّة ثلاثةَ أقوال :

١ ـ ما وصل إلىٰ المنكبين .

٢ ـ ما وصل إلىٰ شحمة الأُذن .

٣ ـ ما تدلَّىٰ من شعر الرأس مطلقاً .

فقوله (**إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ**) إنَّما يأتي علىٰ القول الثاني والثالث ؛ دون الأول . انتهىٰ « كلام حسّوس » .

(**وَمَعْنَىٰ ٱلرَّجِلِ**) ـ بكسر الجيم ـ (: **مَنْ فِي شَعْرِهِ تَكَسُّرٌ قَلِيْلٌ** .

وَٱلجُمَّةُ) ـ بضمِّ الجيم وتشديد الميم ـ ؛ قال في « الصحاح » : هي (**مُجْتَمَعُ شَعْرِ ٱلرَّأْسِ ؛ وَهِيَ**) ـ أي : الجُمَّة ـ (**أَكْثَرُ مِنَ ٱلوَفْرَةِ وَ**) أكثر من (**ٱللِّمَّةِ**) ، لأن الجُمَّة ما وصلت المنكب ، والوَفرة : ما بلغت شحمة الأُذن ، واللِّمَّة ما بينهما . كما تقدَّم . وعلىٰ هذا فترتيبُها « ولج » فالواو للوفرة ، واللام لِلِّمة ، والجيم للجُمَّة .

وهذه الثلاثة اضطرب أهل اللغة في تفسيرها ، وأقرب ما وُفِّق به أنَّ فيها لغاتٍ ، وكل كتاب اقتصر علىٰ شيء منها ، كما يشير إليه كلامُ « القاموس » في مواضع ؛ قاله الباجوري رحمه الله تعالىٰ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَثْنَ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ ، ضَخْمَ ٱلْكَرَادِيسِ ، طَوِيلَ ٱلْمَسْرُبَةِ ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً ؛

(وَ) روىٰ الترمذي في « الشمائل » ؛ عن عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه أَنَّه (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ شَثْنَ) ـ بمعجمة مفتوحة ومثلثة ساكنة ـ كذا في الشروح !! وفسَّره ابن حجر العسقلاني بغليظ الأصابع والراحة . وهي المتبادر ، ويؤيِّده رواية « ضخمُ الكَفَّين والقدمين » .

قال ابن بَطَّال : كانت كفُّه ﷺ ممتلئة لحماً غير أَنَّها مع غاية ضخامتها كانت ليِّنة ، كما ثبتَ في حديث أنس : « مَا مَسَسْتُ خزّاً ، ولا حريراً ألينَ من كفِّ رسول الله ﷺ (ٱلكَفَّيْنِ) ـ تثنية كفٍّ ـ وهي : الراحة مع الأصابع ، سُمِّيت به !! لأنَّها تكفُّ الأذىٰ عن البدن ؛ وهي مؤنَّثةٌ ، (وَٱلْقَدَمَيْنِ) ـ تثنية قدم ـ وهي من الإنسان معروفة ؛ وهي أنثىٰ ، وتصغيرُها « قُديمةٌ » بالهاء . وجمعها : أقدام ، وجَمَع بين الكفين والقدمين في مضاف واحد ! لشدَّة تناسبهما ، ومِن ثَمَّ لم يجمع بين الرأس والكراديس حيث قال :

(ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ) ؛ أي : عظيمهُ . وفي رواية « عظيم الهامة » وعظمُ الرأس دليلٌ علىٰ كمال القُوىٰ الدماغية ؛ وهو آية النَّجابة .

(ضَخْمَ ٱلكَرَادِيْسِ) ؛ أي : عظيم رؤُوس العظام ، وهو بمعنىٰ جليل المُشَاش الآتي . والكَرَاديس ـ جمع كُرْدُوس ؛ بوزن عُصفور ـ وهو : رأس العظم . وقيل : مجمع العظام ؛ كالرُّكبة والمَنكِب . وعظم ذلك يستلزم كمالَ القُوىٰ الباطنية .

(طَوِيْلَ ٱلمَسْرُبَةِ) ـ بضم الراء كَمكْرُمة ، وقد تفتح الراء ـ وأمَّا محل خروج الخارج ! فهو مَسْرَبَة ـ بالفتح فقط ـ، كما في « المصباح » . وسيأتي تفسير المَسْرُبة في المصنف : بأنها الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلىٰ السرة .

(إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً) ـ بالهمز فيهما ـ وحينئذ يُقرأ المصدر بضمِّ الفاء ؛ كـ « تَقَدَّم تَقَدُّماً » ، أو بلا همز تخفيفاً ، وحنيئذ يُقرأ المصدر بكسر الفاء ، كـ « تسمَّىٰ تسمِّياً » . وعلىٰ كلٍّ فهو مصدر مؤكد ، أي : يُسرع المشي كأنه يميل بين

كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . وَمَعْنَىٰ (شَثْنٍ) : غَلِيظٌ .

وَ(ٱلْكَرَادِيسُ) ـ جَمْعُ كُرْدُوسٍ ـ وَهُوَ : مَجْمَعُ ٱلْعِظَامِ كَٱلرُّكْبَةِ وَٱلْمَنكِبِ .

وَ(ٱلْمَسْرُبَةُ) : ٱلشَّعْرُ ٱلدَّقِيقُ ٱلَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبٌ مِنَ ٱلصَّدْرِ إِلَىٰ ٱلسُّرَّةِ .

يديه من سرعة مشيه كما تتكفأُ السفينة في جريها . (**كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ**) ، وفي رواية كأنَّما يهوي من صَبَب . وعلىٰ كلٍّ فهو مبالغةٌ في التكفُّؤ ، والانحطاطُ : النزول . وأصله الانحدار من علوٍّ إلىٰ سُفْل ، وأسرع ما يكون الماء جارياً ؛ إذا كان منحدراً .

(**وَمَعْنَىٰ شَثْنٍ**) ـ بشين معجمة وثاء مثلثة ـ وضبطه الجلال السيوطي بالمثناة فوق بدل المثلثة ؛ وعلىٰ كلٍّ فمعناه ـ (: **غَلِيْظٌ**) . ونقل عن الأصمعي أنَّه فَسَّر « الشَّثْن » بالغلظ مع الخشونة . فقيل له : إنه ورد في وصف كفِّه ﷺ اللِّين والنعومة !! فآلىٰ علىٰ نفسه أن لا يفسِّر شيئاً في الحديث أبداً . وتفسير أبي عبيدة بالغلظ مع القصر !! رُدَّ بما صحَّ أنَّه كان سائل الأطراف . وفي « القاموس » : شَثُنَتْ كَفُّه : خَشُنَت وغلظت . فمقتضاه أنَّ الشثن معناه : الخشن الغليظ . وعليه فهو محمول علىٰ ما إذا عمل في الجهاد ؛ أو مهنةِ أهله ، فإنَّ كفَّه الشريفة تصير خشنة للعارض المذكور ، وإذا ترك ذلك رجعت إلىٰ النعومة ؛ كذا قاله الباجوري .

(**وَٱلكَرَادِيْسُ** : **جَمْعُ** « **كُرْدُوسٍ** ») ـ بضمتين ـ : (**وَهُوَ** : **مَجْمَعُ ٱلعِظَامِ**) ، فكلُّ عظمين ٱلتقيا في مِفْصَل يقال له « كردوس » ؛ علىٰ ما في « القاموس » ، وذلك (**كَٱلرُّكْبَةِ** ، **وَٱلمَنْكِبِ**) ، والوَرِك .

(**والمَسْرُبَةُ**) ـ بفتح الميم وسكون السين المهملة ؛ وضم الراء وبالموحدة ـ هو : شعر بين الصدر والسرَّة . علىٰ ما في « المهذب » . وظاهر الروايات أنَّه ما دَقَّ من شعر الصَّدر سائلاً إلىٰ السُّرَّة ؛ كما ورد في حديث علي رضي الله عنه : المَسْرُبة (**الشَّعْرُ**) ـ بفتح العين وتسكن ـ (**ٱلدَّقِيْقُ ٱلَّذِيْ كَأَنَّهُ قَضِيْبٌ**) أي : غصن نظيف ، أو سيف لطيف ؛ علىٰ ما في « القاموس » . أو سهم ظريف ؛ علىٰ ما في « المهذب » . ابتداؤها (**مِنْ**) أعلىٰ (**ٱلصَّدْرِ**) ، وانتهاؤها (**إِلىٰ ٱلسُّرَّةِ**) .

وَ(ٱلتَّكَفُّؤُ) : اَلْمَيْلُ إِلَىٰ سَنَنِ ٱلْمَشْيِ ، وَهُوَ : مَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَٱلسَّفِينَةِ فِي جَرْيِهَا .

وَ(ٱلصَّبَبُ) : اَلْمَكَانُ ٱلْمُنْحَدِرُ مِنَ ٱلأَرْضِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْداً رَجِلاً ، وَلَمْ يَكُنْ بِٱلْمُطَهَّمِ ؛

وأما (ٱلتَّكَفُّؤُ) !! فهو مصدر تَفَعَّلَ ـ من الصحيح ـ تَفَعُّلاً كـ « تقدَّم تقدُّماً » ، وتكفَّأَ تكفؤاً . والهمز حرفٌ صحيح ، ومعناه : (ٱلْمَيْلُ إِلَىٰ سَنَنِ ٱلْمَشْيِ) ـ مثلث السين وبضمتين ـ: نهجه وجهته ؛ كما في « القاموس » . وهذا التفسير قَطَع به الأزهريُّ مخطِّئاً تفسيرَه بتمايل يميناً وشمالاً ؛ كالسفينة ؛ بأنه من الخُيَلاء . وتكفُّؤُ السفينة : تمايلها علىٰ سمتها الذي يُقصد . ويردُّه قولُه كأنما ينحطُّ من صبب ، فإنه مفسِّرٌ له . وقال الكسائي : أَكْفَأْتَ الإناء وكَفَأْتَه : إذا كببتَه ، وأكفأته : إذا أَمَلْتَه . ومنه الحديث أي : تمايل إلىٰ قدام كما تتكفَّأُ السفينة في جريها . انتهى .

وأجاب القاضي عياض بأن التمايل يميناً وشمالاً إنَّما يُذمُّ بالقصد ؛ لا إن كان خلقةً كالغصن ، وهو حَسَن صوابٌ . انتهىٰ « زرقاني » .

فلأجل هذا قال المصنف : (وَهُوَ : مَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي : التمايل إلىٰ قدام (كَٱلسَّفِينَةِ فِي جَرْيِهَا . وَٱلصَّبَبُ) ـ بفتح الصاد والموحدة الأولىٰ ـ معناه : (ٱلْمَكَانُ ٱلْمُنْحَدِرُ مِنَ ٱلأَرْضِ) ، يقال : انحدرنا في صبوب وصبب ، أي : مكانٍ منحدر .

(وَ) روىٰ الترمذيُّ في « الشمائل » بسَنَد فيه انقطاع ؛ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه أنَّه قال : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ جَعْداً رَجِلاً) الجعد ـ بفتح الجيم وسكون العين المهملة ـ: هو الشعر المتجعِّد ؛ أي : المتثنِّي . والرَّجِل ـ قال الحافظ ابن حجر : بفتح الراء وكسر الجيم ، وقد يضمُّ ، وقد يفتح ، وقد يسكَّن ـ ما فيه تكسُّرٌ يسير . انتهىٰ . فكان شعرُه بين السُّبُوطة والجعودة .

(وَلَمْ يَكُنْ بِٱلْمُطَهَّمِ) الرواية فيه بلفظ اسم المفعول فقط ، وسيأتي تفسيرُه في كلام المصنف بالبادن : الكثير اللحم .

وَلاَ بِٱلْمُكَلْثَمِ ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ ، أَبْيَضُ مُشَرَّبٌ ، أَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، . . . .

(وَلاَ بِٱلْمُكَلْثَمِ) الرواية فيه بلفظ اسم المفعول فقط . ومعناه : مدوَّر الوجه ؛ كما سيأتي في كلام المصنف . والمرادُ أنَّه أسيل الوجه مسنونُ الخدين ، ولم يكن مستديراً غاية التدوير ، بل كان بين الاستدارة والإسالة ، وهو أحلىٰ عند كلِّ ذي ذوق سليم وطبع قويم .

ونقل الذهبيُّ ؛ عن الحكيم أنَّ استدارة الوجه المفرطة دالَّة علىٰ الجهل .

(وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ) أي : شيءٌ قليل منه ، وليس كلُّ تدوير حَسَناً كما علمت ، وهذه الجملة كالمبيِّنَة لقوله « وَلا بالمُكَلْثَم » .

(أَبْيَضُ) ـ بالرفع ـ خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو أبيض (مُشَرَّبٌ) بحُمرة ؛ كما في روايةٍ ومُشْرَب ـ بالتخفيف ـ من الإشراب ؛ وهو : خلط لون بلون كأنه سُقي به ، أو [مُشَرَّب] بالتشديد من التشريب ؛ وهو مبالغة في الإشراب . وهذا لا ينافي ما في بعض الروايات : « وليس بالأبيض » ، لأن البياض المثبتَ ما خالطه حُمرة ، والمنفيُّ ما لا يخالطه ؛ وهو الذي تكرهه العرب ؛ وتسمِّيه « أمهق » .

تنبيه : صرَّح العلماء رحمهم الله تعالىٰ بكفر مَن قال : كان النبي ﷺ أسود ، لأن وصفه بغير صفته في قوَّة نفيه فيكون تكذيباً به ، ومنه يؤخذ أنَّ كلَّ صفةٍ عُلم ثبوتُها بالتواتر كان نفيها كُفراً ، للعلَّة المذكورة . وقول بعضهم « لا بد في الكُفر في أن يصفَه بصفة تُشعِر بنقصه ، كالسواد هنا » لأنه لون مفضول !! فيه نظر ، لأن العلَّة ليست هي النقص ، بل ما ذُكر فالوجه أنَّه لا فرق . انتهىٰ « باجوري » .

(أَدْعَجَ) ـ بمهملتين فجيم ـ (ٱلعَيْنَيْنِ) ؛ أي : شديد سواد حدقة العين مع سَعَتها . كما سيأتي في كلام المصنف ، فلا يُشكل بأنه أشكل . لأنَّ الشُّكلة في البياض ؛ لا في السواد . كما يأتي . وقيل : الأدعج شديد بياض البياض وسواد السواد .

أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ ، جَلِيلَ ٱلْمُشَاشِ وَٱلْكَتِدِ ، أَجْرَدَ ، ذَا مَسْرُبَةٍ ، شَثْنَ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَشَىٰ . . تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، . . . .

(أَهْدَبَ الأَشْفَارِ) ؛ جمع شُفْر ـ بالضم ويُفتح ـ وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر . ويقال له الهُدْبُ ـ بضم الهاء وسكون المهملة بعدها موحدة ـ. والأهدب : الذي شعر أجفانِه كثيرٌ مستطيل . وفي كلامه حذفُ مضاف أي : أهدب شعر الأشفار هي الأجفان التي تنبت عليها الأهداب ويحتمل أنَّه سمَّىٰ النابت باسم المنبِت للملابسة .

(جَلِيْلَ) ـ أي عظيم ـ (ٱلْمُشَاشِ) ـ بضم الميم فمعجمتين بينهما ألف ـ جمع مُشاشة ـ بالضم والتخفيف ـ: رؤُوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين . (وَ) جليل (ٱلكَتِدِ) ـ بمثناة فوقية مفتوحة أو مكسورة ـ وسيأتي في كلام المصنف : أنَّه مجمع الكتفين وهو الكاهل ؛ أي : عظيم ذلك كلِّه . وهو يدلُّ علىٰ غاية القوَّة ونهايةِ الشجاعة .

(أَجْرَدَ) أي : هو أجرد ؛ أي : غير أشعر ؛ وهو : مَن عمَّ الشعر جميعَ بدنه ، فالأجرد : مَن لم يعمَّه الشعر فيصدُقُ بمَنْ في بعض بدنه شعر كالمسرُبة والساعدين والساقين . وقد كان له ﷺ في ذلك شعر ؛ فوَصْفُه ﷺ بأنه أجردُ باعتبار أكثر مواضعه ، إما بجعل الأكثر في حكم الكلّ ، أو تغليب ما لا شعر لَهُ علىٰ ما لَهُ شعر .

(ذَا مَسْرُبَةٍ) ـ تقدَّم شرحه ـ (شَثْنَ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ) تقدَّم الكلام عليهما .

(إِذَا مَشَىٰ تَقَلَّعَ) في مشيه كأنه يقلع رجله من رجل ، إذا أراد قوَّة مشيه كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً متداركاً إحداهما بالأخرىٰ ؛ مِشية أهل الجلادة والهِمَّة ، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه ، فإنَّ ذلك من مشي النساء .

فالتقلُّع قريبٌ من التكفِّي . وقد سبق .

(كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ) ، وهذا مؤكِّد لمعنىٰ التقلُّع ، وتقدَّم إيضاحه .

وَإِذَا ٱلْتَفَتَ . . ٱلْتَفَتَ مَعاً ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتِمُ ٱلنُّبُوَّةِ .

وَهُوَ خَاتِمُ ٱلنَّبِيِّينَ ، أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ صَدْراً ، . . . .

(**وَإِذَا ٱلْتَفَتَ ٱلْتَفَتَ مَعاً**) ؛ أي : بجميع أجزائه ، فلا يلوي عنقه يمنة أو يسرة إذا نظر إلىٰ الشيء ، لما في ذلك من الخفَّة وعدمِ الصيانة ، وإنَّما كان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، لأنَّ ذلك أَلْيَقُ بجلالته ومهابته . وفي « ألفيّة العراقي » :

يُقْبِـلُ كُلُّـهُ إِذَا مَـا ٱلْتَفَتَـا وَلَيْـسَ يَلْـوِي عُنُقـاً تَلَفُّتَـا

وينبغي ـ كما قاله الدَّلجي ـ أن يُخَصَّ هذا بالتفاته وراءه ، أما لو التفت يَمنة أو يَسرة !! فالظاهر أنَّه بعنقِهِ الشريف . وقيل : أراد بذلك أنَّه لا يسارع . قال القُسطُلاّني : وهو أقرب لما يأتي : أنه كان جُلُّ نظره الملاحظةَ . انتهىٰ .

(**بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتِمُ**) ـ بفتح التاء وكسرها ، والكسرُ أشهر وأفصح ، وهو في الأصل ـ : ما يختم به كالطابع . والمراد هنا الأثر الذي بين كتفيه المنعوت به في الكتب المتقدمة ، وكان علامةَ أنَّه النبي الموعود به في تلك الكتب . وهو : قطعةُ لحم بارزةٌ بين كتفيه بقدر بيضة الحمامة أو غيرها بحسب اختلاف الروايات فيه ، وإضافتهُ إلىٰ (**ٱلنُّبُوَّةِ**) لكونه علامتَها .

وهذه الجملةُ غيرُ معطوفة علىٰ ما قبلها لعدم المناسبة .

(**وَهُوَ خَاتِمُ ٱلنَّبِيِّينَ**) أي : آخرُهم ، فلا نبيَّ بعده تُبْتَدَأُ نُبوَّته . فلا يَرد عيسىٰ عليه الصلاة والسلام لأنَّ نبوَّتَه سابقةٌ ؛ لا مُبْتَدَأة بعد نبينا ﷺ . فعيسىٰ إنَّما ينزل حاكماً بشريعته ومتابعاً لها مستَمِدّاً أحكامه من الكتاب والسنة .

وهذه الجملة حاليَّة مكمِّلَةٌ لما قبلها ؛ أو معطوفة عليها لوجود المناسبة .

(**أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ صَدْراً**) ؛ أي : من جهة الصدر ، والمراد به هنا القلب تسميةً للحال باسم المحلِّ ، إذِ الصدر محلُّ القلب الذي هو محلُّ الجود . والمعنى : أَنَّ جوده عن طيب قلب وانشراح صدر ؛ لا عن تكلُّف وتصنُّع . وفي رواية : أوسع الناس صدراً ؛ وهو كناية عن عدم الملل من الناس على اختلاف طباعهم وتباينِ

وَأَصْدَقُ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً ، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً . . هَابَهُ ، ....

أمزجتهم ، كما أن ضيق الصَّدرِ كنايةٌ عن الملل . انتهى « باجوري » .

(وَأَصْدَقُ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً) ـ بسكون الهاء وتفتح ؛ والفتح أفصح ـ واللهجة : هي اللسان . لكن لا بمعنى العضو المعروف ؛ بل بمعنى الكلام . لأنه هو الذي يتَّصفُ بالصِّدق ؛ فلا مجالَ لجريان صورةِ الكذب في كلامه . ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله « أصدق الناس » !! لزيادة التمكُّن ؛ كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الإخلاص] . وإنما لم يَجْرِ على سَنَنه فيما بعدُ !! اكتفاءً في حصول النكتة بهذا .

(وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً) أَلْيَن ، من اللِّين ؛ وهو ضِدُّ الصلابة . والعريكة : الطبيعة ؛ وَزْناً ومعنى ، ومعنى لِينها : انقيادُها للخلق في الحقِّ . فكان معهم على غايةٍ من التواضع وقلَّة الخلاف والنفور . وهذه الجملة منبئةٌ عن كمال مسامحته ﷺ ووفور حلمه ؛ ما لم تُنتَهك حرمات الله تعالى .

(وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً) ـ بالكسر ـ اسمٌ من المعاشرة ؛ وهي المخالطة . فمعاشرته ﷺ ومخالطته أكرمُ مِن جميع مخالطة الناس كما يدلُّ عليه قوله : (مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً) ؛ أي : رؤية بديهةً ، فهو مفعول مطلق ، يعني فجأة من غير سابقةِ مخالطةِ ومعرفةِ أحواله ، أو قبل النظر في أخلاقه العليّة وأحواله السّنيّة (هَابَهُ) ؛ أي : خافَه لما فيه من صِفَةِ الجلال الربَّانيّة ، ولِمَا عليه من الهيبة الإلـٰهية والفيوضات السماوية .

قال ابن القيِّم : والفرقُ بين المهابة والكِبر : أنَّ المهابة أثرٌ من آثار امتلاء القلب بعظمة الربِّ ومحبَّته وإجلاله ، فإذا امْتلأ القلب بذلك حَلَّ فيه النور ، ونزلت عليه السكينة ، وأُلبس رداءَ الهيبة ؛ فكلامه نور ؛ وعلمه نور ، إنْ سكت علاه الوقار ، وإن نطق أخذ بالقلوب والأبصار .

وأما الكِبْر ! فإنَّه أثرٌ من آثار امتلاءِ القلب بالجهل والظلم والعُجب . فإذا امتلأ القلب بذلك ترحَّلت عنه العبوديةُ ، وتنزَّلت عليه الظلمات الغضبية ، فمشيَتُه بينهم

وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً . . أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعِتُهُ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

تبخترٌ، ومعاملتُه لهم تكبُّر ، لا يبدأ مَن لَقِيَهُ بالسلام ؛ وإن ردَّ عليه يُريه أنَّه بالغ في الإنعام، لا ينطلق لهم وجهه ، ولا يسعهم خُلُقه . وقد حمى الله حبيبه من هذه الأخلاق .

(**وَمَنْ خَالَطَهُ**) ؛ أي : عاشرهُ وصاحبهُ (**مَعْرِفَةً**) ؛ أي : مخالطة معرفة ، أو لأجل المعرفة (**أَحَبَّهُ**) حُبًّا شديداً حتى يصيرَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ، لظهور ما يوجب الحبَّ من كمال حُسن خُلُقه ومزيد شفقته .

وخرج بقوله « معرفة » مَن خالطه تكبُّراً ، كالمنافقين ، فلا يحبُّه .

(**يَقُوْلُ نَاعِتُهُ**) ؛ أي : واصفُه بالجميل على سبيل الإجمال ، لعجزه عن أن يصفَه وصفاً تامّاً بالغاً على سبيل التفصيل : (**لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**) ؛ أي : مَنْ يساويه صورةً وسيرة وخُلُقاً وخَلْقاً ، إذ ليس في الناس مَن يماثِلُه في الجمال ، ولا في الخُلُق مَن يشابهه على وجه الكمال . هذا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وهو هو في العلم والمعرفة ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « أَنَا مَدِيْنَةُ ٱلعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا » بعد أن عدَّد بعض البعض من صفات جماله ونُعوت كماله ﷺ ـ اعترف بالعجز عن استقصاء محاسنِ هذا الجناب الأَرْفع ، ورجع إلى القصور عن إدراك كمالاتِ هذا الشفيع المشفَّع ؛ إشارة إلى أن الجناب المذكور في غاية العُلُوِّ ونهاية الارتفاع ، فمن طاوله ورام استقصاء كمالاتِهِ عجز وانقطع .

ثمَّ اعلم أنَّ المنفيَّ عمومُ الشَّبَه ؛ لا أصله أو معظمه ، فلا ينافي ما ذكره العلماء مِن أَنَّ الذين كانوا يُشبِهونه ﷺ ابنُه إبراهيم ، وابنته فاطمة ، وابناها الحسن والحسين ، وجعفر بن أبي طالب ، والسائب بن عبيد « جدّ الإمام الشافعي » ، وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي ، وكابس بن ربيعة « رجل من أهل البصرة » ؛ كان أنس إذا رآه بكى ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ومسلم بن معتب بن أبي لهب ، وعبد الله بن أبي طلحة الخولاني ، في آخرين من التابعين . وذُكر أيضا فيهم عثمان بن عفان . قال في « المواهب » : وعَدَّهم بعضُهم سبعاً وعشرين نفساً . وإنَّما ذكر المصنف في باب الخلق ما ليس منه محافظةً على تمام الخبر .

وَمَعْنَى (ٱلْمُطَهَّمِ) : ٱلْبَادِنُ ٱلْكَثِيرُ ٱللَّحْمِ . وَ(ٱلْمُكَلْثَمِ) : ٱلْمُدَوَّرُ ٱلْوَجْهِ . وَ(أَدْعَجِ ٱلْعَيْنَيْنِ) : شَدِيدُ سَوَادِهِمَا . وَ(أَهْدَبِ ٱلْأَشْفَارِ) : طَوِيلُ شَعْرِ ٱلأَجْفَانِ . وَ(ٱلْمُشَاشِ) : رُؤُوسُ ٱلْعِظَامِ . وَ(ٱلْكَتَدِ) : مُجْتَمَعُ ٱلْكَتِفَيْنِ . وَ(أَجْرَدَ) : غَيْرُ أَشْعَرَ . وَ(تَقَلَّعَ) : مَشَىٰ بِقُوَّةٍ .

(**وَمَعْنَى ٱلْمُطَهَّمِ**) ـ بفتح الهاء المشددة ـ : (**ٱلْبَادِنُ**) ؛ أي : عظيم البدن بكثرة لحمه ، فقوله (**ٱلْكَثِيرُ ٱللَّحْمِ**) صفةٌ كاشفة للبادن ؛ للمبالغة والتوضيح .

(**وَ**) معنى (**ٱلْمُكَلْثَمِ**) : (**ٱلْمُدَوَّرُ ٱلْوَجْهِ**) ولا يكون إلاَّ مع كثرة اللحم .

(**وَ**) معنى (**أَدْعَجِ**) ـ بمهملتين وجيم ـ (**ٱلْعَيْنَيْنِ** : **شَدِيْدُ سَوَادِهِمَا**) ؛ أي : شديد سواد حَدَقتهما مع سَعة العين وشِدَّة بياضها . فالدَّعَج : شدَّةُ بياض البياض وسوادِ السواد ، وهو الأنسبُ بمقام المدح . وقد تقدَّم قولٌ آخرُ ثَمَّ .

(**وَ**) معنى (**أَهْدَبِ ٱلأَشْفَارِ**) ؛ جمع شُفْر ـ بضمٍّ أوله وقد يفتح ـ : (**طَوِيْلُ شَعْرِ ٱلأَجْفَانِ**) . ومعنى (**ٱلْمُشَاشِ**) ـ بمعجمتين جمع مُشاشة بالضمِّ والتخفيف ـ : (**رُءُوْسُ ٱلعِظَامِ**) كالمرفقين والكتفين والرُّكبتين ، أو : هي رءوس المَناكب ، أو العظام اللَّيِّنة ، أو التي يمكن مضغُها .

(**وَ**) معنى (**ٱلكَتِدِ**) ـ بمثناة فوقية تُفتح وتكسر ـ : (**مُجْتَمَعُ ٱلكَتِفَيْنِ**) ؛ تثنية كتف ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ، وبكسر أوله أو فتحه مع سكون ثانيه ؛ كما في « القاموس » ـ (**وَ**) معنى (**أَجْرَدُ غَيْرُ أَشْعَرَ**) قال في « القاموس » : رجل أجردُ لا شعر عليه . فوصْفُه به مع وجود الشعر في مواضع من بدنه غالبيٌّ . وقولُ البيهقيّ في « التاج » : معنى « أجرد » هنا : صغيرُ الشعر !! رُدَّ بقول « القاموس » : الأجردُ إذا جُعل وصفاً للفرس كان بمعنى صِغَر شعره ، وإذا جُعل وصفاً للرجل فمعناه : لا شعر عليه ، على أن لحيتَه الشريفةَ كانت كثَّة . وقيل : معنى « أجرد » : أي لا غش فيه ولا غِلَّ ، فهو على أصل الفطرة .

(**وَ**) معنى (**تَقَلَّعَ** : **مَشَىٰ بِقُوَّةٍ**) : أراد قوَّة مشيه ، كأنه يرفع رجله من الأرض

وَ(ٱللَّهْجَةِ) : ٱلْكَلَامُ . وَ(ٱلْعَرِيكَةِ) : ٱلطَّبِيعَةُ .

وَ(ٱلْبَدِيهَةِ) : ٱلْمُفَاجَأَةُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ ، ضَلِيعَ ٱلْفَمِ ،

رفعاً قوياً . وذلك أبعدُ عن الكِبر وأعونُ على قطع الطريق ، لا كَمَنْ يختال يقاربُ خطاه ، فإنَّه شأنُ النساء .

(وَ) معنى (**ٱللَّهْجَةِ**) ـ بسكون الهاء وجيم ، و[اللَّهَجَة] تُحرَّك أفصح : (**ٱلْكَلَامُ**) والمعنى كلامُه أصدقُ الكلام ، فلا مجال لجريان صورة الكذب عليه .

(وَ) معنى (**ٱلْعَرِيْكَةِ** : **ٱلطَّبِيْعَةُ**) وَزْناً ومعنى . (وَ) معنى (**ٱلْبَدِيْهَةِ** : **ٱلْمُفَاجَأَةُ**) بالهمز ، أي : البغتة ، ومنه البديهي : الحاصل من غير التروِّي . يقال بَدَهْتُهُ بأمر ؛ أي : فجأْتُه . وفَجَأَهُ الأمر : إذا جاءَه بغتةً .

تنبيه : قال الحافظ أبو نعيم : قد اختلفت ألفاظُ الصحابة في نعته وصفاته ، وذلك لِمَا رُكِّب في الصدور من جلالته وعظيم مهابته ، ولما جُعل في جسده الشريف من النُّور الذي يتلألأ ويغلب على بشرته ، فأعياهم ضبطُ نعتِه وصفةُ حِليته ، حتَّى قال بعضهم : كان مثل الشمس طالعةً . وقال بعضهم : كان يتلألأُ تلألُؤ القمر ليلةَ البدر . وقال بعضهم : لم أَرَ قبلَه ولا بعده مثلَه . ولذلك السبب كان اختلافُهم في نعت خلقته ولونه . انتهى « مناوي » .

(**وَكَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ**) ـ فيما رواه مسلم ، والترمذي ؛ من حديث جابر بنِ سَمُرَة رضي الله عنه ، والترمذي ؛ من حديث هند بن أبي هالة ، بألفاظ مختلفة ـ (**سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ**) ؛ أي : غير مرتفع الوجنتين . وهو بمعنى خبر البزّار والبيهقي : كان أسيلَ الخدَّين . وذلك أعلى وأغلى وأحلى عند العرب .

(**ضَلِيْعَ ٱلْفَمِ**) ـ بضاد معجمة مفتوحة : عظيمَهُ ، أو واسِعَهُ . والعرب تتمدح بِسَعَة الفم وتَذُمُّ ضيقه ، لأن سَعَته دليلٌ على الفصاحة . وكما تتمدح العربُ بِعظَم الفم تتمدح بكثرة رِيقه عند المقامات والخطب والحروب ، لدلالته على ثبات

سَوَاءَ ٱلْبَطْنِ وَٱلصَّدْرِ ، أَشْعَرَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ وَٱلذِّرَاعَيْنِ وَأَعَالِي ٱلصَّدْرِ ، طَوِيلَ ٱلزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ ٱلرَّاحَةِ ، أَشْكَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، . . . .

الجَنان ، بخلاف الجبان ؛ فإنَّه يجفُّ ريقه في هذه المحافل (سَوَاءَ) ـ بفتح السين والواو والألف الممدودة وبالإضافة إلى (ٱلبَطْنِ وَٱلصَّدْرِ) وبعدمها ، والمعنى أَنَّ بطنَه وصدرَه الشريفان مستويان لا ينتأُ أحدهما عن الآخر ، فلا يزيد بطنُه على صدره ؛ ولا يزيد صدره على بطنه . (أَشْعَرَ) ؛ أي : كثير شعر (ٱلمَنْكِبَيْنِ) ـ بفتح الميم وكسر الكاف ـ تثنية مَنْكِب ؛ وهو : مجتمعُ رأس الكتف والعضد .

(وَ) أشعر (ٱلذِّرَاعَيْنِ) ـ بكسر الذال ـ تثنية ذراع . وهو : مِن المِرفق إلى الأصابع .

(وَ) أشعر (أَعَالِيْ) ـ جمع أعلى ـ (ٱلصَّدْرِ) ؛ أي : أنَّ شعر هذه الثلاثة كثيرٌ غزير . وفي « القاموس » : والأشعر : كثيرُ الشعر وطويلُه . انتهى .

(طَوِيْلَ الزَّنْدَيْنِ) ـ بفتح الزاي وسكون النون وبالدال المهملة ـ تثنية زَنْد كَفَلْس ، وهو ـ كما قال الزمخشري في « الفائق » ـ : ما انحسر عنه اللحم من الذراع . قال الأصمعي : لم يُرَ أحدٌ أعرضَ زنداً من الحسن البصري كان عرض زنده شِبْراً . (رَحْبَ) الرواية بفتح الراء ـ ويجوز الضم في اللغة ـ بمعنى السعة (ٱلرَّاحَةِ) ؛ أي : واسع الكفِّ حِسّاً ومعنىً . قيل : رَحبُ الراحة دليلُ الجود ، وضيقُها دليلُ البخل ، والراحة : بطن الكفِّ مع بطون الأصابع وأصلُها من الرَّوح ؛ وهو الاتساع .

(أَشْكَلَ ٱلعَيْنَيْنِ) ؛ أي : في بياضهما شيءٌ من الحُمْرة ، يقال : شَكِلت العين ـ بكسر الكاف ـ إذا خالط بياضَها حمرةٌ ، وفي جميع كتب الغريب : الشُّكْلة ـ بضم الشين ـ : حُمرة في بياض العين . قال الشاعر :

وَلاَ عَيْبَ فِيْهَا غَيْرُ شُكْلَةِ عَيْنِها كَذَاكَ عِتَاقُ ٱلخَيْلِ شُكْلٌ عُيُونُهَا

والأشكل محمودٌ ومحبوب . قال الحافظ العراقي : وهي ـ أي : الشُّكلة ـ

أَحْمَرَ ٱلْمَآقِي ، مَنْهُوسَ ٱلْعَقِبَيْنِ .

وَمَعْنَىٰ (ضَلِيعِ ٱلْفَمِ) : وَاسِعُهُ، وَهُوَ مَمْدُوحٌ لِدَلاَلَتِهِ عَلَىٰ ٱلْفَصَاحَةِ .

وَ(أَشْكَلِ ٱلْعَيْنَيْنِ) : فِي بَيَاضِهِمَا حُمْرَةٌ .

وَ(مَنْهُوسِ ٱلْعَقِبَيْنِ) : قَلِيلُ لَحْمِهِمَا .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمَ ٱلْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ،

إحدى علامات النبوة ، ولمَّا سافر إلى الشام مع ميسرة وسأل عنه الراهبُ ميسرةَ ؛ فقال : في عينه حمرة . فقال : هو هو . انتهى .

وأما الشُّهْلة ! فهي حمرةٌ في سواد العين .

(أَحْمَرَ ٱلْمَآقِيْ) ـ جمع : موق وماق ـ وهو : شِقُّ العين مما يلي الأنف ، والذي يلي الصُّدغ ؛ يقال له « لِحَاظ » .

(مَنْهُوسَ) ـ ضبطه الجمهور بالسين المهملة ـ أي : قليل لحم (ٱلعَقِبَيْنِ) ـ بفتح العين وكسر القاف ـ : تثنية عقب ؛ هو : مؤخر القدم .

(وَمَعْنَىٰ ضَلِيْعِ ٱلفَمِ) ـ بالضاد المعجمة ـ : (وَاسِعُهُ) ، وقيل : عظيمه (وَهُوَ مَمْدُوْحٌ) عند العرب (لِدَلاَلَتِهِ عَلَىٰ ٱلفَصَاحَةِ) وسعة البلاغة .

(وَ) معنى (أَشْكَلِ ٱلعَيْنَيْنِ : فِي بَيَاضِهِمَا حُمْرَةٌ) يقال : ماءٌ أشكل إذا خالطه دمٌ . وهذا التفسير للشُّكْلَةِ هو الصواب المعروف في كتب اللغة والغريب .

(وَ) معنى (مَنْهُوسِ) ـ بسين مهملة وفي رواية بمعجمة ـ : منهوش (ٱلعَقِبَيْنِ) والمعنى واحد ، أي : (قَلِيْلُ لَحْمِهِمَا) .

(وَ) رَوَىٰ البيهقيُّ ؛ عن علي رضي الله تعالى عنه قال :

(كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ عَظِيْمَ ٱلعَيْنَيْنِ) ؛ أي : شديد اتساعهما ، فهو بمعنى رواية الترمذي وغيره المارَّة عن علي . « أدعج العينين » . قال الجوهري : الدَّعَجُ ـ محرَّكاً ـ : شدَّة سواد العين مع سَعَتها .

(أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ) ؛ جمع شُفْر ـ بالضمِّ وتفتح ـ وهي : حروفُ الأجفان التي

مُشَرَّبَ ٱلْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَجَ ٱلْحَاجِبَيْنِ ، كَأَنَّ مَا بَيْنَهُمَا ٱلْفِضَّةُ ٱلْمُخَلَّصَةُ . وَكَانَتْ عَيْنَاهُ نَجْلاَوَيْنِ ، أَدْعَجَهُمَا ، وَكَانَ فِي عَيْنَيْهِ تَمَزُّجٌ مِنْ حُمْرَةٍ ، وَكَانَ أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ حَتَّىٰ تَكَادَ تَلْتَبِسُ مِنْ كَثْرَتِهَا .

ينْبت عليها الشعر . أي : الهُدْب . وإيهامُه أَنَّ الأشفار هي الأهداب غيرُ مراد ، فقد قال ابن قتيبة : العامّة تجعل أشفارَ العين الشعرَ ، وهو غلط . وفي « المغرب » وغيره : لم يذكر أحدٌ من الثقات أَنَّ الأشفارَ الأهدابُ ، فهو إمَّا على حذف مضاف ؛ أي : الطويل شعر الأشفار ، أو سُمِّي النابت باسم المَنبُت للملابسة .

(مُشَرَّبَ ٱلعَيْنِ) ـ بصيغة اسم المفعول مخفَّفاً ومُشَدَّداً ـ (بِحُمْرَةٍ) ؛ وهي عروق حُمر دِقاق ، من علاماته في الكتب السابقة .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ ﷺ أَبْلَجَ ٱلحَاجِبَيْنِ ، كَأَنَّ مَا بَيْنَهُمَا ٱلفِضَّةُ ٱلمُخَلَّصَةُ) ؛ أي : كأن بين حاجبيه بَلْجة ، أي : فُرجة بيضاء دقيقة : لا تَتَبَيَّنُ إلاَّ لِمُتَأَمِّل ، فهو غيرُ أقرن في الواقع ؛ وإن كان أقرنَ بحسب الظاهر عند مَن لم يَتأمَّله ، لأنَّهما سبغا حتى كادا يلتقيان . قال الأصمعيُّ : كانت العرب تكره القَرَن وتستحبُّ البَلج ، والبَلَج هو : أن ينقطع الحاجبان ؛ فيكونَ ما بينهما نقيّاً .

(وَكَانَتْ عَيْنَاهُ نَجْلاَوَيْنِ) ـ أي : واسعتين ـ (أَدْعَجَهُمَا) ؛ أي : شديد سوادِ حَدَقتهما . (وَكَانَ فِي عَيْنَيْهِ تَمَزُّجٌ مِنْ حُمْرَةٍ) ؛ هو بمعنى كونه أشكل العينين ، وقد مرَّ أَن الشُّكْلة ـ بضمِّ الشين ـ : الحمرةُ تكون في بياض العين . والشُّهلة غيرُ الشُّكلة ؛ وهي حمرة في سوادها .

(وَكَانَ أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ) جمع شُفْر ـ بالضم ـ وهو : حرف الجفن الذي يَنبت عليه الهُدب . قال ابن قتيبة : والعامَّة تجعل أشفار العين الشعر ، وهو غَلَط ، وإنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر . انتهى .

(حَتَّىٰ تَكَادَ تَلْتَبِسُ مِنْ كَثْرَتِهَا) رُوي ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، ومن حديث علي رضي الله تعالى عنه بألفاظ مختلفة .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ وَٱلْيَدَيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ صَلْتَهُمَا ، لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْوَجْهِ ، وَلاَ ٱلْمُكَلْثَمِ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ صِفَةً وَأَجْمَلَهَا ، كَانَ رَبْعَةً إِلَىٰ ٱلطُّولِ مَا هُوَ ، ....

(وَ) روىٰ البخاريُّ في « باب اللباس » ؛ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسولُ الله (ﷺ ضَخْمَ ٱلرَّأْسِ) ؛ أي : عظيمَهُ ، لأنه يدلُّ على قوّة الحواسِّ والذكاء والفطنة . وفي رواية ضخَم الهامة (وَٱلْيَدَيْنِ) ـ يعني : الذراعين ؛ كما جاء مبيَّناً هكذا في رواية ـ (وَٱلْقَدَمَيْنِ) ـ يعني : ما بين الكعب إلى الركبة . وجمع بين الرأس واليدين والقدمين في مضاف واحد !! لشدَّة تناسبها ، إذ هي جميع أطراف الحيوان ، وهو بدونها لا يُسَمَّاه .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ) رسول الله (ﷺ سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ صَلْتَهُمَا) ، أي : سائلهما من غير ارتفاع وَجْنتيه ، وذلك أحلى عند العرب . رواه الترمذي في « الشمائل » ، والبيهقيُّ ، والطبرانيُّ ؛ من حديث هند بن أبي هالة .

وروى البزار والبيهقي : كان أسيل الخدين . وأَصْلَتُ الخدين : أَسِيلُهما ، هو المستوي الذي لا يفوت بعضٌ لحم بعضه بعضاً . انتهى شرح « الإحياء ») .

(لَيْسَ بِٱلطَّوِيْلِ ٱلْوَجْهِ وَلاَ ٱلْمُكَلْثَمِ) ؛ أي : لم يكن شديدَ تدويرِ الوجه . والمكلثم : هو المدوَّر الوجه ، يقول : فليس كذلك ولكنه مسنون . رواه الترمذي في « الشمائل » ، والبيهقي في « الدلائل » ؛ من حديث علي : لم يكن بالمطهَّم ؛ ولا بالمكلثم . وكان في وجهه تدوير . الحديث . والمطهَّم : هو المنتفخ الوجه ، وقيل : الفاحش السِّمن . انتهى « شرح الإحياء » .

(وَ) روى البيهقيُّ في «دلائل النبوة»؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ صِفَةً) ؛ أي : صفةَ كمال ، (وَأَجْمَلَهَا) ؛ أي : الناس ، لما منحه الله تعالى من الصفات الحميدة الجليلة .

(كَانَ رَبْعَةً إِلَىٰ ٱلطُّوْلِ، مَا هُوَ) يحتمل أنَّ «ما» صلة، أو صفة لمصدر محذوف.

بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنكِبَيْنِ ، أَسِيلَ ٱلْخَدَّيْنِ ، شَدِيدَ سَوَادِ ٱلشَّعْرِ ، أَكْحَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ ، إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ . وَطِىءَ بِكُلِّهَا ، لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ ، إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنكِبَيْهِ . فَكَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ ، وإِذَا ضَحِكَ . . يَتَلأْلأُ .

وَمَعْنَىٰ (أَسِيلِ ٱلْخَدَّيْنِ) : لَيْسَ فِيهِمَا ٱرْتِفَاعٌ .

وَ(ٱلأَكْحَلِ) : أَسْوَدُ أَجْفَانِ ٱلْعَيْنِ خِلْقَةً .

والجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف؛ أي: هو يميل إلى الطول ميلا قليلاً .

(بَعِيْدَ) ـ بفتح فكسر ـ (مَا بَيْنَ ٱلْمَنكِبَيْنِ) ؛ أي : عريض أعلى الظهر ؛ ويلزمه عرض الصدر . وذلك علامة النجابة .

(أَسِيْلَ ٱلخَدَّيْنِ) ـ بكسر المهملة ـ وفي رواية الترمذي « سهل الخدين » ؛ أي : ليس في خدَّيه نتوءٌ ؛ ولا ارتفاع . وأراد أنَّ خدَّيه أسيلانِ قليلاً اللحم رقيقًا الجلد .

(شَدِيْدَ سَوَادِ ٱلشَّعَرِ ، أَكْحَلَ ٱلعَيْنَيْنِ) ؛ أي : شديد سوادِ أجفانهما . والكَحَلُ ـ بفتحتين ـ : سواد في أجفان العين خلقة .

(أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ ، إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ وَطِىءَ بِكُلِّهَا) ؛ أي : لا يُلصق القدم بالأرض عند الوَطْءِ ، وهو مشيُ الشجاع ، (لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ) ـ بفتح الميم ـ أي : خارج عن الحدِّ ؛ فله خموصة أَزْيَدُ من الناس لكنها مع عدم الإفراط المخلِّ بالجمال ؛ (إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنكِبَيْهِ ؛ فَكَأَنَّهُ سَبِيْكَةُ فِضَّةٍ ، وَإِذَا ضَحِكَ) ؛ أي : تبسَّم (يَتَلأْلأُ) ؛ أي : يلمع ويضيءُ ، ويظهر من ثَغْره نورٌ .

ولا يخفى ما في تعدُّد هذه الصفات من الحُسن ، وذلك لأنَّها بالتعاطف تصير كأنَّها جملةٌ واحدة .

(وَمَعْنَىٰ « أَسِيْلِ ٱلخَدَّيْنِ ») : أنَّهما (لَيْسَ فِيْهِمَا ٱرْتِفَاعٌ .

(وَ) معنى (ٱلأَكْحَلِ) هو : (أَسْوَدُ أَجْفَانِ ٱلعَيْنِ خِلْقَةً) أي : من أصل الخلقةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَحَ ٱلذِّرَاعَيْنِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنكِبَيْنِ ، أَهْدَبَ أَشْفَارِ ٱلْعَيْنَيْنِ .

وَمَعْنَىٰ (شَبَحِ ٱلذِّرَاعَيْنِ) : عَرِيضُهُمَا مُمْتَدُّهُمَا .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْلَ ٱلْعَضُدَيْنِ وَٱلذِّرَاعَيْنِ ،

(وَ) روى البيهقيُّ في « الدلائل » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رَسُولُ ٱللهِ (ﷺ شَبَحَ ٱلذِّرَاعَيْنِ) ـ قال المناوي : بشين معجمة فموحَّدة مفتوحة ، فحاء مهملة ـ : عريضهما ممتدّهما . والذِّراعان : تثنية ذراع ؛ وهو : ما بين مِفصل الكفِّ والمِرفق ، أو من الْمِرفق إلى أطراف الأصابع .

(بَعِيْدَ) ـ بفتح فكسر ـ (مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ) ؛ أي : عريض أعلى الظهر . و« ما » موصولة أو موصوفة ؛ لا زائدة . لأنَّ « بَيْنَ » من الظروف اللازمة للإضافة ، فلا وجَه لإخراجه عن الظرفية بالحُكم بزيادة « ما » . والمَنكِبُ : مجتمع رأس العضد والكتف ، وبُعد ما بينهما يدلُّ على سَعة الصدر ، وذلك آيةُ النجابة . وجاء في روايةٍ : « بُعَيد » مصغَّراً ، تقليلاً للبُعد المذكور ؛ إيماءً إلى أنَّ بُعد ما بين منكبيه لم يكن وافياً منافياً للاعتدال .

(أَهْدَبَ أَشْفَارِ ٱلعَيْنَيْنِ ﴾ ؛ أي : طويلهما غزيرهما ـ على ما مرَّ ـ .

(وَمَعْنَىٰ « شَبَحِ ٱلذِّرَاعَيْنِ ») : عَبْلَهما (عَرِيْضُهُمَا مُمْتَدُّهُمَا) ؛ ففي « المجمل » شبحتَ الشيءَ : مددتَه .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ عَبْلَ) ـ بفتح العين المهملة وسكون الموحدة تليها لام ، كذا ضبطه بعضهم بإسكان الباء . فإن كان الرواية ، وإلاَّ ! ففيه أيضا كسرُ الباء ؛ بزِنَة فَرِخ ـ أي : ضخم قوي (ٱلعَضُدَيْنِ) ـ تثنية : عَضُد ؛ بفتح العين وضمِّ الضاد المعجمة وتسكَّن تخفيفاً ؛ وهو ما بين المِرْفق والكتف .

(وَ) عَبْل (ٱلذِّرَاعَيْنِ) : ضخمهما ، والذراعان : تثنية ذِراع ؛ وهو : ما بين مفصل الكفِّ والمِرفق ، أو : من الْمِرفق إلى أطراف الأصابع .

وَمَا تَحْتَ ٱلإِزَارِ مِنَ ٱلْفَخِذَيْنِ وَٱلسَّاقِ ، طَوِيلَ ٱلزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ ٱلرَّاحَتَيْنِ ، سَائِلَ ٱلأَطْرَافِ ، كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ ٱلْفِضَّةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَدِلَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلسِّمَنِ ، فَبَدُنَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، ....

(وَ) عَبْل (مَا تَحْتَ ٱلإِزَارِ مِنَ ٱلفَخِذَيْنِ وَٱلسَّاقِ) ، وذلك كلُّه مما يُؤذن بكمال قوَّته ؛ لما في الحديث أنَّه ﷺ أُعطي قوَّة ثلاثين رجلاً .

(طَوِيْلَ ٱلزَّنْدَيْنِ) ؛ أي : عظيمَهما إذِ الزند موصلُ عَظمِ الذِّراع ؛ وهما زندان : الكوع والكرسوع ؛ قاله في « شرح الإحياء » .

وقد مرَّ أَن : الزند ما انحسر من الذراع .

(رَحْبَ ٱلرَّاحَتَيْنِ) ؛ أي : واسعهما حسًّا ومعنىً ، والراحة : باطن الكف .

(سَائِلَ ٱلأَطْرَافِ) ـ بالسين المهملة ـ أي : ممتدَّها ، وهي الأصابع امتداداً معتدلاً بين الإفراط والتفريط . ويروى بالشين المعجمة : أي مرتفعها .

(كَأَنَّ) ـ بالتشديد ـ (أَصَابِعَهُ) ﷺ (قُضْبَانُ) ـ جمع قضيب ؛ وهو : الغصن . والمراد تشبيهُها بقضبان ـ (ٱلفِضَّةِ) في امتدادها وصفاءِ لونها . وهذا رواه الترمذي في « الشمائل » ، والبيهقيُّ ، والطبرانيُّ بألفاظ شتَّىٰ مفرَّقة ؛ من حديث أبي هريرة ، وعائشة ، وهند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ) رسول الله (ﷺ مُعْتَدِلَ ٱلخَلْقِ) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ (فِي ٱلسِّمَنِ) ، والمرادُ أَنَّه معتدل الصورة الظاهرة ، بمعنى أن أعضاءه متناسبةٌ غيرُ متنافرة ، وكلٌّ متناسب معتدلٌ ، وكلٌّ متوسط في كَمٍّ وكيفٍ معتدلٌ ، وكلُّ مستقيم قويمٌ معتدلٌ .

(فَبَدُنَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ) ، ولما كان إطلاق البادن يوهِمُ الإفراط في السِّمَن المستدعي لرَخاوة البدن وعدمِ استمساكه وهو مذموم اتفاقاً ؛ استدركَ ونفىٰ ذلك ؛ فقال :

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكاً ، يَكَادُ يَكُونُ عَلَىٰ ٱلْخَلْقِ ٱلأَوَّلِ ، لَمْ يَضُرَّهُ ٱلسِّنُّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ ٱلْبَائِنِ ، وَلاَ بِٱلْقَصِيرِ ، بَلْ كَانَ يُنْسَبُ إِلَىٰ ٱلرَّبْعَةِ إِذَا مَشَىٰ وَحْدَهُ ، . . . .

(وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكاً) ؛ أي : كان أعضاؤه يُمسك بعضُها بعضاً ؛ من غير ترجرج (يَكَادُ يَكُوْنُ عَلَىٰ الخَلْقِ ٱلأَوَّلِ ، لَمْ يَضُرَّهُ ٱلسِّنُّ) ؛ أي : الطعن في العمر والتقدُّم في السن ، وأراد أنَّه في السنِّ الذي شأنه استرخاءُ اللحم كان كالشباب .

(وَ) رَوَىٰ البخاريُّ ، ومسلم ؛ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال :

(كَانَ) رسولُ ٱللهِ (ﷺ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً) حتَّى من يوسف . قال السيوطي : من خصائِصه أَنَّه أُوتي كلَّ الحُسن ؛ ولم يؤتَ يوسفُ إلاَّ شَطْرَه .

(وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً) . قال القرطبي : الرواية بفتح الخاء وسكون اللام . قال : وَالمرادُ حُسن جسمه ، بدليل قوله بعده : ليس بالطويل . . . الخ . وأما ما في حديث أنس ؛ فروايته بضمِّ الخاء واللام ، لأنه عَنَىٰ به حُسن المعاشرة بدليل بقية الخبر ؛ نقله المناوي ، وردَّ ما جزم به ابن حجر من ضمِّ الخاء واللام في هذا الحديث .

(لَيْسَ بِٱلطَّوِيْلِ ٱلبَائِنِ) ـ بالهمز وجَعْله بالياء وَهَمٌ ـ والمراد نفيُ الطول المفرط ، (وَلاَ بِٱلقَصِيْرِ) هذه رواية الشيخين . وزاد في « الإحياء » :

(بَلْ كَانَ يُنْسَبُ إِلَىٰ الرَّبْعَةِ) ـ بفتح فسكون ـ وقد يحرَّك ، وتأنيثه !! باعتبار النفس ، ولذلك استوى فيه المذكَّر والمؤنَّث . إذ يقال في جمع كلٍّ منهما : رَبْعَات ـ بالسكون والتحريك ـ أي : أَنَّه يوصَف بها ، فيقال : هو رَبعة لقربه منها ، وذلك (إِذَا مَشَىٰ وَحْدَهُ) ، فهو مِنْ نسبة الجزئي إلى كلّيِّه .

واستأنفت السيِّدة عائشة رضي الله تعالى عنها جواباً لسؤال نَشَأَ مِن مفهوم ،

وَمَعَ ذَٰلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ وَهُوَ يُنْسَبُ إِلَىٰ ٱلطُّولِ . . إِلاَّ طَالَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَرُبَّمَا ٱكْتَنَفَهُ ٱلرَّجُلاَنِ ٱلطَّوِيلاَنِ فَيَطُولُهُمَا ، فَإِذَا فَارَقَاهُ . . نُسِبَا إِلَىٰ ٱلطُّولِ ؛ وَنُسِبَ هُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ٱلرَّبْعَةِ .

وحدُّه قولُها : (**وَمَعَ ذَٰلِكَ**) ؛ أي : مع كونه رَبعة معتدلاً (**فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيْهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ**) بأن يمشي معه وبجنبه ؛ (**وَهُوَ يُنْسَبُ إِلَىٰ ٱلطُّوْلِ**) ، المراد بنسبته إلى الطول اتصافه به وكونه معروفاً به مشهوراً ؛ (**إِلاَّ طَالَهُ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ**) ؛ أي : زاد عليه في الطول .

(**وَلَرُبَّمَا ٱكْتَنَفَهُ ٱلرَّجُلاَنِ ٱلطَّوِيْلاَنِ فَيَطُوْلُهُمَا**) ؛ أي : يزيد عليهما في الطول ؛ إكراماً من الله حتى لا يزيد أحدٌ عليه صورة ؛ (**فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَا إِلَىٰ ٱلطُّوْلِ ؛ وَيُنْسَبُ هُوَ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّبْعَةِ**) .

والسرُّ في ذلك : هو التنبيه على أنَّه لا يتطاول عليه أحدٌ من الأُمَّة صورةً ، كما لا يتطاولون عليه مَعْنىً . وهذه الزيادةُ المذكورة في « الإحياء » رواها ابن عساكر ، والبيهقي ، وابن أبي خيثمة ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ـ كما في « المواهب » ببعض اختلاف في الألفاظ ـ :

وفي « الدلائل » ؛ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رَبعة إلى الطول مائل . . . الحديث . وعند المنذري في « الزهريات » ؛ من حديثه : كان ربعة ؛ وهو إلى الطول أقرب . وإسناده حسن .

وعند البيهقي ؛ من حديث علي : وهو إلى الطول أقرب .

وعنده أيضا ؛ من حديث عائشة : كان يُنسب إلى الرَّبعة .

وفي « زوائد المسند » لعبد الله بن أحمد : ليس بالذاهب طولاً وفوق الرَّبعة .

ولا تَنَافِيَ بين الأخبار ، لأنه أمرٌ نسبيٌّ . فمن وصفه بالرَّبعة أراد الأمر التقريبي ؛ ولم يرد التحديد . ومِن ثَمَّ قال ابن أبي هالة : كان أطولَ من المربوع ، وأقصرَ من المُشَذَّبِ ؛ وهو البائن الطول في نحافة . رواه الترمذي في

وَيَقُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جُعِلَ ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ٱلرَّبْعَةِ » .
وَزَادَ ٱبْنُ سَبْعٍ فِي « ٱلْخَصَائِصِ » : أَنَّهُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ . . يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَىٰ مِنْ جَمِيعِ ٱلْجَالِسِينَ .

« الشمائل » ، والطبرانيُّ ، والبيهقي . انتهى شرح « الإحياء » .

(وَ) كان (يَقُولُ ﷺ : « جُعِلَ ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ٱلرَّبْعَةِ ») يعني المعتدل القامة . رواه أبو بكر بن لآل في « مكارم الأخلاق » . والديلمي ؛ من حديث عائشة رضي الله عنها . ويُروى عن الحسن بن علي : أنَّ الله جعل البهاء والهَوَج في الطوال . قال السخاوي : وما اشتهر على الألسنة : « مَاخَلاَ قَصِيرٌ مِنْ حِكْمَةٍ !! » لم أقف عليه . انتهى شرح « الإحياء » .

(وَزَادَ) الإمام أبو الربيع (ابنُ سَبْعٍ) ـ بإسكان الموحدة : بلفظ العدد ، وقد تضمُّ ؛ كما في « التبصير » ـ (فِي) كتاب (ٱلْخَصَائِصِ) ، ورَزِيْنٌ (أَنَّه ﷺ إِذَا جَلَسَ يَكُوْنُ كَتِفُهُ أَعْلَىٰ مِنْ جَمِيْعِ ٱلجَالِسِيْنَ) .

قال الشهاب الخفاجي في « نسيم الرياض » : وهل هذا محضُ إراءة لذلك ؛ أو حقيقيٌّ يرجع عنه !؟ فيه تردُّد . ولم يُخلق أَطولَ من غيره !! لخروجه عن الاعتدال الأكمل المحمود ، ولكن جعل الله له هذا في رأي العين معجزة خصَّه الله تعالى بها !! لئلا يُرى تفوُّق أحدٍ عليه بحسب الصورة ، وليظهر من بين أصحابه تعظيماً له بما لم يُسمع لغيره ، فإذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعُلم التعظيم ، فظهر كماله الخَلْقي . انتهى .

وقال الزرقاني : وحكمةُ ما رأيتُ ودليله قول علي : إذا جامع القوم غَمَرهم . إذ هو شامل للمشي والجلوس . فَقَصَّرَ مَن توقف فيه بأنه لم يره إلاَّ في كلام رزين وكلامِ الناقلين عنه . انتهى .

(وَ) روىٰ الترمذيُّ في « الشمائِل » ، والبيهقي في « شُعَب الإيمان » ، والطبراني في « الكبير » ؛ عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال : سألتُ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخماً مُفَخَّماً ، يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ ٱلْمَرْبُوعِ ، ....

خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصّافاً ـ عن حلية النبي ﷺ ؛ وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئا أتعلَّق به ، فقال :

(**كَانَ**) رسولُ الله (ﷺ **فَخْماً**) ـ بفاء مفتوحة فمعجمة ساكنة ـ (**مُفَخَّماً**) ـ اسم مفعول من التفعيل ، وهو خبر بعد خبر لـ «كان»، أي : كان عظيماً في نفسه ، معظَّماً في الصدور والعيون ، لا يستطيع مكابرٌ أن لا يعظِّمه؛ وإن حرص على ترك تعظيمه، ولم يرد بالفخامة فخامةَ الجسم؛ وإن كان ضخماً في الجملة (**يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ**)؛ أي: يُشرق ويُضيءُ كاللؤلؤ. وأصل تلألأ : أَبْيَضَّ فأشبه بياضُه اللؤلؤ.

وسمي « لؤلؤاً » !! لِضوئه . وإنما بَدَأَ الوَصّاف بالوجه !! لأنه أشرف ما في الإنسان ، ولأنه أوَّل ما يتوجَّه إليه النظر .

وقوله (**تَلأْلُؤَ ٱلْقَمَرِ**) ؛ أي : مثل إشراقه واستنارته (**لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ**) ؛ وهي ليلة أربعَ عشرةَ ؛ ليلة كماله . وإنما سُمِّي فيها « بدراً » !! لأنَّه يبدر بالطلوع فسبق طلوعه مغيب الشمس . وتشبيه بعض صفاته ﷺ بنحو الشمس والقمر إنَّما جَرَى على عادة الشعراء والعرب ، أو على التقريب والتمثيل ، وإلاَّ ! فلا شيءَ يعادل شيئاً من أوصافه ، إذ هي أعلى وأجلُّ مِنْ كُلِّ مخلوق .

وشَبَّه الوصَّافُ تلألُؤ الوجه بتلألؤ القمر ؛ دون الشمس !! لأنَّه ظهر في عالم مظلم بظلام الكفر ؛ ونورُ القمر أنفعُ من نورها ، فنورُ وجهه أنفعُ من نور الشمس . وهذا كما ترى أحسنُ من الجواب : بأن القمر يُتمكَّن من النظر إليه ، ويؤنِس من يشاهده من غير أذىً يتولَّد عنه ، بخلاف الشمس ، فإنها تُغشي البصر وتؤذي ، على أنَّه ورد تشبيههُ بالشمس أيضا ؛ كما سيأتي ؛ كذا قال المناوي رحمه الله تعالى .

(**أَطْوَلَ**) ـ بالنصب ـ خبر آخر (**مِنَ ٱلْمَرْبُوعِ**) عند إمعان النظر وتحقيقِ التأمُّل ، وقد عرفتَ أنَّ وصفَه بالربعة ـ فيما مرَّ ـ تقريبي ، فلا ينافي أَنَّه أَطولُ من المربوع ، ولا ريبَ أنَّ القُربَ من الطول في القامة أحسنُ وألطف .

وَأَقْصَرَ مِنَ ٱلْمُشَذَّبِ ، عَظِيمَ ٱلْهَامَةِ ، رَجِلَ ٱلشَّعْرِ ، إِنِ ٱنْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ . فَرَقَهَا ، . . . .

ومن معجزاته أنَّه ﷺ إذا دخل بين جماعة طِوَال كان في نظر الحاضرين أطولَ منهم جميعاً ، كما رُوي أَنَّه لم يكن أحدٌ يماشيه من الناس إلاَّ طالَهُ رسول الله ﷺ ، ولربما اكتنفه الرجلان فيطولُهما ؛ فإذا فارقاه نُسبا إلى الطول ونُسب رسول الله ﷺ إلى الرَّبعة ، وقد مرَّ ذلك قريباً .

(**وَأَقْصَرَ مِنَ ٱلْمُشَذَّبِ**) ـ بصيغة اسم المفعول ـ ؛ أي : من الطويل البائن في نحافة . وأصل المُشَذَّب : النخلة الطويلة التي شُذِّب عنها جريدُها ، أي : قُطع وفُرِّق ، لأن بذلك تطول . كذا قيل ؛ نقله في « جمع الوسائِل » .

(**عَظِيْمَ ٱلهَامَةِ**) ـ بالتخفيف ـ أي : الرأس ، وعِظَمُ الرأس ممدوح ، لأنه أعونُ على الإدراكات والكمالات (**رَجِلَ**) ـ بكسر الجيم وسكونها ـ (**ٱلشَّعْرِ**) ـ بفتح العين وسكونها ـ أي : في شعره تكسُّر وتثنٍّ قليلٌ .

(**إنِ انفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ**) ؛ أي : شعر رأسه الذي على ناصيته . وأصلُ العق : الشق والقطع . والعقيقة في الحقيقة : الشعرُ الذي يولد عليه المولود قبل أن يُحلَق في اليوم السابع ، فإذا حُلق ونبت ثانياً فقد زال عنه اسم العقيقة ، ورُبَّما سُمِّي الشعر عقيقة بعد الحلق أيضاً على المجاز ، لأنَّه منها ؛ ونباته من نباتها . وبذلك جاء الحديث ؛ لئلا يلزم أن يكون شعره باقياً من حيث ولادته ، فإنَّه مستبعدٌ جدًّا في العادة ، فإنَّ عادتَهم حلق شعر المولود في السابع ، وكذا ذبح الغنم وإطعام الفقراء . اللهم إلاَّ أن يقال إنه من الكرامات الإلٰهية ؛ لئلا يذبح باسم الآلهة . ويؤيده ما قاله القَفَّال المروزي في « فتاويه » مِن أنه يستحبُّ لمن لم يُعَقَّ عنه أن يَعُقَّ عن نفسه ، فإنَّه ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوَّة ، لكن يحتمل أنه ما اعتبر عقيقتَهم لكونها على اسم غيره سبحانه . وفي روايةٍ عقيصته ـ بالصاد المهملة ؛ بدل القاف الثانية ـ والمشهور عقيقته ـ بقافَيْن ـ ومعنى الخبر : أنَّه إذا قَبلت عقيقته الفرق بسهولة ؛ بأن كان حديث عهد بنحو غُسْل (**فَرَقَهَا**) ـ بالتخفيف ـ أي : جعل شعره

وَإِلاَّ . . فَلاَ يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرَهُ .

أَزْهَرَ ٱللَّوْنِ ، . . . .

نصفين : نصفاً عن اليمين ، ونصفاً عن اليسار ، قيل : بالمشط ، وقيل : بيده .

(وَإِلاَّ) ؛ أي : وإن لم تَقبل الفرق بأن كان شعرُه مختلطاً متلاصقاً ، (فَلاَ) يفرقُها ، بل يسدلُها ؛ أي : يرسلها على جبينه ، فيجوزُ الفرق والسَّدْلُ ، لكن الفرق أفضل ، لأنَّه الذي رجع إليه النبي ﷺ ، فإن المشركين كانوا يَفْرُقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلُونها ؛ فكان ﷺ يسدل رأسه ، لأنه كان يحبُّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمَر فيه بشيء ، ثم فرق واستمرَّ عليه . قال الحافظ العراقي في « ألفية السيرة » :

يَحْلِـقُ رَأْسَـهُ لأَجْـلِ ٱلنُّسُـكِ وَرُبَّمَـا قَصَّـرَهُ فِـي نُسُـكِ

وما قرَّرناه مبنيٌّ على جعله قوله « وإلاَّ فلا » كلاماً تاماً ، وما بعده مستأنف ليس من مدخول النفي ؛ وهو ما حقَّقه العصام ، وعليه شَرَح ابن حجر والمناويُّ والقاري وحَسّوس ، وتبعهم الباجوري . ثم قال :

ويصحُّ أن يكون ما بعده من مدخول النفي ، فيصير التركيب هكذا : وإلاَّ فلا (**يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرَهُ**) أي : جعله وفرة ، وتقدَّم أَنَّ الوَفْرة الشعرُ النازل من شحمة الأُذن إذا لم يصل إلى المنكبين .

وحاصل المعنى على التقرير الأول أَنَّ شعره ﷺ يجاوز شحمة أذنيه إذا جعله وفرة ؛ ولم يَفْرِقه ، فإن فَرَقَه ؛ ولم يجعله وفرة وصل إلى المنكبين ؛ وكان جُمّة : وعلى التقرير الثاني : أنَّ عقيقته ﷺ إذا لم تنفرق ؛ بل استمرت مجموعة لم يجاوز شعرُه شحمة أذنيه ، بل يكون حذاءَ أُذنيه فقط . فإن انفرقت عقيقَتُه ! جاوز شعرُه شحمةَ أذنيه ، بل وصل إلى المنكبين . انتهى .

(**أَزْهَرَ ٱللَّوْنِ**) ؛ أي : أبيضه بياضاً نيِّراً ، لأنه مشرَّب بحمرة . كذا قال الأكثر ، لكن قال السُّهَيلي : الزُّهرة ـ في اللغة ـ : إشراق في اللون ؛ بياضاً وغيره .

وَاسِعَ ٱلْجَبِينِ ، أَزَجَّ ٱلْحَوَاجِبِ ؛ سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ ، . . . .

(وَاسِعَ ٱلجَبِيْنِ) ؛ أي : ممتدَّ الجبين طولاً وعرضاً ، وسَعَة الجبين محمودةٌ عند كلِّ ذي ذوق سليم . والجبين ـ كما في « الصحاح » ـ فوقَ الصُّدغ ؛ وهو : ما اكتنَفَ الجبهة من يمين وشمال ، فهما جبينان ، فتكون الجبهةُ بين جبينين ، وبذلك تعلم أن « أل » في « الجبين » للجنس ، فيصدق بالجبينين كما هو المراد .

(أَزَجَّ ٱلحَوَاجِبِ) بمعنى مقوَّس الحاجبين مع وفور الشعر وطوله في طرفه وامتداده ، أو دقيقهما مع طول ، لأن الزَّجَج ـ بزاي وجيمين محرَّكة ـ : استقواس الحاجبين مع طول ؛ كما في « القاموس » . أو دِقَّة الحاجبين مع سبوغهما إلى مؤخّر العين ؛ كما في « الفائق » .

وإنَّما قيل : « أزج الحواجب » ؛ دون « مزجَّج الحواجب » !! لأنَ الزجج خِلْقة والتزجيج صَنعة ؛ والخلْقة أَشرف . وعليه قوله :

وَمقْلَـــةً وَحَـــاجِبـــاً مُـــزَجَّجَـــا

وقوله :

وَزَجَّجْـــنَ ٱلحَـــوَاجِـــبَ وَٱلعُيُـــونَـــا

أي : صَنعن ذلك بدليل عطف العيون عليه .

والحواجب : جمع حاجب ؛ وهو : ما فوق العين بلحمه وشعره ، وهو صفة غالبة . أو هو الشعر الذي على العظم وحده ، وسُمِّي به لمنعه الشمس عن العين ، ووضع الحواجب موضع الحاجبين !! لأن التثنية جمع ؛ أو للمبالغة في امتدادهما حتَّى صارا كالحواجب .

(سَوَابِغَ) ـ بالسين والصاد والسين أفصح ـ جمع سابغة ؛ أي : كوامل ، وهو حال من الحواجب ، لأنه في المعنى فاعلٌ ؛ أي : دقَّت وتقوَّست حال كونها سوابغ ـ أي ـ كاملات . والأظهر أنَّه منصوب على المدح (فِي غَيْرِ قَرَنٍ) ـ بالتحريك ؛ مصدر قولك : رجل أقرنُ ـ أي : مقرون الحاجبين . وهو مكمل للوصف

المذكور ، والمراد أنَّ حاجبيه قد سبغا حتَّى كادا يلتقيان ولم يلتقيا .

والقَرَن غير محمود عند العرب ويستحبون البَلَج ، وهو الصحيح في صفته ﷺ ، بخلاف ما روته أُمُّ معبد حيث قالت في صفته : أَزَجُّ أَقْرَنُ .

ويمكن أن يُجمع بينهما على تقدير صحَّة رواياتها : بأن يقال : كان بين حاجبيه فُرجة دقيقة لا تتبين إلاَّ للمتأمل ، فهو غيرُ أقرن في الواقع ؛ وإن كان أقرنَ بحسب الظاهر ، فكأنه جَمع من لطافة العرب وظَرافة العجم ﷺ .

وفي بعض الروايات « في غير قرن » . ففي بمعنى « من » ، و« غير » بمعنى « لا » ، أي : بلا قرن ، وهو حال أيضاً من الحواجب على الترادف ؛ أو التداخل ، والتداخل هو الأحسن .

(بَيْنَهُمَا) ؛ أي : الحاجبين ، وفيه تنبيهٌ على أن الحواجب في معنى الحاجبين .

(عِرْقٌ) أجوف يكون فيه الدم ـ وهو بكسر العين ـ والعَصَب غير أجوف . وهذا حال من الحواجب . وتَركُ الواو في الجملة الاسمية جائز .

(يُدِرُّهُ ٱلْغَضَبُ) ؛ من الإدرار ـ على الرواية الصحيحة ـ أي : بين الحاجبين عِرق يصيِّره الغضب ممتلئاً دماً ؛ كما يصير الضرع ممتلئاً لبناً . وفي ذلك دليل على كمال قوَّته الغضبية التي عليها مدارُ حماية الديار وقمع الأشرار . والجملةُ صفة « عرق » .

(أَقْنَىٰ) ـ بقاف فنون مخففة ـ أي : طويل الأنف . يقال رجل أقنى وامرأة قنواء . (ٱلْعِرْنِيْنِ) ـ بكسر العين المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى ـ قيل : هو ما صلُب من الآنف . وقيل : الأنف كله ، وهو المناسب هنا . والمراد أنَّه طويل الأنف مع دقَّة أرنبته ، ومع حدب في وسطه ، فلم يكن طوله مع استواء ، بل كان في وسطه بعض ارتفاع ، وهو وصف مدح .

لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ ، كَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، سَهْلَ ٱلْخَدَّيْنِ ، ضَلِيعَ ٱلْفَمِ ، . . . .

(لَهُ نُوْرٌ يَعْلُوْهُ) الظاهر أنَّ الضميرين راجعان إلى العِرْنِين ، لأن ما بعده من تتمات صفات الأنف ، ويحتمل أنَّه عائد للنبي ﷺ ؛ لأنَّه الأصل ، وكذا الضمير في قوله بعده « يحسبه مَن لم يتأمَّلهُ أشمّ » .

والنور : قال السعد التفتازاني : أَجود تعريفاته : كيفيةٌ تدركها الباصرة أولاً ، وبواسطتها تدرك سائر المبصرات .

(يَحْسِبُهُ) ـ بكسر السين وفتحها ـ أي : يظن النبي ﷺ (مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ) : يمعن النظر فيه . والتأمّل إعادة النظر في الشيء مرَّة بعد أخرى حتى يعرفَه ويتحقَّقه . (أَشَمَّ) مفعول ثان لـ « يحسبه » .

والشَّمَم ـ بفتحتين ـ : ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها ، ومع إشراف الأرنبة قليلاً . وحاصل المعنى : أنَّ الرائيَ له ﷺ يظنُّه أشمَّ لحسن قناه ولنور علاه ، ولو أمعن النظر لحَكَم بأنه غيرُ أشمّ .

(كَثَّ) ـ بتشديد المثلثة ، وفي رواية . كثيف ـ (ٱللِّحْيَةِ) ، وفي أخرى : عظيم اللحية ، وعلى كلٍّ ؛ فالمعنى أنَّ لحيَتَه ﷺ كانت عظيمةً غليظة .

واللِّحية ـ بكسر اللام على الأفصح ـ : الشَّعر النابت على الذَّقَن ، وهو مجتمع اللحيين (سَهْلَ ٱلخَدَّيْنِ) غير مرتفع الوجنتين ، وهو بمعنى خبرِ البزار والبيهقي (كان أسيل الخدين) ، وذلك أعلى وأغلى وأحلى عند العرب .

(ضَلِيْعَ ٱلفَمِ) ـ بضاد معجمة مفتوحة ـ : عظيمهُ . وقيل : واسعهُ .

والعرب تتمدح بسَعَة الفم وتذمُّ بضيقه ، لأنَّ سعته دليلٌ على الفصاحة .

قال الزمخشري : والضليعُ في الأصل الذي عظُمت أضلاعه ووفرت ؛ فأجفر جنباه ، ثم استعمل في موضع العِظَم ؛ وإن لم يكن ثَمَّ أضلاع . انتهى .

ومَن فسر ضليعه بعظيم الأسنان !! ففي كلامه نظر من وجهين :

أَشْنَبَ ، مُفَلَّجَ ٱلأَسْنَانِ ، دَقِيقَ ٱلْمَسْرُبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ ٱلْفِضَّةِ ، . . . .

الأول : أنَّ إضافته إلى الفم تمنع منه ، لأنها تقتضي أنَّ المرادَ عظيم الفم ؛ لا عظيم الأسنان .

والثاني : أن المقام مقام مدح ، وليس عظمُ الأسنان بمدح ؛ بخلاف عظم الفم .

(**أَشْنَبَ**) ـ بشين معجمة ونون بعدها موحدة ـ أي : أبيض الأسنان مع بريق وتحديد فيها (**مُفَلَّجَ ٱلأَسْنَانِ**) ؛ بصيغة اسم المفعول من التفليج ـ بالفاء والجيم ـ أي : منفرجها ، وهو خلاف متراصِّ الأسنان . والفَلَج : انفراج ما بين الثنايا . وفي « القاموس » : مفلَّج الثنايا : منفرجها . وظاهره اختصاصُ الفَلَج بالثنايا .

ويؤيده : إضافته إلى الثَّنِيَّتين في خبر ابن عبَّاس الآتي ، وما قاله العصام من « أنَّه يَحتمل أنَّ المرادَ الانفراجُ مطلقاً » !! يردُّه أن المقام مقامُ مدح ، وقد صرح جمع من شُرَّاح « الشفاء » وغيرهم بأن انفراج جميع الأسنان عيبٌ عند العرب : والألصُّ ضد المفلج فهو متقارب الثنايا . والفلج ، أبلغ في الفصاحة ، لأنَّ اللسان يتَّسع فيها .

(**دَقِيْقَ**) ـ بالدال ، وفي رواية : بالراء ـ (**ٱلْمَسْرُبَةِ**) ـ بفتح الميم وسكون السين المهملة وضمِّ الراء ـ : الشعر المستدِقُّ ما بين اللَّبَّة إلى السُّرة ، ووصفها بالدقَّة للمبالغة .

(**كَأَنَّ**) ـ بتشديد النون ـ (**عُنُقَهُ**) ـ بضمَّتين ويسكَّن ـ (**جِيْدُ دُمْيَةٍ**) ؛ أي : كأن عنقَه الشريف عنقُ صورة متَّخذة من عاج ونحوه (**فِي صَفَاءِ ٱلفِضَّةِ**) فالجيد ـ بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية ـ : العُنق ، والدُّمية ـ بضم الدال المهملة وسكون الميم بعدها مثناة تحتية ـ : الصورة المتَّخذة من عاج ونحوه .

فشبَّه عنقَه الشريف بعنق الدُّمية في الاستواء والاعتدال ؛ وحسن الهيئة والكمال ؛ والإشراق والجمال ، لا في لون البياض ، بدليل قوله « في صفاء

مُعْتَدِلَ ٱلْخَلْقِ .

بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ ، . . . .

الفضة » !! لبُعد ما بين لون العاج ولون الفضة من التفاوت .

وقد بُحث فيه بأن في أنواع المعادن ما هو أحسنُ نضارة من العاج ونحوه ، كالبلور ، فلِمَ آثر العاج ؟ وأجيب بأن هذه الصورة قد تكون مألوفةً عندهم ؛ دون غيرها ، لأن مصورها يبالغ في تحسينها ما أمكنه .

(**مُعْتَدِلَ ٱلخَلْقِ**) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ : أي : معتدل الصورة الظاهرة بمعنى أن أعضاءه متناسبةٌ غيرُ متنافرة . وهذا الكلامُ إجمال بعد تفصيل بالنسبة لما قبله ، وإجمال قبل التفصيل بالنسبة لما بعده . وهذه الفقرة بالنصب والرفع ، والنصبُ أظهر .

(**بَادِنٌ**) أي : سمين سِمَناً معتدلاً ، بدليل قوله فيما تقدم « لم يكن بالمطهَّم » .

فالحقُّ أنَّه لم يكن سميناً جدّاً ؛ ولا نحيفاً .

وفي « جمع الوسائل » : قال الحفني : قوله « بادن » روايتنا إلى هنا بالنصب ، ومن هنا إلى آخر الحديث بالرفع . ويحتمل ـ كما قيل ـ أن يكون قولُه « بادنَ » منصوباً كما يقتضيه السياق ، ويكتفى بحركة النصب عن الألف كما هو رسم المتقدمين . ويؤيده ما وقع في « جامع الأصول » : بادناً ـ بالألف ـ وكذا في « الفائق » ، وكذا في « الشفاء » للقاضي عياض .

ولما كانت البدانة قد تكون من الأعضاء ؛ وقد تكون من كثرة اللحم والسِمَن المفرط المستوجب لرخاوة البدن وهو مذموم ؛ أردفه بما ينفي ذلك فقال :

(**مُتَمَاسِكٌ**) يمسك بعض أجزائِه بعضاً من غير تَرَجْرُج ، وقيل : معناه ليس بمسترخي البدن ، حتَّى أنه في السنِّ الذي شأنه استرخاء البدن كان كالشاب . ولذلك قال الغزالي : لحمُه متماسك يكادُ يكون على الخَلق الأول فلم يضرَّه السنُّ .

سَوَاءٌ ٱلْبَطْنُ وَٱلصَّدْرُ ، عَرِيضُ ٱلصَّدْرِ ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، ضَخْمُ ٱلْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرُ ٱلْمُتَجَرَّدِ ، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ ٱللَّبَّةِ وَٱلسُّرَّةِ . . .

(سَوَاءٌ) ـ بفتح السين والواو والألف ـ (ٱلْبَطْنُ وَٱلصَّدْرُ) برفع « سواء » منوناً ، ورفع « البطن » و« الصَّدر » ، وفي بعض النسخ : سواءُ البطنِ والصدرِ ؛ برفع « سواء » غير منون ، وجرِّ البطن والصدر على الإضافة . والمعنى : أن بطنه وصدرَه الشريفين مستويان لا ينتأ أحدهما عن الآخر ؛ فلا يزيد بطنه على صدره ؛ ولا يزيد صدره على بطنه .

(عَرِيْضُ ٱلصَّدْرِ) ؛ كالمؤكّد لقوله « سواء البطن والصدر » ، وكون الصدر عريضاً مما يُمدح به في الرجال .

(بَعِيْدُ مَا بَيْنَ ٱلمَنْكِبَيْنِ) رُوي بالتكبير والتصغير ، والمراد بكونه (بعيد ما بين المنكبين) : أنَّه عريضُ أعلى الظهر كما تقدَّم . و« ما » موصولة .

(ضَخْمُ ٱلكَرَادِيْسِ) : غليظها عظيمها . قال في « الصحاح » : الضخم الغليظ من كلِّ شيء . وفي « المصباح » : الضخم العظيم ، وضَخُمَ عَظُمَ . ومن كلامهم : العِظَم أساس البدن .

(أَنْوَرُ ٱلمُتَجَرَّدِ) ـ بكسر الراء المشددة ؛ على أنَّه اسم فاعل ، وبفتحها علىٰ أنه اسم مكان ، قيل : وهو أشهر ، بل قيل : إنه الرواية ـ .

والمعنى أنَّه نيِّر العضو المتجرِّد عن الشعر ؛ أو عن الثوب ، فهو على غاية من الحُسْن ونصاعة اللون . وعُلم من ذلك أنَّه وَضَع « أفعل » موضع « فعيل » ؛ كما قاله جمع .

(مَوْصُولُ مَا بَيْنَ ٱللَّبَّةِ وَٱلسُّرَّةِ) « ما » موصولة ؛ أو موصوفة ، واللَّبَّة ـ بفتح اللام وتشديد الباء ـ : النُّقرة التي فوقَ الصدر ، أو موضعُ القلادة منه ، والسُّرَّة ـ بضم أوَّلِهِ المهملة ـ : ما بقي بعد القطع ، والذي يُقطع سُرٌّ . قال في « الصحاح » . تقول : عرفت ذلك قبل أن يقطع سُرّك ، ولا تقل سُرَّتك . لأنَّ السرة لا تقطع ، وإنما هي الموضع الذي قطع منه السُّرُّ ـ بالضم ـ . والمعنى : وَصْل

بِشَعْرٍ يَجْرِي كَٱلْخَطِّ ، عَارِي ٱلثَّدْيَيْنِ وَٱلْبَطْنِ مَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ ، أَشْعَرُ ٱلذِّرَاعَيْنِ وَٱلْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي ٱلصَّدْرِ ، ....

ما بين لَبَّته وسُرَّته (بِشَعْرٍ) جار ومجرور متعلق بموصول .

(يَجْرِي) ؛ أي : يَمتد ذلك الشعر ، فشُبِّه امتدادُه بجريان الماء ؛ وهو امتداده في سيلانه (كَٱلْخَطِّ) ؛ أي : خطِّ الكتابة . ورُوي كالخيط ، والتشبيه بالخطِّ أبلغُ ، لإشعاره بأن الشعرات مشبهة بالحروف ، وهذا معنىٰ « دقيقِ المَسْرُبة » الذي مرَّ الكلام عليه . وفي رواية لابن سعد : له شعر مِن لَبَّته إلى سُرَّته يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره ؛ أي : ما عدا أعاليه . أخذاً مما يأتي شعرٌ غيره .

(عَارِي) ـ أي : خالي ـ (ٱلثَّدْيَيْنِ) ـ بفتح المثلثة : وسكون الدال ـ .

(وَ) عاري (ٱلْبَطْنِ) من الشعر (مَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ) الخطِّ . وفي رواية : ممَّا سوى ذلك . وهي أنسبُ وأقرب ؛ أي : سوى محلّ الشعر المذكور ، أما هو !! ففيه الشعر الذي هو المَسْرُبة .

والمعنى : لم يكن على ثدييه وبطنه شعر غير مسرُبته .

ويؤيِّدُه ما وقع في حديث ابن سعد : لَهُ شعر من لبَّته إلى سُرَّته ، يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعرٌ غيره . قال بعضهم : ولا شعرَ تحت إبطيه ، ولعله أخذه من ذكر أنس وغيره « بياض إِبطيه » . وردَّه المحقق أبو زرعة بأنه لا يلزم من البياض فقد الشعر ، على أنه صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان ينتف شعر إبطيه ؛ كما في « جمع الوسائل » .

(أَشْعَرُ) ؛ أي : كثير شعر (ٱلذِّرَاعَيْنِ) ـ بكسر الذال ـ تثنية ذراع من المرفق إلى الأصابع . (وَ) أشعر (ٱلْمَنْكِبَيْنِ) تثنية مَنكِب ـ بفتح الميم وكسر الكاف ـ : مجتمع رأس الكتف والعضد ، (وَ)أشعر (أَعَالِي) جمع أعلى (ٱلصَّدْرِ) ؛ أي : أن شعر هذه الثلاثة غزير كثير . وهذا من تتمة الصفتين المارتين . والأشعر ضدُّ : الأجرد ، وهو أفعل صفة لا أفعل تفضيل . وفي « القاموس » : الأشعر كثير الشعر

طَوِيلُ ٱلزَّنْدَيْنِ .

رَحْبُ ٱلرَّاحَةِ ، شَثْنُ ٱلْكَفَّيْنِ وَٱلْقَدَمَيْنِ ، . . . .

وطويله . وفي أكثر الشروح : أي كثيره . وقيل : طويله ، والمقام يحتملهما والله أعلم .

(**طَوِيْلُ الزَّنْدَيْنِ**) ـ بفتح الزاي وسكون النون وبالدال المهملة ؛ تثنية زَنْد كَفَلْس ـ : ما انحسر عنه اللحم من الذراع ، وله رأسان : الكوع والكرسوع .

قال في « القاموس » : الكوع ـ بالضمّ ـ : طرف الزَّنْد الذي يلي الإبهام . والكاع طرف الزند الذي يلي الخنصر ، وهو الكرسوع ـ بالعين المهملة ـ كما في « القاموس » ولبعضهم :

فَعَظْمٌ يَلِي ٱلإِبْهَامَ كُوعٌ وَمَا يَلِي ... لِخِنْصَرِهِ ٱلْكُرْسُوعُ وَٱلرُّسْغُ مَا وَسَطْ
وَعَظْـمٌ يَلِـي إِبْهَـامَ رِجْـلٍ مُلَقَّـبٌ ... بِبُوعٍ، فَخُذْ بِٱلعِلْمِ وَٱحْذَرْ مِنَ ٱلغَلَطْ

والزَّند مذكَّرٌ . قال الأصمعي : لم يُرَ أحدٌ أعرضَ زنداً من الحسن البصري ، كان عرضُ زنده شبراً .

(**رَحْبُ ٱلرَّاحَةِ**) واسعُ الكفِّ حسًّا ومعنى . ولله درُّ حسان بنِ ثابت الصحابي رضي الله عنه حيث قال :

لَـهُ رَاحَـةٌ لَـوْ أَنَّ مِعْشَـارَ جُـودِهَـا ... عَلَىٰ ٱلبَرِّ كَانَ ٱلبَرُّ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلبَحْرِ
لَـهُ هِمَـمٌ لاَ مُنْتَهَـىٰ لِكِبَـارِهَـا ... وَهِمَّتُـهُ ٱلصُّغْـرَىٰ أَجَـلُّ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ

والرواية بفتح الراء في « رَحب » ، ويجوز الضمُّ في اللُّغة . وقيلَ : رَحْب الراحة دليلُ الجود ، وضيقُها دليل البخل . والرَّاحة : بطنُ الكفِّ مع بطون الأصابع ، وأصلها من الرَّوْح ؛ وهو الاتساع .

(**شَثْنُ ٱلكَفَّيْنِ وَٱلقَدَمَيْنِ**) ، سبق معناه ، وأَنَّه فَسَّره ابن حجر العسقلاني بغليظ الأصابع والراحة ، وهو المتبادر ، ويؤيِّدُه روايةُ « ضخم الكفين والقدمين » . قال ابن بَطَّال : كانت كفُّه ﷺ ممتلئةً لحماً ، غير أَنَّها مع غاية ضخامتها كانت ليِّنة ؛ كما

سَائِلُ ٱلأَطْرَافِ ، خُمْصَانُ ٱلأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحُ ٱلْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا ٱلْمَاءُ ؛ . . . .

ثبت في حديث أنس : ما مَسَسْتُ خزًّا ؛ ولا حريراً ألينَ من كفِّ رسول الله ﷺ .

(سَائِلُ ٱلأَطْرَافِ) ـ بالسين المهملة وبهمز مكسور بعد ألف وفي آخره لام ـ أي : ممتدُّ الأصابع طويلُها طولاً معتدلاً بين الإفراط والتفريط ، فكانت مستوية مستقيمة ؛ وذلك مما يُتمدَّح به .

(خُمْصَانُ) ـ بضمِّ الخاء المعجمة وسكون الميم كعثمان ، وبضمتين وبفتح فسكون ـ (ٱلأَخْمَصَيْنِ) ـ بفتح الميم بلفظ التثنية ـ والأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ؛ مأخوذ من الخَمَص ـ بفتحتين ـ ، وهو : ارتفاع وسط القدم عن الأرض . والخُمْصان المبالَغ فيه ؛ أي : أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديدُ التجافي عن الأرض ؛ كذا في « النهاية » . ولم يرتضِ ابنُ الأعرابي جعل الصيغة للمبالغة . وقال : إذا كان معتدلَ الخَمَص ؛ لا مرتفعه جداً ولا منخفضه كذلك ؛ فهو أحسن ، بل غيره مذموم . انتهى .

ورُجِّح مقالُ ابن الأعرابي لأنه الأنسبُ بأوصافه ؛ إذ هي في غاية الاعتدال .

ولا يعارضه خبرُ أبي هريرة رضي الله عنه : « إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ وَطِىءَ بِكُلِّهَا ، لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ » !! لأنَّ مرادَه سلبُ نفي الاعتدال ، فمن أثبت الأخمصَ أراد أنَّ في قدميه خَمَصاً يسيراً ، ومَن نفاه نفىٰ شِدَّته .

(مَسِيحُ ٱلْقَدَمَيْنِ) أي : أملسُها مِن ظهرهما لوجود الخموصة في بطنها . ومستويهما : ليِّنُهما بلا تكسُّر ؛ ولا تشقُّق جِلدٍ بحيث (يَنْبُو) على وزن : يدعو ؛ أي : يتباعد ويتجافىٰ (عَنْهُمَا ٱلْمَاءُ) ؛ أي : إذا صُبَّ عليهما الماء مرَّ سريعاً لملاسَتِهما ولِينهما ، وكان غليظ أصابعهما . يقال : نبا الشيءُ تجافى وتباعد وبابه « سَمَا » ؛ كما في « المختار » .

وروى الإمام أحمدُ وغيره أنَّ سَبَّابَتي قدمَيْه ﷺ كانتا أطولَ من بقيَّة أصابعهما .

إِذَا زَالَ . . زَالَ قَلْعاً ، يَخْطُو تَكَفِّياً وَيَمْشِي هَوْناً ، . . . .

وما اشتهر من إطلاق « أنَّ سَبَّابَتَيْهِ كانتا أطولَ من وُسْطاه » !؟ غَلَط ، بل ذلك خاصٌّ بأصابع رجليه ؛ كما قاله بعض الحفاظ .

(**إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعاً**) ؛ أي : إذا مَشَىٰ رَفَع رجليه بقوَّة كأنَّه يقلع شيئاً من الأرض ؛ لا كمشي المختال . وقلعاً حال ؛ أو مصدر على تقدير مضاف ؛ أي : زوال قلع ؛ وفيه خمسة أوجه : ١/ ٣ ـ فتح أوَّله مع تثليث ثانيه ؛ أي : فتحه وكسره وسكونه ، و٤/ ٥ ـ ضمٍّ أوَّله مع سكون ثانيه وفتحه .

والقَلْع ـ في الأصل ـ : انتزاع الشيء من أصله ، أو : تحويله عن محلِّه . وكلاهُما صالح لأن يرادَ هنا ، لأنَّه يرفع رجله بقوَّة ويحوِّلُها كذلك .

(**يَخْطُو**) ـ بوزن : يعدو ـ ؛ أي : يمشي (**تَكَفِّياً**) ـ بكسر الفاء المشددة بعدها ياء ـ ؛ أي : مائلاً إلى سَنَن المشي ؛ لا إلى طرفيه . وهذه الجملة مؤكِّدة لمعنى قوله « زال قلعاً » .

(**وَيَمْشِيْ هَوْناً**) ـ بالنون كـ « ضرباً » ، نعت لمصدر محذوف ؛ أي : مشياً هوناً ، أو حال ـ ؛ أي : هيِّناً في تُؤَدةٍ وسكينة . وهذه الجملة قيل : إنَّها تفنُّن في العبارة حيث عبَّر عن المشي بعبارتين فِراراً من كراهة تكرارِ لفظه . وقيل : تتميم لكيفية مشيه ﷺ ، فقوله « إذَا زال زال قلعاً » بيانٌ لكيفيَّة رفع رجليه عن الأرض ، وقوله « ويمشي هوناً » بيانٌ لكيفية وضعهما على الأرض .

وبهذا عُرف أنَّه لا تدافع بين الهون والتقلُّع والانحدار ، والهون : الرفق واللين . فكان ﷺ يمشي برفق ولين ، وتثبُّتٍ ووقار ، وحلم وأناة ، وعفاف وتواضع ، فلا يضربُ برجله ، ولا يخفق بنعله . وقد قال الزُّهري : إنَّ سرعة المَشي تُذهب بَهاء الوجه . يريد الإسراع الخفيف ، لأنه يُخِلُّ بالوقار ، إذ الخير في الأمر الوسط .

وهذه الصفة قد وصف الله تعالى بها عباده الصالحين بقوله ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [٦٣/ الفرقان] . ولا يخفى أنَّه ﷺ أثبت منهم في ذلك ،

ذَرِيعُ ٱلْمِشْيَةِ ، إِذَا مَشَىٰ . . كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا ٱلْتَفَتَ . . ٱلْتَفَتَ جَمِيعاً ، خَافِضُ ٱلطَّرْفِ ، نَظَرُهُ إِلَى ٱلأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ ، . . . .

لأن كلَّ كمال في غيره فهو فيه أكملُ .

(**ذَرِيْعُ ٱلمِشْيَةِ**) ـ بكسر الميم ـ أي : واسع الخطو خِلْقَة ؛ لا تكلُّفاً . قال الراغب : الذريع : الواسع . يقال : فرس ذريع ؛ أي : واسع الخطو ، فمع كونه ﷺ كان يمشي بسكينة كان يمدُّ خطوَه حتَّى كأن الأرض تُطوى له .

(**إِذَا مَشَىٰ**) ـ يصحُّ أن يكون ظرفاً لقوله « ذريع المشية » ، ولقوله ـ (**كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ**) ؛ أي : محلٍّ منحدر ، والاحتمال الثاني هو المتبادر .

(**وَإِذَا ٱلْتَفَتَ ٱلْتَفَتَ**) عطف على الجملة الشرطية الأولى . أعني « إذا زال زال قَلْعاً » . لأنَّ ما بعدها من لواحقها .

(**جَمِيْعاً**) على وزن « فعيل »، وفي بعض الروايات « جمعاً » على وزن «ضرباً»، وهو منصوب على المصدر ؛ أو الحال ، أراد أنَّه لا يسارق النظر ، ولا يلوي عنقه يمنةً ويسرة إذا نظر إلى الشيء ، وإنما يفعل ذلك الطائشُ الخفيف ، ولكن كان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ؛ أي : بجميع أجزائه لمَّا أن ذلك أليقُ بجلالته ومهابته .

(**خَافِضُ**) ـ بالرفع ـ خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو خافض (**ٱلطَّرْفِ**) ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ : هو العين ، وأما الطَّرَف ـ بالتحريك ـ فهو آخر الشيء . فطرف الحبل آخره . والمراد أنَّه خافضُ البصر ، لأن هذا شأن المتأمِّل المشتغل بربِّه ، فلم يزل مطرقاً متوجِّهاً إلى عالم الغيب ؛ مشغولاً بحاله ، متفكِّراً في أمور الآخرة ، متواضعاً بطبعه .

ثم أردف ذلك بما هو كالتفسير له ؛ أو التأكيد ، فقال :

(**نَظَرُهُ**) ، أي : مطالعته (**إِلَىٰ ٱلأَرْضِ أَطْوَلُ**) ، أي : أكثر ، أو زمن نظره إليها أطول ؛ أي : أزيد وأمدُّ (**مِنْ نَظَرِهِ إِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ**) ، والمراد أنَّ نظره إلى الأرض

جُلُّ نَظَرِهِ ٱلْمُلاَحَظَةُ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ ، ....

حالَ السكوت وعدم التوجُّه إلى أحدٍ أطول من نظره إلى السماء ، فلا ينافي ما ورد من حديث أبي داود ؛ عن عبد الله بن سَلاَم قالَ : « كان ﷺ إذا جلس يتحدَّث يُكثر أن يرفع طَرْفه إلى السماء . مع أنَّه قد يَحتمل أنَّ الرفع محمولٌ على حال توقُّعه انتظارَ الوحي في أمر يُنزل إليه . وقيل : الأكثر لا ينافي الإكثار ؛ وإنما كان نظرُه إلى الأرض أطولَ لكونه أجمعَ للفكرة ؛ وأوسع للاعتبار ؛ لاشتغاله بالباطن وإعمال جَنانه في تدبير ما بُعث بسببه ، أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربِّه ، أو أنَّه بُعث لتربية أهل الأرض ؛ لا لتربية أهل السماء .

والنظر ـ كما في « المصباح » ـ : تأمُّل الشيء بالعين .

والأرضُ ـ كما قال الراغب ـ : الجرم المقابل للسماء . ويُعبَّر بها عن أسفل الشيء كما يُعبر بالسماء عن أعلى الشيء . والطول : الامتداد . يقال « طال الشيء » : امتدَّ . وأطال الله بقاءك : مَدَّه ووسّعه .

(**جُلُّ نَظَرِهِ**) ـ بضم الجيم واللام المشددة ـ أي : معظم نظره إلى الأشياء لاسيما إلى الدنيا وزخرفها (**ٱلْمُلاَحَظَةُ**) ؛ أي : النظر باللَّحاظ ـ بفتح اللام ـ وهو : شِقُّ العين مما يلي الصُّدغ .

وأما الذي يلي الأنف !! فالموق ، ويقال له : الماق . فلم يكن نظرُه إلى الأشياء كنظر أهل الحرص والشَّرَه ، بل كان يلاحِظُها في الجملة ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [١٣١/ طه] الآية .

(**يَسُوْقُ أَصْحَابَهُ**) ؛ أي : يقدِّمهم بين يديه ويمشي خلفهم ؛ كأنه يسوقُهم ، لأنَّ الملائكة كانت تمشي خلفَ ظهره . روى الدارمي بإسناد صحيح أنَّه ﷺ قال : « خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلاَئِكَةِ » . وأخرج أحمد ؛ عن جابر رضي الله عنه قال : كان أصحابُ النبي ﷺ يمشون أمامه ، ويَدَعُون ظهره للملائكة . انتهى .

ولأن مِن كمال التواضع أن لا يدعَ أَحداً يمشي خلفه ، وإيماءً إلى مراعاةِ

وَيَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بِٱلسَّلَامِ .

أضعفِهم ؛ فيتأخَّرُ عنهم رعايةً للضعفاء وإعانة للفقراء ، لأن شأْن الولي مع المولَّى عليهم أن ينظر إليهم ، ويربِّي مَن يستحق التربية ، ويعاتب من تليقُ به المعاتبة ، ويؤدِّب مَن يناسِبُه التَّأديبُ ، ويكمِّل من يحتاج إلى التكميل ، وإنما تقدَّمهم في قصَّة جابر ؛ كما قال النووي !! لأنَّه دعاهم إليه ، فكان كصاحب الطعام إذا دعا طائفة يمشي أمامهم .

(وَيَبْدُرُ) ـ بضم الدال ؛ من باب « نصر » بمعنى : يسبق ويبادر ، وفي نسخة : ويبدأ ـ (مَنْ لَقِيَهُ) حتَّى الصبيان ؛ كما صَرَّح به جمعٌ في الرواية عن أنس (بِٱلسَّلَامِ) : بالتسليم ، والمعنى أنَّه كان يُبَادرُ ويسبق مَن لقيه مِن أُمَّته بتسليم التحية ؛ لأنَّه من كمال شِيَم المتواضعين ؛ وهو سيِّدُهُم .

وليست بداءته بالسلام لأجل إيثار الغير بالجواب الذي هو فرض ؛ وثوابه أجزل من ثواب السنة ؛ كما قاله العصام ، لأنَّ الإيثار في القُرَبِ مكروهٌ ؛ كما بيَّنه النووي في « المجموع » في « باب التيمم » أتمَّ بيان ، ووضَّحه ناظم « القواعد الفقهية » مع شرحها للجرهزي ؛ تبعاً للسيوطي في « الأشباه » .

وفي هذه الأفعال السابقة عن المصطفى ﷺ من تعليم أمَّته كيفيةَ المشي ، وعدمَ الالتفات ، وتقديم الصحب ، والمبادرة بالسلام ؛ ما لا يخفى على الموفَّقين لفهم بعض أسرار أحواله حتى العادِيَّة ؛ نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بمنِّه وكرمه . آمين .

تنبيه : من فضائله ﷺ أنَّ الحقَّ سبحانه ذكر أعضاءه عضواً عضواً في التنزيل ، وذكره بجملته ؛ فذكر وجهه في ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ [١٤٤/البقرة] ، وعينيه في ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [١٣١/طه] ، ولسانه في ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [٩٧/مريم] ، ويده وعنقَه في ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [٢٩/الإسراء] ، وصدره وظهره في ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ [١/الشرح] ، وقلبه في ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [١٩٣-١٩٤/الشعراء] ، وجملته في ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم] ؛ ذكره المناوي رحمه الله .

وَمَعْنَى (ٱلْفَخْمِ) : اَلْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ . وَ(ٱلْمُفَخَّمِ) : اَلْمُعَظَّمُ عِنْدَ غَيْرِهِ . وَ(ٱلْمُشَذَّبِ) : اَلظَّاهِرُ ٱلطُّولِ مَعَ نَحَافَةٍ . وَ(رَجِلِ ٱلشَّعْرِ) : مُسْتَرْسِلُهُ . وَ(ٱلْعَقِيقَةِ) : شَعْرُ ٱلرَّأْسِ . وَ(وَفَرَهُ) : جَعَلَهُ وَفْرَةً ، وَهِيَ ٱلشَّعَرُ ٱلنَّازِلُ عَنْ شَحْمَةِ ٱلأُذُنِ إِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ ٱلْمَنْكِبَيْنِ . وَ(أَزْهَرَ) : مُشْرِقُ ٱللَّوْنِ ، نَيِّرُهُ . وَ(أَزَجِّ ٱلْحَوَاجِبِ) : مُقَوَّسُهَا مَعَ طُولٍ .

(**وَمَعْنَىٰ ٱلفَخْمِ**) ؛ في قوله « فخماً » : (**ٱلعَظِيْمُ فِي نَفْسِهِ** . **وَ**) معنى (**ٱلمُفَخَّمِ**) ؛ في قوله « مُفَخَّماً » : (**ٱلمُعَظَّمُ عِنْدَ غَيْرِهِ**) حتَّىٰ الكُفَّار ، وما وقع من بعضهم من رميه بالحجارة ونحو ذلك !! إنما هو من العناد في الكفر مع اعتقاد عَظَمته وتفخيمه .

(**وَ**) معنى (**ٱلمُشَذَّبِ**) ـ بميم مضمومة فشين معجمة ؛ فذال معجمة مشدَّدة مفتوحتين فباء موحدة ، على صيغة اسم المفعول ؛ من التشذيب ـ : (**ٱلظَّاهِرُ ٱلطُّوْلِ مَعَ نَحَافَةٍ**) ؛ أي : نقص في اللحم .

(**وَ**) معنى (**رَجِلِ**) ـ بكسر الجيم ؛ أفصح من فتحها وسكونها ـ : (**الشَّعَرِ**) ـ بفتح العين وسكونها ـ (**مُسْتَرْسِلُهُ**) .

(**وَ**) معنى (**ٱلعَقِيْقَةِ**) ـ بقافين على المشهور ـ: (**شَعْرُ ٱلرَّأْسِ**) سُمِّي « عقيقة » !! تشبيهاً بشعر المولود قبل أن يُحلق ، فإذا حُلق ونبت ثانياً زال عنه اسم العقيقة ، وربما سُمِّي الشعر « عقيقة » بعد الحلق ؛ على الاستعارة ، ومنه هذا الحديث .

(**وَ**) معنى (**وَفَرَهُ : جَعَلَهُ وَفْرَةً**) ؛ أي : مجموعاً . (**وَهِيَ**) أي : الوفرة : (**ٱلشَّعْرُ ٱلنَّازِلُ عَنْ شَحْمَةِ ٱلأُذُنِ ؛ إِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ ٱلمَنْكِبَيْنِ**) ـ على ما سبق ـ .

(**وَ**) معنى (**أَزْهَرَ**) اللون : (**مُشْرِقُ ٱللَّوْنِ ؛ نَيِّرُهُ**) في كلِّ أجزاء بدنه .

(**وَ**) معنى (**أَزَجِّ ٱلحَوَاجِبِ : مُقَوَّسُهَا مَعَ طُوْلٍ**) في طَرَفه ـ على ما في « القاموس » ـ . وفي « الصحاح » : دِقَّة الحاجبين بالطول . وفي « الأساس » : الدقَّة والاستقواس . ويمكن الجمع .

وَ(ٱلسَّوَابِغِ) : اَلْكَامِلاَتُ . وَ(أَقْنَىٰ ٱلْعِرْنِينِ) : طَوِيلُ ٱلأَنْفِ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ ، فِي وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرْتِفَاعٍ .

وَ(ٱلأَشَمِّ) : مُرْتَفِعُ قَصَبَةِ ٱلأَنْفِ . وَ(ٱلأَشْنَبِ) : أَبْيَضُ ٱلأَسْنَانِ مَعَ بَرِيقٍ وَتَحْدِيدٍ فِيهَا .

وَ(ٱلْمُفَلَّجِ) : مُنْفَرِجُ ٱلثَّنَايَا .

وَ(ٱلدُّمْيَةِ) : صُورَةٌ مِنْ رُخَامٍ وَنَحْوِهِ . وَ(ٱلْبَادِنِ) : اَلسَّمِينُ سِمَناً مُعْتَدِلاً .

(وَ) معنى (ٱلسَّوَابِغِ) ـ بالسين والصاد ؛ والسين أعلى ، جمع سابغة ـ : (ٱلْكَامِلاَتُ) ؛ أي : غزيرات الشعر ، حتَّى أنَّ مَن لم يتأمَّلها يظنُّه أَقْرَنَ ، وفي نفس الأمر لا قَرَن . (وَ) معنى (أَقْنَىٰ) ـ بقاف فنون مخفَّفة مفتوحة ـ (ٱلْعِرْنِيْنِ) ـ بكسر المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى ـ : (طَوِيْلُ ٱلأَنْفِ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ ؛ فِيْ وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرتِفَاعٍ) ، فالعِرنين : الأنف ، وأوَّله حيث يكون الشم ، وجمعه : عَرَانين . والقَنَا : طول الأنف ودِقَّة أرنبته وحدب في وسطه .

(وَ) معنى (ٱلأَشَمُّ : مُرْتَفِعُ قَصَبَةِ ٱلأَنْفِ) مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا . (وَ) معنى (ٱلأَشْنَبُ) ـ بشين معجمة فنون فموحدة ـ : (أَبْيَضُ ٱلأَسْنَانِ مَعَ بَرِيْقٍ وَتَحْدِيْدٍ فِيْهَا) .

(وَ) معنى (ٱلمُفَلَّجِ) ـ بصيغة اسم المفعول ـ : (مُنْفَرِجُ ٱلثَّنَايَا) ؛ جمع : ثَنِيَّة ، أي : بين ثناياه فرجة لطيفة . والثَّنايا : هي الأسنان الأربع التي في مقدَّم الفم ؛ ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت . والرُّباعيات : أربعُ أسنان بجانب الثنايا . وسيأتي أنَّه كان أفلجَ الثنيَّتين .

(وَ) معنى (ٱلدُّمْيَةُ) ـ بضم الدال المهملة وإسكان الميم وتحتية مفتوحة ـ : (صُورَةٌ) منقوشة (مِنْ رُخَامٍ وَنَحْوِهِ) كالعاج ، وكانوا يبالغون في تحسين عنقها .

(وَ) معنى (ٱلبَادِنُ) ـ بالدال المهملة ـ : (ٱلسَّمِيْنُ سِمَناً مُعْتَدِلاً) بلا إفراط .

وَ(ٱلْمُتَجَرَّدِ) : ٱلْعُضْوُ ٱلْعَارِي عَنِ ٱلشَّعَرِ . وَ(ٱللَّبَّةِ) : ٱلنُّقْرَةُ ٱلَّتِي فَوْقَ ٱلصَّدْرِ . وَ(الرَّحْبِ) : ٱلْوَاسِعُ . وَ(سَائِلِ ٱلأَطْرَافِ) : طَوِيلُهَا طُولاً مُعْتَدِلاً . وَ(خُمْصَانِ ٱلأَخْمَصَيْنِ) : مُتَجَافِيهِمَا عَنِ ٱلأَرْضِ . وَ(ٱلأَخْمَصُ) : ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي لاَ يَمَسُّ ٱلأَرْضَ عِنْدَ ٱلْوَطْءِ مِنْ وَسَطِ ٱلْقَدَمِ .

(وَ) معنى (**ٱلْمُتَجَرَّدُ**) ـ بجيم وراء مشددة مفتوحتين ـ : (**ٱلعَضْوُ ٱلعَارِيْ عَنِ ٱلشَّعْرِ**) ؛ أو الثوبِ .

(وَ) معنى (**ٱللبَّةُ**) ـ بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة المفتوحة ـ : (**ٱلنُّقْرَةُ ٱلَّتِي فَوْقَ ٱلصَّدْرِ**) ، أي : المنحر ، وهي المتطامن الذي فوق الصدر وأسفل الحلق من الترقوتين ، وفيه تُنحَر الإبل .

(وَ) معنى (**ٱلرَّحْبُ**) ـ بفتح الراء وإسكان الحاء ـ : (**ٱلوَاسِعُ**)

(وَ) معنى (**سَائِلِ ٱلأَطْرَافِ**) ـ بالسين المهملة وبهمز مكسور بعد ألف ؛ وفي آخره لام ـ : (**طَوِيْلُهَا طُولاً مُعْتَدِلاً**) بين الإفراط والتفريط .

(وَ) معنى (**خُمْصَانِ**) ؛ بضمِّ المعجمة وفتحها مع سكون الميم فيها (**ٱلأَخْمَصَيْنِ**) ـ بفتح الميم بصيغة التثنية ـ : (**مُتَجَافِيْهِمَا عَنِ ٱلأَرْضِ**) ، ليس بالأرحِّ الذي يمسُّها أخمصاه . والأَرَحُّ : بالراء والحاء المهملة المشددة .

(وَ) معنىٰ (**ٱلأَخْمَصُ**) بزنة « الأحمر » ـ كما قال الزرقاني ، وابن الأثير ـ : (**ٱلمَوْضِعُ ٱلَّذِيْ لاَ يَمَسُّ ٱلأَرْضَ عِنْدَ ٱلوَطْءِ**) ؛ أي : المشي (**مِنْ وَسَطِ ٱلقَدَمِ**) ؛ وهو ما رَقَّ من أسفلها ؛ مأخوذٌ من الخَمَص ـ بفتحتين ـ ؛ وهو : ارتفاع وسط القدم عن الأرض ، يقال منه : خَمِصَ القدمُ خَمَصاً ؛ من باب « تعب » ، فالرَّجُل أخمص ، والمرأة خمصاء ، والجمع خُمْص ؛ مثل أحمر وحمراء وحُمْر ، لأنه صفة ، وسُمِّي أخمَصاً !! لضموره ، والخُمْصان : المبالغة فيه ، أي : أنَّ ذلك المحلَّ من بطن قدميه شديدُ التجافي عن الأرض ـ على ما سبق ما فيه ـ .

وَ(ٱلْمَسِيحَ) : اَلأَمْلَسُ . وَ(يَنبُو) : يَتَبَاعَدُ .
وَ(إِذَا زَالَ . . زَالَ قَلْعاً) : إِذَا مَشَىٰ . . رَفَعَ رِجْلَيْهِ بِقُوَّةٍ .
وَ(ذَرِيعِ ٱلْمِشْيَةِ) : وَاسِعُ ٱلْخَطْوِ خِلْقَةً لاَ تَكَلُّفاً .
وَ(ٱلْمُلاَحَظَةِ) : ٱلنَّظَرُ بِٱللَّحَاظِ ؛ وَهُوَ : شِقُّ ٱلْعَيْنِ مِمَّا يَلِي ٱلصُّدْغَ . وَ(يَسُوقُ أَصْحَابَهُ) : يُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
وَ(يَبْدُرُ) : يَبْتَدِىءُ .

(وَ) معنى (**ٱلْمَسِيْحُ**) ـ بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة ، فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة آخره ـ : (**ٱلأَمْلَسُ**) .

(وَ) معنى (**يَنْبُو**) ـ على وزن يدعو ـ : (**يَتَبَاعَدُ**) ، ويتجافى .

(وَ) معنى (**إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعاً**) ـ بفتح القاف وسكون اللام ـ : أنه (**إِذَا مَشَىٰ رَفَعَ رِجْلَيْهِ**) رفعاً (**بِقُوَّةٍ**) ؛ لا كمشي المختال .

(وَ) معنى (**ذَرِيْعُ**) ـ بوزن سريع ـ (**ٱلْمِشْيَةِ**) ـ بكسر الميم ـ : (**وَاسِعُ ٱلْخَطْوِ خِلْقَةً ؛ لاَ تَكَلُّفاً**) ؛ أي : مع كون مشيه بسكينة كان يمدُّ خطوهُ حتَّى كأن الأرض تُطوىٰ له .

(وَ) معنى (**ٱلْمُلاَحَظَةُ**) : مفاعَلَة من اللَّحظ ؛ وهو : (**ٱلنَّظَرُ بِٱللَّحَاظِ**) ـ بفتح اللام ـ : (**وَهُوَ : شِقُّ ٱلعَيْنِ مِمَّا يَلِي ٱلصُّدْغَ**) ، يقال : لَحَظَهُ ولَحَظ إليه ؛ أي : نظر إليه بمؤخِّر العين ، وأما الذي يلي الأنف !! فالموق والماق ، واللِّحاظ ـ بالكسر مصدر ـ : لاحظته إذا راعيتَه . والصُّدغ : ما بين العين والأذن .

(وَ) معنى (**يَسُوْقُ أَصْحَابَهُ** : **يُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ**) ويمشي خلفهم كأنه يسوقهم .

(وَ) معنى (**يَبْدُرُ**) ؛ كينصُر : (**يَبْتَدِىءُ**) ويسبِقُ . قال في « الصحاح » : بدر إلى الشيء : أسرع ، وتبادر القوم : تسارعوا . وفي « المصباح » : بدرتْ منه بادرةٌ : سبقه غضبه . انتهى .

(وَ) روى الترمذيُّ في « الشمائل » ، والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، والدارمي في «مسنده» ، و«البيهقي» ؛ كلهم عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال :

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَجَ ٱلثَّنِيَّتَيْنِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رِيءَ كَٱلنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلْبَشَرِ قَدَماً .

(**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ أَفْلَجَ ٱلثَّنِيَّتَيْنِ**) تثنية : ثنيّة ـ بتشديد الياء ـ ، والأفلج من الفلَج ؛ أي : بعيد ما بين الثنايا والرباعيات . قال الطيبي : الفلج هنا : الفرقُ ، بقرينة إضافته إلى الثنايا ، فاستعمل الفلج مكان الفرق ، إذِ الفلج : فرجةٌ بين الثنايا والرباعيات ، والفرق : فرجة بين الثنايا . انتهى .

لكن ظاهر كلام « الصحاح » : أنَّ الفَلَج مشتركٌ بينهما ! وعليه فلا حاجة إلى ما قاله الطيبي .

وفي الفم أربعُ ثنايا ، وهي الأسنان التي في مقدَّم الفم ؛ ثنتان من أعلى ، وثنتان من أسفل ، فمراده بالثنيتين الجنس ، وإلاَّ ! فهي أربع ـ كما علمت ـ .

والرباعيات : أربعُ أسنان بجانب الثنايا . يعني : أنَّ بين ثَنِيَّتيه فرجةً لطيفة .

وذلك يدلُّ على الفصاحة والقدرة على الكلام ، وتعدُّه العرب جمالاً .

(**إِذَا**) هي ومدخولُها (**تَكَلَّمَ**) خبرٌ ثان لـ« كان » (**رِيْءَ**) ـ بكسر الراء ـ بزِنَة قِيْلَ ؛ على الأفصح ، ويقال : بضمِّ الراء وكسر الهمزة ـ وبُني للمجهول !! إشارة إلى أن الرؤية لا تختصُّ بأحدٍ ؛ دون أحد ، ولذا لم يقلْ إذا تكلَّم يخرج (**كَٱلنُّوْرِ**) ؛ أي : شعاع مثله ، فالكاف بمعنى « مثل » ، فلا حاجة لتقدير شيء .

(**يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ**) ، إمَّا مِنَ الثنايا نفسها ، أو من داخلِ الفم وطريقُه من بينها ؛ معجزةٌ له ، وهو نورٌ حسِّيٌّ . ووَهِم مَن قال : معنوي . والمرادُ ألفاظه بالقرآن أو السنة ، لأنه خلافُ الظاهر المتبادر من قوله « رِئِيءَ » .

(**وَ**) روى ابن سعد في « طبقاته » ؛ عن عبد الله بن بُرَيدة مرسَلاً ـ كما في « المواهب » و« الجامع الصغير » ـ ؛ قال :

(**كَانَ**) رسول الله (**ﷺ أَحْسَنَ ٱلْبَشَرِ قَدَماً**) ـ بفتحتين ـ ؛ وهي : من الإنسان معروفة ، وهي أُنثى ، وتصغيرها قُدَيْمة ، والجمع أقدام .

وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَرْدَمٍ ؛ قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قَدَمِهِ ٱلسَّبَّابَةِ عَلَىٰ سَائِرِ أَصَابِعِهِ . رَوَاهُ ٱلإِمَامُ أَحْمَدُ . . . .

(وَ) في « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » : (عَنْ مَيْمُوْنَةَ بِنْتِ كَرْدَمٍ) ـ بفتح الكاف وسكون الراء وفتح الدال المهملة بزنة « جعفر » ـ الثقفية ، صحابيَّة صغيرةٌ لها حديث ، ابنةُ صحابي رضي الله تعالى عنهما ، حديثها عند أهل الطائف ؛ لا عند أهل البصرة ؛ كما ادَّعى ابن عبد البر . نبَّه عليه في « الإصابة » . إلاَّ أنْ يُجاب بأن مرادَه يزيد بن هارون راويه عن أهل الطائف ، لأنه بصريٌّ واسطي ، وأصحابُ الحديث يقولون : لم يَرْوِ هذا غير أهل البصرة ويريدون واحداً من أهلها ؛ كما في « الألفية » .

(قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ فَمَا نَسِيْتُ طُوْلَ إِصْبَعِ قَدَمِهِ ٱلسَّبَّابَةِ) ؛ بدل من « إصبع » ؛ أي : ما نسيتُ طول كلِّ أصبع من أصبعي قدميه السبابتين (عَلَىٰ سَائِرِ) ـ أي : باقي ـ (أَصَابِعِهِ .

رَوَاهُ) إمام السُّنَّة (الإِمَامُ) البارع المجمع على جلالته وإمامته ، وورعه وزهادته وحفظه ، ووفور علمه وسيادته : أبو عبد الله (أَحْمَدُ) بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيَّان ـ بالمثناة ـ ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب ـ بكسر الهاء وإسكان النون وبعدها موحدة ـ ابن أَفْصىٰ ـ بالفاء والصاد المهملة ـ ابن دَعْمىٰ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ؛ الشيباني ؛ المروزي ، ثم البغدادي .

خرج من « مَرْو » حَمْلاً ، وولد ببغداد ، ونشأ بها إلى أن توفي .

ودخل مكة والمدينة ، والشام واليمن ، والكوفة والبصرة والجزيرة ، وسمع من خلق كثير ؛ منهم : يحيى القطان ، وابن عيينة ، وابن مهدي ، وعبد الرزاق .

وروى عنه شيخه عبد الرزاق ، وعلي ابن المديني ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وخلائِق .

وَغَيْرُهُ .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة : ـ ١٦٤ ـ أربع وستين ومائة ، وتوفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة : ـ ٢٤١ ـ إحدى وأربعين ومائتين هجرية ، وعمره سبع وسبعون سنة تقريباً .

ودُفن ببغداد ، وقبره مشهور معروف يُتبرَّكُ به . وأحواله ومناقبه أكثر من أن تحصر ، وقد أُفردت بالتأليف . رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وأنواره وأسراره . آمين .

(**وَغَيْرُهُ**) ؛ أي : غير أحمد ؛ كالطبراني في حديث طويل .

قال في « المواهب » : وقد اشتهر على الألسنة أن سَبَّابة النبي ﷺ كانت أطولَ من الوسطى . قال الحافظ ابن حجر : وهو غَلَط ممَّن قاله ، وإنما ذلك في أصابع رجليه ! وقال شيخنا الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » : حديث سبابة النبي ﷺ وأنها كانت أطولَ من الوسطى !! اشتهر هذا على الألسنة كثيراً ، وسلفُ جمهورهم الكمالُ الدميري ، وهو خطأ نشأ عن اعتماد رواية مطلقة . انتهى ملخصاً .

هذا ؛ وقد اشتهر في المدائح قديما وحديثاً أن النبي ﷺ كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه وأثرت . وأنكره السيوطي ، وقال : لم أقف له على أصل ولا سند ، ولا رأيت مَن خرَّجه في شيء من كتب الحديث !! وكذا أنكره غيره ، لكن صاحب « المواهب » ذكر في « الخصائِص » في بعض نسخه تقويتَه بما حاصله : أنَّه ما خُصَّ نبي بمعجزة أو كرامة إلاَّ ولنبينا محمد ﷺ مثلها ، وأثر قدمي إبراهيم بالمقام بمكَّة متواتر ، وفيه يقول أبو طالب :

وَمَوْطِئُ إِبْرَاهِيْمَ فِي ٱلصَّخْرِ رَطْبَةٌ   عَلَىٰ قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ

وفي البخاري حديث تأثير ضرب موسى في الحجر ستاً أو سبعاً ، إذ فرَّ بثوبه حين اغتسل . انتهى . إلاَّ أن مثل هذا لا يدفع إنكار وروده . والمثْلِيَّة التي لنبينا إمَّا من جنسها ؛ أو بغيرها أعلى أو مُسَاوٍ ! كما نَصُّوا عليه .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَاقَيْهِ حَمُوشَةٌ .

وَمَعْنَى (ٱلْحَمُوشَةِ) : اَلدِّقَّةُ ، وَهِيَ مَحْمُودَةٌ فِي ٱلسَّاقَيْنِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ ، وَيَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ ، يَخْطُو تَكَفِّياً ، وَيَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا بِغَيْرِ تَبَخْتُرٍ . وَمَعْنَى (ٱلْهُوَيْنَا) : تَقَارُبُ ٱلْخُطَا .

انتهى ؛ ذَكَره الزرقاني في « شرح المواهب » .

(وَ) روى الترمذي ، والحاكم ؛ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ فِي سَاقَيْهِ) ـ روي بالإفراد والتثنية ـ (حَمُوْشَةٌ . وَمَعْنَىٰ الحَمُوشَةِ) ـ بفتح الحاء المهملة وشين معجمة ـ : (ٱلدِّقَّةُ ، وَهِيَ مَحْمُودَةٌ فِي ٱلسَّاقَيْنِ) . قال القاضي : حموشةُ الساق : دقَّتُها ، يقال : حمشت قوائم الدابة إذا دَقَّت . هكذا ضبطه بعضهم . وقال بعضهم : خُموشة ـ بضم الخاء المعجمة ـ : دقَّتُها ، وبكسره ليفيد التقليل . والمرادُ نفي غِلَظها ، وذلك مما يُتمَدَّحُ به . وقد أكثرَ أهلُ القيافة من مدح الحُمُوشة وفوائدها . انتهى « مناوي » .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَمْشِيْ كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ مِنْ صَخْرٍ وَيَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ) ـ محرَّكة ؛ أي : محلٍّ منحدر ـ (يَخْطُو تَكَفِّياً) ـ بالفاء والهمزة وبالياء تخفيف ، والأصل الهمز ـ أي : مائلاً إلىٰ سنن المشي ، أي : إلىٰ قُدَّام ، (وَيَمْشِيْ ٱلهُوَيْنَا بِغَيْرِ تَبَخْتُرٍ) ؛ أي : تكبُّر واختيال .

(وَمَعْنَىٰ ٱلهُوَيْنَا : تَقَارُبُ ٱلخُطَا) ، والمشي علىٰ الهينة ؛ قاله السيِّد مرتضىٰ . وقال : رواه البيهقي بلفظ « وَإِذا مشىٰ فكَأَنَّما يتقلَّعُ فِي صخر وينحدر مِن صَبَبٍ ؛ يخطو تَكَفِّياً ، ويمشي الهوينا بغير عثر » .

وروى الترمذي في « الشمائل » ، والطبرانيّ ، والبيهقي ؛ من حديث هند بن أبي هالة : وإذا زال زال تقلُّعاً ، ويخطو تكفِّياً ، ويمشي هَوْناً ، ذريع المِشية ؛ إذا مشىٰ كأنَّما ينحطُّ من صبب . . . الحديث .

وروىٰ مسلم ؛ من حديث أنس : إذا مشىٰ تكفَّأَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . مَشَىٰ مُجْتَمِعاً ؛ أَيْ : قَوِيَّ ٱلْأَعْضَاءِ ، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي ٱلْمَشْيِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . مَشَىٰ أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ ، وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلاَئِكَةِ .

وروىٰ البيهقي ؛ من حديث أبي هريرة : ما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه ، كأنَّ الأرض تُطوىٰ له ، إنَّا لنجتهد ؛ وإنه غير مكترث . وفي لفظ آخر له : يطأُ بقدمه جميعاً ؛ إذا أقبل أقبل جميعاً ، وإذا أدبر أدبر جميعاً .

ومن حديث علي : إذا مشىٰ تكفأ تَكَفُّؤاً كأنَّما ينحطُّ من صبب . . . الحديث .

وفي لفظ آخر له : وكان يتكفَّأُ في مشيته كأنما يمشي من صبب .

وفي لفظ آخر : إذا مشىٰ تكفَّأَ كأنما يمشي من صُعُد .

وفي لفظ آخر : وكان إذا مشىٰ تقلَّع كأنما يمشي في صَبَب .

وفي لفظ آخر : إذا مشىٰ يمشي قَلْعاً كأنما ينحدر من صَبَب .

وفي لفظ آخر له : إذا مشىٰ كأنما يتقلَّع من صخر .

ومن حديث أنس : وكان يتوكَّأ إذا مشىٰ . انتهىٰ . ولله درُّ البوصيري رحمه الله تعالىٰ حيث يقول :

سَيِّدٌ ضِحْكُهُ ٱلتَّبَسُّمُ وَٱلْمَشْـ ـيُ ٱلْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ ٱلإِغْفَاءُ

(وَ) في « المواهب » : رويَ أَنَّه (**كَانَ ﷺ إِذَا مَشَىٰ مَشَىٰ مُجْتَمِعاً** ؛ أي : **قَوِيَّ ٱلأَعْضَاءِ ، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي ٱلمَشْيِ**) . انتهىٰ .

(وَ) روىٰ ابن ماجه ، والحاكم ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

(**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ إِذَا مَشَىٰ مَشَىٰ أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ**) ، لأنَّ المشيَ خلف الشخص صفةُ المتكبّرين ، وكان سيِّد المرسلين ﷺ لا متكبِّراً ولا متجبِّراً .

(**وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلاَئِكَةِ**) يحرسونه من أعدائه ، ولا يعارضه قوله تعالىٰ ﴿ وَٱللَّهُ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . لَمْ يَلْتَفِتْ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ إِذَا مَشَىٰ ، وَكَانَ رُبَّمَا تَعَلَّقَ رِدَاؤُهُ بِٱلشَّجَرِ فَلاَ يَلْتَفِتُ حَتَّىٰ يَرْفَعُوهُ عَلَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَىٰ . . كَأَنَّمَا يَتَوَكَّأُ .

﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [٦٧/ المائدة] !! لأن هذا إن كان قبل نزول الآية ؛ فظاهر . وإلاَّ ! فَمِن عصمةِ الله تعالىٰ له أن يوكِّلَ به جنده من الملأِ الأعلىٰ ؛ إظهاراً لشرفه بينهم . قاله المناوي .

(وَ) روىٰ الحاكم ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ إِذَا مَشَىٰ لَمْ يَلْتَفِتْ) ، لأنه كان يواصل السير ويترك التواني والتوقُّف ، ومَن يلتفت لا بدَّ له في ذلك من أدنىٰ وقفة . أو لئلا يشغل قلبه بمن خلفه ، ولكون أصحابه أمامَه فهو يراعيهم ويلاحظهم ويعلِّمُهم . وهذا لا ينافي ما تقدَّم ؛ من أنَّه كان إذا التفت التفتَ جميعاً !! لإمكان حمل ما تقدَّم علىٰ غير حالة المشي ، أو ما هنا علىٰ الغالب . انتهىٰ « عزيزي » .

(وَ) روىٰ ابن سعد في « طبقاته » ، والترمذي الحكيم في « نوادره » ، وابن عساكر في « تاريخه » كلهم ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ لاَ يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ إِذَا مَشَىٰ) ، وذلك لشدَّة استغراقه ﷺ في جلال مولاه ، وكذا خلفاؤه لا يلتفتون لشيء من الدنيا لإعراضهم عنها ؛ قاله الحِفْني .

(وَكَانَ رُبَّمَا تَعَلَّقَ رِدَاؤُهُ بِٱلشَّجَرِ فَلاَ يَلْتَفِتُ) لتخليصه (حَتَّىٰ يَرْفَعُوهُ عَلَيْهِ) ، قال المناوي : زاد الطبراني : لأنَّهم كانوا يمزحون ويضحكون ؛ وكانوا قد أَمِنوا التفاته ﷺ .

(وَ) روىٰ أبو داود ، والحاكم ؛ عن أنس رضي الله عنه قال :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ إِذَا مَشَىٰ كَأَنَّمَا يَتَوَكَّأُ) ؛ أي : لا يتكلَّم كأَنَّهُ أَوْكَأَ فاهُ فلم ينطق ، ومنه خبر ابن الزبير : كان يوكِىءُ بين الصفا والمروة سعياً . والمراد سَعَىٰ سعْياً شديداً ؛ قاله المناوي .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي مَشْياً يُعْرَفُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلاَ كَسْلاَنَ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلاَنِ قَطُّ ، إِنْ كَانُوا ثَلاَثَةً . . مَشَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً . . قَدَّمَ بَعْضَهُمْ .

زاد بعضهم ؛ عن العلقمي : والإيكاء في كلام العرب يكون بمعنىٰ السعي الشديد . واستدلَّ عليه الأزهريُّ بحديث الزبير ، ثم قال : وإنَّما قيل للذي يشتدُّ عَدْوه « موكٍ » !! لأنه قد ملأ ما بين جَرْيِ رجليه ؛ وأوكىء عليه . انتهىٰ .

وفي الحِفْني علىٰ « الجامع الصغير » : قوله يتوكَّأُ ؛ أي : كان يمشي بشِدَّة بحيث يُرىٰ كأنَّه يتوكَّأُ علىٰ عكازة ؛ ولم يتوكَّأْ ، فإنَّ الذي يتوكَّأُ يمشي بقوَّة ؛ كذا قاله . والله أعلم .

(وَ) روىٰ ابن عساكر في « تاريخه » ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَمْشِي مَشْياً يُعْرَفُ فِيْهِ**) ـ أي : به ـ (**أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلاَ كَسْلاَنَ**) ، بل كانت أصحابه تجهد في المشي معه فلا تدركه ؛ كأنما الأرضُ تطوىٰ له ، معجزةً له .

ومع سرعةِ مشيه كان علىٰ غايةٍ من الهون والتأنِّي وعدم العجلة ، فكان يمشي علىٰ هينته ويَقطع ما يُقطع بالجهد بغير جهد . ولهذا قال أبو هريرة : إنَّا كُنَّا لنُجهد أنفسنا ؛ وإنَّه لَغيرُ مكترث .

(وَ) ذكر الإمام العارف بالله عبد الوهَّاب الشعراني في « كشف الغمة » قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **لاَ يَطَأُ عَقِبَهُ**) ؛ أي : لا يمشي خلفَه (**رَجُلاَنِ قَطُّ**) ؛ ولا أكثر من رجلين كما تفعل الملوك يتبعهم الناس كالخدم ، أي : لا يكون له مَن يمشي خلفه من الأتباع كالسلطان ، فيكون موطىءَ العقب ، لأنَّ من كان ذا مال ؛ أو سلطان اتبعه الناس ومشوا خلفه ، وهو ﷺ يكرهُ أن يمشي أمام القوم ، بل (**إِنْ كَانُوا ثَلاَثَةً مَشَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً قَدَّمَ بَعْضَهُمْ**) ، وكانت أصحابه لا تمشي خلفَه ، بل يمينَه وشمالَه وأمامَه ؛ يفعل ذلك تواضعاً لله تعالىٰ واستكانة ، وليطَّلع علىٰ حركات أصحابه وسكناتهم ؛ فيعلِّمَهم آداب الشريعة ، ولتخلىٰ ظهره

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ نَعْلَيْهِ . . بَدَأَ بِٱلْيُمْنَىٰ ، وَإِذَا خَلَعَ . . خَلَعَ ٱلْيُسْرَىٰ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . أَدْخَلَ رِجْلَهُ ٱلْيُمْنَىٰ .

وَكَانَ يُحِبُّ ٱلتَّيَمُّنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَخْذاً وَعَطَاءً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ . . . .

للملائكة ، ويوافق هذا الخبرَ قولُه في الخبر المار : « كان يسوق أصحابه قُدَّامه » .

(وَ) روىٰ أبو يعلىٰ ، والطبراني في « الكبير » ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا لَبِسَ نَعْلَيْهِ بَدَأَ بِٱلْيُمْنَىٰ**) ـ أي : بإنعال الرجل اليمنىٰ ـ ، (**وَإِذَا خَلَعَ خَلَعَ ٱلْيُسْرَىٰ**) ـ أي : بدأ بخلعها لتمكث اليمين لابسةً بعدها زمناً ، إذِ اللُّبْس تكريمٌ ؛ فاليمين أولىٰ به ـ .

(**وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ أَدْخَلَ رِجْلَهُ ٱلْيُمْنَىٰ ، وَكَانَ يُحِبُّ ٱلتَّيَمُّنَ**) ـ أي : الابتداء باليمين ـ (**فِي كُلِّ شَيْءٍ**) من باب التكريم ؛ (**أَخْذاً وَعَطَاءً**) .

قال النَّووي : قاعدة الشرع المستمرَّةُ : استحبابُ البُداءة باليمين في كلِّ ما كان من باب التكريم ، وما كان بضدِّه فاستُحبَّ فيه التياسُر . ويدلُّ لذلك ما رواه أبو داود ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : « كانت يدُ رسول الله ﷺ اليمنُ لطهوره وطعامه ، وكانت اليسرىٰ لخلائه وما كان من أذىً » . انتهىٰ .

فإذا أراد أن يَدْهَن أو يَمْشُط أَحبَّ أن يبدأ بالجهة اليمنىٰ من الرأس ؛ أو اللحية ، وإذا أراد لبس النعل !! أحبَّ أن يبدأ بالرجل اليمنىٰ ، فكان يُحِبُّ التيمُّن في طهوره وترجُّله وتَنَعُّلِه ، وفي شأنه كلِّه . وإنَّما أَحَبَّه !! لأنَّه كان يُحبُّ الفأل الحسن ، ولأن أصحاب اليمين أهلُ الجنة . انتهىٰ « باجوري » .

(وَ) روىٰ الترمذيُّ في « الشمائل » ؛ (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) ؛ واسمه عبد الرحمن بن صخر ـ علىٰ الأصحِّ ؛ من نحو ثلاثين قولاً ـ وهو دوسي من الأزد .

وكُنِّي « أبا هريرة » ! لهرَّة صغيرة كان يحملُها ويحسن إليها .

قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِي فِي . . . .

وكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث وروايةً له .

نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية ، وقدم المدينة ورسولُ الله ﷺ بخيبر ؛ فأسلم سنة سبع ـ بتقديم السين على الموحدة ـ، ولزم صحبة النبي ﷺ ، وكان يدورُ مع النبي ﷺ حيث دار .

وروى عنه خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثاً ؛ اتفق الشيخان منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين حديثاً ، وانفرد البخاري بثلاثة وعشرين ، وانفرد مسلم بمائة وتسعة وثمانين حديثاً .

روى عنه من الصحابة والتابعين أكثر من ثمانمائة رجل ؛ منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وآخرون. قال ابن تيميّة : صحب النبي ﷺ أقل من أربع سنين ، فأخبارُه كلُّها متأَخِّرة . انتهى .

وولي إمرة المدينة مدَّة ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه ليِّن العريكة مشغولاً بالعبادة ؛ فعزله . وأراده بعد زمن على العمل ؛ فأبى . وكان أكثر مُقامه بالمدينة المنورة ، وتوفِّي بها . وكان متصدِّراً للفتيا .

وقد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءاً سماه « فتاوى أبي هريرة » رضي الله تعالى عنه . ولعبد الحسين شرف الدين كتابٌ في سيرته ؛ وقد طبع .

وكانت وفاته سنة : ـ ٥٩ ـ تسع وخمسين ـ بتقديم المثناة على السين المهملة ـ رضي الله عنه ونفعنا بعلومه . آمين .

(**قال : مَا رَأَيْتُ**) ؛ أي : علمتُ . ويصحُّ كونه بمعنى : أبصرت ، والأول أبلغُ (**شَيْئاً**) ـ تنوينه للتنكير ـ (**أَحْسَنَ**) ـ صفة « شيئاً » على كون الرؤية « بصرية » ، ومفعول ثان على كونها « عِلْمية » ـ (**مِنْ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ**) ، والمراد منه : نفيُ كون شيءٍ أحسن منه ﷺ ، والمعنى أنَّه أحسنُ مما عداه .

(**كَأَنَّ**) ـ بتشديد النون ـ (**ٱلشَّمْسَ**) ؛ أي : شعاعها (**تَجْرِيْ فِي**

وَجْهِهِ ، وَلاَ رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّمَا ٱلأَرْضُ تُطْوَىٰ لَهُ ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا ، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ .

وَجْهِهِ) ؛ أي : لأن لَمَعان وجهه وضَوْءَهُ يشبهُ لَمَعَان الشمس وضَوْءَها ، فيكون قد شَبَّه لمعانَ وجهه الشريف وضَوْءَهُ بلمعانها وضَوْئِها ، وهذا مما فيه المشبَّهُ أبلغُ من المشبَّه به ؛ كما في قوله تعالىٰ ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ [٣٥/ النور] .

وقصد الراوي بذلك إقامةَ البرهان علىٰ أحسنِيَّته ، وخَصَّ الوجه ! لأنه هو الذي تظهر فيه المحاسن ، ولكون حُسْن البدن تابعاً لحسنه غالباً .

(وَلاَ رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ) ـ بكسر فسكون للهيئة ، وفي نسخة [مَشْياً][1] بلفظ المصدر ؛ وهو بفتح الميم بلا تاءٍ ، أي : في كيفية مَشْيِه ـ (مِنْ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ ؛ كَأَنَّمَا ٱلأَرْضُ) ـ بالرفع ـ (تُطْوَىٰ لَهُ) ؛ أي : تجمع وتجعل مطوِيَّة تحت قدميه .

وَمَرَّ أَنَّه مع سرعة مشيه كان علىٰ غاية من الهون والتأنِّي وعدم العجلة .

وأفاد بقوله « له » أنها لا تُطوَىٰ لمن يماشيه ؛ كما أوضحه بقوله :

(إِنَّا) ـ بكسر الهمزة ؛ استئناف مبين ـ (لَنُجْهِدُ) ـ قال الجزري : بضمِّ النون وكسر الهاء ، ويجوز فتحهما ؛ أي : إنا لنُتعِب (أَنْفُسَنَا) ونوقِعُها في المشقَّة في سيرنا معه ﷺ ، والمصطفىٰ كان لا يقصد إجهادهم ، وإنَّما كان طبعُه ذلك ، كما يدلُّ عليه قوله (وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ) ؛ أي : والحال أنَّه ﷺ لَغَير مبال بحيث لا يجهد نفسه ، بل يمشي علىٰ هينته ؛ فيقطع من غير جهد ما لا نقطع بالجهد .

ومعنىٰ الخبر : أنَّه إذا مشىٰ بالعادةِ ما قدرنا أن نلحقه مسرعين في المشي ، ولو كنا مجتهدين في ذلك . واستعمال « مكترث » في النفي هو الأغلبُ ، وفي الإثبات قليلٌ شاذٌّ .

---

(١) أُضيفت للإيضاح .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوراً ، فَكَانَ إِذَا مَشَىٰ فِي ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ . . لاَ يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ .

وَكَانَ وَجْهُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيراً .

(وَ) في « المواهب » : قال ابن سَبُع : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ نُوْراً ، فَكَانَ إِذَا مَشَىٰ فِي ٱلشَّمْسِ وَٱلقَمَرِ لاَ يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ**) ، لأن النور لا ظلَّ له .

قال غيرُ ابنِ سبع : ويشهدُ له قوله ﷺ في دعائه « وَٱجْعَلْنِي نُوراً » ؛ أي : والنورُ لا ظلَّ له . وقد روىٰ الترمذي الحكيم ؛ عن ذكوان أبي صالح السَّمان مرسلاً . أنَّه لم يكن له ﷺ ظلٌّ في شمس ولا قمر . انتهىٰ ؛ أي : لأنَّه كان نوراً ، كما قال ابن سبع .

وقال رزين : لغلبة أنواره . قيل : وحكمة ذلك صيانتُه عن أن يطأ كافر علىٰ ظِلِّه . وإطلاق الظلِّ علىٰ القمر مجازٌ ، لأنَّه إنما يقالُ له « ظلمة القمر ونوره » .

وفي « المختار » : ظِلُّ الليل : سواده ، وهو استعارة ، لأنَّ الظل حقيقةً ضوءُ شعاع الشمس ؛ دون السواد ، فإذا لم يكن ضوء ؛ فهو ظلمة لا ظلّ . انتهىٰ من « شرح المواهب » مع المتن .

(وَ) روىٰ مسلم في « صحيحه » ؛ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالىٰ عنه قال له رجل : (**كَانَ وَجْهُهُ ﷺ**) مثل السيف ! فقال جابر : بل (**مِثْلَ ٱلشَّمْسِ**) في مزيد الإشراق والإضاءة ؛ لكنَّه ليس مثلَها في كونه لا يُستطاع النظرُ إليه ، ولذا قال : (**وَٱلقَمَرِ**) في الحسن والملاحة وقوَّة النظر إليه ، ولَمَّا كان قد يتوهَّم عدمُ استدارته ؛ قال : (**وَكَانَ**) ؛ أي : وجهه (**مُسْتَدِيْراً**) ، وفيه رَدٌّ علىٰ من قال : كان وجهُه مثل السيف . فأراد أن يزيل ما توهَّمه القائل من معنىٰ الطول الذي في السيف إلىٰ معنى الاستدارة التي في القمر . وصرَّح بهذا ؛ وإن عُلم بالتشبيه بالقمر !! لمزيد الردِّ وللتأكيد ، ولئلا يتوهَّم أَنَّ التشبيه من حيث الإشراقُ والنور ؛ لا من جهة الاستدارة أيضاً .

وَعَنِ ٱلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ . أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروايةُ البخاري و« الشمائِل » بلفظ : كان وجه رسول الله ﷺ مثلَ السيف . قال : لا ؛ بل مثل القمر .

(وَ) روىٰ الشيخان : البخاريُّ ومسلم ، والترمذي في « الشمائل » ؛

(**عَنِ ٱلبَرَاءِ**) ـ بفتح الموحدة وتخفيف الراء والمدِّ ؛ علىٰ وزن سحاب ، وحُكيَ فيه القصر ـ كنيته : أبو عمارة .

ولد عامَ ولادةِ ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهم ، وأوَّل مشهد شهده الخندقُ ، وهو من المشاهير ، نزل الكوفة وافتتح الري .

ومات بالكوفة أيَّامَ مصعب بن الزبير سنة : اثنتين وسبعين هجرية .

(**ابنِ عَازِبٍ**) ـ بمهملة وزاي مكسورة ؛ علىٰ وزن فاعل ـ وهو أنصاريٌّ أَوسي ، وكلٌّ من البراء وأبيه صحابيٌّ (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالىٰ عَنْهُمَا** ؛ **قَالَ** :

مَا رَأَيْتُ) ـ أي : أبصرت ـ (**مِنْ ذِيْ لِمَّةٍ**) ؛ أي : صاحب لِمَّة ـ بكسر اللاَّم وتشديد الميم والجمع لِمَم ـ ، سُمِّيَت « لِمَّة » لأنَّها تُلِمُّ بالمنكبين ، إذ هي الشعر المتجاوز شحمة الأُذُن مع الوصول إلىٰ المنكب ، لأنَّها تطلق ١ ـ علىٰ الواصل إليها ؛ وهو المسمَّى بـ « الجُمَّة » ، و٢ ـ علىٰ غيره وهو المسمَّىٰ بـ « الوَفرة » . وهذا علىٰ القول الأول في تفسير اللِّمَّة .

وأما علىٰ القول الثاني ! فالظاهر أَنَّه محمولٌ علىٰ حالة تقصير الشعر ـ كما سبق ـ أي : ما رأيت صاحب لِمَّة حال كونه (**فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُوْلِ ٱللهِ** ﷺ) ؛ ولا مِثله ، فهو أحسنُ صورةً . و« مِن » زائدة لتأكيد العموم .

والحُلَّة : ثوبان ، أو ثوب له ظِهارة وبِطانة ؛ كما في « القاموس » . ولا يُشترط أن يكون الثوبان من جنسٍ ، خلافاً لمن اشترط ذلك .

سُمِّيت « حُلَّة » !! لحلول بعضها علىٰ بعض ، أو لحلولها علىٰ الجسم ؛ كما في « المشارق » .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ ، وَإِذَا ضَحِكَ . . يَتَلأْلأُ فِي ٱلْجُدُرِ .

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ . . . .

وهذا الحديثُ احتجَّ به إمامُنا لحِلِّ لُبس الأحمر ؛ ولو قانياً ـ أي ـ شديد الحمرة ، غير أنه قد يخصّ بلُبسه أهل الفسق ؛ فحينئذ يحرم لُبسه ، لأنه تشبُّهٌ بهم ، ومَن تشبَّه بقوم فهو منهم ؛ كما في « الذخيرة » .

وأخطأ مَن كَرِه لبسه مطلقاً . ومنع لبسه ابن القَيِّم في « الهَدْي النبوي » ، وأجاز لبسه القاضي محمد بن علي الشوكاني في « نيل الأوطار » رحمهم الله تعالىٰ . آمين .

(وَ) في « الشفاء » وشرحِه للشيخ ملاَّ علي قاري الحنفي رحمه الله تعالى : (**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُوْلِ ٱللَّهِ ﷺ**) ـ والمساواة منفيَّةٌ أيضاً بالمشاهدة العرفية ـ (**كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِيْ فِي وَجْهِهِ**) ؛ أي : يتوهَّج كتوهُّج الشمس لحُسْنه وصفائه وبهاء ضيائه ، (**وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلأْلأُ**) بهمزتين ؛ أي : تلمع ثناياه كاللآلي (**فِي ٱلْجُدُرِ**) ـ بضمتين ـ : جمع الجدار ؛ وهو حائط الدار ، وأما الجَدْر ـ بفتح فسكون ـ فهو الحاجز الذي يحبس الماء ، كما في حديث : « اِسْقِ يَا زُبَيْرُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْجَدْرَ » ، وليس مفرداً بمعنى الجدار كما تُوُهِّم . أي : أن نور وجهه الشريف يشرق إشراقاً يصل إلى الجدران المقابلة له ، كما يكون ذلك من الشمس والقمر . وقيل : إنَّه من نور يخرج من بين ثناياه وفمِه ؛ إذا ٱفْتَرَّ وتبسَّم . ففي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه : يكادُ يتلألأُ في الجُدُر . فتفاوته بحسب الأوقات ، وبحسب خِفَّة ضَحِكه وشدَّته . أو ما هنا محمول على المبالغة على تقدير « تكاد » . انتهى الشهاب الخفاجي ؛ على « الشفاء » .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن حبان ، والبيهقي .

(**وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ**) ـ بفتح الميم وإسكان المهملة وفتح الموحدة ومهملة ـ

فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : أَجْمَلُ ٱلنَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلاَهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ .

الخزاعيّة : التي كانت نازلة بخباء في طريق المدينة المنورة ، وقد نزَل عليها النبي ﷺ في هجرته لَمَّا خرج من غار ثور (**فِي بَعْضِ مَا**) أي : كلامٍ (**وَصَفَتْهُ بِهِ**) في حديثها الطويل ، الذي رواه البغوي ، وابن شاهين ، وابن السَّكَن ، والطبرانيُّ ، وابن منده ، والبيهقيُّ وغيرهم ؛ من طريق حرام بن هشام بن حبيش ؛ عن أبيه ؛ عن جدِّه : حبيش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن حرام الخزاعي ؛ ويقال له حبيش الأشعري ؛ وهو لقب والده خالد ، وحبيش : أخو أمِّ معبد ؛ واسمها : عاتكة بنت خالد ، لها صحبة (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا**) ، ولأخيها حبيش صحبةٌ أيضاً رضي الله عنه . وأورده ابن السَّكَن ؛ من حديث أم معبد نفسها . فقال حرام بن هشام بن حبيش بن خالد : سمعت أبي يحدِّث عن أمِّ معبد ـ وهي عمَّتُه ـ . . . فساق القصَّة . وقصَّتُها معه مشهورةٌ مرويَّةٌ من طرق عديدة تعضدُها وتصحِّحها ، وكان زوجُها أبو معبد غائباً وهو صحابيٌّ قديمُ الوفاة رضي الله تعالى عنه ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها إيَّاه ؛ فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوَضاءة ، أبلجَ الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه مَخْلَة ، ولم تزرِ به صعلة ، وسيم ، قسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته صَحَل ، وفي عنقه سَطَع ، وفي لحيته كثافة ، أقرن ، إنْ صمتَ ؛ فعليه الوقار ، وإن تكلَّم سَمَاه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنُه من قريب . . . إلى آخر ما قالته في نعته من كلام بليغ ؛ مشروح في السِّيَر . فقوله : « في بعض ما وصفته به »؛ أي في بعض كلام وصفته به . وأقحم لفظ « بعض »! إشارة إلى أنَّه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره ؛ من قصَّة الشاة وغيرها ، واقتصر هنا على قوله : (**أَجْمَلُ ٱلنَّاسِ**) ؛ أي أتمُّهم جمالاً وحُسناً صورياً (**مِنْ بَعِيدٍ** ، **وَأَحْلاَهُ**) ؛ أي : أحلى الناس .

وأُفرد لأنَّه اسمُ جنسٍ فَرُوعي لفظه دون معناه . وكذا قوله (**وَأَحْسَنُهُ**) .

وفي بعض النسخ : « وأحلاهم وأحسنهم » (**من قريب**) ، أي : تبيُّن حلاوةُ ملاحتهِ ، وطراوة فصاحته .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ ؛ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ ٱلْقَمَرِ ، فَلَهُوَ عِنْدِي . . . .

(و) روى البيهقيُّ في « الدلائل » ، والترمذيُّ في « الشمائل » ؛ (عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ) بن جنادة بن جندب بن حجير بن رباب بن حبيب بن سُوَاء ـ بالمدِّ وضمِّ السين ـ ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس عيلان ـ بالعين المهملة ـ ابن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان السُّوائي ، وهو وأبوه صحابيّان (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا) .

رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستَّةٌ وأربعون حديثا ؛ اتفق البخاري ومسلم على حديثين ، وانفرد مسلم بثلاثةٍ وعشرين حديثاً ، روىٰ عنه جماعاتٌ من التابعين ؛ منهم عبد الملك بن عمير ، وعامر بن سعد ، والشعبيُّ ؛ توفي سنة : ست وستين . روينا في « صحيح مسلم » ؛ عن جابر بن سَمُرة قال : واللهِ ؛ لقد صليت مع رسول الله ﷺ أكثر من ألفي صلاة . انتهى .

(قَالَ) ؛ أي : جابر : (رَأَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ) ـ بالتنوين ـ (إِضْحِيَانٍ) ـ بكسر الهمزة وسكون الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة وتخفيف التحتية ، وفي آخره نون منونة ـ أي : ليلة مقمرة من أوَّلها إلى آخرها .

قال في « الفائق » : يقال « ليلة إضحيان » ، و «إضحيانة » ، و «ضحيا » ، وهي المقمرة من أوَّلها إلى آخرها . قال : وإفعلان في كلامهم قليلٌ جدّاً . انتهى . والقياس : إضْحانة ، وكأنه لتأويل الليلة بالليل !! .

(وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ) ؛ أي : والحال أن عليه حُلَّةً حمراء ، فالجملة حاليّة ، والقصدُ بها بيانُ ما أوجب التأمُّل وإمعان النظر فيه من ظهور مزيد حُسنه ﷺ حينئذ ، (فَجَعَلْتُ) ؛ أي : فصرت (أَنْظُرُ إِلَيْهِ) ؛ أي : إلى وجهه تارة (وَ) أنظر (إِلَىٰ ٱلْقَمَرِ) تارةً أُخرى ، (فَلَهُوَ عِنْدِيْ) ؛ أي : فوالله لَوجهُه عليه الصلاة والسلام

أَحْسَنُ مِنَ ٱلْقَمَرِ . وَمَعْنَىٰ (إِضْحِيَانٍ) : مُقْمِرَةٌ .

وَسَأَلَ رَجُلٌ ٱلْبَرَاءَ بنَ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ؟ قَالَ : لاَ ، بَلْ مِثْلَ ٱلْقَمَرِ .

عندي (أَحْسَنُ مِنَ ٱلْقَمَرِ) ؛ فهو جوابُ قسمٍ مقدَّر ، والتقييد بالعندية !! لافْتخاره باعتقاده هذه القضية ؛ لا لتخصيصه ، فإنَّ ذلك عند كلِّ أحد رآه كذلك .

وإنَّما كان ﷺ أحسنَ !! لأن ضوءَه يغلب على ضوء القمر ، بل وعلى ضوء الشمس ، ففي روايةٍ لابن المبارك وابن الجوزي : لم يكن له ظلٌّ ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه على ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلاَّ غلب ضوؤُه على ضوء السراج .

(وَمَعْنَىٰ) قوله (إِضْحِيَانٍ) ـ بكسر الهمزة وسكون الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة وتخفيف التحتية وفي آخره نون منونة ـ : (مُقْمِرَةٌ) من أوَّلها إلى آخرها ؛ كما قاله الزمخشري .

(وَ) روى البخاريُّ في « صحيحه » ، والترمذي في « الشمائِل » ـ واللفظ له ـ عن أبي إسحاق السبيعي قال : (سَأَلَ رَجُلٌ ٱلبَرَاءَ بنَ عَازِبٍ) هو وأبوه صحابيان (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنهُمَا) ـ وتقدَّمت ترجمته قريباً ـ :

(أَكَانَ وَجْهُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ ؟!) أي : في الاستنارة والاستطالة ، فالسؤال عنهما معاً . (قَالَ : لا) أي : ليس مثل السيف في الاستنارة والاستطالة ، (بَلْ مِثْلَ ٱلقَمَرِ) المستدير الذي هو أنور من السيف ، لكنه لم يكن مستديراً جدّاً بل كان بين الاستدارة والاستطالة ، وكونه ﷺ أحسنَ من القمر لا ينافي صحَّة تشبيههِ به في ذلك ، لأن جهات الحسن لا تنحصر ، على أن التشبيه بالقمر ، أو بالشمس ؛ أو بهما إنما هو عَلى سبيل التقريب والتمثيل ، وإلاَّ ! فلا شيء يعادلُ شيئاً مِن أوصافه ﷺ ، إذ هي أعلى وأجلُّ من كلِّ مخلوق ، وكما أنَّ وجهه أبهىٰ من الشمس والقمر ؛ فنور قلبه أعظمُ ضياءً منهما ، فلو كَشَفَ الحقُّ عن مشارق أنوار قلبه لانْطوى نور الشمس والقمر في مشرقات أنوارها ، وأين نور القمرين من نوره !! فالشمس يطرأُ عليها الكسوف والغروب ، وأنوار قلوب الأنبياء لا كسوف لها

وَكَانَ لَوْنُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِٱلأَسْمَرِ ، وَلاَ بِٱلشَّدِيدِ ٱلْبَيَاضِ .

ولا غروب . ونور الشمس تُشهَد به الآثار ، ونور القلب يُشهَد به المؤثِّر ، لكن لا بدَّ للشمس من سحاب ؛ وللحسناء من نقاب !! .

إن شَمْسَ ٱلنَّهَارِ تَغْرُبُ بِٱللَّيْـ ـلِ وَشَمْسُ ٱلْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيْبُ

(**وَكَانَ لَوْنُهُ ﷺ أَزْهَرَ**) ؛ أي : أبيض بياضاً نيِّراً مشرقاً ، لأنه مشرَّب بحمرة وقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض ؛ منهم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو جحيفة : ووهب بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبَّاس ، وهند بن أبي هالة ، والحسن بن علي ، وأبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، ومُحَرِّش الكعبي[1] ، وعبد الله بن مسعود ، والبراء بن عازب ، وعائشة ، وأبو هريرة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأنس في رواية جميع أصحابه عنه ما عدا حُميداً ؛ فقال : أسمر . قال الحافظ العراقي : انفرد بها حُمَيد عن أنس ، ورواه غيره من الرواة عنه ؛ فقال : أزهر اللون . فهؤلاء ستَّةَ عشر صحابياً وَصَفوه بالبياض . وقد مرَّت روايةُ بعضهم ، وستأتي روايةُ بعضهم . وما فسَّرنا به الأزهر ، من كونه أبيض . . . الخ هو ما قاله الأكثر . لكن قال السُّهَيلي : الزُّهرة ـ في اللغة ـ : إشراقٌ في اللون بياضاً ؛ أو غيره .

(**وَلَمْ يَكُنْ بِٱلأَسْمَرِ**) الشديد السُّمرة ؛ وهو المعبَّر عنه بالآدم ، وإنَّما يخالط بياضَه الحمرةُ ، لكنَّها حمرةٌ بصفاءٍ . فيصدق عليه أنَّه أزهر .

(**وَلاَ بِٱلشَّدِيْدِ ٱلْبَيَاضِ**) ، وهو المعبَّر عنه بـ« ـالأمهق » ؛ رواه البخاريُّ والترمذيُّ ؛ من حديث أنس بلفظ : «أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم» . . الحديث ، ورواه الترمذي في « الشمائل » عن هند بن أبي هالة « أزهر اللون واسع الجبين » . . . الحديث . وقد تقدَّم .

---

(١) تأتي روايته وترجمته بعد عدة صفحات فقط .

وَنَعَتَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَىٰ ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ....

(وَنَعَتَهُ عَمُّهُ) شقيق أبيه (أَبُوْ طَالِبٍ) ـ واسمُه : عبدُ مناف بن عبد المطلب ؛ والدُ عليٍّ رضي الله عنه وإخوتِه : الحارث ، وجعفرٍ ، وعقيل ـ (فَقَالَ) في قصيدة لاميَّة طويلة أكثر من ثمانين بيتاً ؛ ذكرها ابن إسحاق بطولها .

(وَأَبْيَضَ) ـ بفتح الضاد ، مجرورٌ بـ« رُبَّ » مقدَّرةً ؛ كما صدر به الحافظ كالكرماني والسيوطي ، وجزم به في « المغني » . أو منصوب ، قال الحافظ ابن حجر : بإضمار « أعني » أو « أخصُّ » . قال : والراجح أنَّه بالنصب عطفاً على « سيِّداً » المنصوب في البيت قبله وهو :

وَمَــا تَــرْكُ قَــوْمٍ لاَ أَبَــا لَــكَ سَيِّــداً يَحُــوطُ ٱلــذِّمَــارَ غَيْــرَ ذَرْبٍ مُــوَاكِــلِ

انتهى .

وبه قطع الدَّماميني في « مصابيحه » ، وردَّ به على ابن هشام ، واستظهره في « شرح المغني » ، وقال : هو من عطف الصفات التي موصوفها واحد ، أو هو مرفوعٌ خبرُ مبتدإٍ محذوف ؛ قاله الكرماني ، وأفاده القُسطُلاَّني عن ضبط الشرف اليونيني في نسخته من البخاري ؛ أي : هو أبيضُ ؛ ذكره الزرقاني في « شرح المواهب » ، في الجزء الأول ، واقتصر في موضع آخر من الجزء الرابع على النصب ؛ مصدِّراً به والرفع ، وردَّ الجر . والله أعلم .

وفي رواية بدل « وأبيض » و« أَبْلَجَ » من البَلَج ـ بفتحتين ـ وهو : نقاء ما بين الحاجبين .

(يُسْتَسْقَىٰ) ـ بالبناء للمفعول ـ (ٱلْغَمَامُ) : السحاب (بِوَجْهِهِ) أي : يُطلب السقي من الغمام بوجهه ، والمراد ذاته ، أي : يتوسَّل إلى الله به . وهذا قاله عن مشاهدة لذلك ، لما رأى في وجهه من مخايل ذلك ؛ وإن لم يشاهده كما أبداه بعضهم احتمالاً ، وجزم به آخر فإنَّه عجب .

. . . . ثِمَالَ ٱلْيَتَامَىٰ عِصْمَةً لِلأَرَامِلِ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ ٱللَّوْنِ ، كَأَنَّ عَرَقَهُ ٱللُّؤْلُؤُ ، إِذَا مَشَىٰ . تَكَفَّأَ . وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . .

(**ثِمَالَ ٱلْيَتَامَىٰ**) ـ بكسر المثلثة وخِفَّة الميم ـ هو : العماد والملجأ ، والمطعِم والمغيث ، والمعين والكافي . (**عِصْمَةً لِلأَرَامِلِ**) ؛ أي : يمنعهم مما يضرُّهم ؛ جمع أرملة ؛ وهي الفقير التي لا زوج لها . قال الدماميني : هو بنصب « ثمالَ » ؛ و« عصمةً » ويجوز رفعُهما على أنهما خبَرًا محذوفٍ . زاد القُسْطُلأَني : وبجرِّهما على أن « أبيضَ » مجرورٌ . انتهى ؛ ذكره الزرقاني على « المواهب » رحمه الله تعالى .

(وَ) روى مسلم في « صحيحه » ؛ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسولُ الله (ﷺ **أَزْهَرَ اللَّوْنِ**) ؛ أيْ : نيِّرَه وحَسَنَهُ . وفي « الصحاح » كغيره : الأبيض المشرق ، وبه أو بـ« الأبيض المنير » فسَّره عامَّة المحدِّثين ؛ حَمْلاً على الأكمل ، أو لقرينة . ولعل مَن فسَّره بالأبيض الممزوج بحُمرةٍ نظر إلى المراد بقرينة الواقع . قال محقق : والأشهر في لونه أنَّ البياض غالب عليه ؛ لاسيما فيما تحت الثياب ، لكن لم يكن كالجصِّ ، بل نيِّر ممزوج بحمرة غير صافية ، بل مع نور كدر ؛ كما في « المغرب » . ولهذا جاء في روايةٍ « أسمر » ، وبه يحصل التوفيق بين الروايات ؛ ذكره المناوي في « كبيره » . وقال العزيزي : قال العلقمي : هو الأبيضُ المستنير المشرق ، وهو أحسنُ الألوان ، أي : ليس بالشديد البياض .

(**كَأَنَّ**) ـ بالتشديد ـ (**عَرَقَهُ**) ـ بالتحريك ـ : ما يترشَّح من جلد الإنسان (**ٱللُّؤْلُؤُ**) في الصفاء والبياض ، (**إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ**) ـ بالهمز ، ودونه ـ قال الأزهري : معناه أنَّه يميل إلى سَنَنِه وقصد مشيه . وقال في « الدر » : تكفَّأَ ؛ أي : تمايل إلى قُدَّام ـ بالتشديد ـ كالسفينة في جريها ، وقال المناوي : أي : يسرع كأنَّه يميل تارة إلى يمينه وأخرى إلى شماله انتهى « عزيزي » .

(وَ) في « الإحياء » ـ وعزاه في شرحه ؛ إلى « دلائل النبوة » للبيهقي ـ ؛ عن عائِشة رضي الله تعالى عنها ، ورواه أبو نعيم عنها قالت : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ** ﷺ

أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً وَأَنْوَرَهُمْ ، لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ إِلاَّ شَبَّهَهُ بِٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ .

وَكَانُوا يَقُولُونَ : هُوَ كَمَا وَصَفَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ . . . . . .

أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهاً وَأَنْوَرَهُمْ) . روى البخاريُّ ومسلمٌ ؛ من حديث البراء : كان أحسنَ الناس وجهاً وأحسنَهم خَلْقاً . . . الحديث ، وللترمذيِّ وابنِ ماجه ؛ من حديث أنس : كان أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس . (**لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ إِلاَّ شَبَّهَهُ بِٱلقَمَرِ**) . وإنما اختير على الشمس !! لأنه يُتمكَّن من النظر إليه ويؤنس مَن شاهده من غير أذىً يتولَّد عنه ، بخلاف الشمس ؛ لأنها تُغشي البصر ، وقال : (**لَيْلَةَ ٱلبَدْرِ** !!) لأنَّ القمر فيها في نهاية إضاءته وكماله . رواه البيهقي في « الدلائل » ؛ من حديث أبي إسحاق الهَمْداني عن امرأة من همدان سَمَّاها ؛ قالت : حججتُ مع رسول الله ﷺ مَرَّات فرأيتُه على بعيرٍ له يطوف بالكعبة بيده مِحْجَن ، عليه بُردان أحمران . . . الحديث . وفيه قال : قال أبو إسحاق : فقلت لها : شَبِّهيه فقالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أَرَ قبلَه ولا بعده مثله . انتهى . وقولها : « مرَّات »!! قال الزرقاني . كذا هنا !! فلعلها قبل الهجرة ، إذ لم يحجَّ بعد الهجرة سوى حجة الوداع . وقوله[1] : « فرأيته على بعير له » ؛ أي : في حجة الإسلام ؛ كما في الزرقاني على « المواهب » .

(وَ) في « الإحياء » ـ وهو مَعْزُوٌّ إلىٰ « دلائل النبوة » أيضاً ؛ من تتمة الحديث السابق ـ : (**كَانُوا يَقُوْلُونَ : هُوَ كَمَا وَصَفَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيْقُ**) .

واسمه : عبد الله بن أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمير بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مُرَّة بن كعب .

وأمُّ أبي بكر ؛ أمُّ الخير بنتُ صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

---

(١) هكذا في الأصل : وصوابه (وقولها . . .) .

. . . .

أسلم أبو [أبي][1] بكر وأمُّه وصحبا رسول الله ﷺ . قال العلماء : لا يُعرف أربعةٌ متناسلون ؛ بعضهم من بعض صحبوا رسولَ الله ﷺ إلاَّ آلُ أبي بكر الصديق ؛ وهم عبد الله بن أسماءَ بنتِ أبي بكر بن أبي قحافة ؛ فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون . وأيضا أبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله تعالى عنهم .

ولَقَبُ أبي بكر « عتيقٌ » ! لعتقه من النار ، وقيل : لحسن وجهه وجماله .

وروى الترمذي بإسناده ؛ عن عائِشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أَبُو بَكْرٍ عَتِيْقُ ٱللهِ مِنَ ٱلنَّارِ » فمن يومئذ سُمِّي « عتيقاً » .

وأجمعت الأمة علىٰ تسميته « صِدِّيقاً » . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنَّ الله تعالىٰ هو الذي سمَّىٰ أبا بكر علىٰ لسان رسول الله ﷺ صدِّيقاً ، وسبب تسميته أنَّه بادر إلىٰ تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق ، فلم يقع منه هَنَاة ؛ ولا وقفة في حال من الأحوال .

وكانت له في الإسلام مواقفُ رفيعة ؛ منها : قصته صبيحةَ الإسراء ، وثباتُه وجوابه للكفَّار في ذلك ، وهجرته مع رسول الله ﷺ ، وترك عياله وأطفاله ؛ وملازمته في الغار وسائر الطريق ، ثُمَّ كلامُه يومَ بدر ، ويوم الحديبية حين اشتبه الأمر علىٰ غيره في تأخُّر دخول مكَّة ، ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ « إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ ٱللهُ بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ ٱللهِ » ، ثم ثباته في وفاة رسول الله ، وخطبتُه الناس وتسكينُهم ، ثم قيامُه في قصة البيعة لمصلحة المسلمين ، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلىٰ الشام وتصميمُه في ذلك ، ثم قيامُه في قتال أهل الردَّة ؛ ومناظرتُه للصحابة حتَّىٰ حجَّهم بالدلائل ، وشرح الله صدورهم لما شرح الله صدره من الحق ؛ وهو قتال أهل الردة ، ثم تجهيزُه الجيوش إلىٰ الشام لفتوحه وإمدادهم بالإمداد ، ثم ختم ذلك بمهمٍّ من أحسن مناقبه وأَجَلِّ فضائله ؛ وهو استخلافه علىٰ

---

(١) أُضيفت لضرورةِ صحّة المعنى ، وليست في الأصل .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَمِيـنٌ مُصْطَفَـىٰ لِلْخَيْـرِ يَـدْعُـو كَضَـوْءِ ٱلْبَـدْرِ زَايَلَـهُ ٱلْغَمَـامُ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ ، . . . . .

المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتفرُّسُه فيه ووصيته له ، واستيداعه الله الأُمَّة ، فخَلَفه الله فيهم أحسنَ الخلافة ، وظهر لعمر ـ الذي هو حَسَنة من حسناته ؛ وواحدة من فَعَلاتِهِ ـ تمهيدُ الإسلام وإعزازُ الدين ، وتصديق وعد الله تعالىٰ بأن يظهره علىٰ الدين كلّه ، وكم للصديق من مواقفَ وآثارٍ !! ومَن يُحصي مناقبه ويحيط بفضائله غيرُ الله عزَّ وجلَّ !! .

وكانت ولادته بعد الفيل بثلاث سنين تقريباً بمكَّة المكرَّمة ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة : ثلاث عشرة من الهجرة ، وعمره : ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ، ومدَّة خلافته : سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر .

رُوي له عن النبي ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخاريُّ بأحد عشر ، ومسلم بحديث .

وسبب قلَّة روايته مع تقدُّم صحبته وإسلامه وملازمته للنبي ﷺ !! أنَّه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناءِ التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها .

(**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) وأرضاه (**حَيْثُ يَقُوْلُ**) :

أَمِيْـنٌ مُصْطَفَـىٰ لِلْخَيْـرِ يَـدْعُـوْ كَضَـوْءِ ٱلْبَـدْرِ زَايَلَـهُ ٱلغَمَـامُ)

وقوله (**زَايَلَهُ ٱلْغَمَامُ**) أي : فارقه ، فالبدر أَضوأُ ما يكون إذ ذاك .

(**وَ**) روىٰ الترمذي في « الشمائل » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صِيْغَ**) ؛ من الصوغ ـ بالغين المعجمة : بمعنىٰ صُنْع الحلي والإيجاد ـ أي : سُبك وصُنع (**مِنْ فِضَّةٍ**) باعتبار ما كان يعلو بياضَه ﷺ من النور والإضاءة ، وفيه إيماءٌ إلىٰ تماسُك أجزائه وتناسب أعضائه ، ونورانيَّة وجهه وسائر بدنه . وفي رواية لأحمد : فنظرتُ إلىٰ ظهره كأنَّه سبيكةُ

رَجِلَ ٱلشَّعْرِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً .

فضة . وسيأتي . وعُلم من ذلك أن المرادَ أنَّه كان نيِّر البياض (رَجِلَ) ـ بكسر الجيم وتسكن ـ (ٱلشَّعْرِ) ؛ أي : لم يكن قَطَطاً ؛ ولا سَبْطاً . قال القرطبي : كأَنَّ شعره من أصل الخلقة مُسَرَّحاً . انتهىٰ .

(وَ) روىٰ مسلمٌ ، والترمذي في « الشمائِل » ـ واللفظ لـ « الشمائل » ـ عن سعيد الجريري ؛ قال : سمعتُ أبا الطفيل يقول : رأيتُ النبي ﷺ وما بقيَ علىٰ وجه الأرض أحدٌ رآه غيري . قلتُ : صِفْهُ لي . قال :

(كَانَ ﷺ أَبْيَضَ) ؛ أي : بياضاً مشرَّباً بحمرة ؛ لا خالصاً كالبهق ، لأنه لا جمال فيه (مَلِيْحاً) ؛ أي : حسناً جميلاً ، لأنَّه كان أزهرَ اللون ، وهذا غايةُ الملاحة ، فلم يقارب جمالَه أحدٌ . وما أُعطي يوسف !! إنَّما هو جزء مما أُعطي رسول الله ﷺ . (مُقَصَّداً) ـ بتشديد الصاد المفتوحة ؛ علىٰ أنه اسم مفعول من باب التفعيل ـ أي : متوسِّطاً . يقال رجل مقصَّداً ؛ أي : متوسط ، كما يقال رجل قَصْد ؛ أي : وسط ، قال تعالىٰ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل/٩] أي : وسطه . والمراد أنه ﷺ متوسِّطٌ بين الطول والقِصَر ، وبين الجسامة والنحافة ، بل جميع صفاته علىٰ غاية من الأمر الوسط ، فكان في لونه وهيكله ؛ وشعره وشرعه مائلاً عن طرفي الإفراط والتفريط . وأمته وسط بين الأمم . وكان في قواه كذلك ؛ فكان معتدل القُوىٰ ، واعتدالُها : أن لا يخرج إلىٰ حدِّ الإفراط والتفريط ، ألاَ ترىٰ أن اعتدال قوىٰ العقل يُعبَّر عنه بالفطنة والكياسة !! فإن مالت عن الاعتدال إلىٰ طرف الإفراط سُمِّي : مكراً وخداعاً ، أَو إلىٰ التفريط سُمي : بَلَهاً وحُمْقاً . وكذا اعتدال قوَّة الغضب ، فإنه يُعبَّر عنه بالشجاعة ، فإن مالت إلىٰ طرف الإفراط سُمي : تهوُّراً ، أو التفريط سُمي : جُبْناً . وكذا اعتدال قوَّة الشهوة يعبَّر عنه بالعفة ، فإن مالت إلىٰ الإفراط سُمي : شَرَهاً ؛ أو التفريط سمي : خُموداً . فالطرفان في سائر الأخلاق مذمومان ، والاعتدال هو الوسط محمودٌ . فحُفِظ ﷺ في ذلك كلِّه من

وَمَعْنَى (ٱلْمُقَصَّدِ) : ٱلْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ ٱلطُّولِ وَٱلْقِصَرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَباً بَيَاضُهُ بِحُمْرَةٍ ، وَكَانَ أَسْوَدَ ٱلْحَدَقَةِ ، أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ ، ضَخْمَ ٱلْهَامَةِ ،

محذورَيْ الإفراط والتفريط . انتهىٰ « مناوي ، وباجوري » .

وقد رویٰ هذا الحديث أبو داود بلفظ : كان أبيضَ مليحاً ، إذا مشىٰ كأنما يهوِي في صبوب . ورواه مسلم أيضاً بلفظ : كان أبيض مليحَ الوجه .

(**وَمَعْنَىٰ ٱلمُقصَّدِ**) ـ بالتشديد ـ : (**ٱلمُتَوَسِّطُ بَيْنَ ٱلطُّوْلِ وَالقِصَرِ**) يعني : ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا قصير ، كأنَّه نُحِي به القصد من الأمور . قال البيضاوي: المقَصَّد : المقتصد . يريد به المتوسِّط بين الطويل والقصير ؛ والناحل والجسيم .

(وَ) روىٰ البيهقيُّ في « الدلائل » ؛ عن أمير المؤمنين علي بن أبيَ طالب رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ أَبْيَضَ مُشْرَباً**) ـ بالتخفيف والتشديد ـ (**بَيَاضُهُ بِحُمْرَةٍ**) ، أي : يخالط بياضَه حمرةٌ ؛ كأنه سُقي بها .

(**وَكَانَ أَسْوَدَ ٱلحَدَقَةِ**) ـ بفتحات ـ أي : شديد سواد العين ، (**أَهْدَبَ**) ـ بالدال المهملة ـ (**ٱلأَشْفَارِ**) جمع شُفْر ـ بالضم ويفتح ـ: حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر ؛ أي : طويل شعر الأجفان كثيراً .

(وَ) روىٰ البيهقي في « الدلائل » ؛ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه وكرَّم وجهه في الجنة ؛ قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **أَبْيَضَ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ**) ـ بالتخفيف من الإشراب ، و [مُشَرَّباً] بالتشديد من التشريب ـ يقال : بياض مُشْرَب بحمرة ـ بالتخفيف ـ فإذا شُدِّد كان للتكثير والمبالغة ، فهو هنا للمبالغة في البياض ، لأن الإشراب خلطُ لون بلون ؛ كأنَّ أَحد اللونين سقىٰ الآخر .

(**ضَخْمَ ٱلهَامَةِ**) ـ بالتخفيف ـ أي : عظيم الرأس ، لأن الهامة هي الرأسُ ، وعِظَمه ممدوح محبوب ، لأنه أعونُ علىٰ الإدراكات ونيل الكمالاتِ .

أَغَرَّ أَبْلَجَ ، أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ . وَمَعْنَى (ٱلأَغَرِّ) : اَلصَّبِيحُ .
وَ(ٱلأَبْلَجِ) : اَلْحَسَنُ ٱلْمُشْرِقُ ٱلْمُضِيءُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ عِبَادِ ٱللهِ عُنُقاً ، لاَ يُنْسَبُ إِلَىٰ ٱلطُّولِ وَلاَ إِلَىٰ ٱلْقِصَرِ ، مَا ظَهَرَ مِنْ عُنُقِهِ لِلشَّمْسِ وَٱلرِّيَاحِ فَكَأَنَّهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ مُشَرَّبٌ ذَهَباً ، يَتَلأْلأُ فِي بَيَاضِ ٱلْفِضَّةِ وَفِي حُمْرَةِ ٱلذَّهَبِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِ ٱللهِ شَفَتَيْنِ . . . .

(أَغَرَّ) ؛ أي : صبيحاً ، (أَبْلَجَ) أي : مشرقاً مضيئاً . وقيل : الأبلج : خالي الشعر بين الحاجبين ، فليس بأقرن الحاجبين ، لأن العرب تمدح بعدم القَرَن .

(أَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ) ؛ أي : أنَّ لأشفارِهِ هُدْباً ؛ أي : شعراً أطول من غيره ، أخذاً من أفعَل التفضيل ، وحذف العاطف فيه وفيما قبله !! ليكون أدعىٰ إلىٰ الإصغاء إليه ، وأَبعثَ للقلوب علىٰ تفهُّم خطابه . فإِنَّ اللفظ إذا كان فيه نوعُ غرابة وعدمُ أُلفة أصغىٰ السمع إلىٰ تدبُّره والفكر فيه ، فجاءت المعاني مسرودة علىٰ نمط التعديد ؛ إشعاراً بأن كُلاً منها مستقلٌّ بنفسه ؛ قائم برأسه ، صالح لانفراده بالغرض .

(وَمَعْنَىٰ ٱلأَغَرِّ : ٱلصَّبِيْحُ . وَ) معنىٰ (ٱلأَبْلَجِ : ٱلحَسَنُ ٱلمُشْرِقُ ٱلمُضِيْءُ .) وقيل : الأبلجُ : نقيُّ ما بين الحاجبين من الشعر ـ كما تقدَّم ـ .

(وَ) في « الإحياء » ـ وعزاه في « شرحه » إلىٰ البيهقي في « دلائل النبوة » ـ ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ أَحْسَنَ عِبَادِ ٱللهِ عُنُقاً ؛ لاَ يُنْسَبُ إِلَىٰ ٱلطُّوْلِ وَلاَ إِلىٰ ٱلقِصَرِ ، مَا ظَهَرَ مِنْ عُنُقِهِ لِلشَّمْسِ وَٱلرِّيَاحِ ؛ فَكَأَنَّهُ إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ مُشَرَّبٌ ذَهَباً ، يَتَلأْلأُ فِي بَيَاضِ ٱلفِضَّةِ وَفِي حُمْرَةِ ٱلذَّهَبِ) ، وما غَيَّبَتِ الثيابُ من عنقه وما تحته ! فكأنَّه القمرُ ليلةَ البدر . هذا تمام الكلام ، والحديث طويل جداً ، ساقه في « شرح الإحياء » بطوله . وهو مشتمل علىٰ نفائس من أوصافه ﷺ .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ) رسول الله (ﷺ مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِ ٱللهِ شَفَتَيْنِ ،

وَأَلْطَفِهِمْ خَتْمَ فَمٍ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيضَ ٱلصَّدْرِ لاَ يَعْدُو لَحْمُ بَعْضِ بَدَنِهِ بَعْضاً ؛ كَٱلْمِرْآةِ فِي ٱسْتِوَائِهَا ، وَكَٱلْقَمَرِ فِي بَيَاضِهِ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاَثُ عُكَنٍ يُغَطِّي ٱلإِزَارُ مِنْهَا وَاحِدَةً .

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ ....

وأَلْطَفِهِمْ خَتْمَ فَمٍ) . رواه البيهقي في « دَلائِل النبوة » ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها ، وهو من جملة الحديث الطويل الذي تقدَّمت الإشارة إليه .

(**وَ**) في « الإحياء » أيضاً : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **عَرِيْضَ ٱلصَّدْرِ ، لا يَعْدُوْ لَحْمُ بَعْضِ بَدَنِهِ بَعْضاً ؛ كَٱلمِرْآةِ فِي ٱسْتِوَائِهَا ، وَكَٱلقَمَرِ فِي بيَاضِهِ**) .

قال في « شرحه » : رواه البيهقي ؛ من حديث عائِشة رضي الله تعالىٰ عنها بلفظ : وكان عريضَ الصدر ممسوحَهُ كأنّه المرآة في سُمُوتها واستوائها ، لا يعدو بعض لحمه بعضاً ، علىٰ بياض القمر ليلة البدر . وهو من جملة الحديث الطويل الذي تقدمَتْ مِنه جُمَل . وفي سنده نظر .

(**وَ**) في «الإحياء » أيضاً : (**كَانَ لَهُ** ﷺ **ثَلاَثُ عُكَنٍ**) ـ العكن : جمع عُكنة بالضم ؛ طيّة من طيات البطن ـ (**يُغَطِّي ٱلإِزَارُ مِنْهَا وَاحِدَةً**) ، وتظهر اثنتان .

قال في « شرحه » : رواه البيهقيُّ ؛ من حديث عائِشة رضي الله تعالىٰ عنها ، إلاَّ أَنَّه قال : يغطي الإزار منها اثنتين وتظهر منها واحدة . ومنهم مَن قال : واحدة وتظهر اثنتان . ثم قال : تلك العُكَن أبيض من القَبَاطي المطواة ، وألينُ مَسّاً .

(**وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ**) ـ بهمزة في آخره ـ ، لا خلاف بين أهل اللغة والأسماء ، وكلُّهم مصرِّحون به .

واسم أم هانىء : فاختة بنت أبي طالب أختُ علي بن أبي طالب لأبويه رضي الله تعالى عنها ، وهذا هو المشهور في اسمها . وقيل : اسمها هند ، قاله

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ ذَكَرْتُ ٱلْقَرَاطِيسَ ٱلْمَثْنِيَّةَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ .

وَعَنْ مُحَرِّشٍ ٱلْكَعْبِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : ٱعْتَمَرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْجِعْرَانَةِ . . . .

الإمامان الشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهما . وقيل : فاطمة ؛ حكاه ابن الأثير .

أسلمت عام الفتح ، وكانت تحت هبيرة بن عمرو ؛ فولدت له عَمْراً وهانئاً ويوسف وجعدة . وهرب زوجُها إلىٰ نجران ففرَّق الإسلام بينهما ؛ فعاشت أَيِّماً ، وماتت بعد سنة أربعين من الهجرة ؛ بعد قتل أخيها عليِّ بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهما .

روت عن النبي ﷺ ستة وأربعين حديثاً (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ؛ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ إِلاَّ ذَكَرْتُ ٱلقَرَاطِيْسَ ٱلمَثْنِيَّةَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ**) .

(**وَ**) أخرج الإمام أحمد ابن حنبل (**عَنْ مُحَرِّشٍ**) ـ بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الراء الثقيلة ومعجمة ـ ضبطه ابن ماكولا ؛ تبعاً لهشام بن يوسف ويحيى بن معين . ويقال : بسكون الحاء المهملة وفتح الراء ، وصوَّبه ابن السكن ؛ تبعاً لابن المديني كما في « الإصابة » ، وزاد في « التبصير » : وقال ابن سعد مُخَرِّش ـ بالخاء المعجمة ـ . وقال بعضهم : مهملة . وقال الزمخشري : الصواب بالخاء المعجمة . انتهىٰ . وفي « الجامع » لابن الأثير : ويقال : مِحْرَش ؛ بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الراء مخففة وشين معجمة .

قال في « الإصابة » : وهو ابن سويد بن عبد الله بن مُرَّة الخزاعي (**الكَعْبِيِّ**) عداده في أهل مكة . وقيل : إنه ابن عبد الله . انتهىٰ (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) .

قَالَ : اعْتَمَرَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ مِنَ ٱلجِعْرَانَةِ) ـ بكسر الجيم وسكون العين المهملة وتخفيف الراء ـ وهو الأشهر وصوَّبه النووي في « تهذيبه » ، ونقله عن الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ؛ وأئمةِ اللغة ، ومحَقّقي المحدِّثين ، و[الجعِرَّانة] بكسر المهملة وتشديد الراء ، وعليه عامَّة المحدِّثين ، لكن عَدَّه الخطَّابي من تصحيفهم .

وقال صاحب « المطالع » : كلا اللُّغتين صوابٌ :

لَيْلاً فَنَظَرْتُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ : . . . .

موضع مشهورٌ بين الطائف ومَكَّة ؛ وهو إليها أقربُ ، إذ بينهما ثمانية عشر ميلاً ؛ علىٰ ما قاله الرافعي والباجي المالكي وتبعهما الإسنوي . واثنا عشر ؛ علىٰ ما قاله الفاكهي والأسدي وغيرهما . ورجَّحه الفاسي بعد تحريره ، فبينها وبين الحرم من جهتها نحو ثلاث أميال .

سُمِّيت « جعرانة » !! باسم امرأة من تميم ، وقيل : من قريش . وهي المشار إليها بقوله تعالىٰ ﴿ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ [٩٢/ النحل] وبها ماء شديد العذوبة .

قال الفاكهي : يقال إنه ﷺ حفر موضِعَه بيده الشريفة المباركة فٱنبجس فشرب منه ، وسقىٰ الناسَ . أو غرز رمحَه فنبع . قال الواقدي كمجاهد : وإحرامه ﷺ بها من المسجد الأقصىٰ الذي تحت الوادي بالعدوة القصوىٰ (لَيْلاً) . قال الواقدي : وكانت ليلة الأربعاء لثنتَيْ عشرة بقين من ذي القعدة . انتهىٰ .

(فَنَظَرْتُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ) ، فاعتمر وأصبح بها كبائِتٍ . هذا بقية الحديث . وأخرجه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي بإسناد حسن . قال الترمذي : ولا يُعرَف له غيره . انتهىٰ « زرقاني » .

(وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ) اللدنية بالمنح المحمَّدية » للعلامة القُسْطُلاَّني ؛ (عَنْ مُقَاتِلِ بنِ حَيَّانَ) ـ بمهملة فتحتية مشددة ـ النَّبَطي ـ بفتح النون والموحدة ـ المفسِّر أبي بسطام البلخي الخزاز ـ بمعجمة وزايين ـ كما ضبطه الزرقاني علىٰ «المواهب».

وهو مولىٰ بكر بن وائل . وهو من تابعي التابعين ، صدوق فاضل . روىٰ عن سالم بن عبد الله ، وعكرمة « مولىٰ ابن عباس » وعطاء بن أبي رباح ، وأبي بردة بن أبي موسىٰ ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وأبي الصديق الناجي ، وشهر بن حوشب ، وعبد الله بن بُرَيدة ، والضحَّاك بن مزاحم وغيرهم .

ورَوَىٰ عنه علقمة بن مَرثد ، وعَتَّاب بن محمد ، وأبو جعفر الرازي ،

قَالَ : أَوْحَىٰ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : « اِسْمَعْ وَأَطِعْ ، يَا ٱبْنَ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبِكْرِ ٱلْبَتُولِ ، إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَإِيَّايَ فَٱعْبُدْ ، وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ ، فَسِّرْ لِأَهْلِ سُورَانَ إِنِّي أَنَا ٱللهُ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لاَ أَزُولُ ، صَدِّقُوا ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ صَاحِبَ ٱلْجَمَلِ وَٱلْمِدْرَعَةِ ، وَٱلْعِمَامَةِ وَٱلنَّعْلَيْنِ وَٱلْهِرَاوَةِ ، . . . .

وعبد الله بن المبارك ، وخلائق غيرهم . واتفقوا علىٰ توثيقه والثناءِ عليه .

وروَىٰ له مسلم وأصحاب « السنن » ، وأخطأ الأزدي في زعمه « أنَّ وكيعاً كَذَّبه » ، وإنَّما كذَّب مقاتل بن سليمان !! . مات قبل الخمسين ومائة هجرية بأرض الهند .

(**قَالَ : أَوْحَىٰ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ**) المسيح (**عِيسَىٰ**) ابنِ مريم ـ علىٰ نبينا و (**عَلَيْهِ**) الصلاة (**وَٱلسَّلاَمُ**) ـ : جِدَّ في أمري ولا تهزلْ و (**ٱسْمَعْ وَأَطِعْ ؛ يَا ٱبْنَ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلبِكْرِ ٱلبَتُوْلِ**) : المنقطعة عن الرجال ؛ (**إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً**) : علامة دالَّة علىٰ قدرتي (**لِلْعَالَمِيْنَ**) الإنس والجن والملائكة حيث خلقتك من غير فحل ، (**فَإِيَّايَ فَٱعْبُدْ**) لا غيري ، (**وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ**) ؛ لا علىٰ غيري ، (**فَسِّرْ لأَهْلِ سُوْرَانَ**) ـ بالسريانية ـ : بلِّغ مَن بين يديك (**إِنِّي أَنَا ٱللهُ ٱلحَيُّ**) الدائم البقاء ، (**ٱلقَيُّوْمُ**) : المبالغُ في القيام بتدبير خلقه ، (**ٱلَّذِي لا أَزُوْلُ ، صَدِّقُوْا ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ**) العربيَّ (**صَاحِبَ ٱلجَمَلِ وَٱلمِدْرَعَةِ**) ـ بكسر الميم ـ أي : القتال والملاحم ؛ كما في « السَّامي في الأسماء » ؛ وإن كانت في الأصل كالدَّرَّاعة ثوب ، ولا يكون إلاَّ من صوف ؛ كما في « القاموس » ؛ كذا في الزرقاني .

وقال المصنِّفُ النبهاني في كتاب « الأسمىٰ » : صاحب المدرعة هي نوع من الثياب ، ولا تكون إلاَّ من الصوف ، وهي علامة التواضع ولُبس الصالحين . انتهىٰ .

(**وَٱلعِمَامَةِ وَٱلنَّعْلَيْنِ وَٱلهِرَاوَةِ**) ـ بكسر الهاء ثم راء فألف فواو فتاء تأنيث ـ :

ٱلْجَعْدَ ٱلرَّأْسِ ، ٱلصَّلْتَ ٱلْجَبِينِ ، ٱلْمَقْرُونَ ٱلْحَاجِبَيْنِ ، ٱلأَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ ، ٱلأَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ ، ٱلأَقْنَىٰ ٱلأَنْفِ ، ٱلْوَاضِحَ ٱلْخَدَّيْنِ ، ٱلْكَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ ، . . . .

العصا مطلقاً ، أو الضخمة .

(ٱلْجَعْدَ ٱلرَّأْسِ) ـ بفتح الجيم وسكون العين ـ أي : جعودة متوسِّطة ، فلا يخالف قول أنس في « الصحيحين » والترمذي « ليس بالجعد القَطَطِ ، ولا بالسَّبِط » القَطَط ، بفتحتين : الشديد الجعودة كالسودان ، والسَّبْط ـ بفتح فكسر أو سكون ـ : المنبسط المسترسل الذي لا تكسُّر فيه ، فهو متوسِّط بين الجعودة والسبوطةِ .

(ٱلصَّلْتَ) : الواضح (ٱلْجَبِينِ ، ٱلْمَقْرُونَ ٱلْحَاجِبَيْنِ) .

وفي « شرح الإحياء » : المفروق الحاجبين . وهو الموافق لرواية ابن أبي هالة ، وزيادة جملة وهي « الأنجل العينين » .

(ٱلأَهْدَبَ ٱلأَشْفَارِ ، ٱلأَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ) ـ بمهملة وجيم ـ أي : الشديد سواد الحدقة مع سَعَتها ، فلا يشكل بأنه « أشكل » ، لأن الشُّكْلة في البياض ؛ لا في السواد .

(ٱلأَقْنَىٰ ٱلأَنْفِ) ـ بقاف فنون ـ مخففاً من القنى . وفُسِّر في « النهاية » بالسائل الأنف المرتفع وسطه مع أَحْدِ يَدابه وارتفاع أعلاه .

(ٱلْوَاضِحَ ٱلْخَدَّيْنِ) أي : ليس فيهما نُتُوءٌ ؛ ولا ارتفاع ، فهو كقول هند : « سهل الخدين » .

(ٱلْكَثَّ ٱللِّحْيَةِ) ـ بفتح الكاف ومثلثة ـ: غير دقيقها ولا طويلها وفيها كثافة ؛ كما في « النهاية » . وفي « التنقيح » : كثير شعرها غير مسبلة . واللِّحية ـ بكسر اللام وفتحها ؛ وهو لغة الحجاز ـ : الشعر النابت على الذقن خاصَّة .

(عَرَقُهُ) ـ بالتحريك ـ : ما يرشح من جلده (فِيْ وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ) في الصفاء والبياض ، وفي « شرح الإحياء » : كأنه اللؤلؤ . وللبيهقي ؛ عن عائشة رضي الله

وَرِيحُ ٱلْمِسْكِ يَنْفَحُ مِنْهُ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ » .

قَوْلُهُ : (صَلْتُ ٱلْجَبِينِ) : وَاضِحُهُ .

وَ(أَدْعَجُ ٱلْعَيْنَيْنِ) : شَدِيدُ سَوَادِ ٱلْعَيْنِ .

وَ(أَقْنَىٰ ٱلأَنْفِ) : طَوِيلُهُ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ ، فِي وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرْتِفَاعٍ .

قَالَ ٱبْنُ ٱلأَثِيرِ : ....

تعالى عنها : كان يخصف نعله وكنت أغزل ؛ فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولَّد نوراً .

(**وَرِيْحُ ٱلمِسْكِ يَنْفَحُ**) ـ بفتح الفاء ـ أي : يهبُّ (**مِنْهُ**) ويظهر رائحته ، (**كَأَنَّ عُنُقَهُ**) ـ بضم المهملة والنون وتسكن ـ (**إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ**) ؛ صفاءً وطولاً متوسطاً لا مفرطاً . قال في « شرح الإحياء » : رواه البيهقي في « دلائل النبوة » .

(**قَوْلُهُ** : **صَلْتُ ٱلجَبِيْنِ**) معناه : (**وَاضِحُهُ**) . وقوله (**أَدْعَجُ ٱلعَيْنَيْنِ**) معناه : (**شَدِيْدُ سَوَادِ ٱلعَيْنِ**) من الدَّعَج ـ بفتحتين ـ أي : مع اتساعها ؛ كما في « الصحاح » وغيره . وفي « النهاية » : الدَّعَج : السَّواد في العين وغيرِها . وقيل : شِدَّة بياض البياض وسوادِ السواد .

(**وَ**) قوله (**أَقْنَىٰ ٱلأَنْفِ**) معناه : (**طَوِيْلُهُ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ**) ؛ أي : طرفه ، (**فِي وَسَطِهِ بَعْضُ ٱرْتِفَاعٍ**) وهو المعبَّر عنه بالاحديداب .

هذا ؛ وما وصفه به ابن أبي هالة في الحديث المتقدِّم في قوله : « سوابغ من غير قرن » مخالفٌ لما هنا في حديث مقاتل بن حيان من قوله : « المقرون الحاجبين » ، ومخالف لما في حديث أم معبد فإنَّها قالت : « أحور أكحل ، أزجُّ أقرن » أي : مقرون الحاجبين !! .

(**قَالَ**) العلاَّمة الحافظ مجد الدين (**ٱبْنُ ٱلأَثِيْرِ**) أبو السعادات مبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري .

ولد بجزيرة ابن عمر سنة : ـ ٥٤٤ ـ أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها ، ثم

وَٱلصَّحِيحُ فِي صِفَةِ حَوَاجِبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ .

انتقل إلى الموصل ، وأنشأ رباطاً بقرية قرب الموصل تسمى « قصر حرب » . وكان أشهرَ العلماء ذكراً ، وأكثر النبلاء قدراً .

وله المصنفات البديعة منها « جامع الأصول » و« النهاية في غريب الحديث » ، و« الإنصاف في الجمع بين « الكشف » و« الكشاف » » ، و« المصَفَّىٰ المختار في الأدعية والأذكار » ، و« البديع شرح « الفصول » في النحو » ، و« الشافي » شرح « مسند الشافعي » ، وكتاب لطيف في صنعة الكتابة .

توفي في ذي القعدة سنة : ـ ٦٠٦ ـ ست وستمائة هجرية رحمه الله تعالى .

قال في « النهاية » : (**وَٱلصَّحِيحُ فِي صِفَةِ حَوَاجِبِهِ ﷺ أَنَّهَا سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ**) ؛ كما وصفه به ابن أبي هالة . وقال غير ابن الأثير : إنه المشهور ، وأن قولَ الحسن : « سأَلتُ خالي هندَ بن أبي هالة ؛ وكان وصَّافاً » رَدٌّ لما جاء بخلافه . وجُمِع على تقدير الصحَّةِ ؛ بأنه بحسب ما يبدو للناظرين مِن بُعدٍ ، أو بلا تأمُّل . وأما القريب المتأمِّلُ فيرى بين حاجبه فاصلاً مستبيناً ، فهو أبلجُ في الواقع ؛ أقرنُ بحسب الظاهر للناظر من بُعدٍ ، أو بلا تأمُّل ؛ كما في وصف أنفه : يحسبه مَن لم يتأمَّله أشمَّ ؛ ولم يكن أشمَّ . وبأن بينها شعراً خفيفاً جداً يظهر إذا وقع عليه الغبار في نحو سفر وحديثها سفري وبأن القرن حدث له بعد ، وكان أوَّلاً بلا قرن ، واستُبْعِد . قال الأنطاكي وغيره : والقَرَن معدود من معايب الحواجب ، والعرب تكرهُه ، وأهل القيافة تذمُّه ، ويستحِبُّون البَلَج خلاف ما عليه العجم . وإذا دقَّقتَ النظر علمتَ أنَّ نظر العرب أدقُّ ، وطبعَهم أرقُّ . انتهى زرقاني على « المواهب » .

قلت: هذا بحسب ما في «المواهب». والذي في «شرح الإحياء»؛ في حديث مقاتل بن حيان : « المفروق الحاجبين » ، وعليه ؛ فهو يوافق كلام الوَصَّاف هند بن أبي هالة ؛ فلتراجع نسخة «دلائل النبوة» للبيهقي التي هي الأصلُ. والله أعلم .

(وَ) روى ابن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم والليلة » ـ كما في المناوي ؛ على « الجامع الصغير » ـ قال : ورواه عنه أيضا الطَّبَراني في « الأوسط » ـ قال الحافظ

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي ٱلْمِرْآةِ . . قَالَ : « اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي سَوَّىٰ خَلْقِي فَعَدَّلَهُ ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَحَسَّنَهَا ، وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَظَرَ فِي ٱلْمِرْآةِ . قَالَ : « اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِي ، وَزَانَ مِنِّي مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي » .

العراقي : وسنده ضعيف . ورواه عنه البيهقي في « الشُّعَب » ، وفيه هاشم بن عيسى الحمصي ؛ أورده الذهبي في « الضعفاء » ، وقال : لا يُعرف ـ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ**) ؛ أي : صورة وجهه (**فِي ٱلمِرْآةِ**) المعروفة ـ بالمدِّ ـ (**قَالَ : « اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِيْ سَوَّىٰ خَلْقِيْ**) ـ بفتح فسكون ـ أي : صورة خلقي (**فَعَدَّلَهُ**) ـ بالتشديد والتخفيف ـ أي : بسبب كونه كرَّم صورته ، (**وَكَرَّمَ صُوْرَةَ وَجْهِيْ فَحَسَّنَهَا**) ؛ فيُسنُّ النظر في المرآة وقولُ ذلك ؛ ولو كانت صورةُ وجهه ليست حَسَنة . لأنَّ المراد الحُسن النسبي بالنسبة لغيره ، (**وَجَعَلَنِيْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِيْنَ**) ليقوم بواجب شكرِ ربِّه تقدَّس .

(وَ) أخرج أبو يعلى ، والطبراني في « الكبير » ـ بسند فيه متروك ؛ كما قال المناوي ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا نَظَرَ فِيْ ٱلمِرْآةِ ؛ قَالَ : « اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِيْ حَسَّنَ**) ـ بالتشديد : فعَّل ـ (**خَلْقِيْ**) ـ بسكون اللام ـ (**وَخُلُقِيْ**) ـ بضمِّها ـ (**وَزَانَ مِنِّيْ مَا شَانَ**) ـ أي : قبح ـ (**مِنْ غَيْرِيْ**) . قال الطيبي : فيه معنى قوله « **بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلاَقِ** » فجعل النقص شَيْناً ؛ كما قال المتنبي :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ عَيْباً كَنَقْصِ ٱلقَادِرِيْنَ عَلَىٰ ٱلتَّمَامِ

وعلى نحو هذا الحمدِ حَمْدُ داود وسليمان ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل] انتهى .

ولعل النبي ﷺ كان يقول هذا مرَّة ؛ وهذا أخرى . فيُندب النظر في المرآة والحمدُ على حُسن الخلق والخلقة ، لأنهما نعمتان يجبُ الشكر عليهما . ويقول :

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَنَا أَشْبَهُ ٱلنَّاسِ بِآدَمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلُقاً » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : . . . .

الحمد لله الذي حسن خُلقي ؛ وإن كان سَيِّءَ الخُلُق ، لأن المراد بالنسبة لمن هو أسوأ منه خُلُقاً . وقد كان ابن عمر يكثر النظر في المرآة . فقيل له ، فقال : انظر فما كان في وجهي زين ؛ فهو في وجه غيري شين أحمدُ الله عليه . انتهى « مناوي وحفني » .

(وَ) في « الإحياء » : (**كَانَ ﷺ يَقُوْلُ : أَنَا أَشْبَهُ ٱلنَّاسِ بِآدَمَ ﷺ ، وَكَانَ أَبِيْ إِبْرَاهِيْمُ**) خليل الرحمن (ﷺ **أَشْبَهَ النَّاسِ بِيْ خَلْقاً**) ـ بفتح الخاء وإسكان اللام ـ (**وَخُلُقَاً**) . بضمتين .

قال في « شرح الإحياء » : رواه البيهقي في « دلائل النبوة » من جملة حديث طويل ، ثم ساق الحديث بطوله بسنده إلى « دلائل النبوة » رحمه الله تعالى .

(وَ) روى مسلم في « صحيحه » ، والترمذي في « الشمائل » ؛ (**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ**) بن عمرو بن حرام ـ بالراء ـ ابن عمرو بن سواد بن سَلِمة ـ بكسر اللام ـ ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة ـ بالسين المهملة ـ ابن تزيد ـ بالتاء المثناة فوق ـ ابن جشم ابن الخزرج الأنصاري الخزرجي السَّلَمي ـ بفتح السين واللام ـ المدني ، الصحابي ابن الصحابي (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا**) يكنىٰ : أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، وقيل : أبا محمد .

كان من كبار الصحابة وفضلائهم . غزا مع النبي ﷺ سبعَ عشرة غزوة .

وهو أحد المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ ، روىٰ عنه ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعين حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومسلمٌ منها على ستين حديثاً ، وانفرد البخاريُّ بستة وعشرين . وانفرد مسلم بمائة وستة وعشرين .

وروى عن أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ وأبي عبيدةَ ومعاذٍ وخالد بن الوليدِ وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ورَوَى عنه جماعات من أئمة التابعين ؛ منهم سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ، ومحمد الباقر ، وعطاء ، وسالم بن أبي الجعد ، وعمرو بن دينار ، ومجاهد ، ومحمد بن المنكدر ، وأبو الزبير ، والشعبي ، وخلائق .

وَٱسْتُشهِد أبوه يوم أحد ؛ فأحياه الله وكلَّمه ، وقال : يا عبد الله ما تريد ؟ فقال : أن أرجع إلى الدنيا مرَّة أخرى فأُسْتَشهَد مرَّة أخرى .

والمعنى : أريدُ زيادةَ رضاك ؛ وهي الشهادة بعد الشهادة ، وهذه المرتبة أعلىٰ مقاماً من حال أبي يزيد حين قيل له : ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد . وقال بعض السادة من أهل السعادة : هذه أيضا إرادة . نَعَم من قال :

« أُرِيْـدُ وِصَـالَـهُ وَيُـرِيْـدُ هَجْـرِي فَـأَتْـرُكُ مَـا أُرِيْـدُ لِمَـا يُـرِيْـدُ »

مستحسنٌ جدّاً ، للحديث القدسي : « تُرِيدُ وَأُرِيْدُ ، وَلاَ يَكُونُ إلاَّ مَا أُرِيْدُ » .

وكانت وفاة جابر بالمدينة المنورة سنة : ثلاث وسبعين ، وقيل : ثمان وسبعين ، وقيل : ثمان وستين ، وهو ابن أربع وتسعين سنة .

وكان ذَهَب بصرُه في آخر عمره ؛ وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة المنورة . وحيث أُطلِق « جابر » في كتب الحديث ؛ فهو جابر بن عبد الله . وإذا أريد جابر بن سمرة ! قُيِّد . رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(**أَنَّ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ قَالَ** : « **عُرِضَ**) ـ بصيغة المجهول ـ (**عَلَيَّ**) ـ بتشديد الياء ـ (**ٱلأَنْبِيَاءُ**) في النوم بأن مُثِّلت له صورهم على ما كانت عليه حال حياتهم ، أو في اليقظة ليلة المعراج ، لأنه رآهم ليلتَه بصورهم الحقيقية التي كانوا عليها حال الحياة ، واجتمع بهم حقيقة في السمٰوات ، وفي بيت المقدس .

ويقرِّب الأوّلَ روايةُ البخاري : « أُرَانِي ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلكَعْبَةِ في ٱلمَنَامِ ؛ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسنِ مَا يُرَىٰ مِنَ ٱلرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنكِبَيْهِ ، رَجِلَ الشَّعَرِ ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، واضِعاً يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنكِبَيْ رَجُلَيْنِ ؛ وَهُوَ يَطُوفُ بِٱلبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَن هٰذا ؟

فَإِذَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ .

قالُوا : ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ » .

ويؤيِّد الثانيَ روايةُ البخاري أيضا : « لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَىٰ . . . » الحديث . وفي ذلك إيماءٌ إلى أفضليته ﷺ حيث لم يقل (عُرِضْتُ عليهم) ، فإنَّهم كالجنود له ، والعسكرُ تُعرض على السلطان ؛ دون العكس . ولهذا قال بعض العارفين : إنَّه ﷺ بمنزلة القلب في الجيش ، والأنبياءُ مقدِّمته ، والأولياء ساقته ، والملائكة يمنة ويسرة متظاهرين متعاونين ، كما قال تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم] . والشياطين قُطَّاع الطريق في الدين ، والمراد بالأنبياء المعنى الأعمُّ الشامل للرسل . (فَإِذَا) ـ للمفاجأة ـ (مُوسَىٰ) على نبينا و(عَلَيْهِ) الصلاة و(ٱلسَّلَامُ) ، وهو عطف على محذوف ؛ أي : فرأيت موسى ؛ فإذا موسى . . . الخ . وموسى معرَّب مُوشَىٰ ـ بشين معجمة ـ سمَّتْه به آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لمَّا وُجد بالتابوت بين ماءٍ وشجر لمناسبته لحاله ، فإنَّ « مو » في لغة القِبْط : الماء ، و« شَىٰ » في تلك اللغة : الشجرُ ، فعُرِّب إلى موسى .

(ضَرْبٌ) ـ بفتح فسكون ـ (مِنَ ٱلرِّجَالِ) ؛ صفة ضرب ؛ أي : نوع كائن من بين الرجال ؛ وهو الخفيف اللحم المستَدِقُّ ، بحيث يكون جسماً بين جسمين ، لا ناحل ولا مطهَّم . (كَأَنَّهُ) ـ أي موسى ـ (مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ) التي هي قبيلة من اليمن ؛ أو من قحطان ، وهي على وزن فَعُولة : تهمز وتسهَّل . قال ابن السِّكِّيْت : ربما قالوا شَنْوَة كنَبْوة . ورجال هذه القبيلة متوسِّطون بين الخِفَّة والسِّمَنِ .

والشَّنوءة ـ في الأصل ـ: التباعد ؛ كما في كلام « الصحاح » .

ومِن ثَمَّ قيل لُقِّبُوا به !! لطهارة نسبهم وجميل حَسَبهم ، والمتبادِرُ أنَّ التشبيه بهم في خِفَّة اللحم ، فيكون تأكيداً لما قبله ، وبياناً له . وقيل : المرادُ تشبيهُ صورته بصورتهم ؛ لا تأكيدُ خِفَّة اللحم ، إذ التأسيس خير من التأكيد .

وقال بعضهم : الأَولىٰ أن يكون التشبيه باعتبار أصل معنىٰ شنوءة ؛ فلا يكون

وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ [عَلِيهِ ٱلسَّلاَمُ] ، فإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ .

تأكيداً لما قبله ؛ ولا بياناً له ، بل هو خبرٌ مستقِلٌ بالفائدة . وإنما لم يشبهه ﷺ بفرد معيَّن ؛ كسيدنا إبراهيم وعيسىٰ !! لعدم تشخُّص فرد معيَّن في خاطره حالَ حكايته ذلك لأصحابه . والله أعلم .

(وَرَأَيْتُ) ـ بصيغة المتكلِّم أي : أبصرت ـ (عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ) بنتِ عمران الصدِّيقة بنصِّ القرآن ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ [المائدة/٧٥] قيل : من ذرية سليمان بينها وبينه أربعة وعشرون أباً ، ورُفع عيسىٰ عليه السلام وسِنُّها ثلاث وخمسون سنة ، وبقيت بعده خمس سنين .

(فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ) ـ بمهملات ـ (ابنُ مَسْعُودٍ) رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ الثقفي ؛ لا الهُذَلي كما وُهِم . وهو أبو مسعود ؛ أو أبو يعفور . وأُمهُ قرشية ؛ وهو الذي أرسلته قريش إلىٰ المصطفىٰ ﷺ يومَ الحديبية فعقد معه الصلح ؛ وهو كافر ، ثُمَّ أسلم سنةَ تسعٍ ـ بتقديم المثناة علىٰ السين المهملة ـ من الهجرة بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف ، واستأذن النبيَّ ﷺ في الرجوع لأهله ؛ فرجع ودعا قومه إلىٰ الإسلام فرماه واحد منهم بسَهْم ؛ وهو يؤذِّنُ للصلاة ؛ فمات ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك : « مَثَلُ عُرْوَةَ مَثَلُ صَاحِبِ يَاسِيْنِ ؛ دَعَا قَوْمَهُ إِلَىٰ ٱللهِ فَقَتَلُوهُ » انتهىٰ . وهو أحد الرجلين اللذين قالوا فيهما ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف]

وحِلْيةُ عروةَ لم تضبط ! ولعلَّه اكتفىٰ بعلم المخاطَبين ؛ فلم يحصل لنا المعرفة بحِلْية عيسىٰ عليه السلام ، لكن في روايةٍ لمسلم : « فَإِذَا هُوَ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ » أي : حمَّام . وفي رواية أخرىٰ : « فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ » فجمع بين الحديثين بأنَّه كان له حمرة وأُدْمة لم يكن شيء منها في الغاية ، فوصفه تارة بالحمرة ؛ وتارة بالأُدْمَة ، وجمع أيضاً بغير ذلك .

ولا يخفى أنَّ « أقربَ » مبتدأٌ ؛ خبرهُ عروةُ بن مسعود . و« من » موصولة وعائدها محذوف ؛ أي : أقرب الذي رأيته ، وبه متعلِّق بـ« شَبَهاً » المنصوب علىٰ

وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ ؛ يَعْنِي نَفْسَهُ .

وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ » .

أنَّه تمييزٌ للنسبة ، وصِلَةُ « القرب » محذوفةٌ أي : إليه أو منه .

(وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ) الخليلَ علىٰ نبينا و(عَلَيْهِ) الصلاةُ و(ٱلسَّلَامُ) قال الماوردي في « الحاوي » : معناه بالسريانية « أب رحيم » ، وفيه خمس لغات بل أكثر : إبراهيم ، وإبراهام ؛ وهما أشهرُ لغاته ، وبهما قرىء في السَّبْع ، وإبراهُم ـ بضم الهاء ، وكسرها ، وفتحها ـ .

(فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ) . ولذلك وَرَد : « أَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ » . (يَعْنِي نَفْسَهُ) ؛ أي : يقصد النبيُّ ﷺ بقوله « صَاحِبُكُمْ » نفسَه الشريفة . وهذا من كلام جابر رضي الله تعالىٰ عنه .

(وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ) ـ كفِعْليل . وفيه ثلاثة عشر وجهاً ؛ بَسَط بعضُهم الكلام عليها . وهو سرياني ؛ معناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . و« إيل » : اسم الله عند الجمهور . وقيل غير ذلك .

ثم قوله « رأيتُ جبريل » معطوفٌ علىٰ قوله « عُرِض عليَّ الأنبياء » عطفَ قصَّته علىٰ قصَّته ، فليس داخلاً في عرض الأنبياء حتىٰ نحتاج إلىٰ جعله منهم تغليباً .

غايةُ الأمر : أنَّه ذكره في سياق الأنبياء مع كونه غيرَ نبي !! لكثرة مخالطته لهم وتبليغ الوحي إليهم ، نظير ما قيل في قوله تعالىٰ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر/ ٣٠ ـ ٣١] انتهىٰ « باجوري ومناوي رحمهما الله تعالىٰ » .

(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ) ـ بكسر الدال المهملة وسكون الحاء المهملة وبالتحتانية المفتوحة ؛ علىٰ ما قاله أكثر أصحاب الحديث وأهل اللغة . وقال ابن ماكولا في « الإكمال » : بفتح الدال ـ .

وهو ابن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبي الصحابي قديماً المشهور ، بل هو من كبار الصحابة .

وَمَعْنَىٰ (ضَرْبٌ) : نَوْعٌ .

وَ(شَنُوءَةُ) : قَبِيلَةٌ مِنَ ٱلْيَمَنِ رِجَالُهَا مُتَوَسِّطُونَ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِعَ ٱلظَّهْرِ ، . . . .

شهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلَّها بعد بدر ، وبايع تحت الشجرة .

وفي « الصحيحين » : كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورته غالباً ، لأنه كان بارعاً في الجمال ؛ بحيث تُضرَبُ به الأمثال . وكان إذا دخل بلداً برز لرؤيته العواتقُ من خدورهن .

نزل الشام وسكن المِزَّة ، وبقي إلىٰ أيام معاوية رضي الله عنه . رَوَىٰ عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث . وحديثُه في « الصحيحين » . وكانت وفاته في سنة : خمس وأربعين تقريباً .

قال جمع من العلماء : وحكمةُ إتيان جبريل في صورته أنَّ القرآن عربيٌّ نزل بلسان عربي مبين ، وعادة العرب قبل الإسلام لا يرسلون إلىٰ ملك رسولاً ؛ إلاَّ مثل دحية في الجمال والفصاحة ، والمصطفىٰ ﷺ أعظم من الملوك ؛ فكان يأتيه في صورته جَرْياً علىٰ عادتهم .

ودِحيةُ هو رسول نبي الله ﷺ إلى قيصر ، فلقيه بحمص ، ثم عاد إليه رضي الله تعالىٰ عنه .

(**وَمَعْنَىٰ ضَرْبٌ**) ـ بفتح المعجمة وسكون الراء وآخره باء موحدة ـ : (**نَوْعٌ**) ؛ كما في « حاشية الباجوري ». (**وَشَنُوءَةُ**) ـ بفتح الشين المعجمة وضمِّ النون ؛ ثم واو ساكنة ثم همزة مفتوحة بعدها تاء ؛ علىٰ زنة : فعولة ـ : (**قَبِيْلَةٌ**) معروفة (**مِنَ ٱلْيَمَنِ**) ـ ومنه أزْد شنوءة ـ (**رِجَالُهَا مُتَوَسِّطُوْنَ**) بين الخِفَّة والسِّمَن ، سُمِّيت به لِشناءَة بينهم ، أو لِتَشَنُّئِهِم : أي : بُعدهم إمَّا من الناس ، أو من الأدناس ، ويرجِّحه قول « الصحاح » : الشنوءة علىٰ وزن فعولة : التعزُّز وهو التباعد ، ومِن ثَمَّ قيل : لُقِّبوا به لطهارة نسبهم وجميلِ حسبهم . انتهىٰ « مناوي » .

(**وَ**) في « الإحياء » : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ وَاسِعَ ٱلظَّهْرِ**) ، وبه فُسِّر « بعيد

مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَهُوَ مِمَّا يَلِي مَنْكِبَهُ ٱلأَيْمَنَ ، فِيهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ ....

ما بين المنكبين » ؛ أي : عريض أعلىٰ الظهر ـ كما تقدَّم ـ، وقد روي « بعيد ما بين المنكبين » في عدَّة أحاديث .

روىٰ الشيخان : البخاريُّ ، ومسلم ؛ من حديث البراء رضي الله تعالىٰ عنه : كان مربوعاً بعيدَ ما بين المنكبين . . . الحديث . وروىٰ البيهقي ، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : « كان بعيد ما بين المنكبين » ، وفي لفظٍ لمسلم : « له شعر يضرب منكبيه ، بعيد ما بين المنكبين » .

(**مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ ٱلنُّبُوَّةِ**) ـ بفتح التاء وكسرها ـ ، والمرادُ به هنا الأثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذي يُختم به ؛ وهو الطابع . وإضافته للنبوة للدَّلالة عليها . (**وَهُوَ مِمَّا يَلِيْ مَنْكِبَهُ ٱلأَيْمَنَ**) ، فالبَيْنِيَّة المذكورة تقريبية . هذا قولٌ ، والصحيح أنَّه كان عند أعلىٰ كتفه الأيسر ؛ قاله السُّهَيلي .

وقد وقع التصريحُ به عند مسلم ، قال : حدَّثَنا حامد بن عمر البكراوي ، وأبو كامل الجحدري ؛ قالا : حدَّثنا حمَّاد بن زيد ؛ عن عاصمٍ الأحولِ ؛ عن عبد الله بن سَرْجِسَ قال : رأيت النبي ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً . وساق الحديث . وفيه : ثُمَّ دُرْتُ خلفه فنظرت إلىٰ خاتم النبوّة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى . . . الحديث .

والسِّر في جَعْله علىٰ الجانب الأيسر : أَنَّ القلب في تلك الجهة ، فجعل الخاتم في المحلِّ المحاذي للقلب . وهل ١ ـ وُلد به ، أو ٢ ـ وضع حين ولد ، أو ٣ ـ عند شقِّ صدره ، أو ٤ ـ حين نُبِّىء !؟ أقوالٌ . قال الحافظ ابن حجر : أَثْبَتُها الثالث . وبه جزم القاضي عياض .

(**فِيْهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ**) ، والشامة : علامةٌ تخالف لونَ البدن التي هي فيه ، جمعه شام وشامات ؛ قاله في « القاموس » . وقال الجوهري : الشام جمع شامة ؛ وهي

تَضْرِبُ إِلَىٰ ٱلصُّفْرَةِ ، حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا مِنْ عُرْفِ فَرَسٍ .
وَكَانَ خَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ ٱلْحَمَامَةِ .

الخالُ ؛ وهي من الياء[1] .

(تَضْرِبُ إِلَىٰ ٱلصُّفْرَةِ ، حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مَتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا مِنْ عُرْفِ) ـ بضم العين وإسكان الراء ـ (فَرَسٍ) ؛ وهو الشعر النابت في مُحَدَّب رقبتها . هكذا رواه ابن أبي خيثمة في « تاريخه » ، إلاَّ أنَّه قال : متركِّبات ، بدل : متواليات ؛ قاله في « شرح الإحياء » . وسيأتي عن الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » رَدُّ هذه الرواية في صفة خاتم النبوة .

(وَكَانَ خَاتَمُهُ ﷺ) ؛ أي : خاتم النبوة الذي بين كتفيه (غُدَّةً) ـ بضم الغين المعجمة وتشديد الدال المهملة ـ وهي ؛ كما في « المصباح » : لحم يحدث بين الجلد واللحم ، يتحرَّك بالتحريم . (حَمْرَاءَ) ؛ أي : مائلة للحمرة ، لئلا ينافي ما ورد في رواية مسلم : أنَّه كان علىٰ لون جسده ﷺ ؛ قاله في « جمع الوسائل » .

وفي الباجوري : قوله حمراء . . . وفي رواية : أَنَّها سوداء ، وفي رواية : أَنَّها خضراء ، وفي رواية : كلون جسده ، ولا تدافع بين هذه الروايات ، لأنَّه كان يتفاوت باختلاف الأوقات ؛ فكانت كلون جسده تارة ، وكانت حمراء تارة . . . وهكذا بحسب الأوقات .

(مِثْلَ بَيْضَةِ ٱلْحَمَامَةِ) . رواه الترمذي في « الشمائل » ؛ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالىٰ عنهما بلفظ : « رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله ﷺ غُدَّةً حمراءَ مثلَ بيضة الحمامة » انتهىٰ .

وفي تحديد خاتم النبوَّة أقوال كثيرة ؛ منها :

جُمْعٌ عليه خِيلان ؛ كأنها الثآليل السود عند نفض كتفه . رواه مسلم ؛ من

---

(١) احترازٌ عن الألف : شأم ، وعن الميم : شَمَم ؛ إذ هي من : شيَم .

. . . .

حديث عبد الله بن سرجس .

وقيل : مثل زر الحجلة . رواه البخاري ؛ من حديث السائب بن يزيد ، وزاد : ويَنمُّ مِسْكاً . ورواه مسلم بلا زيادة .

وقيل : كبيضة الحمام . رواه مسلم ؛ من حديث جابر بن سَمُرة .

وقيل : مثل السلعة . رواه البيهقي ؛ من حديث معاوية بن قُرَّة عن أبيه .

وقيل : شعر مجتمع . رواه الحاكم في « المستدرك » .

وقيل : مثل التفاحة . رواه الترمذي في « الشمائل » ، والبيهقي في « الدلائل » ؛ من حديث إيَاد بن لقيط .

وقيل : مثل بعرة البعير . رواه أيضاً ؛ من حديث أبي رِمْثة ؛ عن أبيه .

وقيل : مثل السلعة . رواه أيضاً ؛ من حديثه ؛ عن أبيه .

وقيل : لحمة ناتئة . رواه أيضاً ؛ من حديث أبي سعيد .

وقيل : بَضعة ناشزة . رواه الترمذي في « الشمائل » .

وقيل : كالبندقة . رواه ابن عساكر في « التاريخ » . زاد الحاكم في « تاريخ نيسابور » : مكتوب فيه باللحم « محمد رسول الله » .

وقيل : كالمحجمة الضخمة . رواه البيهقي ؛ من حديث التنوخي رسولِ هرقل .

وللسهيلي في « الروض » : كأثر المحجم النابضة علىٰ اللحم .

وقيل : شامةٌ خضراء محتفرة في اللحم . رواه ابن أبي خيثمة في « التاريخ » .

وقيل : ثلاث شعرات مجتمعات ؛ نقله القاضي .

وقيل : كبيضة حمام مكتوب بباطنها « الله وحده لا شريك له » ، وبظاهرها « توجَّه حيث كنت فإنَّك منصور » رواه الحكيم الترمذي ؛ في « نوادر الأصول » .

وقيل : كان نوراً يتلألأُ . رواه ابن عائذ .

قال بعض العلماءِ : وليست هذه الروايات مختلفةً حقيقة ، بل كلٌّ شَبَّه بما سَنَح

له . وتلك الألفاظ كلُّها مؤدَّاها واحد ، وهو : قطعة لحم . ومَن قال : شعر ، فلأن الشعر حوله متراكب عليه . كما في الرواية الأخرىٰ . وقال القرطبي : الأحاديث الثابتة تدلُّ علىٰ أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمرَ عند كتفه الأيسر ، إذا قُلِّل جُعل كبيضة الحمامة ، وإذا كُثِّر جُعل كجُمْعِ اليد . وقال القاضي : رواية « جُمع الكَفِّ » تخالف « بيض الحمام » ، و « زر الحَجَلة » فتتأوَّل علىٰ وفق الروايات الكثيرة ، أي : كهيئة الجُمع ؛ لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وأمَّا ما وَرَد أنها كانت كأثر محجم ، أو كشامة خضراء ؛ أو سوداء ، أو مكتوب عليها : « محمد رسول الله » ، أو « سِرْ فأنت منصور » ، أو تضرب إلىٰ الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها عُرف فرس بمنكبه الأيمن ، إلىٰ غير ذلك !! فلم يثبت منه شيء . وتصحيح ابن حبان ذلك وَهَمٌ .

قال الحافظ الهيثمي : مَن روى أنه كان على خاتَم النبوة كتابة : « محمد رسول الله » !! فقد اشتبه عليه خاتم النبوة بخاتم اليد ، إذ الكتابة المذكورة إنما كانت على خاتم اليد ؛ دون خاتم النبوة . انتهى ملخصاً « من شرح الإحياء » ، والمناوي ، والباجوري .

(**وَ**) روى الترمذيُّ في « الشمائِل » ؛ (**عَنْ بُرَيْدَةَ**) ـ مصغّر ـ (**ٱبْنِ ٱلْحُصَيْبِ**) ـ بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة ؛ مصغراً ـ ابن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح الأسلمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو سهل . ويقال : أبو الحُصيب . كان من أكابر الصحابة ، أسلم قبل بدر ؛ ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفَتْح مكة . واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ، وسكن المدينة . وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مرو ؛ فمات بها سنة : اثنتين ـ أو ثلاث ـ وستين هجرية ، وهو آخر مَن مات من الصحابة رضي الله عنهم بخراسان .

رُوي له عن النبي ﷺ مائة وسبعة وستون حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم على

حديث منها ، وانفرد البخاريُّ بحديثين ، وانفرد مسلم بأحد عشر حديثاً .

وروى عنه ابناه عبد الله وسليمان (**رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** ؛ **قَالَ** :

جَاءَ سَلْمَانُ ٱلْفَارِسِيُّ) الصحابي الكبيرُ ، أحد الذين اشتاقت لهم الجنة ـ نسبة لفارس ـ إما لكونه منها ، أو من « أصفهان » ؛ والعرب يسمُّون ما تحت ملوك العجم كلَّه « فارس » ، و« أصبهان » كان منها . ولم يُعلم اسم أبي سلمان ، وسئل عن نَسَبه فقال : أنا سلمان ابن الإسلام :

أَبِـي ٱلإِسْـلاَمُ لاَ أَبَ لِـي سِـوَاهُ ... إِذَا ٱنْتَسَبُـوا لِقَيْـسٍ أَوْ تَمِيْـمِ

ويقال : سلمان الحَبر ـ بالمهملة فالموحدة ، وقيل : بالمعجمة والتحتية [الخير] ـ وهو صحابيٌّ كبير ؛

قيل : عاش مائتين وخمسين سنة ، وقيل : ثلثمائة وخمسين سنة ، والأوَّل أصحُّ ، ومات سنة : ستٍّ وثلاثين . رُوي له سِتُّون حديثاً . وكان قوي الجسم ، صحيح الرأي ، عالماً بالشرائع وغيرها ، وأدرك حواري عيسىٰ ، وقرأ الكتابين ، وأصلُه مجوسيٌّ . وهو الذي دَلَّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار ؛ كلاهما يقول : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ ٱلبَيْتِ » .

وكان عطاؤه خمسة آلاف ؛ يفرِّقُه ويأكل مِن كسب يده يعمل الخُوص ، وله مزيدُ اجتهاد في الزهد ، فإنه مع طول عمره المستلزم لزيادة الحرص لم يزدد إلاَّ زهداً .

وسئل علي كرَّم الله وجهه عنه ؛ فقال : عَلِم العلم الأوَّل والعلم الآخِر ، وهو بحر لا يَنزِف ، وهو منَّا أهل البيت .

قيل : هرب من أخيه ؛ وكان مجوسياً فلحق براهب ، ثم بجماعة من الرهبان

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ ، . . . .

في القدس الشريف ؛ وكان في صحبتهم إلى وفاة آخرهم ، فدلَّه الحبر إلى الحجاز ، وأخبره بظهور النبي ﷺ . فقصد الحجاز مع جمع من الأعراب ، فباعوه في وادي القُرى من يهودي ، ثم اشتراه منه يهوديٌّ آخر من قريظة ؛ فقدم به المدينة ، فأقام بها حتى قَدِمها رسول الله ﷺ ، وكان الراهب قد وصف له بالعلامات الدالَّة على النبوة ، فجاء (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ**) ؛ أي : في السَّنَةَ الأولى من الهجرة (**حِيْنَ**) ـ ظرف لـ« جاء » ـ (**قَدِمَ**) ـ بكسر الدال ـ أي : فجاء حين أوقات قدوم رسول الله ﷺ (**ٱلْمَدِيْنَةَ**) المنوَّرةَ (**بِمَائِدَةٍ**) ـ الباء للتعدية ؛ أو للمصاحبة ـ أي : ومعه مائدة . والمشهور عند أرباب اللغة : أنَّ المائدة خُوَان عليه طعام ، فإذا لم يكن عليه طعام فلا يسمى « مائدة » ، بل يُقال له « خوان » .

فالمائدة من الأشياء التي تختلف أسماؤها باختلاف أوصافها ،

كالبستان ؛ فإنه لا يقال له « حديقة » إلاَّ إذا كان عليه حائط .

وكالقَدَح ؛ فإنَّه لا يقال له « كأس » إلاَّ إذا كان فيه شراب .

وكالدلو ؛ فإنه لا يقال له « سَجْل » إلاَّ إذا كان فيه ماء .

وكالمجلس ؛ فإنه لا يقال له « نادٍ » إلاَّ وفيه أهله .

وكالمرأة ؛ فإنَّه لا يقال لها « ظعينة » إلاَّ ما دامت راكبةَ الهودج .

وكالقِدْح ؛ فإنه لا يقال له « سَهْم » إلاَّ إذا كان فيه نصل وريش .

وكالشجاع ؛ فإنَّه لا يقال له « كَمِيٌّ » إلاَّ إذا كان شاكي السلاح .

وكالخيط ؛ فإنه لا يقال له « سِمْط » إلاَّ إذا كان فيه نظم . وهكذا . . .

وحينئذ فقوله (**عَلَيْهَا رُطَبٌ**) لتعيين ما عليها من الطعام ؛ بناءً على القول بأن الرُّطَب طعام . وعلى القول بأنه من الفواكه ؛ وليس بطعام !! تكون المائدة هنا

فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : « يَا سَلْمَانُ . . مَا هَـٰذَا ؟ » .

مستعارة للظرف ، وإنما سُمِّيت « مائدة » لأنها تَمِيْد بما عليها ؛ أي : تتحرَّك . وقِيل : لأنها تُمِيد مَن حولها مما عليها ، أي : تعطيهم . فهي على الأول من ماد ؛ إذا تحرك ، وعلى الثاني من ماد ؛ إذا أعطى . وربما قيل فيها : مَيدة ؛ كقولِ الراجز :

وَمَيْـــدَةٍ كَثِيْـــرَةِ ٱلأَلْـــوَانِ   تُصْنَـــعُ لِلْجِيْـــرَانِ وَٱلإِخْـــوَانِ

(**فَوُضِعَتْ**) ـ بالبناء للمفعول ـ أي : المائدة (**بَيْنَ يَدَيْ رَسُوْلِ ٱللهِ** ﷺ) قال العراقي في « شرح تقريب المسانيد » : **اعلم** أنَّ ظاهر هذه الرواية أنَّ ما أحضره سلمان كان رُطَبا فقط . وروى أحمد ، والطبراني بإسناد جيد ؛ من حديث سلمان نفسه أنه قال : فاحتطبت حطباً فبعتُه ، فصنعت طعاماً ؛ فأتيت به النبي ﷺ .

وروى الطبراني أيضا بإسناد جيِّد : فاشتريتُ لحمَ جزور بدرهم ؛ ثم طبخته ، فجعلتُ قصعة ثريد فاحتملتها على عاتقي ، ثم أتيت بها ووضعتها بين يديه . فلعل المائدة كان فيها طعام ورُطَب !! .

وأما ما رواه الطبراني ؛ من حديث سلمان أيضا : أنَّها تمرٌ ، فضعيف . ولا مانع من الجمع بين الثلاثة لو صحَّت الرواية ، فتكون المائدةُ مشتملةً على الرطب ، وعلى الثريد ، وعلى اللحم .

وخَصَّ الرطب ؛ لكونه المعْظَمَ . والله أعلم .

(**فَقَالَ** : « **يَا سَلْمَانُ**) ـ ناداه بقوله « يَا سَلْمَانُ » جبراً لخاطره . ولعله ﷺ عَلِم اسمه بنور النبوة ، أو بإخبار مَن حضر ، أو أنَّه لَقِيَه قبل ذلك وعرف اسمه ـ (**مَا هَذَا ؟** ») الذي وضعتَه بين يديَّ ، يعني : أي نوع من الأنواع التي نَوَّع الشرع الأشياء عليها وقسمها إليها : أهو صدقةٌ ، أم هدية ؟! فليس السؤال عن حقيقة المائدة ومفهومها ؛ كما هو المتبادر من التعبير بـ« ما » ، لأنها يُسأل بها عن الحقيقة ، إذ ليس الغرض من بيان حقائِق الأشياء في هذا المقام إلاَّ ما يدور عليه الاعتبار الشرعي ، والشيءُ بدونه كأنَّه لا حقيقة له .

فَقَالَ : صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : « اِرْفَعْهَا ؛ فَإِنَّا لاَ نَأْكُلُ ٱلصَّدَقَةَ » . قَالَ : فَرَفَعَهَا . فَجَاءَ ٱلْغَدَ بِمِثْلِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « مَا هَـٰذَا يَا سَلْمَانُ ؟ » . فَقَالَ : هَدِيَّةٌ لَكَ .

(**فَقَالَ : صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَصْحَابِكَ**) عَبَّر هنا بـ« على » ؛ وباللام فيما يأتي !! لأنَّ المقصود من الصدقة معنى الترحُّم ، ومن الهدية معنى الإكرام ، وشرَّك هنا بينه ﷺ وبين أصحابه ، واقتصر فيما يأتي عليه ﷺ !! إشارة إلى أن الأصحاب يشاركونه في المقصود من الصدقة ، وأنَّه مختصٌّ بالمقصود من الهدية .

(**فَقَالَ : « ارْفَعْهَا**) ـ أي : المائدة ، أو الصدقة من بين يديَّ ، أو : عني . لرواية أحمد ، والطبراني وغيرهما من طرق عديدة ؛ أنَّه ﷺ قال لأصحابه : « كُلُوا » . وأمسكَ يدَه فلم يأكل . قال العراقي : فيه تحريمُ صدقة التطوُّع على النبي ﷺ وهو الصحيح المشهور ـ (**فَإِنَّا لاَ نَأْكُلُ ٱلصَّدَقَةَ** ») . الظاهر اللائق بالمقام أَنَّه أراد نفسه فقط ، وأتى بالنون الدالَّة على التعظيم اللائق بمقامه الشريف !! تحدثاً بالنعمة . أي : أن الصدقةَ لا تليق بجنابه ﷺ لما فيها من معنى التراحم .

(**قَالَ**) ؛ أي : بُريدة بن الحُصيب الراوي للحديث : (**فَرَفَعَهَا**) ـ أي ـ سلمان من عنده ﷺ إلى أصحابه ؛ لا مطلقا ـ كما تقدَّم ـ أو فرفعها بعد فراغهم من أكلها . (**فَجَاءَ**) ـ أي ـ سلمان (**ٱلغَدَ**) ـ بنصب « الغد » ـ (**بِمِثْلِهِ**) ؛ أي : فجاء سلمانُ في الغد بمثل ما جاء به أولاً . أو المراد « من الغد » وقتٌ آخر ؛ وإن لم يكن هو اليوم الذي بعد اليوم الأول .

(**فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُوْلِ ٱللهِ** ﷺ ، **فَقَالَ** « **ما هَذَا يَا سَلْمَانُ** ؟ ») أي : أهو صدقةٌ أم هدية !؟ كما تقدَّم ، وخاطبه باسمه ثانيا تلطُّفاً على مقتضى رسمه .

(**فَقَالَ : هَدِيَّةٌ لَكَ**) . تقدَّم حكمةُ تعبيره هنا باللام وحكمةُ الاقتصار عليه ﷺ .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « أُبْسُطُوا » . . . . .

(**فَقَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ**) ـ أي : بطريق الانبساط ؛ دفعا لوَهَمهم أنَّ هذه مختصَّة له ؛ فليس لهم أن يأكلوا منها ، وإشارة إلى حُسن الأدب مع الخدم والأصحاب ؛ إظهاراً لما أُعْطِيَه من الخُلُق العظيم والكرم العميم ـ (: «**أُبْسُطُوْا**») ـ بهمزة مضمومة فموحَّدة فمهملة ـ: أمرٌ من البسط ـ بالموحدة والمهملتين ـ ؛ من حدِّ « نصر » . وفي رواية : « اِنْشَطُوا » ـ بكسر الهمزة وسكون النون وفتح الشين المعجمة ـ : أمر من النشاط . وفي أخرى : « اِنْشَقُّوا » بالقاف المشددة . ومعنى هذه الرواية : انفَرِجوا لِيَتَّسِعَ المجلس . ومعنى الرواية التي قبلها : ميلوا للأكل معي ، وكلُّ ما مال الشخص لفعله وآثره ؛ فقد نَشِط له . وأما الرواية الأولى فيحتمل أن معناها : انشروا الطعام ليَصله كلّ منكم ؛ فيكون مِن « بَسَطه » بمعنى « نَشَرَهُ » ، ويحتمل أن معناها : مُدُّوا أيديَكم للطعام . فيكون مِن بَسَط يده ؛ أي : مدَّها . ويُحتمل أن معناها : سُرُّوا سلمان بأكل طعامه ، فيكون من بَسَط فلانٌ فلاناً : سَرَّه . ويُحتمل أن معناها : وَسِّعوا المجلس ليدخل بينكم سلمان . فيكون مِن « بَسَط الله الرزق لفلان » : وسَّعه . وعلى كلٍّ مِن هذه الروايات والاحتمالات ؛ فقد أكل النبي ﷺ مع أصحابه من هذه الهدية .

ويؤخذ مِن ذلك أنه يستحبُّ للمُهدَىٰ له أن يُعطيَ الحاضرين مما أُهدي له ، وهذا المعنى مؤيِّد لحديث : « مَنْ أُهْدِيَ لَهُ هَدِيَّةٌ ؛ فَجُلَسَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فِيها » ؛ وإن كان ضعيفاً . والمراد بالجلساء ؛ كما قال الترمذي في « نوادر الأصول » : الذين يداومون مجلسه ، لاَ كُلُّ مَنْ كان جالساً إذ ذاك .

وحكي أن بعض الأولياء أُهدي له هدية من الدراهم والدنانير ، فقال له بعض جلسائه : يا مولانا ؛ الهدية مشتركةٌ . فقال : نحن لا نحبُّ الاشتراك . فتغيَّر ذلك القائل لظنِّه أنَّ الشيخ يريد أن يختصَّ بالهدية . فقال الشيخ : خذهَا لَكَ وحدك ، فأخذها فعَجَز عن حملها ، فأمر الشيخ بعض تلامذته فأعانوه .

وحكي أنَّه أُهدي لأبي يوسف هدية من الدراهم والدنانير ؛ فقال له بعض

ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ ٱلْخَاتَمِ عَلَىٰ ظَهْرِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَآمَنَ بِهِ .

وَكَانَ لِلْيَهُودِ ، فَٱشْتَرَاهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَماً . . . .

جلسائه : يا مولانا ؛ الهدية مشتركة . فقال : « أل » في « الهدية » للعهد ، والمعهودُ هديَّة الطعام . فانظر الفرق بين مسلك الأولياء ومسلكِ الفقهاء !! .

(ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ ٱلْخَاتَمِ) ـ بالفتح ويُكسر ـ (عَلَىٰ ظَهْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ) أتى بـ« ثُم » لتراخي زمان النظر عن هذا المجلس ، لما في كتب السِّيَر : أنَّ سلمان لبث بعد ذلك ينتظر رؤية الآية الثالثة التي أخبره عنها آخر مشايخه أنَّه سيظهر حبيب عن قريب ؛ ومن علاماته القاطعة على أنَّه هو النبي الموعود الذي خُتم به النبوة : أنَّه لا يأكل الصدقة ؛ ويقبل الهدية ، وبين كتفيه خاتم النبوة . فلما شاهد سلمان العلامتين المتقدمتين انتظر الآية الثالثة ، إلى أن مات واحد من نقباء الأنصار ؛ فشيَّع رسول الله ﷺ جنازَتَه ؛ وذهب معها إلى بقيع الغرقد ، وجلس مع أصحابه في ذلك المكان ينتظر دفنَه ، فجاء سلمان واستدارَ خلفه لينظر إلى خاتم النبوة ، فلما رأى رسول الله ﷺ استدباره عَرَف أنَّه يريد أن يستثبت شيئاً وُصِف له ، فألقىٰ الرداء عن ظهره ؛ فنظر سلمان إلى الخاتَم (فَآمَنَ بِهِ) ؛ بلا تراخٍ ولا مُهلة ، لتمام العلامات وتكامل الآيات ، فالفاء متفرِّع على مجموع ما سبق من الآيات الثلاث . أي : فلما تمَّت الآيات وكَمُلت العلامات آمن به .

(وَ) الحال أنَّه (كَانَ) رقيقاً (لِلْيَهُوْدِ) ؛ أي : يهود بني قريظة ، ولعلَّه كان مشتركاً بين جمعٍ منهم ، أو كان لواحد منهم . (فَٱشْتَرَاهُ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ) ـ يعني : كان سبباً في كتابة سيِّده اليهودي له لأمره بذلك ، أوْ لإعانته على وفاء ما لو كُوتب عليه ، فتجوَّز بـ« الشراء » عن إعانته في الأداء ـ (بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَماً) ، أي : بعدد يشتمل على العطف ، ولم يبيِّنْه في هذا الحديث . وفي بعض الروايات أنَّه : أربعون أُوقية . قيل : من فضة ، وقيل : من ذهب . والأوقية : كانت إذ ذاك أربعين درهماً ، وقد بقي عليه ذلك حتَّى أُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، فقال : « مَا فَعَلَ ٱلْفَارِسِيُّ ٱلْمُكَاتَبُ » فدُعي له . فقال : « خُذْهَا فَأَدِّهَا مِمَّا

عَلَىٰ أَنْ يَغْرِسَ لَهُمْ نَخْلاً فَيَعْمَلَ سَلْمَانُ فِيهِ حَتَّىٰ يُطْعِمَ ، فَغَرَسَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّخِيلَ . . . .

عليْكَ » . قال سلمان : فأين تقع هذه مما عليَّ !؟ قال ﷺ : « خُذْهَا ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ بِهَا » . قال سلمان : فأخذتُها ؛ فوزنت لهم منها أربعينَ أوقية ؛ فأوفيتهم حقَّهم . فعَتَق سلمان رضي الله تعالى عنه . وقصَّته مشهورة .

(عَلَىٰ أَنْ يَغْرِسَ) ـ بفتح الياء وكسر الراء ـ (لَهُمْ) ؛ أي : لمن يملك سلمان (نَخْلاً) ، وفي رواية « نَخِيْلاً » وهو والنخل بمعنىً واحدٍ ، والواحدة النخلة . و« عَلَى » بمعنى « مع » ؛ أي : مع أن يغرس . **ويؤيده** : ما في رواية « وعلى » بالواو العاطفة ؛ أي : فكاتبوه على شيئين : الأواقي المذكورة ، وغَرْس النخل مع العمل فيه حتَّى يطلع . ولم يبين في هذا الحديث عَدَد النخل !! وفي بعض الروايات أنَّه كان ثلثمائة . فقال ﷺ : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » ، فأعانوه فبعضهم بثلاثين وَدِيَّة[1] ، وبعضهم بخمس عشرة ، وبعضهم بما عنده حتى جمعوا ثلثمائة وَدِيَّة .

(فَيَعْمَلَ) ـ بالنصب معطوف على « يغرس » ـ (سَلْمَانُ) ـ ليفيد أنَّ عمله من جملة عِوَض الكتابة ـ (فِيْهِ) ، وفي بعض نسخ « الشمائِل » : فيها . وكلٌّ صحيح ، لأنَّ النخل والنخيل يذكَّران ويؤنَّثان ؛ كما في كتب اللغة .

(حَتَّىٰ يُطْعِمَ) ـ بالمثناة التحتية ، أو الفوقية ـ وعلى كلٍّ فهو بالبناء للفاعل ؛ أو المفعول ، ففيه أربعةُ أوجه ، لكن أنكر الحافظ ابن حجر بناءه للمجهول . وقال : ليس في روايتنا وأصولِ مشايخنا !!. والمعنى على بنائه للفاعل ؛ حتَّىٰ يُثمر ، وعلى بنائه للمفعول حتَّى تؤكل ثَمَرته .

(فَغَرَسَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ ٱلنَّخِيْلَ) جميعها بيديه الكريمتين ، لأنَّه ﷺ خَرَج مع سلمان ؛ فصار سلمان يقرِّب له ﷺ الوَدِيّ ، فيضعه بين يديه .

قال سلمان : فوالذي نفسي بيده ؛ ما مات منها وَدِيَّةٌ ، فأَدَّيت النخل ؛ وبقي

---

(١) فسيلة النخل .

إِلاَّ نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا عُمَرُ ، فَحَمَلَتِ ٱلنَّخْلُ مِنْ عَامِهَا ، وَلَمْ تَحْمِلِ ٱلنَّخْلَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا شَأْنُ هَـٰذِهِ ٱلنَّخْلَةِ؟ » . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَنَا غَرَسْتُهَا ، فَنَزَعَهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَرَسَهَا ، فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا .

عليَّ المال حتَّىٰ أُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة . . . إلى آخر ما تقدَّم .

(إِلاَّ نَخْلَةً) ـ بالنصب على الاستثناء ـ (وَاحِدَةً) للتأكيد (غَرَسَهَا عُمَرُ) بنُ الخطَّاب ، وفي بعض الشروح أنَّ حكايةَ غرسِ عمر رضي الله تعالى عنه نخلةً وعدمَ حملها من عامها غيرُ منقولة إلاَّ في حديث الترمذي ، وليس فيما سواه من أخبار سلمان رضي الله تعالى عنه .

(فَحَمَلَتْ) ـ أي : أثمرت ـ (ٱلنَّخْلُ مِنْ عَامِهَا) الذي غُرِست فيه ـ على خلاف المعتاد ـ اسْتِعْجَالاً لِتَخْلِيْصِ سَلْمَان من الرقِّ ليزداد رغبة في الإسلام .

(وَلَمْ تَحْمِلِ ٱلنَّخْلَةُ) ؛ وفي رواية : ولم تحمل نخلةُ عمر ، أي : لم تثمر من عامها وعدم حملها واقع على سَنَن ما هو المتعارف ؛ إفادةً لكمال امتياز رتبة النبي ﷺ عن رتبة غيره ، ومقدِّمةً لمعجزتين من معجزاته ، لأن غرس النخل له ميقاتٌ معلوم ؛ (فَقَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ : « مَا شَأْنُ هٰذِهِ ٱلنَّخْلَةِ ؟ ») أي : ما حالُها وما بالها . لم تحمل ؛ مع أنَّ صواحباتها قد حملت جميعاً ! .

(فَقَالَ عُمَرُ) رضي الله تعالى عنه : (يَا رَسُوْلَ ٱللهِ ؛ أَنَا غَرَسْتُهَا) ، ولم تغرسها أنتَ ؛ فلم تثمر كصواحباتها ، ليظهر كمال تميُّزك على غيرك . وكأنَّ عمر رضي الله تعالى عنه ما عرف أنَّه ﷺ أراد بالغَرْس إظهارَ المعجزة ؛ بل مجرَّد المعاونة .

(فَنَزَعَهَا رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ، فَغَرَسَهَا) ثانياً بيده في غير الوقت المعلوم لغرس النخل .

(فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا) ؛ أي : من عام غرسها ، وفي رواية « من عامه » ؛ أي : الغرس . والحكمة من ذلك : أن يظهر المعجزة بإطعام الكلِّ سوى ما لم يغرسه كل الظهور ، ويتسبَّب لظهوره معجزة أخرى ؛ وهي غرس نخلةِ عمر ثانياً وإطعامها في عامها ، ففيه معجزتان غير ما سَبَق : الغرس في غير أوان الغرس ، والإثمار من عامه . والله أعلم .

اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي
فِي صِفَةِ بَصَرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱكْتِحَالِهِ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلظُّلْمَةِ كَمَا يَرَىٰ بِٱلنَّهَارِ فِي ٱلضَّوْءِ .

(اَلفَصْلُ ٱلثَّانِي
فِي صِفَةِ بَصَرِهِ ﷺ)

وهو : النور الذي تُدرِك به الجارحةُ المُبصَرات ؛ كما في « المصباح » .

وهو بمعنىٰ قولِ المتكلِّمين : قوّةٌ مودَعة في العين ، وهو صريح في أنّه شيءٌ مخلوق في العين زائدٌ عليها .

(وَ) في صفة (ٱكْتِحَالِهِ) ؛

أي : استعماله الكُحل ، وما يتعلَّق بذلك .

أمَّا بَصَرُهُ الشَّرِيفُ ! فَفِي « المَوَاهِبِ » ؛ عَن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَرَىٰ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلظُّلْمَةِ**) ؛ احترازاً عمَّا إذا كان مع القمر (**كَمَا يَرَىٰ بِٱلنَّهَارِ فِي ٱلضَّوْءِ**) متعلِّقٌ بالنهار ، للاحتراز عما إذا كان في بيت مظلم ؛ أو في يوم غيم ، فلا يقال لا حاجة إليه بعد ذكر النهار . والمعنىٰ أنَّ رؤيتَه في النهار الصافي والليل متساويةٌ ، لأنَّ الله تعالىٰ لما رَزَقه الاطلاعَ بالباطن والاحاطة بإدراك مُدْرَكات القلوب ؛ جعل له مثل ذلك في مدركات العيون ، ومن ثَمَّ كان يرىٰ المحسوس مِن وراء ظهره كما يراه مِن أمامه ؛ كما يأتي .

قال القاضي عياض : وإنَّما حدثت هذه الآية له بعد ليلة الإسراء ، كما أن موسىٰ كان يرىٰ النملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطور . انتهىٰ ؛ نقله عنه الزرقاني علىٰ « المواهب » .

ولا يَرِد عليه حديث (أَنَّه ﷺ قام ليلة فوطِىء علىٰ زينبَ بنتِ أمِّ سلمة بقدمه

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ مَنْ خَلْفَهُ مِنَ ٱلصُّفُوفِ كَمَا يَرَىٰ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وهي نائمة ؛ فبكت ، فقال : « أَمِيطُوا عَنَّا زَيَانِبَكُمْ » !! لأنه حُجب عن ذلك حينئذ ، ليُعلِّم أنَّه لا ينام أحد ببيت ذي الأهل ؛ كذا قاله الزرقاني . وقال الشهاب الخفاجي في « شرح الشفاء » : لأنَّ زينب رضي الله تعالىٰ عنها كانت بنتاً صغيرة مغطّاة بإزار ونحوه في جانب البيت ، ومثلها قد لا يُرىٰ بالنهار أيضاً . انتهىٰ .

وهذا الحديث الذي أورده المصنِّفُ ذكره في « المواهب اللدنيَّة » ؛ وقال : رواه البخاري ، وتبعه المصنِّفُ في « الأنوار المحمدية » ، وتعقَّبه الزَّرقاني في « شرح المواهب » بأنه لم يجده في البخاري ، وإنما عزاه السيوطي وغيرُه للبيهقي في « الدلائل » ؛ وقال : إنَّه حسن . قال شارحه : ولعله لاعتضاده !! وإلاَّ !! فقد قال السهيلي : ليس بقويٍّ . وضعَّفه ابنُ دحية ؛ أي : نقل تضعيفه في كتاب « الآيات البينات » ؛ عن ابن بشكوال ، لأن في سنده ضعفاً ؛ فكيف يكون في البخاري !! . ورواه البيهقي ؛ عن عائشة بلفظ : كان رسول الله ﷺ يرىٰ في الظلمة كما يرىٰ في الضوء . وبهذا اللفظ رواه ابن عديٍّ وبقيُّ بن مَخلد ، وضعَّفه ابنُ الجوزي والذَّهبيُّ ، لكنه يُعتضد بشواهده ، فهو حسن ؛ كما قال السيوطي . انتهىٰ كلام الزرقاني ، ونحوه في الشهاب الخفاجي علىٰ « الشفاء » .

(وَ) في « المواهب » و« شفاء » القاضي عياض ؛ عن مجاهد بن جبر ـ فيما رواه عنه الحُمَيدي « شيخ البخاري » ، والبيهقيُّ ، وابن المنذر مرسلاً ؛ في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء] ـ قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يَرَىٰ مَنْ**) ـ بفتح الميم : موصول ـ أي الذي (**خَلْفَهُ مِنَ ٱلصُّفُوفِ كَمَا يَرَىٰ مَنْ**) ـ بفتح الميم ـ أي : الذي (**بَيْنَ يَدَيْهِ**) .

قال الشهاب الخفاجي والقُسطُلاَّني في « المواهب » : وهذا الحديث رواه مالك والبخاريُّ ومسلم ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه ، لكن بلفظ : قال ﷺ : « هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هٰهُنَا !! ، فَوَٱللهِ مَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلاَ خُشُوعُكُمْ ، وَإِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » .

. . . .

وعند مسلم ؛ من رواية أنس بن مالك أنه ﷺ ؛ قال : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنِّي إِمَامُكُمْ ، فَلاَ تَسْبِقُونِي بِٱلرُّكُوعِ وَلاَ بِٱلسُّجُودِ ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي » .

وفي البخاريِّ ؛ عن أنس : صلَّىٰ بنا النبي ﷺ صلاةً ثُمَّ رقىٰ المنبر ؛ فقال في الصلاة وفي الركوع : « إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي » .

وفي مسلم : « إِنِّي لأُبْصِرُ مَنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ » .

وفي أخرىٰ لمسلم : « إِنِّي لأُبْصِرُ مَنْ قَفَايَ كَمَا أُبْصِرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ » .

وفي بعض الروايات لعبد الرزاق ، والحاكم : « إِنِّي لأَنْظُرُ مَنْ وَرَائِي كَمَا أَنْظُرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ » ، ورواه أيضاً مالك وأحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف . انتهىٰ كلامهما .

قال في « المواهب » : وهذه الرؤية المذكورة في حديث ابن عبَّاس وعائشة وأبي هريرة وأنس ومجاهد رؤية إدراك ، أي : إبصار حقيقيٌّ خاصٌّ به ﷺ انخرقت له فيه العادة ، ولذا أخرجه البخاري في « علامات النبوَّة » .

والرؤية من حيث هي ؛ لا بقيد وصف المصطفىٰ بها ؛ لا تتوقَّفُ علىٰ وجود آلتها التي هي العينُ عند أهل الحقِّ ، ولا تتوقَّفُ علىٰ وجود شعاع ؛ ولا علىٰ مقابلة ، وهذا بالنسبة إلىٰ القديم العالي .

أما المخلوق ! فتتوقَّف صفة الرؤية في حقِّه علىٰ الحاسَّة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ، ولهذا كان ما ذكر من إبصاره من وراء ظهره خرقَ عادةٍ في حقِّه عليه الصلاة والسلام ، وخالق البصر في العين قادرٌ علىٰ خلقه في غيرها .

قال الحَرَالِّي ـ بفتح الحاء المهملة والراء وشد اللام ـ : وهذه الآيةُ قد جعلها الله تعالى دالَّة علىٰ ما في حقيقةِ أمره في الاطلاع الباطن ؛ لسَعة علمه ومعرفته ، لمَّا عرَّفهم بربِّه ـ بأن بلَّغهم بأنه إله واحد في ذاته وصفاته ، مستحقٌّ لأَن يعبد . . وغير ذلك مما يليق به ، ولم يعرِّفهم بنفسه ، وما اشتملت عليه ذاتُه من الكمالات ـ أطلعه علىٰ ما بين يديه مما تقدَّم من أمر الله ، وعلىٰ ما وراء الوقت مما تأخَّر من أمر الله ؛

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ فِي ٱلثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً .

من كلِّ ما يكون إلىٰ يوم القيامة ، فلما كان علىٰ ذلك من الإحاطة في إدراك مُدْرَكات القلوب ؛ جعل الله تعالىٰ له ﷺ مثل ذلك في مدركات العيون ، فكان يرىٰ المحسوساتِ مِن وراء ظهره كما يراها مِن بين يديه ؛ كما قال ﷺ . انتهىٰ كلام الحرالي .

وحاصله ـ كما قاله بعضهم ـ: أنَّه من قبيل الكشف عن المرئيات ؛ فهو من الخوارق . انتهىٰ كلام « المواهب » ؛ مع شيء من « شرح الزرقاني » .

(وَ) في « المواهب اللدنية » ؛ نقلاً عن القاضي عياض : (كَانَ) وفي « الشفاء » بلفظ : وقد حكي عنه (ﷺ) أنَّه كان (يَرَىٰ فِي ٱلثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً) ليلاً ؛ أو ليلاً ونهاراً ؛ لِمَا مَرّ : أن رؤيته فيهما سواء ، وعند السُّهَيْلي : اثني عشر ، وجزم القرطبيُّ بالأول ، ونظمه في أرجوزته ؛ فقال :

وَهُوَ ٱلَّذِي يَرَىٰ ٱلنُّجُومَ ٱلخَافِيَهْ ... مُبَيَّنَاتٍ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱلعَالِيَهْ
أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً فِي ٱلثُّرَيَّا ... لِنَاظِرٍ سِوَاهُ مَا تَهَيَّا

وقال السيوطي في « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا » : هذا لم يوجد في شيءٍ من كتب الحديث !! ونحوه قول الخيضري في خصائصه : ما ذكره القرطبيُّ والسُّهَيلي : لم أقف له علىٰ سند ولا أصل يرجع إليه ، والناس يذكرون أنها لا تزيد علىٰ تسعة أنجم فيما يرون . انتهىٰ ، وهذا عجيب مع قولِ التلمساني : جاء في حديث ثابت عن العبَّاس ، ذكره ابن أبي خيثمة . انتهىٰ .

والثريا ـ مُصغَّر ثروة ؛ وهي الكثرة ـ وهي : منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جُعلت علامةً ، فقول بعض الشراح « أنها كوكب » وَهَمٌ منه ؛ قال في « مباهج الفكر » : وهي ستة أنجم صغار طمس ، ويظنُّها من لا معرفة له سبعةً ، وهي مجتمعةٌ بينها نجوم صغار ؛ كالرشاش ، وحُكي أن الثريَّا اثنا عشر نجماً لم يحقِّق الناس منها غيرَ ستة ؛ أو سبعة ، ولم يَرَ جميعَها غيرُ النبي ﷺ لقُوَّةٍ جعلها الله تعالىٰ في بصره .

والنجم عَلَمٌ لها بالغَلَبة ، كالكوكب للزّهرة . انتهىٰ شرح « الشفاء »

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَقْعُدُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ حَتَّىٰ يُضَاءَ لَهُ بِٱلسِّرَاجِ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلْخُضْرَةِ وَٱلْمَاءِ ٱلْجَارِي .

للخفاجي ؛ وشرح « المواهب » .

(وَ) روىٰ ابن سعد في « طبقاته » ، والبزار ـ بسند فيه جابر الجُعْفي ؛ عن أبي محمد ـ قال في « الميزان » : قال ابن حبان : وجابر قد تبرَّأنا من عُهدته ، وأبو محمد : لا يجوز الاحتجاج به ـ؛ كما في المناوي ؛ علىٰ « الجامع » ـ ؛

عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ **لاَ يَقْعُدُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ حَتَّىٰ يُضَاءَ لَهُ بِٱلسِّرَاجِ**) أي : يوقد له السراج ، ولكنه كان يُطفِئه عند النوم ، وفي خبرٍ رواه الطبراني ؛ عن جابر رضي الله عنه : أنه كان يكره السِّراج عند الصبح . انتهىٰ .

(و) روىٰ ابن السنِّي ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » بسند ضعيف ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (كَانَ) رسولُ الله (ﷺ **يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلخُضْرَةِ**) ـ أي : الشجر والزرع الأخضر بقرينة قوله ـ (**وَٱلمَاءِ ٱلجَارِي**) ؛ أي : كان يحبُّ مجرَّدَ النظر إليهما ويلتذُّ به ؛ فليس إعجابه بهما ليأكل الخضرة ، أو يشرب الماء ، أو ينال فيهما حظّاً سوىٰ نفس الرؤية . قال الغزالي : ففيه أنَّ المحبَّة قد تكون لذاتِ الشيء ؛ لا لأجل قضاءِ شهوة منه ، وقضاء الشهوة لَذَّة أخرىٰ ، والطباع السليمة قاضيةٌ باستلذاذ النظر إلىٰ الأنوار والأزهار ، والأطيار المليحة والألوان الحسنة ، حتَّىٰ أنَّ الإنسان ليفرج عنه الهمّ والغمّ بالنظر إليها ؛ لا لطلب حظٍّ وراء النظر . انتهىٰ « مناوي » .

(وَ) روىٰ الطبرانيُّ في « الكبير » ، وابن السُّنِّي ، وأبو نعيم : كلاهما في كتاب « الطب النبوي » ؛ عن أبي كبشة الأنماري رضي الله تعالىٰ عنه .

وابن السني في « الطب النبوي » ، وابن حبان ، وأبو نعيم ؛ كلُّهم عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلأُتْرُجِّ .

وَكَانَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلْحَمَامِ ٱلأَحْمَرِ .

وَأَمَّا ٱكْتِحَالُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱكْتَحَلَ . . جَعَلَ فِي عَيْنٍ ٱثْنَتَيْنِ . . . .

وأبو نعيم ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وهو حديث ضعيف .

قالوا : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلأُتْرُجِّ**) المعروف ؛ بضمِّ الهمزة وسكون الفوقية وضمِّ الراء وشدِّ الجيم ، ـ وفي رواية : « الأترنج » بزيادة نون بعد الراء وتخفيف الجيم : لغتان ، قال السيوطي : وهو مذكور في التنزيل ممدوح في الحديث ؛ منوَّه به فيه بالتفضيل ، بارد رطب ، في الأولىٰ يصلح غذاءً ودواءً ومشموماً ومأكولاً ، يُبَرِّد عن الكبد حرارته ، ويزيد في شهوة الطعام ، ويقمع المرَّة الصفراء ، ويسكِّن العطش ، وينفع للقوة ، ويقطع القيء والإسهال المزمِنَيْن .

فائدة: في كتاب «المنن» أن الشيخ محمد الحنفي المشهور كان الجنُّ يحضرون مجلسه؛ ثم انقطعوا، فسألهم ؛ فقالوا : كان عندكم أُترجٌّ . ونحن لا ندخل بيتاً فيه أُترج . انتهىٰ .

(**وَكَانَ يُعْجِبُهُ ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلْحَمَامِ ٱلأَحْمَرِ**) ذكر ابن قانع في « معجمه » عن بعضهم : أن الحمام الأحمر المرادُ به في هذا الحديث : التفَّاح ، وتبعه ابن الأثير ؛ فقال : قال أبو موسىٰ : قال هلال بن العلاء : هو التفاح ، قال : وهذا التفسير لم أره لغيره ؛ قاله المناوي في « كبيره علىٰ الجامع الصغير » . وقال الحفني علىٰ « الجامع » : الحمام المراد به التفاح ، فيكون من باب الاستعارة ، ولم يقل أحدٌ من الشُرَّاح التي بأيدينا أن المرادَ به الطير المعروف . انتهىٰ كلام الحفني .

(**وَأَمَّا ٱكْتِحَالُ رَسُولِ ٱللهِ** ﷺ) ـ أي : استعماله للكحل ـ (**فَقَدْ**) رَوىٰ أبو يعلىٰ ، والطبراني في « الكبير » بإسناد ضعيف ؛ عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا ٱكْتَحَلَ جَعَلَ فِي عَيْنٍ**) ـ بالتنوين ـ (**ٱثْنَتَيْنِ**) ؛

وَوَاحِدَةً بَيْنَهُمَا ؛ أَيْ : جَعَلَ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِرْوَدَيْنِ ، وَوَاحِدٌ يُقْسَمُ بَيْنَهُمَا ، فَٱلْمَجْمُوعُ وِتْرٌ ، وَهُوَ خَمْسَةُ مَرَاوِدَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱكْتَحَلَ . ٱكْتَحَلَ وِتْراً ، وَإِذَا ٱسْتَجْمَرَ . ٱسْتَجْمَرَ وِتْراً . وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكْحُلَةٌ . . .

أي : في كلِّ عين مِرْوَدَيْن (**وَوَاحِدَةً بَيْنَهُمَا**) . قال المناوي : أي : في هذه ؛ أو في هذه ليحصل الإيتار المطلوب ، انتهىٰ .

وقال الشيخ : (**أَيْ : جَعَلَ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِرْوَدَيْنِ ، وَوَاحِدٌ يُقْسَمُ بَيْنَهُمَا**) ؛ أي : يكتحل ببعضه في اليمنى وبعضه في اليسرىٰ ، (**فَٱلْمَجْمُوْعُ وِتْرٌ ؛ وَهُوَ خَمْسَةُ مَرَاوِدَ**) ؛ انتهىٰ « عزيزي » .

قال المناوي في « كبيره » : وأكملُ من ذلك ما ورد عنه أيضاً في عِدَّة أحاديث أصحّ منها : أنَّه يكتحل في كلِّ عين ثلاثاً ـ كما سيأتي ـ لكن السنة تحصل بكلٍّ . انتهىٰ .

(وَ) روىٰ الإمام أحمد في « مسنده » ، والطبرانيُّ ؛ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا ٱكْتَحَلَ ؛ ٱكْتَحَلَ وِتْراً**) ؛ أي : ثلاثاً متوالية في العين اليمنىٰ ، وثلاثاً متوالية في الشمال ، هذا هو الأفضلُ ، وإن كان أصلُ السُّنَّة يحصل بكيفيَّاتٍ أُخر في الوتر .

(**وَإِذَا ٱسْتَجْمَرَ**) ؛ أي : تبخَّر بنحو عود (**ٱسْتَجْمَرَ وِتْراً**) ؛ أي : تبخَّر ثلاثَ مرات ، وسُمِّي التبخُّر « استجماراً » !! لأن نحو العود يوضع علىٰ الجمر ، وما قيل : « إنَّ المراد استعمل الحجر في الاستنجاء » !! بعيد عن السياق ؛ وإن كان صحيحاً ؛ قاله الحفني كالمناوي والعزيزي .

(وَ) روىٰ الترمذيُّ ، وابن ماجه ؛ كلاهما عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أنه قال : (**كَانَ لَهُ** ﷺ **مُكْحُلَةٌ**) ـ بضمِّ أوَّله وثالثه ، وقياسها الكسر لأنَّها اسم آلة ، فهي من النوادر التي جاءت بالضمِّ ـ والمراد منها : ما فيه الكحل ؛ وهي معروفة ، والمَكْحَل كمَفْتَح ، والمِكْحَالِ كمِفْتَاح هو : المِيْل .

يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ، ثَلاَثَةً فِي هَـٰذِهِ ، وَثَلاَثَةً فِي هَـٰذِهِ .

(**يَكْتَحِلُ مِنْهَا**) بالإثمد (**كُلَّ لَيْلَةٍ**) ـ بالنصب ـ أي : في كلِّ ليلة قبل أن ينام ، وإنَّما كان ليلاً !! لأنَّه أبقىٰ للعين وأمكنُ في السراية إلىٰ طبقاتها ، لأنَّه يلتقي عليه الجَفْنان . (**ثَلاَثَةً**) متوالية (**فِي هٰذِهِ**) ؛ أي : اليمنىٰ ، (**وَثَلاَثَةً**) كذلك (**فِي هٰذِهِ**) ؛ أي : اليسرىٰ . وحكمة التثليث : توسُّطه بين الإقلال والإكثار .

ويسنُّ فيه التيامن ، لأنَّه ﷺ كان يحبُّ التيمُّن في شأنه كلِّه ؛ قال الزين العراقي :

وهل تحصلُ سُنيَّة التيمُّن باكتحاله مرَّة في اليمنىٰ ومرَّة في اليسرىٰ ؛ ثم يفعل ذلك ثانياً وثالثاً ، أوْ لاَ يحصل إلاَّ بتقديم المرَّات الثلاث في الأولىٰ ؟!

الظاهر الثاني ؛ قياساً علىٰ العضوين المتماثلين في الوضوء كاليدين ، ويحتمل حصولُها بذلك قياساً علىٰ المضمضة والاستنشاق في بعض صوره المعروفة في الجمع والتفريق .

وما ذُكر في هذه الرواية من « أنه ﷺ كان يكتحلُ كلَّ ليلة ثلاثاً » !! يخالف : ١ ـ ما رواه الطبراني في « الكبير » ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما : « كان رسول الله ﷺ إذا اكتحل يجعل في اليمنىٰ ثلاثة مَرَاودَ ، وفي الأخرىٰ مِرْوَدين ؛ يجعل ذلك وتراً » ، و ٢ ـ ما رواه ابن عديٍّ في « الكامل » ؛ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : « أن النبي ﷺ كان يكتحل في اليمنىٰ ثنتين ، وفي اليسرىٰ ثنتين ؛ وواحدة بينهما » !! ومِن ثَمَّ قيل ـ في خبر « مَن اكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ » المرويِّ في أبي داود ـ : فيه قولان : أحدُهما ؛ كون الإيتار في كلِّ واحدة من العينين . الثاني : كونه في مجموعهما ، قال الحافظ ابن حجر : والأرجحُ الأوَّل ؛ قال ابن سيرين : وأنا أُحبُّ أن يكون في هذه ثلاثاً ؛ وفي هذه ثلاثاً ، وواحدة بينهما ليحصل الإيتار في كلٍّ منهما ، وفي مجموعهما ، وبهذا صارت الأقوال في الإيتار ثلاثةً .

وقد ذكر بعضهم أنه ﷺ كان يفتتح في الاكتحال باليمنىٰ ، ويختم بها تفضيلاً لها ، وظاهرهُ أنه كان يكتحل في اليمنىٰ ثنتين وفي اليسرى كذلك ، ثم يأتي بالثالثة

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُفَارِقُهُ فِي ٱلْحَضَرِ ، وَلاَ فِي ٱلسَّفَرِ خَمْسٌ : اَلْمِرْآةُ ، وَٱلْمُكْحُلَةُ ، وَٱلْمُشْطُ ، ....

في اليمنىٰ ليختم بها ويفضِّلَها علىٰ اليسرىٰ بواحدة .

ويمكن الجمع بين هذه الروايات باختلاف الأوقات ففعل كُلاً في وقت .

ثم **اعلم** أنَّ الاكتحال عندنا ـ معاشر الشافعية ـ سنَّةٌ ، للأحاديث الواردة فيه .

قال ابن العربي : الكحل يشتمل علىٰ منفعتين :

إحداهما : الزينة ، فإذا استُعمل بنيَّتِها فهو مستثنىٰ من التصنُّع المنهيِّ عنه الذي يُلَبِّسُ الصنعة بالخلقة ؛ كالوصل والوشم والتفلُّج والتنمُّص ؛ رحمةً من الله لخلقه ، ورخصةً منه لعباده .

والثانية : التطبُّب ، فإذا استعمل بنيَّته ؛ فهو يقوِّي البصر وينبت الشعر الذي يجمع النور للإدراك ، ويصدُّ الأشعة الغالبة له .

ثم إن كحل الزينة لا حَدَّ له شرعاً ، وإنما هو بقدر الحاجة في بدوّه وخفائه .

وأما كحلُ المنفعة ! فقد وقَّته صاحب الشرع كلَّ ليلة كما تقرَّر .

وفائدته : أنَّ الكُحل عند النوم يلتقي عليه الجفنان ، ويسكِّن حرارة العين ، ويتمكَّن الكحل من السراية في تجاويف العين ، ويظهر تأثيرهُ في المقصود من الانتفاع . انتهىٰ ملخصاً من « الباجوري ، والمناوي » .

(وَ) روىٰ العقيلي في « الضعفاء » ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها ، وابنُ طاهر في كتاب « صفوة التصوف » ؛ من حديث أبي سعيد ، والخرائطيُّ ؛ من حديث أم سعد الأنصارية ، وطرقُه كلُّها ضعيفة ـ كما قاله المناوي في « كبيره » ـ قالوا :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **لاَ يُفَارِقُهُ فِي ٱلحَضَرِ ؛ وَلاَ فِي ٱلسَّفَرِ خَمْسٌ**) ـ من الآلات ـ: (**اَلمِرآةُ**) ـ بكسر الميم والمدِّ ـ، (**وَٱلمُكْحُلَةُ**) ـ بالميم والحاء المضمومتين : وعاء الكحل ـ، (**وَٱلمُشْطُ**) ـ الذي يمتشط ؛ أي : يسرَّح به ، وهو

وَٱلسِّوَاكُ ، وَٱلْمِدْرَىٰ .

وَ(ٱلْمِدْرَىٰ) : شَيْءٌ يُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ ، عَلَىٰ شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ ٱلْمُشْطِ وَأَطْوَلَ مِنْهُ ، يُسَرَّحُ بِهِ ٱلشَّعْرُ ٱلْمُتَلَبِّدُ ، وَيَسْتَعْمِلُهُ مَنْ لاَ مُشْطَ لَهُ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اِكْتَحِلُوا بِٱلإِثْمِدِ ، ....

بضم الميم عند الأكثر ، وتميمٌ تكسرها ؛ قال في « المصباح » : وهو القياس . قيل : وكان من عاج ـ (وَٱلسِّوَاكُ ، وَٱلْمِدْرَىٰ) ـ بكسر الميم وبالدال المهملة بدون همزة ـ قال في « النهاية » : شيء يعمل من حديد ؛ أو خشب علىٰ شكل سِنٍّ من أسنان المشط ، وأطول منه يسرَّح به الشعر المتلبّد ، ويستعمله من لا مشط له . انتهىٰ .

وفي ضمنه إشعارٌ بأنه كان يتعهَّد نفسه بالترجيل وغيره مما ذلك آلة له ، وذلك من سُنَنِهِ المؤكَّدة ، لكنه لا يفعل ذلك كلَّ يوم ، بل نهىٰ عنه ، ولا يلزم من كون المشط لا يفارقه أن يمتشط كلَّ يوم ؛ فكان يستصحبه معه في السفر ليمتشط به عند الحاجة ؛ ذكره الوليُّ العراقي . انتهىٰ من المناوي في « كبيره » .

قال المصنِّفُ : (**وَٱلْمِدْرَىٰ**) ـ بكسر الميم ـ : (**شَيْءٌ يُعْمَلُ مِنْ حَدِيْدٍ أَوْ خَشَبٍ**) ؛ وهو الغالب (**عَلَىٰ شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ ٱلْمُشْطِ**) ـ بضم الميم ـ (**وَأَطْوَلُ مِنْهُ**) ـ يقارب طولَ آلة الخرز ـ (**يُسَرَّحُ بِهِ ٱلشَّعْرُ ٱلْمُتَلَبِّدُ**) بعضه فوق بعض ، (**وَيَسْتَعْمِلُهُ مَنْ لاَ مُشْطَ لَهُ**) لتفكيك الشعر المجتمع المتماسك .

(**وَ**) روىٰ الإمام أحمد ؛ عن أبي النعمان الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنه بسند حسن ، والترمذي في « الشمائل » ؛ (**عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ** : « **اكْتَحِلُوا بِٱلإِثْمِدِ**) ـ بكسر همزته وميمه بينهما مثلثة ساكنة ـ: حَجَرُ الكحل المعدني المعروف ؛ يجيء من المشرق ، أي : دوموا علىٰ استعماله .

فَإِنَّهُ يَجْلُو ٱلْبَصَرَ ، وَيُنْبِتُ ٱلشَّعَرَ » .

وفي رواية الإمام أحمد : « اِكْتَحِلُوا بِٱلإِثْمِدِ ٱلْمُرَوَّحِ » ـ أي : المطيَّب ـ (**فَإِنَّهُ يَجْلُو ٱلبَصَرَ**) ؛ أي : يقوِّيه ويحسِّنُ العين ، ويدفع الموادّ الرديئة المنحدرة إليها من الرأس ، لا سيما إذا أضيف إليه قليلُ مِسك .

(**وَيُنْبِتُ ٱلشَّعَرَ** ») ـ بفتح العين ـ هنا لأجل الازدواج ، ولأنَّه الرواية ، أي : يقوي طبقات شعر العينين التي هي الأهداب ـ جمع هُدْبٍ ـ ، وإنبات شعرها مرمَّة للعين ، لأن الأشعار سترٌ للناظر ، ولولاها لم يَقْوَ الناظر علىٰ النظر ، فإنَّما يعمل ناظرُ العين من تحت الشعر ، فالكحلُ ينبته وهو مرمَّته ، وهذا من أدلَّة الشافعية علىٰ سَنِّ الاكتحال .

واعتراض العصام عليهم بـ« أنه ؛ إنَّما أمر به لمصلحة البدن ، بدليل تعقيب الأمر بقوله : فإنَّه. . . إلىٰ آخره ، والأمر بشيء ينفع البدن لا يثبت سُنيَّته » ! !

ليس في محلِّه ، لأنَّ المتبادِر من الخبر أنَّ الأمر بمطلق الاكتحال شرعيٌّ ، وبخصوص الإثمد من بين سائِر الأكحال إرشاديٌّ يتفاوت بتفاوت الأشخاص ، ومِن ثَمَّ قالوا : الاكتحالُ مندوبٌ ، وبخصوص الإثمد أَوْلَىٰ . وهذا علىٰ التنزُّل ، وإلاَّ ! ! فقد ثبت في عدَّة أخبارٍ أنَّه كان يكتحل بالإثمد ، فروىٰ البيهقيُّ ؛ من حديث أبي رافع أنَّ النبي ﷺ كان يكتحل بالإثمد . وفي سنده مقال . ولأبي الشيخ في كتاب « أخلاق النبي ﷺ » بسند ضعيف ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : كان لرسول الله ﷺ إثمد يكتحل به عند منامه ؛ في كلِّ عين ثلاثاً . انتهىٰ .

والأصلُ في أفعاله ﷺ أنَّها للقُربة والتشريع ما لم يدلَّ دليلٌ علىٰ خلافه .

قال المحقق أبو زرعة : مذهب الشافعي أن الفعل المجرَّد يدلُّ علىٰ الندب ، بل قال جمعٌ من أصحابه : يدلُّ علىٰ الوجوب . انتهىٰ .

قال ابن محمود شارح « سنن أبي داود » : وَتَحْصُلُ سنيَّة الاكتحال بتولِّيه بنفسه ، وبفعل غيره بأمره . ويَنشأ عنه جوازُ الوكالة في العبادة . انتهىٰ .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : اَلْمُخَاطَبُ بِذَٰلِكَ ٱلأَصِحَّاءُ ، أَمَّا ٱلْعَيْنُ ٱلْمَرِيضَةُ فَقَدْ يَضُرُّهَا ٱلإِثْمِدُ ؛ وَهُوَ : حَجَرُ ٱلْكُحْلِ ٱلْمَعْدِنِيِّ ٱلْمَعْرُوفُ ، وَمَعْدِنُهُ بِٱلْمَشْرِقِ ، وَهُوَ أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَىٰ حُمْرَةٍ .

وأقول : القياس الحصول ؛ ولو بلا أمر ، حيث قارنت نيَّته فعل غيره ، كما لو وَضَّأه غيره بغير إذنه وأولىٰ . انتهىٰ « مناوي وباجوري » .

(**قَالَ**) العلاَّمة شيخ الإسلام إبراهيم (**ٱلْبَاجُوْرِيُّ**) رحمه الله تعالىٰ في « حاشيته علىٰ شرح الشمائل الترمذية » ؛ تبعاً للمناوي عند قوله : « اِكْتَحِلُوا بِٱلإِثْمِدِ » : (**اَلْمُخَاطَبُ بِذَٰلِكَ ٱلأَصِحَّاءُ**) ؛ أي : أصحاب العيون الصحيحة ، أي : السليمة من الرَّمَد ونحوه . (**أَمَّا ٱلعَيْنُ ٱلمَرِيْضَةُ ! فَقَدْ**) يكون غيرُ الإثمد خيراً لها ، بل ربما (**يَضُرُّهَا ٱلإِثْمِدُ**) . ثم رأيت العسقلاني قال : خَيْرِيَّته باعتبار حفظه صحَّة العين ؛ لا في أمراضها ، إذ الاكتحال به لا يوافق الرَّمِد .

(**وَهُوَ**) أي : الإثمد ـ بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة وكسر الميم بعدها دال مهملة ـ : (**حَجَرُ ٱلكُحْلِ ٱلمَعْدِنِيِّ ٱلمَعْرُوْفُ**) ، قال في « المصباح » كـ « التهذيب » : ويقال إنَّه مُعَرَّبٌ . (**وَمَعْدِنُهُ بِٱلمَشْرِقِ ، وَهُوَ أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَىٰ حُمْرَةٍ**) .

وقال الحِفني ؛ علىٰ « الجامع الصغير » : الإثمد هو الحجرُ الأسود من أيِّ مكان كان ، وقيل : خصوص الحجر الذي يجيء من « أصبهان » ، وتسمية غيره له بالإثمد !! لشَبَهه به في السواد ، لكن المشهور الأوَّل ، وهو الذي يجيء من المشرق ، وإنَّما ينفعُ البصر إذا كان سليماً ، أو مريضاً ؛ وأخبر الطبيب العارفُ بنفعه لذلك المرض ، فينبغي له إذا ضَعُف بصره أن يسألَ الطبيب عمَّا ينفعه ، ولا يضع شيئاً بلا سؤال . انتهىٰ كلامه .

وفي « شرح القاموس » : الإثمد ـ بالكسر ـ حجرُ الكحل ، وهو أسود إلىٰ حمرة ، ومعدنُه بأصبهان ، وهو أجوده ، وبالمغرب وهو أصلب . وقال السِّيرافي :

وَقَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ (يَجْلُو ٱلْبَصَرَ) : وَهَـٰذَا إِذَا ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنِ ٱعْتَادَهُ ، فَإِنِ ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَدْهُ . . رَمِدَتْ عَيْنُهُ .

الإثمد شبيهٌ بحجر الكحل . انتهىٰ كلام « شرح القاموس » .

(**وَقَالَ**) ؛ أي : الباجوري (**بَعْدَ قَوْلِهِ « يَجْلُو ٱلْبَصَرَ**) ويُنْبِتُ ٱلشَّعَرَ » ؛ أي : يقوِّي البصر ، ويقوي طبقات شعر العينين التي هي الأهدابُ . (**وَهَذَا إِذَا ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنِ ٱعْتَادَهُ ، فَإِنِ ٱكْتَحَلَ بِهِ مَنْ لَّمْ يَعْتَدْهُ ! رَمِدَتْ عَيْنُهُ**) ؛ أي : أصابها الرمد .

* * *

اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي صِفَةِ شَعَرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَيْبِهِ ، وَخِضَابِهِ ،

(الفَصْلُ الثَّالِثُ) ؛

من الباب الثاني

(فِيْ) بيان ما ورد في (صِفَةِ شَعَرِهِ ﷺ) ؛

أي : مقداره طولاً وكثرةً وغير ذلك ، والشَّعْرُ ـ بسكون العين وفتحها ـ: الواحدة منه شَعْرة ـ؛ بسكون العين ، وقد تفتح .

واعلم أنَّ الشعر حيث جاء بدون تاء ؛ فهو بفتح العين وتسكَّن ، وإذا جاء بالتاء فهو بسكونها وتفتح ؛ قاله في « جمع الوسائل » . وقال ابن العربي : والشَّعر في الرأس زينة ، وتركُه سنَّة ، وحلقُه بدعة ؛ قال بعض شُرَّاح « المصابيح » : لم يحلق النبي ﷺ رأسه في سِنِيِّ الهجرة إلاَّ في عام الحديبية ، وعمرةِ القضاء ، وحجَّة الوداع ، فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الأزمنة ، وأقصرُها ما كان بعد حجة الوداع ، فإنَّه توفِّي بعدها بنحو ثلاثة أشهر ، ولم يقصِّر شعره إلاَّ مرة واحدة ؛ كما في « الصحيحين » ، انتهىٰ « مناوي وباجوري » .

(وَ) في بيان ما ورد في (شَيْبِهِ) ﷺ

من الأخبار . والشَّيْب : ابيضاض الشعر المسْوَدِّ ؛ كما في « المصباح » ، ويؤخذ من « القاموس » : أنه يطلق علىٰ بياض الشعر وعلىٰ الشعر الأبيض .

(وَ) في بيان ما ورد في (خِضَابِهِ) ﷺ

من الأخبار ، والخِضاب ؛ كالخضب مصدرٌ بمعنىً : تلوين الشعر بالحناء ونحوه ، وهو عندنا ـ معاشر الشافعية ـ بغير السواد سُنَّة ، وبالسواد حرامٌ . يدلُّ **لنا** :

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِلَ ٱلشَّعَرِ حَسَنَهُ ، لَيْسَ . .

---

١ ـ ما في « الصحيحين » : لَمَّا جيء بأبي قحافة يومَ الفتح للنبي ﷺ ؛ ولحيتُه ورأسه كالثُّغامة بَياضاً ؛ فقال : « غَيِّروا هٰذَا بِشَيْءٍ وَٱجْتَنِبُوا ٱلسَّوَادَ » .

و٢ ـ ما في « الصحيحين » أيضاً ؛ عن ابن عمر أَنَّه رأىٰ النبي ﷺ يصبغ بالصفرة . زاد ابن سعد وغيرُه ؛ عن ابن عمر أنه قال : فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَصْبغَ بِهَا .

و٣ ـ ما رواه أحمد ، وابن ماجه ؛ عن ابن وهب قال : دخلنا علىٰ أمِّ سلمة فأخرجت إلينا من شعر النبي ﷺ ، فإذا هو مخضوبٌ بالحِنَّاء والكَتَم .

وعن أبي جعفر قال : شَمَطَ[1] عارضا رسول الله ﷺ فخضب بحِنَّاء وكَتَم .

وعن عبد الرحمن الثمالي قال : كان رسول ﷺ يغيِّر لحيته بماءِ السِّدر ، ويأمر بتغيير الشعر ؛ مخالفةً للأعاجم .

وفي حديث أبي ذر : «إِنَّ أَحْسَنَ مَا غَيَّرْتُمْ بِهِ ٱلشَّيْبَ ٱلحِنَّاءُ وَٱلكَتَمُ» أخرجه الأربعة .

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : دخل رجل علىٰ النبي ﷺ وهو أبيضُ الرأس واللحية ، فقال : « أَلَسْتَ مُؤْمِناً » ؟! قال : بلىٰ !. قال : « فَٱخْتَضِبْ » . لكن قيل : إنه حديث منكر . ولا يعارض ذلك ما ورد : أَنَّه ﷺ لم يغيِّر شيبَه ، لتأويله ـ جمعاً بين الأخبار ـ بأنه ﷺ صَبَغ في وقت وتركه في معظم الأوقات ، فأخبر كلٌّ بما رأىٰ ، وهذا التأويل كالمتعيِّن ؛ كما قاله ابن حجر ، انتهىٰ ؛ من الباجوري رحمه الله تعالىٰ . (**وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ**) من الترجيل والادِّهان والتقنُّع ونحوها !!

قال العلاَّمة حُجَّة الإِسلام الغزاليُّ في « الإِحياء » : (**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجْلَ**) ـ بسكون الجيم وكسرها ـ (**ٱلشَّعَرِ**) ـ بفتح العين ـ أي : مسترسله (**حَسَنَهُ** ؛ **لَيْسَ**

---

(١) أي : ابيضَّا شيباً .

بِٱلسَّبْطِ وَلاَ ٱلْجَعْدِ ٱلْقَطَطِ ، وَكَانَ إِذَا مَشَطَهُ بِٱلْمُشْطِ . . يَأْتِي كَأَنَّهُ حُبُكُ ٱلرَّمْلِ ، وَرُبَّمَا جَعَلَهُ غَدَائِرَ أَرْبَعاً ؛ يُخْرِجُ كُلَّ أُذُنٍ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ ، . . . .

بِٱلسَّبْطِ) ـ بسكون الباء وكسرها ـ ، (وَلا ٱلجَعْدِ ٱلقَطَطِ) ـ بفتحتين كجسد ؛ علىٰ الأشهر ، ويجوز كسر الطاء المهملة الأولىٰ ، ـ أي : شعره ﷺ ليس بنهاية في الجعودة ؛ وهو : تكسُّره الشديد ؛ كشعر الحبش والزنوج ، ولا بنهاية في السبوطة ؛ وهو عدم تكسُّره أصلاً كشعر الهنود والجاوة ، بل كان وسطاً بينهما ، و« خير الأمور أوساطها » .

قال الزَّمخشري : الغالبُ علىٰ العرب جعودة الشعر ، وعلىٰ العجم سُبُوطته . وقد أحسن الله تعالىٰ برسوله الشمائل ، وجمع فيه ما تفرَّق في الطوائف من الفضائل .

رواه البخاريُّ ، ومسلم ، والبيهقي في « الدلائل » ؛ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه .

(وَكَانَ إِذَا مَشَطَهُ بِٱلْمُشْطِ) ـ بضم الميم ـ أي : سرَّحه به (يَأْتِي كَأَنَّهُ حُبُكُ) ـ بضم الحاء المهملة والباء الموحدة ـ وهي : طرائق (ٱلرَّمْلِ) .

وهذا يؤيِّد مَن فَسَّر الرَّجْل بالمتكسِّر قليلاً ، ولا ينافي ذلك ما تقدَّم من الروايات ، لأنَّ الرُّجولة أمرٌ نسبيٌّ ، فحيث أُثبتت أُريد بها الوسط بين السبوطة والجعودة ، وحيث نُفيت أُريد بها السُّبُوطة ؛ انتهىٰ « شرح الإحياء » مع زيادة .

(وَرُبَّمَا جَعَلَهُ غَدَائِرَ أَرْبَعاً ؛ يُخْرِجُ كُلَّ أُذُنٍ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ) .

قال العراقيُّ : رَوَىٰ أبو داود ، والترمذي وحسَّنه ، وابن ماجه ؛ من حديث أُمِّ هانىءٍ : قَدِم مكَّة ؛ وله أربع غدائر . انتهىٰ .

قلتُ : ورواه البيهقي في « الدلائل » ؛ من طريق سفيان ؛ عن ابن أبي نجيح ؛ عن مجاهد قال : قالت أم هانىء : قدم رسول الله ﷺ مكَّة قدمة ؛ وله أربع غدائر .

وَرُبَّمَا جَعَلَ شَعْرَهُ عَلَىٰ أُذُنَيْهِ ؛ فَتَبْدُو سَوَالِفُهُ تَتَلأْلأُ .

وَمَعْنَى (ٱلْغَدَائِرِ) : ٱلذَّوَائِبُ ، وَاحِدَتُهَا غَدِيرَةٌ .

وَ(ٱلْحُبُكُ) ـ جَمْعُ حِبَاكٍ ـ كَكِتَابٍ ، وَهِيَ : ٱلطَّرِيقَةُ فِي ٱلرَّمْلِ وَنَحْوِهِ. وَكَانَ شَعْرُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ ٱلْجُمَّةِ ، وَفَوْقَ ٱلْوَفْرَةِ.

تعني : ضفائر ، والغديرة والضفيرة : هي الذؤابة . ولفظ الترمذي في « الشمائل » : قدم مكة قدمة ؛ وشعره إلىٰ أنصاف أُذنيه ، وله أربع غدائر .

والظاهر أنها عَنت قدومه مكّة عامَ الفتح ، لأنه حينئذ اغتسل وصلّىٰ الضحىٰ في بيتها ، وقدماته إلىٰ مكة أربعٌ متّفقٌ عليها : ١ ـ في عمرة القضاء ، و٢ ـ الفتح ، و٣ ـ لما رجع من حنين ؛ دخلها حين اعتماره من الجِعْرَانة ، و٤ ـ في حِجَّة الوداع .

(**وَرُبَّمَا جَعَلَ شَعْرَهُ عَلَىٰ أُذُنَيْهِ فَتَبْدُوْ سَوَالِفُهُ**) ؛ جمع سالفة ؛ وهي : صفحة العنق (**تَتَلأْلأُ**) ؛ أي : تضيءُ وتتنوَّر من وبيص الطِّيب . (**وَمَعْنَىٰ ٱلْغَدَائِرِ**) ـ بفتح الغين المعجمة والدال المهملة ـ : (**ٱلذَّوَائِبُ**) ؛ جمع ذؤابة ؛ وهي الخَصلة من الشعر إذا كانت مرسلة ، فإن كانت ملويّة فعقيصة ، والغدائر : (**وَاحِدَتُهَا غَدِيْرَةٌ**) ، وكلٌّ من الغديرة والضفيرة بمعنىٰ الذؤابة ، ويقال : الغديرة : هي الذؤابة ، والضفيرة : هي العقيصة .

(**وَٱلحُبُكُ**) ـ بضمتين ـ (**جَمْعُ**) : حبيكة ؛ كطريقة وطُرُق ، أو جمع (**حِبَاكٍ كَكِتَابٍ**) وكُتُب ، ومِثَال ومُثُل ؛ (**وَهِيَ : ٱلطَّرِيْقَةُ فِي ٱلرَّمْلِ وَنَحْوِهِ**) ، ومنه قوله تعالىٰ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ [الذاريات] أي : صاحبة الطرق في الخِلقة كالطرق في الرمل .

(وَ) روىٰ أبو داود في « سننه » ، وابن ماجه ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : (**كَانَ شَعَرُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ دُوْنَ ٱلجُمَّةِ**) ـ بضم الجيم وتشديد الميم ـ (**وَفَوْقَ ٱلوَفْرَةِ**) ـ بفتح الواو وسكون الفاء ـ ورواه الترمذي في « جامعه » و« شمائله » بلفظ : فوق الجُمَّة ودون الوَفْرة .

. . . .

قال الحافظ العراقي في « شرح الترمذي » : ورواية أبي داود وابن ماجه هي الموافقةُ لكلام أهل اللغة ، إلا أَنْ تُؤَوَّلَ روايةُ الترمذي . وذلك أَنَّه قد يُراد بقوله « دون » النسبة إلىٰ القلَّة والكثرة ، وقد يراد به النسبةُ إلىٰ محلِّ وصول الشعر ، ورواية الترمذي محمولةٌ علىٰ هذا التأويل : أي : أنَّ شعره كان فوق الجُمَّة ، أي : أرفعَ في المحلِّ ، فعلىٰ هذا يكون شعره لِمَّة ؛ وهو بين الوَفْرة والجُمَّة . وتكون رواية أبي داود وابن ماجه معناها : كان شعرُه فوقَ الوَفْرة ؛ أي : أكبر من الوفرة ، ودون الجُمَّة ؛ أي في الكثرة ، وعلىٰ هذا فلا تعارض بين الروايتين ، فروىٰ كلُّ راوٍ ما فهمه من الفوق والدون .

قال تلميذه الحافظ ابن حجر : وهو جمعٌ جيِّد ؛ لولا أنَّ مخرج الحديث متَّحدٌ !! وأجاب القُسْطُلاَّني : بأن إحدىٰ الروايتين نقلٌ بالمعنىٰ ، ولا يضرُّه اتّحاد المخرج ، لاحتمال أنَّه وقع ممن دونه . انتهىٰ . ونحوُه قولُ بعضهم : مآل الروايتين علىٰ هذا التقدير متَّحدٌ معنىً ، والتفاوتُ بينهما إنما هو في العبارة ، ولا يقدح فيه اتِّحاد المخرج ؛ وهو عائِشة ، لأن مَن دونها أدَّىٰ معنىٰ إحدىٰ العبارتين .

هذا ؛ وقد يستعمل أحد اللفظين المتقاربين مكانَ الآخر كما سبق في « أفلج الثنيتين » ، حيث قالوا : الفَلَج يستعمل مكان الفرق ؛ فكذا يقال بمثله هنا . انتهىٰ .

قال الحافظ العراقيُّ : وَرَد في شعره ﷺ ثلاثة أوصاف : جُمَّة ، ووَفرة ، ولِمَّة ، فالوفرة : ما بلغ شحمة الأذن ، واللِّمة : ما نزل عن شحمة الأذن ، والجمة : ما نزل عن ذلك إلىٰ المنكبين ؛ هذا قول جمهور أهل اللغة ، وهو الذي ذكره صاحب « المحكم » و« النهاية » و« المشارق » وغيرهم .

واختلف فيه كلامُ الجوهري ؛ فذكره علىٰ الصواب في مادة « لمم » ، فقال : واللِّمة ـ بالكسر ـ : الشعر المتجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغت المنكبين فهي جُمَّة ، وخالف في ذلك في مادة « وَفَرَ » فقال : والوَفْرة إلىٰ شحمة الأذن ثم الجُمَّة ، ثم

وَكَانَ شَعْرُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرِبُ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ، وَكَثِيراً مَا يَكُونُ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ .

وكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلْجِسْمِ ، . . . .

اللِّمة التي أَلَمَّت بالمنكبين ، وما قاله في « باب الميم » هو الصواب الموافِق لقول غيره من أهل اللغة ، انتهىٰ « زرقاني » .

(وَ) في « كشف الغمة » للعارف الشعراني : (**كَانَ شَعَرُهُ ﷺ يَضْرِبُ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ**) ـ مثنىٰ مَنكِب كمَجْلِس ؛ وهو : مجتمع رأس العضد والكتف ، أي : يصل إليهما . كَنَّىٰ بالضرب عن الوصول .

روىٰ الشيخان ؛ من حديث أنس : كان شعره يضرب مَنكِبيه ، وللبخاري أيضاً : كان يضرب رأس النبي ﷺ مَنكِبَيْهِ . (**وَكَثِيْراً مَا يَكُوْنُ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ**) ؛ وهي : ما لان في أسفلها ؛ وهي معلَّق القُرْط . روىٰ الشيخان ؛ من حديث البراء : يبلغ شعره شحمةَ أذنيه . وروىٰ البيهقيُّ في « الدلائل » ؛ عن أنس : كان شعر رسول الله ﷺ إلىٰ شحمة أذنيه . وروىٰ مسلم ؛ عنْ أنس : كان شعره إلىٰ أنصاف أذنيه . ولفظ الترمذي في « الشمائل » : عظيم الجُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه ؛ أي : تكاثفها ينتهي إلىٰ شحمة أذنيه . وفي « الصحيحين » ؛ عن أنس : أَنَّه كان بين أذنيه وعاتقه . وفي أخرىٰ عند الترمذي وغيره : فوق الجُمّة ؛ ودون الوفرة . وفي رواية : إن انفرقت عقيقته فرق ، وإلاَّ ! فلا يُجاوز شعره شحمة أذنيه . إذا هو وفره . وفي أخرىٰ : كان إلىٰ أذنيه . وفي أخرىٰ : إلىٰ كتفيه .

والجمع بين هذه الروايات : أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمتها ، وما خلفها هو الذي يضرب منكبيه . أو بأنَّ ذلك لاختلاف الأوقات ، فكان إذا ترك تقصيرَها بلغ المنكب ، وإذا قصَّرها كانت إلىٰ الأذن ؛ أو شحمتها ؛ أو نصفها ، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك . انتهىٰ « شرح الإحياء » .

(وَ) قال النووي في « التهذيب » : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ حَسَنَ ٱلْجِسْمِ**) ؛ أي : معتدل الخَلْق متناسبَ الأعضاء . رواه الترمذي في « الشمائل » ؛ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه ، والبيهقي في «الدلائل»؛ عن رجل من الصحابة ـ وقد تقدَّم ـ .

بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، لَهُ شَعْرٌ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَى شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَىٰ نِصْفِ أُذُنَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ ، . . . .

(**بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلمَنْكِبَيْنِ**) ـ روي بالتكبير والتصغير ـ، و« ما » موصولة ؛ أو موصوفة ؛ لا زائدة ـ كما زعمه بعضهم ـ

والمَنكِبان ؛ تثنية مَنكِب : وهو مجمع العضد والكتف ، والمراد بكونه « بعيد ما بين المنكبين » : أنَّه عريض أعلىٰ الظهر . ويلزمه أنَّه عريض الصدر ، وقد تقدَّم أنَّه رواه الترمذي في « الشمائل » ؛ عن البراء بن عازب رضي الله تعالىٰ عنهما .

(**لَهُ شَعْرٌ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَىٰ شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ ، وَفِي وَقْتٍ إِلَىٰ نِصْفِ أُذُنَيْهِ**) . انتهىٰ كلامُ « التهذيب » ، وهو يشير إلىٰ الجمع بين الروايات في صفة شعره ﷺ ، وقد تقدَّم قريباً أنَّ ذلك لاختلاف الأوقات . والله أعلم .

(**وَ**) روىٰ البخاريُّ في « صحيحه » ، والترمذي في « الشمائل » ؛ عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَسْدِلُ**) ـ بفتح أوله وسكون السين المهملة وكسر الدال المهملة ، ويجوز ضمّ الدال ؛ قاله الحافظ وغيره ، وبالضمِّ ضبطه الدمياطي في « حاشية الصحيح » ، والمنذري في « حاشية السنن » .

فاستفدنا أنَّ الرواية بالوجهين ؛ قاله الزرقاني ـ (**شَعْرَهُ**) ؛ أي : يترك شعر ناصيته على جبهته ، لما في رواية للشيخين : سَدَل النبي ﷺ ناصيته . ولذلك قال النووي رحمه الله تعالى : قال العلماء : المرادُ إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصَّة ، أي : بضم القاف ، وإلاَّ ! فالسدل لغةً لا يخصُّ الناصية ، بل هو إرخاءُ الشعر حولَ الرأس من غير أن يقسمه نِصفَين ، يقال : سَدَلْتُ الثوب سَدْلاً : أرخيتُه وأرسلتُه من غير ضمٍّ جانبيه ، فإنْ ضممتهما ؛ فهو قريبٌ من التلفيف ، قالوا : ولا يقال فيه : أسدلتُه ـ بالألف ـ .

وَكَانَ ٱلْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَكَانَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ يَسْدُلُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ،

(**وَكَانَ ٱلْمُشْرِكُوْنَ**) ؛ أي : كُفَّار مكَّة (**يَفْرُقُوْنَ**) ـ بضم الراء وكسرها ، روي مخفَّفاً وهو الأشهر ، ومشدداً من باب التفعيل ـ (**رءُوْسَهُمْ**) ؛ أي : شعر رءُوْسِهم ، والفرق ـ بفتح فسكون ـ : قسمُ الشعر نصفين ؛ وإرسال نصفٍ من جانب اليمين على الصدر ، وإرسال نصف من جانب اليسار على الصدر ، وهو ضدُّ السَّدْل الذي هو : مطلقُ الإرسال من سائر الجوانب .

(**وَكَانَ أَهْلُ ٱلكِتَابِ يَسْدُلُوْنَ رءُوْسَهُمْ**) ؛ أي : شعرَها ؛ وفي رواية : أَشعارهم ، (**وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ ٱلكِتَابِ**) اليهود حين كان عبدة الأوثان كثيرين ، (**فِيْمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيْهِ بِشَيْءٍ**) ؛ أي : فيما لم ينزل فيه وحي ، أو فيما لم يطلب منه على جهة الوجوب ، أو الندب ، أو فيما لم يؤمر فيه بالمخالفة لهم ، يعني فيما لم يخالف شرعه ؛ إيجاباً أو ندباً ، فقَصْرُ الأمر هنا على حقيقته ؛ وهو الوجوب تقصيرٌ ، وإنما أحبَّ موافقتهم ! لتمسُّكهم في زمانه ببقايا شرائع الرسل ، والمشركون وثنيون ؛ لا مستند لهم إلاَّ ما وجدوا عليه آباءهم .

قال الحافظ ابن حجر : فكانت موافقتُهم أحبَّ إليه من موافقة عُبَّاد الأوثان ، فلما أسلم غالبهُم أحبَّ حينئذ مخالفة أهل الكتاب . انتهى .

وقال النووي وغيره : أو كان لاستئلافهم كما تألَّفهم باستقبال قبلتهم ، وتُوُقِّف فيه بأن المشركين أولى بالتأليف ، ورُدَّ بأنه قد حرص أوَّلاً على تألُّفهم ؛ ولم يألُ جهداً في ذلك ، وكلما زاد زادوا نفوراً ، فأحبَّ تأليف أهل الكتاب ليجعلهم عوناً على قتال الآبِيْن من عَبَدة الأوثان .

وقال القرطبي : حبُّه لموافقتهم كان أوَّلاً في الوقت الذي كان يستقبل قبلتهم ؛ ليتألَّفهم حتى يُصغوا إلى ما جاء به ، فلما لم ينفع فيهم ذلك وغلبت عليهم الشِّقْوة أُمِر بمخالفتهم في أمور كثيرة ، لقوله : « إِنَّ ٱليَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ لاَ يَصْبِغُونَ ؛ فَخَالِفُوهُمْ » . انتهى « زرقاني » .

ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ .

(**ثُمَّ فَرَقَ**) ـ بفتح الفاء والراء مخففاً ومشدداً ـ (**رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ رَأْسَهُ**) ؛ أي : ألقى شعره إلى جانبي رأسه ، فلم يترك منه شيئاً على جبهته .

وحِكمةُ عدولِه عن موافقة أهل الكتاب : أن الفرق أنظفُ وأبعد عن الإسراف في غسله ، وعن مشابهة النساء .

قال العلماء : والفرقُ سنَّة ، لأنه الذي رجع إليه ﷺ ، والصحيح جواز السَّدلِ والفرقِ معاً ، لكن الفرق أفضل فقط ، لأنه الذي رجع إليه ﷺ ، فكأنَّه ظهر الشرع به ؛ لكن لا وجوباً ، لأن مِن الصَّحب مَن سَدل بعد ذلك ، فلو كان الفرق واجباً ما سدلوا بعدُ ، ولهذا قال في « المطامح » : الحديثُ يدلُّ على جواز الأمرين ، والأمر فيه واسع .

وقال القاضي عياض : نُسخ السَّدل فلا يجوز فعله ، ولا اتخاذ الناصية والجُمَّة ، قال : ويحتمل أن المراد جواز الفرق ؛ لا وجوبه ، ويحتمل أن الفرق كان اجتهاداً في مخالفة أهل الكتاب ؛ لا بوحي ، فيكون الفرق مستحباً . انتهى .

والقول بالنسخ ردَّه ابن حجر ، وقال القرطبي : أمّا تَوَهُّم النسخ !! فلا يُلتفت إليه أصلاً ، لإمكان الجمع ، لكن العسقلاني قال : جزم الحازمي أن السدل نُسخ بالفرق ، واستدَلَّ برواية معمر ؛ عن الزهري ، عن عبد الله بلفظ : ثم أمر بالفرق ، وكان الفرق آخرَ الأمرين ؛ أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » ، وهو ظاهر . والله أعلم .

قال ابن حجر : والذي يتَّجهُ أنَّ محل جواز السدل حيث لم يقصد به التشبُّه بالنساء ، وإلاَّ !! حَرُمَ مِن غير نزاع . انتهى .

هذا ؛ والحديث الذي ساقه المصنِّفُ رواه الترمذي في « الشمائل » ـ كما تقدَّم ـ. وفي « صحيح البخاري » في الصفة النبوية وفي « اللباس » نحوُه ، وفي « صحيح مسلم » نحوه ، وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ؛ قاله الزرقاني على « المواهب » .

وَمَعْنَىٰ (سَدْلِ ٱلشَّعْرِ) : إِرْسَالُهُ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ ٱلسَّبَلَةِ .

وَمَعْنَى (ٱلسَّبَلَةِ) : مُقَدَّمُ ٱللِّحْيَةِ ، وَمَا ٱنْحَدَرَ مِنْهَا عَلَىٰ ٱلصَّدْرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ ٱللِّحْيَةِ ، . . . .

قال المصنف : (**وَمَعْنَىٰ سَدْلِ ٱلشَّعْرِ**) ـ فيما قاله العلماء ـ : (**إِرْسَالُهُ**) على الجبين واتِّخَاذه كالقُصة ـ أي : بضمِّ القاف بعدها مهملة ـ انتهى ، وهو المراد هنا . وقيل : سدل الشعر : أن يرسلَه ولا يضمَّ جوانبه . وقيل : السَّدلُ : أن يُرسل الشخصُ شعرَه من ورائه ؛ ولا يجعله فرقتين . انتهى « جمع الوسائل » .

(وَ) روى الطبراني في « الكبير » ؛ عن العدَّاءِ ـ بفتح العين المهملة وتشديد الدال المهملة والمد ـ ابن خالد بن هودة العامري ، أسلم يوم حنين هو وأبوه جميعاً رضي الله تعالى عنهما ؛ قال :

(**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ حَسَنَ ٱلسَبَلَةِ**) ـ بالتحريك ـ : ما أُسبل من مقدّم اللحية ؛ ذكره الزمخشري . قال المصنف ـ تبعاً للعزيزي ـ : (**وَمَعْنَىٰ ٱلسَّبَلَةِ**) ـ بالتحريك ـ : (**مُقَدَّمُ ٱللِّحْيَةِ ، وَمَا ٱنْحَدَرَ مِنْهَا عَلَىٰ ٱلصَّدْرِ**) ؛ وهو الشَّعَرات التي تحت اللَّحي الأسفل ؛ أو الشارب ، وقال الحفني : ما أُسبل من مقدَّم اللحية الذي تحت العَنْفَقة وفوقَه العارضان ، انتهى .

(وَ) قال الغزالي في « الإحياء » : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ كَثَّ ٱللِّحْيَةِ**) ؛ أي : كثير شعر اللحية ملتفَّها . رواه البيهقي ؛ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها .

ورواه من طريق محمد بن علي بن أبي طالب ؛ عن أبيه ، ورواه من طريق نافع بن جبير ؛ عنه : كان ضخم الهامة عظيم اللِّحية ، وفي لفظ : ضخم الرأس واللحية ، ومن حديث أبي هريرة : كان أسود اللحية حسن الشعر ، ومن طريق أبي ضمضم ؛ عن رجل من الصحابة لم يُسَمَّ : كان رجلاً مربوعاً حسن السَبَلة ؛ قال : كانت اللحية تُدعى في أول الإسلام سَبَلة ، ورواه الطبراني في « الكبير »

وَكَانَ يُعْفِي لِحْيَتَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَارِبِهِ .

وسماه العَدَّاء بن خالد . انتهى شرح « الإحياء » . وقد سبقت رواية العدَّاء آنفاً .

(**وَكَانَ يُعْفِي لِحْيَتَهُ**) ؛ أي : يوفِّرُها ، وسيأتي أنَّه كان يأخذ من عرضها وطولها . (**وَيَأْخُذُ مِنْ شَارِبِهِ**) ؛ أي : يقصُّه ، في أيِّ وقت احتاج إليه من غير تقييد بيوم ، كما أفاده الحديث الذي رواه الترمذي وحسَّنه ؛ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان النبي ﷺ يقصُّ شاربه ، وحديث التقييد بالجمعة ضعيف .

وكان ﷺ يأمر بإعفاء اللحية وقصِّ الشارب . روى البيهقي في « السنن » ، وابن عدي ؛ من حديث عمرو بن شعيب ؛ عن أبيه ؛ عن جدِّه : « أَحْفُوا ٱلشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا ٱللِّحَىٰ » . ورواه أيضاً الطحاوي ؛ من حديث أنس بزيادة : وَلاَ تَشَبَّهُوا بِٱليَهُودِ » .

وروى الترمذي ـ وقال : حسن صحيح ـ ، والنسائي ، والإمام أحمد ؛ من حديث زيد بن أرقم قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا » ؛ أي : ليس على طريقتنا الإسلامية ، لِنَدْبِ ذلك مؤكَّداً ؛ فتاركه متهاون بالسنة ، هذا مذهب الجمهور . . وأَخَذ جمع بظاهره فأوجبوا قَصَّه .

وروى الإمام أحمد ؛ عن رجل من الصحابة رفعه : « مَنْ لَمْ يَحْلِقْ عَانَتَهُ وَيُقَلِّمْ أَظْفَارَهُ وَيَجُزَّ شَارِبَهُ فَلَيْسَ مِنَّا » وحسَّنه بعض الحفاظ لشواهده .

وفي « الصحيحين » ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حديث : « خَالِفُوا ٱلْمُشْرِكِيْنَ ، وَفِّروا ٱللِّحَىٰ وَأَحْفُوا ٱلشَّوَارِبَ » . ومعنى « وفِّروا » ـ بتشديد الفاء ـ : اتركوها وافرة لتكثر وتغزر ، ولا تتعرَّضوا لها . وأَحفوا قال النووي : بقطع الهمزة ووصلها ؛ من أحفاه وحفاه : استأصله ، وقال الزركشي : بألف قطع رباعي ؛ أشهر وأكثر ، وهو المبالغة في استقصائه ، ومنه « أحفى في المسألة » إذا أكثر ، وقال القاضي عياض : من « الإحفاء » ، وأصله الاستقصاء في أخذ الشارب ، وفي معناه رواية : « أَنْهِكُوا ٱلشَّوَارِبَ » والمراد : بالغوا في قصِّ ما طال منها حتَّى تبين الشَّفَة بياناً ظاهراً استحباباً . وقيل : وجوباً .

. . . .

وَقَدْ اختُلِفَ في قصِّ الشارب وحلقه أيُّهما أفضل !؟

فقال القاضي عياض : ذهب كثير من السلف إلى استيعاب الشارب ، وحلقه لظاهر قوله ﷺ : « أَحْفُوا وَأَنْهِكُوا » وهو قول الكوفيين .

وذهب كثير منهم إلى منع الحلق ، ومنهم الإمام مالك ، قال : ويُحفي الشارب ويعفي اللحى ، وليس إحفاء الشارب حلقَه ؛ أي : بل أخذُ ما طال عن الشفة بقصٍّ ونحوه ، بحيث لا يؤذي الآكل ، ولا يجتمع فيه الوسخ . قال القرطبي : وأرى تأديبَ مَن حلق شاربه ؛ لما فيه من التشبُّه بالمجوس . وعن أشهب ؛ عن مالك : أنَّ حَلْقه بدعة لذلك . قال : وأرى أن يُوجَع ضرباً من فعله .

وقال النووي : المختارُ في قصِّ الشارب أنَّه يقصُّه حتى يبدوَ طرف الشفة ، ولا يحُفُّه من أصله . وقال الطحاوي : لم نجد عن الشافعي شيئاً منصوصاً في هذا ، وكان المزنيُّ والربيع يُحفيان شاربهما ، قال : وما أظنُّهم أخذوا ذلك إلاَّ عنه .

وأما أبو حنيفة وأصحابه ! فمذهبهم في شعر الرأس والشارب : أنَّ الإحفاء ـ الذي هو الإزالة بالكلية ـ أفضلُ من التقصير .

وأما أحمد !! فقال الأثرم : رأيته يحفي شاربه شديداً ، ونصَّ على أنَّه أولىٰ من القَصِّ .

قال في « فتح الباري » : وذهب ابن جرير إلى التخيير ، فإنَّه لَمَّا حكى قول مالك وقولَ الكوفيين ؛ ونقل عن أهل اللغة أنَّ الإحفاء هو الاستئصال ؛ قال : دَلَّت السنة على الأمرين ، ولا تعارض ، فالقصُّ يدلُّ على أخذ البعض ، والإحفاءُ يدلُّ على أخذ الكلِّ ، فكلاهما ثابت ؛ فيخير فيما شاء .

قال الحافظ ابن حجر : فيؤخذ من قول الطبري ثبوتُ الأمرين معاً في الأحاديث .

فأما الاقتصار على القصِّ ! ففي حديث المغيرة : ضِفْتُ النبي ﷺ وكان شاربي وَفير فقَصَّه على سواك . رواه أبو داود والبيهقي بلفظ : فَوَضَعَ السِّواك تحت الشارب

. . . .

وقصَّ عليه . وأخرج البزار ؛ عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ أبصر رجلاً وشاربُه طويل ؛ فقال : « اِئتُوني بِمِقَصٍّ وَسِوَاك » ، فجعل السواك على طرفه ثم أخذ ما جاوزه . وأخرج البيهقي والطبراني ؛ عن شرحبيل بن مسلم الخولاني : رأيت خمسة من الصحابة يقصُّون شواربهم : أبو أمامة الباهلي ، والمقدام بن معدِيْكَرِب ، وعتبة بن عون السلمي ، والحجاج بن عامر الثمالي ، وعبد الله بن بُسْر .

وأما الإحفاء ! فأخرج الطبرانيُّ ، والبيهقيُّ ؛ عن عبد الله بن أبي رافع قال : رأيت أبا سعيد الخدريَّ ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، ورافع بن خديج ، وأبا أُسيد الأنصاري ، وسلمة بن الأكوع ، وأبا رافع يُنْهِكُون شواربهم كالحلق . وأخرج الطبراني ؛ عن عروة وسالم والقاسم وأبي سلمة : أنَّهم كانوا يحلقون شواربهم .

واختُلف في كيفية قصِّ الشارب : هل يقص طرفاه أيضاً ؛ وهما المسمَّيان بـ« السِّبَالين » ، أم يُترك السبالان كما يفعله كثير من الناس !؟

قال الغزالي في « الإحياء » : لا بأس بترك سباليه ؛ وهما طرفا الشارب ، فعل ذلك عمر رضي الله تعالى عنه وغيره ، لأن ذلك لا يستر الفمَ ، ولا تبقى فيه زُهومة الطعام ، إذ لا يصل إليه . انتهى .

وروى أبو داود ؛ عن جابر رضي الله تعالى عنه : كنا نحفي السِّبال إلاَّ في حجة وعمرة ، وكره بعضهم إبقاءَه ؛ لما فيه من التشبُّه بالأعاجم ، وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه : إياكم وزِيَّ الأعاجم !! وقال الإمام مالك : أميتوا سُنَّة العجم ، وأحيوا سُنَّة العرب . وفيه تشبُّه بالمجوس وأهلِ الكتاب ، والقول بالكراهة أولى بالصواب ، لما رواه ابن حبان في « صحيحه » ، والطبراني ، والبيهقي ؛ من حديث ميمون : « إِنَّهُمْ يُوَفِّرُونَ سِبَالَهُمْ وَيَحْلِقُونَ لِحَاهُمْ ؛ فَخَالِفُوهُمْ » . فكان ابن عمر يجزُّ سباله كما تُجَزُّ الشاة أو البعير . انتهى .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ، مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا.

وأما فعل عمر رضي الله تعالى عنه إنْ صحَّ !! فلعله لم يبلغه النهي . انتهى من « المواهب اللدنية » مع شيء من « شرح الزرقاني » رحمهم الله تعالى . آمين .

(وَ) روى الترمذيُّ ـ وقال : حديث غريب ـ من طريق عَمْرو بن شُعَيْب ؛ عن أبيه ؛ عن جدِّه رضي الله تعالى عنه قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ** ؛ **مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا**) بالسويَّة ؛ كما في رواية ، أي : يأخذ الشَّعر الزائد في الطول لتقرب من التدوير من جميع الجوانب ، لأنَّ الاعتدال محبوبٌ ، والطولُ المُفرِط قد يشوِّهُ الخَلْق ، ويُطلِق ألسنة المغتابين ، ففِعْل ذلك مندوبٌ ما لم ينتهِ إلى تقصيص اللحية وجعلها طاقات ؛ فإنه مكروه ، وكان بعض السلف يقبض على لحيته فيأخذ ما تحت القبضة ، وقال النَّخَعي : عجبت لعاقل كيف لا يأخذُ من لحيته ؛ فيجعلها بين لحيتين ، فإنَّ التوسُّط في كلِّ شيء حسن ، ولذا قيل : كلما طالت اللحية تشمَّر العقل ، ففعْلُ ذلك إذا لم يقصد الزينة والتحسين لنحو النساء سنّةٌ ، كما عليه جمعٌ ؛ منهم القاضي عياض وغيره ، واختار النووي تركها بحالها مطلقاً . . ثم لا ينافي فعله ﷺ قوله : « أَعْفُوا ٱللِّحَىٰ » . لأنَّه في الأخذ منها لغير حاجة ؛ أو لنحو تزين ، وهذا فيما احتيج إليه لتشعُّث ؛ أو إفراط طول يتأذَّى به ، وقال الطيبي : المنهيُّ عنه قصُّها كالأعاجم ، أو وصلها كذنب الحمار ، وقال الحافظ ابن حجر : المنهيُّ عنه الاستئصال أو ما قاربه ، بخلاف الأخذ المذكور ، انتهى .

لطيفة : قال الحسن بن المثنَّى : إذا رأيتَ رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين لحيتين ؛ كان في عقله شيء . وجلس المأمون مع أصحابه مشرفاً على دجلة ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط ؛ إلا ونقص من عقله بقدر ما طال منها ، وما رأيت عاقلاً قطُّ طويلَ اللحية !. فقال بعض الجلساء : ولا يُرَدُّ على أمير المؤمنين ؛ إنه قد يكون في طولها عقلٌ ، فأقبل رجل كبير اللحية حَسَن الهيئة فاخر الثياب ، فقال المأمون : ما تقولونَ فيه !! فقال بعضهم : يجب كونه قاضياً ، فأمر بإحضاره ، فوقف فسَلَّم فأجاد ، فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن ، فقال

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ تَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُفَارِقُهُ سِوَاكُهُ وَلاَ مُشْطُهُ ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي ٱلْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا ٱهْتَمَّ . . أَكْثَرَ مِنْ مَسِّ لِحْيَتِهِ .

المأمون : ما اسمك ؟ فقال : أبو حمدويه والكنيةُ علوية . فضحك المأمون وغمز جلساءه ، ثم قال : ما صنعتُك ؟ قال : فقيه أجيدُ المسائل . قال : ما تقول فيمن اشترى شاةً فلما تسلَّمها ؛ خرج من ٱستها بعرةٌ ؛ ففقأت عين رجل ، فعلى مَن الدية !؟ قال : على البائع دون المشتري ، لأنه لما باعها لم يشترط أَنَّ في ٱستِها منجنيقاً ، فضحك المأمون حتَّى استلقى على قفاه وأنشد :

مَـا أَحَـدٌ طَـالَـتْ لَـهُ لِحْيَـةٌ فَـزَادَتِ ٱللِّحْيَـةُ فِـي هَيْئَتِـهْ
إِلاَّ وَمَـا يَنْقُـصُ مِـنْ عَقْلِـهِ أَكْثَـرُ مِمَّـا زَادَ فِـي لِحْيَتِـهْ

(وَ) قال المناوي في « كنوز الحقائق » : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يُكْثِرُ تَسْرِيْحَ لِحْيَتِهِ**) أي : تمشيطها وإرسالَ شعرِها وحَلَّها بمشطها ؛ رواه الترمذي في « جامعه » و« شمائله » ، والبغوي في « شرح السنة » كلُّهم ؛ عن أنس رضي الله تعالى عنه بلفظ : كان يكثر دَهن رأسه وتسريح لحيته ، ويكثر القناع حتى كأنَّ ثوبَه ثوبُ زيَّات ، وسيأتي .

(وَ) أخرج الطبراني في « الأوسط » ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **لاَ يُفَارِقُهُ سِوَاكُهُ وَلاَ مُشْطُهُ ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي ٱلمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ**) ـ بتشديد الراء ـ (**لِحْيَتَهُ**) ـ أي : مشطها ـ .

(وَ) أخرج ابن السنِّي ، وأبو نعيم كلاهما في كتاب « الطب النبوي » ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ترفعه ، وأبو نعيم في « الطب » أيضاً ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بسند حسن :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ **إِذَا ٱهْتَمَّ أَكْثَرَ مِنْ مَسِّ لِحْيَتِهِ**) ، فيُعرف بذلك كونه

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱغْتَمَّ . أَخَذَ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ يَنْظُرُ فِيهَا .
وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ . خَلَّلَ لِحْيَتَهُ بِٱلْمَاءِ .

مهموماً ، قال بعضهم : ويجوز كونُ مسِّه لها تسليماً لله تعالى بنفسه ، وتفويضاً لأمره إليه ، فكأنه موجه نفسه إلى مولاه . انتهى « مناوي » .

(وَ) أخرج الشيرازي في « الألقاب » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ وهو حديث حسن لغيره ـ : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا ٱغْتَمَّ**) ـ بغين معجمة ومثناة فوقية ـ أي : حَزِنَ ، قال في « المصباح » : غَمَّه الشيءُ غَمّاً ؛ من باب (قتل) : غطاه ، ومنه قيل للحزن غمّ ، لأنه يغطي السرور . انتهى .

(**أَخَذَ لِحْيَتَهُ**) ؛ أي : تناولها (**بِيَدِهِ يَنْظُرُ فِيهَا**) كأنَّه يتفكَّرُ ، أو يُسلّي بذلك حزنه .

(وَ) في « الجامع الصغير » : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا تَوَضَّأَ خَلَّلَ لِحْيَتَهُ بِٱلْمَاءِ**) أي : أدخل الماء في خلالها بأصابعه الشريفة ، فيندبُ تخليلُ اللِّحية الكَثَّة ، فإن لحيته الشريفة كانت كَثَّة ، ومثلها كلُّ شعر لا يجب غسل باطنه .

قال ابن القَيِّم : ولم يكن يواظب على التخليل . ورمز في « الجامع الصغير » لمن أخرجه برمز أحمد والحاكم وصحَّحه ؛ عن عائشة ، والترمذي والحاكم ؛ عن عثمان بن عفان ـ وقال الترمذي : حسن صحيح عنه ـ ، والترمذي والحاكم ؛ عن عمار بن ياسر ، والحاكم ؛ عن بلال المؤذِّن ، وابن ماجه والحاكم ؛ عن أنس بن مالك ، والطبراني في « الكبير » ؛ عن أبي أُمامة الباهلي ، وعن أبي الدرداء ، وعن أم سلمة ، والطبراني في « الأوسط » ؛ عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين . قال الحافظ الهيثمي : بعض هذه الطرق رجالُه موثقون ، وفي البعض مقالٌ . انتهى .

وأشار المصنف ـ يعني السيوطي ـ باستيعاب مخرِّجيه إلى ردِّ قول أحمد وأبي زرعة « لا يثبت في تخليل اللحية حديث » ؛ قاله المناوي على « الجامع الصغير » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ ، وَيُكْثِرُ ٱتِّخَاذَ ٱلْقِنَاعِ .

(وَ) أخرج الترمذي في « الجامع » و« الشمائل » ، والبغوي في « شرح السنة » ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ؛ عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه :

(كَانَ) رسولُ الله (ﷺ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ) ـ بفتح الدال المهملة وسكون الهاء ـ : استعمال الدُّهن ـ بالضم ـ ، والدهن : ما يُدهن به من زيت وغيره ، وجمعه دِهان ـ بالكسر ـ ، وإكثاره ذلك إنما كان في وقت دون وقت ، وفي زمن دون آخر ، بدليل نهيه عن الادّهان إلاَّ غِبّاً في عِدَّة أحاديث .

قال ابن القيم : الدهن يسدُّ مسام البدن ، ويمنع ما تخلَّل منه ، والدهن في البلاد الحارة كالحجاز من آكد أسبابِ حفظ الصحة ، وإصلاح البدن ، وهو كالضروري لهم .

(وَتَسْرِيْحَ لِحْيَتِهِ) بالماء ، أو بماء الورد ونحوه ، وهو عطفٌ على دهن رأسه ؛ كما هو ظاهر ، لا على رأسه ؛ كما وُهِمَ . والمراد تمشيطُها وإرسالُ شعرها وحلُّها بمشطها ، ولا ينافيه ما في « أبي داود » من النهي عن التسريح كلَّ يوم ، لأنَّه لا يلزم من الإكثار التسريح كل يوم ، بل الإكثار قد يصدق على الشيء الذي يفعل بحسب الحاجة ؛ ذكره الوليُّ العراقي ، ولم يَرد أنَّه كان يقول عند تسريحها شيئاً ؛ ذكره السيوطي .

(وَيُكْثِرُ ٱتِّخَاذَ ٱلقِنَاعِ) . قال السيوطي رحمه الله تعالى يعني : يَتَطَيْلَس ؛ نقله المناوي . وقال الحِفني والعزيزي ؛ كالمناوي في « كبيره » : والمراد باتخاذ القناع هنا : تغطيةُ الرأس وأكثرِ الوجه ، وذلك لِمَا علاه من الحياء ، ولذا كان يتقنَّع عند الجماع ، لأنه يُستحيا منه عادة ؛ وإن كان جائزاً .

وقال المناوي في « كبيره » : وسبب إكثاره للتقنُّع : أَنَّه كان قد علاه من الحياء من ربِّه ما لم يحصل لبشر قبله ؛ ولا بعده ، وما ازداد عبدٌ بالله علماً إلا ازداد حياءً من الله تعالى ، فحياء كلِّ عبد على قدر علمه بربِّه ، فألجأه ذلك إلى ستر منبع الحياء

وَ(ٱلْقِنَاعُ) : خِرْقَةٌ تُوضَعُ عَلَىٰ ٱلرَّأْسِ حِينَ ٱسْتِعْمَالِ ٱلدُّهْنِ لِتَقِيَ ٱلْعِمَامَةَ وَٱلثِّيَابَ .

ومحلِّه ؛ وهو العين والوجه ؛ وهما من الرأس ، والحياء من عمل الروح ، وسلطانُ الروح في الرأس ، ثم هو يُنْشَر في جميع البدن ، فأهل اليقين قد أبصروا بقلوبهم أَنَّ الله يراهم ؛ فصارت جميع الأمور لهم معاينةً ، فهم يعبدون ربَّهم كأنَّهم يرونه ، وكلما شاهدوا عظمته ومِنَّته ازدادوا حياءً ، فأطرقوا رُءُوْسهم وَجَلاً ، وقنَّعوها خَجَلاً .

وأنت بعد أن سمعت هذا التقرير انكشفَ لك أنَّ مَن زعم « أن المراد هنا بالقناع : خرقة تُلقَىٰ على الرأس لتقي العمامة من نحو دهن » لم يَدُر حول الحِمى ، بل في البحر فُوْهُ ؛ وهو في غاية الظمأ !! انتهى .

وقال الحفني على « الجامع الصغير » : القناع عند أهل الله يسمَّى الخلوة الصغرى ، لأنَّه يمنع من كثرة الاشتغال بالخلق والنظر إليهم . انتهى .

وقال الباجوري « على الشمائل » : صحَّ عن ابن مسعود ـ وله حكمُ المرفوع ـ : « التَّقَنُّعُ مِنْ أَخْلاَقِ ٱلأَنْبِيَاءِ » ، وفي خبر : « لاَ يَتَقَنَّعُ إِلاَّ مَنِ ٱسْتَكْمَلَ ٱلْحِكْمَةَ في قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ » ويؤخذ منه أنه ينبغي أن يكون للعلماء شعارٌ يختصُّ بهم ، ليُعرَفوا فيُسألوا ويُمتثل أمرهم ونهيهم ، وهذا أصلٌ في لبس الطيلسان ونحوه ، وله فوائد جليلة كالاستحياء من الله والخوف منه ، إذ تغطيةُ الرأس شأنُ الخائِف الذي لا ناصر له ؛ ولا معين ، وكجمعه للتفكُّر ، لأنه يغطي أكثر وجهه ، فيُحضرُ قلبَه مع ربِّه ، ويمتلِىءُ بشهوده وذكرِه ، وتُصان جوارحه عن المخالفات ، ونفسُه عن الشهوات ، ولذلك قال بعض الصوفية : الطيلسان الخلوة الصغرى . انتهى كلام الباجوري رحمه الله تعالى .

وبما قرَّرناه تعلمُ ما في قول المصنف (**وَٱلْقِنَاعُ**) ـ بكسر القاف وخفة النون وفي آخره مهملة ؛ كرجال ـ : (**خِرْقَةٌ تُوْضَعُ عَلَىٰ ٱلرَّأْسِ حِيْنَ**) ـ أي : بعد ـ (**اسْتِعْمَالِ ٱلدُّهْنِ**) ـ بالضم ـ (**لِتَقِيَ ٱلْعِمَامَةَ وَٱلثِّيَابَ**) من أثر الدهن واتساخها به ، شُبِّهت

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱدَّهَنَ . . صَبَّ فِي رَاحَتِهِ ٱلْيُسْرَىٰ ، فَبَدَأَ بِحَاجِبَيْهِ ، ثُمَّ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ رَأْسِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلتَّيَامُنَ . . . .

بقناعِ المرأة . وفي « الصّحاح » : هو أوسعُ من المقنعة . انتهى .

(وَ) أخرج الشيرازي في « الألقاب » ـ وهو حديث حسن لغيره ـ ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

(كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا ٱدَّهَنَ) ـ بالتشديد على « افتعل » : تَطَلَّى بالدُّهن ، أي : إذا أراد أن يدَّهن ـ (صَبَّ) الدُّهن (فِي رَاحَتِهِ) ؛ أي : بطن كفِّه (ٱلْيُسْرَىٰ) ، ثم أخذ الدهن باليمنى ودَهَنَ ، (فَبَدَأَ بِحَاجِبَيْهِ) فدهنهما أوّلاً ، (ثُمَّ عَيْنَيْهِ ثُمَّ رَأْسِهِ) ؛ أي : ثم عَنفقته ؛ ثم عارضيه ، ثم بقيّة لحيته . انتهى « حفني » .

قال العزيزي : وفي رواية : كان إذا دهن لحيته بدأ بالعَنْفَقة ، وقال المناوي : وفي رواية الطبراني ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها : كان إذا دَهن لحيته بدأ بالعنفقة .

(وَ) أخرج السبعةُ : أحمد ، والبخاريُّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي في « جامعه » ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي في « الشمائل » ببعض اختلاف في اللفظ ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ يُحِبُّ) ـ وفي رواية لمسلم و« الشمائل » : لَيُحِبُّ ـ (ٱلتَّيَامُنَ) ـ ولفظ رواية مسلم : ٱلتَّيَمُّنَ ، أي : الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن ، وكلّ ما كان من باب التكريم ؛ لأنَّ اليمين مشتقة من اليُمْن ؛ وهو البركة ؛ وهو ﷺ كان يُحبُّ الفألَ الحسن ، وأصحاب اليمين أهلُ الجنة ، فاليمين وما نسب إليها وما اشتق منها محمودٌ ممدوح بياناً وشرعاً ؛ دنيا وآخرة ، والشمال على النقيض ، وقد شرف الله تعالى أهل الجنة بنسبتهم إليها ، كما ذَمَّ أهل النار بنسبتهم إلى الشمال ؛ فقال ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ

فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ ، وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ ، وفِي ٱنْتِعَالِهِ إِذَا ٱنْتَعَلَ ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ .

ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة] وعكس في أصحاب الشمال !! زاد البخاري في روايته : ما استطاع ، فنبَّه على المحافظة على ذلك ما لم يمنع مانع .

(فِي طُهُوْرِهِ) ـ بضمِّ أوّله ؛ أو فتحه : روايتان مسموعتان ، ورواية الضمِّ لا تحتاجُ إلى تقدير ، لأن الطُّهور ـ بالضم ـ هو الفعل ، ورواية الفتح تحتاج إلى تقدير مضاف : أي في استعماله ، لأن الطَّهور ـ بالفتح ـ : ما يُتطهَّر به (إِذَا تَطَهَّرَ) ؛ أي : وقت اشتغاله بالطهارة ، وهي أعمُّ من الوضوء والغسل .

وإنَّما قال : إذا تطهَّر !! ليدلَّ على تكرُّر المحبَّة بتكرر الطهارة ، كما في قوله تعالى ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ ﴾ [٦/ المائدة] .

وقوله (وَفِي تَرَجُّلِهِ) ـ بضم الجيم المشددة ـ أي : تمشيط شَعْر رأسه ولحيته ، وفي معناه الادِّهان (إِذَا تَرَجَّلَ) ؛ أي : وقت إيجاد هذا الفعل ، أي : ويحبُّ التيامن في ترجُّله وقتَ اشتغاله بالترجُّل ، فإذا أراد أن يدهن أو يمشط أحبَّ أن يبدأ بالجهة اليمنى من الرأس أو اللحية .

(وَفِي ٱنْتِعَالِهِ) ؛ أي : لبس نعله (إِذَا ٱنْتَعَلَ) ؛ أي : وقت إرادةِ لبس النعل ، وفيه احترازٌ من حال الاختلاع ، فإنه يبتدىء باليسار ، أي : ويحبُّ التَّيامن في انتعاله وقتَ اشتغاله بالانتعال ، فإذا أراد لبس النعل أحبَّ أن يبدأ بالرجل اليمنى .

(وَ) يحبُّ التيامن (فِي شَأْنِهِ) ـ أي : في حاله ـ (كُلِّهِ) يعني : في جميع حالاته ، وهذا عطفُ عامٍّ على خاصٍّ ، لكن ليس على عمومه ، بل مخصوصٌ بما كان من باب التكريم ، وأما ما كان من باب الإهانة !! فيستحبُّ فيه التياسر .

ولذلك قال النووي : قاعدة الشرع المستمِرَّة استحبابُ البداءة باليمين في كلِّ ما كان من باب التكريم والتشريف ؛ كلبس الثوب والسراويل والخفِّ والانتعال ، ودخول المسجد والسواك ، وتقليم الأظفار وقصِّ الشارب ، وترجيل الشعر ونتف الإبط ، وحلق الرأس والاكتحال ، والسلام من الصلاة ، وغسل أعضاء الطهارة ،

وَكَانَتْ يَدُهُ ٱلْيُسْرَىٰ لِخَلَائِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَذَىً .

والخروج من الخلاء ، والأكل والشرب ، والمصافحة واستلام الحجر الأسود ، وندب الصلاة عن يمين الإمام ؛ وفي ميمنة المسجد ، وغير ذلك مما هو في معناه يستحبُّ التيامن فيه .

فأما ما كان بضدِّه مثل : دخول الخلاء ، والخروج من المسجد ، والامتخاط والاستنجاء ، وخلع الثوب والسراويل والخفّ ، وأخذُ النعلين . . . وما أشبه ذلك !! فيستحبُّ التياسر فيه . انتهى ؛ نقله جسَّوس مع زيادة من غيره .

ومما لا يخفى أن التَّيامن في فعلٍ بين أجزائِه تقدُّمٌ وتأخُّرٌ ، فلا تيامنَ في نحو غسل الوجه ومسحِ الأذنين لغير الأقطع ، والله أعلم .

(وَ) أخرج أبو داود في « سننه » ، وغيرهُ بالإسناد الصحيح ـ كما قاله النووي في « الأذكار » ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت يدُ رسول الله ﷺ اليمنىٰ لطهوره وطعامه ، (وَكَانَتْ يَدُهُ ٱلْيُسْرَىٰ لِخَلَائِهِ) ؛ أي : للاستنجاء ، ويمكن أن يؤخذ من الخبر تقديمُ الرجل اليسرى ؛ أو بدلها عند دخولِ ؛ أو وصولِ الخلاء أو محلِّ قضاء الحاجة من الفضاء ، بأن يراد باليسرى ما يشمل اليدَ والرجل ؛ من استعمال المشترك في معنيَيْه ، أو من عموم المجاز .

وقوله (وَمَا كَانَ مِنْ أَذَىً) ؛ أي : من النوع الذي يعدُّ بالنسبة لسائر الناس أذىً ، من المخاط والبصاق والدم ونحوه ؛ فلإستقذار جنسه من باقي الناس جعل له ﷺ اليسرى ، وأما بالنسبة إلى الحاصل منه ﷺ ؛ فلا أذى ، ولذا كانوا يدلكون به وجوههم ويسارعون إليه ، وقد شرب ابنُ الزُّبير دمَ حجامته ، ومصَّ مالكُ بن سنان دمَه ﷺ يوم أُحد ، وشربت أمُّ أيمن بولَه ، وهذا دليل على فقد الأذى منه ، إذ يحرم على الإنسان تناولُ كلِّ مؤذٍ للبدن ، ومنه الريق بعد انفصاله من معدنه ؛ لا فيه ، فلا منع منه من حليلة[1] .

(١) زوجة أو أمة .

وَإِذَا نَامَ وَاضْطَجَعَ . ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ جَنْبِهِ ٱلأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَوُضُوئِهِ وَثِيَابِهِ وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ ، وَشِمَالَهُ لِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ....

وعدلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن قولها (من مستقذر) إلى ما عبَّرت به !! لِما في لفظ الاستقذار من البعد عن أن يُنسب إليه ﷺ ، فليس من مستقذر أصلاً .

قال العلماء : مَن استقذر شيئاً مما أضيف إليه ﷺ من الأحوال والأفعال ؛ فهو كافر . انتهى شرح « الأذكار النووية » .

(وَ) قال الإمام النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » : و(**إِذَا نَامَ**) ﷺ (**وَٱضْطَجَعَ ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ جَنْبِهِ ٱلأَيْمَنِ**) ـ تشريفاً لجانب اليمين حالَ كونه ـ (**مُسْتَقْبِلَ ٱلْقِبْلَةِ** .) في اضطجاعه .

(وَ) أخرج الإمام أحمد ؛ عن حفصة أمِّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَجْعَلُ يَمِيْنَهُ**) ـ أي : يده اليمنى ـ (**لأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَوَضُوْئِهِ**) يحتمل أن يكون المراد : وأخذ ماءِ وَضوئه . زاد في رواية : وصلاتِه ، (**وَثِيَابِهِ**) يعني : للبس ثيابه ؛ أو تناولها (**وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ**) مما لا دناءة فيه .

(وَ) كان يجعل (**شِمَالَهُ لِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ**) مما ليس من باب التكريم .

ورواه الإمام أحمد أيضاً ؛ عن حفصة أمِّ المؤمنين أيضاً بلفظ : كانت يمينه لطعامه وطَهوره وصلاته وثيابه ، ويجعل شماله لما سوى ذلك . ورواه عنها أيضاً البيهقيُّ ، قال ابن محمود شارح « سنن أبي داود » وهو حسن ؛ لا صحيح ، انتهى (مناوي) .

(وَ) أخرج الترمذي في « الشمائل » ؛ (**عَنْ عَائِشَةَ**) أُمِّ المؤمنين بنتِ أبي بكر الصدِّيقة بنت الصِّديق رضي الله تعالى عنهما .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ .

أمُّها أُمُّ رومان ـ بضم الراء وسكون الواو على المشهور ـ ، وهي أم عائشة وعبدِ الرحمن بن أبي بكر ، أسلمت قبل الهجرة ، وماتت في حياة النبي ﷺ بعد قصة الإفك، ونزل النبي ﷺ في قبرها رضي الله تعالى عنها. وكنيةُ عائشة «أم عبد الله» كَنَّاها النبي ﷺ بابن أُختها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وأسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر إنساناً ممَّن أسلم ، وتزوَّجها النبي ﷺ قبل الهجرة بسنتين ؛ وهي بنت سِتٍّ سنين ، وبنىٰ بها بعد الهجرة بالمدينة بعد مُنصَرَفِهِ من بدر ؛ في شوال سنة : اثنتين ؛ وهي بنت تسع سنين .

وهي من أكثر الصحابة رواية ، روي لها عن رسول الله ﷺ ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث ؛ اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاريُّ بأربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بثمانية وستين .

رَوَىٰ عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين ، وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة .

وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة : سبع وخمسين ، وصلَّى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، وأَمَرت أن تُدفن بالبقيع ليلاً ؛ فدفنت من ليلتها بعد الوتر ، واجتمع على جنازتها أهلُ المدينة وأهل العوالي ، وقالوا : لم نَرَ ليلة أكثر ناساً منها (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا) ، وعن والديها وجميع أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم وجمعنا بهم في مستقرِّ رحمته . آمين .

(قَالَتْ : كُنْتُ أُرَجِّلُ) ـ بضم الهمزة وفتح الراء وتشديد الجيم المكسورة ؛ أي : أُسرِّح وأُحسِّن ـ (رَأْسَ رَسُوْلِ ٱللهِ) ـ أي : شعر رأسه ـ (ﷺ) ـ فهو من قبيل إطلاق اسم المحل وإرادة الحال ، أو على تقدير مضاف ، ويؤخذ من هذا ندب تسريح شعر الرأس ، وقِيْس به اللحية ، وبه صُرِّح في خبر ضعيف ـ (وَأَنَا حَائِضٌ) جملة حالية ، ولا يقال « حائضة » إلاَّ في شذوذ ؛ لأنَّ علامة التأنيث يُؤتى بها للفرق

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَرَجَّلُ غِبّاً؛ أَيْ : حِيناً بِعْدَ حِينٍ . وَكَانَ شَيْبُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلرَّأْسِ وَٱللِّحْيَةِ شَيْئاً قَلِيلاً ، نَحْوَ سَبْعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً .

بين المذكَّر والمؤنَّث عند خوف اللَّبْس ، وهو مأمون هنا لاختصاص الحيض بالأنثى ؛ فلا حاجة إلى علامة التأنيث الفارقة ، قال الناظم :

وَمَا مِنَ ٱلأَلْفَاظِ بِٱلأُنْثَى يُخَصّ　　　عَنْ تَاءٍ اسْتَغْنَى لأَنَّ اللَّفْظَ نَصّ

وفيه دليل علىٰ طهارة يدها وسائر بدنها ؛ ما لم يصبه دمٌ من بدنها ؛ وهو إجماع ، وفيه دليل علىٰ عدم كراهة مخالطتها ، وحِلِّ استخدام الزوجة برضاها في الترجيل ونحوه ، وأنه ليس فيه نقص ؛ ولا هتك حرمة ؛ ولا إضرار بها ، وأنه ينبغي للزوجة تولِّي خدمة زوجها بنفسها ، والله أعلم .

(وَ) أخرج الترمذي في « الشمائل » ؛ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَتَرَجَّلُ**) ـ أي يتمشَّط ـ (**غِبّاً**) ؛ بغين معجمة مكسورة وموحدة مشددة ؛ أصله : ورود الإبل الماءَ يوماً وتركه يوماً ، ثم استعمل في فعل الشيء حيناً وتركه حيناً ، كما قال (**أَيْ : حِيْناً بَعْدَ حِيْنٍ**) . والمراد : أنه كانت عادته ﷺ أنه لا يبالغ في الترجُّل ، بل يفعله يوماً ويتركه يوماً ، ولا يواظب عليه ، لأن مواظبته تُشْعِرُ بشدَّة الإمعان في الزينة والترفُّه ؛ وذلك شأن النساء ، ولهذا قال ابن العربي : موالاته تَصَنُّع ، وتركه تَدَنُّس ، وإغبابه سنة . انتهىٰ .

(وَ) قال العارف الشعراني في « كشف الغمة » : (**كَانَ شَيْبُهُ ﷺ فِي ٱلرَّأْسِ وَٱللِّحْيَةِ**) ـ أراد بها ما قابل الرأس ؛ فيشمل العَنْفَقَة والصُّدْغين ـ (**شَيْئاً قَلِيْلاً ؛ نَحْوَ سَبْعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً**) . رواه البيهقي في « الدلائل » ؛ من طريق حماد بن سلمة ؛ عن ثابت ؛ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه ؛ قيل له : هل كان شَابَ رسول الله ﷺ ، فقال : ما شَانَهُ الله تعالىٰ بالشيب ، ما كان في رأسه إلا سبعَ عشرة ـ أو ثمان عشرة ـ شعرة ، هكذا هو في نسخة «الدلائل » ، وفي لفظ له عند البيهقي : ما كان في رأسه ولحيته إلا سبعَ عشرة ؛ أو ثمان عشرة شعرة .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قَدْ شِبْتَ؟! قَالَ : « شَيَّبَتْنِي هُودٌ ، وَٱلْوَاقِعَةُ ، وَٱلْمُرْسَلاَتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ » ؛ ....

وعن أنس أيضاً : ما عُدَّت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء . رواه الترمذي وغيره .

وروىٰ البخاري من طريق الليث ؛ عن أنس : توفي رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . ورواه البخاري ومسلم ؛ عن أنس من طريق مالك عن ربيعة . وروىٰ الترمذي في « الشمائل » من حديث ابن عمر : إنما كان شيبه ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء .

ويجمع بين هذه الأخبار بأنه اختُلف فيها لاختلاف الأوقات ، وبأن رواية الأربع عشرة إخبار عن ٱلعَدِّ ، ورواية السبع عشرة إخبار عن الواقع ، فهو لم يعدَّ إلا أربع عشرة ، وأما في الواقع فكان سبع عشرة ؛ أو ثمان عشرة .

ونفي الشيب في رواية أنس ؛ المراد به نفي كثرته لا أصلِه !! .

وسبب قِلَّة شيبه : أن النساء يكرهنه غالباً ، ومَنْ كره من النبي ﷺ شيئاً كفر ، وإنما كان الشيب شَيْناً مع أنه نور ووقار ؛ لأن فيه إزالةَ بهجة الشباب ورونقه ، وإلحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيباً عند النساء .

(وَ) أخرج الترمذي في « الشَّمَائِل » عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**قَالَ أَبُو بَكْرٍ**) ـ الصدِّيقُ ـ (**رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : يَا رَسُوْلَ ٱللهِ ، قَدْ شِبْتَ**) ـ أي : قد ظهر فيك أثر الشيب والضعف ، مع أن مزاجك اعتَدَلَتْ فيه الطبائع ، واعتدالُها يستلزم عدم الشيب ـ (**قَالَ** : « **شَيَّبَتْنِيْ هُوْدٌ**) ـ بالصرف ، أي : سورة هود ، وبترك الصرف علىٰ أنه عَلَم علىٰ السورة ، وهما روايتان ، ولا ينافي ذلك حديث أنس أنه لم يبلغ الشيب ، لأن مقصوده نفي احتياجه إلىٰ الخضاب الذي سئل عنه ، إذ الروايات الصحيحة صريحة في أن ظهور الشيب في رأسه ولحيته لم يبلغ مبلغاً يُحكم عليه بالشيب ـ (**وَٱلْوَاقِعَةُ ، وَٱلْمُرْسَلاَتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُوْنَ ، وَإِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ** »)

لِاشْتِمَالِ هَٰذِهِ ٱلسُّوَرِ عَلَىٰ بَيَانِ أَحْوَالِ ٱلْقِيَامَةِ مِمَّا يُوجِبُ خَوْفَهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

زاد الطبراني : و« الحاقة » ، وزاد ابن مردويه : و« هل أتاك حديث الغاشية » ، وزاد ابن سعد : و« القارعة » ، و« سأل سائل » ، وفي رواية : و« اقتربت الساعة » .

وإسناد الشيب إلىٰ السور المذكورة من قبيل الإسناد إلىٰ السبب ؛ فيكون مجازاً عقلياً ، علىٰ حدِّ قولهم : أنبت الربيع البقل ، لأن المؤثِّر حقيقة هو الله تعالىٰ ، وإنما كانت سبباً في الشيب !! (**لاشْتِمَالِ هَذِهِ ٱلسُّوَرِ عَلَىٰ بَيَانِ أَحْوَالِ**) ـ السعداء والأشقياء ، وأحوال ـ (**ٱلْقِيَامَةِ**) وما تعسَّر ؛ بل تتعذَّر غايته علىٰ غير النفوس القدسية ، وهو الأمر بالاستقامة كما أُمِرَ ، الذي لا يمكن لأمثالنا وغير ذلك (**مِمَّا يُوْجِبُ**) ـ استيلاء الخوف ؛ لا سيما ـ (**خَوْفَهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ** ﷺ) . لعظيم رأفته بهم ورحمته ، ودوام التفكُّر فيما يصلحهم ، وتتابع الغَمِّ فيما ينوبهم أو يصدُر عنهم ، واشتغال قلبه وبدنه وإعمال خاطره فيما فُعل بالأمم الماضين ، كما في بعض الروايات : « شَيَّبَتْنِيْ هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا وَمَا فُعِلَ بِٱلأُمَمِ قَبْلِي » ، وذلك كلُّه يستلزم ضعف الحرارة الغريزية ، وضعفها يسرع الشيب ويظهره قبل أوانه . قال المتنبي :

وَٱلْهَمُّ يَخْتَرِقُ ٱلْجَسِيْمَ مَخَافَةً ... وَيُشِيْبُ نَاصِيَةَ ٱلصَّبِيِّ وَيَخْرُمُ

لكن لما كان ﷺ عنده من شرح الصدر وتزاحم أنوار اليقين علىٰ قلبه ما يُسَلِّيه ؛ لم يستولِ ذلك إلاَّ علىٰ قدر يسير من شعره الشريف ؛ ليكون فيه مظهر الجلال والجمال ويستبين أنَّ جماله غالب علىٰ جلاله ، وإنَّما قُدِّمت هود على بقية السور ؛ لأنه أُمِرَ فيها بالثبات في موقف الاستقامة التي هي من أعلىٰ المراتب ، ولا يستطيع الترقِّي إلىٰ ذروة سنامها إلاَّ مَنْ شَرَّفه الله بخِلَعِ السلامة .

وقد أُوْرِدَ : أن ما اشتملت عليه هود من الأمر بالاستقامة مذكورٌ في سورة الشورىٰ ، فلِمَ أسند الشيب إليها دونها ؟!

وأجيب : بأنه أول ما سمعه في هود ، وبأن المأمور في سورة الشورىٰ نبينا

. . . .

فقط ، وفي سورة هود نبينا ومَنْ تبعه من أمة الإجابة ، فلما عَلم أنَّهم لم يخرجوا من عهدة القيام بهذا الأمر الخطير كما يجب ؛ اهتم بحالهم وملاحظة عاقبة أمرهم ، فصار معتكفاً في زوايا الهموم والغموم ، ولا ريب أن تدبير تلك العظائم يُظهر الغمَّ والهَمَّ ، ويُظهر في صفحات وجنات الإنسان الضعف والسقم . انتهىٰ « مناوي » .

يقول العبد الضعيف عبد الله بن سعيد اللحجي مقيِّدُ هذا التعليق اللطيف : إني وقفت علىٰ مؤلَّفٍ خاصٍّ يسمىٰ « فيض الجود على حديث : شَيَّبَتْنِيْ هُوْدٌ » منسوب للشيخ العلاَّمة المحقّق عزِّ الدين بن علي بن عبد العزيز المكي الزمزمي الشافعي المولود سنة : ـ ٩٠٠ ـ تسعمائة ـ بتقديم المثناة علىٰ السين المهملة ـ، والْمُتَوَفَّىٰ سنة : ـ ٩٦٣ ـ ثلاث وستين وتسعمائة ، أطال فيه ذيول الكلام ، وذكر أن هذا الحديث أخرجه علىٰ اختلاف ألفاظه وطرقه خاتمة الحُفَّاظ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني في اختصاره كتابَ « تخريج أحاديث الكشاف » للإمام أبي محمد الزيلعي ، وأخرجه أيضاً تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه « المقاصد الحسنة » ؛ وأورده أتمَّ من ابن حجر رحمهم الله تعالىٰ . آمين .

وحاصل ما استقرَّ عليه رأي الزمزمي في هذه الرسالة : أنه ردَّ القول بأن المراد من هود آية ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [١١٢/هود] قال : ويحتاج بعد أن رددنا القول بأن المراد من سورة هود آية ﴿ فَٱسْتَقِمْ ﴾ [١١٢/هود] أن نُبَيِّنَ المراد من الحديث !! قال : وقد قَدَّمْنَا عن ابن عطية أنه إشارة إلىٰ ما فيها مما حَلَّ بالأمم إلىٰ آخره . قال : وهذا التأويل حسن في ذاته ، لكنه لا يتأتَّىٰ في جميع السور الواردة من الطرق الصحيحة . قال : ولم أَرَ لغير ابن عطية من المفسِّرين كلاماً في ذلك !! قال :

فالصواب أن يحمل علىٰ أمر يوجد في جميع تلك السور ، ولعله ـ والله أعلم ـ ذكرُ القيامة وأحوالها ، فإنه موجود في جميع السور المذكورة في الروايات . أو يقال : المراد به ما هو أعمُّ من ذلك مما يقتضي الخوف والفزع ؛ مما هو موجود في جميع السور أو بعضها ؛ كالأمر بالاستقامة .

وَسُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : هَلْ خَضَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : ....

قال الزمزمي : ولما دخلت مدينة زبيد بعد تأليف هذا الجزء بسنين ؛ وذلك عام ـ ٩٥٨ ـ تسعمائة وثمان وخمسين ، أفادني عالم تلك البلاد خاتمة المحقِّقين ؛ الفقيه : عبد الرحمن بن زياد ـ أدام الله النفع بعلومه ـ : أن الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ذكر في « الإحياء » أن المشيِّب له ﷺ ما في سورة هود من ذكر الإبعاد ، وأوقفني علىٰ الكتاب المذكور ، فأحببتُ أن أُلحق هٰهنا ما رأيته فيه بلفظه المسطور :

قال الغزالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فيما ترجم له بقوله :

القول في علامة محبَّة العبد لله تعالىٰ ما صُوْرَتُهُ : ولخصوص المُحِبِّيْن مخاوف في مقام المحبَّة ليست لغيرهم ، وبعض مخاوفهم أشدُّ من بعض ، فأَوَّلُها خوف الإعراض ، وأشدُّ منه خوف الحجاب ، وأشدُّ منه خوف الإبعاد ، وهذا المعنىٰ من سورة هود هو الذي شَيَّب سَيِّد المُحِبِّين ؛ إذ سمع قوله تعالىٰ ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود] ، ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود] . وإنما تعظُم هيبة البعد وخوفهُ في قلب من أَلِفَ القرب وذاقه وتنعَّم به ، فحديث البعد في حق المبعدين شيَّب سماعُه أهل القرب و[هم] في القرب . انتهىٰ بحروفه .

وهو داخل فيما قرَّرناه ثانياً ، والحصر فيه غير مضرٍّ ، لكن لا دليل علىٰ الحصر فيه ، اللهم إلا أن يكون بإطلاع من الله لحُجَّة الإسلام عليه وتنبيه ، وحسب الحُجَّة هذه الحُجَّة[1] ! والله أعلم . انتهىٰ كلام الزمزمي رحمه الله تعالىٰ .

(وَ) أخرج الترمذي في « الشمائل » قال : حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن شريك ؛ عن عثمان بن موهب قال :

(**سُئِلَ أَبُوْ هُرَيْرَةَ**) عبد الرحمن بن صخر الأزدي الدوسي (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** : **هَلْ خَضَبَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ ؟**) ـ أي : هل لوَّن شعره بحنَّاء أو نحوه ـ (**قَالَ** :

---

(١) الأولىٰ : حُجة الإسلام ، والثانية : حُجة البينة والبرهان .

نَعَمْ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ : رَأَيْتُ شَعَرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوباً .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » مِنْ طُرُقٍ ....

نَعَمْ) ـ أي : قال أبو هريرة : نعم ـ يعني ـ : خضب رسول الله ﷺ ـ لأن « نعم » لتقرير ما قبلها من نفي أو إثبات ، وما هنا من الثاني .

ويوافق هذا الحديث ما في « الصحيحين » عن ابن عمر أنه رأىٰ النبي ﷺ : يصبغ بالصفرة . وهو عند ابن سعد وغيره أيضاً ؛ عن ابن عمر بلفظ : رأيت النبي ﷺ يصبغ بالصفرة ، فأنا أحب أن أصبغ بها ، وغيرها من الأحاديث الدالَّة علىٰ الخضاب ، وقد تقدَّمت الإشارة إلىٰ الجمع بينها وبين الأخبار الواردة ؛ بأنه ﷺ لم يُغَيِّر شيبَه : بأنه ﷺ خضب في وقتٍ وترك الخضاب في معظم الأوقات ، فأخبر كُلٌّ بما رأىٰ ، وسيأتي كلام النووي في ذلك .

(وَ) أخرج الترمذي في « الشمائل » ؛ (عَنْ) أبي محمد (عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيْلٍ) كـ « دليل » بمهملتين بينهما مثناة ـ ابن أبي طالب الهاشمي المدني ، وأمُّ عبد اللهِ زينب بنت علي ، وعبد الله هذا قال فيه أبو حاتم وعِدَّة : لَيِّن الحديث ، وقال ابن خزيمة : لا أحتَجُّ به ، لكن كان أحمد وابن راهويه يحتَجَّان به ، روىٰ عن ابن عُمَر وجابر وعِدَّة ، وعنه معمر وغيره ، مات سنة : ـ ١٤٥ ـ خمس وأربعين ومائة من الهجرة ، خَرَّج له البخاري في « التاريخ » ، وأبو داود وابن ماجه (قَالَ :

رَأَيْتُ شَعْرَ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوْباً) يمكن كون الخضب من أنس ، فلا ينافي رواية أنس الأخرىٰ أنه لم يبلغ شعره الخضاب ! ! علىٰ أن رواية أنس هذه قد حكم جمعٌ بشذوذها .

(وَ) بيَّنوه ، فلا يقاوم ما (فِي « ٱلصَّحِيْحَيْنِ ») عنه (مِنْ طُرُقٍ) صحيحة

كَثِيرَةٍ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْضِبْ ، وَلَمْ يَبْلُغْ شَيْبُهُ أَوَانَ ٱلْخِضَابِ ، وَإِنَّمَا خَضَبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعَرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَبْقَىٰ لَهُ .

وَفِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ » أَيْضاً وَ« سُنَنِ أَبِي دَاوُودَ » : عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : ....

(كَثِيْرَةٍ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَخْضِبْ ، وَلَمْ يَبْلُغْ شَيْبُهُ أَوَانَ الخِضَابِ) .

(وَ) قد جاء أنه (إِنَّمَا خَضَبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ ؛ لِيَكُوْنَ أَبْقَىٰ لَهُ) كما رواه مالك والدارقطني عن أبي هريرة ، وعلىٰ تقدير صِحَّةِ رواية أنس هذه ؛ فقد جمع بأن الشعر لما تغيَّر بكثرة الطيب سَمَّاه مخضوباً ، وبأنه أراد بالنفي أكثر أحواله ، وبالإثبات ـ إن صح عنه ـ أقلَّها .

(وَفِي « ٱلصَّحِيْحَيْنِ » أَيْضاً) ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما : أنه رأىٰ النبي ﷺ يصبغ بالصُّفْرَة . (وَ) في (« سُنَنِ) الإمام الحافظ (أَبِيْ دَاوُدَ ») سليمانَ بنِ الأشعث السجستاني ، روىٰ عن عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وأبي بكر وعثمان « ابني أبي شيبة » ، وأحمد بن صالح ، وأحمد ابن حنبل ، ويحيىٰ بن معين ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي ثور ، وقتيبة بن سعيد ؛ وخلائق . وروىٰ عنه الترمذي ، والنسائي ، وأبو عوانة : يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني ، وابن الأعرابي ، وابن داسة التَّمَّار واللؤلؤي ؛ وهما اللذان يرويان عنه كتاب « السنن » .

واتفق العلماء علىٰ الثناء علىٰ أبي داود ووصفه بالحفظ التام ، والعلم الوافر ، والإتقان والورع والدين ، والفهم الثاقب في الحديث وغيره ، وكانت ولادته سنة : ـ ٢٠٢ ـ مائتين واثنتين ، وتوفي بالبصرة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة : ـ ٢٧٥ ـ خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالىٰ .

(عَنْ) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابْنِ عُمَرَ) بنِ الخطَّاب (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا) ؛ القرشي العدوي المدني ، الصحابي الزاهد ، أُمُّه وأمُّ أخته حفصةَ : زينبُ بنت مظعون بن حبيب الجمحي .

أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِٱلْوَرْسِ وَٱلزَّعْفَرَانِ .
وَعَنْ قَتَادَةَ . . . .

أسلم مع أبيه قبل بلوغه ، وهاجر قبل أبيه ، وأجمعوا علىٰ أنه لم يشهد بدراً لصغره ، وقيل : شهد أُحُداً ؛ وقيل : لم يشهدها ، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وشهد غزوة مؤتة ، واليرموك ، وفتح مصر وإفريقية ، وكان شديد ٱلاتِّباع لآثار رسول الله ﷺ .

روي له عن النبي ﷺ : ألفُ حديث وستمائة حديث . وثلاثون حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ : مائة وسبعين ، وانفرد البخاري بأحد وثمانين ، وانفرد مسلم بأحد وثلاثين ، روىٰ عنه أولاده الأربعة : سالم وحمزة وعبد الرحمن وبلال ؛ وخلائق لا يحصون من كبار التابعين وغيرهم .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، بل قَلَّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال ، وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتَطَلُّع إلىٰ الرئاسة وغيرها ، وكان ابن عمر كثير الصدقة ، فربما تَصَدَّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً .

وكان ابن عمر يسرد الصوم ، وهو أحد الصحابة الساردين للصوم ، منهم : عمر ، وابنه ، وأبو طلحة ، وحمزة بن عمرو ، وعائشة .

وهو أحد السبعة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ ، وأحد العبادلة الأربعة ، وأعتق ألف رقبة ، وحجَّ ستين حجَّةً ، واعتمر ألف عمرة ، وحمل علىٰ ألف فرس في سبيل الله ، وأفتىٰ في الإسلام ستين سنة ، وتوفي بمكَّة سنة : ثلاث وسبعين ؛ وعمره ستٌّ وثمانون سنة ، ودفن بـ « ذي طوىٰ » مقبرة المهاجرين ، ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالىٰ عنه .

(**أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ كَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِٱلْوَرْسِ**) ـ وهو : نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به ـ (**وَٱلزَّعْفَرَانِ**) معروف .

(**وَ**) أخرج الترمذي في « الشمائل » قال : حدثنا محمد بن بشَّار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدَّثنا همام ؛ (**عَنْ**) أبي الخطَّاب (**قَتَادَةَ**) ـ كسعادة ـ ابن

قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : هَلْ خَضَبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كَانَ شَيْئاً فِي صُدْغَيْهِ ، . . . . . .

دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ ابن قتادة ابن عزيز ـ بفتح العين وبالزاي المكررة ـ ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سدوس السدوسي البصري التابعي .

ولد أعمىٰ ، وسمع أنسَ بن مالك وابن المسيّب وغيرَهم من التابعين .

روىٰ عنه جماعة من التابعين ؛ منهم : سليمان التيمي ، وحميد الطويل ، والأعمش ، وأيوب ، وخلائق من تابعي التابعين ؛ منهم : مَطر الورَّاق وجرير بن حازم وشعبة والأوزاعي وغيرهم ،

وأجمعوا علىٰ جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله ، وكان أحفظ أهل البصرة ؛ لا يسمع شيئاً إلا حفظه . توفي سنة : ـ ١١٧ ـ سبع عشرة ومائة ، وقيل : ثمان عشرة ومائة ؛ وهو ابن ست وخمسين ، وقيل : خمس وخمسين رحمه الله تعالىٰ .

(**قَالَ : قُلْتُ لأنَسِ بْنِ مَالِكٍ : هَلْ خَضَبَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ ؟**) ـ أي : هل غيَّر بياضَ رأسِه ولحيتِه ولوَّنه بالحِنَّاء ونحوه ؛ لأن الخَضْب كالخضاب بمعنىٰ : تلوين الشعر بحمرة ـ (**قَالَ : لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ**) . أي : قال أنس : لم يبلغ النبيُّ ﷺ حدَّ الخضاب الذي في ضمن « هل خضب » ، فالضمير في « يبلغ » راجع للنبي ﷺ ـ كما قاله بعض الشُرَّاح ـ وهو الظاهر ، وجعله بعضهم راجعاً للشعر المفهوم من السياق .

وأتىٰ باسم الإشارة [ذلك] الذي للبعيد !! ليشير إلىٰ بُعد وقت الخضاب .

(**إِنَّمَا كَانَ**) ـ أي : شيبُه المفهوم من السياق ـ (**شَيْئاً**) أي : قليلاً ، أي : بياضاً يسيراً ، وفي بعض النسخ « شيباً » بدل « شيئاً » (**فِي صُدْغَيْهِ**) ـ بضم الصاد وإسكان الدال المهملتين ، وقد يقال بالسين ؛ تثنية : صُدْغ ؛ بالضم ـ وهو ما بين لحاظ العين إلىٰ أصل الأذن ، ويسمىٰ الشعر الذي تدلَّىٰ علىٰ هذا الموضع « صُدغاً » أيضاً ، ذكره في « المصباح » .

وَلَـٰكِنْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ خَضَبَ بِٱلْحِنَّاءِ وَٱلْكَتَمِ .

وَ(ٱلْكَتَمُ) : ....

قال القُسطُلاَّني : وهو المراد هنا ، وما ذكر في هذه الرواية « من أنَّ البياض لم يكن إلا في صُدغيه » ؛ مغاير لما في البخاري مِنْ « أَنَّ البياض كان في عنفقته ؛ وهي ما بين الذَّقَن والشَّفَة » !! ولعل الحصر في هذه الرواية إضافي ، فلا ينافي ما في البخاري .

وأما قول الحافظ ابن حجر : ووجه الجمع : ما في مسلم ؛ عن أنس : كان في لحيته شعرات بيض ، لم يُر مِنَ الشيب إلا قليل ، ولو شئتُ أن أعدَّ شمطاتٍ كُنَّ في رأسه لفعلت ، ولم يَخضب ؛ إنما كان البياض في عنفقته وفي الصُّدْغين وفي الرأس ؛ نبذٌ متفرقة . انتهىٰ .

فلم يظهر منه وجه الجمع كما قاله القُسْطُلاَّني في « شرح الشمائِل » .

وقوله : « لم يخضب » قاله بحَسَب علمه ، لما مرَّ عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنهم ، (**وَلَكِنْ أَبُو بَكْرٍ**) الصدِّيقُ (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ خَضَبَ**) وجه الاستدراك : مناسبته له ﷺ وقربه منه سِناً (**بِٱلحِنَّاءِ**) ـ بكسر المهملة وتشديد النون والمدِّ كـ « قِثَّاء » معروف ـ (**والكَتَمِ**) بفتحتين ، والتاء المثناة مخففة ـ: نبت فيه حمرة ، يخلط بالوسمة ويختضب به لأجل السواد ، والوسمة كما في « المصباح » ـ: نبت يُختضب بورقه .

ويشبه ؛ كما في « النهاية » أن يكون معنىٰ الحديث : أنه خضب بكل منهما منفرداً عن الآخر ، لأن الخضاب بهما معاً يجعل الشعر أسود ، وقد صحَّ النهي عن السواد ، فالمراد أنه خضب بالحِنّاءِ تارة ، وبالكَتَمِ تارة أخرىٰ .

لكن قال القسطلاني : الكتم الصرف يوجب سواداً مائلاً إلىٰ الحمرة ، والحِنَّاء الصرف يوجب الحمرة ، فاستعمالهما معاً يوجب بين السواد والحمرة . انتهىٰ .

وعليه فلا مانع من الخضاب بهما معاً ، قال المصنف : (**وَٱلْكَتَمُ**) ـ بفتح الكاف وفتح المثناة فوق مخففة ، وأبو عبيدةَ معمرُ بن المثنىٰ يشدِّد التاء ،

نَبْتٌ فِيهِ حُمْرَةٌ .

وَقَالَ ٱلنَّوَوِيُّ : ٱلْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَهُ فِي وَقْتٍ ، وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ . .

والمشهور التخفيف ـ: (نَبْتٌ فِيْهِ حُمْرَةٌ) يخلط مع الوسمة للخضاب ، وفي بعض كتب اللغة : هو ورق يشبه ورق الآس ، يُصبغ به ، وفي كتب الطب : الكتم من نبات الجبال ؛ ورقه كورق الآس ؛ يخضب به مدقوقاً ، وله ثمر كقَدْر الفلفل ، ويسودُّ إذا نضج ، ويُعتصر منه دهن يُستصبح به في البوادي ، وقيل غير ذلك .

وقد اختلف العلماء ؛ هل خضب عليه الصلاة والسلام أم لا ؟ ومثار الخلاف اختلاف الرواية في ذلك ، فأثبته ابن عمر وأبو هريرة وأبو رمثة ؛ قال : « أتيت النبيَّ ﷺ وعليه بردان أخضران ، وله شعر قد علاه الشيب ، وشيبُهُ أحمرُ مخضوب بالحِنَّاء » . رواه الحاكم وأصحاب « السنن » ، وأنكره أنس كما تقدَّم عنه .

وقال القاضي عياض : منعه الأكثرون لحديث أنس ، وهو مذهب مالك ؛ فوافق أنساً علىٰ الإنكار ، وتأوَّل حديث ابن عمر بحمله علىٰ الثياب ؛ لا الشعر ، وأحاديث غيره إن صحَّت علىٰ أنَّ تلوُّنه من الطيب ؛ لا من الصبغ ، لما في البخاري وغيره . قال ربيعة : فرأيت شعراً من شعره ﷺ ؛ فإذا هو أحمر ، فسألت فقيل : أُحمَرَّ من الطيب .

قال الحافظ ابن حجر : لم أعرف المسؤول المجيب بذلك !! إلا أنَّ الحاكم روىٰ أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لأنس : هل خضب النبي ﷺ فإني رأيت شعراً من شعره قد لُوّن ؟ فقال : إنما هذا الذي لوّن من الطيب الذي كان يُطيِّب به شعره فهو الذي غيّر لونه ، فيحتمل أن يكون ربيعة سأل أنساً عن ذلك فأجابه ، ووقع في « رجال مالك » للدارقطني و« الغرائب » له عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : لما مات رسول الله ﷺ خضب مَنْ كان عنده شيءٌ من شعره ليكون أبقىٰ له ـ كما مر ـ فإن ثبت هذا ! استقام إنكار أنس ، ويقبل ما أثبته سواه من التأويل . انتهىٰ .

(**وَقَالَ**) الإمام محيي الدين (**ٱلنَّوَوِيُّ**) رحمه الله تعالىٰ : (**ٱلْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَهُ**) ـ أي : الشعر ـ حقيقة ، لأن التأويل خلاف الأصل (**فِي وَقْتٍ وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ**

ٱلأَوْقَاتِ ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَىٰ ، وَهُوَ صَادِقٌ .

ٱلأَوْقَاتِ ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَىٰ ؛ وَهُوَ صَادِقٌ .) قال : وهذا التأويل كالمتعيِّن ؛ لحديث ابن عمر في « الصحيحين » ـ أي المتقدم قريباً ـ : أنه رأىٰ النبي ﷺ يصبغ بالصفرة ، قال : ولا يمكن تركه لصحته ، ولا تأويلَ له . انتهىٰ كلام النووي .

قال الزرقاني : وفيه نظر ؛ إذ هو في نفسه محتمل للثياب والشعر ، ثم قد ورد ما يُعَيِّنُ الأول ؛ وهو ما في « سنن أبي داود » ؛ عن ابن عمر نفسه : كان يصبغ ﷺ بالورس والزعفران حتىٰ عمامته ، ولذا رجَّحه عياض . انتهىٰ كلام الزرقاني .

قال المناوي في « شرح الشمائل » بعد ذكر كلام النووي : وللمخالف أن يقول : تَرْكُه في معظم الأوقات وفِعْلُه علىٰ الندور ؛ فيه شعور بأنه إنما فَعَله أحياناً بياناً للجواز ؛ فقصاراه الإباحة ، فدلالته علىٰ السُّنِّيَّة من أين !؟ انتهىٰ .

أما الإمام العلاَّمة الحافظ عبد الرحمن بن علي الدَّيْبَع اليمني الزبيدي رحمه الله تعالىٰ ، فقد وافق القاضي عياضاً علىٰ الإنكار ، ولمَّا بلغه عن بعض فضلاء عصره أن النبي ﷺ كان يخضب لحيته أنكر ذلك عليه ، وكتب هذه الأبيات :

وَٱللهِ مَا وَقَّرَ ٱلْمُخْتَارَ مِنْ مُضَرٍ ... مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ لِلشَّيْبِ قَدْ خَضَبَا
لَمْ يَبْلُغِ ٱلْخَضْبَ فِيمَا قَالَهُ أَنَسٌ ... وَهْوَ ٱلْخَبِيْرُ بِهِ مِنْ دُوْنِ مَنْ صَحِبَا
إِذْ كَانَ خَادِمَهُ دَهْراً يُلاَزِمُهُ ... لَيْلاً وَصُبْحاً مُقِيْماً عِنْدَه حُقُبا
قَالُوْا لَهُ : احْمَرَّ مِنْهُ ٱلشَّعْرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ... مِنْ كَثْرَةِ ٱلطِّيْبِ تِلْكَ ٱلْحُمْرَةَ اكْتَسَبَا
مَا شَابَ شَيْباً إِلىٰ فِعْلِ ٱلْخِضَابِ دَعَا ... بَلْ كَانَ يَدْخُلُ تَحْتَ ٱلحَصْرِ لَوْ حُسِبَا
إِذَا تَدَهَّنَ وَارَىٰ ٱلدُّهْنُ ذَاكَ فَلَمْ ... يَرَىٰ لَهُ أثراً مَنْ رَامَ أَوْ طَلَبَا
وَمَنْ يَقُلْ « قَدْ أَرَتْنِي أُمَّ سَلْمَةَ مَخْـ ... ـضُوْباً مِنَ ٱلشَّعْرِ » أَيْ مِنْ طِيْبِهِ انْخَضَبا
إِذْ لَمْ يَقُلْ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ خَضَبَ الـ ... ـنَّبِيُّ هَذَا مَقَالِي ٱلحَقُّ قَدْ وَجَبَا
وَمَنْ رَوَىٰ صَبْغَهُ بِٱلصُّفْرَةِ ٱعْتَبَرُوا ... مَا قَالَ فِي ثَوْبِهِ أَوْ نَعْلِهِ أَدَبَا
لاَ فِي ٱلشُّعُورِ وَقِسْ مَا قِيْلَ فِيْهِ عَلَىٰ ... مَا قِيْلَ إِنَّ رَسُوْلَ ٱللهِ قَدْ كَتَبَا

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ ٱلشَّعْرِ مُخَالَفَةً لِلأَعَاجِمِ. وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَوَّرُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَيُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ فِي كُلِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱطَّلَىٰ . . . .

(وَ) أخرج الطبرانيُّ في « الكبير » ؛ عن عتبة بن عبد قال : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَغْيِيْرِ ٱلشَّعْرِ) ؛ أي : بتغيير لونه الأبيض بالخضاب بغير سواد ؛ كحِنَّاء ، أما تغييره بالسواد ! فحرامٌ لغير الجهاد ، ثم علَّل الأمر بتغيير الشعر بقوله : (مُخَالَفَةً لِلأَعَاجِمِ) ، فإنَّهم لا يصبُغون شعورهم ، وهذا علَّةٌ للتغيير ، والأعاجم ؛ جمع : أعجم ، أو أعجمي : وهم خلاف العرب .

(وَ) أخرج ابن عساكر في « تاريخه » ـ وهو حديث ضعيف ـ ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما ؛ قال (كَانَ) رسول الله (ﷺ يَتَنَوَّرُ) ـ أي : يستعمل النُّورة لإزالة الشعر ـ (فِيْ كُلِّ شَهْرٍ) مَرَّةً . قال السيوطيُّ : والتَّنَوُّر مباح ؛ لا مندوب ، لعدم ثبوت الأمر به ، وفعلُه ؛ وإن حُمل علىٰ الندب لكن هذا من العاديات ! فهو لبيان الجواز ، ويحتمل ندبُه لما فيه من الامتثال ، والكلام إذا لم يقصد الاتباع ، وإلاَّ ! كان سُنَّة . انتهىٰ « نقله العزيزي عن المناوي » .

(وَيُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ) ـ يعني : يزيلُها بقَلْم ؛ أو غيره فيما يظهر ـ (فِي كُلِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً) مرَّة . قال الغزالي : قيل : إنَّ النورة في كلِّ شهر مرَّةً تطفىء الحرارة ، وتنقي اللون ، وتزيد في الجماع ، وورد أنَّه كان يُقلِّمها يوم الجمعة ، وفي رواية : كلَّ يوم جمعة ، ولعلَّه كان يفعل ذلك تارة كلَّ أسبوع ، وتارة كل أسبوعين !! بحسب الحاجة . انتهىٰ « مناوي » .

(وَ) أخرج ابن سعد ؛ عن إبراهيم ، وعن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً ؛ وسنده صحيح : (كَانَ) رسول الله (ﷺ إِذَا اطَّلَىٰ) أصله : اتطلىٰ ـ قلبت التاء طاء وأدغمت ـ يقال : طليتُه بالنُّورة أو غيرها : لطَّخْتُه ، واطَّليتُ ـ بترك المفعول ـ إذا

بِٱلنُّورَةِ . . وَلِيَ عَانَتَهُ وَفَرْجَهُ بِيَدِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱطَّلَىٰ . . بَدَأَ بِعَوْرَتِهِ فَطَلَاهَا بِٱلنُّورَةِ ، وَسَائِرَ جَسَدِهِ أَهْلُهُ .

فعل ذلك بنفسه (**بِٱلنُّورَةِ**) المعروفة ؛ وهي : زرنيخ وجِصٌّ (**وَلِيَ عَانَتَهُ**) وهي : اسم للشعر النابت فوق ذَكَر الرجل وفرْج المرأة ؛ وهو قول ابن الأعرابي وابن السِّكِّيت ، وقال الأزهري وجماعةٌ : هي منبت الشعر علىٰ الفرجين ؛ لا الشعرُ نفسه ! واسمه الإسب ـ بكسر الهمزة وسكون المهملة ـ. انتهىٰ زرقاني علىٰ « المواهب » .

(**وَفَرْجَهُ بِيَدِهِ**) الشريفة ، ولا يمكِّن أحداً من أهله من مباشرتها لشدَّة حيائه ، وفي رواية بدل « عانته » : « مَغَابِنَهُ » ـ بغين معجمة ـ جمع مغبن ؛ من : غبن الثوب إذا أَثناه ، وهي : بواطنُ الأفخاذ وطيَّات الجلد . قال ابن حجر : وهذا الحديث يقابلُه حديثُ أنسٍ رضي الله تعالىٰ عنه : كان لا يتنوَّر ، وكان إذا كَثُر شعره حَلَقه . وسنده ضعيف جداً . انتهىٰ .

قال المناوي : وهذا الحديث ـ أي : المرويُّ في المتن ـ رواه ابن ماجه والبيهقي ـ إلاَّ « فرجه » ـ عن أمِّ سلمة . قال في « الفتح » : ورجاله ثقات ، لكن أُعِلَّ بالإرسال ، وأنكر أحمد صحَّته ، وروىٰ الخرائطيُّ ؛ عن أمِّ سلمة : أن النبي ﷺ كان يُنَوِّرُهُ الرجل فإذا بلغ مراقه تولَّىٰ هو ذلك . انتهىٰ .

(وَ) أخرج ابن ماجه ؛ عن أم سلمة بإسناد جيد ، ورواه عنها البيهقي أيضاً ـ قال في « المواهب » : ورجاله ثقات ، لكن أُعِلَّ بالإرسال قالت : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا اطَّلَىٰ**) بالنورة (**بَدَأَ بِعَوْرَتِهِ**) ـ أي : ما بين سُرَّتِهِ وركبته ـ (**فَطَلَاهَا بِٱلنُّورَةِ**) المعروفة بيد نفسه ، (**وَ**) طلىٰ (**سَائِرَ**) ـ أي : باقي ـ (**جَسَدِهِ**) من كل ما فيه شعر يحتاج لإزالته (**أَهْلُهُ**) بالرفع فاعل « طلىٰ » ، أي : بعض أهله ؛ أي زوجاته .

وإنما لم يمكِّن بعض الزوجات منْ طلاء عورته ؛ مع أنه يجوز للزوجة نظر عورة زوجها بإذنه لشدَّة حيائه ﷺ .

. . . .

فاستعمال النورة مباح ؛ لا مكروه ، وتوقف السيوطي في كونها سنة ، قال : لاحتياجه إلىٰ ثبوت الأمر بها ؛ كحلق العانة ونتف الإبط .

وفعله وإن كان دليلاً علىٰ السنة ؛ فقد يقال : هذا من الأمور العادية التي لا يدلُّ فعلُه لها علىٰ سنة . وقد يقال : فعله لبيان الجواز كَكُلٍّ مباح . وقد يقال : إنها سنة ، ومحلُّه كلُّه ما لم يقصد اتِّباع النبي ﷺ في فعله ، وإلا ! فهو مأجورٌ ، آتٍ بالسنة . انتهىٰ .

قال : وأما خبر « كان لا يَتَنَوَّر » !! فضعيف لا يقاوم هذا الحديث القوي إسناداً ، على أنَّ هذا الحديث مُثبِتٌ وذاك نافٍ ، والقاعدة عند التعارض تقديم المثبِت .

قال ابن القيِّم : لم يدخل نبينا ﷺ حماماً قطُّ . ويردُّه ما رواه الخرائطيُّ ؛ عن أحمد بن إسحاق الورَّاق عن سليمان بن ناشرة ؛ عن محمد بن زياد الألهاني قال : كان ثوبان مولى المصطفى ﷺ جاراً لي ، وكان يدخل الحمام ، فقلت : فأنت صاحب رسول الله ﷺ تدخل الحمام !! . فقال : كان رسول الله ﷺ يدخل الحمام ، وكان يتنوَّر .

وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان في « تاريخه » ؛ عن سليمان بن سلمة الحمصي ؛ عن بقية ؛ عن سليمان بن ناشرة به .

وأخرجه ابن عساكر في « تاريخه » من طريقه .

قال ابن القيم : وقد ورد في النُّورة عِدَّةُ أحاديث هذا أمثلها ، يعني حديث أمِّ سَلَمَةَ الذي في المتن ، قال : وأما خبر « كان لا يتنوَّر ، وكان إذا كثر شعره حلقه » !! فجزم بضعفه غير واحد . انتهى من « المناوي الكبير » .

وما قرَّره من دخوله ﷺ الحمام مخالف لما صرَّح به ابن حجر وغيره أن العرب لم تعرف الحمام ببلادها إلاَّ بعد موته ﷺ . **فليحرر** .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ وَيَقُصُّ شَارِبَهُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَرُوحَ إِلَىٰ ٱلصَّلَاةِ .

(وَ) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » ؛ من حديث إبراهيم بن قدامة الجمحي عن الأغرِّ ، وكذا البزَّار عنه ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ وَيَقُصُّ شَارِبَهُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ**) . قال الحفني : أي اتفق أنه وقع ذلك يوم الجمعة ، لا أنه يطلب تأخيره إلى يوم الجمعة أو الخميس ، بل المدار على الحاجة إلى ذلك ، ولم يثبت في تخصيص يوم بالقص شيء . انتهى .

قال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه يُسَنُّ كيفما احتاج إليه ، ولم يثبت في استحباب قصِّ الظفر يوم الخميس حديث ، ولا في كيفيته ، ولا في تعيين يوم له ، وما عُزي لعلي من النظم باطل . انتهى : وهذا النظم المعزوُّ لعليٍّ :

إِبْـدَأْ بِيُمْنَـاكَ وَبِـٱلْخِنْصَـرِ فِـيْ قَـصِّ أَظْفَـارِكَ وَاسْتَبْصِـرِ

وكذا ما عُزي لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر من النظم باطل أيضاً ؛ كما قاله الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى ، وهو قوله :

فِيْ قَصِّ ظُفْرِكَ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ آكِلَةٌ ....

قال الحفني في حاشية « الجامع الصغير » : لكن صحَّ عندنا ـ كما في الفقه ـ أنه يطلب البدء بسبابة اليمين . انتهى . قال في « المواهب » : والمراد مما يأخذه من الأظفار : إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الإصبع من الظفر ، وإنما استُحِبَّ !! لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر ، وقد ينتهي إلى حدٍّ يمنع من وصول الماء فيما يجب غسله في الطهارة ، ولا يصح الوضوء حينئذ . انتهى ملخصاً مع الشرح .

(**قَبْلَ أَنْ يَرُوحَ إِلَىٰ ٱلصَّلَاةِ**) قال المناوي : يعارضه خبر البيهقي ؛ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : « المؤمن يوم الجمعة كهيئة المُحْرِمِ ؛ لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره حتى تنقضي الصلاة » . وخبره ؛ عن ابن عمر :

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِدَفْنِ ٱلشَّعَرِ وَٱلأَظْفَارِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِدَفْنِ سَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ ٱلإِنْسَانِ : اَلشَّعَرُ، وَٱلظُّفْرُ، وَٱلدَّمُ، وَٱلْحِيضَةُ، وَٱلسِّنُّ، وَٱلْعَلَقَةُ، وَٱلْمَشِيمَةُ .

« المسلم يوم الجمعة مُحْرِمٌ فإذا صلى فقد حَلَّ » والجواب بأنَّ هذين ضعيفان ، وهذا الجواب لا ينجع ؛ إذ خبرنا ضعيف أيضاً ، وروى الديلمي في « مسند الفردوس » بسند ضعيف من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « من أراد أن يأمن الفقر وشكاية العين والبرص والجنون ؛ فليُقَلِّم أظفارَه يوم الخميس بعد العصر ، وليبدأ بخنصر يده اليمنى » . انتهى

(وَ) أخرج الطبراني في « الكبير » عن وائل بن حُجْر رضي الله تعالى عنه ؛ قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يَأْمُرُ بِدَفْنِ ٱلشَّعْرِ**) ـ المبان بنحو قصٍّ أو حلق أو نتف من نحو رأس أو لحية ـ (**وَٱلأَظْفَارِ**) المبانة بقصٍّ أو قطع أو غيرهما ، لأن الآدمي محترم ؛ فكذا أجزاؤه ، فأمر بدفنها لئلا تتفرَّق أجزاؤه ، وقد يقع في النار أو غيرها من الأقذار ، لكن ذلك الأمر على سبيل الندب ؛ لا الوجوب !

(وَ) أخرج الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » بدون سند ؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يَأْمُرُ بِدَفْنِ سَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ ٱلإِنْسَانِ : ٱلشَّعَرُ ، وَٱلظُّفْرُ ، وٱلدَّمُ**) ـ قال الحكيم الترمذي : رُوِي أن رسول الله ﷺ احتجم ، وقال لعبد الله بن الزبير : أخفه حيث لا يراك أحد ، فلما برز شربه ورجع ، فقال : « مَا صَنَعْتَ » ؟ فقال : جعلته في أخفى مكان عن الناس . فقال : « شَرِبْتَهُ !؟ » قال : نعم ، قال له : « وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ » ، انتهى . أي : للشدة التي حصلت له باختلاط دمه بدم رسول الله ﷺ ، فيقاتل الناس ويقاتلونه ، وإن كان شُرب دمه جائزاً مطلوباً للتبرُّك ، إلاَّ أنه يحصل منه الشدة المترتِّب عليها ما ذُكر . انتهى . « حفني ومناوي » .

(**وَٱلحِيْضَةُ**) ـ بكسر الحاء المهملة : خرقة الحيض ـ (**وَٱلسِّنُ ، وَٱلعَلَقَةُ ، وَٱلمَشِيْمَةُ**) وهي ما يكون فيه المولود حين نزوله من بطن أمه ، وإنما يأمر بدفن هذه

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ .

السبعة !! لأنها من أجزاء الآدمي فتحترم كما تحترم جملته لما تقدَّم .

(وَ) أخرج مسلم في « صحيحه » ؛ (عَنْ أَنَسٍ) بن مالك الصحابي الجليل خادم رسول الله ﷺ عشر سنين ـ تقدَّمت ترجمته ـ (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ) في حجة الوداع (وَالحَلاَّقُ) معمر بن عبد الله ـ كما ذكره البخاري ـ وقيل : خراش بن أمية ـ بمعجمتين ـ ، والصحيح الأول ، فإنّ خراشاً كان الحلاَّقَ بالحديبية (يَحْلِقُهُ) ـ بكسر اللام ـ (وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ) ـ دار ما حوله ـ (فَمَا يُرِيْدُوْنَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ) تيمُّناً وتبرُّكاً ، وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله تعالى عنه : أنه ﷺ لمّا حلق رأسه كان أبو طلحة أولَ من أخذ من شعره .

قال القَسْطُلاَّني : ولم يُرْوَ أنه ﷺ حلق رأسه الشريف في غير نسك حج ؛ أو عمرة فيما علمته ، وبه جزم ابن القيِّم ؛ فقال : لم يحلق رأسه إلاَّ أربع مرات ، قال العراقي في « نظم السيرة » :

يَحْلِقُ رَأْسَهُ لأَجْلِ ٱلنُّسُكِ ... وَرُبَّمَا قَصَّرَهُ فِيْ نُسُكِ
وَقَدْ رَوَوْا لاَ تُوْضَعُ ٱلنَّوَاصِيْ ... إِلاَّ لأَجْلِ ٱلنُّسُكِ ٱلمَحَاصِ

فتَبْقِيَة الشعر في الرأس سُنَّة ، ومُنكِرها مع علمه يجبُ تأديبه ، ومَنْ لم يستطع التبقية يباح له إزالته . انتهى .

* * *

اَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ
فِي صِفَةِ عَرَقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَائِحَتِهِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ

رَوَىٰ مُسْلِمٌ ....

(الفَصْلُ ٱلرَابعُ)

من الباب الثاني

(فِي) ـ بيان ما ورد في ـ (صِفَةِ عَرَقِهِ)

ـ بفتح العين والراء ـ أي : رَشْحِ بدنِه (ﷺ) ؛ لوناً وريحاً وكَثْرةً ،

(وَ) في صفة (رَائِحَتِهِ ٱلطَّبِيْعِيَّةِ)

من غير أن يمسَّ طيباً .

(رَوَىٰ) الإمام الحافظ الحُجَّة ؛ أبو الحسين (مُسْلِمُ) بن الحجَّاج بن مسلم القشيري ؛ ـ من بني قشير ؛ قبيلة من العرب معروفة . النيسابوريُّ .

إمام أهل الحديث ، سمع قتيبةَ بن سَعيدٍ ، والقعنبيَّ ، وأحمد ابنَ حَنبل ، وخلائقَ من الأئمة ، وروى عنه أبو عيسى الترمذي ، وإبراهيمُ بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ـ وهو راوية « صحيح مسلم » ـ ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، وخلائق .

وأجمعوا على جلالته وإمامته وعلُوِّ مرتبته وحِذْقِهِ في هذه الصنعة ، وتقدُّمِه فيها ، وتضلُّعِه منها .

ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحِذْقِه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفنُّنه فيها كتابةُ « الصحيح » ، الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان ، ومع هذا فـ« صحيح البخاري » أصحُّ وأكثر فوائد ، هذا هو مذهب جمهور العلماء وهو الصحيح المختار .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ ٱلْعَرَقِ . وَكَانَ عَرَقُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ ، وَأَطْيَبَ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلأَذْفَرِ .

وكانت وفاته عشية الأحد ، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة : ـ ٢٦١ ـ إحدى وستين ومائتين ، وهو ابن خمس وخمسين سنة رضي الله تعالى عنه ورحمه رحمة الأبرار . آمين .

(عَنْ أَنَسٍ) بن مالك (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ أَنَّهُ قَالَ :

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ كَثِيرَ ٱلعَرَقِ) ؛ وهو قطعة من حديث سيأتي .

(وَ) أخرج أبو نعيم وغيره ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :

(كَانَ عَرَقُهُ ﷺ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ) في الصفاء والبياض ، واللؤلؤ ـ بهمز أوله وآخره ، وبتركهما ، وبهمز الأول دون الثاني وعكسه ـ .

وفي مسلم ؛ عن أنس : كان ﷺ أزهر اللون كأنَّ عرقَه اللؤلؤ . . . الحديث .

وروى البيهقيُّ ؛ من حديث عائشة : كان يخصِفُ نعلَه ؛ وكنت أغزل ، فنظرتُ إليه فجعل جبينه يعرَق وجعل عَرَقه يتلألأُ نوراً .

وروى البيهقي ؛ من حديث علي : كان عرقه اللؤلؤ .

(وَأَطْيَبَ مِنَ ٱلمِسْكِ ٱلأَذْفَرِ) ـ بذال معجمة ـ أي : شديد الرائحة ويقع على الكريه ، ويفرِّق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به ، وأمّا بدال مهملة !! فخاصٌّ بالنتن .

روى البيهقيُّ ؛ من حديث علي : ولَريحُ عرقه أطيب من المسك الأذفر ، وفي سنده رجل مجهول ، والمراد بيانُ رائحته الذاتية ؛ لا المكتسبة ، لأنه لو أريد المكتسبة لم يكن فيه كمال مدح ، بل لا تصحُّ إرادتها وحدها ، ومع كونه كان كذلك ؛ وإن لم يمسَّ طيباً ؛ كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات ؛ مبالغةً في طيب ريحه ، لملاقاة الملائكة ومجالسته المسلمين ، وللاقتداء به في التطيُّب فإنّه سنّةٌ أكيدة .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْوَحْيُ . . ثَقُلَ لِذَلِكَ ، وَتَحَدَّرَ جَبِينُهُ عَرَقاً كَأَنَّهُ جُمَانٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْبَرْدِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي أُمَّ سُلَيْمٍ فَيَقِيلُ عِنْدَهَا ، . . . . .

(وَ) أخرج الطبراني في « الكبير » بإسناد صحيح ؛ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْوَحْيُ ثَقُلَ لِذَلِكَ**) النزول (**وَتَحَدَّرَ**) ـ بفتح الحاء وتشديد الدال المهملتين ـ ؛ أي : سال (**جَبِينُهُ عَرَقاً**) ـ بالتحريك ؛ تمييز ـ (**كَأَنَّهُ جُمَانٌ**) ـ بضم الجيم وتخفيف الميم ـ ، أي : لؤلؤ ، لثقل الوحي عليه ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل] ؛ (**وَإِنْ كَانَ**) نزوله (**فِي ٱلْبَرْدِ**) ؛ أي : الزمن البارد ، لشدَّة ما يُلقىٰ عليه من القرآن ، ولضعف القوَّة البشرية عن تحمُّل مثل ذلك الوارد العظيم ، وللوجل من خوف تقصير فيما أُمر به من قول أو فعل ، ولشدَّة ما يأخذُ به نفسه من جمعه في قلبه وحفظه ، فيعتريه لذلك حالٌ كحال المحموم ، وحاصله : أنَّ الشدَّة إما لثقله ، أو لإتقان حفظه ، أو لابتلاء صبره ، أو للخوف من التقصير ؛ قاله المناوي في « كبيره » .

(وَ) أخرج مسلم في « صحيحه » ؛ من طريق أبي قلابة ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يَأْتِي أُمَّ سُلَيْمٍ**) ـ بالتصغير ـ بنتِ مِلْحان ـ بكسر الميم ـ ابن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية النجَّاريَّة ، يقال اسمها سهلة ، أو رميلة ، أو رميثة ، أو مليكة ، أو أنيقة ، وهي : الغُمَيصا ـ بضم الغين المعجمة ـ ، أو الرميصاء ـ بالراء ـ ، اشتهرت بكنيتها ؛ وهي أمُّ أنس بن مالك « خادم رسول الله ﷺ » ، وكانت تحت أبي طلحة ، وهي من الصحابيَّات الفاضلات ، وكانت وفاتها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما ، ولفظ الحديث ؛ كما في « مسلم » : حدثنا عفَّان بن مسلم ؛ قال : حدَّثنا وهيب ؛ قال : حدَّثنا أيوب ؛ عن أبي قلابة ؛ عن أنس ؛ عن أم سليم : أن النبي ﷺ كان يأتيها (**فَيَقِيلُ عِنْدَهَا .**) ـ قال في « النهاية » : القيلولة : الاستراحة نصف النهار ؛ وإن لم يكن معها نوم ، يقال : قال يقيل قيلولة ؛ فهو قائل . انتهى .

فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعاً فَيَقِيلُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ ٱلْعَرَقِ ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي ٱلطِّيبِ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؛ مَا هَـٰذَا؟ » . قَالَتْ : عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ ٱلطِّيبِ .

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ : يَارَسُولَ ٱللهِ ؛ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا . قَالَ : « أَصَبْتِ » .

وَكَانَ كَفُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْيَنَ مِنَ ٱلْحَرِيرِ ،

(فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعاً) ـ بفتح النون وكسرها مع فتح الطاء وسكونها ـ أربع لغات ، وهو : بساطٌ من أديم معروف ؛ (فَيَقِيلُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ ٱلعَرَقِ ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي ٱلطِّيْبِ) والقوارير . . الحديث .

وفي روايةٍ ؛ عن ثابت ؛ عن أنس بن مالك قال : دخل علينا النبيُّ ﷺ فقال عندنا ، فعرق ، وجاءت أمِّي بقارورة ؛ فجعلت تسلُت العرق فيها ، فاستيقظ النبي ﷺ ؛ (فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : « يا أُمَّ سُلَيْم ؛ مَاهَـذَا) ٱلَّـذِي تَصْنَعِيْـنَ » !! (قَالَتْ) : هذا (عَرَقُكَ) . خبرٌ موطِّئٌ لقوله (نَجْعَلُهُ فِي طِيْبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ ٱلطِّيْبِ) . قال الأُبِّي : وكانت رائحة العرق أخصَّ من رائحة البدن كما يوجد في ضدِّ طيب الرائحة ، فَإِنَّ ذَا الرَّائِحة الكريهة هي منه في حالة العرق أكره منها في حالة عدم العرق .

(وَفِي رِوَايَةٍ) لمسلم ؛ من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ؛ عن أنس : (قَالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ نَرْجُوْ بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا . قَالَ : « أَصَبْتِ ») ـ بكسر التاء ـ خطاب لأُمِّ سليم .

وهذه الأحاديث ترجم لها الإمام النووي في « شرح مسلم » : باب طيب عرقه ﷺ والتبرُّك به ، قال النووي : وفيه الدخول على المحارم ، وجوازُ النوم على الأدم ؛ وهي الأنطاع والجلود . انتهى .

(وَ) قال الشعراني في « كشف الغمة » : (كَانَ كَفُّهُ ﷺ أَلْيَنَ مِنَ ٱلحَرِيْرِ ،

وَكَانَتْ رَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ كَفِّ ٱلْعَطَّارِ ، مَسَّهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا ، وَكَانَ يُصَافِحُ ٱلرَّجُلَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ ٱلصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ ٱلصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ .

وكَانَتْ رَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ كَفِّ ٱلعَطَّارِ ، مَسَّهَا ﷺ **بِطِيبٍ ؛ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا**) ؛ أي : الكف ، وفيه قلبٌ ، إذ الظاهر « مسَّ بها طيباً ؛ أم لا » ، وهو إشارة إلى أن طِيْبَه ذاتيٌّ .

روى مسلم في « صحيحه » ؛ عن أنس رضي الله عنه : ما شممت شيئاً قطُّ ؛ مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ ، ولا مَسِست شيئاً قطُّ ؛ حريراً ولا ديباجاً أَلْيَنَ مسّاً من رسول الله ﷺ . انتهى .

(**وَكَانَ يُصَافِحُ**) ؛ أي : يمسُّ النبي ﷺ بصفحة يده (**ٱلرَّجُلَ**) ـ وفي رواية : يصافحه المصافحُ ؛ وهو : مَن يريد مصافحته ـ (**فَيَظَلُّ**) ـ بفتح الظاء المعجمة ـ (**يَوْمَهُ**) ـ منصوبٌ على الظرفية ـ (**يَجِدُ رِيْحَهَا**) الطيِّبَة طيباً خَلْقياً ، خصَّه الله به معجزة وتكرمة ، فالإضافة عهدية .

وعند الطبراني ؛ من حديث وائل بن حجر : كنتُ أصافح رسول الله ﷺ أو يمسُّ جلدي جلدَه فأتعرَّفُه بعد في يدي ؛ وإنَّه لأطيبُ من ريح المسك . وهذا صادقٌ ببقائه أكثرَ من يوم لم يقيد التعرف بزمن .

(**وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ ٱلصَّبِيِّ**) ؛ أَيَّ صبي كان لا معيَّن ، (**فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ ٱلصِّبْيَانِ بِرِيْحِهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ**) لشدَّة فوحه برائحتها الحاصلة بمسِّه ، والفاء للسببية ؛ أي : يعرف أنَّ النبي ﷺ مَسَّه فيميَّز من بينهم ، وفي رواية « لريحها » ـ باللام التعليلية ـ ومعناهما واحد ، وفي رواية « من ريحها » ، ويحتمل أنَّ ذلك في يومه ، وأنَّه يستمرُّ مدَّة طويلة .

وهذا الحديث رواه أبو نعيم ، والبيهقي بإسناد ضعيف ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها بمخالفة في آخره ، ولفظ عائشة رضي الله تعالى عنها : ويضعُها على رأس الصبي ؛ فيُعرَف من بين الصبيان أنَّه مسحَ على رأسه . انتهى .

وَقَالَ أَنَسٌ : مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، . . . .

وأورده ابن دحية في « المستوفى » بلفظ : وكان ﷺ إذا صافح أحداً فيظلُّ يومه يجدُ ريحها . والباقي كما في « المتن » .

(وَقَالَ أَنَسٌ) ـ كما في البخاري في صفة النبي ﷺ ـ : (مَا مَسِسْتُ) ـ قال الحافظ وغيره : بمهملتين الأولى مكسورة ، ويجوز فتحها والثانية ساكنة ـ (دِيْبَاجاً) ـ بكسر المهملة وحكي فتحها ، وقال أبو عبيد : الفتح مولَّد ؛ أي ليس بعربي . قال في « النهاية » : الديباج ـ بكسر الدال ـ : الثياب المتخذة من الإبريسم « فارسي معرَّب » وقد تفتح دالُه ، ويُجمعُ على ديابيج ـ بالياء التحية ـ، ودبابيج ـ بالباء الموحدة ـ وفي « المصباح » : الديباج ثوب سداه ولحمته إبريسم . انتهى .

(وَلاَ حَرِيْراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ) ، أي : بل كفُّه الشريفةُ كانت أليَنَ من كلِّ شيء ، ولا ينافيه ما مرَّ أنَّه شَثْن الكف ؛ لأنَّ معناه ـ كما تقدم ـ أنَّه غليظُها ، فمع كونه غليظَ الكفِّ كان ناعمَها ، وتمام الحديث : وَلاَ شَمَمْتُ رِيْحاً قَطُّ ، أو عَرقاً قَطُّ أَطْيَبَ مِن رِيْحِ أَو عَرَق النبي ﷺ . هذا بقيَّة الحديث عند البخاري ، وأخرجه مسلم بنحوه كما تقدَّم .

(وَ) روى مسلم في « صحيحه » ؛ (عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ) الصحابي ابن الصحابي (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا) قال :

صلَّيت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله وِلْدان ؛ فجعل يمسح خَدّي أحدِهم واحداً واحداً ، قال : وأمّا أنا فمسح خدِّي . فذكره المصنف بمعناه حيث قال :

(أَنَّ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ) تأنيساً وشفقة وتبريكاً .

قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً وَرِيحاً ؛ كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ .
وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ مِنْهُ رِيحُ ٱلطِّيبِ إِذَا أَقْبَلَ .
وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَسْلُكُ طَرِيقاً فَيَتْبَعُهُ ....

(قَالَ) جابر : (فَوَجَدْتُ) ـ أي أحسست ـ (لِيَدِهِ) أي : كفِّه وما قاربها (بَرْداً) حقيقياً ، لرواية « أبردَ من الثلج » لا لعارضِ مسِّ ماء ، وهذا ممدوحٌ عند العرب لاسيما في الزمن الحارِّ ، ولا بُعد في أنه خاصٌّ به مع كمال حرارته الغريزية ، وقيل : هو عبارة عن لينِ كفِّه ورطوبته ، والأقربُ أنَّه بمعنى الراحة واللذَّة والطيب . قال في « النهاية » : كلُّ محبوبٍ عندهم باردٌ ، و« برد الظل طيب العيش » ، و« الغنيمة الباردة : الهنية » .

(وَ) وجدت لها (رِيحاً ؛ كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا) ـ أي : اليد ؛ لأنها مؤنثة ـ (مِن جُؤْنَةِ) ـ بضم الجيم وسكون الهمزة ، ويقال بواو ساكنة تليها نون وهاء تأنيث ـ : شبه صندوق صغير مغشى بجلد وزند مستدير ، يضع العطار فيها عِطره ، وهو : كلُّ ما طابت رائحته ، أي : كأنَّ ريح يده ريحُ ما أُخرج من جؤنة (عَطَّارٍ) مضمَّخاً بالعطر ، والجملة صفةُ « ريحاً » ، أو مستأنفةٌ ، وقال يزيد بن الأسود : ناولني رسول الله ﷺ يده فإذا هي أبردُ من الثلج وأطيبُ ريحاً من المسك . رواه البيهقي .

(وَ) أخرج ابن سعد في « الطبقات » ؛ عن إبراهيم مرسلاً ـ وهو حديث حسن ـ : (كَانَ) رسول الله (ﷺ يُعْرَفُ مِنْهُ رِيحُ ٱلطِّيبِ إِذَا أَقْبَلَ) ، لأنَّه كان رائحةُ الطيب صفتَه ؛ وإن لم يمسَّ طيباً ، فكلما مرَّ على محلٍّ عبق طيباً ؛ فكان الشخص إذا شمَّ ذلك الطيب عَرَف أنَّه ﷺ مرَّ من ذلك المحل ؛ وإن لم يَرَ ذاته الشريفة ـ كما سيأتي ـ .

(وَ) أخرج البخاري في « تاريخه » ، والبيهقي ، والدارمي ، وأبو نعيم بألفاظ متقاربة ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ لاَ يَسْلُكُ طَرِيقاً فَيَتْبَعُهُ) ـ بالرفع ؛ أي : يأتي بعد ذهابه منه ، لا يمشي تابعاً له ،

أَحَدٌ . . إِلاَّ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِ عَرْفِهِ .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : . . . .

وهو بالتخفيف والتشديد ، ويجوز نصبه ، أي : يمشي بعده بزمان قليل ، فالفاء للتعقيب ـ (**أَحَدٌ**) فاعل « يتبع » على حال من الأحوال (**إِلاَّ**) على حال (**عَرَفَ أَنَّهُ**) ﷺ (**قَدْ سَلَكَهُ**) ؛ أي : دخل الطريق ومرَّ فيه (**مِنْ طِيْبِ عَرْفِهِ**) ـ بالفاء ـ : ريحة الطيب ، والضمير للنبي ﷺ ، فيفيد طيب ريح بدنه ؛ وإن لم يعرق ، وذلك لأن القلب الطّاهر الحيَّ يُشمُّ منه رائحة الطيب ، كما أن القلب الخبيث الميت يُشمُّ منه رائحة النتن ، لأن نتن القلب والروح يتَّصل بباطن البدن أكثر من ظاهره ، والعرق يفيض من الباطن ، والنفسُ الطيِّبَة يقوىٰ طيبها ويفوح عرف عرقها حتَّىٰ يبدوَ على الجسد ، والخبيثة بضدِّها ؛ كذا قال بعضهم ؛ نقله الزرقاني رحمه الله تعالى .

ولله درُّ مَن قال :

وَلَـوْ أَنَّ رَكْبـاً يَمَّـمـوكَ لَقَـادَهُـمْ نَسِيْمُكَ حَتَّى يَستَدِلَّ بِهِ ٱلرَّكْبُ

وروى أبو يعلى ، والبزار بإسناد صحيح ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريقٍ من طُرُق المدينة وَجَدوا منه رائحة الطيب ؛ وقالوا : مرَّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق .

وما أحسنَ قولَ مَن قال في هذا المعنى :

يَرُوحُ عَلَىٰ غَيْرِ ٱلطَّرِيْقِ ٱلَّتِي غَدَا عَلَيْهَـا فَـلاَ يَنْهَـىٰ عُـلاَهُ نُهَـاتُـهُ
تَنَفُّسُهُ فِي ٱلْوَقْتِ أَنْفَاسُ عَصْرِهِ فَمِـنْ طِيْبِـهِ طَـابَـتْ لَـهُ طُـرُقَـاتُـهُ
تَرُوحُ لَهُ ٱلأَرْوَاحُ حَيْثُ تَنَسَّمَتْ لَـهُ سَحَـراً مِـنْ حُبِّـهِ نَسَمَـاتُـهُ

قوله « تنفُّسُه » مبتدأٌ ، وقوله « أنفاسُ عصرِه » ـ بالصاد ـ خبرٌ على حذف مضاف ؛ أي : أهل عصره ، وذلك لأن النَّفَس الواحد منه في وقت يعمُّ أهلَ الأرض جميعاً . انتهى .

قال في « الشفا » : (**وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ**) : أبو يعقوب المروزي ، الإمام

أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ رَائِحَتَهُ بِلاَ طِيبٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الزاهد الثقة المجتهد ، أمير المؤمنين في الحديث ـ كما قاله ابن حنبل رحمه الله تعالى ـ وهو الذي أحيا السُّنة بالمشرق . ما سمع شيئا إلاَّ حفظه ، وما حفظ شيئاً فنسِيَه ، قال : كأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي ، وثلاثين ألف حديث أسردُها . وهو عالم خراسان ، طاف البلاد لجمع الحديث ، أخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل ، والبخاري ، ومسلم وغيرهم ، استوطن نَيْسابور وتوفي بها سنة : ـ ٢٣٨ ـ ثمان وثلاثين ومائتين ، وولادته سنة : ـ ١٦١ ـ إحدى وستين ومائة ، و« راهويه » لقب أبيه إبراهيم بن مَخْلد التميمي الحنظلي ، لقب به !! لأنَّه ولد بطريق مكة و« راه » بالفارسية : معناه الطريق ، و« هَوَ » بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة في المشهور ، ويقال [راهُوْيَه] بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كـ «نفطُوْيَه » ، وهو أحبُّ عند المحدثين ، آخره « هاء » .

(أَنَّ تِلْكَ) الرائحة التي كانت تُشمُّ منه وتبقى في الطريق (كَانَتْ رَائِحَتَهُ) الذاتيَّة المدرَكَة منه ﷺ (بِلاَ طِيْبٍ) يَمَسُّه ويتطيَّب منه من خارج ، ومع هذا كان يستعمل الطيب في أكثر أوقاته مبالغةً في طيب ريحه ؛ لملاقاة الملائكة وأخذِ الوحي ومجالسة المسلمين ؛ قاله النووي . ولأنه حُبِّبَ إِلَيْه كما قال : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُم : ٱلنِّسَاءُ ، وَٱلطِّيْبُ » كما سيأتي .

وروى ابن مردويه ؛ عن أنس رضي الله عنه : كان ﷺ منذ أُسريَ به ريحُه ريحُ عروس ؛ وأطيب من ريح عروس . ولا دلالة فيه على أنَّ مبدأ طيبِ ريح جسده من ليلة الإسراء ؛ كما زعم مَن زعم !! إذ ريح عروس أخصُّ من مطلق رائحة طيبه ، فلا ينافي أنَّه طيِّبُ الرائحة من حين ولد ؛ كما رواه أبو نعيم والخطيب : أنَّ أُمَّه آمنة لما وَلَدته ، قالت : ثُمَّ نظرتُ إليه ؛ فإذا هو كالقمر ليلةَ البدر ، ريحه يسطع كالمسك الأَذْفَر (ﷺ) .

وقد تقدَّم ما يدلُّ على ما قاله إسحاق من الأحاديث . فما قيل « أنَّه لم يظهر مَن

وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ ٱمْرَأَةِ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ ٱلسُّلَمِيِّ قَالَتْ : كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ ، فَمَا مِنَّا ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ ؛ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا ، وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةُ ٱلطِّيبَ إِلاَّ أَنْ يَمَسَّ دُهْناً يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ ، وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ . . قَالُوا : مَا شَمِمْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ ، وَلأَنْتَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا ! فَمِمَّ ذَٰلِكَ ؟! . . . .

رواه ، والظاهر ثبوتُه عندهم » !! من قلة التتبُّع ؛ قاله الشهاب الخفاجي في « شرح الشفاء » .

(**وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ ٱمْرَأَةِ عُتْبَةَ**) ـ بضم العين المهملة وسكون المثناة الفوقية ـ (**ابْنِ فَرْقَدٍ**) ـ بفتح الفاء والقاف بينهما راء ساكنة ـ ابن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رِفاعة (**ٱلسُّلَمِيِّ**) ـ وقال ابن سعد : يربوع هو فرقد ـ شهد خيبر وقُسم له منها ، فكان يعطيه لبني أخواله عاماً ولبني أعمامه عاماً ، وغزا مع النبي ﷺ غزوتين ، وولاَّه عمرُ رضي الله عنه في الفتوح ، ففتح الموصل سنة : ثمان عشرة مع عياض بن غَنْم ، ونزل بعد ذلك الكوفةَ ، ومات بها . ذكره في « الإصابة » .

(**قَالَتْ : كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ**) ـ حال من ـ (**أَرْبَعَ نِسْوَةٍ**) ، لأنَّه في الأصل صفةٌ لها ، فلما قُدِّم أُعرب حالاً ، و« أربع » خبر كان ، (**فَمَا مِنَّا ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيْبِ**) ؛ أي : في تحصيل أحسنِه واستعماله ، (**لِتَكُوْنَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا**) كما هو شأنُ الضرائر ، (**وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةُ ٱلطِّيْبَ إِلاَّ أَنْ يَمَسَّ دُهْناً**) مطيَّباً (**يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ ، وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيْحاً مِنَّا وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ ؛ قَالُوا : مَا شَمِمْنَا**) ـ بكسر الميم الأول وتفتح ، وإسكان الثانية ـ (**رِيْحاً أَطْيَبَ مِنْ رِيْحِ عُتْبَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيْبِ ؛ وَلأَنْتَ أَطْيَبُ رِيْحاً مِنَّا ! فَمِمَّ**) ـ بحذف ألف « ما » الاستفهامية ، لأنَّه يحذف إذا دخل عليها حرفُ الجر ، أي : من أي سبب ـ (**ذَلِكَ**) الوصف الذي ثبت لك ؟! .

فَقَالَ : أَخَذَنِي ٱلشَّرَىٰ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ ، فَتَجَرَّدْتُ عَنْ ثَوْبِي ، وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَىٰ فَرْجِي ، فَنَفَثَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ ، فَعَبِقَ بِي هَـٰذَا ٱلطِّيبُ مِنْ يَوْمِئِذٍ . رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ فِي « مُعْجَمِهِ ٱلصَّغِيرِ » .

وَرَوَىٰ أَبُو يَعْلَىٰ . . . .

(فَقَالَ : أَخَذَنِي ٱلشَّرَىٰ) ـ كالصَّدَى : بُثُورٌ صِغارٌ حمر حكَّاكَة مُكرِبة ، تحدث دفعة غالباً ، وتشتَدُّ ليلاً لبخارٍ حارٍّ يثور في البدن دفعة ؛ كما في « القاموس » ـ (عَلَىٰ عَهْدِ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ ، فَتَجَرَّدْتُ عَنْ ثَوْبِي وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِيْ عَلَىٰ فَرْجِيْ) وما حولَه ، واقتصر عليه بكونه أفحشَ ، ويحتمل خلافه ، (فَنَفَثَ) ـ أي : تفل ـ (فِي يَدِهِ) الشريفة (ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِيْ وَبَطْنِي بِيَدِهِ) الشريفة . (فَعَبِقَ) ـ بفتح الباء ، أي : لزق ـ (بِيْ هَذَا ٱلطِّيْبُ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ) : سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخمي الشامي ، أبو القاسم ، من كبار المحدثين ، أصلهُ من طبرية الشام ؛ وإليها نسبتُه ، ولد بعكا سنة : ـ ٢٦٠ ـ ستين ومائتين هجرية ، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة ، وتوفي بأصبهان سنة : ـ ٣٦٠ ـ سنة ستين وثلثمائة هجرية ، وله ثلاثة معاجم في الحديث : « كبير » و« صغير » و« أوسط » ؛ طبع الصغير[١] ، رتَّب فيه أسماءَ المشايخ على الحروف ، وله كتب في التفسير ، والأوائل ، ودلائل النبوة ، وغير ذلك ، رحمه الله تعالى آمين (فِي « مُعْجَمِهِ ٱلصَّغِيْرِ ») و« الكبير » أيضاً ، كما في « الإصابة » .

(وَرَوَىٰ أَبُو يَعْلَىٰ) : أحمد بن علي بن المثنّىٰ التميميُّ الموصليُّ الحافظ

---

(١) والكبير والأوسط أيضا ؛ على نقص في الكبير .

وَٱلطَّبَرَانِيُّ قِصَّةَ ٱلَّذِي ٱسْتَعَانَ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ تَجْهِيزِ ٱبْنَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فَٱسْتَدْعَاهُ بِقَارُورَةٍ فَسَلَتَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ ، وَقَالَ : « مُرْهَا فَلْتَطَّيَّبْ بِهِ » ، فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ بِهِ شَمَّ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ذَلِكَ ٱلطِّيبَ ، فَسُمُّوا « بَيْتَ ٱلْمُطَيَّبِينَ » .

المشهور الثقة ، نَعَته الذهبي بـ« محدِّث الموصل » ، عُمِّر طويلاً وتفرَّد ورحل الناس إليه ، وزاد عمره على المائة ، وكانت وفاته سنة : ـ ٣٠٧ ـ سبع وثلثمائة ـ بتقديم المهملة على الموحدة ـ بالموصل ، وله كتب منها « المعجم » في الحديث ، و« مسندان » كبير وصغير .

(وَٱلطَّبَرَانِيُّ) ؛ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (قِصَّةَ) ـ مفعول « روى » ـ (ٱلَّذِي ٱسْتَعَانَ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ تَجْهِيزِ ٱبْنَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَه شَيْءٌ ، فَٱسْتَدْعَاهُ بِقَارُوْرَةٍ) ـ أي : طلبها من الرجل ـ (فَسَلَتَ) ؛ أي : مسح بأصبعه (لَهُ فِيْهَا مِنْ عَرَقِهِ) ـ محرَّكة ؛ أي بعضه ـ (وَقَالَ : « مُرْهَا فَلْتَطَّيَّبْ بِهِ ») وهذا الحديث ذكره المصنف بالمعنى تبعاً لصاحب « المواهب » .

ولفظ أبي يعلى والطبرانيّ ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه :

جاء رجل فقال : يا رسول الله ؛ إنِّي زَوَّجْت ابنتي ؛ وأنا أُحبُّ أن تعينني بشيء ، قال : « مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلٰكِنْ إِذَا كَانَ غَداً فَأْتِنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ ٱلرَّأْسِ وَعُوْدِ شَجَرَةٍ ، وَآيَةُ مَابَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ أُجِيْفَ نَاحِيَةَ ٱلْبَابِ » .

فلما كان من الغد أتاه بذلك ، فجعل النبي ﷺ يسلتُ العَرَق عن ذراعيه حتَّىٰ امتلأت القارورة ؛ فقال : « خُذْهَا وَأْمُرِ ٱبْنَتَكَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا ٱلْعُودَ فِي ٱلْقَارُورَةِ فَتَطَيَّبَ بِهِ » .

(فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ بِهِ شَمَّ أَهْلُ ٱلْمَدِيْنَةِ ذَلِكَ ٱلطِّيْبَ) ، وإن بَعُدوا عن دارها ؛ هذا ظاهره ، ولا مانع ؛ إذ هو أمر خارقٌ ، (فَسُمُّوْا « بَيْتَ ٱلْمُطَيَّبِيْنَ ») قال الذهبي : حديثٌ منكر ؛ أي ضعيف . انتهى « زرقاني » .

ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ
فِي صِفَةِ طِيبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَطَيُّبِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا . وَمَعْنَى (ٱلسُّكَّةِ) : طِيبٌ . . . .

(ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ)

من الباب الثاني

(**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ طِيْبِهِ ﷺ وَتَطَيُّبِهِ**) ؛

أي : استعماله الطيب وما يتعلَّق بذلك

فائدة : يتأكَّد الطِّيب للرجال في نحو يوم الجمعة ، والعيدين ، وعند الإحرام ، وحضور الجماعة ، والمحافل ، وقراءة القرآن ، والعلم ، والذكر ، ويتأكَّد لكلٍّ من الرجل والمرأة عند المباشرة ، فإنَّه من حسن المعاشرة .

روى أبو داود في « سننه » ، والترمذي في « شمائله » بسند حسن ؛ (**عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) قال : (**كَانَ لِرَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ سُكَّةٌ**) ـ بضم السين المهملة وتشديد الكاف ، ـ قيل : هي طيب مركَّب ، وقيل : وعاء الطيب ، فإن كان المراد بها هنا نفسَ الطيب فَمِنْ في قوله (**يَتَطَيَّبُ مِنْهَا**) للتبعيض ، وإن كان المرادُ بها الوعاء فهي للابتداء .

قال العلاَّمة ابن حجر الهيتمي : والظاهرُ أنَّ المراد بها : ظرفٌ يوضع فيه الطيب ؛ كما يشعر به قوله « منها » ، لأنه لو أريد بها نفس الطيب لقيل يتطيب بها ؛ وقد علمتَ أنَّه يصحُّ إرادة نفس الطيب ؛ وتكون « من » للتبعيض .

وإنما قيل « منها » ليُشعر بأنه يستعمل بِدَفَعات ، بخلاف ما لو قيل بها ، فإنه يوهم أنَّه يستعمله بدفعة ؛ كما قاله ميرك . انتهى « باجوري » .

(**وَمَعْنَىٰ ٱلسُّكَّةِ**) ـ بتشديد السين والكاف ـ : (**طِيْبٌ**) يتَّخذُ من الرامك . . .

مَجْمُوعٌ مِنْ أَخْلاَطٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وِعَاءً .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ ٱلْمِسْكَ فَيَمْسَحُ بِهِ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ .

ـ بكسر الميم وتفتح ـ ؛ وهو : شيء أسود يخلط بمسك ، ويعرك ويُقرَصُ ويترك يومين ، ثم يثقب بِمِسَلَّة ؛ ثم ينظم في خيط ، وكلَّما عَتِق عبَق ؛ كذا في «القاموس ».

وقال الجَزَري في « تصحيح المصابيح » : هي طيبٌ (**مَجْمُوعٌ مِنْ أَخْلاَطٍ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وِعَاءً**) للطيب . انتهى « باجوري » وغيره .

وروى النسائي ، والبخاري في « تاريخه » ؛ عن محمد بن علي ؛ قال : سألت عائشة رضي الله تعالى عنها : أكَان النبي ﷺ يتطيَّبُ ؛ قالت : نعم بذِكارة الطيب : المسك والعنبر ، انتهى . قال في « النهاية » : ذكارة الطيب ـ بالكسر ـ وذكورته : ما يصلح للرجال ، وهو ما لا لون له ؛ كالمسك ، والعنبر ، والعود . انتهى .

(وَ) أخرج أبو يعلى بسند حسن ؛ عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَأْخُذُ ٱلمِسْكَ**) ـ بِكَسْرِ الْمِيْمِ ـ ؛ وهو طيب معروف ، وأصله دَم يتجمَّد في خارج سُرَّة الظبية ثم ينقلب طيباً ، وهو طاهرٌ إجماعاً ، ولا يُعْتَدُّ بخلاف الشيعة . انتهى « باجوري » .

(**فَيَمْسَحُ بِهِ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ**) ، ظاهره أن استعمال الطيب مطلوب مطلقاً ، ولو كان الشخص خالياً عن الناس ، فيسنُّ التطيُّب بسائر أنواع الطيب ، وأفضله المسك ، ولا عبرة بقول العامَّة « إنَّه طيبُ النساء » .

وقال حُجَّة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى : الجاهلُ يظنُّ أنَّ ذلك من حبِّ التزيُّن للناس ؛ قياساً على أخلاق غيره ، وتشبيهاً للملائكة بالحدادين ، وهيهات !! فقد كان مأموراً بالدعوة ، وكان مِن وظائفهِ أن يسعى في تعظيم أمرِ نفسه في قلوبهم ، وتحسينِ صورته في أعينهم ، لئلا تزدريَه نفوسُهم ، فينفِّرهم ذلك عنه ، ويتعلَّق المنافقون به في تنفير الناس عنه ، وهذا الفعلُ واجبٌ على كل عالم تصدَّى لدعوة الخلق إلى الحق . انتهى ؛ نقله المناوي في « كبيره » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضَمِّخُ رَأْسَهُ بِٱلْمِسْكِ .

وَكَانَ أَنَسٌ لاَ يَرُدُّ ٱلطِّيبَ ؛ وَقَالَ : إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لاَ يَرُدُّ ٱلطِّيبَ .

فائدة : ليس من الكِبْر التجمُّل بالملابس ونحوها ، بل قد يكون ذلك مندوباً ؛ كالتجمُّل للصلوات والجماعات ونحوها ، وفي حقِّ المرأة لزوجها وهُوَ لها ، وفي حقِّ العالم لتعظيم العلم في نفوس الناس ، وقد يكون واجباً في حقِّ ولاة الأمور وغيرهم ؛ إذا توقف عليهم تنفيذ الواجب ، فإن الهيئة المزرية لا تصلح معها مصالح العامَّة في هذه الأعصارِ ، لمَا جُبلت عليه النفوس الآن من التعظيم بالصور ؛ عكس ما كان عليه السلف الصالح من التعظيم بالدين والتقوى . انتهى ؛ ذكره السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل في « نشر الأعلام » ؛ شرح « البيان والإعلام » للسيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل رحمه الله .

(وَ) في « كنوز الحقائق » للمناوي ؛ ورمز له برمز النسائي :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يُضَمِّخُ**) ـ بتشديد الميم وآخره خاء معجمة ـ أي : يلطِّخُ (**رَأْسَهُ بِٱلمِسْكِ**) بأن يأخذ المسك بيده الشريفة فيمسحَ به رأسه ؛ كما بيَّنَتْهُ الرواية السابقة .

(وَ) أخرج الإمام أحمد، والنسائي، والترمذي في «الجامع» و« الشمائل » ؛ عن ثُمَامة بن عبد الله قال : (**كَانَ أَنَسُ**) بن مالك (**لاَ يَرُدُّ ٱلطِّيْبَ** ، **وَقَالَ**) ـ أي : أنس ـ : (**إِنَّ ٱلنَّبِيَّ** ﷺ **كَانَ لاَ يَرُدُّ ٱلطِّيْبَ**) ـ أي : لِخفَّة المِنَّة فيه ، وقد ورد النهي عن رَدِّه مقروناً ببيان الحكمة ، في حديث صحيح : رواه أبو داود ، والنسائي ، وأبو عوانة ؛ من طريق عبيد الله بن أبي جعفر ؛ عن الأعرج ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : « مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلاَ يَرُدَّهُ ، فَإِنَّهُ خَفِيْفُ ٱلمَحْمِلِ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ » . قال ميرك : وأخرجه مسلمٌ من هذا الوجه ، لكن قال « رَيْحَانٌ » بَدَل « طيب » ! ورواية الجماعة أثبت .

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ ٱلنَّهْدِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُكُمُ ٱلرَّيْحَانَ . . . .

والمَحمِل هنا ـ بفتح الميم الأولى وكسر الثانية ـ ، والمراد به الحَمل ـ بفتح الحاء المهملة ـ ، والمعنى أنَّه ليس بثقيل ؛ بل قليلُ المِنَّة ، ومع هذا طيِّبُ الرائحة ، والطِّيب ذو الرائحة الطيبة جعله الله تعالىٰ نافعاً لمالكه وغيرِه ، فلا يختصُّ مالكه إلاَّ بكونه حامِلَه ، والمقصودُ منه مشتركٌ بينه وبين غيره ، والهديَّة إذا كانت قليلة وتتضمَّن منفعة فلا تردُّ ، لئلا يتأذَّىٰ المُهدي ؛ إذا لم يكن طماعاً . انتهى « باجوري وعلي قاري » .

ويلحق بالطيب كلُّ ما لا مِنَّة فيه كالوسادة والدُّهن والحلو ، ورزق مَن يحتاج إليه ، وقد أوصلها السيوطي إلى سبعة ، ونظمها فقال :

عَنِ ٱلْمُصْطَفَىٰ سَبْعٌ يُسَنُّ قَبُولُهَا ... إِذَا مَا بِهَا قَدْ أَتْحفَ ٱلْمَرْءَ خُلاَّنُ
فَحُلْـوٌ وَأَلْبَـانٌ وَدُهْـنٌ وِسَـادَةٌ ... وَرِزْقٌ لِمُحْتَـاجٍ وَطِيـبٌ وَرَيْحَـانُ

(وَ) أخرج أبو داود في «مراسيله» ، والترمذي في «الشمائل» و« الجامع » ؛ وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ؛ (**عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ٱلنَّهْدِيِّ**) ـ بفتح النون وسكون الهاء ـ نسبة إلى بني نهد قبيلة باليمن ، واسمه عبد الرحمن بن مَلٍّ ـ بتثليث الميم وتشديد اللام ـ ابن عمرو بن عدي ، مشهور بكُنيته ، ثقةٌ عابد ، مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في عهد النبي ﷺ ؛ ولم يجتمع به ، فليس بصحابي ، وإنما سمع من الصحابة كعُمَر وابن مسعود وأبي موسى ، وروى عنه قتادة وغيره ، ومات سنة : خمس وتسعين ـ بتقديم المثناة على المهملة ـ ، وعاش مائة وثلاثين سنة ، وقيل أكثر ، فالحديث مرسل ؛ كما صرَّح به السيوطيُّ في « الجامع الصغير » (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ** :

قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ : « **إِذَا أُعْطِيَ**) ـ بالبناء للمفعول ـ و(**أَحَدُكُمُ**) ـ نائب فاعل ؛ وهو المفعول الأول والريحانُ مفعول ثان ـ ، أي : إذا عُرض على أحدكم ـ (**ٱلرَّيْحَانَ**) ـ وهو كلُّ نبتٍ طيِّب الريح من أنواع المشمومات ؛ على ما في

فَلاَ يَرُدَّهُ ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : كَانَ أَحَبَّ ٱلرَّيَاحِينِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْفَاغِيَةُ .

« النهاية » ، فمنه الورد والفاغية والنّمام وغيرها ـ (فَلاَ يَرُدَّهُ) ـ بفتح الدال ـ ، وهو نصٌّ في كونه نَهْياً ، بخلاف ما لو رُوي ـ بضم الدال ـ فإنه يحتمل أنَّها نافية ، فيكون نفياً لفظاً ؛ نهياً معنىً ، كقوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ [الواقعة] . وتقدَّم قريباً خبرُ مسلم : «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ خَفِيْفُ ٱلمَحْمِلِ طَيِّبُ ٱلرِّيْحِ» .

(فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ ٱلجَنَّةِ ») ، يحتمل أن بِذْره خرج من الجنة ، وليس المراد أنه خرجت عينُه من الجنَّة .

وإنَّما خَلق الله الطيبَ في الدنيا !! ليذكُر به العبادُ طيبَ الجنة ، ويرغبون فيها بزيادة الأعمال الصالحة ؛ ليصلوا بسببها إلى الجنة .

والحاصلُ أنَّ طيب الدنيا أنموذجٌ من طيب الجنة ، وإلاَّ ! فطيبُها يوجد ريحُه مسيرة خمسمائة عام ؛ كما في حديث .

(وَ) أخرج الطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ؛ من حديث عبد الحميد بن قُدامة ـ وهو حسن لغيره ـ (عَنْ أَنَسٍ) خادمِ رسول الله (رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ) قال :

(كَانَ أَحَبَّ ٱلرَّيَاحِيْنِ) ـ جمع ريحان : نبتٌ طيِّب الريح ؛ أو كلُّ نبت طيب الريح ؛ كذا في « القاموس » وفي « المصباح » : الريحان كل نبت طيب الريح ، لكن إذا أطلق عند العامة انصرف إلى نبات مخصوص ـ (إِلَيْهِ ﷺ الفَاغِيَةُ) نَوْرُ الحِنَّاء ، وهو من أطيبِ الرياحين وأحسنِها ، وجَاء خبرُ « أَنَّها سيِّدةُ ٱلرَّيَاحِيْنِ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلآخِرَةِ » .

وفي « الشُّعَب » ؛ عن ابن دُرُسْتُويه : الفاغية : عود الحناء يغرس مقلوباً فيخرج بشيء أطيبَ من الحناء فيسمَّى « الفاغية » ، وفيه منافع كثيرة من أوجاع

وَ(ٱلْفَاغِيَةُ) : زَهْرُ ٱلْحِنَّاءِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلرِّيحُ ٱلطَّيِّبَةُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلطِّيبَ وَٱلرَّائِحَةَ ٱلْحَسَنَةَ ، وَيَسْتَعْمِلُهُمَا كَثِيراً ، وَيَحُضُّ عَلَيْهِمَا ، . . . .

العصب والفالج والصداع وأوجاع الجنب والطحال وغيرها .

(وَٱلفَاغِيَةُ : زَهْرُ ٱلحِنَّاءِ) ، وقيل : عودُ الحناء ـ كما سبق ـ .

(وَ) أخرج أبو داود ، والحاكم ـ وهو حديث صحيح ؛ كما قال العزيزي ـ ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ ٱلرِّيْحُ ٱلطَّيِّبَةُ) ، لأنها غذاء الروح ، والروح مطيّة القوى ، والقوى تزداد بالطيب ، وهو ينفع الدماغ والقلب وجميع الأعضاء الباطنة ، ويفرح القلب ويُسرُّ النفس ، وهو أصدقُ شيء للروح وأشدُّه ملاءمة لها ، وبينه وبين الروح نسبٌ قريب ، فلهذا كان أحبَّ المحبوبات إليه من الدنيا ؛ ذكره المناوي في « الكبير »

(وَ) في « الشفاء » للقاضي عياض : (كَانَ) رسول الله (ﷺ يُحِبُّ ٱلطِّيْبَ) وهو كل ما يُتَطَيَّبُ به ؛ من بخور ومسك وعنبر ونحوها ، (وَٱلرَّائِحَةَ ٱلحَسَنَةَ) الحاصلة من غير جنس الطيب ، كالريحان وسائر الزهور العطرة ، ولذا كان ﷺ لا يردُّ هديَّتَها (وَيَسْتَعْمِلُهُمَا) أي : الطيب والرائحة (كَثِيْراً) أي : في أكثر أوقاته استعمالاً مناسباً لكلٍّ منهما ، مع أنَّه بذاته بل وبفضلاته طيب ؛ كما هو مقرَّر في محلِّه ، وكان استعمالُها لزيادةِ المبالغة بنيّة ملاقاةِ الملائكة ، فإنَّهُما تقوِّيان الحواسَّ ، وتورثان النشاط والقوة ، والملائكةُ تحبُّهما وتكره الرائحة الخبيثة ، بعكس الشياطين .

(وَيَحُضُّ عَلَيْهِمَا) بضمير التثنية للطيب والرائحة ، وفي نسخة « عليها » فالضمير لها ، لأنها المقصودة من الطيب ، لا لأنَّها أعمُّ كما قيل لتغايرهما ، أي : كان ﷺ يحثُّ الناس ويحرِّضُهم على استعمال ذلك ، لما لهم فيه من الفوائد ،

وَيَقُولُ : « حُبِّبَ إِلَيَّ منْ دُنْيَاكُمْ : اَلنِّسَاءُ ، . . . .

ولحضور الملائكة الحَفَظة والكتبة عندهم ، ولملاقاتهم له بما يحبُّه ، ومن مُروءةِ الإنسان نظافتهُ وطيب رائحته .

(**وَيَقُوْلُ**) ـ كما في الحديث الذي رواه النسائي ، والطبرانيُّ في « الأوسط » و« الصغير » ، والحاكم في « المستدرك » ـ بسند جيد بدون لفظ : وَجُعِلَتْ ؛ وقال : على شرط مسلم ـ ، والبيهقي في « سننه » ، وأبو عَوانة في « مستخرجه على الصحيح » ، وابن عدي في « كامله » ، ـ وقال العقيلي : إنَّه ضعيفٌ ، لكن قال الحافظ : إسناده حسن ، قال الشهاب الخفاجيُّ كالحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » : وأخرجه أحمد وأبو يعلى في « مسنديهما » ، قال الزرقاني : وأخرجه الإمام أحمد في « كتاب الزهد » ، ووَهِم من عزاه لـ« مسنده » ـ كلُّهم ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (« **حُبِّبَ**) ـ بالبناء للمفعول ـ (**إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ : اَلنِّسَاءُ**) لنقل ما بَطَن من الشريعة مما يُستحيا من ذكره بين الرجال .

قال الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » : الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نُبُوَّتهم ، وذلك أن النُّور إذا امْتلأ منه الصدر ، فغاصَ في العروق ؛ اَلتذَّت النفس والعروق ؛ فأثار الشهوة وقوَّاها .

وقال الشيخ تقي الدين السبكي : السرُّ في إباحة نكاحِ أكثر من أربع لرسول الله ﷺ : أنَّ الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها ، وما يستحيا من ذكره ، وما لا يستحيا منه ، وكان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس حياءً ، فجعل الله له نِسوةً ينقلن من الشرع ما يَرينه من أفعاله ؛ ويَسمعنه من أقواله التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال ، ليكتمل نقل الشريعة ، فقد نقلنَ ما لم يكن ينقلْه غيرهن ، في ما رأينه في منامه وحالةِ خلوته من الآيات البينات على نُبُوَّته ، ومن جدِّه واجتهاده في العبادة ، ومن أمور يشهد كلُّ ذي لبٍّ أنَّها لا تكون إلاَّ لنبي ، وما كان يشاهدُها غيرُهنَّ ، فحصل بذلك كلُّ خير عظيم . انتهى « عزيزي » .

وَٱلطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلاَةِ » .

(وَٱلطِّيْبُ ،) لأنَّه حظُّ الملائكة ، ولا غرضَ لهم في شيء من الدنيا سواه ، فكأنَّه يقول : حُبِّي لهاتين إنما هو لأجل غيري ، قال الطيبي : جيءَ بالفعل مجهولاً !! دلالة على أنَّ ذلك لم يكن من جِبِلَّته وطبعه ، وأنه مجبورٌ على هذا الحبِّ ؛ رحمةً للعباد ورفقاً بهم ، بخلاف الصلاة فمحبوبة له بذاتها فلذا قال :

(وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي) ـ فرحها وسرورها ـ (فِي ٱلصَّلاَةِ ») ذات الركوع والسجود ، لأنَّها محلُّ المناجاة ومعدن المصافاة .

وقيل : المرادُ صلاة الله وملائكته عليه ، ومُنِع بأنَّ السياق يأباه .

وقدَّم النساء !! للاهتمام بنشر الأحكام وتكثير سوادِ الإسلام ، وأردف بالطِّيب ؛ لأنَّه من أعظم الدواعي لجماعِهِنَّ ، مع حسنه بالذَّات وكونِه كالقوت للملائكة ، وأفرد الصلاة عنهما !! لأنَّها غيرُهما بحسب المعنى ، إذ ليس فيها تقاضي شهوة نفسانية ؛ كما فيهما .

قال العلامة ابن الحاج في كتابه « المدخل » : وانظر إلى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام « حُبِّبَ إِلَيَّ » ولم يقل : أَحببتُ ، وقال « مِنْ دُنْيَاكُمْ » ، فأضافها إليهم ؛ دونَه عليه الصلاة والسلام ، فدلَّ على أن حبَّه كان خاصّاً بمولاه تبارك وتعالى ، فلذا غايرَ ؛ فقال : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلاَةِ » ، فكان عليه الصلاة والسلام بَشَري الظَّاهر ؛ ملكوتي الباطن ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يأتي إلى شيء من الأحوال البشرية إلاَّ تأنيساً لأُمَّته وتشريعاً لها ، لا لأنَّه محتاجٌ إلى شيء من ذلك بحيث لو تَرَكه لأَضرَّ به ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [٥٠/الأنعام] ، فقال « لكم » ولم يقل « إني مَلَك » ؛ فلم ينف المَلَكية عنه إلاَّ بالنسبة إليهم ، أعني بكونه مَلَكاً في معانيه عليه الصلاة والسلام ؛ لا في ذاته الكريمة ، إذ أنه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر ، ولهذا قال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي : هو بشرٌ ليس كالأبشار ، كما أن الياقوتَ حجرٌ ليس كالأحجار ، وهذا منه رحمه الله تعالى على

وَرِوَايَةُ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنيَاكُمْ ثَلاَثٌ ».. لاَ أَصْلَ لَهَا ، فَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : ....

سبيل التقريب للفهوم ، فدَلَّ على أنَّه ﷺ كان مَلَكيَّ الباطن ، ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه ، فلا تغلب عليه بحب شيء من الدنيا . انتهى كلام « المدخل » ؛ نقله عنه القسطلاني .

قال المصنف رحمه الله : (**وَرِوَايَةُ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثٌ »**) ؛ كما اشتهر على الألسنة (**لاَ أَصْلَ لَهَا ، فَفِي**) « شرح الشفاء » للعلامة ملاّ علي قاري : إنَّ لفظ « **ثلاث** » خطأٌ فاحش . ومما يدلُّ على بطلانه تغيُّر سياق الحديث في قوله : « وَجُعِلَتْ . . . الخ » . انتهى . وقال الشهاب الخفاجي : إنَّها غيرُ ثابتة ؛ وإن أثبتها الزمخشري والغزاليُّ في « الإحياء » ، والقاضي عياض تبعاً لهم ، وقد أفردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلةٍ . انتهى .

وفي (« **المَوَاهِبِ**) اللدنية » للعلامة القسطلاني :

تنبيه : وقع في « الإحياء » للغزالي في موضعين ، وفي تفسير آل عمران ؛ من « الكشاف » عند قوله تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ [آل عمران/٩٧] وتبعه البيضاوي ، وكذا وقع للراغب وابنِ عربي في « الفصُوص » وكثيرٍ من كتب الفقهاء « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثٌ » ، وقالوا : إنه عليه الصلاة والسلام ، قال « ثَلاَثٌ » ولم يذكر إلاَّ اثنتين : الطِّيبُ والنِّساء !! لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن في تعيين ما يصلح جعله مثالاً للمتروك ، ومنه قول الشاعر :

إِنَّ ٱلأَحَـامِـرَةَ ٱلثَّـلاَثَـةَ أَهْلَكَـتْ ... مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُوْلَعَا
اَلْخَمْـرُ وَٱلمَـاءُ ٱلقَـرَاحُ وَأَطَّلِـي ... بِـٱلـزَّعْفَـرَانِ فَـلاَ أَزَالُ مُـوَلَّعَـا

وبعضُهم ينشدُها هكذا :

إِنَّ ٱلأَحَـامِـرَةَ ٱلثَّـلاَثَـةَ أَهْلَكَـتْ ... مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُوْلَعَا
اَلـرَّاحُ وَٱللَّحْـمُ ٱلسَّمِيْـنُ وَأَطَّلِـي ... بِـٱلـزَّعْفَـرَانِ فَلَـنْ أَزَالَ مُـوَلَّعَـا

فلم يذكر الماء ، وهذا عندهم يسمَّى « طَيّاً » ، وهو : أن يُذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيهِ لغرضٍ للمتكَلِّم ، كإبهامه على السامع ، لعدم إرادة المتكلِّم وقوفَ السامع عليه لنكتة ، وأنشد الزَّمخشريُّ شاهداً عليه قول جرير :

كَـانَـتْ حَنِيفَـةُ أَثْـلَاثـاً فَثُلْثُهُـمُ مِـنَ ٱلعَبِيْـدِ وَثُلْـثٌ مِـنْ مَـوَالِيْهَـا

فصرَّح بذكر ثلثين وطوى ذكر الثالث ، كأنه قيل : والثالث من الأخيار الذين ليسوا مواليَ ولا عبيداً ، وفائدة الطيِّ عندَهُم : تكثيرُ ذلك الشيء ، لتذهَب النفس كلَّ مذهب ممكن ، لكن هذا التكلُّف إنّما يجيءُ لو ورد لفظ « ثلاث » ولم يَرد !! .

فقد (**قال شَيْخُ ٱلإِسْلَامِ**) شهاب المِلَّة والدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد أبو الفضل (**ٱلحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ**) : لَقَبٌ لبعض آبائه ، الكناني العسقلاني القاهريّ الشافعي ، الحافظ الكبير الشهير ، الإمام المنفردُ بمعرفة الحديث وعللِه في الأزمنة المتأخِّرَة .

ولد في ثاني عشر شعبان سنة : ـ ٧٧٣ ـ ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر .

ونشأ بها يتيماً في كَنَف أحدِ أوصيائِه فحفظ القرآن ؛ وهو ابن تسع ، وتفقَّه بالبُلقيني والبَرْماوي وابنِ الملقِّن والعزِّ بن جماعة ، وعليه أخذ غالب العلوم الآلية والأصولية ، ثم حَبَّب الله إليه فنَّ الحديث ، فأقبل عليه بكلِّيَّته فعكف على الزين العراقي وحمل عنه علم الحديث ؛ سنداً ومتناً ، وعللاً واصطلاحاً .

وارتحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن ومكة ، وأكثر جداً من المسموع والشيوخ ، وسمع العالي والنازل ، واجتمع له من ذلك ما لم يجتمع لغيره ، وأدرك من الشيوخ جماعةً كلٌّ واحد رأس في فنِّه الذي اشتهر به ؛ فالتنوخيُّ في معرفة القراءات ، والعراقيُّ في الحديث ، والبلقينيُّ في سَعة الحفظ وكثرة الاطلاع ، وابنُ الملقِّن في كثرة التصانيف ، والمجدُ صاحب « القاموس » في حفظ اللغة ، والعزّ بن جماعة في تفنُّنه في علوم كثيرة بحيث كان يقول : أنا أقرأ في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءَها .

إِنَّ لَفْظَ « ثَلَاثٌ » لَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِهِ ، وَزِيَادَتُهُ تُفْسِدُ ٱلْمَعْنَىٰ ، وَكَذَٰلِكَ قَالَهُ ٱلْوَلِيُّ ٱلْعِرَاقِيُّ . . . .

ثم تصدَّى لنشر الحديث وقَصَر نفسه عليه ؛ مطالعة وإقراء ، وتصنيفاً وإفتاءً ، وتفرَّد بذلك ، وشهد له بالحفظ والإتقان القريبُ والبعيد ، والعدوُّ والصديق ، حتَّىٰ صار إطلاقُ لفظ « الحافظ » عليه كلمةَ إجماع ، ورحل الطلبةُ إليه من الأقطار ، وطارت مؤلفاته في حياته ، وانتشرت في البلاد ، وتكاتبت الملوك من قطر إلى قطر في شأنها ، وهي كثيرةٌ جِدّاً عدَّدها السخاوي في « الضوء اللامع » ، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة ، وألحقَ الأصاغر بالأكابر .

واستمر على طريقته حتى مات في أواخر ذي الحجة سنة : ـ ٨٥٢ ـ اثنين وخمسين وثمانمائة ، وكان له مشهد لم يُرَ مثله ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

قال في تخريج أحاديث « الكشاف » : (**إِنَّ لَفْظَ « ثَلَاثٌ » لَمْ يَقَعْ فِي شيءٍ مِنْ طُرُقِهِ ، وَزِيَادَتُهُ تُفْسِدُ ٱلمَعْنَىٰ**) ، لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا .

(**وَكَذَٰلِكَ قَالَهُ**) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم (**ٱلوَلِيُّ**)؛ أي: ولي الدين بن زين الدين (**ٱلعِرَاقِيُّ**) الحافظ ابن الحافظ ، الإمام العلاَّمة المتفَنِّنُ المحقِّق البارع .

ولد في سَحَر يوم الإثنين ثالث ذي الحجة سنة : ـ ٧٦٢ ـ اثنتين وستين وسبعمائة بالقاهرة ، وأحضره والده على جماعة من الشيوخ ، ورحل به إلى دمشق فأحضره بها على أعيان علمائها ، وأخذ عمن دَبَّ ودرج ، وكتب الطِّباق وضبَطَ الأسماء ، وتدرَّب بوالده في الحديث وفنونه ، وكذا في غيره من فقه وأصول وعربية ومعان وبيان ، وبرع في جميع ذلك وشارك في غيرها من الفضائل ، وأَذِن له غيرُ واحد من شيوخه بالإفتاء والتدريس ، واستمرَّ يترقَّى لمزيد ذكائه حتى ساد ، وأبدأ وأعاد ، وظهرت نَجَابته ونباهته ، واشتهر فضله وبَهَر عقله ، مع حسن خَلْقه وخُلُقه ، وشرف نفسه ، وتواضعه ، وانجماعه ، وصيانته وديانته ، وأمانته ،

فِي « أَمَالِيهِ » ، . . . .

وعفَّته ، وضيق حاله وكثرةِ عياله ، ودرَّس وهو شاب في حياة أبيه ؛ وقال أبوه مادحاً لدروسه :

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ أَبِهْ وَذَاكَ عِنْـدَ أَبِيْـهِ مُنْتَهَـىٰ أَرَبِـهْ

وولي القضاء بعد موت والده ، فسار فيه أحسنَ سيرة ، بعفَّة ونزاهة ، وحرمة وصرامة ، وشهامة ومعرفة ، وله مؤلفات كثيرة ، وأقرأ مصنَّفاته في حياته ، وكان موتُه مبطوناً شهيداً آخر يوم الخميس سابع عشر من شعبان سنة ؛ ـ ٨٢٦ ـ ست وعشرين وثمانمائة ، ثم دفن إلى جنب والده بتربته رحمه الله تعالى .

(**فِي « أَمَالِيهِ »**) ـ جمع إملاء ؛ وهو : من وظائف العلماء قديماً ، خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث في يوم من أيَّام الأسبوع يوم الثلاثاء ؛ أو يوم الجمعة ، وهو المستحبُّ ، كما يستحبُّ أن يكون في المسجد لشرفهما[١] .

وطريقهم في الإملاء : أن يكتب المستملي في أوَّل القائمة : هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ، ويذكر التاريخ ، ثم يورد المملي بأسانيده أحاديثَ وآثاراً ، ثم يفسِّرُ غريبَهما ويُوردُ من الفوائد المتعلِّقة بها بإسناد ؛ أو بدونه ما يختاره ويتيسر له ، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ، ثم ماتت الحُفَّاظ وقلَّ الإملاء .

وقد شرع الحافظ السيوطيُّ في الإملاء بمصر سنة : ـ ٨٧٢ ـ اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وجدَّده بعد انقطاعه عشرين سنة ، من سنة مات الحافظ ابن حجر ، على ما قاله في « المزهر » .

وكُتُب الأمالي كثيرة : منها أمالي أبي زرعة الوليِّ العراقي المذكورة ، وهي تنوف عن ستمائة مجلس ، وقبلها أمالي ابن السَّمعاني ، وابن عساكر ، وابن دريد ، وابن الشجري ، وابن الحاجب ، أمالي الحافظ السلامي ، أمالي المحاملي ، أمالي

---

(١) أي : شرف الجمعة وشرف المسجد .

وَعبَارَتُهُ : (لَيْسَتْ هَـٰذِهِ ٱللَّفْظَةُ : وَهِيَ (ثَلاَثٌ) فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ ٱلْحَدِيثِ ....

بديع الزمان الهمذاني ، أمالي ثعلب ، أمالي الزمخشري ، أمالي الزجاج ، أمالي الإمام الرافعي ، أمالي الإمام الشافعي ، أمالي شمس الأئمة السرخسي ، أمالي الإمام أبي يوسف ، أمالي الحاكم أبي عبد الله ، أمالي قاضي خان ، أمالي القالي ، أمالي القضاعي ، أمالي الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وهذه الأمالي أغلبها في الحديث ، وبعضها في النحو والعربية ، وبعضها في الفقه .

وقد كانت سُنَّة الإملاء انقطعت بموت الحافظ ابن حجر وتلاميذه كالحافظين السخاوي والسيوطي ، وبهما ختم الإملاء ، فأحياه بعد مماته نادرةُ الدنيا في عصره ومصره ، الذي لم يأت بعد الحافظ ابن حجر وتلاميذه أعظم منه اطلاعاً ، ولا أوسع رواية ، ولا أعظم شهرة ، ولا أكثر منه علماً بهذه الصناعة الحديثية ، الشيخ العلامة الحافظ السيد محمد بن محمد مرتضى الزبيدي المتوفىٰ سنة : ـ ١٢٠٥ ـ خمس ومائتين وألف رحمه الله تعالى ، خِرِّيت هذه الصناعة ، ومالك زمام تلك البضاعة ، فأحيا إملاء الحديث على طريق السلف ، في ذكر الأسانيد والرُّواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة ، ووصلت أماليه إلى نحو أربعمائة مجلس ، كان يملي في كل إثنين وخميس ، وقد جمع ذلك في مجلدات ، ذكر ذلك الحافظ السيد عبد الحي الكتاني في كتاب « فهرس الفهارس » رحمهم الله تعالى . آمين .

(**وَعِبَارَتُهُ**) قال العلامة المحقق أحمد بن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في كتابه « الحق الواضح » : المقرِّر الناقل متى قال « وعبارته كذا » تعيَّن عليه سوق العبارة المنقولة بلفظها ، ولم يجز له تغيير شيء منها ، وإلاَّ كان كاذباً ، ومتى قال : « قال فلان » كان بالخيار بين أن يسوق عبارته بلفظها ؛ أو بمعناها من غير نقلها ، لكن لا يجوز له تغيير شيء من معاني ألفاظها ، انتهى نقله عنه في « الفوائد المكية » .

(**لَيْسَتْ هَذِهِ ٱللَّفْظَةُ : وَهِيَ « ثَلاَثٌ » فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ ٱلحَدِيْثِ**) فليست

وَهِيَ مُفْسِدَةٌ لِلْمَعْنَىٰ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّلاَةَ لَيْسَتْ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا ، وَكَذَا صَرَّحَ بِهِ ٱلزَّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُ ، كَمَا حَكَاهُ شَيْخُنَا ـ يَعْنِي ٱلْحَافِظَ ٱلسَّخَاوِيَّ . . .

مدرجة أيضاً ، كما زعمه من لا إلمام له بالفن ، فالمدرج الملحَقُ بحديث من قول راو بلا ظهور فصل .

(**وَهِيَ مُفْسِدَةٌ لِلْمَعْنَىٰ ، فَإِنَّ ٱلصَّلاَةَ لَيَسَتْ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا . وَكَذَا صَرَّحَ بِهِ**) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين (**ٱلزَّرْكَشِيُّ**) بوزن : الجعفري ، التركي الأصل المصري الشافعي المشهور ، العلامة المحقق الفقيه الأصولي المتفنن ، المولود سنة : ـ ٧٤٥ ـ خمس وأربعين وسبعمائة ، والمتوفىٰ سنة : ـ ٧٩٤ ـ سبعمائة وأربع وتسعين ـ بتقديم المثناة على المهملة ـ .

له تصانيف كثيرة في عِدَّة فنون ، منها « البرهان في علوم القرآن » ، و« البحر المحيط » في الأصول ، و« لقطة العجلان » ، و« الديباج في توضيح المنهاج » ، و« الخادم شرح الروضة » ، و« الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة » ، و« قواعد الفقه » وغيرها ، رحمه الله تعالى .

قال في « الأحاديث المشتهرة » له : لم يَرد فيه لفظ « ثلاث » وزيادته محيلةٌ للمعنى ، فإن الصلاة ليست من الدنيا . (**وَغَيْرُهُ**) وكأنَّهم لم يعتبروا توجيه الزمخشري وغيره بأنه من الطي ، لأنَّه إنَّما يصار إليه لو وجدت[1] ، أما حيث لم توجد ؛ فلا داعيَ للتوجيه ، بل ذكر التوجيه والاعتناءِ به يوهم قاصرَ الباع في الحديث ورودَها ؛ (**كَمَا حَكَاهُ**) ؛ أي : ما نقله عن الحافظ ابن حجر والوليِّ العراقي والبدرِ الزركشي (**شَيْخُنَا ـ يَعْنِي**) العلاَّمة (**ٱلحَافِظَ**) أبا الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الملقب « شمس الدين (**ٱلسَّخَاوِيَّ** ») الأصل ، نسبة لـ « سَخَا » : قرية غربي الفسطاط بمصر بلد آبائه ، القاهري المولد والنشأة ،

---

(١) أي لفظة « ثلاث » في الحديث .

فِي «ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْحَسَنَةِ» ـ وَأَقَرَّهُ) ٱنْتَهَىٰ.

وَأَنْكَرَهُ أَيْضاً ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ . . . .

الشافعي المذهب ، الإمام شيخ الإسلام ، المؤرِّخ المحقِّق الرَّحالة الناقد .

المولود بالقاهرة في شهر ربيع الأول سنة : ـ ٨٣١ ـ إحدى وثلاثين وثمانمائة ، والمتوفى سنة : اثنتين وتسعمائة ـ بتقديم المثناة على السين ـ وقد تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى

(فِي) كتابه (« ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْحَسَنَةِ) في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » (وَأَقَرَّهُ) قائلاً : ما رأيتُها في شيء من طرق الحديث بعد مزيد التفتيش ، وقال في جزء أَلَّفه في هذا الحديث : يمكن أن تكون الصلاة في أمور الدنيا بالنظر إلى اللذَّة الحاصلة لمُدِيْمها ؛ كما قال في « الإحياء » : جعل الصلاة من جملة ملاذِّ الدنيا ، لأنَّ كلَّ ما يدخل في الحس والمشاهدة ؛ فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا ، والتلذُّذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع !! إنما يكون في الدنيا ؛ فلذا أضافها إليها ؛ انتهى . (اِنْتَهَىٰ) ؛ أي كلام « المواهب » ممزوجاً بشيء من « شرح الزرقاني » عليها .

(وَأَنْكَرَهُ) ؛ أي لفظ « ثلاث » . (أَيْضاً) ؛ من آض إذا رجع ، وكلمة « أيضاً » لا تستعمل إلاَّ مع شيئين بينهما توافقٌ ، ويمكن استغناءُ كلٍّ منهما عن الآخر ، وهو مفعولٌ مطلقٌ حُذف عامله وجوباً ؛ سماعاً ، أو حال حُذف عاملها وصاحُبها ، والتقدير على الأول : ارجع إلى إنكار لفظ « ثلاث » رجوعاً ، وعلى الثاني : أنكر لفظ « ثلاث » راجعاً إلى الإنكار لها ثانياً .

قال الجلال السُّيُوطي : وتوقَّف ابن هشام في عربيتها ، وظنَّ أنها مولَّدة من استعمال الفقهاء ، وليس كما ظنَّ ، فقد ثبتت عربيتها في الكلام الفصيح ، وساقَ جملة من الأحاديث الدالَّة على صِحَّة ما قاله ، فليراجعه مَن أراده .

(ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ) : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي ، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ، العلامة الحافظ المجتهد المصنِّف المشهور البارع ، ولد سنة : ـ ٦٩١ ـ إحدى وتسعين وستمائة ، وأخذ عن

. . . .

والده والصفيِّ الهندي ، وابن تيمية ، وبرع في جميع العلوم ، وغلب عليه حبُّ ابنِ تيمية ، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ذلك ، ومات في شهر رجب سنة : ـ ٧٥١ ـ إحدىٰ وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى .

قال في « زاد المعاد » : مَن رواه « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثٌ » فقد وَهِمَ ، ولم يقل ﷺ « ثلاث » ، والصلاة ليست من أمور الدنيا حتى تضاف إليها . انتهى .

قال الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفىٰ سنة : ـ ١١٦٢ ـ اثنتين وستين ومائة وألف هجرية ، في كتابه « كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » ؛ بعد سَوْق ما تقدَّم عن ابن حجر والولي العراقي والزركشي وابن القيّم ما نصُّه :

وأقول : في قولهم « بل هي مفسدةٌ للمعنى ؛ كقول الزركشي زيادة « ثلاث » محيلة للمعنى . . الخ » نظرٌ ؛ وإن أقرُّوه ، بل المحيل زيادة « مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاَثٌ » ؛ لا لفظُ « ثلاث » فقط فتأمَّلْ .

وقال الجلال السيوطي في تخريج أحاديث « الشفاء » : أخرجه النسائي ، والحاكم ، عن أنس بدون « ثلاث » . لكن عند أحمد ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها : كان يُعجِبُ رسولَ الله ﷺ من الدنيا ثلاثةُ أَشياء : النساءُ والطِّيبُ والطعامُ ، فأصاب اثنتين ؛ ولم يصب واحدة ، أصاب النساء والطيب ؛ ولم يصب الطعام . . إسناده صحيح ، إلا أن فيه رجلاً لم يُسَمَّ . انتهى .

وأقول : يؤخَذُ منه أن الثالثة هي الطعام على فرض ثبوت ثلاثٍ فتأمَّل . انتهى كلام العجلوني .

وقد ذَكَر لفظةَ « ثلاث » الإمامُ أبو بكر محمد بن الحسن بن فُوْرَك الأصبهاني ، الأصولي النحوي المتكلِّمُ الواعظ ، صاحب التصانيف القريبة من مائة المتوفىٰ سنة : ـ ٤٠٦ ـ ست وأربعمائة ، وألف فيها جزءاً مفرداً ، ووجَّهَها في هذا الجزء ،

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ ٱلطِّيبَ وَيَكْرَهُ ٱلرَّائِحَةَ ٱلرَّدِيئَةَ .

وأطنب في ذلك ، ونقله عنه العلامة الحافظ السخاوي في جزئه الذي أَلَّفه في هذا الحديث ، فليطلبه مَن أراد .

(وَ) قال الغزالي في « الإحياء » ، والشعراني في « كشف الغمة » : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يُحِبُّ ٱلطِّيْبَ**) ، والروائح الطيبة ؛ وإن كان هو طَيِّب الرائحة دائماً ـ كما مرَّ ـ (**وَيَكْرَهُ ٱلرَّائِحَةَ ٱلرَّدِيْئَةَ**) ؛ لأنها تضرُّ بالروح وتحبُّها الشياطين ؛ عكس الملائكة ، فإنها تحبُّ الرائحة الطيبة ، وقد سبق الكلامُ على حكمةِ محبَّته للطيب وفوائده .

* * *

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ
فِي صِفَةِ صَوْتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : مَا بَعَثَ ٱللهُ نَبِيّاً إِلاَّ حَسَنَ ٱلْوَجْهِ ، حَسَنَ ٱلصَّوْتِ ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتاً .

(ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ)

من الباب الثاني

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ صَوْتِهِ) الشريف (ﷺ) ،

وقد كان صوتُه على غاية من الحسن والسَّعة ؛ كما صرَّحت به الأحاديثُ ؛

فقد روى الترمذيُّ في « جامعه » ، والدارقطني ؛ من حديث قتادة (**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) ؛ أي : موقوفاً : (**مَا بَعَثَ ٱللهُ نَبِيّاً إِلاَّ**) ـ وقد خلقه ـ (**حَسَنَ ٱلوَجْهِ حَسَنَ ٱلصَّوْتِ** .) ليدلَّ حسنُ ظاهره على حُسْنِ باطنه ، إذ الظاهر عنوان الباطن ، (**وَكَانَ نَبِيُّكُمْ**) من ابتداء وجوده وخلقته (**أَحْسَنَهُمْ**) ؛ أي : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (**وَجْهاً ، وأَحْسَنَهُمْ صَوْتاً**) ، فحسن الوجه يدلُّ على كمال الخَلْق والخُلُق ؛ لأنَّ الظاهر عنوان الباطن ؛ كما قيل :

يَـدُلُّ عَلَـىٰ مَعْـرُوفِـهِ حُسْـنُ وَجْهِـهِ ... وَمَا زَالَ حُسْنُ ٱلوَجهِ أَهْدَىٰ ٱلدَّلائِلِ

وقال آخر في ضدِّ ذلك :

يَـدُلُّ عَلَـىٰ قُبْـحِ ٱلطَّـوِيَّـةِ مَـا تَـرَىٰ ... بِصَاحِبِها مِنْ قُبْحِ بَعْضِ مَلاَمِحِهْ

وحُسن الصوت بكونه جَهْوَرِيًّا يُسمع من بعيد ؛ مع لطف فيه يدرَكُ بالذوق ، ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقى . وهذا يدلُّ على أنه ﷺ كان أجمل من يوسف وأحسنَ صوتاً من داود عليهم الصلاة والسلام ، باعتبار الصَّبَاحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة ، وكانت قراءته ﷺ في بيته ليلاً تُسمع عند الكعبة ، وفيما بَعُدَ من

وَكَانَ صَوْتُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْلُغُ حَيْثُ لاَ يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ . فَعَنِ ٱلْبَرَاءِ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَسْمَعَ ٱلْعَوَاتِقَ فِي خُدُورِهِنَّ .

منازل المدينة ، وقد أعطى الله نبينا محمَّداً ﷺ كمالَ الجلال والجمال من تمام الصباحة ؛ فما رآه أحد إلاَّ هابه ، ومن تمام الملاحة ؛ فما رآه أحد إلاَّ أحبَّه :

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ ٱلْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

وأما قوله في حديث المعراج في يوسف : « فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ [أَحْسَن] مَا خَلَقَ ٱللهُ ، قَد فَضَلَ ٱلنَّاسَ بِٱلْحُسْنِ ، كَٱلقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلكَوَاكِبِ » رواه البيهقي ، والطبراني ، وابن عائذ !! فيحمل على أن المراد غير النبي ﷺ .

ويؤيِّدُه القولُ بأن المتكلِّم لا يدخل في عموم خطابه ، وقوله في رواية مسلم : « فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ ٱلْحُسْنِ » !! حمله ابن المنيّر على أن المرادَ أُعطي شطر الحسن الذي أُوتِيَه نبينا ﷺ .

قال السخاوي في كتاب « الامتنان » : وقد سئل الجلال المحلي رحمه الله تعالى عن حديث (أُعطي نبيُّنا جميع الحسن . ويوسف شطره) !! فقيل : كيف يكون الشيء الواحدُ جميعه في شيء ونصفه في آخر !؟ فقال : لم يظهر لي جوابه ، وكذا قال ابن حجر رحمهم الله تعالى ؛ نقله عنه الشهاب الخفاجي في « شرح الشفاء » .

قال في « المواهب » : (**وَكَانَ صَوْتُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ يَبْلُغُ حَيْثُ**) ـ أي : مكاناً ـ (**لاَ يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ**) ، و« حيث » هنا بمعنى المكان مجرَّدةٌ عن الظرفية .

(**فَعَنِ ٱلبَرَاءِ**) ـ بتخفيف الراء ـ (**قَالَ : خَطَبَنَا رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ**) فعلا صوته (**حَتَّىٰ أَسْمَعَ ٱلعَوَاتِقَ**) جمع عاتق ؛ وهي : الشابَّة أوَّلَ ما تُدرك . وقيل : التي لم تَبِن من والديها ، ولم تتزوَّج ؛ وقد أدركتْ وشبَّت ، وتجمع أيضاً على عُتَّق ؛ كما في « النهاية » . وخصَّهُنَّ بالذِّكر !! لبُعْدِهِنَّ واحتجابهن في البيوت ، فسَمَاعُهُنَّ آية علوِّ صوته زيادةً على غيره (**فِي خُدُوْرِهِنَّ**) جمع خِدْر ؛ أي : ستر ، ويطلق على

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : جَلَسَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ عَلَىٰ ٱلْمِنبَرِ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : « اِجْلِسُوا » ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي غَنْمٍ ، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنُ مُعَاذٍ ٱلتَّيْمِيُّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : خَطَبَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنىً ، فَفَتَحَ ٱللهُ أَسْمَاعَنَا ، حَتَّىٰ إِنْ كُنَّا

البيت إن كان فيه امرأة ، وإلاَّ فلا . رواه البيهقي .

(وَ) أخرج أبو نعيم : (**قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنهَا : جَلَسَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَوْمَ ٱلجُمُعَةِ عَلَىٰ ٱلمِنبَرِ** ؛ **فَقَالَ لِلنَّاسِ « اجْلِسُوا »** .

فَسَمِعَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ) بنِ ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي المدني رضي الله تعالى عنه ـ تقدمت ترجمته ـ .

(**وَهُوَ فِي بَنِي غَنْمٍ**) ـ بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة فميم آخرة ، : بطن من الخزرج بالمدينة ـ (**فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ**) ؛ مبالغةً في الامتثال لأمره ﷺ ، مع أنَّه ليس مأموراً بذلك ، إذ قصدُه أمرُ الحاضرين للخطبة بالجلوس .

(وَ) أخرج ابن سعد : (**قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ**) بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي (**ٱلتَّيْمِيُّ**) ابن عمٍّ طلحة بن عبيد الله ، قال البخاري وغيرهُ : له صحبةٌ . وعَدَّه ابن سعد من مُسلِمة الفتح[١] (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : خَطَبَنَا رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ بِمِنَىٰ ، فَفَتَحَ ٱللهُ أَسْمَاعَنَا**) بأن خلق الله فيها قوَّة سَمْعٍ زيادة على معتادها ، فكأنها كانت مغلقةً ففتحت ؛ فشبَّه الأسماع بأبواب مغلقة ، وأثبت لها الفتحَ تخييلاً ؛ فهو استعارةٌ بالكناية تخييلية (**حَتَّىٰ**) غاية لمقدر ؛ أي : فقويت حتَّىٰ (**إِنْ كُنَّا**) ـ مخففة من الثقيلة ، بدليل اللام في

---

(١) أي الذين أسلموا في فتح مكة .

لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا .

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَرِيشِي .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ . . ٱشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ ، . . . .

ـ (**لَنَسْمَعُ مَا يَقُوْلُ** ؛ **وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا**) وأخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بلفظ : « ففتحت أسماعنا » بدل قوله : « ففتح الله أسماعنا » .

(**وَ**) أخرج ابن ماجه ؛ (**عَنْ أُمِّ هَانِىءٍ**) بنتِ أبي طالب واسمها : فاختة ، وهي شقيقة الإمام علي كرَّم الله وجهه ـ وقد مرَّت ترجمتها ـ (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا** ؛ **قَالَت** : **كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ عِنْدَ ٱلكَعْبَةِ**) ـ متعلق بـ« قراءة » ـ (**وَأَنَا عَلَىٰ عَرِيْشِيْ**) ؛ أي : سريري ، وحَمْلُه عليه أبلغ من سقف بيتي ، كما هو أحد معاني العريش كالعرش ؛ كما في « القاموس » ، فسماعُها له وهي على سريرها داخلَ بيتها البعيد عن محلِّ القراءة دليلٌ على قوَّته .

وفي « الصحيحين » ؛ عن البراء : قرأ ﷺ في العشاء ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ فلم أسمع صوتاً أحسنَ منه . وروى أبو الحسن بن الضحاك ؛ عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال : كان ﷺ حسن النغمة .

(**وَ**) أخرج مسلم ؛ عن جابر بن سمرة ، وابنُ ماجه ، وابن حبان ، والحاكم؛ عن جابر رضي الله تعالى عنهما : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ**) ؛ أي : وعظ (**ٱشْتَدَّ غَضَبُهُ**) لله سبحانه وتعالى على مَن خالف زواجره . قال القاضي عياض : يعني بشدَّته : أَنَّ صفتَه صفةُ الغضبان ، وهذا شأن المنذِر المخوِّف ، ويحتمل أنَّه لنهي خولف فيه شرعه ، وهكذا تكون صفةُ الواعظ مطابقةً لما يتكلَّم به . وقال النووي : أو كان عند إنذاره أمراً عظيماً . زاد في رواية : وَٱحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ .

(**وَعَلاَ صَوْتُهُ**) ؛ أي : رفع صوته ليؤثر وعظه في خواطر الحاضرين حتَّى

كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ .

(**كَأَنَّهُ مُنْذِرُ**) : محذِّر (**جَيْشٍ**) ؛ أي : كمن ينذر قوماً من جيشٍ عظيم قصدوا الإغارة عليهم ، فإنَّ المنذِرَ المعلم يعرِّفُ القوم بما يَدْهَمُهم من عدوٍّ ؛ أو غيره ، وهو المخوِّف أيضاً حال كونه (**يَقُوْلُ** : **صَبَّحَكُمْ**) ـ بفتح الصاد والباء المشدَّدة ـ أي : أتاكم الجيش وقت الصباح (**وَمَسَّاكُمْ**) ـ بالفتح ـ مثقَّلاً ؛ أي : أتاكم وقت المساء .

قال الطِّيبي : شبَّه حالَه في إنذاره وخطبته بقرب يوم القيامة ، وتهالك الناس فيما يُرَادُ بِهِمْ بحال من يُنذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الإحاطة بهم ؛ بغتة بحيث لا يفوته منهم أحد ، فكما أن المنذِرَ يرفع صوتَه وتحمرُّ عيناه ويشتدُّ غضبه على تغافلهم ؛ فكذا حاله ﷺ عند الإنذار ، وفيه أنَّه يسنُّ للخطيب تفخيمُ أمرِ الخطبة ورفعُ صوته وتحريك كلامِه ، ويكون مطابقاً لما تكلَّم به من ترغيب وترهيب .

قال في « المطامح » : فيه دليل على إغلاظ العالِم على المتعلِّم ، والواعظ على المستمع وشدَّة التخويف .

ثم هذا قطعةٌ من حديث ، وبقيته عند ابن ماجه وغيره : ويقول : « بُعِثْتُ أَنَا وَٱلسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » ، وَيَقْرُنُ بين أَصابعه ٱلسَّبَّابةِ والوسطىٰ . ثم يقول : « أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلأُمُورِ كِتَابُ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَخَيْرَ ٱلهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » . انتهى « مناوي وزرقاني » .

* * *

اَلفَصْلُ ٱلسَّابعُ

فِي صِفَةِ غَضَبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرُورِهِ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . يُرَىٰ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ فِي وَجْهِهِ لِصَفَاءِ بَشَرَتِهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . ٱحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ .

(ٱلْفَصْلُ ٱلسَّابعُ) ؛

من الباب الثاني

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ غَضَبِهِ ﷺ وَ) في صفة (سُرُوْرِهِ) ،

أما غضبُه فقد ذكر العارف الشعراني في كتاب « كشف الغمة » : أنّه (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ) لله تعالى (يُرَىٰ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ) ؛ أي : أثرُهما (فِي وَجْهِهِ) الشريف (لِصَفَاءِ بَشَرَتِهِ) ـ محرَّكة ـ : ظاهرُ الجلد ، لأنَّه ﷺ لطيف الظاهر والباطن ، وهو علامةُ اعتدال المزاج .

روى أبو الشيخ في « كتاب أخلاق النبي ﷺ » ؛ من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله ﷺ يُعرَفُ رضاه وغضبه بوجهه . . . الحديث ، وإسناده ضعيف .

(وَ) أخرج الطبرانيُّ في « الكبير » ؛ عن ابن مسعود ، وعن أم سلمة رضي الله عنها : (كَانَ) رسولُ الله (ﷺ إِذَا غَضِبَ ٱحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ) تثنية وجنة ؛ وهي ما ارتفع من لحم الخدِّ ، والجمع وَجَنات ؛ مثل سَجْدة وسَجَدات ، وهذا لا ينافي ما وصفه الله به من الرأفة والرحمة ، لأنَّه كما أنَّ الرحمة والرِّضا لا بدَّ منهما الاحتياج إليهما ؛ كذلك الغضب في حَيِّزه وأوانه ووقته وإبَّانه ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ ٢/النور ، وقال ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢٩/ الفتح] ، فهو إذا غضب إنما يغضب لإشراق نور الله على قلبه ؛ ليقيم حقوقه وينفِّذَ أوامره ، وليس هو من قبيل العلو في الأرض ، وتعظيم المرء نفسه ، وطلب تفرُّدها بالرئاسة ، ونفاذ الكلمة في شيء .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ وَهُوَ قَائِمٌ . . جَلَسَ ، وَإِذا غَضِبَ وَهُوَ جَالِسٌ . . ٱضْطَجَعَ ، فَيَذْهَبُ غَضَبُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ . . لَمْ يَجْتَرِىءْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ عَلِيٌّ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْعَدَ ٱلنَّاسِ غَضَباً ، وَأَسْرَعَهُمْ رِضاً . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْضَبُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلاَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ .

(وَ) أخرج أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « ذم الغضب » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا غَضِبَ وَهُوَ قَائِمٌ جَلَسَ** ، **وَإِذَا غَضِبَ وَهُوَ جَالِسٌ ٱضْطَجَعَ**) ، لأن ذلك أبعدُ عن المسارعة إلى الانتقام ؛ وأسكن للحدَّة ، (**فَيَذْهَبُ غَضَبُهُ**) وهو تعليم للأُمَّة ، وإلا فغضبه ﷺ لله تعالى فلا ينبغي تسكينه ، وكان تارة يتوضَّأُ لإطفاء الغضب .

(وَ) أخرج أبو نعيم في « الحلية » ، والحاكم في « المستدرك » ؛ وقال : صحيح ، والطبراني بزيادةٍ ؛ كلُّهم عن أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا غَضِبَ لَمْ يَجْتَرِىءْ**) ـ بسكون الهمزة ـ (**عَلَيْهِ أَحَدٌ**) . زاد الطبراني : أن يكلمه (**إِلاَّ**) أمير المؤمنين (**عَلِيٌّ**) بنُ أبي طالب ، لما يعلمه من مكانته عنده وتمكُّن ودِّه من قلبه بحيث يحتمل كلامه في حال الحِدَّة ، فأعظمْ بها منقبة للإمام علي تفرَّد بها عن غيره .

(وَ) في « الإحياء » و« كشف الغُمَّة » : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **أَبْعَدَ ٱلنَّاسِ غَضَباً** ، **وَأَسْرَعَهُمْ رِضاً**) . هذا من المعلوم .

ويدلُّ على ذلك إخباره ﷺ : أنَّ بني آدم خيرُهم بطيءُ الغضب سريعُ الفيء . رواه الترمذي ؛ من حديث أبي سعيد الخدري ، وقال : حديث حسن ، وهو ﷺ خيرُ بني آدم وسيِّدهم .

(وَ) في «كشف الغمة» «كالإحياء»: (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَغْضَبُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)، ولايغضبُ لأجل الدنيا، لعدم نظره إليها ومبالاتِه بها، (**وَلاَيَغْضَبُ لِنَفْسِهِ**) ،

وَكَانَ يُنَفِّذُ ٱلْحَقَّ وإِنْ عَادَ ذَلِكَ بِٱلضَّرَرِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ .
وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً . عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ .

ولا ينتصر لها ، بل يعفو عن المعتدي عليه ؛ لكمال حُسن خُلُقه ، فلم يبقَ فيه حظٌّ من حظوظ الدنيا وشهواتها وإراداتها ، بل تمحَّضت حظوظُه وأغراضه وإرادته لله سبحانه وتعالى ، فهو مُعرضٌ عن حقوق نفسه ؛ قائم بحقوق ربه .

قال العراقي : رواه الترمذي في « الشمائل » ؛ من حديث هند بن أبي هالة ، وفيه : وكان لا تُغضبه الدنيا وما كان منها ، فإذا تُعُدِّيَ الحقُّ لم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ؛ ولا ينتصر لها . وفيه راوٍ لم يُسمَّ . انتهى ؛ نقله شارح « الإحياء » .

(وَ) فيهما أيضاً : (**كَانَ يُنَفِّذُ**) ـ بالفاء المشددة والذال المعجمة ـ (**ٱلْحَقَّ** ؛ **وَإِنْ عَادَ ذَلِكَ بِٱلضَّرَرِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ**) ، أشار به إلى قصَّة أبي جندل بنِ سهيل بن عمرو ، وهي عند البخاري في قصَّة الحديبية ، وذكرها في « الشروط » مطوَّلة ؛ كذا وجد بخطِّ الحافظ ابن حجر في طُرَّة كتاب شيخه ، وقد أغفله العراقي ؛ قاله في « شرح الإحياء » .

(وَ) روى الطبراني في « الأوسط » ـ بإسنادين ؛ رجال أحدهما رجال الصحيح ـ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ؛ قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عُرِفَ**) ـ رواية الطبراني : رُؤِي ـ (**ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ**) الشَّريف ، لأنَّ وجهه ؛ كالشمس والقمر ، فإذا كره شيئاً كَسَا وجهَه ظلٌّ كالغيم على النيِّرين ، فكان لغاية حيائه لا يصرِّحُ بكراهته ، لأنه لا يواجه أحداً بما يكره ، بل إنما يُعرَف في وجهه .

وهذا الحديث أصلُه في « الصحيحين » ؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، ولفظه : كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهُهُ عرفناه في وجهه . ذكره المناوي .

وَأَمَّا سُرُورُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ . ٱسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ ٱلْقَمَرُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ . . فَكَأَنَّ وَجْهَهُ ٱلْمِرْآةُ ، وَكَأَنَّ ٱلْجُدُرَ يُرَىٰ شَخْصُهَا فِيهِ .

(**وَأَمَّا سُرُوْرُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ**) ؛ أي : فرحه بشيء !! (**فَقَدْ**) روى البخاريُّ ومسلمٌ ؛ من حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال :

(**كَانَ**) رسول الله (**ﷺ إِذَا سُرَّ ٱسْتَنَارَ وَجْهُهُ**) ؛ أي : أضاء ورُئِيَ فيه البِشْر (**كَأَنَّهُ**) أي : الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه (**ٱلْقَمَرُ**) ؛ في الإشراق والاستنارة ، ورواية « الصحيحين » : قطعةُ قمر .

وكأنَّ المصنِّف حَذف لفظة « القطعة » جرياً على عادة البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد بقطعة . وكعب بن مالك قائلُ هذا من شعراء الصحابة الفصحاء البلغاء ، فلا يَعدِلُ عن المتعارف بينهم إلاَّ لسبب ، فلا بدَّ للتقييد بذلك من حكمة .

ووجهُ العدول ؛ ـ كما قال البلقيني ـ : أنَّ القمر فيه قطعةٌ يظهر فيها سواد ؛ وهو المسمى بالكَلَف ، فلو شَبَّه بالمجموع لدخلت هذه القطعة في المشبَّه به ، وغرضُه إنما هو التشبيه على أكمل الوجوه ، فلذا قال : كأنه « قطعةُ قمر » يريد القطعة الساطعة الإشراق الخاليةَ من شوائب الكدر . انتهى .

(**وَ**) في « المواهب اللدنية » ؛ نقلاً عن « النهاية » لابن الأثير :

(**كَانَ**) رسول الله (**ﷺ إِذَا سُرَّ فَكَأَنَّ**) ـ بتشديد النون ـ (**وَجْهَهُ ٱلْمِرْآةُ**) التي ترى فيها صور الأشياء ، وهي ممدودةٌ على وزن : مفتاح ، جمعها مَراءٍ ؛ على وزن جَوارٍ وغَواشٍ ؛ كما في « المصباح » .

(**وَكَأَنَّ**) ـ بتشديد النون ـ (**ٱلْجُدُرَ**) ـ بضمتين جمع جدار ـ ؛ وهو الحائط تلاحك وجهه ، والملاحكة : شدَّة الملاءمة ؛ أي (**يُرَىٰ شَخْصُهَا**) ـ أي : الجدر ـ (**فِيْهِ**) أي : في وجهه ﷺ لشدَّة ضيائه وصفائه ، والله أعلم .

اَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ
فِي صِفَةِ ضَحِكِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُكَائِهِ

(اَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ)

من الباب الثاني

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ ضَحِكِهِ ﷺ) .

قال أهلُ اللغة : التبسُّم مبادئُ الضحك ، أي : مقدِّماته ، والضحك : انبساط الوجه ؛ أي : تهلُّله وتلألؤه حتَّى تظهر الأسنان من السرور ، فإذا تهلَّل الوجهُ لسرورٍ قام به ؛ انفتح الفم على الهيئة المعروفة ، فإن كان بصوت ؛ وكان بحيث يُسمع من بعيد ، فهو القهقهة ، وإلاَّ يُسمع من بعد ؛ وهو بصوت فالضحك .

فالفارق بين الثلاثة : أَنَّ التبسُّم : انفتاح الفم بلا صوت . والضحك : انفتاحه مع صوت قليل . والقهقهة : انفتاحه بصوت قوي .

والضحك خاصَّة للإنسان ، والغالب أنَّه ينشأ من سرور يعرض للقلب ، وقد يضحك غيرُ المسرور .

ويجوز فيه أربع لغات ، وهي فتح أوله وكسره مع سكون ثانيه ، وكسر أوله وثانيه ، وفتح أوله وكسر ثانيه ؛ كما يؤخذ من « القاموس » ، وهكذا كلُّ ما كان ثلاثياً عينُه حرفُ حلق نحو فخذ . انتهى .

(وَ) في بيان ما ورد في صفة (بُكَائِهِ) ؛

بالمدِّ والقصر ، وقيل : القصر مع خروج الدموع ، والمدُّ على إرادة الصوت ، وقد جمع الشاعر اللغتين ؛ فقال :

بَكَـتْ عَيْنِـي وَحُـقَّ لَهَـا بُكَـاهَـا وَمَـا يُغْنِـي ٱلْبُكَـاءُ وَلاَ ٱلْعَـوِيْـلُ

والبكاء أنواع : ١ ـ بكاء رحمة ورأفة ، و٢ ـ بكاء خوف وخشية ، و٣ ـ بكاء

وَعُطَاسِهِ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱفْتَرَّ ضَاحِكاً . ٱفْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا ٱلْبَرْقِ إِذَا تَلأْلأَ ، . . . .

محبَّة وشوق ، و٤ ـ بكاء فرح وسرور ، و٥ ـ بكاء جزع من ورود مؤلم علىٰ الشخص لا يحتمله ، و٦ ـ بكاء حزن ، و٧ ـ بكاء مستعار ؛ كبكاء المرأة لغيرها من غير مقابل ، و٨ ـ بكاء مستأجَر عليه ؛ كبكاء النائحة ، و٩ ـ بكاء موافقة ؛ وهو بكاءَ من يرىٰ من يبكي فيبكي ؛ ولا يدري لأي شيء يبكي ، و١٠ ـ بكاء كذب ؛ وهو بكاء المصرِّ علىٰ الذنب .

وبكاؤه ﷺ تارة يكون رحمة وشفقة علىٰ الميت ، وتارة يكون خوفاً علىٰ أمته ، وتارة يكون خشية من الله تعالىٰ ، وتارة يكون اشتياقاً ومحبَّة مصاحباً للإجلال والخشية ، وذلك عند استماع القرآن ـ كما سيأتي ـ .

(وَ) في بيان ما ورد في (**عُطَاسِهِ**) ﷺ ،

وهو مصدر من عَطَس يعطِس ـ بالكسر ـ عُطاساً ـ بضمِّ العين علىٰ وزن غُرَاب ـ .

قال في « الاقتراح » : هو خاصٌّ بالإنسان ، فلا يقال لغيره ؛ ولو للهرة ؛ نقله شيخنا . وفي الحديث : كان يحبُّ العطاس ويكره التثاؤب .

قال ابن الأثير : لأنَّ العطاس إنما يكون مع خفَّة البدن وانفتاح المسام وتيسير الحركات ، والتثاؤب بخلافه ، وسبب هذه الأوصاف تخفيفُ الغذاء والإقلال من الطعام والشراب . انتهىٰ شرح « القاموس » .

أما ضَحِكُ رسول الله ﷺ !! فقد ذكر القاضي عياض في « الشفاء » ، والغزاليُّ في « الإِحياء » أَنَّه (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ** ﷺ **إِذَا ٱفْتَرَّ**) ـ بتشديد الرَّاء ؛ أي : إذا أبدىٰ أسنانه حال كونه ـ (**ضَاحِكاً**) ؛ أي : متبسِّماً (**ٱفْتَرَّ**) ـ أي : كشف ـ (**عَنْ مِثْلِ سَنَا**) ـ بقصر «سنا»، وقد يُمدُّ، وقيل: بالقصر: النُّور، وبالمد: الشرف والعلو، أي : يشبه ضوء ـ (**ٱلبَرْقِ إِذَا تَلأْلأَ**) في ظلمة الليل، أي: إذا كشف ﷺ عن أسنانه في حال ضَحِكه ظهر من فمه وبياضِ أسنانه لمعانٌ كلمعان البرق ، وهو تشبيه لنور ثغره .

وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ ٱلْغَمَامِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُّ ضَحِكِهِ ٱلتَّبَسُّمُ .

وإنما خُصَّ التشبيه بحال التبسم والسرور ، وشبه ذلك بالبرق دون ما هو أضوأ منه ؛ كالشمس والبدر !! إشارة إلىٰ أنه لا يدوم ضحكه وانفتاح فمه ، لأنَّ كثرة الضحك غيرُ محمودة ، ولم يكن ذلك من دأبِهِ ﷺ ، ولأنَّ تبسُّمَه لمخاطبه يعقبه نفع ، وخيرٌ من عطائه وكلامه ورضاه ، كما يعقب البرقَ المطرُ والرحمة العامَّة . وهذا رواه البيهقي مسنداً ؛ من حديث عائشة رضي الله تعالىٰ عنها .

(وَ) يفترُّ (عَنْ مِثْلِ حَبِّ ٱلْغَمَامِ) في بياضه ونقائه وصفائه .

والغمام : هو السحاب ، وحَبُّه : البَرَد ـ بفتحتين ـ الذي يشبه اللؤلؤ ، والمعنىٰ أنَّه يضحك ضحكاً حسناً كاشفاً عن مثل حبِّ الغمام في البياض والصفا والبريق واللمعان .

وورد في حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه المارِّ : أنَّه ﷺ كان إذا ضحك يتلألأُ في الجُدُر ، أي : يشرق عليها إشراقاً كإشراق الشمس .

قال مُلاَّ علي قاري في « شرح الشفاء » : والتشبيهُ الثاني أولىٰ من الأوَّل . انتهىٰ .

وهذا رواه الترمذي في « الشمائل » والدارميُّ ، والبيهقي ؛ من حديث هند بن أبي هالة وعائشة رضي الله تعالىٰ عنهما .

(وَ) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » ، والقاضي عياض في « الشفاء » ؛ من طريق الترمذي ؛ عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(كَانَ) رسولُ الله (ﷺ) متواصلَ الأحزان . وساق الحديث إلىٰ أن قال :

(جُلُّ) ـ بضم الجيم وتشديد اللام ؛ أي : معظم ـ (ضَحِكِهِ) وأكثره (ٱلتَّبَسُّمُ) . وهو : بشاشة الوجه من غير تأثر تامٍّ في هيئة الفم ، وقال : « جُلّ » !! لأنَّه ربما ضحك حتَّىٰ بدت نواجذه . كما سيأتي الكلام علىٰ ذلك ، وهذا لا ينافي ما رواه البخاري في « الأدب » ، وابن ماجه في « سننه » : « لاَ تُكْثِرِ ٱلضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلضَّحِكِ تُمِيتُ ٱلْقَلْبَ » .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حَتَّىٰ أَرَىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ .

(وَ) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » ؛ (عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ) بن جَزْء ـ بجيم مفتوحة فزاي ساكنة فهمزة آخره ـ الزُّبيدي مصغَّراً ، صحابي سكن مصر ، خرّج له أبو داود وابن ماجه ، ومات بعد الثمانين . قيل : سنة ست ، وقيل : خمس ، وقيل : سبع ، وقيل : ثمانٍ بعد أن عمي ، وعُمِّر عُمْراً طويلاً ، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ :

مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ) ، لأنَّ شأنَ الكُمَّل إظهارُ الانبساط والبشر لمن يريدون تألُّفه واستعطافه ، مع تلبُّسهم بالحزن المتواصل باطناً ، فكثرةُ تبسُّمِه ﷺ لا تنافي كونَه متواصلَ الأحزان . فاندفع ما أُورد من أنه إذا كان كثير التبسُّم كيف يكون متواصلَ الأحزان ؟! فهو ﷺ دائم البشر ؛ ومع ذلك هو دائم الحزن الباطن ، حتَّىٰ أنَّه قد تبدو آثارُه علىٰ صفحاتِ وجهه .

(وَ) أخرج البخاري ومسلم في « صحيحيهما » ؛ (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ) تَعَالىٰ (عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً) ضحكاً تامّاً بحيث ينفتح فمُه (حَتَّىٰ أَرَىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ) ـ بفتحات ؛ جمع لهاة ، وتجمع علىٰ لَهَيات ولهىً ؛ مثل حصاة وحصىً وحصيات ؛ كما في « المصباح » ـ وهي : اللحمة التي بأعلىٰ الحنجرة ؛ أي : الحلق من أقصىٰ الفم ، وتمام الحديث : إنما كان يتبسم . والمعنىٰ ما رأيته مستجمعاً من جهة الضحك ؛ أي مطمئناً قاصداً للضحك الذي يغلب وقوعه للناس ، بحيث يضحك ضحكاً تامّاً ؛ مقبلاً بكليته علىٰ الضحك ، إنما كان يتبسَّم ، والتبسم أقلُّ الضحك وأحسنُه .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ أَيْضاً قَالَ : مَا ضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ تَبَسُّماً .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً إِلاَّ تَبَسَّمَ .

وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ ٱلتَّبَسُّمَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ، ٱقْتِدَاءً بِهِ ، وَتَوْقِيراً لَهُ ، وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا عِنْدَهُ . . كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ ٱلطَّيْرُ .

قال في « الكشاف » : وكذلك ضحك الأنبياء لم يكن إلاَّ تبسُّماً . انتهىٰ ، وعليه فهو من خواصِّه علىٰ الأمم ؛ دون الأنبياء ، انتهىٰ « زرقاني » .

(وَ) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » ـ وقال : غريب من حديث الليث بن سعد ـ (**عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَارِثِ**) بن جَزْء (**أَيْضاً**) رضي الله تعالىٰ عنه (**قَالَ : مَا ضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلاَّ تَبَسُّماً**) . هذا الحصر إضافيٌّ ؛ أي : بالنسبة للغالب ، لما تقرَّر أنَّه ﷺ ضَحِكَ أحياناً حتَّى بَدَت نَواجذُه ، إلاَّ أن يُحمل علىٰ المبالغة .

(وَ) أخرج الإمام أحمد في « مسنده » ؛ عن أبي الدرداء رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ لا يُحَدِّثُ حَدِيْثاً**) ـ يناسبه التبسُّم ، وفي روايةٍ : « بحديث » ـ (**إِلاَّ تَبَسَّمَ**) ؛ أي : ضحك قليلاً بلا صوت .

(وَ) في « كشف الغمة » للعارف الشعراني رحمه الله تعالىٰ : (**كَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ ﷺ عِنْدَهُ**) ؛ أي : في حضرته (**ٱلتَّبَسُّمَ**) لا غير . أي : (**مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ** ؛ **اِقْتِدَاءاً بِهِ**) في كيفية ضَحِكِه وهيئته ، (**وَتَوْقِيْراً لَهُ**) ؛ أي : تعظيماً لحرمته . (**وَكَانُوْا إِذَا جَلَسُوْا عِنْدَهُ**) ، رواية الترمذي في « الشمائل » : إذا تكلَّم أطرَق جلساؤه (**كَأَنَّمَا**) بزيادة « ما » الكافّة (**عَلَىٰ رُؤُوْسِهِمُ ٱلطَّيْرُ**) في السكوت والسكون ؛ مهابة له وإجلالاً ، لشهودهم عَلِيَّ شأنِهِ وكمالَ مرتبته ، وتخلُّقهم بأخلاقه ، لا لسوء خُلُق فيه ، حاشاه الله من ذلك .

وفي التشبيه تنبيهٌ علىٰ المبالغة في وصفهم بالسكوت والسكينة وعدم الخِفَّة ،

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَرَىٰ بِهِ ٱلضَّحِكُ . . وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ فِيهِ . كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَضْحَكِ ٱلنَّاسِ ، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْساً .

وَوَرَدَ فِي أَحَادِيث أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ـ أَيْ : أَضْرَاسُهُ ـ وَإِنْ كَانَ . . . .

لأنَّ الطير لا يكادُ يقع إلاَّ علىٰ شيء ساكن من الحركة . و« أل » في « الطير » للجنس ، فالمرادُ جنس الطير مطلقاً ، وقيل : للعهد ، والمعهودُ الباز .

وهذا الحديث ؛ قال في « شرح الإحياء » : رواه الترمذي في « شمائله » من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل . انتهىٰ . وفيه تغييرٌ في اللفظ .

(وَ) أخرج البغوي في « معجمه » ؛ عن والد مُرَّة الثقفي رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(**كَانَ**) رسولُ الله (ﷺ **إِذَا جَرَىٰ بِهِ ٱلضَّحِكُ**) ؛ أي : إذا وجد سببه وقويَ عليه وغلبه ؛ ولم يقدر علىٰ ردِّه (**وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ فِيهِ**) حتَّىٰ لا يبدو شيء من باطن فمه ، ولئلا يقهقه ، وهذا كان نادراً .

وأما في أغلب أحواله !! فكان لا يضحكُ إلاَّ تبسُّماً .

(وَ) أخرج الطبرانيُّ في « الكبير » و« الأوسط » ؛ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ**) رسولُ اللهِ (ﷺ **مِنْ أَضْحَكِ ٱلنَّاسِ** ، **وَ**) من (**أَطْيَبِهِمْ نَفْساً**) ، بل كان أجودَ الناس علىٰ الإطلاق وأحسنَهم خُلُقاً ، ومع ذلك لا يركنُ إلىٰ الدنيا ، ولا يشغله شاغلٌ عن ربِّه ، بل كان استغراقه في حبِّ الله إلىٰ حدٍّ بحيث يخاف في بعض الأحيان أن يسريَ إلىٰ قلبه فيحرقَه ، وإلىٰ قالبه فيهدمَه ؛ فلذلك كان يضرب يده علىٰ فخذ عائشة رضي الله تعالىٰ عنها أحياناً ؛ ويقول : « كَلِّمِيْنِي » ، ليشتغل بكلامها عن عظيم ما هو فيه ، لقصور طاقة قالبه عنه ، وكان طبعُه الأنسَ بالله، وكان أُنسُه بالخَلْق عارضاً رفقاً ببدنه؛ ذكر ذلك كلَّه الغزالي. انتهىٰ «مناوي».

(**وَوَرَدَ فِي أَحَادِيْثَ**) صحيحةٍ (**أَنَّ ٱلنَّبِيَّ** ﷺ **ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ**) ؛ أي : ظهرت (**نَوَاجِذُهُ**) ـ بكسر الجيم وبالذال المعجمة ـ (**أَيْ** : **أَضْرَاسُهُ** ، **وَإِنْ كَانَ**

ٱلْغَالِبُ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتَّبَسُّمَ .

ٱلْغَالِبُ مِنْ أَحْوَالِهِ ﷺ ٱلتَّبَسُّمَ) ؛ كما جاءَ في صفة ضَحِكه « جُلُّ ضحكه التبسم » وقد تقدَّم ، والاقتداءُ به إنَّما يكون فيما هو أغلب أحواله .

قال العلقمي : قال العلامة محمد بن يوسف الدمشقي : قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ : صَحَّتِ الأَخْبَارُ وَتَظَاهَرَتْ بِضَحِكِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ في غَيْرِ مَوْطِنٍ حتَّىٰ تبدوَ نواجذُه . وثبت عنه ﷺ أنَّه كان لا يضحك إلاَّ تبسُّماً .

ويمكن الجمع بينهما بأن يقال : إن التبسُّم كان الأغلبَ عليه ، ويمكن أن يكون الناقل عنه « أَنَّه كان لا يضحك إلاَّ تبسُّماً » ، لم يشاهد من النبي ﷺ غير ما أخبر به ، ويكون مَن روىٰ عنه « أنه ضحك حتىٰ بدت نواجذه » قد شاهد ذلك في وقت ما ؛ فنقل ما شاهده ، فلا اختلاف بينهما لاختلاف المواطن والأوقات ، ويمكن أن يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتَّى تبدوَ نواجذه في الأوقات النادرة ، وكان آخر أمره لا يضحك إلاَّ تبسُّماً ، وقد وردت عنه ﷺ أحاديث تدلُّ علىٰ ذلك ، ويمكن أن يكون مَن روىٰ عنه أنَّه كان لا يضحك إلاَّ تبسُّماً شاهد ضحكه حتَّىٰ بدت نواجذه نادراً ؛ فأخبر عن الأكثر وغلَّبه علىٰ القليل النادر .

علىٰ أن أهل اللغة قد اختلفوا في النواجذ ما هي ؟

فقال جماعة : إنَّ النواجذ أقصىٰ الأضراس من الفم موضعاً ، فعلىٰ هذا تتحقَّق المعارضة ، ويمكن الجمع بين الأحاديث بما قلنا .

ومنهم مَن قال : إنَّ النواجذ هي الأنياب . وقال آخرون : هي الضواحك ، فعلىٰ هذين لا يكون في ظاهر الأخبار معارضة ، لأنَّ المتبسِّم يلزمه ذلك .

قال في « النهاية » : النواجِذُ ـ بكسر الجيم وبالذال المعجمة ـ وهي من الأسنان الضواحكُ ، وهي التي تبدو عند الضحك ؛ والأكثر الأشهر أنَّها أقصىٰ الأسنان ، والمراد الأول ، لأنَّه ما كان يبلغ به الضحك حتَّىٰ تبدوَ أضراسه ، كيف وقد تقدَّم أنَّ جُلَّ ضحكه التبسُّم !؟ وإن أريد بها الأضراس ! فالوجهُ فيه أن يرادَ به مبالغة مثله في

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، . . . .

ضحكه ، من غير أن يُراد ظهورُ نواجذه في الضحك ، وهو أقيسُ القولين لاشتهار النواجذ بأواخر الأسنان . . انتهىٰ ؛ نقله العزيزي علىٰ « الجامع الصغير » .

ثم شرع المصنف في ذكر الأحاديث التي صرَّح فيها بالنواجذ قائلاً :

(فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الرفيقة بن حرام بن غفار بن مليك بن ضَمْرة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الغفاري الحجازي .

من السابقين إلىٰ الإسلام . صحب النبي ﷺ حتَّىٰ مات رسول الله ﷺ .

روي له عن رسول الله ﷺ مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً ، اتفقا منها علىٰ اثني عشر حديثاً ، وانفرد البخاري بحديثين ، وانفرد مسلم بسبعة عشر حديثاً .

روىٰ عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن غنم ، وجبير بن نفير ، وخلق سواهم .

وتوفي بالربذة سنة : اثنتين وثلاثين ، وصلَّىٰ عليه ابن مسعود ، ثم قدم ابن مسعود المدينة فأقام عشرة أيام ؛ ثم توفي .

وكان أبو ذر طويلاً عظيماً ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، وكان مذهبُه أنَّه يحرم علىٰ الإنسان ادخار ما زاد علىٰ حاجته ، وكان قَوَّالاً بالحقِّ رضي الله تعالىٰ عنه .

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي في « جامعه » وفي « الشمائل » بألفاظ مختلفة ، ولفظ الترمذي في « الشمائل » :

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث ؛ قال : حدَّثنا وكيع ؛ قال : حدَّثنا الأعمش ؛ عن المعرور بن سويد ؛ عن أبي ذر (رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : « إِنِّي لَأَعْلَمُ) بالوحي (أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ) ـ في

وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ ٱلنَّارِ ، يُؤْتَىٰ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُقَالُ : ٱعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَيُخْبَأُ عَنْهُ كِبَارُهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا . كَذَا وَكَذَا ، وَهُوَ مُقِرٌّ لاَ يُنكِرُ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا ،

نسخة من « الشمائل » : إني لأعلم آخر رجل يدخل الجنة ـ (وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ ٱلنَّارِ) ـ ولم يذكر أوَّل رجل يدخل النار ، لأنَّ كلامه فيمن يدخل الجنة .

وإنما ذكر آخر رجل يخرج من النار !! لأنه آخر رجل يدخل الجنة ، ولذا اقتصر عليه في أصحِّ النسخ ، وزاد علمه ليزيد وثوقاً فيما أخبر به . فليس قوله (يُؤْتَىٰ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ) تفصيلاً لأول رجل يدخل الجنة كما وُهِم ، بل هو استئناف لبيان حالِ رجل آخر ، فلا تعلُّق له بما قبله ، إذْ أوَّل داخل هو المصطفىٰ ﷺ ؛ ولا ذنب له ، وفي بعض النسخ : « وَيُؤْتَىٰ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » ، بالواو التي للاستئناف .

(فَيُقَالُ) ؛ أي : يقول الله للملائكة : (ٱعْرِضُوْا) ـ بهمزة وصل وكسر راء ؛ أمر من العرض ـ (عَلَيْهِ) ؛ أي : علىٰ الرجل (صِغَارَ ذُنُوبِهِ) ـ بكسر الصاد ؛ أي : صغائر ذنوبه ، أي : أظهروها له في صحيفته ، أو بصورها ، وفيه دليل علىٰ أنَّ الصغيرةَ ذنب ، وأنَّ من الذنوب صغائرَ وكبائر ـ (وَيُخْبَأُ) ـ بصيغة المجهول ؛ من الخبء بالهمز . أي : يُخفىٰ ـ (عَنْهُ) ـ أي : الرجل ـ (كِبَارُهَا) أي : كبَائر ذنوبه للحكمة الآتية ، أي : والحال أنَّه يخبأ عنه كبارها ، فالجملة حالية ، ويحتمل أن تكون معطوفة علىٰ « اعرضوا » ؛ فتكون أمراً في المعنىٰ ، فكأنَّه قيل : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، واخبئوا عنه كبارها ، أي : كبائر ذنوبه .

(فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ) ؛ أي : من القول والفعل (يَوْمَ كَذَا) ؛ أي : الوقت الفلاني من السَّنَة والشهر والأسبوع واليوم والساعة (كَذَا وَكَذَا) ؛ أي : عدداً من الذنوب ، فـ « كذا وكذا » كناية عن العدد المشتمل علىٰ عطف ، (وَهُوَ مُقِرٌّ لاَ يُنْكِرُ) ؛ أي : فيتذكَّر ذلك ويصدِّقُه هنالك ، (وَهُوَ مُشْفِقٌ) ؛ من الإشفاق ؛ وهو الخوف ، والجملةُ حالٌ ؛ أي : والحالُ أنَّه خائف (مِنْ كِبَارِهَا) ؛ أي : من كبار ذنوبه ، أي : من المؤاخذة بها ، فإنَّ مَن يؤاخَذُ بالصغيرة فبالأَولىٰ أن يعاقَبَ بالكبيرة .

فَيُقَالُ : أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً ، فَيَقُولُ : إِنَّ لِي ذُنُوباً لاَ أَرَاهَا هَـٰهُنَا » . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

(فَيُقَالُ) ؛ أي : فيقول الله للملائكة (أَعْطُوْهُ) ـ بقطع الهمزة ـ (مَكَانَ) ؛ أي : بدل (كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً) لتوبته النصوح ، قال الله تعالىٰ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [٧٠/ الفرقان] ، أو لغلبة طاعاته ، أو لإقراره بالذنب والخوف منه ، أو لغير ذلك مما يعلمه الله .

(فَيَقُوْلُ) ؛ أي : طمعاً في الحسنات : (إِنَّ لِي ذُنُوباً لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا ») !! أي : في موضع العرض ، أو في صحيفة الأعمال ، وفي رواية : « مَا أَرَاهَا هَا هُنَا !! » وإنما يقول ذلك مع كونه مشفقاً منها !! ، لأنَّه لما قوبلت صغائرها بالحسنات طمع أن تقابل كبائرُها بها أيضاً ، وزال خوفُه منها ، فسأل عنها لتقابل بالحسنات أيضاً .

(قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ) ؛ أي : فوالله لقد رأيت ، ـ وإنما أقسم !! لئلا يُرتَاب في خبره ، لما اشتُهر من أنَّه ﷺ لا يضحك إلاَّ تبسُّماً ـ (رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ ضَحِكَ) تعجُّباً من الرجل حيث كان مشفقاً من كبار ذنوبه ، ثم صار طالباً لرؤيتها ، وبالغ في الضحك (حَتَّىٰ بَدَتْ) : ظهرت (نَوَاجِذُهُ) ـ بمعجمة ـ : أقصى أضراسه ، أي : أضراسه كلُّها ، وكانت مبالغته في الضحك نادرة ، والمكروه الإكثار منه ؛ كما في رواية البخاري : « لاَ تُكْثِرُوا ٱلضَّحِكَ فَإِنَّهُ يُمِيْتُ ٱلْقَلْبَ » .

والغالب من أحواله ﷺ التبسُّم ، ولذلك جاء في صفة ضحكه « جُلُّ ضحكه التبسم » ، وينبغي الاقتداء به فيما هو أغلبُ أحواله .

(وَ) أخرج البخاريُّ ، ومسلم ، والإمام أحمد ، والترمذي في « جامعه » وفي « الشمائل » ، وابن ماجه في « سننه » ، ولفظ « الشمائل » : حدَّثنا هنَّاد بن السريِّ ؛ قال : حدَّثنا أبو معاوية ؛ عن الأعمش ؛ عن إبراهيم ؛ عن عَبِيدةَ السلماني ؛

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ ٱلنَّارِ خُرُوجاً ، .....

(عَنْ) أبي عبد الرحمن (عَبدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ) بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب بن سمح بن فار ـ بالفاء وتخفيف الراء ـ ابن مخزوم بن صاهلة ـ بالصاد المهملة والهاء ـ ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار الهذلي ، حليف بني زهرة الكوفي .

وأمُّه أمُّ عبد بنت عبد وُدِّ بن سواء ؛ من هذيل أيضاً .

أسلمت وهاجرت فهو صحابيٌّ ابن صحابية .

أسلم عبد الله قديماً حين أسلم سعيد بن زيد ؛ قبل عمر بن الخطاب بزمان ، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد ، وشهد اليرموك ، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنَّة .

روي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستين ، وانفرد البخاري بأحد وعشرين ، وانفرد مسلم بخمسة وثلاثين .

روى عنه ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وأنسٌ وجابر ، وأبو سعيد ، وعمران بن حصين ، وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة وخلائق لا يحصون من كبار التابعين .

نزل الكوفة في آخر أمره ، وتوفي بها سنة : اثنتين وثلاثين ، وقيل : ثلاث وثلاثين ، وقيل : عاد إلى المدينة ، وتوفي وهو ابن بضع وستين سنة ، وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفقهائهم ومقدَّميهم في القرآن والفقه والفتوى وأصحاب الحلق وأصحاب الأتباع في العلم (رَضِي ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ :

قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ : « إِنِّي لأَعْرِفُ) ـ بالوحي كما مر ـ (آخِرَ أَهْلِ ٱلنَّارِ) من عصاة المؤمنين (خُرُوْجاً) ـ منصوب على التمييز ، وفي بعض النسخ المصححة

رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنهَا زَحْفاً ، فيُقَالُ لَهُ : ٱنْطَلِقْ فَٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ .

قَالَ : فيَذْهَبُ لِيَدْخُلَ فيَجِدُ ٱلنَّاسَ قَدْ أَخَذُوا ٱلْمَنَازِلَ ، فيَرْجِعُ فيَقُولُ : رَبِّ ؛ قَدْ أَخَذَ ٱلنَّاسُ ٱلْمَنَازِلَ ، فيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فيَقُولُ : نَعَمْ ، . . . .

« خُرُوجاً مِنَ ٱلنَّار » ـ (**رَجُلٌ**) قيل : اسمه جُهَينة ـ مصغراً ـ ، وقيل : هَنَّاد الجهني (**يَخْرُجُ مِنهَا زَحْفاً**) ـ مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ، أو حال بمعنى زاحفاً ، والزحف : المشي على الأُست مع إشراف الصدر ، وفي رواية « حَبْواً » ؛ وهو : المشي على اليدين والرجلين والركبتين ، ولا تنافيَ بين الروايتين لاحتمال أنَّه يزحف تارة ويحبو أخرى ـ (**فيُقَالُ لَهُ**) ـ أي : من قبَل الله ؛ كما تقدَّم ـ : (**انْطَلِقْ**) أي : اذهب مخلى سبيلك محلولاً أُسارك ، (**فَٱدْخُلِ ٱلجَنَّةَ**) .

قَالَ : (**فيَذْهَبُ**) إليها (**لِيَدْخُلَ**) ـ يعني : لكي يدخلها فيشرع ليدخلها ـ (**فيَجِدُ ٱلنَّاسَ**) ـ أي : أهلها ـ (**قَدْ أَخَذُوا**) ـ أي : كلٌّ منهم ـ (**ٱلمَنَازِلَ**) ؛ أي : منازل الجنة ، أي درجاتها ؛ وهي جمع منزل ؛ وهي موضع النزول ، ويخيَّل له أنَّه لم يبقَ موضع لنزول غيرهم (**فيَرْجِعُ**) عن الشروع في دخولها ،

(**فيَقُوْلُ**) ؛ أي : قبل أن يُسأل عن سبب رجوعه ؛ أو بعده : (**رَبِّ**) ؛ أي : يا رب (**قَدْ أَخَذَ ٱلنَّاسُ**) ؛ أي : كلٌّ منهم (**ٱلمَنَازِلَ**) كأنَّه ظنَّ أنَّ الجنَّة إذا امتلأت بساكنيها لم يكن للقادم فيها منزل ، فيحتاج أن يأخذ منزلاً منهم .

(**فيُقَالُ لَهُ**) ؛ أي : من قِبَل الله ـ كما تقدم ـ : (**أَتَذْكُرُ**) ـ بحذف إحدى التاءين ، ـ أي أتتذكر (**ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِيْ كُنْتَ فِيْهِ ؟**) أي : في الدنيا الضيِّقة بحيث إذا امتلأت بساكنيها لم يكن للقادِر فيها منزلٌ ، فيحتاج إلى أن يأخذ منزلاً من أصحاب المنازل ، فتقيس عليه الزمن الذي أنت فيه الآن في الجنَّة ، وتظنُّ أنَّها ضيِّقةٌ كالدنيا .

(**فيَقُوْلُ : نَعَمْ**) أتذكَّرُ الزمن الذي كنتُ فيه في الدنيا الضيقة .

فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ . قَالَ : فَيَتَمَنَّىٰ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ ٱلَّذِي تَمَنَّيْتَهُ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ ٱلدُّنْيَا . قَالَ : فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي . . . .

(**فَيُقَالُ لَهُ**) ؛ أي : من قِبَل الله ـ كما مرَّ ـ : (**تَمَنَّ**) ؛ أي : اطلب ما تقدِّره في نفسك وتصوّره فيها ، من كلِّ جنس ونوع تشتهي ، من وسع الدار وكثرة الأشجار والثمار ، فإنَّ لك مع امتلائها مساكنَ كثيرة وأماكن كبيرة ، وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار ، كلُّها على طريق خرق العادة بقدرة الملك الغفار ، وكل ما تمنيتَه متيسر في هذه الدار الواسعة ، ولا تقس حال الآخرة بحال الدنيا ، فإن تلك دارٌ ضيِّقة ومِحْنة ، وهذه دار متسعة ومِنْحة .

(**قَالَ**) ؛ أي : النبي ﷺ (**فَيَتَمَنَّىٰ**) ؛ أي : يطلب ما يقدره في نفسه ويصوره فيها ،(**فَيُقَالُ لَهُ**) من قِبَل الله : (**فَإِنَّ لَكَ ٱلَّذِيْ تَمَنَّيْتَهُ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ ٱلدُّنْيَا**) ؛ أي : أمثالها زيادةً على الذي تمنَّيت ، فضعْفُ الشيء مثلُهُ ، وضعفاه مثلاه ، وأضعافه أمثاله ، لكن المضاعفة ليست بالمساحة والمقدار ؛ بل بالقيمة ، فما يعطاه في الآخرة ، يكون مقدار عشرة أضعاف الدنيا ، بحسَب القيمة ؛ لا بالوزن والمقدار ؛ كذا قال الباجوري .

وأصل هذا الكلام للغزالي ؛ كما نقله عنه المناوي في « شرح الشمائِل » ساكتاً عليه ، لكن الباجوري عَقَّبه بقوله : ولا مانعَ من المضاعفة بالمساحة والمقدار . كما وُجد بخط الشبراوي ، فإنَّه رُوي أَنَّ أدنى أهل الجنة منزلةً مَن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأرفعُهم الذي ينظر إلى ربِّه بالغداة والعشي . انتهى .

(**قَالَ**) ـ أي ـ النبي ﷺ : (**فَيَقُوْلُ**) ـ دَهِشاً لما ناله من السرور ، ببلوغ ما لم يخطر بباله من كثرة الحور والقصور ـ : (**أَتَسْخَرُ**) ؛ أي : أتستهزىء (**بِيْ**) ـ بالباء الموحدة ؛ كما في نسخ « الشمائل » المصحَّحة ، ولم يكن ضابطاً لما قاله ، ولا عالماً بما يترتَّب عليه ، بل جرى على عادته في مخاطبة المخلوق ، فهو كمن قال ﷺ في حقِّهِ ـ إنَّه لم يضبط نفسه من الفرح في الدعاء ـ ؛ فقال : أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا

وَأَنْتَ ٱلْمَلِكُ » . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَالَ سَعْدٌ ....

ربُّكَ ، وفي نسخة : أَتَسْخَرُنِي ـ بالنون ـ (وَأَنْتَ) ؛ أي : والحالُ أنَّك أنت (ٱلْمَلِكُ ») !! ـ بكسر اللام ـ وليست السخرية من دأب الملوك ، وأنا أحقرُ من أن يَسخَرَ بي ملك الملوك ، وهذا نهاية الخضوع ، وهو سبب لكمال جود الملك تقدَّس ، ولذلك نال ما نال من الإكرام .

(قَالَ) ـ أي ـ عبد الله بن مسعود : (فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ) ـ أي : فوالله لقد رأيت . . . إلخ ، وإنَّما أقسم لئلا يُرتَاب في خبره ، لما اشتُهر أنَّ المصطفى ﷺ كان لا يضحك إلاَّ تبسُّماً ـ (ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ) ؛ أي : ظهرت (نَوَاجِذُهُ) جمع : ناجذ ، وهو آخر الأسنان على المشهور ، تعجُّباً من دَهَش الرجل ، ومن غَلَبة رحمته تعالى على غضبه .

(وَ) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » بسنده (عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) القُرَشي الزُّهري المدني التابعي ، سمع أباه ، وعثمان بن عفان ، وابن عمر ، وأسامة ، وأبا سعيد ، وأبا هريرة ، وعائشة وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

روى عنه ابنه داود ، وسعيد بن المسيب ، وخلق من التابعين ، واتفقوا على توثيقه . وتوفي بالمدينة المنورة سنة : ثلاث ـ وقيل : سنة أربع ـ ومائة ، وقيل غير ذلك رحمه الله تعالى .

(قَالَ) ؛ أي : عامر : (قَالَ سَعْدُ) بنُ أبي وقَّاص ـ يعني أباه ـ ، وهو أبو إسحاق سعد بن مالك بن وهب ـ ويقال : أُهَيب ـ ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزُّهري المكيّ المدني .

أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وتوفي وهو عنهم راضٍ ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أمر

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : لَقَدْ رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ يَوْمَ ٱلْخَنْدَقِ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

الخلافة إليهم ، وأسلم قديماً بعد أربعة ـ وقيل : بعد ستة ـ وهو ابن سبع عشرة سنةً ، وهو أول مَن رمى بسهم في سبيل الله تعالى ، وأوّل من أراق دماً في سبيل الله تعالى .

وهو من المهاجرين الأوّلين ، هاجر إلى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها . شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان يقال له « فارس الإسلام » ، وأبلى يوم أحد بلاءً شديداً .

وكان مجابَ الدعوة ، وحديثُه في دعائه على الرجل الكاذب عليه من أهل الكوفة وهو أبو سعدة ، وأجيبت دعوته فيه في ثلاثة أشياء(١) مشهورٌ في « الصحيحين » .

رُوي له عن رسول الله ﷺ مائتان وسبعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة عشر ، وانفرد البخاري بخمسة ، وانفرد مسلم بثمانية عشر .

روَىٰ عنه ابن عمر ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، والسائب بن يزيد ، وعائشة رضي الله عنهم .

واعتزل الفتنة فلم يقاتل في شيء من الحروب التي وقعت بين الصحابة .

وتوفي سنة : ـ ٥٥ ـ خمس وخمسين ، وقيل غير ذلك (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** : **لَقَدْ رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ يَوْمَ ٱلْخَنْدَقِ**) ـ كجعفر : حفير حولَ أسوار المدينة ، معرَّب كندة ؛ على ما في « القاموس » ، لأنَّ الخاء والدال والقاف لا تجتمع في كلمة عربية ـ (**حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ** .

---

(١) وهي : أنه كان لا يسير بالسرية ، لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، قال سعد : أما والله لأدعونَّ بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً ، قام رياء وسمعة ؛ فأطل عمره وأطل فقره وعرِّضه بالفتن . وكان بعد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن .

قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ كَانَ ضَحِكُهُ ؟

قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَعَهُ تُرْسٌ ، وَكَانَ سَعْدٌ رَامِياً ، وَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا بِالتُّرْسِ يُغَطِّي جَبْهَتَهُ ، . . . .

قَالَ) ؛ أي : عامر (قُلْتُ) لسعد : (كَيْفَ كَانَ) ؛ أي : على أي حال كان (ضَحِكُهُ ؟ قال) ـ أي ـ سعد : (كَانَ رَجُلٌ) من الكُفّار (مَعَهُ تُرْسٌ) ، الجملة خبر « كان » ، والترس : ما يستتر به في حال الحرب ، وفي رواية : « قوس » بدل : ترس . (وَكَانَ سَعْدٌ رَامِياً) ؛ أي : يحسن الرمي ، ثم إن كان هذا من كلام سعد ؛ كما هو الظاهر ، كان فيه التفاتٌ ، إذ كان الظاهر أن يقول : وكنتُ رامياً ، وإن كان من كلام عامر !! فلا التفات ، غير أنَّه عبَّر عنه باسمه ؛ ولم يقل أبي ؛ ومثله كثير في أسانيد الصحابة رضي الله عنهم .

(وَكَانَ) ـ هذا من كلام سعد بكل تقدير ـ (ٱلرَّجُلُ يَقُوْلُ كَذَا وَكَذَا بِٱلتُّرْسِ) ؛ أي : يفعل كذا وكذا بالترس ، أي : يشيرُ به يميناً وشمالاً ، فالمراد بالقول هنا الفعلُ ، قال صاحب « النهاية » : والعربُ تجعل القول عبارةً عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام ، تقول : قال بيده ؛ أي : أخذ ، و : قال برجله ؛ أي مشى ، و : قالت به العينان سمعاً وطاعة ؛ أي : أومأت به ، و : قال بالماء على يده ؛ أي : صبَّه ، و : قال بثوبه ؛ أي : رفعه ، و : قال بالترس ؛ أي : أشار به وقلَبَه ، وقس على هذه الأفعال . . . وعلى هذا فالجارُّ والمجرور ـ أعني قولَه « بالترس » ـ متعلِّقٌ بـ « يقول » بمعنى يفعل .

وقولُه (يُغَطِّي جَبْهَتَهُ) مستأنفٌ مبيِّن للإشارة في قوله « كذا وكذا » ؛ أي : يغطي جبهته حَذَراً من السهم ، ويحتمل أن القول باقٍ على حقيقته ، والمعنى يقول : كذا وكذا من القول القبيح في حقِّ النبي ﷺ وأصحابه ، ولم يصرِّح سعدٌ بما بعده وهو قوله : يغطِّي جبهَتَه ؛ أي : حذراً من السهم ـ كما مر ـ وهي جملة حاليَّة من فاعل « يقول » ، والأول هو الأظهر .

فَنَزَعَ لَهُ سَعْدٌ بِسَهْمٍ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ . . رَمَاهُ فَلَمْ يُخْطِىءْ هَـٰذِهِ مِنْهُ ـ يَعْنِي : جَبْهَتَهُ ـ وَٱنْقَلَبَ ٱلرَّجُلُ وَشَالَ بِرِجْلِهِ ، فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ . قَالَ : قُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكَ؟

(**فَنَزَعَ لَهُ سَعْدٌ بِسَهْمٍ**) ؛ أي : نزع لأجله سهماً من كنانته ووضعه في الوَتَر ، فالباء زائدة ، لأن « نزع » يتعدَّى بدونها .

(**فَلَمَّا رَفَعَ**) الرجل (**رَأْسَهُ**) من تحت الترس فظهرت جبهتُه (**رَمَاهُ**) سعدٌ بالسهم الذي نزعه له (**فَلَمْ يُخْطِىءْ**) ـ بضم الياء وسكون الخاء وبالهمز ـ وفي نسخة : فلم يَخطُ ـ بفتح الياء وضم الطاء ـ غير مهموز ، من الخطوة ، أي : فلم يخط (**هَذِهِ مِنْهُ**) ؛ أي : الجبهة من الرَّجُل ، ولم يتعدَّها ؛ ولم يتجاوزها (**يَعْنِي : جَبْهَتَهُ**) من كلام عامر ؛ أي : يقصد سعد باسم الإشارة جبهة الرجل ، والجبهة : ما بين الحاجبين إلى الناصية ؛ وهي موضع السجود .

(**وَٱنْقَلَبَ ٱلرَّجُلُ**) ؛ أي : صار أعلاه أسفله ، وسقط على أسته (**وَشَالَ بِرِجْلِهِ**) ؛ أي : رفعها ، والباء للتعدية ، أو زائدة .

قال في « المصباح » : شال شولاً من باب « قال قَوْلاً » : رفع ، يتعدَّى بالحرف على الأفصح ، ويقال « شالت الناقة بذنبها عند اللِّقاح » : رفعته ، وأشالته بالألف لغة ، وفي نسخة من « الشمائل » : فشال ، وفي أخرى منها : وأشال ، وفي أخرى أيضاً : وأشاد ، والكلُّ بمعنى واحد .

(**فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**) فرحاً وسروراً برمي سعد للرجل وإصابته له ، وما يترتَّب على ذلك من إخماد نار الكفر ، وإذلال أهل الضلال ؛ لا من رفعه لرجله وكشف عورته .

(**قَالَ : قُلْتُ**) وفي نسخة صحيحة : « فقلتُ » ، والقائل هو عامر كما هو ظاهر ، وقيل : هو محمد الراوي ؛ عن عامر : (**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكَ**) ؟ أي : من أجل أيِّ سبب ضحك النبي ﷺ : هل مِن رميِ سعد للرجل وإصابته ؟ أو من رفعه

قَالَ : مِنْ فِعْلِهِ بِٱلرَّجُلِ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ : شَهِدْتُ عَلِيّاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي ٱلرِّكَابِ . . قَالَ : بِٱسْمِ ٱللهِ .

لرجله وافتضاحه بكشف عورته ؟ فلأجل هذا الاحتمال استفسر الراوي ـ وهو عامر ـ سعداً عن سبب ضحكه ﷺ .

(قَالَ) ؛ أي سعد ، أو عامر : (مِنْ فِعْلِهِ بِٱلرَّجُلِ) ؛ أي : ضحك من أجل رميه الرجل وإصابته ؛ لا من رفعه لرجله وافتضاحه بكشف عورته ، لأنَّه لا يليق بالنبي ﷺ ، ولا ينبغي أن يضحك لهذا ؛ بل لذاك .

(وَ) أخرج أبو داود في « سننه » ، والترمذي في « الجامع » و« الشمائل » واللفظ له : (عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيْعَةَ) بن نَضْلة الوالبيّ البجلي ، أبو المغيرة الكوفي ، يروي عن علي بن أبي طالب وسلمان ، وعنه الحكم وأبو إسحاق ، وثَّقَه ابن معين والنسائي ، له في البخاريِّ ومسلم فرد حديث ، وخرج له الستة .

(قَالَ : شَهِدْتُ عَلِيّاً) ؛ أي : ابن أبي طالب ـ تقدَّمت ترجمته ـ (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) ؛ أي : شاهدته وحضرته (أُتِيَ) ـ بالبناء للمفعول ـ ، والجملة حالٌ ؛ أي : والحال أنَّه أتاه بعضُ خدمه (بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا) ، والدابَّةُ في العرف الطارئ : فرس ، أو بغل ، أو حمار ، وأصلُها : كلُّ ما دبَّ على الأرض من الحيوان ؛ ذكراً كان ، أو أنثى ، ثم خُصَّ بما ذكر .

(فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي ٱلرِّكَابِ) ـ بكسر الراء ـ (قَالَ : بِٱسْمِ ٱللهِ) ؛ أي : أركبُ ، فالجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف .

وأتى بذلك !! اقتداءً بالنبي ﷺ ، كما يدلُّ عليه قولُه الآتي : رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعتُ ، وكأنَّه ﷺ أخذه من قوله تعالى ـ حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام لما ركب السفينة ـ ﴿ بِسْمِ ٱللهِ ﴾ [٤١/ هود] ، لأن الدابة في البرِّ كالسفينة في البحر ؛ كما أفاده العصام ، غير أنَّه لم يفصح عن ذلك حيث قال : كأنَّه

فَلَمَّا ٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا . . قَالَ : اَلْحَمْدُ للهِ ، ثُمَّ قَالَ :

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف : ١٣ـ١٤] .

ثُمَّ قَالَ : اَلْحَمْدُ للهِ (ثَلاَثاً) ، وَٱللهُ أَكْبَرُ (ثَلاَثاً) ، . . . .

مأخوذٌ من قول نوح لما ركب السفينة . . . الخ .

واعترض عليه بعضُ الشُرّاح بأن علياً نقل ذلك عن النبي ﷺ وتأسَّىٰ به ، فكيف يقال « إنَّه مأخوذٌ من قول نوح » !! وهو مبنيٌّ على ما فهمه المعترِضُ ؛ من أن مراد العصام أن علياً هو الآخذ لذلك من قول نوح ، وليس كذلك ، بل النبي ﷺ هو الآخذ له كما علمتَ .

(فَلَمَّا ٱسْتَوَىٰ) ؛ أي : استقرَّ (عَلَىٰ ظَهْرِهَا ؛ قَالَ : اَلْحَمْدُ للهِ) ـ أي : شكراً لله علىٰ هذه النعمة العظيمة ، وهي تذليلُ هذه الدابة ، وإطاقته لنا علىٰ ركوبها مع الحفظ عن شرِّها .

(ثُمَّ قَالَ ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ) أي : ذلل (لَنَا) أي : لأجلنا ، أي تنزيهاً له عن الاستواء علىٰ مكان كالاستواء علىٰ الدابة ؛ أو تنزيهاً له عن الشريك ، أو عن العجز عن تسخير هذه الدابّة وتذليلها لنا ، وقوله (هَـٰذَا) ـ أي : المركوب (وَمَا كُنَّا لَهُۥ) ـ أي : لتسخيره ـ (مُقْرِنِينَ) ـ أي : مطيقين لولا تسخيرهُ لنا ـ (وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾) [الزخرف] . أي : وإنَّا إلىٰ حُكمه وجزائه لراجعون في الدار الآخرة .

وإنما قال ذلك !! لأن ركوب الدابّة قد يكون سبباً للتلف ، فقد ينقلب عنها فيهلك ، فتذكر الانقلاب إلىٰ ربِّ الأرباب ، فينبغي لمن اتصل به سبب من أسباب الموت أن يكون حاملاً له علىٰ التوبة والإقبال علىٰ الله تعالىٰ في ركوبه ومسيره ، فقد يحمل من فوره علىٰ سريره .

(ثُمَّ قَالَ : اَلْحَمْدُ للهِ ثَلاثاً) ؛ أي ثلاث مرات ، كَرَّره لعظمة تلك النعمة ، التي ليست مقدورة لغيره تعالىٰ ، (وَٱللهُ أَكْبَرُ ثَلاَثاً) ؛ تعجباً للتسخير ، أو دفعاً لكبر

سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ؛ فَإِنَّهُ لاَيَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ .
ثُمَّ ضَحِكَ . فَقُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ ثُمَّ ضَحِكَ . فَقُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ؟

قَالَ : « إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ : رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ أَحَدٌ غَيْرُهُ » .

النفس من استيلائها علىٰ المركوب . (**سُبْحَانَكَ** ؛) ـ أي : تنزيهاً لك عن الحاجة إلىٰ ما يحتاج إليه عبادك ، وإنما أعاد التسبيح !! توطئةً لما بعده ، ليكون مع اعترافه بالظُّلم أنجحَ لإجابة سؤاله ـ (**إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِيْ**) بعدم القيام بشكر هذه النعمة العظمىٰ وغيرها من النعم (**فَٱغْفِرْ لِيْ**) أي : استُر ذنوبي ؛ فلا تؤاخذني بالعقاب عليها ، (**فَإِنَّهُ**) ؛ أي لأنَّه (**لاَيَغْفِرُ ٱلذُّنُوْبَ**) أحد (**إِلاَّ أَنْتَ**) ، ففيه إشعار للاعتراف بتقصيره ، مع إنعام الله عليه .

(**ثُمَّ ضَحِكَ**) ؛ أي : علي . (**فَقُلْتُ**) ـ أي : له ؛ كما في نسخة من « الشمائل » ، وفي أخرىٰ : فقال ؛ أي عليُّ بن ربيعة ، وفيه التفات : (**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ**) ؟! وفي نسخة من « الشمائل » : من أيِّ شيء تضحكُ (**يَا أَمِيْرَ ٱلْمُؤْمِنِيْنَ**) هذا يدلُّ علىٰ أنَّ هذه القضية كانت في أيام خلافته .

(**قَالَ**) ؛ أي عليٌّ مجيباً له : (**رَأَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ**) قولاً وفعلاً ، (**ثُمَّ ضَحِكَ**) كما ضحكتُ .

(**فَقُلْتُ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُوْلَ ٱللهِ ؟. قَالَ : « إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ**) ـ أي : ليرضىٰ ، فالمراد بالعجب في حقِّه تعالىٰ لازمُه ؛ وهو الرضا ، لاستحالة حقيقته عليه تعالىٰ ، ولهذا الرضى المقتضي لفرح النبي ﷺ ومزيد النعمة عليه ضَحِك ، ولمّا تذكّر عليٌّ كرم الله وجهه ذلك أوجب مزيدَ شكره وبِشْره فضحك .

وقوله (**مِنْ عَبْدِهِ**) ـ الإضافة للتشريف ـ (**إِذَا قَالَ : رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوْبِي ، يَعْلَمُ**) ـ حال : أي قال ذلك حال كونه يعلم ـ (**أَنَّهُ**) ـ أي : الشأن ـ (**لا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ أَحَدٌ غَيْرُهُ** ») !! كذا في بعض نسخ « الشمائل » ، وهو ظاهر ، لأنه من

وَأَمَّا بُكَاءُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ ، لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ ، وَلَـٰكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ تَهْمُلَانِ ، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ ، يَبْكِي : رَحْمَةً لِمَيِّتٍ ، وَ : خَوْفاً عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً ، وَ : مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ،

كلام رسول الله ﷺ ، وفي بعض نسخ « الشمائل » : غَيْرِي . وتوجيهه أن يجعل « يعلم » مقولاً لقول محذوف ؛ أي : قائلاً يعلم ، ويجعل ذلك حالاً من فاعل « يَعْجَبُ » ، والمعنىٰ أنه تعالىٰ يعجب من عبده إذا قال « ربِّ اغفر لي » حالة كونه تعالىٰ قائلاً يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري ؛ كما يؤخذ من المناوي . انتهىٰ « باجوري » .

(**وَأَمَّا بُكَاءُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ ، لَمْ يَكُنْ بِشَهِيْقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ ، وَلٰكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ تَهْمُلَانِ**) ـ بضم الميم ـ: يسيل دمعهما ، وإثباتُ النون مع « حتىٰ » قليلٌ ، نحو :

أَنْ تَقْرَآنِ عَلَىٰ أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا ... مِنِّي ٱلسَّلَامَ وَأَن لاَّ تُشعِرا أَحَدا

أو علىٰ حذف المبتدأ ، أي : أنَّهما تهمُلان ، أو هما تهملان ، فـ« حتَّىٰ » ابتدائية . نحو :

.... حَتَّىٰ مَاءُ دَجْلَةَ أَشْكَلُ

(**وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيْزٌ**) ـ بزايين منقوطتين ـ : أي صوت ، وأصل الأزيز : غليان القدر .

(**يَبْكِيْ رَحْمَةً لِمَيِّتٍ**) استئنافٌ بيانيٌّ ، وهو الواقع في جواب سؤال مقدَّر نشأ مما قبله ، كأن قائلاً قال له : لِمَ كان يبكي ؟ فقال : يبكي رحمة لميت .

(**وَخَوْفاً عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً**) عليهم ، (**وَمِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ**) ؛ وهي خوف مقرون بتعظيم ناشىءٍ عن معرفة كاملة ، وهي للعلماء بالله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٢٨/ فاطر] ؛ أي : لا الجهال ، وقال ﷺ : « أَنَا أَتْقَاكُمْ للهِ وَأَشَدُّكُمْ للهِ خَشْيَةً » . فالخشية أخصُّ من الخوف ، وخشيةُ الله تعالىٰ هي خوفُ عقابه ، مع تعظيمه بأنه غير ظالم في فعله ، بخلاف مطلق الخوف ، فإنه يتحقَّق عند تهديد الظالم له .

وَ : عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقُرْآنِ ، وَ : أَحْيَاناً فِي صَلاَةِ ٱللَّيْلِ .

فَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلشِّخِّيرِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي ، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ ٱلْمِرْجَلِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ .

(وَعِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقُرْآنِ ، وَأَحْيَاناً فِي صَلاَةِ ٱللَّيْلِ) ؛ قاله في « الهدي النبوي » ، نقله عنه في « المواهب » .

أما بكاؤه في صلاة الليل ، ففيما رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي في « الشمائل » وهذا لفظها ، ورواه ابن خزيمة وابن حبَّان في « صحيحيهما » ؛

(فَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بنِ ٱلشِّخِّيرِ) ـ بمعجمتين مشددتين مكسورتين فمثناة تحتية فراء ـ ابن عوف بن كعب بن وقدان بن الجريش « وهو معاوية » بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكعبي الجرشي البصري ، نزيل البصرة .

صحابيٌّ من مسلمة الفتح ، خَرَّج له الجماعة إلا البخاريَّ ، وأدرك الجاهلية والإسلام ، وروىٰ له مسلم في « صحيحه » حديثين ، روىٰ عنه ابناه زيد ومطرِّف (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّيْ) ؛ أي : والحال أنَّه يصلي . فالجملة حاليَّة ، وكذا جملة قوله (وَلِجَوْفِهِ) : صدره (أَزِيْزٌ) ـ بزايين منقوطتين بينهما تحتية علىٰ وزن فَعِيل ـ أي : غَلَيان . وقيل : صوت (كَأَزِيْزِ ٱلمِرْجَلِ) ـ بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم وآخره لام ـ هو : القِدْر من النحاس ، وقيل : كلُّ قدر يطبخ فيه ، سُمِّي بذلك !! لأنَّه إذا نصب فكأنَّه أُقيم علىٰ رجلين .

ويؤخذُ من ذلك أنَّه إذا لم يكن الصوتُ مشتملاً علىٰ حرفين ؛ أو حرف مفهم لم يضرَّ في الصلاة .

وفي روايةِ ابن خزيمة وابن حبَّان بلفظ « كأَنِيْنِ ٱلرَّحَىٰ » (مِنَ ٱلْبُكَاءِ) ؛ أي : من أجله بسبب عظيم الخوف والإجلال لله سبحانه وتعالىٰ ، وذلك مما ورثه من أبيه إبراهيم ، فإنه كان يسمع من صدره صوت كغليان القدر علىٰ النار من مسيرة ميل .

وفيه دلالةٌ علىٰ كمال خوفه وخضوعه لربِّه ، قال : « إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِٱللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » وقال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » رواهما البخاريُّ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِقْرَأْ عَلَيَّ » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَقْرَأُ عَلَيكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلْ ؟! قَالَ : « إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » . فَقَرَأْتُ سُورَةَ ٱلنِّسَاءِ . . . .

ومن هذا الحديث الذي في المتن ونحوِه استنَّ أهل الطريق الخوفَ والوجل والتواجد في أحوالهم ، وهذا الحال إنَّما كان يعرض له ﷺ عند تجلِّي الله عليه بصفات الجلال والجمال معاً ، فيمتزج الجلال مع الجمال ، وإلاَّ ! فالجلالُ غير الممزوج لا يطيقُه أحدٌ من الخلائق ، وإذا تجلَّىٰ الله عليه بصفات الجمال المحضِ تلألأ سروراً ونوراً وملاطفة وإيناساً وبسطاً .

(وَ) أما بكاؤه عند سماع القرآن ! ففيما أخرجه البخاريُّ ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي في « الجامع » و« الشمائل » واللفظ لها ؛

(عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بنِ مَسْعُوْدٍ) الصحابيِّ الجليل صاحب النعلين والوِساد ـ وقد مرَّت ترجمته ـ (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ لِيْ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ) ؛ وهو علىٰ المنبر ـ كما في « الصحيحين » ـ: (« اِقْرَأْ عَلَيَّ ») بتشديد الياء . (فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ ٱللهِ ؛ أَقْرَأُ عَلَيْكَ) ؛ أي : أأقرأ عليك ؟ فهو استفهامٌ محذوفُ الهمزة . (وَ) الحال أنَّه (عَلَيْكَ) ؛ لا علىٰ غيرك (أُنْزِلْ) !!

فهم ابن مسعود أنَّه أمره بالقراءة ليتلذَّذ بقراءته ؛ لا ليختبر ضبطه وإتقانه ، فلذا سأل متعجباً ، وإلاَّ ! فلا مقام للتعجب .

(قَالَ : « إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِيْ) ، وإنما أَحَبَّ ذلك !! لكون السامع خالصاً لتعقُّل المعاني ، بخلاف القارىء ، فإنَّه مشغول بضبط الألفاظ وإعطاء الحروف حقَّها ، ولأنَّه اعتادَ سماعه من جبريل ، والعادة محبوبةٌ بالطبع .

ومن فوائد هذا الحديث التنبيهُ علىٰ أن الفاضل لا ينبغي أن يأنف من الأخذ عن المفضول ، فقد كان كثيرٌ من السلف يستفيدون من طلبتهم .

(فَقَرَأْتُ سُوْرَةَ ٱلنِّسَاءِ) ؛ أي : شرعتُ في قراءتها ، وفي ذلك ردٌّ علىٰ مَن

حَتَّىٰ بَلَغْتُ : ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] . قَالَ : فَرَأَيْتُ عَيْنَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَهْمِلَانِ .

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱبنَةً لَهُ صَغِيرَةً . . . .

قال : « لا يقال سورة النساء » مثلاً ، وإنما يقال « سورة تذكر فيها النساء » .

(حَتَّىٰ بَلَغْتُ) ؛ أي : وصلت إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ (وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾) [النساء] .

وفي « الصحيحين » زيادة أنه قال له : « حَسْبُكَ ٱلآنَ » ، ومعنىٰ الآية ـ والله أعلم ـ : فكيف حالُ من تقدَّم ذكرُهم ، إذا جئنا من كلِّ أمة بشهيد يشهدُ عليها بعملها ؛ فيشهدُ بقبيح عملها وفسادِ عقائدها وهو نبيُّها ، وجئنا بك يا محمد علىٰ هؤلاء الأنبياء شهيداً ، أي : مزكِّياً لهم ومثبتاً لشهادتهم ، وقيل : الذين يشهدونَ للأنبياء هذه الأمة والنبي ﷺ يزكِّيها .

(قَالَ) ؛ أي : ابن مسعود : فالتفتُّ إليه (فَرَأَيْتُ عَيْنَيْ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ تَهْمُلَانِ) ـ بفتح التاء وسكون الهاء وضم الميم أو كسرها ـ أي : تسيل دموعهما لفَرْط رأفته ومزيد شفقته ؛ لأنه ﷺ استحضر أهوال القيامة وشدَّة الحال التي يحقُّ لها البكاء .

وفيه ندبُ الاستماع للقراءة ، والإصغاء إليها والبكاء عندها ، والتدبُّر والتواضع لأهل العلم ورفع منزلتهم ، وجواز استماع القرآن من محلٍّ عال والقارىءُ أسفل منه ، وجواز طلَبها ممَّن هو دونه رتبةً وعلماً ، وحِلُّ أمرِ الغير بقطع قراءته للمصلحة . والله أعلم .

(وَ) أما بكاؤه رحمةً لميت !! ففيما أخرجه النسائي ، والترمذي في « الشمائل » ـ واللفظ له ـ : (عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ) الهاشمي ـ تقدَّمت ترجمته ـ (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ؛ قَالَ :

أَخَذَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ ٱبْنَةً لَهُ) ـ زاد النسائي في روايته ـ (صَغِيْرَةً) ؛ وهي بنت بنته زينب من أبي العاصي بن الربيع ، فنسبتها إليه مجازية ، وليس المراد بنتَه لصلبه ، لأنَّه ﷺ كان له أربع بنات ، وكلُّهنَّ كَبِرن وتزوَّجن ، وإن كان ثلاث منهن

تَقْضِي ، فَٱحْتَضَنَهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ، فَقَالَ : ـ يَعْنِي : ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « أَتَبْكِينَ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ ؟! » . أَيْ : بُكَاءً مَحْظُوراً مُقْتَرِناً بِٱلصِّيَاحِ دَالاًّ عَلَىٰ ٱلْجَزَعِ ....

متْنَ في حياته ، لكن لا يصلح وصف واحدة منهن بالصغر ، وقد وصفها في رواية النسائي بالصغر ، فتعيَّنَ أن يكون المرادُ إحدىٰ بناتِ بناته ؛ وهي أُمَامَة بنتُ بنتِه زينبَ المتقدِّمة .

(تَقْضِيْ) ـ بفتح التاء وكسر الضاد ـ؛ أي : تُشْرِف علىٰ الموت ، وإن كان أصلُ القضاء الموتَ ؛ لا الإشراف عليه ، ومع ذلك لم تمت حينئذ ، بل عاشت بعده ﷺ حتَّى تزوَّجها عليُّ بن أبي طالب . ومات عنها ، كما اتفق عليه أهلُ العلم بالأخبار .

(فَٱحْتَضَنَهَا) ؛ أي : حملها في حِضنه ـ بكسر الحاء ـ وهو : ما دون الإبط ؛ أي : الكشح .

(فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ) ؛ أي : بين جهتيه المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه ، فسُمِّيت الجهتانِ « يدين » لكونهما مسامتتين لليدين ، كما يسمَّىٰ الشيء باسم مجاوره .

(فَمَاتَتْ) ؛ أي : أشرفت علىٰ الموت ـ كما علمت ـ (وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ) الجملة حالية ؛ أي : والحال أنها بين يديه ، (وَصَاحَتْ) ؛ أي : صرخت (أُمُّ أَيْمَنَ) ـ بفتح الهمزة والميم ـ واسمها بركة ـ بفتح الباء الموحدة والراء ـ وكنِّيت بابنها أيمن رضي الله عنه ، وهي حاضنته ﷺ ومولاتُه ، ورثها من أبيه وأعتقها حينَ تزوَّج بخديجة ، وزوَّجها لزيد مولاه ، وأتت له بأسامة ، وماتت بعد وفاة عمر بعشرين يوماً .

(فَقَالَ ـ يَعْنِي ٱلنَّبِيَّ ﷺ ـ) وهذا تفسير من التابعي ، والضمير في « يعني » راجع إلىٰ ابن عباس : (« أَتَبْكِيْنَ) ـ بهمزة الاستفهام الإنكاري ـ (عِنْدَ رَسُوْلِ ٱللهِ ؟! ») ﷺ !! (أَيْ) أتبكين (بُكَاءً مَحْظُوْراً مُقْتَرِناً بِٱلصِّيَاحِ ؛ دَالاًّ عَلَىٰ ٱلجَزَعِ) وعدم الرضا بالقضاء ، والقصد من ذلك الإنكارُ والزجر ، وإنما قال : عند رسول الله . ولم يقل عندي !! لأنَّ ذلك أبلغُ في الزجر وأمنعُ عن الخروج عما جوَّزته

فَقَالَتْ : أَلَسْتُ أَرَاكَ تَبْكِي ؟ قَالَ : « إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي ، إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ ، إِنَّ ٱلْمُؤمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، إِنَّ نَفْسَهُ تُنْزَعُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ؛ وَهُوَ يَحْمَدُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ » .

الشريعة . والصياحُ ؛ وهو : رفع الصوت بالبكاء حرامٌ ، لكنَّها لما رأت دمع عينيه ظنت حِلَّه ؛ (**فَقَالَتْ : أَلَسْتُ أَرَاكَ تَبْكِي**) ؟ فأنا تابعتُك واقتديت بك ، وظنِّي جوازُ البكاء ؛ وإن اقترن بنحو صياح !!

(**قَالَ** : « **إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي**) بُكاءً علىٰ سبيل الجزع وعدم الصبر كبكائك ، ولا يصدر عني ما نهىٰ الله عنه من الويل والثبور والصياح وغير ذلك ، بل بكائي دمعُ العين فقط (**إِنَّمَا هِيَ**) ؛ أي : الدمعة التي رأيتِها (**رَحْمَةٌ** ») ؛ أي أثر رحمة جعلها الله تعالىٰ في قلبي .

ولا ينافي هذا قولُ عائشة رضي الله تعالىٰ عنها (ما بكىٰ رسول الله ﷺ علىٰ ميت قطُّ وإنَّما غايةُ حزنه أن يمسك لحيته) لأنَّ مرادها ما بكىٰ علىٰ ميت أسفاً عليه بل رحمة له .

ويؤيِّده ما ورد : « إِنَّ ٱلعَيْنَ تَدْمَعُ وَٱلقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِي ٱلرَّبَّ ، وَإِنَّا عَلَىٰ فِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيْمُ لَمَحْزُونُونَ » ؛ قاله ملا علي قاري في « جمع الوسائل » رحمه الله .

ثُمَّ إِنَّه ﷺ بيَّن وجه كونِها رحمةً ؛ فقال : (**إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ**) ـ الكامل ملتبس ـ (**بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**) ـ من نعمة أو بلية ، لأنه يحمدُ ربَّه علىٰ كلٍّ منهما ، أما النعمة ! فظاهر ، وأما البلية ! فلأنه يرىٰ أنَّ المِحنة عينُ المنحة لما يترتَّب عليها من الثواب ، كما قال : ـ (**إِنَّ نَفْسَهُ**) ـ أي : روحَه ـ (**تُنْزَعُ**) ـ بصيغة المفعول ؛ أي : تقبض ـ (**مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ؛ وَهُوَ**) ـ أي والحال أنه ـ (**يَحْمَدُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ**) ، فلا تشغله تلك الحالة من الحمد .

قال في « جمع الوسائل » : والمعنىٰ ينبغي أن يكون المؤمنُ الكامل ملابساً بكلِّ خير علىٰ كلِّ حال من أحواله ، حتَّى أنه في نزع روحه يحمد الله تعالىٰ ، ويراه من الله سبحانه رحمةً له وكرامة ، وخيراً له من حياته ، فإن الموت تحفةُ المؤمن وهدية الموقِن . انتهىٰ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : شَهِدْنَا ٱبْنَةً لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ ٱللهِ جَالِسٌ عَلَىٰ ٱلْقَبْرِ ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا : . . . .

(وَ) فيما أخرجه البخاريُّ في « صحيحه » ، والترمذي في « الشمائل » واللفظ له : (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) خادم رسول الله ﷺ عشرَ سنين ـ تقدَّمت ترجمته ـ (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ :

شَهِدْنَا) ـ أي : حضرنا ـ (ٱبْنَةً لِرَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ) هي : أمُّ كلثوم ، ووَهِم من قال (رقية) ، فإنَّها ماتت ودُفنت ورسولُ ٱللهِ ﷺ في غزوة بدر .

ولما عُزِّي ﷺ برقيّة قال : « ٱلْحَمْدُ للهِ ، دَفْنُ ٱلْبَنَاتِ مِنَ ٱلْمَكْرُمَاتِ » . ثم زوَّج عثمانَ « أمَّ كلثوم » هذه ، وقال : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةَ بِنْتٍ لَزَوَّجْتُكَهُنَّ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ » .

(وَرَسُوْلُ ٱللهِ) ـ أي : والحال أن رسول الله ـ (جَالِسٌ عَلَىٰ ٱلقبْرِ) أي : علىٰ طرفه (فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ) ـ بفتح الميم ـ أي : تسيل دموعهما ، وتمام الحديث ؛ فقال : « أَفِيكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ ٱللَّيْلَةَ » ؟! قال أبو طلحة : أنا ، قال : « ٱنْزِلْ » فنزل في قبرها . انتهىٰ . . . الحديث .

ومعنىٰ « لَمْ يُقَارِفْ » ؛ أي : لم يجامع تلك الليلة ، فالمقارفة كنايةٌ عن الجماع ، وأصلها الدنوُّ واللُّصوق ، وفي رواية : « لاَ يَدْخُلِ ٱلقَبْرَ أَحَدٌ قَارَفَ ٱلْبَارِحَةَ » ، فتنحَّىٰ عثمانُ لكونه كان باشر تلك الليلة أمةً له ، فمنعه رسول الله ﷺ مِن نزول قبرها ؛ معاتبةً له لاشتغاله عن زوجته المحتَضَرة ، وأيضاً فحديث العهد بالجماع قد يتذكَّر ذلك فيَذْهَل عما يطلب من أحكام الإلحاد وإحسانه .

(وَ) فيما أخرجه أبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي في « الجامع » وفي « الشمائل » باختلاف في الألفاظ ـ وهذا لفظ « الشمائل » ـ: (عَنْ عَائِشَةَ) بنتِ أبي بكر الصِّديقةِ بنتِ الصِّديقِ ـ تقدَّمت ترجمتها ـ (رَضِيَ ٱللهُ) تَعَالَىٰ (عَنْهَا) وعن والدها، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وجمعنا بهم في مستقرِّ رحمته . آمين .

أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، وَهُوَ يَبْكِي .

(أَنَّ رَسُوْلَ ٱللهِ ﷺ قَبَّلَ) ـ بتشديد الباء ـ (عُثْمَانَ) في وجهه ، أو بين عينيه (بْنَ مَظْعُوْنٍ) ـ بالظاء المعجمة ـ ، وكان أخاه من الرضاع ،

وهو قرشيٌّ أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، وكان حَرَّم الخمر في الجاهلية ، وهو أوَّل مَن مات من المهاجرين بالمدينة ؛ في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وكان عالماً عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة ، ودفن بالبقيع ، ولما دفن قال ﷺ : « نِعْمَ ٱلسَّلَفُ هُوَ لَنَا » .

وقولُه (وَهُوَ مَيِّتٌ) جملةٌ حالية ؛ أي : والحال أن عثمان ميِّت ، وفيه ندب تقبيل الميت الصالح .

قال ابن حجر الهيتمي في « فتح الإلٰه شرح المشكاة » : حكم المسألة إن كان الميت صالحاً سُنَّ لكلِّ أحد تقبيلُ وجهه التماساً لبركته ، واتباعاً لفعله ﷺ في عثمان بن مظعون ـ كما سيأتي ـ

وإن كان غير صالح ؟ جاز ذلك بلا كراهة لنحو أهله وأصدقائه ، لأنَّه ربَّما كان مخففاً لما وجده من أَلَم فقده ، ومع الكراهة لغير أهل الميت ، إذ قد لا يرضىٰ به ؛ لو كان حياً من غير قريبه وصديقه ، ومحلُّ ذلك كلِّه ما لم يحمل التقبيل فاعله على جزع ؛ أو سخط كما هو الغالب من أحوال النساء ، وإلاَّ حَرُم ؛ أو كره . ذَكره في « شرح الأذكار » . انتهى .

(وَهُوَ) ـ أي : والحال أن النبي ﷺ ـ (يَبْكِي) ؛ أي : حتى سالت دموع النبي ﷺ على وجه عثمان ؛ كما في « المشكاة » .

قال في « جمع الوسائل » : وأخرج ابن سعد في « الطبقات » ؛ عن سفيان الثوري ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنهاأنَّ رسول الله ﷺ قَبَّلَ عثمان بن مظعون وهو ميت ، قال : فرأيت دموع النبي ﷺ تسيل على خدِّ عثمان .

هُوَ أَخُوهُ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ .

وَكَانَتْ عَيْنَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةَ ٱلدُّمُوعِ وَٱلْهَمَلَانِ .

وَكَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ مَرَّةً ، . . . .

وأخرج أيضاً عن أبي النضر ؛ قال : مُرَّ بجنازة عثمان بن مظعون ، قال رسول الله ﷺ : « ذَهَبْتَ وَلَمْ تَلَبَّسْ مِنْهَا بِشَيْءٍ » ، يعني : من الدنيا .

وهذا مرسلٌ ، لكن له شاهد عند ابن الجوزي في « كتاب الوفاء » ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ قالت : لَمَّا مات عثمان بن مظعون كَشَفَ النبي ﷺ الثوبَ عن وجهه ، وقبَّل بين عينيه ، ثم بكى طويلاً ، فلما رفع السرير ؛ قال : « طُوبَىٰ لَكَ يَا عُثْمَانُ ؛ لَمْ تَلَبَّسْكَ ٱلدُّنْيَا ، وَلَمْ تَلَبَّسْها » ، انتهى .

قال المصنِّف : (**هُوَ**) ـ أي : عثمان ـ (**أَخُوْهُ**) ؛ أي أخو النبي ﷺ (**مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ**) ـ وقد تقدم ذلك ـ .

(**وَ**) أمَّا بُكاؤه خوفاً على أمته ! ففيما ذكره الشعراني في « كشف الغمة » بقوله : (**كَانَتْ عَيْنَاهُ** ﷺ **كَثِيْرَةَ ٱلدُّمُوعِ وَٱلْهَمَلَانِ**) ـ محركة ـ ، يقال : هَمَلت عينه تهمِل ـ بالكسر ـ وتهمُل ـ بالضم ـ ، هَمَلاً وهملاناً وهمولاً : فاضت كانهملت ، انتهى « قاموس » .

(**وَكَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ**) أي : استتر نورها كلُّه ؛ أو بعضه ، يقال كَسَفت ـ بفتح الكاف ـ وانكسفت بمعنىً ، وأنكر الفرَّاء « انكسفت » ، وكذا الجوهريُّ ونسبه إلى العامَّة .

(**مَرَّةً**) على عهد رسول الله ﷺ يومَ موت ولده إبراهيم ، ففي البخاري : كسفت الشمس على عهد النبي ﷺ يومَ مات إبراهيم ، فقال الناس : كَسَفت الشمس لموت إبراهيم .

فَجَعَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي فِي ٱلصَّلاَةِ وَيَنْفُخُ ، وَيَقُولُ : « يَا رَبِّ ؛ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لاَ تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ ، وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَكَ ؟ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ يَا رَبِّ » .

وجمهور أهل السير على أنَّه مات في العاشرة . وقيل : في التاسعة ، وذكر النووي أنَّه لم يُصَلِّ لكسوف الشمس إلاَّ هذه المرَّة .

وأما خسوف القمر ! فكان في الخامسة ، وصلَّىٰ له صلاة الخسوف ؛ انتهى .

والمشهور في استعمال الفقهاء : أنَّ الكسوف للشمس والخسوف للقمر ؛ قاله الحافظ .

(**فَجَعَلَ ﷺ يَبْكِيْ فِي ٱلصَّلاَةِ وَيَنْفُخُ**) ؛ من غير أن يظهر النفخ . ولا من البكاء حرفان أو حرفٌ مفهم ، أو أنَّه كان يغلبُه ذلك بحيث لا يمكنه دفعه .

(**وَيَقُوْلُ : « يَا رَبِّ ؛ أَلَمْ تَعِدْنِيْ أَن لاَّ تُعَذِّبَهُمْ ، وَأَنَا فِيهِمْ**) بقولك ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [٣٣/ الأنفال] . . . الآية ، ربِّ ألم تعدني أن لا تعذبهم (**وَهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَكَ**) ، أي بقولك ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٣٣/ الأنفال] (**وَنَحْنُ نَستَغْفِرُكَ يَا رَبِّ »**) .

وإنما قال ذلك !! لأن الكسوفَ مظِنَّة العذاب ، وإن كان وعد الله لا يتخلَّف ، لكن يجوز أن يكون مشروطاً بشرط ٱختلَّ .

وهذا الحديث رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي في « الشمائل » باختلاف في الألفاظ ، وفي بعضها بدون ذكر البكاء والنفخ ؛ كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

قال في « جمع الوسائل » : ووقع في رواية أحمد وابن خزيمة وابن حبان والطبراني بلفظ : وجعل ينفخ في الأرض ويبكي وهو ساجد ، وذلك في الركعة الثانية . انتهى .

وَأَمَّا عُطَاسُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ . . وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَىٰ فِيهِ ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ . . حَمِدَ ٱللهَ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَرْحَمُكَ ٱللهُ ، فَيَقُولُ : « يَهْدِيكُمُ ٱللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ ٱلْعَطْسَةَ ٱلشَّدِيدَةَ فِي ٱلْمَسْجِدِ .

(**وَأَمَّا عُطَاسُ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ ! فَقَدْ**) ثبت فيما رواه أبو داود ، والترمذي ؛ وقال حسن صحيح ، والحاكم ؛ وقال : صحيح ، وأقرّه الذهبي ، كلُّهم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا عَطَسَ**) ـ بفتح الطاء ؛ من باب « ضرب » ، وقيل : من باب « قتل » ـ (**وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَىٰ فِيْهِ** ، **وَخَفَضَ**) ، وفي رواية : غَضَّ (**بِهَا صَوْتَهُ**) ؛ أي : لم يرفعه بصيحة كما يفعله العامَّة ، وفي رواية لأبي نعيم : خَمَّر وجهه وفاه ، وفي أخرى : كان إذا عطس غَطَّىٰ وجهه بيده ؛ أو ثوبه . . . الخ ، قال التوربشي : هذا نوع من الأدب بين يدي الجلساء ، فإنَّ العطاس يكره الناس سماعَه ، ويراه الراءُوْن من فضلات الدِّماغ .

(وَ) أخرج الإمام أحمد ، والطبراني في « الكبير » بإسناد حسن ؛ عن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : (**كَانَ ﷺ إِذَا عَطَسَ حَمِدَ ٱللهَ**) ـ بكسر الميم ـ أي : أتى بـ « الحمد » عقبه ، والوارد عنه : الحمد لله رب العالمين ، وروي : الحمدُ لله على كلِّ حال ؛ (**فَيُقَالُ لَهُ : يَرْحَمُكَ ٱللهُ**) ظاهرُه الاقتصار على ذلك ، لكن ورد عن ابن عباس بإسناد صحيح يقال : عافانا اللهُ وإيَّاكم من النار ، يرحمكم الله ، ولا يسنُّ تشميت العاطس إلاَّ بعد أن يحمد الله تعالى ، ويسنُّ تذكيرهُ الحمد ؛ (**فَيَقُولُ : « يَهْدِيْكُمُ ٱللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ »**) ؛ أي : حالكم .

(وَ) أخرج البيهقي في « سننه » ، وكذا في « الشعب » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَكْرَهُ ٱلْعَطْسَةَ ٱلشَّدِيْدَةَ فِي ٱلْمَسْجِدِ**)

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ رَفْعَ ٱلصَّوْتِ بِٱلْعُطَاسِ .

أَمَّا ٱلتَّثَاؤُبُ : فَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ حَفِظَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ ، وَمَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ .

ـ زاد في رواية : أنَّها من الشيطان ـ ، والعطسة الشديدة مكروهةٌ في المسجد وغيرِه ، لأنَّه كان يكره رفع الصوت بالعطاس ، لكنها في المسجد أشدُّ كراهة . انتهى . « مناوي وعزيزي » .

(وَكَانَ) رسول الله (ﷺ يَكْرَهُ رَفْعَ ٱلصَّوْتِ بِٱلْعُطَاسِ .

أَمَّا ٱلتَّثَاؤُبُ) !! قال القاضي : تفاعُل ؛ من الثوباء ـ بالمد ـ وهو : فتح الحيوان فمَه ، لِمَا عراه من تمطِّي وتمدُّدٍ لكسل وامتلاء ، وهي جالبةُ النوم الذي هو من حبائل الشيطان ، فإنَّه به يدخل على المصلي ويخرجه عن صلاته ، فلذا كَرِهه ﷺ ؛ كما قال المصنف :

(فَقَد كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِهِ) ؛ أي : يكره سببه ؛ وهو كثرةُ الأكل ، لأنَّه المفضي إلى التكاسل عن العبادة ، لأنَ من أكل كثيراً شرب كثيراً ؛ فنام كثيراً ؛ ففاته خير كثير .

ويُطلب ممَّن غلبه التثاؤب أن يضع يده اليسرى على فيه لدفع الشيطان .

(وَقَدْ حَفِظَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ) ، لأنَّه من الشيطان ، والأنبياء معصومون من الشيطان ، وذكر المصنف التثاؤب لأنَّ كلامه في شمائله ﷺ ، ومنها عدمُ التثاؤب بخلاف غيره ، فليس ذكرُه استطراداً لمضادَّته للضحك .

(وَ) قد ورد في « تاريخ البخاري » و« مصنف ابن أبي شيبة » ؛ عن يزيدَ بنِ الأصمِّ ابنِ أخت ميمونةَ ؛ « أمِّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها » مرسلاً :

(مَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ) . قال مسلم بن عبد الملك : ما تثاءب نبيٌّ قط ، وإنَّها من علامة النبوة ، وفي « البخاري » مرفوعاً : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ ٱلتَّثَاؤُبَ » .

اَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ
فِي صِفَةِ كَلَامِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُكُوتِهِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱلله تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : مَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ كَسَرْدِكُمْ هَـٰذَا ، وَلَـٰكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ ، ....

(اَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ)

من الباب الثاني

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ كَلَامِهِ ﷺ وَسُكُوتِهِ) .

والكلام : اسم مصدر بمعنى التكلُّم . أو بمعنى ما يُتكلَّم به ، ويصحُّ إرادة كلٍّ منهما هنا ، إذ يلزم من بيان صفة التكلُّم صفةُ ما يتكلَّم به ؛ وبالعكس .

وقد كان ﷺ أعذبَ خلق الله كلاماً ، وأسرعَهم أداءً ، وأحلاهم منطقاً ، حتَّى كأنَّ كلامَه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح .

يُنَظِّـمُ دُرُّ الثَّغْـرِ نَثْـرَ مَقُـولِـهِ ... فَيَـا حُسْنَـهُ فِـي نَثْـرِهِ وَنِظَـامِـهِ
يُنَاجِي فَيُنْجِي مَنْ يُناجِي مِنَ الجَوَى ... فَكُـلُّ كَلِيـمٍ بُـرْؤُهُ فِـي كَـلَامِـهِ

روى الترمذي في « الشمائل » بسنده ؛ (**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : مَا كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَسْرُدُ**) ـ بضم الراء ؛ من السرد ـ وهو : الإتيان بالكلام على الوِلاء ، فمعنى « يسردُ » : يأتي بالكلام على الوِلاء ويتابعه ، ويستعجلُ فيه (**كَسَرْدِكُمْ**) ـ وفي نسخة : سردكم ـ ، بدون كاف ، والمعنى عليها ، فهو منصوبٌ بنزع الخافض (**هَٰذَا**) الذي تفعلونه فإنه يورث لَبْساً على السامعين .

(**وَلٰكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ**) ـ بتشديد التحتية المكسورة ـ أي : ظاهرٍ .

(**فَصْلٍ**) ـ بالجر : تأكيد لـ« بيِّن » ـ أي : مفصُول ممتازٍ بعضه من بعض ،

يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ فِي كَلاَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ .

وَكَانَ كَلاَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ . . أَعَادَهَا ثَلاَثاً . . . . .

بحيث يتبيَّنُه من يسمعه ، ويمكنه عدُّه ، وهذا أدعى لحفظه ورسوخه في ذهن السامع ؛ مع كونه يوضِّحُ مراده ، ويبيّنُه بياناً تامّاً ، بحيث لا يبقى فيه شبهة .

(**يَحْفَظُهُ**) ـ أي : كلامَه ـ (**مَنْ جَلَسَ**) عنده وأصغى (**إِلَيْهِ**) ؛ لظهوره وتفصيله ، والجلوس ليس بقيد ، فالمرادُ أصغى إليه ؛ وإن لم يجلس ، ولو من الكفار الذين لا رغبة لهم في سماعه .

وفي « سنن أبي داود » ؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان كلامُه كلاماً فصلاً ؛ يفهمه كلُّ مَن سمعه . قال الزين العراقي : وإسناده حسن .

(وَ) أخرج أبو داود في « سننه » ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ؛ قال : (**كَانَ فِي كَلاَمِهِ** ﷺ) ـ وفي رواية : كان في قراءتِه ـ (**تَرْتِيلٌ**) : تَأَنٍّ وتمهُّلٌ مع تبيين الحروف والحركات ، بحيث يتمكن السَّامع من عَدِّها .

(وَ) أخرج النسائي في « اليوم والليلة » ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كَانَ كَلاَمُهُ** ﷺ **يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ**) من العرب وغيرهم ، لظهوره وتفاصيلِ حروفه وكلماته ، واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبيُّنِه ، ولهذا تعجَّب الفاروق من شأنه ؛ وقال : مالَكَ أفصحُنا ؛ ولم تخرج من بين أظهرنا ؟! . قال : « كَانَتْ لُغَة إِسْمَاعِيْلَ قَدْ دَرَسَتْ ـ أي : متممات فصاحتها ـ فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيْلُ فَحَفِظْتُهَا » . انتهى « مناوي » .

(وَ) أخرج الإمام أحمد والبخاريُّ ، والترمذيُّ ؛ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (**كَانَ**) رسولُ الله « ﷺ » ـ قال الكرماني : قال الأصوليون : مثل هذا التركيب يشعر بالاستمرار ـ (**إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ**) ؛ أي : بجملة مفيدة (**أَعَادَهَا ثَلاَثاً**)

حَتَّىٰ تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ . . سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثاً .

من المرَّات . قال مُلاَّ علي قاري في « شرح الشفاء » : ولعل الأوَّل للسماع ، والثاني للتنبيه ، والثالث للفِكر ، والأظهرُ أنَّ الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الأعلى والأوسط والأدنى . انتهى كلامه .

(حَتَّىٰ تُفهَمَ) هذا بيانٌ للمراد من تكرير الثلاث ، وفي رواية البخاري : « ليُفهِم » ـ بمثناةٍ تحتية مضمومة وبكسر الهاء ـ ، وفي رواية له بفتحها .

(عَنْهُ) ؛ أي : لتحفظ وتنقل عنه ، وذلك إمّا لأنّ مِن الحاضرين مَنْ يَقْصُرُ فهمه عن وعيه ؛ فيكرره ليُفهم ويرسخ في الذهن ، وإمّا أن يكون المقولُ فيه بعضُ إشكال فيتظاهر بالبيان ؛ دفعاً للالتباس .

وفي « المستدرك » : « حتى تُعقل عنه » بدل « حتى تفهم » ، وهذا من شفقته وحسن تعليمه وشدَّة النُّصح في تبليغه . قال ابن التين : وفيه أن الثلاث غايةُ ما يقعُ به الإقرار والبيان .

(وَإِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ) ؛ أي : وكان إذا قدم على قوم (فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ) هو من تتميم الشرط (سَلَّمَ عَلَيْهِمْ) ـ جواب الشرط ـ (ثَلاَثاً) في سلام الاستئذان ، بأن أراد الدخول على قوم في محلِّهم ؛ فيكرِّر لهم السلام ثلاثاً إذا لم يَعلم سماعهم من مرَّة أو مرَّتين ليُعلمهم أنَّه يستأذنهُم في الدخول .

قال في « الفتح » : وقد فهم البخاريُّ هذا بعينه ، فأورد هذا الحديث مقروناً بحديث أبي موسى في قصَّة عُمَر ، لكن يَحتمل أن يكون ذلك كان يقع أيضاً منه إذا خشي أن لا يُسمع سلامه . انتهى .

وسبقه إليه جمع منهم ابن بَطَّال ؛ فقال : يكرِّرُه إذا خشي أنَّه لا يُفهم عنه أو لا يسمع ، أو أراد الإبلاغ في التعليم ، أو الزجر في الموعظة .

وقال النووي في « الأذكار » و« الرياض » : هذا محمولٌ على ما لو كان الجمع

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ . . يُكْثِرُ أَنْ يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ .

كثيراً . وجرى عليه ابن القيّم ؛ فقال : هذا في السلام على جمع كثير لا يبلغُهم سلامٌ واحد ، فيسلِّم الثاني والثالث ؛ إذا ظَنَّ أنَّ الأول لم يحصل به إسماع ، ولو كان هديُه دوامَ التسليم ثلاثاً ؛ كان صحبُه يسلِّمون عليه كذلك ، وكان يسلِّمُ على كلِّ مَن لقيه ثلاثاً ، وإذا دخل بيتَه سلَّم ثلاثاً ، ومَنْ تأمّل هديه عَلِم أنَّه ليس كذلك ، وأن تكرار السلام كان أحياناً لعارض . إلى هنا كلامه .

قال الكرماني : والوجهُ أنَّ معناه : كان إذا أتى قوماً يُسّلم تسليمةَ الاستئذان ، ثم إذا قعد سلَّم تسليمَ التحية ، ثم إذا قام سلَّم تسليمَة الوداع ، وهذه التسليمات كلُّها مسنونة ، وكان يواظب عليها .

انتهى ؛ قاله المناويُّ في « كبيره » مع شيء من العزيزي والحِفْني .

(وَ) أخرج أبو داود ، والبيهقيُّ في « دلائل النبوة » بإسناد حسن ؛ عن عبد الله بن سَلاَم ـ بالفتح والتخفيف ـ الإسرائيليِّ الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ يُكْثِرُ أَنْ يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ**) ؛ انتظاراً لما يوحَىٰ إليه وشوقاً إلى الرفيق الأعلى ؛ ذكره الطيبي .

وقوله « جلس يتحدَّث » ! خرج به حالةُ الصلاة ، فإنَّه كان يرفع بصره فيها إلى السماء أوَّلاً حتَّىٰ نزلت آيةُ الخشوع في الصلاة فتركَهُ .

فإن قلت : يُنافيه أيضاً ما ورد في عدَّة أخبار : أن نظره إلى الأرض كان أكثرَ من نظره إلى السماء !!؟

قلت : يمكن الجواب بأن ذلك مختلفٌ باختلاف الأحوال والأوقات ، فإذا كان مترقِّباً لنزول الوحي عليه متوقعاً هبوط المَلَك إليه ؛ نظر إلى جهته شوقاً إلى وصول كلام ربِّه إليه ، واستعجالاً ومبادرة لتنفيذ أوامره ، وكان في غير هذه الحالة نظرُه إلى الأرض أطولَ ؛ ذكره المناوي في « كبيره » .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً، لَوْ عَدَّهُ ٱلْعَادُّ . لأَحْصَاهُ.

(وَ) أخرج البخاريُّ ، ومسلم ، وأبو داود ؛ عن عائِشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما (كَانَ) رسولُ الله (ﷺ) يَسردُ الحديث سردَكم هذا ! كان (**يُحَدِّثُ حَدِيْثاً**) ؛ ليس بمُهَذْرِمٍ مسرعٍ ، ولا متَقَطِّعٍ يتخلَّلُه السَّكتات بين أفراد الكَلِمِ ، بل يبالغ في إِيضاحه وبيانه بحيث (**لَوْ عَدَّهُ العَادُّ**) ، أي : لو أراد المستمع عَدَّ كلماتِهِ أو حروفه (**لأَحْصَاهُ**) ، أي : أمكنه ذلك بسهولة ، والمراد بذلك : المبالغةُ في التفهيم والترتيل ، وهذا أتت به عائشة رضي الله تعالى عنها تُعرِّضُ بأبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وصَدْرُ الحديث : عن عُروة ؛ عنها أنَّها قالت : أَلاَ يعجبك أبو فلان ـ ولفظ « مسلم » : أبو هريرة ـ جاء فجلس إِلىٰ جانب حجرتي ؛ يحدث عن رسول الله ﷺ يسرد ، يسمعني ذلك ؛ وفي رواية : فقال : ألا تسمعين يا رَبَّةَ الحُجرَةِ !! وكنتُ أُسَبِّح ، فقام قبل أن أقضي سُبْحَتِي ، ولو أدركتُه لرددتُ عليه أنَّ رسول الله ﷺ ما كان . . . فذكرتِ الحديثَ .

قال الحافظ ابن حجر : واعتُذرَ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ؛ بأنَّه كان واسع الرِّوايةِ ، كثيرَ المحفوظِ ، فكان لا يتمكَّن من التَّرتيل عند إِرادة التَّحديث ، كما قال بعض البلغاء : أُريد أَن أَقْتَصِرَ فتتزاحمُ عليَّ القوافي .

ومن حديثِ عائِشةَ المذكورِ أُخِذَ أنَّ على المدرِّس أن لا يسرد الكلام سرداً ، بل يُرَتِّلُهُ ويزيِّنُه ويتمهلُ لِيَتَفكَّرَ فيه هو وسامِعُهُ ، وإذا فَرَغَ من مسألة أو فصلٍ سكت قليلاً ليتكلَّمَ مَنْ في نفسه شيء . انتهى « مناوي » .

وأخرج التِّرمذيُّ في « الجامع » ، و« الشَّمائل » ، والحاكم ؛ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعيدُ الكلمة ثَلاثاً حتى تُعقل عَنْهُ » ؛ أي : ليتدبَّرها السَّامِعونَ ، ويرسِّخَ معناها في القوَّةِ العاقلةِ .

وفيه أن الثَّلاثة غاية الإِعذار والبيان ؛ كما قال ابنُ التينِ ، فمنْ لَمْ يفهم بها لا يفهمُ بما زِيدَ عليها ؛ ولو مرَّاتٍ عديدة .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلَ ٱلصَّمْتِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ ٱلسُّكُوتِ ، . . . .

وقد ورد : أنَّه ﷺ كان لا يراجَع بعد ثلاث ؛ وفيه ردٌّ على من كَرِهَ إعادة الحديث ، وأنكر على الطَّالب الاستعادة ، وعَدَّه من البَلادة .

قال ابن المنيِّر : والحقُّ أنَّه يختلف باختلاف القرائِحِ ، فلا عيبَ على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد ، ولا عذر للمفيد إذا لم يُعِدْ ، بل الإعادة عليه آكد من الابتداء ، لأنَّ الشُّروع ملزم . انتهى « زرقاني » .

(وَ) أخرج الإمام أحمد في « مسنده » بإسناد صحيح ؛ من حديث سِمَاك ؛ عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله تعالى عنهما . قال سماك : قلت لجابر : أَكُنتَ تجالسُ النَّبيَّ ﷺ ؟ قال : نعمَ ، و(**كَانَ**) ؛ أي : رسولُ اللهِ (ﷺ **طَوِيْلَ الصَّمْتِ**) ، في غَيرِ أوقاتِ الذِّكرِ ، فالمراد الصَّمتُ عَمَّا لا ثوابَ فيهِ ، وذلك لأنَّ كَثْرَةَ السُّكُوتِ من أقوى أَسبابِ التَوقِيرِ ، وهو من الحِكمَةِ وداعية للسَّلامةِ من اللَّغَطِ ، ولهذا قيلَ : مَن قَلَّ كلامُهُ قَلَّ لَغَطُهُ . وهو أَجْمَعُ للفِكْرِ . انتهى .

وتمام الحديث بعدَ قوله « طويلَ الصَّمْتِ » : قليلَ الضَّحِكِ . انتهى « مناوي » .

(وَ) في « الشِّفاءِ » للقاضي عياض : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **كَثِيْرَ السُّكُوْتِ**) لتفكُّره في مشاهدةِ المَلكُوتِ وتَذَكُّرِهِ مُطَالعَةَ الجبروتِ .

وكان سكُوتُهُ على أربع : على الحِلْمِ والحَذَرِ والتَّقديرِ والتَفكُّرِ .

فأَمَّا تقديرُهُ ففي تَسْوية النَّظرِ ، والاستماعِ بين النَّاسِ ، وأَمَّا تَفَكُّرُهُ ففيما يَبْقى وَيفْنَى ، وجُمع له الحِلْمُ في الصَّبر ؛ فكان لا يُغضِبُهُ شَيءٌ يَسْتَفِزُّهُ ، وجُمِعَ له في الحَذَرِ أَخْذُه بالحَسَنِ ليُقتدى به ، وتَرْكُه القبيح ليُنتهىٰ عنه ، واجْتِهادُ الرأي بما أصلح أمَّته ، والقيامُ لهم بما جَمَعَ لهم أمرَ الدُّنيا والآخرة ؛ ذكره في « الشفاء » للقاضي عياض .

وهذا الحديث رواه التِّرمذي في « الشمائِل » ؛ من حديثِ هندِ بن أبي هالَة

لاَ يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَيُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزْرَ ٱلْكَلاَمِ ، سَمْحَ ٱلْمَقَالَةِ ، . . . . .

رضي الله تعالى عنهُ بلفظ : طويل السُّكوت (لاَ يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ) ؛ أي : من قضيَّةٍ ضروريَّة دينيَّة ، أو دنيويَّة ، أو مسألة عملية أو علميَّة ، لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون] ، ولحديث : « مِنْ حُسنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » .

(وَيُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيْلٍ) ؛ بما لا يُستحسَنُ ذكره ولا يباحُ أمره ، إذا صدر عمَّن تكلَّم بِنَاءً على جهله ، لقوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف] . والظَّاهر أنَّ المرادَ بالإعراض هو الصَّفْحُ وعدم الاعتراض ، فيختصُّ بالمكروهاتِ التَّنزيهيَّةِ على مُقْتَضىٰ القواعِدِ الشرعيَّة .

وأمَّا المحرَّمات القطعيَّة ؛ وكذا المكروهات التحريميَّة !! فلا بدَّ للشَّارِع مِن أَن يأمُر ويزجر قياماً بحقِّ النُّبُوَّةِ والرِّسالة . انتهى « مُلاَّ علي قاري » .

(وَ) في « كنوز الحقائِق » للمناوي ؛ ورمز له برَمز ابن ماجه :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ يَخْزُنُ) ـ بالخاء وضمِّ الزَّاي المعجمتين والنون آخره ـ أي : يَصُونُ (لِسَانَهُ) ، ومنه الخزانة ، لأنَّه لا يُحِبُّ كَثْرةَ الكلامِ ، قال :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ   فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِواهُ بِخازِنِ

(إِلاَّ فِيْمَا يَعْنِيْهِ) ـ بفتح المثنَّاةِ التحتية وكسر النون ـ أي : يهمُّه ويَنْفَعُهُ من جواهر كَلِمِهِ وزواجِرِ حِكَمِهِ ﷺ .

وفي « كَشْفِ الغُمَّةِ » للعارفِ الشَّعراني رحمه الله تعالى :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ نَزْرَ الكَلاَمِ) ؛ أي : قليله عند الحاجة إليه ، (سَمْحَ الْمَقَالَةِ) ؛ أي : سهل الكلام يُواتيه بلا تكلف .

يُعِيدُ ٱلْكَلاَمَ مَرَّتَيْنِ لِيُفْهَمَ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلاَمُهُ كَخَرَزَاتِ ٱلنَّظْمِ .

وَكَانَ يُعْرِضُ عَنْ كُلِّ كَلاَمٍ قَبِيحٍ ، وَيَكْنِي عَنِ ٱلأُمُورِ ٱلْمُسْتَقْبَحَةِ فِي ٱلْعُرْفِ إِذَا ٱضْطَرَّهُ ٱلْكَلاَمُ إِلَىٰ ذِكْرِهَا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ ٱللهَ تَعَالَىٰ بَيْنَ كُلِّ خَطْوَتَيْنِ .

(يُعِيْدُ الكَلاَمَ مَرَّتَيْنِ) ؛ أَوْ أَكْثَرَ ، كثلاثٍ ، وهي غايةُ ما يقع به الإِيضاح والبيانُ ، وذلك (لِيُفْهَمَ) عنه ﷺ ، ولا يراجَعُ بعد ثلاثٍ .

(وَ) في « كشف الغُمَّةِ » أيضاً : (كان) رسول الله (ﷺ كَلاَمُهُ كَخَرَزَاتِ النَّظْمِ) الخرزات : جمع خَرَزَةٍ محركة ، وهي : اسم لما يُنظَمُ من جواهِرَ وغيرها ، والنَّظْمُ المنظوم باللُّؤلؤ والخَرَز ، وهو في الأصل مصدر ؛ يقال : نَظْمٌ من لؤلؤ ، ونَظَمَ اللُّؤلؤَ ينظِمُهُ نظماً ونِظاماً ـ بالكسر ـ ، ونَظَّمه تنظيماً ، أَلَّفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظَّم . والمعنى : إنَّ كلامه مفصَّلٌ ممتَازٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، ظاهِرُ الكلماتِ والحروفِ ، مع حلاوةٍ في مَنْطِقِهِ ، وذلك لكمالِ فصاحتِهِ .

روى الطَّبراني من حديثِ أمِّ مَعْبَدٍ : وكأن مَنطِقَهُ خرزَاتُ النَّظْمِ يَنْحَدِرْنَ ، حُلْوَ المَنْطِقِ ؛ لاَ نَزْرَ وَلاَ هَذْرَ .

(وَكَانَ يُعْرِضُ عَنْ كُلِّ كَلاَمٍ قَبِيْحٍ) لا يرضاه ، فيُعلم بإعراضه عنه أنَّه غير مَرضِيٍّ له ﷺ ، وهذا من وقارِهِ ، وليس المراد به أن يكونَ حراماً ، لأنَّه ﷺ لا يُقِرُّ على مثله .

(ويَكْنِيْ عَنِ الأُمُوْرِ المُسْتَقْبَحَةِ فِي الْعُرْفِ إِذَا اضْطَرَّهُ الْكَلاَمُ إِلَىٰ ذِكْرِهَا) كقوله : « خُذي فِرْصة مُمَسَّكة فتطهَّري بها » . فإن اقتضى الحالُ التَّصريحَ صَرَّحَ بذلك ، كقولِهِ للرَّجُلِ : « أَنِكْتَها » ، بعد قوله له : « لعلَّك قبَّلتَ !! لعلَّك فَاخَذْتَ !! » وذلك لأن الحُكْمَ الشَّرعيَّ هنا يترتَّبُ على التَّصريحِ بِالجماعِ .

(وَكَانَ) رسول اللهِ (ﷺ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالىٰ بَيْنَ كُلِّ خَطْوَتَيْنِ) .

اَلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ
فِي صِفَةِ قُوَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ ٱلْبَطْشِ .

وَعَنِ ٱبْنِ إِسْحَاقَ . . . .

(الْفَصْلُ العَاشِرِ) ؛

من البابِ الثَّاني

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ قُوَّتِهِ)

القوَّةُ : واحدة القوى ، مثل غرفة وغرف ، وكان تام القوَّة في أعضائه (ﷺ)، كما أنَّه تام القوَّة في حقوق الله بامتثال أوامره واجْتناب نواهيه ، مراقبٌ لحدوده حافظٌ لها ؛ لا يخاف في الله لومة لائم ، وقد جاءتِ الأخبار الدَّالة على قوَّته البدنيَّة .

فقد أخرج ابن سعد في « الطبقات » ؛ عن محمد بن الحَنَفيَّة مرسلاً ، ورواه أبو الشَّيخ من رواية أبي جعفر معضلاً ؛ كما قال المناوي ، ما[1] ذكره المُصَنِّفُ في قوله :

(كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ شَدِيدَ البَطْشِ) ؛ أي : القوّة عند الاحتياجِ إلىٰ ذلك ، قد أعطي قوَّةَ أربعينَ في البَطْشِ والجِماعِ ؛ كما في خبر الطَّبرانيِّ عن ابن عَمْرو .

ولأبي الشَّيخ عن علي : كان من أشَدِّ النَّاسِ بأساً . ومع ذلك فلَم تَكُنِ الرَّحْمَةُ مَنزُوعَةً عن بَطْشِهِ ، لِتَخَلُّقِهِ بأخلاقِ اللهِ ، وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ؛ ليس[2] فيه شيء من الرَّحمة واللُّطف .

(وَعَنْ) محمد (بْنِ إِسْحَاقَ) بن يَسار المُطَّلبيِّ مولاهم ، لأنَّ جده يساراً من سَبْيِ عينِ التمرِ ، فهو مطَّلبيٌّ بالولاء ، وهو من أهل المدينة المنوَّرة ، وكان إماماً في

---

(١) مفعول (أخرج ابن سعد) وما عطف عليه .

(٢) جملة ليس وما معها خبر « ليس » التي قبلها .

وَغَيْرِهِ : أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شَدِيدُ ٱلْقُوَّةِ يُحسِنُ ٱلصِّرَاعَ ، وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَأْتُونَهُ مِنَ ٱلْبِلَادِ لِلْمُصَارَعَةِ فَيَصْرَعُهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ لَقِيَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا رُكَانَةُ ؛ أَلَا تَتَّقِي ٱللهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟ » . فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِكَ؟ فَقَالَ : «أَرَأَيْتَكَ إِنْ صَرَعْتُكَ ، أَتُؤْمِنُ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ؟ » . قَالَ : نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ . فَقَالَ لَهُ : « تَهَيَّأْ لِلْمُصَارَعَةِ » . فَقَالَ : تَهَيَّأْتُ . فَدَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المغازي والسِّير ، له كتاب « السِّيرَةُ النَّبويَّة » التي هذَّبها ورواها عنه ابن هشام ، وله كتاب « الخلفاء » وكتاب « المبتدأ » وكان من حُفَّاظِ الحديث ، وزار الإسكندرية وسكن بغدادَ فماتَ بها سنة : ـ ١٥١ ـ إحدى وخمسين ومائة ؛ رحمه الله تعالى .

(وَ) عَنْ (غَيْرِهِ) في كتاب « السِّيرَة النَّبويَّةِ » : (أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ) هو رُكانة (شَدِيْدُ القُوَّةِ يُحسِنُ الصِّرَاعَ) ـ بكسر الصاد مصدر ؛ صارع مصارعة وصراعاً ـ (وَكَانَ النَّاسُ يأْتُونَهُ مِنَ الْبِلَادِ لِلمُصَارَعَةِ فَيَصْرَعُهُمْ) ـ بابُهُ نَفَعَ ـ (فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ) ـ بالكسر ـ الطريق أو في الجبَل (مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ لَقِيَهُ رَسُوْلُ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : « يا رُكَانَةُ ؛ أَلا تَتَّقِي اللهَ وَتَقْبَلُ ما أَدْعُوكَ إِلَيْهِ ؟ ») ، فتؤمِنَ باللهِ ورسولِهِ ، أو كما قال له رسول الله ﷺ .

(فَقَالَ) أيْ : رُكانَةُ (لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَلْ) لَكَ (مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِكَ) فيما تقوله ؟ (فقال : « أَرَأَيْتَكَ) ، أي : أخبرني (إِنْ صَرَعْتُكَ ؛ أَتُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ؟ ») ـ بهمزة الاستفهام ـ .

(قَالَ : نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ) ، وصريح هذا أن السَّائل له في المصارعة المصطفى ﷺ ، وفي رواية البلاذري : أَنَّ السَّائِلَ رُكَانَةُ ، فيحتمل أن كلاً منهما توارَدَ مع الآخَر في السُّؤالِ .

(فَقَالَ لَهُ : « تَهَيَّأْ لِلْمُصَارَعَةِ » . فَقَالَ : تَهَيَّأْتُ . فَدَنَا) مِنْهُ (رَسُوْلُ الله ﷺ

فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ صَرَعَهُ .

قَالَ : فَتَعَجَّبَ رُكَانَةُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ٱلإِقَالَةَ وَٱلْعَوْدَ ، فَفَعَلَ بِهِ ثَانِياً وَثَالِثاً ، فَوَقَفَ رُكَانَةُ مُتَعَجِّباً ، وَقَالَ : إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيبٌ .

فَأَخَذَهُ ثُمَّ صَرَعَهُ ، قَالَ : فَتَعَجَّبَ رُكَانَةُ مِنْ ذَلِكَ) ؛ لأنَّه كان مستحيلاً عنده أنَّ أحداً يصرعُه .

(**ثُمَّ سَأَلَهُ الإِقَالَةَ**) مِمَّا تَوَافَقَا عليه ، وهو الإيمان إن صرعه ، ولم تكن الموافَقَةُ بينهما على قطيعٍ من الغنم كما قد يُتَوَهَّمُ ، لأنَّ المعاقَدَةَ على الغَنَم إنَّما كانت مع ابنه يزيدَ ؛ كما في « الإصابة » .

(**والْعَوْدَ**) إلى المصارعَةِ (**فَفَعَلَ بِهِ**) ذلك (**ثانياً وثَالِثاً . فَوَقَفَ رُكانَةُ مُتَعَجِّباً ؛ وَقَالَ : إِنَّ شأْنَكَ لَعَجِيْبٌ**) ؛ رواه الحاكم في « المستدرك » ؛ عن أبي جعفر عن أبيهِ محمد بْنِ رُكَانَة .

ورواه أبو داودَ ، والتِّرمذيُّ ، من روايةِ أبي الحسنِ العسقلاني ؛ عن أبي جعفر بن محمد بن رُكانة ؛ عن أبيه : أنَّ ركانة صارع النَّبيَّ ﷺ . . . الحديث .

وكذا أخرجه البيهقي ؛ من روايةِ سعيد بن جبير التَّابعي المشهور .

قال في « الإصابة » : ركانةُ بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المُطَّلِبيُّ .

روى البلاذري أنَّهُ قَدِمَ مِن سَفَرٍ فأُخبِر خَبَرَ النَّبِيِّ ﷺ بمكَّة قبل الإسلام ، وكان أشدَّ النَّاسِ ، فقال : يا محمَّد ؛ إنْ صَرَعْتَني آمنتُ بِكَ ! . فصرعه فقال : أشهد أنَّك ساحر . ثم أسلم بَعْدُ ، وأطعمه النَّبيُّ ﷺ خمسين وَسْقاً ، وقيل : لَقِيَهُ في بعض جبالِ مكَّة ؛ فقال : يا ابْنَ أخي بَلَغني عنك شيء ، فإن صرعتني علمت أنَّك صادقٌ ، فصارعه فصرعه ، وأَسلم رُكَانَةُ في فتح مكَّةَ ، وقيل : عقب مصارعته ، ومات في خلافةِ معاوية . قال الزُّبَير : وقال أبو نُعَيْم : في خلافة عثمان ، وقيل : عاش إلى سنة : ـ ٤١ ـ إحدى وأربعين . انتهى باختصار .

وَقَدْ صَارَعَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَانَةَ ، مِنْهُمْ أَبُو ٱلأَسْوَدِ ٱلْجُمَحِيُّ ، وَكَانَ شَدِيداً ، بَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَىٰ جِلْدِ ٱلْبَقَرَةِ ، وَيَتَجَاذَبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ ، فَيَتَفَرَّىٰ ٱلْجِلْدُ ، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْهُ ، فَدَعَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ٱلْمُصَارَعَةِ ، . . . .

(**وَقَدْ صَارَعَ النَّبِيُّ ﷺ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَانَةَ ؛ مِنْهُمْ**) ابنه يزيد بن رُكَانَة ؛ قال أبو عمر بن عبد البر : له ولأبيه صحبة ورواية ، روى عنه ابْنَاهُ عليٌّ ، وعبد الرَّحمن ، وأبو جعفر البَاقِر .

وأخرج ابنُ قَانِعٍ من طريقِ يزيد بن أبي صالحٍ ؛ عن علي بن يزيدَ بن ركانة : أنَّ أباه أخبره أنَّ رسول الله ﷺ دعا رُكانة بأعلى مكَّة ؛ فقال : « يَا رُكَانَةُ ، أَسْلِمْ » . فأبى ، فقال : « أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ـ لشجرة قائمة ـ فَأَجَابَتْنِي ! تُجِيبُنِي إِلَىٰ الإِسْلاَمِ ؟ » . قال : نعم .

فذكر عن ابن عباس قال : جاء يزيدُ بن ركانة إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ومعه ثلثمائة من الغنم ، فقال : يا محمَّد ؛ هل لك أن تصارعني !! قال : « وَمَا تَجْعَلُ لِي إِنْ صَرَعْتُكَ ؟ » . قال : مائةً من الغنم ، فصارعه فصرعه . ثم قال : هل لك في العَوْدِ ، قال : « وَمَا تَجْعَلُ لِي ؟ » قال : مائةً أخرى ، فصارعه فصرعَهُ ، وذكر الثالثة ، فقال : يا محمد ؛ ما وَضَعَ جنبي في الأرض أحدٌ قَبْلَكَ ، وما كان أحدٌ أبغضَ إليَّ منك ، وأنا أَشْهَدُ أنْ لاَ إِلٰه إلاَّ الله وأنَّك رسولُ الله . فقامَ عَنْهُ ورد عليه غَنَمَهُ ؛ ذكره في « الإصابة » ، قد صارع ركانة وابنه جميعاً .

ومنهم (**أَبُو الأَسْوَدِ الْجُمَحِيُّ**) ـ بضمِّ الجيم وفتح الميم ومهملة ـ ؛ نسبة إلى جُمَحٍ : بَطْنٌ من قريش ، كما قاله السُّهيليُّ ، ورواه البيهقيُّ .

(**وَكَانَ شَدِيْداً ، بَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَىٰ جِلْدِ البَقَرةِ ، وَيَتَجَاذَبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوْهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ ، فَيَتَفَرَّىٰ الجِلْدُ**) ؛ أي : ينشَقُ ويَتَقطَّعُ (**وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ**) ، أي : يتحرك ، (**عَنْهُ ، فَدَعَا**) هو (**رَسُوْلَ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُصَارَعَةِ ؛**

وَقَالَ : إِنْ صَرَعْتَنِي . . آمَنْتُ بِكَ ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُؤْمِنْ .

وَأَمَّا قُوَّةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ٱلْجِمَاعِ :

فَقَدْ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : إِنَّهُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَىٰ نِسَائِهِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ؛ وَهُنَّ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ .

وقَالَ : إِنْ صَرَعْتَنِيْ آمَنْتُ بِكَ . فَصَرَعَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يُؤْمِنْ) ، وفي قِصَّتِهِ طُولٌ .

(**وَأَمَّا قُوَّةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الجِمَاعِ ! فَقَدْ**) أُعطي الحدَّ الكثيرَ الزَّائِد على العادَةِ من أمر الجِماعِ وقُوَّةِ البَاءَةِ ، وأُعْطِيَ القُدْرَةَ على قُوَّةِ الشَّهْوَةِ بِكَثْرَةِ الجِماعِ .

(**قَالَ أَنَسُ**) بنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولِ الله ﷺ (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) فيما رواه ٱلبُخَارِيُّ في « صحيحه » ؛ من طريق هشام ؛ عن قَتَادَةَ بْنِ دعامة ، و« النَّسائيُّ » في « سُنَنِه » :

(**أَنَّهُ كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَدُوْرُ عَلَىٰ نِسَائِهِ**) ؛ أي : يُجَامِعُهُنَّ (**فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ**) ، المراد بها الزَّمَنُ القَلِيلُ ؛ لا السَّاعَةُ النُّجُومِيَّة (**مِنَ اللَّيْلِ**) ؛ أي : مرة (**والنَّهارِ**) ؛ أي : تارة ، (**وَهُنَّ**) ؛ أي : مجموعهن (**إِحْدَىٰ عَشْرَةَ**) ـ بسكون الشِّين وتكسر ـ ؛ تِسْعٌ زوجاتُهُ ، ومارِيةُ وريحانةُ سَرِيَّتَاهُ ، وتمام الحديث : قال قتادة : قلت لأنس : أَوَ كان يُطيقُه ؟! قال : كنا نتحدَّثُ أنه أعطي قوَّةَ ثلاثين . انتهى .

ووقع عند الإسماعيليِّ ؛ من روايةِ أبي موسى عن معاذِ بن هشام : « أربعينَ » بدل « ثلاثين » ؛ قال الحافظ ابن حجر : وهي شاذَّة من هذا الوجه .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « فُضِّلْتُ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ بِأَرْبَعٍ : بالسَّمَاحةِ ، والشَّجَاعَةِ ، وكَثْرةِ الجِماعِ ، وشِدَّةِ البَطْشِ » . رواه الطَّبراني في « الأوسط » .

وَأَخْرَجَ ٱبْنُ مَنِيعٍ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَىٰ تِسْعِ نِسْوَةٍ فِي ضَحْوَةٍ .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَرْفُوعاً : « أَتَانِي جِبْرِيلُ بِقِدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي ٱلْجِمَاعِ » .

(**وَأَخرَجَ ابْنُ مَنِيعٍ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ يَطُوْفُ عَلَىٰ تِسعِ نِسْوَةٍ فِي ضَحْوَةٍ**) .

(**وَ**) أخرَجَ ابنُ سَعْدٍ في « طبقاتِهِ » برجال الصَّحيح لَكِنَّهُ مرسل ؛ قال : حدَّثنا عبيد الله بن موسىٰ ؛ عن أسامة بن زيد ؛

(**عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ**) ـ بضمِّ السيِّن مصغراً ـ المدني أبي عبد الله الزُّهري «مولاهم» .

تابعيٌّ صغير ثقة مفتٍ ، عابدٌ إمامٌ كبيرٌ ، قدوة ممن يُستشفى بحديثه ، وينزل القطر من السَّماءِ بذكره . ويقال : لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة . وأنَّه مات وهو ساجدٌ .

ويقال : إن جبهته نُقِّبَتْ من كثرة السُّجود ، روى عن ابن عمرَ وغيره ، وعنه مالك وطبقته ، روى له السِّتَةُ ، مات سنة : اثنتين وثلاثين ومائة هجرية رحمه الله تعالى .

(**مَرْفُوْعاً**) ؛ مرسلاً : (**أَتَانِيْ جِبْرِيْلُ بِقِدْرٍ**) ـ بكسر فسكون ـ: إناء يطبخ فيه ؛ مؤنَّثة . (**فأَكَلْتُ مِنهَا**) ؛ بإذن ، إذ وَضْع الطعام إذنٌ ، وظاهره أنَّها من الجنَّةِ ، ولا مانع أنَّ طعامها يخرج إلى الدُّنيا ، لكنَّه يسلب الخصوصيَّة في حقِّ غير نبيِّنا ، (**فأُعطِيْتُ قُوَّةَ**) ـ أي: قدرة ـ (**أَرْبَعيْنَ رَجُلاً**) من رجال أهل الجنَّةِ (**فِي الْجِمَاعِ**) .

قيَّد به ! ليدلَّ على أنَّ القوَّة في غيره أَوْلى ، إذ هو محل العجز غالباً ، لا سيما عند الكِبَر ، وحديث القِدْرِ هذا صحيحٌ مرسلٌ ، ووصْلُهُ ضعيفٌ ، ولم يعلَم ما في القِدْرِ ، وزَعْم أنه هريسة !! لا يصحُّ ، لأنَّ أحاديث الهريسة كلَّها واهية ، بل قال ابن ناصر : إنَّها موضوعة ، وقال غيره : ضعيفة جدّاً ، وقال الذَّهبيُّ : واهية . انتهى « زرقاني » .

وَعَنْ طَاوُوسٍ وَمُجَاهِدٍ : ....

(وَ) أخرج ابن سعد في « الطبقات » ؛ (عَنْ) أبي عبد الرحمن (طَاوُسٍ) ـ يقرأ بواوين ، قيل : وبهمز ـ قال الصاغاني : والاختيار أن يكتب « طاوُس » علماً بواو واحدة كـ « داود » .

قال ابن مَعِينٍ : لُقِّبَ بذلك ! لأَنَّه كان طاوُس القراء .

وهو ابنُ كيسانَ اليماني ، همداني من بني حمير « مولاهم » ، أصْلُه من الفرس ، وأمُّه مولاة لقومٍ من حمير ، وكان مسكنه مدينة الجَنَد ـ بفتح الجيم وبفتح النون ـ : بلدة معروفة باليمن ، ويتردَّد مع ذلك إلىٰ صنعاء ، وربما أقام بها مدَّةً .

وهو من كبار التَّابعين والعلماء والفضلاء والصَّالحين ، بل هو أحد الأَبدال ، أدرك خمسينَ من الصحابةِ وصحبهم وأخذ عنهم ، وروىٰ عن أبي هريرة ، وابن عبَّاسٍ ، وعائشةَ ، وعليّ بن أبي طالب وابن عمرَ ، ومعاذ بن جبلٍ ، وزيد بن ثابتٍ ، وغيرهم رضي الله عنهم .

قال الزمخشري : كان خَلْق طاوُس يحكي خَلْق الطاوس .

وذكر ابن الجوزي في كتاب « صَفوةِ الصفوة » : أنَّه صلَّىٰ الصُّبحَ بوُضوء العِشاءِ أربعين سنة .

روىٰ عنه ابنه عبد الله ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وعطاء ، وابن المنكدرِ ، والزهري ، وغيره ممن لا يُحْصَوْنَ كثرةً ، واتفقوا علىٰ جلالته وفضيلته ، ووفورِ علمه وصلاحه وحفْظِهِ وتَثَبُّتِهِ ، وكان معظَّماً عند سائر النَّاسِ .

وكان كثيرَ الحجِّ إلىٰ بيتِ الله تعالىٰ ، يقال : إنَّه حجَّ أربعين حِجَّة ، وكانت وفاته بمكَّة يوم التَّروية ؛ سنة : ستٍّ ومائة ، وقد بلغ عمره بضعاً وتسعين سنة رحمه الله تعالىٰ .

(وَ) عن (مُجَاهِدٍ) مرسلاً ، وهو أبو الحجَّاجِ مجاهد بن جبر المكي المخزومي « مولاهم » وهو تابعيٌّ إمامٌ ؛ متَّفَق علىٰ جلالته وإمامَتِه .

أُعْطِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي ٱلْجِمَاعِ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : قُوَّةَ بِضْعٍ وَأَرْبَعَيْنَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ....

سمع ابن عمَر وابن عباس ، وجابراً وأبا سعيد ، وأبا هريرة ، وغيرهم من الصَّحابة ، ومن التَّابعين طاوُساً وابن أبي ليلىٰ وآخرينَ .

روىٰ عنه طاوُس وعكرمةُ ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزُّبيرِ ، والأعمش وخلائق لا يُحصَون . واتفقوا علىٰ إمامته وجلالته وتوثيقه ، وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث ، ومناقبه كثيرةٌ مشهورَةٌ ، مات وهو ساجدٌ سنة : إحدىٰ ومائة ؛ وعمره ثلاث وثمانون سنة . وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالىٰ ؛

(**أُعْطِيَ ﷺ قُوَّةَ أَرْبَعِيْنَ رَجُلاً فِي الجِمَاعِ**) . ولا ينافيه رواية الصَّحيح السَّابقة « قوَّة ثلاثين » ، لجواز أنَّهم تحدثوا بذلك قبل بلوغهم الزِّيادة .

(**وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ**) أَنَّهُ أعطي (**قُوَّةَ بِضْعٍ**) ـ بكسر الباء ـ : من الثلاثة إلىٰ التِّسعة ، (**وأَرْبَعِيْنَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**) . رواها الحارث بن أَبي أُسامَة .

وفي « الحِلْية » لأَبي نُعَيْم عن مجاهد : قوَّة أربعين رَجلاً ، كلّ رجل من رجال أهل الجنَّةِ .

وروىٰ التِّرمذيُّ : « إنَّ رِجَالَ أَهْلِ الجنَّةِ ؛ قُوَّةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِقُوَّةِ سَبْعِينَ رَجُلاً » . وصَحَّحَهُ ؛ وروىٰ « بِقُوَّةِ مائَةِ رَجُلٍ » . وقال : صحيحٌ غريب ؛ قلت : فعلىٰ هذا كان صابراً عنهن غاية الصَّبر ، لكثرة الاشتياق إليهنَّ . انتهىٰ « شرح الشفاء » لملاعلي قاري .

(**وَ**) روىٰ الإمام أحمد ، والنَّسائي ، وصحَّحه الحاكم ؛ (**عَنْ**) أبي عمرو : (**زَيْدِ بْنِ أَرْقمَ**) بن زيد بن قيس بن النّعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة الأَنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ .

غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ، استُصْغِرَ يوم أحدٍ ، وكان يتيماً في

رَفَعَهُ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ لَيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِئَةٍ فِي ٱلأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ وَٱلْجِمَاعِ وَٱلشَّهْوَةِ » .

حجر عبد الله بْنِ رَوَاحَةَ ، وسار معه في غزوة مُؤْتَة .

رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ سبعون حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ، ومسلم علىٰ أربعةٍ ، وانفرد البخاريُّ بحديثين ، وانفرد مسلم بستةٍ ، روىٰ عنه أَنس بن مالك ، وابن عباس ، وخلائقُ من التابعين .

نزل الكوفة وتوفِّي بها سنة : ستٍّ وخمسين . وقيل : ثمانٍ وستين ، رضي الله تعالىٰ عنه (**رَفَعَهُ**) إلىٰ رسول الله ﷺ : (« **إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِائَةٍ**) ـ في رواية الطَّبراني : مائة رجل ـ (**فِي الأَكْلِ والشُّرْبِ والجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ** ») عطفُ سَبَبٍ علىٰ مُسَبَّبٍ ، لأنَّ الجِماع يتسبَّب عن الشَّهْوَة .

وخَصَّها !! لأنَّ ما عداها راجع إِليها ، إِذ الملبَسُ والمَسْكَنُ من الشَّهوةِ ، ولا يَرِدُ أَنَّ كثرة الأَكل والشُّرب فِي الدُّنيا مُجْمَعٌ عَلىٰ ذَمِّها ، لأنَّه لِمَا ينشأ عنها من فُتور وتوانٍ وتثاقُلٍ عن العِبادةِ ، ومن أمراضٍ ؛ كتُخَمَةٍ وقُولَنْجٍ ، وأهلُ الجَنَّةِ مأمونون من ذلك كُلِّه ، إذ كل ما فيها لا يشبه شيئاً ممَّا في الدُّنيا إلاَّ في مجرَّد الاسم ، ألا ترىٰ أنَّه زاد في رواية الطَّبرانيِّ في « الكبير » برجال ثقاتٍ : « حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيْضُ مِنْ جِلْدِهِ ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمُرَ » !! انتهىٰ « زرقاني » .

خاتمة : قال في « المواهب » : لَمَّا كان عليه الصَّلاة والسلام ممَّن أُقدِرَ عَلىٰ القوَّة في الجماع ، وأعطي الكثير منه ؛ أبيح له من عدد الحرائر ما لم يُبَحْ لغيره ، وهو الزيادة علىٰ أربع .

قال ابن عبَّاس : تزوَّجوا ؛ فإنَّ أَفضل هذه الأمَّة أكثرُها نِساءً . رواه البخاريُّ ؛ يشير إِليه ﷺ ، وقيَّد بهذه الأمَّة !! ليخرجَ مثل سُلَيْمَانَ عليه الصلاة والسلام ، فإنَّه كان أَكْثَر نساءً من المصطفىٰ ﷺ .

قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني : والذي يظهر أن مرادَ ابنِ عبَّاس بالخير : النَّبي ﷺ ، وبالأمَّة أَخِصَّاء أَصحابه ، وكأَنَّه أشار إِلىٰ أن ترك التزوُّج

. . . .

مرجوحٌ ، إذْ لو كان راجحاً ما آثر النبيُّ ﷺ غيره ، وكان ـ مع كونه أخشىٰ لله تعالىٰ وأعلمَهم به ؛ كما صحَّ في الحديث ـ يكثر التزوُّج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطَّلع عليها الرِّجال ؛ وقد جاء عن عائِشةَ ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ من ذلك الكثير الطيِّب ، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة ، بكونه كان لا يجد ما يتمتَّع به من القوت غالباً ، وإن وجد ؛ فكان يؤثِر بأكثره ويصوم كثيراً ويواصل ، والصوم يضعفُ النكاح ، بل هو له وجاءٌ ، ومع ذلك فكان يدور علىٰ نِسائه في السَّاعة الواحدة ، ولا يطاق ذلك إلاَّ مع قوَّة البدن !! وقوَّةُ البدن تابعةٌ لما يقوم به من استعمال المقوِّيات من مأكول ومشروب ، وهي عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ نادرة قليلة جدّاً ؛ أو معدومة أصلاً .

وقال بعض العلماء في حكمة زيادته علىٰ أربع : لما كان الحُرُّ لفضله علىٰ العبد يستبيح من النِّساء أكثر ممَّا يستبيح العبد ؛ وجب أن يكون النَّبي ﷺ لفضله علىٰ جميع الأمَّة يستبيح من النِّساء أكثر ممَّا تستبيحه الأمَّة ، ولزيادة فضله علىٰ جميع الخلق لم يتقيَّد ما أُبيح له بعدد ، ولم يُقصَر ما يباح له علىٰ ضعف ما يباح للحرِّ فقط .

قالوا : ومن فوائد ذلك زيادةُ التَّكليف في القيام بهنَّ مع تحمُّل أَعباء الرِّسالة ، فيكون ذلك أعظمَ لمشاقِّه وأَكثرَ لأَجره .

ومنها : أنَّ النِّكاح في حقِّه عبادةٌ مطْلقاً .

ومنها : نقل محاسنه الباطنة ، فقد تزوج عليه الصلاة والسلام أمَّ حبيبة بنت أَبي سفيان ؛ وكان أبوها في ذلك الوقت عدوه ويحاربه ، وتزوَّج صفيَّة بنت حيي ؛ وقد قتل أباها وعمّها وزوجها في غزوة خيبر ، فلو لم يطَّلعن من بواطن أحواله علىٰ أنَّه أكمل خلق الله تعالىٰ ؛ لكانت الطباع البشريَّة تقتضي نُفْرتهنَّ عنه ، وميلهن إلىٰ آبائهنَّ وقرابتِهنَّ ، فكان في كثرة النِّساءِ عنده بيانٌ لمعجزاته ، ولمعرفة كماله باطناً ، كما عرف منه الرِّجال كمالَه ظاهراً ، وهذه حكم ونكات لا تتزاحم ، بل كلُّ مَن ظهر له شيء منها أبداه . انتهىٰ كلام « المواهب » مع شيء من الشَّرح .

اَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ

فِي صفَةِ لِبَاسِ رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَفِرَاشِهِ وَسِلاَحِهِ

وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولِ

(**الْبابُ الثَّالِثُ**

فِي) بيان ما ورد في (**صِفَةِ لِبَاسِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ**) ؛

من قميص وإزار وعمامة وغيرها .

(**وَ**) في صفة (**فِرَاشِهِ**)

ـ بكسر الفاء ـ ومنه خاتَمه ونعله ،

(**وَ**) في صفة (**سِلاَحِهِ**) ؛

من سيفٍ أو رمحٍ أو حربةٍ وغيرها ،

(**وَفِيْهِ**) أي : هذا الباب (**سِتَّةُ فُصُوْلِ**)

يأتي بيانها .

اَلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ
فِي صِفَةِ لِبَاسِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ قَمِيصٍ وَإِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَقَلَنْسُوَةٍ وَعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا

(الفَصْلُ الأَوَّلُ)

من الباب الثَّالث

(**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ لِبَاسِهِ** ﷺ) .

في « الصحاح » وغيره : إنَّ اللِّبَاس بوزن كتاب : ما يُلبَس ، وكذا الملبَسُ بوزن المذْهَب ، واللِّبْسُ بوزن حِمْل ، واللَّبُوْسُ بوزن صَبُور .

واللِّباس تعتريه الأحكام الخمسة : فيكون **واجباً** ؛ كاللِّباس الذي يستُر العورَةَ عن العيون . **ومندوباً** ؛ كالثَّوب الحسن للعيدين ، والثَّوب الأبيضِ للجمعة **ومحرماً** ؛ كالحرير للرجال . **ومكروهاً** ؛ كلبس الخَلَقِ دائماً للغنيِّ . **ومباحاً** ؛ وهو ما عدا ذلك .

وقوله (**مِنْ قَمِيْصٍ**) : هو اسم لما يُلْبَسُ من المَخيطِ الذي له كُمَّانِ وَجَيْبٌ ، يُلبس تحت الثِّياب ولا يكون من صوفٍ ؛ كذا في « القاموس » ، مأخوذ من التَّقمُّصِ ، بمعنىٰ : التَّقلُّب ، لِتَقَلُّبِ الإنْسان فيه ، وقيل : سمي باسم الجِلْدَةِ الَّتي هي غلاف القلب ، فإنَّ اسمَها القميصُ ، (**وإِزَارٍ**) : وهو ما يَستُرُ أسفل البَدَنِ ، (**وَرِدَاءٍ**) : وهو ما يستر أعلاه ،

(**وقَلَنْسُوَةٍ**) ـ بفتح القاف واللاَّم وسكون النُّون وضمِّ المهملة وفتح الواو ـ : غشاءٌ مُبَطَّنٌ يستر الرأسَ ، فهي من ملابِسِ الرَّأس ، كالبرنس الذي تغطىٰ به العِمَامَة من نحو شمس ومطر .

قال ابن العربي : القَلَنْسُوَةُ من لِبَاسِ الأَنبياء والصَّالحين السَّالكين ، تصون الرَّأسَ وتُمَكِّنُ العِمَامَةَ وهي من السُّنَةِ ، وحُكمها أنْ تكون لاطية لا مَقْبِية ، إلاَّ أنْ

يفتقر الرَّجل إِلىٰ أن يحفظ رأسه عمَّا يخرج منه من الأَبْخِرَةِ ؛ فيقبُّها ويثقب فيها ، فيكون ذلك تطبُّباً . انتهىٰ (مناوي) .

(وَعِمَامَةٍ) : كلُّ ما يُلفُّ علىٰ الرَّأس . والعِمَامَةُ سُنة ، لا سيَّما للصَّلاة وبقصد التجمُّلِ ، لأخبار كثيرة فيها ؛ جمعها بعضهم في مؤلف سماه « الدِّعامة » ، وتحصل السُّنة بكونها علىٰ الرَّأس ؛ أو علىٰ قَلَنْسُوَةٍ ، ففي الخبر : « فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِيْنَ العَمَائِمُ عَلَىٰ القَلانِسِ » .

وأما لبس القَلَنْسُوَةِ وحدها فهو زِيُّ المُشْرِكين ، وما ورد مما يفيد : أنَّه ﷺ كان يلبس القلنسوة وحْدَها !! فلعلَّه حين يكون في البيت . (وَنَحْوِهَا) ، أي : المذكورات كجبَّةٍ وبُردٍ .

(قَالَ) الفقيه الإمام (القَاضِيْ) أبو الفضل (عِيَاضٌ) ـ بكسر العين المهملة وفتح المثنَّاة ، وبعدها ألفٌ وضادٌ معجمة ـ ابن موسىٰ بن عياض اليَحْصُبيّ السُّبتيّ الغرناطيّ المالكيّ ، صاحب التَّصانيف الجليلة ، المتبحِّر في العلوم النَّقليَّة والعقليَّة ، المتوفَّىٰ سنة : ـ ٥٤٤ ـ أربع وأربعين وخمسمائة ؛ في جمادىٰ الآخرة بمرَّاكش ـ وقد تقدمت ترجمته ـ (رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي) كتاب (« الشِّفَا ») الَّذي كلُّه حسنات ، وقد شوهدت بركَتُهُ حتىٰ لا يقع ضرر لمكان كان فيه ، ولا تَغْرقُ سفينةٌ كان فيها ، وإذا قرأه مريضٌ أو قرىء عليه شفاهُ الله تعالىٰ ، وقد جَرَّبَهُ بعضهم وكان ابتُلِيَ بمرض فقرأه فعافاه الله تعالىٰ منه ، وقالَ في ذلك :

مَا بِالكِتَابِ هَوَايَ لكنَّ الهَوَىٰ ... أَمْسَىٰ بِمَنْ أَمْسَىٰ بِهِ مَكْتُوبا

كالدَّارِ يَهْوَىٰ العَاشِقُونَ بِذِكْرِها ... شَغَفَاً بِها لشُمُولِهَا المَحْبُوبَا

أَرْجُوْ الشِّفاءَ تَفَاؤُلاً بِاسْمِ الشِّفَا ... فَحَوَىٰ الشِّفاءَ وأَدْرَكَ المَطْلُوبَا

وبِقَدْرِ حُسْنِ الظَّنِّ يَنْتَفِعُ الفَتَىٰ ... لاسِيَّما ظَنٌّ يَصِيحُ مُجِيبا

وقد ذكر القاضي عياض الكلام الآتي في « الشفاء » أثناء الضَّرب الثَّالث مما

(ٱنْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلُقَهُ فِي ٱلْمَالِ . . تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ ٱلأَرْضِ وَمَفَاتِيحَ ٱلْبِلاَدِ ، وَأُحِلَّتْ لَهُ ٱلْغَنَائِمُ ؛ وَلَمْ تَحِلَّ

تدعو إليه ضرورة الحياة قائلاً : (**أنْظُرْ سِيْرَةَ نبيِّنَا مُحَمَّدٍ** ﷺ) ؛ أي : طريقتَهُ وهَدْيَهُ (**وخُلُقَهُ**) ـ بضمَّتين أو ضمٍّ فسكون ـ أي : سجيَّتُهُ الشريفة ، (**فِي ٱلمَالِ**) ؛ أي : في حَقِّ أخذه وعَطائِهِ ، وامتناعِهِ عن التلبُّس بوجوده وبقائه ، (**تَجِدْهُ**) ـ بالجزم ؛ أي : تعلمه ـ (**قَدْ أُوْتِيَ خَزَائِنَ الأَرْضِ**) ؛ أي : عُرضت عليه (**وَمَفَاتِيْحَ الْبِلاَدِ**) ؛ أي : أُعْطِيتْ له ، كما ورد في الحديث الصحيح في « مسلم » : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ ؛ فوُضِعَتْ في يَدي » .

وَفي كتاب « الوفا » ؛ عن جابرٍ رضي الله تعالىٰ عنه مسنداً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أُتِيتُ بِمَقالِيدِ الدُّنْيَا عَلَىٰ فَرَسٍ أَبْلَقَ ، عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ » وإليه أشَارَ الصَّرصريّ رحمه الله تعالىٰ بقوله :

بُعِثَتْ مَقَالِيدُ الكُنُوزِ جَمِيْعُهَا ... تُهْدَىٰ إِلَيْهِ عَلَىٰ سَراةِ حِصَانِ
جُعِلَتْ عَلَيْهِ قَطِيْفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ ... فَلَهُ اسْتَقَامَ الزُّهدُ عَنْ إِمْكَانِ

ومثله ثابتٌ من طرق عديدة ، وهذا يدل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ أعطاه ذلك حقيقةً .

وخزائنُ الأرض : دَفَائِنُهَا وَمَعَادِنُهَا ، بأَنْ يطلعَهُ الله تعالىٰ عليها ، ويجعل الملائكة الموكَّلين بها طوع يده . فإنَّ السُّلطان خزيْنَتُهُ بيد خازنها حاضر مطيع لديه ، فهذا معنىٰ كونها في يده عرفاً .

وأمَّا المفاتيح !! فإنْ كانت بمعنىٰ الخَزَائن ؛ فكذلك ، وإن كانت جمع مفتاح بمعنىٰ آلةِ الفَتْحِ !! فإعطاؤها إرسالها ؛ كما هو ظاهر الحديث السَّابق .

وقيل : إنَّه كنايةٌ عن فتحِ البلادِ عليه وعلىٰ أُمَّتِهِ بَعْدَه ، وَجِبَايةِ أموالِها إليهم ، واستخراجِ كنوزها لديهم ، وتلويحٌ بالتوصُّل إليها كما يُتَوَصَّلُ بالمفاتيح إلىٰ ما أغلق عليه من أبوابها . انتهىٰ شرح « الشِّفا » للخفاجيّ والقاري .

(**وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ**) ؛ لزيادة الفضيلة ، (**وَلَمْ تَحِلَّ**) بصيغة المجهول

لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلاَدُ ٱلْحِجَازِ وَٱلْيَمَنُ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ . . . .

المناسب لـ « أحلت » ، أو بفتح أوَّله وكسر ثانيه ؛ أي : والحال أنَّها لم تُبَح (لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ) ، إذ جاء في الآثار أنَّهم كانوا يجمعونَ الغنائمَ فتأتي نار من السَّماء فتأكلها ، وفي حديث مسلم : « لَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ، وَذَلِكَ لأنَّ الله تعالىٰ رَأَىٰ ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا » .

والغنيمة : ما يؤخذ من الكفَّار ، وكذا الفيء . وفرَّقَ الفقهاء بينهما ؛ بأنَّ الفيء : ما يَحصُلُ بلا قتالٍ ولا إيجافِ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ ، والغَنيمةُ : مَا حَصَل بقتالٍ . وقد يستعمل كلٌّ منهما لما يعمُّ الآخر كما فيما نحن فيه (وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلادُ الحِجَازِ) ، وهي مكةُ ، والمدينةُ ، والطائفُ ، واليمامةُ ، وخيبرُ وقراها ، وطرقها الممتدَّةُ بينها . وقيل : غيرُ ذلك ، وقيل : المدينةُ نِصْفُها حجازيٌّ ونصفُها تهاميٌّ ، والحجاز بمعنىٰ الحاجز .

وسُمِّيتْ هذهِ البلادُ بالحجازِ !! لأَنَّها تحجز بينَ نَجْدٍ وَتهامَة ، أَو بين اليمنِ والشَّامِ . وقيل غير ذلك .

(وَاليَمَنُ) ـ بالرفع والجر ـ وسُمِّي به !! لِكَوْنه عن يمين الكَعْبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج ، وهو المعتبرُ لكونه بمنزلة المِنبر .

(وَجَمِيْعُ جَزِيْرَةِ) ـ فعيلة ـ من جَزْر الماء ؛ وهو انكشافه ورجوعه ، ضِدُّ المَدِّ . وجزيرة (العَرَبِ) : ما بين أقصىٰ عدن إلىٰ ريفِ العراقِ طولاً ، ومِنْ جُدَّةَ وما والاها ومن ساحل البحر إلىٰ أَطراف الشَّامِ عرضاً ؛ عند الأصمعي . وقال أبو عبيدة من حفر أبي موسىٰ الأشعريّ إلىٰ أقصىٰ اليمنِ طُولاً ، ومن رملِ قبرس إلىٰ مُنقطع السَّماوة عرضاً .

وسميتْ جزيرة !! لأنَّ بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات أَحاطت بها ، وقال مالك : جزيرة العرب الحجازُ واليمنُ واليمامة ، وما لم يبلغه ملك فارس والروم . وقيل : جزيرة العرب مكة والمدينة واليمامة واليمن ، ولعل هذا معنى قول مالك .

وَمَا دَانَىٰ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلشَّامِ وَٱلْعِرَاقِ ، وَجُلِبَ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لاَ يُجْبَىٰ لِلْمُلُوكِ إِلاَّ بَعْضُهُ ، وَهَادَنَهُ ....

(وَمَا دَانَىٰ ذَٰلِكَ) ؛ أي : ما قارب بلادَ الحجاز وجزيرةَ العرب (مِنَ الشَّامِ) ـ بالهمز السَّاكن وإبداله ألفاً ، ويقال بفتح الشِّينِ والمدِّ ؛ على وزن فعال ، وهو يذكَّر ويؤنَّثُ .

والمشهور أنَّ حد الشَّام مِنَ العريش إِلىٰ الفُراتِ طُولاً ، وقيلَ : إِلىٰ نابلس . وعرضاً من جبل طيّ من نحو القِبْلَةِ إِلىٰ بحر الرُّوم وَمَا سامتَ ذلك من البلاد ، وقد دخله النَّبي ﷺ ، إلاَّ أنَّه لم يدخل دمشق ، بل بلغ إِلىٰ بُصرىٰ (مدينة حوران) .

قال ابن عساكر في « تاريخه » : دخل الشَّام عشرةُ آلافِ عينٍ رأتْ رسول الله ﷺ .

(وَالعِرَاقِ) ؛ أي : عراق العرب ، وهو إقليم معروفٌ ، وفيه مدنٌ عظيمةٌ وقرىً ، وطوله من تكريتَ إِلى عَبَّادان وهي قرية ، ولذا قيل في المثل « ما وراء عبَّادان قرية » ؛ وعرضه من القادِسيَّة إِلىٰ حلوان ، ودجلة حدُّه : جانبها الأيمن للعراق ؛ واليسار لفارس .

ويدخل في حدود العراق البصرة والكوفة .

أمَّا عراق العجم ! فهو إقليم خراسانَ .

ولفظ « العراق » عربي ، وقيل : فارسي معرب ، وقيل : سُمِّي عراقاً لكثرة عروق أشجارهِ ، (وجُلِبَ) ، أي : جِيء ، وفي بعض نسخ « الشِّفاء » : وجُبِيَتْ (إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا) في الغنيمةِ ، (وَجِزْيَتِهَا) مِنْ أَهل الذِّمَّة ، (وَصَدَقَاتِهَا) من أغنياء الأمَّة (مَا لاَ يُجْبَىٰ) ، أي : ما لايؤتىٰ به (لِلْمُلُوكِ إِلاَّ بَعْضُهُ) ، أي : لكثرته مع زيادة بركته ، روي : أن أعظم مالٍ أُتيَ به إِلىٰ النَّبي ﷺ من مال الجزية ما قَدِمَ عليه من البحرين ، وقدرُهُ مائةُ ألفِ درهمٍ وثمانونَ ألف درهم .

(وَهَادَنَهُ) ، أي : صالحه ، ـ وفي نسخة صحيحة من « الشفاء » : وهادَتْه

ـ بالتاء الفوقيّة ـ بمعنىٰ : أهدت إليه ﷺ ـ (**جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوْكِ الأَقَالِيْمِ**) هدايا فقبلَها منهم ، والأقاليم جمع إقليم كقِنْديل ، وذلك لأن المتقدمين قسموا الأرض سبعة أقسامٍ ، سمَّوا كل قسم منها إقليماً ، كما يعلم من فن مساحة الأرض المسمَّى جغرافياً ، وحد كل إقليم وما فيه من البلدان مفصَّلٌ في كتب الهيئة والمساحة .

وقيل : أراد بالأقاليم النَّواحي والبلدان ، وإنْ كانت من إقليم واحد أو إقليمين من السَّبعة بطريق المجاز ، وهو بهذا المعنىٰ مستعملٌ أيضاً ، كما يقال : أقاليم مصر فسمَّوا كلَّ ناحية إقليماً .

والهديَّة : ما يُبعث بلا عوضٍ إلىٰ المُهدَىٰ إليه إكراماً .

وممن هاداه ـ ﷺ ـ المقوقسُ ملكُ القِبْطِ ، أهدىٰ له جاريتين وكسْوة وبغلة بيضاء وهي دُلْدُل .

وهاداه فروة بن عَمرو الجُذَاميّ « عامل قيصر » ، بعدما تبرع بالإسلامِ ، وأهدىٰ له بغلةً بيضاءَ تسمَّى فضة ، وفرساً وأثواباً وقَباءً مِنْ سُنْدُسٍ ، ولما بلغ ذلك قيصر حبَسَهُ مدَّة طويلةً ، ثم أرسل يقول له : ارجع لدينك أطلقك وأعيدُ لك مُلْكَكَ . فَأَبىٰ ؛ وقال : لا أفارق دينه ، وإنَّك لتعلم أنَّه حقٌّ ، ولكن ضَنَنْتَ بِمُلْكِكَ ، فقال : صدق والإنجيل .

ومنهم أكيدر دومة ؛ كما في « البخاري » .

وأما هدايا غير الملوك التي كانت تَصِلُ مع الوفودِ ! فكثيرةٌ لا تحصىٰ كما يُعلم من السِّيَر ، وأهدىٰ له الرُّهبانُ أيضاً كراهبِ نجرانَ .

ولا منافاة بين قَبُولِهِ هديَّة مَن لم يُسْلِمْ مِنْهُمْ كالمقوقس ، وردِّه بعض هدايا المشركين ؛ وقولِه : « إنا لا نقبل زبد المشركين » ـ أي عَطِيَّتَهُمْ !! لأنه كان يقبل الهديَّةَ ممَّن يرجو إسلامَهُ استئلافا له ؛ لما فيه من المصلحة للمسلمين ، ويردُّ هديَّة غيره .

فَمَا ٱسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَلاَ أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً ، بَلْ صَرَفَهُ فِي مَصَارِفِهِ ، وَأَغْنَىٰ بِهِ غَيْرَهُ ، وَقَوَّىٰ بِهِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : « مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِيْ أُحُداً ذَهَباً يَبِيتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلاَّ دِينَاراً أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ » .

ثمَّ إنَّ قَبول النَّبي ﷺ الهديَّة مِن خصائصهِ ، لانتفاء التُّهمة في حقِّه ﷺ ، ولا يجوز لغيره من الحكَّام .

(فَمَا ٱسْتَأْثَرَ) ؛ أي : ما انفرد وما استبدَّ وما اختصَّ (بِشَيْءٍ مِنْهُ) دون أصحابه ، لرؤيته أنَّه أحقُّ به كما يفعله الملوك فيما يليق بها .

(وَلاَ أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً) ؛ أي : لم يُبْقِ لنفسه منه شيئاً ، ولم يجعله عنده أو في يده . (بَلْ صَرَفَهُ فِي مَصَارِفِهِ) ؛ أي : أنفقه في مواضعه من أنواع الخير وأصناف البرِّ (وَأَغْنَىٰ بِهِ غَيْرَهُ) من الجند والمؤلَّفة قلوبهم ، لغناهُ بربِّه واستغنائِهِ بقلبه ، (وَقَوَّىٰ بِهِ المُسْلِمِينَ) بصرفه في مهمَّاتهم وقضاء حاجاتهم ، وفيما ينصرهم علىٰ أعدائهم ، ودفع بلائهم ، وكان يعطي عطاءَ مَن لا يخاف الفقر .

(وَقَالَ) ؛ أي : النَّبيُّ ﷺ في حديث صحيح رواه البخاري ، ومسلم ، مسنداً ؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : (« مَا يَسُرُّني) ـ أي: لم يجعلني في سرور وفرحٍ ـ (أَنَّ لِي أُحُداً ذَهَباً) ، أي : مثل أحد أو نفس أحد يكون ملكاً لي وهو ذهب حقيقةً . وقوله « ذَهَباً » ! تمييز ، أي : من ذهب ، و« أُحُد » : ـ بضمَّتين وقد تسَكَّن حاؤه ـ : اسم جبل معروفٍ قريبٍ مِنَ المدينةِ المنوَّرة . سُمِّي به !! لتوحُّده وانقطاعه عمَّا هناكَ مِنَ الجِبَالِ ، وقال ﷺ فيه : « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » .

(يَبِيْتُ عِنْدِي مِنْهُ) ؛ أي : من مقدار أحد ذهباً ، (دِينارٌ إلاَّ دِيْنَاراً) ـ بالنَّصب علىٰ الاستثناء ، وبالرَّفع علىٰ البدل : روايتان ـ (أَرْصُدُهُ) ـ بفتح الهمزة وضمِّ الصَّاد ، من الرصد ، ويجوز ضمُّ الهمزة وكسر الصَّاد المهملة ؛ من الإرصاد ـ أي : أحفظه منتظراً (لـ)ـقضاء (دَيْنٍي) ـ بفتح الدَّال المهملة وسكونِ المثنَّاة التحتيَّة

وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةً ، فَقَسَمَهَا ، وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ ، فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّىٰ قَامَ وَقَسَمَهَا ، وَقَالَ : « اَلْآنَ ٱسْتَرَحْتُ » .

وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ ، . . . .

والنُّون ، وإرصادُه للدَّين !! إمَّا لأنَّ صاحبَه غائبٌ ، أو لأنَّه لم يَحِلَّ أجلُهُ . وفيه دليل علىٰ جواز الاستقراض ، وأنَّه لا ينبغي أن يكون المرء مستغرقاً في الدين حتىٰ لا يجد له وفاءً .

(**وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةً**) وهي كثيرة (**فَقَسَمَهَا**) ، أي : علىٰ من استحقَّها ، (**وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ**) ؛ أي : قليلة يسيرة ، ـ وفي نسخة من « الشِّفا » : « سِتَّةٌ » ـ (**فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ**) نظراً إلىٰ حدوث حاجة لهنَّ إليها ـ وفي رواية : « **فَرَفَعَهَا بَعْضُ نِسَائِهِ** » ـ بالراء ـ وهو إمَّا بأمره ، وإما علىٰ عادة النِّساء في حفظ المال لأمر المعاش وغيره .

(**فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّىٰ قَامَ وَقَسَمَهَا**) ؛ اتكالاً علىٰ كرم ربِّه عند الاحتياج إليها ، (**وَقَالَ : « اَلْآنَ ٱسْتَرَحْتُ »**) أي : حصل الرَّاحة لقلبي المعتمد علىٰ رزق ربِّي .

وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلّل من الدُّنيا ، وملازمة الفاقة في أيَّام حياتِه إلىٰ أوان مماته ، كما يدل عليه ما بعده ، وإنَّما لم يأخذه النَّوم حتىٰ قسمها !! لخوفه أن يَفْجَأَهُ الأجل قبل تفريقها ، فانظر هذا مع أنه غُفِرَ له ﷺ ما تقدَّم منْ ذنبه وما تأخَّر بعدما عصمه الله تعالىٰ ، انظره مع أشقياء هذا الزَّمان ، وصرفهم بيت المال في هوىٰ أنفسهم ، قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون . انتهىٰ « شرح الشهاب الخفاجي » .

(**وَمَاتَ وَدِرْعُهُ**) ـ مُؤَنَّثَة ـ وهي الزردته (**مَرْهُونَةٌ**) ، أي : عند يهوديٍّ وهو أبو الشَّحم . قال ابن الجوزي : إنَّ الَّتي رهنها ﷺ هي « ذات الفُضول » (**فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ**) ، جمع عَيْلٍ ، وهو : من تلزمه نفقتُهُ ، وكانت مرهونةً إلىٰ سنةٍ في ثلاثين صاعاً من شعير على ما في « البخاريّ » و« الترمذي » و« النَّسائي » ، وفي « البزَّار » : أربعين . وفي « مصنف عبد الرزاق » : وسق شعير وهو ستُّون صاعاً . ويمكن الجمع بتعدُّد الواقعةِ .

وَٱقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ ضَرُورَتُهُ ، وَزَهِدَ فِيمَا سِوَاهُ .

فَكَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ ، فَيَلْبَسُ فِي ٱلْغَالِبِ ٱلشَّملَةَ ، . . . .

ومنه عُلِمَ جَوازُ معاملةِ الكُفَّار ؛ مع أن كسبهم لا يخلو من خبث ، وجواز الرَّهن علىٰ الثمنِ المؤجَّلِ ، وقِيلَ : إنَّه افْتَكها قَبْلَ وفاتِه ، لكن الأَصحَّ خلافُه ، لصريح حديث ابن عباس : تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ . ولا ينافي ذلك خبر : « نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَىٰ عَنْهُ » !! لأنه محمول علىٰ غير الأنبياء .

وكان له ﷺ عدَّة أدْراعٍ : « ذَاتُ الفُضُولِ » . سميت بها ! لطولها ، أهداها له سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه لمَّا خرج رسول الله ﷺ لبدرٍ ، وذَاتُ الحَوَاشِي ، ودِرْعَانِ أصابهما من بني قَيْنُقَاعَ « السَّعديَّة » و« فضَّة » ، ويقال : إنَّ السَّعديةَ كانت درع داودَ عليه الصلاة والسلام التي لَبِسَها لِقَتالِ جَالوتَ ، و« البتر » ، و« الحريق » . فهذه سَبْعٌ .

(**وَٱقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ**) ـ بفتح الكاف وكسرها ـ أي : من أجلها أو في حقِّها (**عَلَىٰ مَا تَدْعُوْهُ إِلَيْهِ ضَرُورَتُهُ**) ، أي : علىٰ مقدار قليل لا بدَّ له منه ، ممَّا تقتضيه الحاجة الضَّرورية إِلَيْهِ .

(**وَزَهِدَ**) ـ بِكَسْرِ الهاء بصيغة الماضي ، معطوف علىٰ « اقتصر » أي : لم يرغب (**فِيمَا سِوَاهُ**) ، أي : ما سوىٰ مقدار الضَّرورة .

(**فَكَانَ يَلْبَسُ**) ـ بفتح الياء المثنَّاة وفتح الباء الموحَّدة ـ (**مَا وَجَدَهُ**) حاضراً عنده بلا تكلُّفٍ ، (**فَيَلْبَسُ فِي الغَالِبِ الشَّمْلَةَ**) ـ بفتح المعجمة وسكون الميم ـ وما يُشتمل به من الأكسيَةِ الَّتي يُلتحفُ بِهَا كما في « الفتح » . وقيل : يختصُّ بِمَا لَهُ هُدبٌ . وقال ابن دريد : كساء يُؤْتَزَرُ بِهِ وهي البُرْدَةُ ، وتَسْمِيَةُ العوامِّ ما يلفُّ علىٰ الرَّأس « شملةً » اصطلاحٌ حادث .

وَٱلْكِسَاءَ ٱلْخَشِنَ ، وَٱلْبُرْدَ ٱلْغَلِيظَ ، وَيَقْسِمُ عَلَىٰ مَنْ حَضَرَهُ أَقْبِيَةَ ٱلدِّيبَاجِ ٱلْمُخَوَّصَةَ بِٱلذَّهَبِ ، وَيَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ ؛ إِذِ ٱلْمُبَاهَاةُ فِي ٱلْمَلاَبِسِ ....

(وَالكِسَاءَ) : قريبٌ من البُرْدِ ؛ (الخَشِنَ) ـ بفتح فكسر ـ أي : الغليظ ، ضدّ الدَّقيق الليِّن . (والبُرْدَ) ـ بضمٍّ أوَّله وسكون الرَّاء ـ أي : اليَمانيّ ؛ وهو الثَّوب الَّذي فيه خطوط . (الغَلِيْظَ) ، أي : الخشن ، واختار هذا كله زهداً وقناعة وتنزُّهاً عمَّا يَلْبَسُهُ من لا خلاق له تفاخراً ، وليس ذلك من عجزه ﷺ عن فاخر الألبسة ، بل لعدم ميله إليها كما قال .

(وَيَقْسِمُ) ـ بالتَّخفيف ، ويجوز تشديده بقصد التكثير ـ (عَلَىٰ مَنْ حَضَرَهُ) ؛ أي : حضر عنده (أَقْبِيَةَ) ، جمع قباء : وهو المخيط من اللباس . (الدِّيْبَاجِ) ـ بكسر الدَّال وقد تفتح ـ وهو نوع من الحرير معروف . (المُخَوَّصَةِ) ـ بضمٍّ الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو المفتوحة يليها صاد مهملة وهاء ـ : المزيَّنة (بِالذَّهَبِ) ؛ أي : المنسوجة بأعلامٍ من ذهبٍ كالخُوصِ .

(وَيَرْفَعُ) ؛ أي : يَدَّخر منها (لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ) القسمة إلىٰ أن يحضر فيعيطها له ، إشارة لِقصَّةِ مخرمةَ الَّتي رواها البُخاري ومسلم ؛ عن المِسْوَرِ بنِ مخرمةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال لي أبي : بلغني أنَّه ﷺ جاءته أقبية ، فاذهب بنا إِليهِ . فذهبنا ؛ فوجدناه في منزله ، فقال : ادْعُهُ لي ، فأعظمتُ ذلك . فقال : يا بُنَيَّ ؛ إنَّه ليس بجبَّارٍ . فدعوته ﷺ فخرج ومعه قَبَاءٌ من دِيبَاجٍ مزرَّر بالذَّهب ، فقال : « يَا مَخْرَمَةُ ، خَبَأْتُ لَكَ هٰذَا » ، وجعل ﷺ يُريه محاسنه ، ثمَّ أعطاه له ، فنظر إليه فقال : « رَضيَ مَخْرَمَةُ » فأعطاه إيَّاه . زاد البخاري : وكان في خُلُق مخرمةَ شدَّة محبَّة .

وجَزَمَ الدَّاوودي أنَّ قوله « رَضِيَ مَخْرَمَةُ » من كلام النَّبي ﷺ ، ورجَّح الحافظ أنَّه مِن كلام مخرمَة . (إذِ المُبَاهَاةُ) تعليل لاقتصاره علىٰ ما تدعو ضرورته إليه ؛ أي : لأنَّ إظهار الفخر (فِي المَلاَبِسِ) ؛ جمع ملبس ـ بفتح الميم والباء ـ وهو

وَٱلتَّزَيُّنُ بِهَا . . لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ ٱلشَّرَفِ وَٱلْجَلاَلَةِ ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ ٱلنِّسَاءِ . وَٱلْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ ٱلثَّوْبِ ، ....

واللِّباس بمعنىً ، وأصلُ المباهاةِ المفاخرةُ ، فنُزِّل إظهارها والعجب بها (**وَالتَّزَيُّنُ بِهَا**) ؛ أي : إظهار الزينة في الملابس منزلةَ ذلك .

(**لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ**) ؛ أي : شمائل أصحاب الشَّرافة (**وَ**) أصحاب (**الجَلاَلَةِ**) ، أي : العظمة المعنويّة ، أي : إنَّ المغالاة في ذلك وإظهاره ليس مما يُعَدُّ شَرفاً ، ولا ممَّا يقصده الأشراف .

قال الخفاجي : قال الفقهاء : لُبس الثَّوب الجميل للتَّزيُّن مباحٌ في الجُمَعِ والأعيادِ ومجامعِ النَّاسِ ، وما يستر العورة ويدفع الحرَّ والبرد واجبٌ ، وما فيه جمالٌ لصاحبه مسنونٌ ، بشرط أن لا ينويَ به العظمة والزِّينة ، بل إظهارَ نعمةِ اللهِ وتعظيمَ من يجتمع لملاقاته ، وقد كان ﷺ يفعله ، وقلت في ذلك :

نَصِيحَـــــــةٌ لَطِيفَـــــــةٌ ... قَـــالَـــتْ بِهَـــا الأَكْيَـــاسُ
كُـــلْ مَـــا اشْتَهَيْـــتَ وَالْبَـــسْ ... مَـــا تَشْتَهِيـــهِ النَّـــاسُ

وقد تقدَّم في الفصلِ الخامسِ في صفة طيبه ، الكلام علىٰ التجمُّل واللِّباس بأبسط ممَّا هنا ، فاعتمد ما هناك .

(**وَهِيَ**) ، أي : المباهاة (**مِنْ سِمَاتِ**) ـ بكسر السِّين ـ أي : من خصال (**النِّسَاءِ**) ومَن في حكمهِنَّ كالأطفال ، وأكثرُ مَن يَتَبَاهَىٰ بذلك مُحْدَث النعمة ومن لا قدر له .

(**وَالمَحْمُودُ**) ؛ أي : الممدوح (**مِنْهَا**) عند الله وعند النَّاسِ (**نَقَاوَةُ**) ـ بفتح النون وضمِّها ـ أي : نظافة (**الثَّوْبِ**) ؛ أي : كونه نقيّاً من الوسخ والنَّجاسةِ .

قال الخفاجي : وفي « البستان » : يُستحبُّ للرَّجل الذي له مروءة وعلم أن تكون ثيابه نقيّة من غير كِبْرٍ ، ورأىٰ النَّبيُّ ﷺ رجلاً وسخت ثيابه ، فقال : « أَمَا وَجَدَ هَذَا شَيْئاً يُنَقِّي ثِيَابَهُ » . وقال أيضاً : « مَا عَلَىٰ الرَّجُلِ حَرَجٌ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ سِوَىٰ

وَٱلتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ ، وَكَوْنُهُ لُبْسَ مِثْلِهِ . غَيْرُ مُسْقِطٍ لِمُرُوءَةِ جِنْسِهِ .

وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : إِنَّ ٱلْجَمَالَ فِي ٱلصُّورَةِ وَٱللِّبَاسِ وَٱلْهَيْئَةِ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ : مِنْهُ مَا يُحْمَدُ ، وَمِنْهُ مَا يُذَمُّ ، وَمِنْهُ مَا لاَ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَدْحٌ وَلاَ ذَمٌّ :

فَٱلْمَحْمُودُ مِنْهُ : مَا كَانَ للهِ ، وَأَعَانَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ ، وَٱلاسْتِجَابَةِ لَهُ ؛ كَمَا كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَمَّلُ لِلْوُفُودِ ، . . . .

ثَوْبَي مِهْنَتِهِ » . وفي المثل : « المَرُوءَةُ الظَّاهِرَةُ فِي الثِّيابِ الطَّاهِرَةِ » . انتهىٰ كلام الخفاجي .

(**وَالتَّوَسُّطُ فِي جِنسِهِ**) ، أي : المحمودُ في اللِّباس استعمالُ الوسط منهُ ، فلا يكونُ نفيساً جدّاً ولا خسيساً ، لورود الذَّمِّ عن لبس الشّهرتين . قال النووي : كانوا يكرهون الشّهرتين : الثِّيَابُ الجيادُ والثِّيَاب الرَّذلة ، إذ الأَبْصار تمتدُّ إليهما جميعاً ، وبهذا ورد الحديث . انتهىٰ ؛ نقله الزرقاني علىٰ « المواهب » .

(**وَكَوْنُه لُبْسَ**) ـ بضم فسكون ـ (**مِثْلِهِ**) ، أي : ممَّا تلبسه أمثاله حال كونه (**غَيْرَ مُسْقِطٍ لِمَرُوءَةِ جِنْسِهِ**) ، أي : لا يُعدُّ مسقطاً لمروءة أمثاله ، فينبغي أن يوافق أمثالَهُ في لباسهم ولا يخالفهم ؛ فيوقع النَّاس في الفتنة .

(وَ) قال القُسطُلاَّني (**فِي** « **المَوَاهِبِ** » اللدنيّة » : (**إِنَّ الجَمَالَ فِي الصُّورَةِ**) لتحسينها بإزالة الشَّعث ، (وَ) في (**اللِّبَاسِ**) بكونه ليس جنس لابسه . (**وَالهَيْئَةِ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ : مِنْهُ مَا يُحْمَدُ ، وَمِنْهُ ما يُذَمُّ ، وَمِنْهُ مَا لاَ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَدْحٌ وَلاَ ذَمٌّ**) فهو جائز .

(**فَالمَحْمُودُ مِنْهُ : مَا كَانَ للهِ وَأَعَانَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالىٰ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ وَالاسْتِجَابَةِ**) ؛ أي : الإجابة (**لَهُ ، كَمَا كَانَ** ﷺ **يَتَجَمَّلُ لِلْوُفُودِ**) لملاقاتهم ، استعانةً علىٰ تنفيذ أَوامر اللهِ تعالىٰ ، لما جرت به عادة البَشَرِ من انقيادهم لصاحب الهيئة وقبول كلامه .

وَهَـٰذَا نَظِيرُ لِبَاسِ آلَةِ ٱلْحَرْبِ لِلْقِتَالِ ، وَلِبَاسِ ٱلْحَرِيرِ فِي ٱلْحَرْبِ ، وَٱلْخُيَلاَءِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ إِذَا تَضَمَّنَ إِعْلاَءَ كَلِمَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَنَصْرَ دِينِهِ ، وَغَيْظَ عَدُوِّهِ .

وَٱلْمَذْمُومُ مِنْهُ : مَا كَانَ لِلدُّنْيَا ، وَٱلرِّئَاسَةِ ، وَٱلْفَخْرِ وَٱلْخُيَلاَءِ ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ غَايَةَ ٱلْعَبْدِ وَأَقْصَىٰ مَطْلَبِهِ .

وَأَمَّا مَا لاَ يُحْمَدُ وَلاَ يُذَمُّ : فَهُوَ مَا خَلاَ عَنْ هَـٰذَيْنِ ٱلْقَصْدَيْنِ ، وَتَجَرَّدَ عَنِ ٱلْوَصْفَيْنِ ، وَقَدْ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُضَيِّقُ بِٱلاقْتِصَارِ بِٱلاقْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ مِنَ ٱللِّبَاسِ بِعَيْنِهِ ، وَلاَ يَطْلُبُ ٱلنَّفِيسَ ٱلْغَالِيَ ، بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ .

(**وَهَذَا نَظِيرُ لِبَاسِ آلَةِ الحَرْبِ لِلْقِتَالِ**) لإعلاء كلمة الله تعالىٰ ، وتخويف أعدائه ، (**وَلِبَاسِ الحَرِيرِ فِي الحَرْبِ**) علىٰ قول من أجازه ، (**وَالخُيَلاَءِ**) : التبختر (**فِيهِ**) وإظهار العجب ، (**فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ إِذَا تَضَمَّنَ إِعْلاَءَ كَلِمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ**) : الشَّهادة له بالوحدانيَّة ولنبيِّهِ بالرِّسالةِ ، (**وَنَصْرَ دِينِهِ وَغَيْظَ عَدُوِّهِ**) .

وَالمَذْمُومُ مِنْهُ) ؛ وهو النَّوع الثَّاني : (**مَا كَانَ لِلدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةِ وَالفَخْرِ وَالخُيَلاَءِ ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ غَايَةَ العَبْدِ وَأَقْصَىٰ مَطْلَبِهِ**) ، فإنَّ كثيراً من النَّاس ليس له همَّة في سوىٰ ذلك ، بئست الهِمَّة . كما قال الشَّاعر يهجو :

إِنِّي رَأَيْتُ مِنَ المَكَارِمِ حَسْبَكُمْ   أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا

(**وَأَمَّا مَا لاَ يُحْمَدُ وَلاَ يُذَمُّ**) ؛ وهو النَّوْعُ الثَّالِثُ (**فَهُوَ : مَا خَلاَ عَنْ هَذَيْنِ القَصْدَيْنِ ، وَتَجَرَّدَ عَنْ**) هذين (**الوَصْفَيْنِ**) لا يحمد ولا يذمُّ فهو جائز ، (**وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ**) يتجوَّز من اللباس ؛ أي : يتوسَّع و (**لاَ يُضَيِّقُ بِٱلاقْتِصَارِ عَلَىٰ صِنْفٍ مِنَ ٱللِّبَاسِ بِعَيْنِهِ ، وَلاَ يَطْلُبُ ٱلنَّفِيسَ**) أي : (**الغَالي**) ـ بالغين المعجمة ـ (**بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ**) بلا كلفة .

ثُمَّ قَالَ : رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي « ٱلْحِلْيَةِ » . . . .

ولذا أورد البخاري في الباب حديث عمر في جلوس النبيِّ ﷺ في المَشْرُبَةِ ، لَمَّا حلف « لا يدخل على نسائه شهراً » ، وفيه : فدخلت فإذا النَّبيُّ ﷺ على حصير قد أثَّرَ في جنبه ، وتحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف ، وإذا أُهُبٌ معلقةٌ وقرظ .

وحديثُ أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها : استيقظ النَّبيُّ ﷺ وهو يقول : « لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ ؛ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ ؟! مَاذَ أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ ؟! مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجَرِ ؟! كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ » . ففِيه التحذير من لبْسِ رقيق الثِّيابِ الوَاصِفَةِ لِلْجَسَدِ ، وهو وجه إدخاله في هذه التَّرجمة .

وروى أبو نُعَيْمٍ ، وابنُ عدي ؛ عن عبادةَ بنِ الصَّامِتِ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : صلَّى بنا رسول الله ـ ﷺ ـ في شملةٍ أراد أن يتوشَّح بها فضاقت ، فعقدها في عنقه هكذا ـ وأشار سفيان إلى قفاه ـ ليس له غيرها .

(**ثم قال**) في « المواهب اللدُنيَّة » بعد نقل كلام « الشِّفاء » السابق :

وقد (**رَوَىٰ أَبُو نُعَيمٍ**) الحافظ المؤرِّخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ،

ولد سنة : ـ ٣٣٦ ـ ستٍّ وثلاثين وثلثمائة هجرية ، وكان من الثِّقَاتِ المعروفين بالحفظ والإتقان .

ومن مؤلَّفاتِهِ « حلية الأَولياء وطبقات الأَصفياء » ، و« معرفة الصَّحابة » و« طبقات المحدِّثين والرواة » و« دلائل النُّبوَّة » و« ذكر أخبار أَصْبهان » .

وكانت وفاته سنة : ـ ٤٣٠ ـ ثلاثين وأربعمائة ؛

(**فِي**) كتاب (« **الحِلْيَةِ** ») الذي قيل فيه : إنَّه لم يصنَّفْ مثله ، ولما صَنَّفَه حُمل الكتاب في حياة مؤلِّفه إلىٰ نَيْسَابُورَ فاشتروه بأَربعمائة دينارٍ .

وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامي جماعةٍ منَ الصَّحابة والتَّابعينَ ، ومَنْ بعدهم مِنَ الأَئمَّة الأعلامِ المحقِّقينَ والمتصوِّفة والنُّسَّاكِ ، وبعض أحاديثهم وكلامهم ، رحمه الله تعالى .

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً : « إِنَّ مِنْ كَرَامَةِ ٱلْمُؤْمِنِ عَلَىٰ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . . نَقَاءَ ثَوْبِهِ ، وَرِضَاهُ بِٱلْيَسِيرِ » .

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلاً وَسِخَةً ثِيَابُهُ فَقَالَ : « أَمَا وَجَدَ هَـٰذَا شَيْئاً يُنَقِّي بِهِ ثِيَابَهُ؟ » .

قَالَ : وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ وَأَخَفَّ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِٱلْكَبِيرَةِ ٱلَّتِي يُؤْذِي حَمْلُهَا وَيُضْعِفُهُ وَيَجْعَلُهُ عُرْضَةً لِلآفَاتِ ، . . . .

(عَنِ ابْنِ عُمَرَ) بن الخطاب (مَرْفُوعاً) قال : (« إِنَّ مِنْ كَرَامَةِ المُؤْمِنِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) ـ أي : نَفَاسَتِهِ وعزَّته ، أي : من حُسْنِ حالِهِ الَّذي يُثِيبُه عَلَيْه ، ويَصِيرُ بِهِ مُقَرَّباً عنده ـ (نَقَاءَ ثَوْبِهِ) ـ أي : نظافَته ونزاهته عن الأَدْناس ـ (وَرِضَاهُ) ـ بالقصر ـ (باليَسِيْرِ) ؛ من مَلْبَسٍ ومأكلٍ ومشربٍ أو من الدُّنيا ، قيل : دخل زائر على أبي الحَسَن العَروضِيِّ ؛ فوجده عُرْيَاناً !! فقال : نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيِّب :

قَـوْمٌ إِذَا غَسَلُـوا ثِيَـابَ جَمـالِهِـمْ لَبِسُـوا البُيُـوتَ وَزَرَّرُوا الأَبْـوابـا

(وَلَهُ) أيضاً ؛ (مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً وَسِخَةً ثِيَابُهُ ؛ فَقَالَ : « أَمَا وَجَدَ) ـ وفي نسخة : « أَمَا رَأَىٰ » ـ (هَذَا شَيْئاً يُنَقِّي بِهِ ثِيَابَهُ » .) استفهام توبيخي على وسخ ثوبه ، ولم يخاطبه لئلاً ينكسر خاطره ، وإشارة إلىٰ أَنَّ الحكم لا يختصُّ به .

(قال) في « المواهب » أيضاً : (وَ)قد (كَانَتْ سِيْرَتُهُ ﷺ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ) : اسم تفضيل ، وكذا قوله (وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ ، وَأَخَفَّ عَلَيْهِ) ، والمفضَّل عليه محذوف ؛ أي : مِمَّا جرت العادة بلبسه .

(فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِالكَبِيرَةِ الَّتِي يُؤْذِي حَمْلُهَا) حاملَها (وَيُضْعِفُهُ ، وَيَجْعَلُهُ عُرْضَةً لِلآفَاتِ) كصداع ومرض عين وزكام ؛ كما يُشَاهد من حال أصحابها .

وَلاَ بِٱلصَّغِيرَةِ ٱلَّتِي تَقْصُرُ عَنْ وِقَايَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلأَرْدِيَةُ وَٱلأُزُرُ أَخَفُّ عَلَىٰ ٱلْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوَسِّعُهَا) ٱنْتَهَىٰ .

(**وَلاَ بِالصَّغِيرَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَن وِقَايَةِ**) ـ بكسر الواو ، وفتحُها لغةٌ ـ : حِفْظِ (**الرَّأسِ مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ**) ، بل كانت وسطاً بين ذلك ، (**وَكَذَلِكَ الأَرْدِيَةُ**) : جمع رداء ، (**وَالأُزُرُ**) : جمع إزار ، (**أَخَفُّ عَلَىٰ البَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا**) كالجوخ والفِراء ، (**وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوَسِّعُهَا**) ، بل كان كمُّ قميصه إلى الرّسغ كما سيأتي .

قال ابن القَيِّم : وأمَّا هذه الأكمامُ الواسعة الطوال التي هي كالأخراج ، وعِمَائِمُ كالأَبْراجِ !! فلم يلبسها عليه الصَّلاة والسَّلام هُوَ ولا أحد من أصحابه ، وهي مخالفة لسنَّته ؛ وفي جوازها ، فإنَّها من جنس الخيلاء . انتهى .

قال صاحب « المدخل » : ولا يخفى على ذي بصيرة أن كُمَّ بعضِ مَن يُنسب إلى العلم اليوم فيه إضاعة المال المنهيّ عنه ، لأنَّه قد يُفصَّل من ذلك الكم ثوب لغيره . انتهى . وهو حسنٌ .

لكن حدث للنَّاسِ اصطلاحٌ بتطويلها ، وصار لكلِّ نوع من النَّاس شعار يعرفون به ، فيجوز لمن صارت شعاره ، بل قد يُطلب ، لأن مخالفته تخلُّ بمروءة صاحبه ، وما كان من ذلك على سبيل الخيلاء ؛ فلا شكَّ في تحريمه ؛ ولو كان شعاراً ، وما كان على طريق العادة ! فلا تحريم فيه ، بل يجوز ما لم يصل إلى جَرِّ الذَّيل الممنوع منه .

ونقلَ القاضي عياض عن العلماءِ كراهة كلِّ ما زاد على العادة للنَّاس وزاد على المعتادِ في اللِّباس لمثل لابسه في الطُّول والسَّعة ، فينبغي تجنُّب ذلك . (**انتَهَىٰ**) ؛ أي : كلام « المواهب » مع شيء من شرح الزَّرقاني رحمهم الله تعالى .

(**وَ**) أخرج التِّرمذي في « الجامع » و« الشمائل » ، وأبو داود ، والنسائي ، والحاكم ، كلهم ؛ عن أمِّ سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت :

وَكَانَ أَحَبَّ ٱلثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهُ . ٱلْقَمِيصُ . وَ(ٱلْقَمِيصُ) : ٱسْمٌ لِمَا يُلْبَسُ مِنَ ٱلْمَخِيطِ ٱلَّذي لَهُ كُمَّانِ وَجَيْبٌ ، يُلْبَسُ تَحْتَ ٱلثِّيَابِ ، وَلاَ يَكُونُ مِنْ صُوفٍ . كَذَا فِي « ٱلْقَامُوسِ » .

(كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ) جمع ثوب ، وهو : اسم لما يَسْتُر به الشَّخص نفسه ؛ مخيطاً كان أو غيرها ـ (إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ يَلْبَسُهُ) ؛ جملة حالية عن « أحب الثياب » وتذكير الضمير !! باعتبار الثوب ، (القَمِيْصُ) وفيه إشعار بما لأجله كان أحبَّ إليه ، إنَّه كان يحبُّه لِلُبسه ؛ لا لنحو إهدائه ، فهو أحبُّ إليه لُبساً ، وقولُه « أحبُّ » اسمُ « كان » ؛ فيكون مرفوعاً ، والقميصُ خبرها ؛ فيكون منصوباً ، وهو المشهور في الرِّواية ، وقيل عكسه ، أي : بنصب « أحبّ » على أنَّه الخبر ، ورفع « القميص » على أنّه اسم « كان » ، قال الزرقاني : ورجّح بأنَّه وصف ، فهو أولىٰ بكونه حكماً .

ولا يردُ عليه أن المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين مُنِعَ تقديمُ الخبر !! لأنَّ محله حيث لا ناسخ ؛ كما في قوله ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [١٥/الأنبياء] ، ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ [١٤٧/آل عمران] . انتهى .

ومعنى كون القميص أحبّ ـ كما قال المناوي وغيره ـ: أنَّه كان يميل إلىٰ لبسه أكثر منْ غيره ، لأنَّه أَسْتَرُ للبدن من الإزار والرِّداء ، لاحتياجهما إلى حَلٍّ وعقد ، بخلاف الثَّوب ، ولخفَّةِ مُؤْنَتِهِ وَخِفتِهِ عَلى البدن ، ولابسه أقلُّ كبراً من لابس غيره .

فالقميص أحبُّها إليه لُبساً ، والحِبَرَةُ أحبُّها إليه رداءً ، فلا يعارض حديث أنس الآتي : كان أحبَّ الثياب إلىٰ رسول الله ﷺ يلبسه الحِبَرة . أو أن القميص أحبّ المخيط ، والحِبَرَة أحبّ غيره ، انتهى .

(وَالقَمِيْصُ) ـ جمعه قمصان وقُمُص بضمَّتين ـ وهو : (اَسْمٌ لِمَا يُلْبَسُ مِنَ المَخِيْطِ الَّذِيْ لَهُ كُمَّانِ وَجَيْبٌ) غير مفرَّج ؛ (يُلْبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ ، وَلاَ يَكُوْنُ) إلاَّ من قطن ، أمَّا (مِنْ صُوْفٍ !) فلا ؛ (كَذَا فِي « القَامُوْسِ ») ، مأخوذ من التقمُّصِ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَىٰ قَمِيصٍ وَاحِدٍ ؛ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاءً لِعَشَاءٍ ، وَلاَ عَشَاءً لِغَدَاءٍ ، وَلاَ ٱتَّخَذَ مِنْ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ ، وَلاَ قَمِيصَيْنِ وَلاَ رِدَاءَيْنِ وَلاَ إِزَارَيْنِ ، وَلاَ زَوْجَيْنِ مِنَ ٱلنِّعَالِ .

وَكَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ٱلرُّسْغِ .

بمعنى التقلُّب ؛ لِتقلُّبِ الإنسان فيه . وقيل : سمِّي باسم الجلدة الَّتي هي غلاف القلب ، فإن اسمها القميص ، وهو مذكَّر ، وقد يُؤَنَّث ، والظَّاهر أنَّ المراد في الحديث القُطْنُ والكَتَّان ؛ دون الصُوف ، لأنَّه يؤذي البدنَ ويدرُّ العرق ، ويُتَأَذَّى بريح عرقه المصاحب .

(وَ) قال الباجوري كالمناوي : (**لَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ سِوَى قَمِيْصٍ وَاحِدٍ** ؛ **فَقَدْ وَرَدَ**) في « الوفا » بسنده ؛ (**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ غَدَاءً لِعَشَاءٍ ؛ وَلاَ عَشَاءً لِغَدَاءٍ ، وَلاَ اتَّخَذَ مِنْ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ ؛ وَلاَ قَمِيْصَيْنِ ، وَلاَ رِدَاءَيْنِ ، وَلاَ إِزَارَيْنِ ، وَلاَ زَوْجَيْنِ مِنَ النِّعَالِ**) . انتهى كلامهما .

قال المصنف في « جواهر البحار » بعد ذكره ذلك : وقد صرح بعض الأئمَّةِ بضعف هذا الحديث . (وَ) أخرج أبو داود ، والتِّرمذي في « الجامع » ـ وقال : حسن غريب ، وفي « الشَّمائل » واللّفظ لها ـ ورواه أيضاً البيهقي في « الشُّعَب » ؛ كلهم عن أَسْمَاءَ بنتِ يزيد الأَنصارية ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت :

(**كَانَ كُمُّ**) ـ بالضم وتشديد الميم ـ (**قَمِيْصِ**) ـ وفي رواية : « كَانَ كُمُّ يَدِ » ـ (**رَسُوْلِ اللهِ ﷺ**) ـ قال الزَّين العراقي : رواية التِّرمذي في « الشمائل » مقيَّدة بالقميص ، وروايته في « الجامع » مطلقة ، فيحتمل حملها عليه ، ويحتمل العموم ـ (**إِلَىٰ الرُّسْغِ**) ـ بضمِّ الرَّاء وسكون السِّين أو الصَّاد لغتين ، ثم غين معجمة بزنة قُفْل . قال الزُّرقاني : وبالصَّاد رواه الترمذي ، وأبو داود ، وبالسِّين غيرهما ـ .

وَ(ٱلرُّسْغُ) : مَفْصِلُ مَا بَيْنَ ٱلْكَفِّ وَٱلسَّاعِدِ مِنَ ٱلإِنْسَانِ .
وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُمُّهُ مَعَ ٱلأَصَابِعِ .

وحكمة كونه إلى الرُّسْغِ : أنَّه إنْ جاوز اليد مَنَع لابسه سرعة الحركة والبطش ، وإن قصر عن الرُّسْغِ ! تَأَذَّىٰ السَّاعد ببروزه للحرِّ والبرد ، فكان جعله إلىٰ الرُّسغ وسطاً ، وخير الأمور أوساطها ، فينبغي لنا التأسِّي به .

ولا يعارض هذه الرِّواية روايةُ « أسفل من الرسغ » ! لاحتمال تعدُّد القميص ، أو المراد : التقريب ، أو الاختلاف بحسب أحوال الكُمِّ ، فحال جِدَّتِهِ وعقب غسله يكون أطولَ لعدم تَثَنِّيه وتجعُّده ، وإذا بعد عن ذلك تثنَّى وقصر .

ولا يعارضه أيضاً ما رواه الحاكم وصحَّحه ، وأبو الشَّيخ ؛ عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : أنَّ رسول الله ﷺ لبس قميصاً وكان فوق الكعبين ، وكان كمُّه إلىٰ الأصابع . ! لأنَّ الرُّسغَ مخصوص بقميص السَّفر ، أما في الحضر فكان يلبس قميصاً من قطن فوق الكعبين ؛ وكمَّاه مع الأصابع ، كما جمع بينهما بذلك بعضُهم ؛ نقله الجلال السيوطي قائلاً :

ويؤيده ما أخرجه سعيد بن منصور ، والبيهقي ؛ عن علي : أنه كان يلبس القميص ثم يمدُّ الكمَّ حتَّى إذا بَلَغَ الأَصابعَ قطع ما فَضَل ؛ ويقول : « لاَ فَضْلَ لِلْكُمَّيْنِ عَلَىٰ ٱلأَصَابِعِ » . انتهى . ويجري ذلك في أكمامنا .

قال الحافظ زين الدِّين العراقي : ولو أطال أكمام قميصه حتَّى خرجت عن المعتاد ؛ كما يفعله كثير من المتكبِّرين !! فلا شكَّ في حُرمة ما مَسَّ الأرض منها بقصد الخُيلاء ، وقد حدث للناس بتطويلها ، فإن كان من غير قصد الخيلاء بوجه من الوجوه ! فالظاهر عدم التحريم . انتهى .

(**وَالرُّسْغُ**) ـ بالسِّين والصَّاد لغتان صحيحتان ـ : (**مَفْصِلُ**) ـ بزنة مسجد ـ (**مَا بَيْنَ الكَفِّ وَالسَّاعِدِ مِنَ الإِنْسَانِ**)، وهو مختصٌّ في الآدميِّ باليد ؛ دون الرِّجل .

(**وَ**) في « كنوز الحقائق » للمناوي : (**كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ كُمُّهُ مَعَ الأَصَابِعِ**) ؛

وَكَانَ قَمِيصُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَكَانَ كُمُّهُ مَعَ ٱلأَصَابِعِ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ قَمِيصاً . بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ .
وَعَنْ قُرَّةَ ....

ورمز له برمز الحاكم ، وهذا قطعة من الحديث الآتي بعده .

(وَ) أخرج الحاكم ؛ عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال :

(**كَانَ قَمِيْصُهُ ﷺ فَوْقَ الكَعْبَيْنِ**) ؛ أي : إلى أنصاف ساقيه ؛ كما في رواية : (**وَكَانَ كُمُّهُ مَعَ الأَصَابِعِ**) ؛ أي : مساوياً لا يزيد ولا ينقص عنها ، وقد علمتَ أنَّ هذا محمولٌ على حالة الحَضَر ، فلا يعارض ما تقدَّم أنَّ كمَّه إلىٰ الرسْغِ .

وقد أخرج البيهقي في « الشُّعب » ؛ من طريق مسلم الأعور ؛ عن أنس : أنَّه ﷺ كان له قميص من قطن قصير الطُول قصير الكمِّ .

وأخرج أيضاً ؛ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان يلبس قميصاً قصير الكمَّين والطّول . انتهى « مُناوي » .

(وَ) أخرج التّرمذي في « جامعه » بسند ـ قال العراقي : رجاله رجال الصَّحيح ـ وأخرجه النَّسائي أيضاً كلاهما ؛ عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال :

(**كَانَ**) رسول الله (**ﷺ إِذَا لَبِسَ قَمِيْصاً بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ**) ؛ جمع ميمنة : كمرحمة ومراحم ، والمراد بها هنا : جهة اليمينِ .

فيندَبُ التيامن في اللُّبسِ كما يندب التياسر في النَّزع ، لخبر أبي داود ؛ عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : كان إذا لبس شيئاً من الثِّياب بدأ بالأيمن ، فإذا نزع بدأ بالأيسر . وله من حديث أنس : كان إذا ارتدى أو ترجَّل بدأ بيمينه ، وإذا خلع بدأ بيساره . قال الزَّين العراقي : وسندهما ضعيف .

(وَ) أخرج أبو داود ، وابن ماجه ، والتِّرمذي في « الجامع » وصحَّحه ؛ وفي « الشَّمائِل » ، وابن حبَّان وصحَّحه أيضاً ؛ (عَنْ قُرَّةَ) ـ بضم القاف وفتح الراء

ٱبْنِ إِيَاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ مُزَيْنَةَ لِنُبَايِعَهُ ، وَإِنَّ زِرَّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ ، قَالَ : فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ ، فَمَسِسْتُ ٱلْخَاتَمَ .

المشددة ـ (ابْنِ إِيَاسٍ) ـ بالكسر ـ ابن هلال المزني .

صحابيّ نزل البَصْرةَ ، ومات سنة : أربع وستين هجرية ، خرّج له الأربعة (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ) ، أي : مع رهط ، فتكون « في » بمعنى « مع » ، كقوله تعالى ﴿ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ ﴾ [٣٨/الأعراف] ؛ أي : مع أمم ، والرَّهْطُ ـ بفتح الرَّاء وسكون الهاء ـ اسم جمع لا واحد له من لفظِهِ ؛ وهو من ثلاثة إلىٰ عشرة أو إلىٰ أربعين ، ويطلق على مطلق القوم ؛ كما في « القاموس » ، ولا ينافي التعبير بـ « الرَّهط » رواية أنَّهم كانوا أربعمائة !! لاحتمال تفرُّقهم رهطاً رهطاً ؛ وقُرَّةُ كان مع أحدهم ، أو أنَّه مبنيٌّ على القول الأخير .

(مِنْ مُزَيْنَةَ) ـ بالتصغير ـ قبيلة من مُضَرَ ، وأصله اسم امرأة .

(لِنُبَايِعَهُ) ـ أي : على الإسلام ، وهو متعلِّق بقوله « أتيت » ـ (وَإِنَّ زِرَّ قَمِيْصِهِ) بالإضافة (مُطْلَقٌ) ـ بلام ـ أي : غير مربوط ، والجملة حال .

(قَالَ) : قرَّةُ (فَأَدْخَلْتُ يَدِي) ـ بصيغة الإفراد ـ (فِي جَيْبِ قَمِيْصِهِ) ؛ أي : فتحته الَّتي عند النَّحر ؛ إذ جيب القميص : ما ينفتح على النَّحرِ ، وجمعه : أجيابٌ ، وجيوبٌ ، ويطلق الجَيْبُ أيضاً على ما يُجعل في صدر الثَّوبِ أو جنبه ليوضع فيه الشَّيء ، لكنَّ المراد من الجيب في هذا الحديث طوقه المحيط بالعنقِ ، وهذا يدلُّ على أنَّ جيبَ قميصه ﷺ على الصَّدر كما هو المعتاد الآن ؛ قال الجلال السُّيوطي : وظنَّ من لا علم عنده أنَّه بدعةٌ ؛ وليس كما ظن . انتهى .

(فَمَسِسْتُ) ـ بكسر السِّين الأولىٰ في اللُّغة الفصحىٰ ، وحكي فتحها ـ (الخَاتَمَ) ؛ أي : خاتم النُّبوَّة ، والمسُّ : الجسُّ باليد ، يقال : مسستُهُ ؛ إذا أفضيت إليه بيدك من غير حائل . هكذا قيَّدوه ، والظَّاهر أنَّ قُرَّةَ كان يعلم الخاتم ،

وَكَانَ أَحَبُّ ٱلثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْحِبَرَةَ ـ بِوَزْنِ عِنَبَةٍ ـ بُرْدٌ يَمَانِيٌّ مُحَبَّرٌ ؛ أَيْ : مُزَيَّنٌ مُحَسَّنٌ .

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ ، فِيهِمَا خُطُوطٌ خُضْرٌ . . . .

وإنَّما قصد التبرُّك ، ومن ثمَّ اغتفرَ له ﷺ هذا الفعل الذي ينافيه جلالة منصبه الكبير ، ورعاية الأدب معه ، لا سيَّما بحضرة النَّاسِ .

وفي هذا الحديث حِلُّ لُبس القميص ، وَحِلُّ الزِّرِّ فيه ، وحِلُّ إطلاقه ، وسَعَةُ الجيب بحيث تدخل اليد فيه ، وإدخال يد الغير في الطَّوق لمسِّ ما تحته تبرُّكاً ، وكمال تواضعه ﷺ .

(وَ) أخرج البخاريُّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنَّسائي ، والتِّرمذي ، في « الشمائل » ؛ عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(**كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ** ﷺ) أن يلبسها ـ هذا لفظ رواية الشَّيخين ـ (**الحِبَرَةَ**) ـ بالنصب ، خبر « كان » ، و « أحبُّ » : بالرفع ، اسمها ، ويجوز عكسه ـ والحبرة ؛ (ـ **بِوَزْنِ عِنَبَةٍ** ـ : **بُرْدٌ يَمَانِيٌّ**) من قطنٍ (**مُحَبَّرٌ**) ـ بالتَّشديد ـ (**أَي : مُزَيَّنٌ مُحَسَّنٌ**) بخطوط حمر ، والتَّحبير : التَّزيين والتَّحسين ، والظَّاهر أنَّه إنَّما أَحَبَّها لِلِيْنِهَا وحسن انسجام صَنْعَتِهَا وموافقتها لجسده الشَّريف ، فإنَّه كان علىٰ غاية من النُّعومة واللِّيْنِ ، فيوافقه اللَّيِّنُ النَّاعم ، وأمَّا شديدُ الخشونة فيؤذيه ، ولا يعارض ذلك ما تقدَّم من أنَّه كان الأحبَّ إليه القَميص ، لأنَّ ذلك بالنسبة لما خيط وهذا بالنِّسبة لما يرتدي به ، أو أنَّ محبَّته للقميص كانت حينَ يكون عند نسائه ، والحبرة كانت حين يكون بين صحبه ، علىٰ أنَّ هذا الحديث أصحُّ من حديث أمِّ سلمة السَّابق لاتِّفاق الشَّيخين عليه ، فلا يعارضه الحديث السَّابق ، والله أعلم .

(وَ) في « كشف الغمَّة » للإمام الشَّعرانيِّ رحمه الله تعالىٰ : (**كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ** ﷺ **بُرْدَانِ**) ـ تثنية برد ، وهو ؛ كما في « القاموس » : ثوب مخطَّط ـ (**أَخْضَرَانِ**) ، أي : (**فِيْهِمَا خُطُوْطٌ خُضْرٌ**) ، أي : مخطَّطان بخطوط خضر ،

لاَ بَحْتاً . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ ٱلثِّيَابُ ٱلْخُضْرُ .

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ . . . .

(**لاَ بَحْتاً**) ـ بفتح الموحَّدة وسكون المهملة وفوقية ، أي : خالصاً ، لما علمتَ أن البرد ثوب مخطَّط ، فتعقيبُه بالخُضْرةِ يدلُّ علىٰ أنَّه مخطَّط بها ، ولو كان أخضر بَحتاً لم يكن برداً .

روىٰ التِّرمذي في « جامعه » وفي « الشمائل » ؛ عن أبي رِمْثة رضي الله تعالىٰ عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ ؛ وعليه بردان أخضران .

(**وَ**) في « إحياء علوم الدين » للغزالي رحمه الله تعالىٰ : (**كَانَ**) رسول اللهِ (ﷺ **يُعْجِبُهُ الثِّيَابُ الخُضْرُ**) ، أغفله العراقيُّ في تخريجه .

وقد روىٰ أبو الشَّيخ وأبو نعيم في « الطب » من حديث أنس : كان أحبَّ الألوان إليه الخضرة . أي : من الثِّياب وغيرها ، لأنَّ الخضرة من ثياب الجنَّة . قال ابن بطَّال : وكفىٰ به شرفاً موجباً للمحبَّة . ورواه كذلك البزار .

وأخرج ابن عديٍّ والبيهقيُّ ؛ عن قتادة قال : خرجت مع أنسٍ رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ أرضٍ فقيل : ما أحْسَنَ هذه الخضرة ! فقال أنسٌ : كنا نتحدَّثُ أنَّ أحبَّ الألوان إلىٰ النبيِّ ﷺ الخضرة . انتهىٰ « شرح الإحياء » .

(**وَ**) أخرج التّرمذي في « الجامع » و« الشمائل » بسنده ؛ (**عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ**) ـ بتقديم الجيم علىٰ الحاء المهملة ـ: وهب بن عبد الله السُّوائي ـ بضمِّ المهملة والمدِّ ـ مشهورٌ بكنيته .

ويقال له « وهب الخير » ، صحابيٌّ مشهور معروف ، وصحب علياً ومات سنة : ـ ٧٤ ـ أربع وسبعين هجريةً . (**رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ قَالَ** :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ) ، أي : في بطحاء مكَّة في حجَّة الوداع ، كما صرَّح به في رواية البخاريِّ . (**وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ**) ؛ أي : والحال أنَّ عليه حلَّةً حمراء ،

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَرِيقِ سَاقَيْهِ . وَ(ٱلْحُلَّةُ) بِالضَّمِّ : إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ، وَلاَ تَكُونُ حُلَّةً إِلاَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ ، أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بِطَانَةٌ .

فالجملة حالية ، (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَرِيْقِ) لمعان (سَاقَيْهِ) .

والظَّاهر أنَّ « كَأَنَّ » للتَّحقيق ، لأنَّها قد تأتي لذلك ، وإنَّما نظر إلىٰ بريق ساقيه ! لكون الحُلَّة كانت إلىٰ أَنْصاف ساقيهِ الشَّريفتين .

وهذا يدلُّ علىٰ جواز النظر إلىٰ ساق الرَّجل ، وهو إجماعٌ حيث لا فتنة ؛ ويؤخذ منه ندب تقصير الثِّياب إلىٰ أَنْصاف السَّاقين ، فيسنُّ للرَّجل أن تكون ثيابُه إلىٰ نصف ساقيه ، ويجوز إلىٰ كَعْبَيْهِ ، وما زاد حرام إنْ قصدَ به الخُيَلاء . وإلاّ كُره ، ويُسَنُّ للأنثىٰ ما يسترها ، ولها تطويله ذراعاً علىٰ الأرض ، فإن قَصَدَتِ الخيلاء ! فكالرَّجل .

وهذا التفصيل يجري في إسبال الأَكمام وتطويل عذبة العمائم ، وعلىٰ قصد الخيلاء يحمل ما رواه الطَّبراني : « كُلُّ شَيْءٍ مَسَّ الأَرْضَ مِنَ الثِّيَابِ فَهُوَ فِي النَّارِ » . وما رواه البخاريُّ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فِي النَّارِ » . أي : محلُّه فيها فتجوَّز به عن محله .

(وَ) في « القاموس » (الحُلَّةُ ـ بِالضَّمِّ ـ: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ) مثلاً ، برد أو غيره ، وإلا فمتىٰ وُجِد ثوبان علىٰ البدن كانا حلَّة ، علىٰ ما يفيده قوله :

(وَلاَ تَكُوْنُ) ، أي : توجد (حُلَّةً إِلاَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ ، أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بِطَانَةٌ) . وفي « المصباح » : الحلة لا تكون إلاَّ من ثوبين من جنسٍ واحد ، والجمع حُلَل كغرفة وغُرف . وفي « الفتح » : قال أبو عبيد : الحلل : برودُ اليَمن ، والحلَّة : إزار ورداء . ونقله ابن الأثير وزاد : إذا كان من جنس واحد ، وقال ابن سِيْده في « المحكم » : الحلَّة برد أو غيره .

وحكىٰ عياض : أنَّ أصل تسمية الثَّوبين « حلَّة » أنَّهما يكونان جديدين كما حل خَيْطهما ، وقيل : لا يكون الثَّوبان حلَّة حتَّى يُلْبس أحدهما فوق الآخر ، فإذا كان فوقَه فقد حلَّ عليه ، والأوَّل أشهر . انتهىٰ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْسُو بَنَاتِهِ خُمُرَ ٱلْقَزِّ وَٱلإِبْرَيْسَمِ . وَ(الْخُمُرُ) ـ كـ « كُتُبٍ » ، جَمْعُ خِمَارٍ ـ وَهُوَ : مَا تُغَطِّي بِهِ ٱلْمَرْأَةُ رَأْسَهَا .

قال سفيان أحد رواة هذا الحديث : أظنُّ هذه الحُلَّة الحمراء المذكورة في الحديث مخطَّطة ؛ لا حمراء قانية . انتهىٰ . وهذا بناء علىٰ مذهبِهِ من حُرمة الأحمر البحت ، أي : الخالص .

وقال ابن القيِّم : غلط مَن ظَنَّ أنَّها حمراء بحت لا يخالطها غيرها ، وإنَّما الحلَّةُ الحمراءُ بردان يمانِيَّانِ مخطَّطان بخطوطٍ حمرٍ مع سود ، وإلاَّ ؛ فالأحمر البحت منهيٌّ عنه أشدَّ النَّهي ، فكيف يُظَنُّ بالنَّبيِّ ﷺ أنَّه لبسه ؟!

ورُدَّ هذا بأنَّ حمْل الحلَّة علىٰ ما ذكر مجرَّد دعوىٰ ، والنهي عن الأحمر البحت للتَّنزيه ؛ لا للتَّحريم ، ولبسه ﷺ للأحمر القاني مع نهيه عنه !! لتبيين الجواز ، فقد ردَّه الطبراني ؛ من حديث ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : أنَّه كان يلبس يوم العيد بردة حمراء ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات ، فالصَّحيح جواز لبس الأحمر ؛ ولو قانياً ، انتهىٰ « باجوري » مع زيادة .

(وَ) أخرج ابن النجار في « تاريخه » ؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَكْسُوْ بَنَاتِهِ خُمُرَ**) ـ بخاء معجمة مضمومة ـ (**القَزِّ**) ـ بفتح القاف وشدِّ الزَّاي ؛ معرَّب ـ (**وَالإِبْرَيْسَم**) .

قال الليث : القزُّ هو ما يعمل منه الإبريسم . ولهذا قال بعضهم : القزُّ والإبريسم مثل الحنطة والدَّقيق ، فالإبريسم ما يؤخذ من القزِّ كأخذ الدَّقيق من الحنطة .

وفيه أن استعمال القزِّ والحرير جائز للنِّساء .

(**وَالخُمُرُ**) ـ بضمتين ـ (**كَـ** : « **كُتُبٍ** » ؛ **جَمْعُ خِمَارٍ**) ككتاب ، (**وَهُوَ : مَا تُغَطِّي بِهِ المَرْأَةُ رَأْسَهَا**) ، واختمرت وتَخَمَّرَتْ : لبست الخمار . انتهى « مناوي » .

وَكَانَ يَتَّبِعُ ٱلْحَرِيرَ مِنَ ٱلثِّيَابِ . . فَيَنْزِعُهُ . وَكَانَ قِيمَةُ ثَوْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ . وَعَنْ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ أَسْمَالُ مُلَيَّتَيْنِ .

وَقَوْلُهُ (مُلَيَّتَيْنِ) ـ تَصْغِيرُ مُلَاءَةٍ ـ وَهِيَ : كُلُّ ثَوْبٍ لَمْ يُضَمَّ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ بِخَيْطٍ ، بَلْ كُلُّهُ نَسْجٌ وَاحِدٌ .

(وَ) أخرج الإمام أحمد في « مسنده » بإسناد حسن ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله ﷺ (يَتَّبِعُ) ـ بفتح أوّله وتشديد ثانيه ، وقيل : بفتح أوّله وسكون ثانيه ـ (الحَرِيْرَ مِنَ الثِّيَابِ) ، أي : الحرير الخالص أو ما أكثره حرير ، (فَيَنْزِعُهُ) ، أي : يأمر بنزعه عن الرِّجالِ ، ويمنعهم من لبسه ، لما في الحرير من الخنوثة التي لا تليق بشهامة الرجال ، فيحرم لُبسه على الرِّجال .

(وَ) في « كنوز الحقائق » للمناوي : (كَانَ قِيمَةُ ثَوْبِهِ ﷺ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ، وَ) أخرج الترّمذي في « الشمائل » بسنده ؛ (عَنْ قَيْلَةَ) ـ بقاف مفتوحة ومثنّاة تحتية ساكنة ـ (ٱبنَتِ مَخْرَمَةَ) ـ بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفَتح الرَّاء والميم ـ السرية ، وقيل: العنبريّة ، وقيل : القنويّة، صحابيّة لها حديث طويل في الصِّحاح، خرَّج لها البخاريُّ في « الأدب » ، وأبو داود ؛ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ أَسْمَالُ مُلَيَّتَيْنِ) ، أي : والحال أنَّ عليه أَسمال مُليَّتين ، والأسمال : جمع سَمَل ـ بسين مهملة وميم مفتوحة ـ كسبب وأسباب ، وهو : الثَّوب الخلق ، والمراد بالجمع ما فوق الواحد ، فيصدق بالاثنين وهو المتعيِّن هنا ، لأَنَّ إضافته إلى المليَّتين للبيان .

(وَقَوْلُهُ « مُلَيَّتَينِ ») تثنية مُلَيَّة بضمٍّ الميم وفتح اللاَّم وتشديد الياء المفتوحة ـ وهي (تَصْغِيْرُ مُلَاءَةٍ) بضم الميم والمدّ ؛ لكن بعد حذف الألف ، (وَهِيَ) ، أي : الملاءة ؛ كما في « القاموس » .

(كُلُّ ثَوْبٍ لَمْ يُضَمَّ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ بِخَيْطٍ ، بَلْ كُلُّهُ نَسجٌ وَاحِدٌ) . وفي

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَىٰ أُسَامَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ

« النِّهاية » : هي الإزار ، وفي « الصحاح » : الملحفة ، ولا تدافع ، لصدقها على التعريف الأوّل « بكل » ، وتمام الحديث بعد قوله « مليّتينِ » : كانتَا بِزَعْفَرَان وَقَدْ نَفَضَتْهُ ، وفي الحديث قصّة طويلة . انتهى كلام « الشمائل » .

ومعنى قوله « كَانَتَا بِزَعْفَرَان » ؛ أي : كانت المليّتان مصبوغتين بزعفران ، وقوله « وَقَدْ نَفَضَتْهُ » ؛ أي : وقد نفضت الأسمال الزعفران ، ولم يبق منه إلاّ الأثر القليل ؛ فلُبْسُهُ ﷺ لهاتين المليتّين ، لا ينافي نهيه عن لبس المزعفر ، لأنَّ النهيَ محمول على ما إذا بقي لون الزَّعفران براقاً ، بخلاف ما إذا نفض وزال عن الثَّوب ولم يبق منه إلا الأثر اليسير ، فليس هذا منهياً عنه .

(وَ) أخرج التِّرمذي في « الشمائل » بسنده ؛ (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ) ؛ أي : من بيته (وَهُوَ يَتَوَكَّأُ) هكذا هو في « الشَّمائل » في باب الاتكاء : من التوكُّؤ ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾ [١٨/طه] . وفي نسخة من « الشمائل » : يَتَّكيءُ من الاتِّكاء ، ومنه قوله تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ [١٣/الإنسان] وفي نسخة : وهو متوكِّىء بصيغة اسم الفاعل ؛ وكلها بمعنى واحد ، وهو الاعتماد ، أَيْ : يعتمد لضعفه من المرض (عَلَىٰ أُسَامَةَ) بن زيد بن حارثة بن شراحيل القضاعيّ الكلبي ، صحابيّ مشهور ، مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن ، وحِبُّه وابن حِبّه ، أمَّره ﷺ على جيش فيه عمر رضي الله عنه ؛ وعمره دون عشرينَ سنة ، مات سنة : ـ ٥٤ ـ أربع وخمسين ، عن خمس وسبعين سنة بالمدينة المنورة ، (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) وعن والده آمين .

وخروجه ﷺ ذلك في مرض موته ، بدليل ما رواه الدارقطني : أَنَّه خَرَجَ بَيْنَ أُسَامَةَ وَالفَضْلِ وَزَيدٍ إِلىٰ الصَّلاةِ فِي المَرَضِ الَّذي مَاتَ فِيهِ ، وَيَحتَمِلُ أَنَّهُ فِي مَرَضٍ غَيْره ؛ (وَعَلَيْهِ) ، أي : على النَّبيِّ ﷺ (ثَوْبٌ) ـ بالتَّنوين ، والجملة حاليّة من

قِطْرِيٌّ قَدْ تَوَشَّحَ بِهِ . . فَصَلَّىٰ بِهِمْ . وَ(قِطْرِيٌّ) : نِسْبَةٌ إِلَىٰ ٱلْقِطْرِ ؛ وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ ٱلْبُرُودِ ٱلْيَمَانِيَّةِ تُتَّخَذُ مِنْ قُطْنٍ ، وَفِيهِ حُمْرَةٌ وَأَعْلاَمٌ مَعَ خُشُونَةٍ . وَ(تَوَشَّحَ بِهِ) أَيْ : . . . .

ضمير « خرج » أو « يتوكّأ » ـ (قِطْرِيٌّ) ـ بقافٍ مكسورة وطاء مهملة ساكنة بعدها راء ـ (قَدْ تَوَشَّحَ) ، أي : تغشى (بِهِ) ـ والجملة صفة ـ (فَصَلَّىٰ بِهِمْ) ، أي : بالنَّاس .

وقد أخرج ابن سعدٍ ؛ من طريق أبي ضمرة اللَّيثي ؛ عن حميد ؛ عن أنس أنَّه قال : آخِرُ صَلاَةٍ صَلاَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ القَوْمِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيْهِ ، فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُتَوَشِّحاً بِهِ قَاعِداً .

(وَ) قوله (قِطْرِيٌّ) ـ بكسر القاف وإسكان الطَّاء بعدها راء ، ثم ياء النِّسبة ـ : (نِسْبَةٌ إِلَىٰ القِطْرِ) ـ بكسر القاف وسكون الطَّاء بعدها راء ـ (وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ البُرُوْدِ اليَمَانِيَّةِ) ـ نسبة لليمن على غير قياس ـ (تُتَّخَذُ مِنْ قُطْنٍ ، وَفِيْهِ حُمْرَةٌ وَأَعْلاَمٌ مَعَ خُشُوْنَةٍ) ، ونوع من حلل جياد يُحمل من بلد بالبحرين اسمها قَطَر ـ بفتحتين ـ ، فكُسِرَتِ القَافُ لِلنِّسْبَةِ وسُكِّن الطَّاء على خلاف القياس ، كذا قاله شراح « الشمائل » كالمناوي ، وعلي القاري ، والباجوري ، وغيرهم ، وتبعتهم وهو غير جيد .

والمعتمد عندي هو القول الثَّاني وهو أن الثوب القَطَريَّ منسوب إلى قَطَر ـ بفتحتين ـ إقليم بجهة البَحرين من الخليج العربيِّ ، ويقرأ هكذا : ثوبٌ قَطَريٌّ ؛ بفتح القاف وبفتح الطَّاء المهملة وكسر الرَّاء ، وآخره ياء ، نسبَة إلىٰ قَطَرَ ـ بفتحتَين ـ ، البلد المعروف في الخليج العربيِّ ، وهو مشهور بصنع البرود والثِّياب من قديم الزّمان إلى عصرنا الحاضر ، لكن لمّا كثرت الثِّياب المستوردة من الخارج ؛ وهي أنضر وأقلُّ ثمناً ؛ آثروها على صنع بلادهم ، فقلَّت صنعة الثِّياب عندهم ، وكل ذلك مكيدة من الكفَّار لأهل الإسلام ، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

(وَ) قوله (تَوَشَّحَ بِهِ) ـ بتشديد الشِّينِ المعجمة ـ قال الباجوري : (أَي :

وَضَعَهُ فَوْقَ عَاتِقَيْهِ ، أَوْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْه وَرَبَطَهُمَا بِعُنُقِهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْه مِرْطٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدُ .

وَ(ٱلْمِرْطُ) : كِسَاءٌ طَوِيلٌ وَاسِعٌ .

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ....

وضَعَهُ فَوْقَ عَاتِقَيهِ) ـ تثنية عاتق ـ وهو : ما بين المَنكِب والعنق ، يذكَّر ويؤنَّث ، (**أو خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ وَرَبَطَهُمَا بِعُنُقِهِ**) . انتهى .

(**وَ**) أخرج مسلم ، وأبو داود ، والتِّرمذي في « الجامع » و« الشمائل » (**عَنْ عَائِشَةَ**) أمِّ المؤمنين (**رَضِيَ الله تَعَالىٰ عَنْهَا قَالَتْ** :

« **خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**) ، أي : من بيته (**ذَاتَ غَدَاةٍ**) ؛ العرب تستعمل ذات يوم وذات ليلة ويريدون حقيقة المضاف إليه نفسه ، وما هنا كذلك ، فلفظ « ذات » مُقْحَمٌ للتأكيد ، والمعنىٰ : خرج بكرةً (**وَعَلَيْه مِرْطٌ**) كَمِسْكٍ (**مِنْ شَعَرٍ**) ـ بفتح العين المهملة وتسكن ـ (**أَسودُ**) ـ بالرفع على أنه صفة « مرط » ، أو بالجر بالفتحة على أنه صفة شعر ، والجملة حال من فاعل « خرج » ، وفي « الصحيحين » : كَانَ لَهُ كِسَاءٌ يَلبَسُهُ ، وَيَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ العَبْدُ » .

وكان يلبس الكساء الخشن ، ويقسم أقبية الخزِّ المخوَّصة بالذَّهب في أصحابه ، ولم تطلب نفسه التغالي في اللِّباس والمباهاة فيه ، لأنَّ المحمود للرجَال نقاوة الثَّوب والتوسُّط في جنسه ، وعدم إسقاطه لمروءة لابسه كما مرَّ .

(**وَالمِرْطُ**) ـ بكسر فسكون ـ هو : (**كِسَاءٌ طَوِيْلٌ وَاسِعٌ**) ؛ من خزٍّ أو صوفٍ أو شَعَرٍ أو كتَّانٍ ، يُؤتَزَرُ به .

(**وَ**) أخرج التِّرمذيُّ في « الجامع » و« الشمائل » مختصراً باللَّفظ الَّذي أورده المصنِّف ، وهو في « الصَّحيحين » وغيرهما مطول ؛ (**عَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ**) الثقفي الكوفي .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضَيِّقَةَ ٱلْكُمَّيْنِ .

صحابيٌّ مشهور ، وكان من خدم المصطفى ﷺ ، وأسلم عام الخندق ، وأخرج له الستَّة ، وروي له عن رسول الله ﷺ مائة وستَّة وثلاثون حديثاً ، اتفق البخاريُّ ومسلمٌ منها على تسعة ، وانفرد البخاري بحديث ، وانفرد مسلم بحديثين . قيل : إنه أحصن ألف امرأة في الإسلام ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة مدَّة ، ثم نقله عنها فولاَّه الكوفة ، فلم يزل عليها حتى قُتِلَ عُمر ، فأقرَّه عليها عثمان ثم عزله ، وشهد اليمامة وفتح الشَّام ، وذهبت عينه يومَ اليرموك ، وشهد القادسيَّة ، وشهد فتح نهاوند ، واعتزل الفتنة ، وشهد الحكمين ، ثم استعمله معاوية على الكوفة ، فلم يزل عليها حتى توفِّي بها سنة خمسين ، قالوا : هو أوَّل من وضع ديوان البصرة ، وهو أحد دهاة العرب (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) . وهم أربعة كما قيل :

مِنَ ٱلعَرَبِ ٱلعَرباءِ قَدْ عُدَّ أَربَعٌ ... دُهَـاةٌ فَمَـا يُـؤْتَـىٰ لَهُـمْ بِشَبِيْـهِ
مُعَـاوِيَـةٌ عَمْـرُو بْـنُ عـاصٍ مغيـرةٌ ... زِيَـادٌ هُـوَ المَعْـرُوفُ بِـابْـنِ أَبِيْـهِ

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِسَ) ؛ أي : في السَّفر ، قالوا : وكان ذلك في غزوة تبوك . (جُبَّةً) ـ بضمّ الجيم وتشديد الموحدة ـ (رُوْمِيَّةً) ؛ نسبة للروم .

قال الحافظ ابن حجر : وفي أكثر روايات « الصحيحين » وغيرهما جبَّة شَاميَّة ؛ نسبة للشَّام !! ولا تناقض ؛ لأن الشَّام كانت يومئذ مساكن الرُّوم ، وإنَّما نسبت إلى الرُّوم أو إلىٰ الشَّام لكونها من عمل الرُّوم الَّذين كانوا في الشَّام يومئذ ، وهذا يدلُّ على أنَّ الأَصل في الثِّياب الطَّهارة ؛ وإن كانتْ من نسيج الكفَّار ، لأنَّه ﷺ لم يمتنع من لبسها مع علمه بمَن جُلبت من عندهم ؛ استصحاباً للأَصل .

(ضَيِّقَةَ الكُمَّيْنِ) بيان لقوله « رُومِيَّة » ؛ أي : بحيث إذا أراد إخراج ذراعيه لغسلهما تعسَّر ، فيعدل إلى إخراجهما منْ ذيلها ، ويؤخذ منه ـ كما قاله العلماء ـ : أَنَّ ضِيقَ الكُمَّيْنِ مستحبٌ في السَّفَرِ ؛ لا في الحضر ، وإلاَّ ! فكانت أكمام الصَّحْبِ بطاحاً ؛ أي : واسعةً .

وَ(ٱلْجُبَّةُ) : ثَوْبَانِ بَيْنَهُمَا حَشْوٌ ، وَقَدْ تُقَالُ لِمَا لاَ حَشْوَ لَهُ إِذَا كَانَتْ ظِهَارَتُهُ مِنْ صُوفٍ .

وَكَانَ كُمُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ ٱلرُّسْغِ ، وَلَبِسَ ٱلْقَبَاءَ وَٱلْفَرَجِيَّةَ ، وَلَبِسَ جُبَّةً ضَيِّقَةَ ٱلْكُمَّيْنِ فِي سَفَرِهِ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : . . . .

(**وَالجُبَّةُ**) من الملابس معروفة ، والجمع جُبَب ، كـ : « غرفة وغرف » ؛ قاله في « المصباح » . وقيل : هي (**ثَوْبَانِ بَيْنَهُمَا حَشْوٌ ، وَقَدْ تُقَالُ لِمَا لاَ حَشْوَ لَهُ إِذَا كَانَتْ ظِهَارَتُهُ**) ـ بالكسر ـ : ما يظهر للعين ، وهو خلاف البِطَانة (**مِنْ صُوفٍ**) .

وَ) في « كشف الغمة » للعارف الشعراني رحمه الله تعالى : (**كَانَ كُمُّهُ** ﷺ **إِلَىٰ الرُّسْغِ**) ـ بضمِّ الرَّاء وسكون السِّين المهملة ، آخره غين معجمة ـ بوزن قُفْل ، وهو : مَفْصِل ما بين الكَفِّ والسَّاعد من الإنسان ، وقد تقدَّم الكلام على ذلك .

(**ولَبِسَ**) ﷺ (**الْقَبَاءَ**) ـ بفتح القاف والموحدة ، ممدوداً ـ : هوالثَّوب المشقوق من أمام كالجبَّة المعهودة ، (وَ) لَبِسَ (**الْفَرَجِيَّةَ ، وَلَبِسَ جُبَّةً**) شاميَّة (**ضَيِّقَةَ الكُمَّيْنِ فِي سَفَرِهِ**) ؛ كما في « الصَّحيحين » وغيرهما ، وقد تقدَّم آنفاً .

(وَ) أخرج مسلم في « صحيحه » ؛ (**عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ**) الصديق (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا**) امرأة الزُّبير بن العوَّام .

أسلمت قديماً بعد سبعة عشر إنساناً ، وهي أسنُّ من عائشة ، وهي أُخْتُها لأَبيها ، وكان عبد الرَّحمن بن أبي بكر أخو أسماء شقيقَها . سمَّاها رسول الله ﷺ « ذاتَ النِّطاقين » ، لأنَّها صنعت لِلنَّبي ﷺ ولأبيها سُفْرة لَمَّا هاجَرا ؛ فلم تجد ما تشدّها به ؛ فشقَّت نطاقها وشدَّت به السُّفرة ، فسمَّاها النَّبيُّ ﷺ ذاتَ النطاقين .

هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزُّبير ، فولدته بعد الهجرة ، فكان أوَّل مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة من المهاجرين ، وبلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سنٌّ ، ولم ينكر من عقلها شيء .

أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةً ، لَهَا لِبْنَةُ دِيْبَاجٍ ، وَفَرْجَاهَا مَكْفُوفَانِ بِٱلدِّيبَاجِ ، ....

روي لأسماءَ عن رسول الله ﷺ ستة وخمسون حديثاً .

وتوفِّيت بمكَّة في جمادى الأولى سنة : ـ ٧٣ ـ ثلاث وسبعين ، بعد قتل ابنها عبد الله بيسير رضي الله تعالى عنها . وذلك فيما رواه عنها عبد الله مولاها قال :

(**إنَّهَا أَخْرَجَتْ**) إلينا (**جُبَّةَ**) بإضافة جبة إلى (**طَيَالِسَةٍ**) ـ لا بالتنوين ـ ، وهي نوع من الثِّياب لها عَلَم .

والطيالسة : جمع طَيْلَسَان ـ بفتح اللام على المشهور ـ . (**كِسْرَوَانِيَّةً**) ـ بكسر الكاف وفتحها والسِّين ساكنة والرَّاء مفتوحة ـ نسبة إلى كسرى ملك الفرس ـ بكسر الكاف وفتحها ـ ؛ فهما في كسروانية على اللغتين في المنسوب إليه ، (**لَهَا لِبْنَةُ**) ـ بكسر اللام وإسكان الباء الموحدة ـ أي : رقعة (**دِيبَاجٍ**) في جيب القميص[1] ، والدِّيباج ـ بفتح الدال وكسرها ـ : جمعه ديابيج ، وهو عجمي معرَّب ، وهو نوع من ثياب الإبريسم ، (**وَفَرْجَاهَا مَكْفُوْفَانِ**) ـ وفي رواية : وفرجيها مكفوفين ؛ بالنَّصب : مفعول لفعل محذوف ، أي : ورأيت فرجيها مكفوفين . وفي رواية : وفروجها مكفوفة ـ (**بِالدِّيْبَاجِ**) ؛ أي : عمل على جيبها وكُمَّيْها وذيلها وفرجيها كُفاف من حرير ، وكُفَّة كل شيء ـ بالضمّ ـ : طرفه وحاشيته . قاله الزرقاني على « المواهب » .

وقال الأبِّي ؛ نقلاً عن القاضي عياض : الفرج في الثوب : الشقُّ في أسفله من خلف وأمام ، وإنَّما يكون في الأقبية من ملابس العجم . ومعنى مكفوفين : جُعل منهما كُفَّة ـ بالضمِّ ـ : وهو ما يكفُّ به جوانبها ، وكل شيء مستطيل كُفَّةٌ ـ بالضمّ ـ . قال الخطابي : والمكفَّف بالحرير : ما اتُّخذ جيبه منه ؛ وكان لذيله وأكمامه كفاف منه . قال السَّيِّد العلاَّمة محمَّد بن أحمد عبد الباري الأهدل في « نشر

---

(١) هي المعروفة في زماننا بـ(القبَّة) .

قَالَتْ : هَـٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَلَمَّا قُبِضَتْ . . قَبَضْتُهَا ، وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا ، . . . .

الأعلام » : يحلّ تطريفٌ ، ـ أي : تسجيف ـ للكُمَّين والطَّوق ، والجيب ، والذَّيل ؛ بالحرير قدر العادة الغالبة لأمثاله في تلك النَّاحية ؛ وإنْ جاوز أربع أصابع ، فإنْ جاوز العادة ! حَرُمَ .

ويحلُّ تطريز وترقيع قدر أربع أصابع مضمومة معتدلة ، ولو تعدَّد ؛ فالأصح الجوازُ بشرطِ أن لا يزيد المجموع على ثمان أصابع ؛ وإنْ زاد على طرازين ، فلو كان في طرفي العمامة عَلَمٌ كل واحد منهما أربع أصابع ؛ جاز ، وإلاَّ ! فلا .

والتطريز : جعل الطراز الذي هو حرير خالص مركباً على الثَّوب . أما التَّطريز بالإبرة ! فكالنسج ، فيعتبر الأكثر وزناً منه ومما طرز فيه ، وكذا يعتبر الوزن أيضاً في الأردية الثَّمينة المنسوج فيها حاشية من حرير ؛ وإن زادت على أربع أصابع ، أخذاً مما ذكروه في تعريف الطراز .

والظَّاهر أنَّ الحطاية المعروفة التي تركَّب في طرف العمامة يجري فيها تفصيل الطراز ، فإن كان عرضها أربع أصابع فأقلّ ؛ حلَّت ، وإلاَّ ! فلا . هذا إذا كانت الحطاية حريراً خالصاً ، أما إذا نسج معها كتَّانٌ أو قطن ؛ فيعتبر فيها مع الثَّوب الوزن . انتهى كلام السيد في « نشر الأعلام » .

(**قَالَتْ**) أي ؛ أسماء : (**هَذِهِ جُبَّةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا ، فَلَمَّا قُبِضَتْ**) عائشة ، أي ؛ ماتت رضي الله تعالى عنها (**قَبَضْتُهَا**) ـ بضمِّ المثنَّاة الفوقيَّة ـ أي : أخذت الجبَّة المذكورة .

(**وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا**) ـ بفتح الموحدة ـ مضارع لَبِس ـ بكسر الموحَّدة ـ من اللِّباس ، فإن كان من اللَّبس ـ بفتح اللاَّم ـ بمعنى الخلط ؛ فيقال فيه : لَبَس ـ بفتح الباء ـ في الماضي ، يَلْبِس ـ بكسر الموحدة ـ في المضارع ، قال تعالى ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝ ﴾ [الأنعام] . وقد نظم حاصلَ هذا بعضهم فقال :

لِعَيْـنِ مُضَـارِعٍ فِـي لُبْـسِ ثَـوْبٍ أَتَـىٰ فَتْـحٌ وَفِـي المَـاضِـي بِكَسْـرِ

فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَىٰ نَسْتَشْفِي بِهَا .

وَمَعْنَى (ٱللِّبْنَةِ) : رُقْعَةٌ فِي جَيْبِ ٱلْقَمِيصِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَ ؛ فَمَرَّةً شَمْلَةً ، وَمَرَّةً بُرْدَ حِبَرَةٍ يَمَانِيَّةٍ ، وَمَرَّةً جُبَّةَ صُوفٍ ، مَا وَجَدَ مِنَ ٱلْمُبَاحِ لَبِسَ .

وَفِـي خَلْـطِ الأُمُـورِ أَتَـىٰ بِعَكْـسٍ لِعَيْنِهِمَـا فَخُـذْهُ بِغَيْـرِ عُسْـرِ

(**فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَىٰ**) ـ وفي روايةٍ : لِلْمَرِيضِ مِنَّا إِذَا اشْتَكَىٰ ـ (**نَسْتَشْفِيْ**) ـ نطلب الشفاء ـ (**بِهَا**) لمخالطتها لعرقه وملابستها لبدنه ، (**وَمَعْنَى اللِّبْنَةِ**) ـ بكسر اللاَّم وإسكان الموحدة ـ (**رُقْعَةٌ**) ؛ أي : قطعة من حرير (**فِي جَيْبِ الْقَمِيْصِ**) ولو جديداً ، وليس المراد أنَّها جعلت فيه لإصلاح خلله . وفيه من الفقه : جواز لُبْسِ ما له فرجان ، وأنَّه لا كراهة فيه ، وأنَّ المراد بالنَّهي عن الحرير المتمَحِّض منه ، وأنَّه ليس المراد تحريم كلِّ جزء منه ، بخلاف الخمر والذَّهب ، فإنَّه يحرم كلُّ جزء منهما ، وعلى الرِّجال في الذَّهب ؛ قاله النَّووي في « شرح مسلم » .

(وَ) في « كشف الغمَّة » للعارف الشَّعراني ، و« إحياء علوم الدِّين » للإمام الغزاليّ رحمهما الله تعالى :

(**كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ مَا وَجَدَ**) ؛ من غير قيد ، (**فَمَرَّةً**) يلبَس (**شَمْلَةً ، وَمَرَّةً**) يلبس (**بُرْدَ**) ـ بضم أوَّله وسكون الرَّاء ـ مضافاً إلى (**حِبَرَةٍ**) ـ بوزن عِنَبَة ـ (**يَمَانِيَّةٍ**) ؛ وهو الثَّوب الَّذي فيه خطوط ، (**وَمَرَّةً**) يلبَس (**جُبَّةَ صُوْفٍ**) بالإضافة .

(**مَا وَجَدَ مِنَ الْمُبَاحِ لَبِسَ**) قال العراقيُّ : روى البخاريُّ ؛ من حديث سهل بن سعد : جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ ، قال سهل : هَلْ تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ هِيَ الشَّمْلَةُ ؛ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا ، وفيه : فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّها لإِزَارُهُ . . . الحديث .

ولابن ماجه ؛ من حديث عبادة بن الصامت : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صلَّى فِي شَمْلَةٍ قَدْ عُقِدَ عَلَيْهَا . وفيه الأَحْوَصُ بنُ حَكِيمٍ مختلفٌ فيه .

وللشَّيْخَيْنِ ؛ من حديث أنس : « كَانَ أَحبُّ الثِّيَابِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا

وَ(ٱلشَّمْلَةُ) : كِسَاءٌ صَغِيرٌ يُؤْتَزَرُ بِهِ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ ٱلأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا كِسَاءً . . . .

الحِبَرَةَ » ، ولهما ؛ من حديث المغيرة : «وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ » .

انتهى « شرح الإحياء » .

وقد تقدَّم ذلك بزيادة : (**وَالشَّمْلَةُ**) ـ بفتح المعجمة وسكون الميم ـ : ما يُشتمل به من الأكسية التي يُلتحف بها ؛ كما في « الفتح » ، وقيل : يختصُّ بمالَهُ هدب . وقال ابن دريد : (**كِسَاءٌ صَغِيرٌ يُؤْتَزَرُ بِهِ**) ؛ وهي البردةُ ، وتسمية العوامِّ : ما يُلفُّ على الرأس شملةً ؛ اصطلاحٌ حادث .

(**وَ**)أخرج البخاريُّ في فرض الخمس وفي اللِّباس ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والترمذي في « الشمائل » ؛ (**عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ**) : عبد الله بن قيس ، الصحابي المشهور ، الكوفي .

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَّةَ قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلىٰ المَدِينَةِ ، فَأَسْلَمَ ثُمَّ هَاجَرَ إِلىٰ الحَبَشَةِ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَصحَابِ السَّفِينَتَيْنِ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ مِنْهَا .

ولأبي موسى مع حُسن صوته فضيلة ليست لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ : هاجر ثلاث هجرات ؛ هجرة من اليمن إلىٰ رسول الله ﷺ بمكَّة ، وهجرةٌ من مكَّة إلىٰ الحبشة ، وهجرةٌ من الحبشة إلىٰ المدينة المنوَّرة ، واستعمله النَّبيُّ ﷺ على « زبيد » و« عدن » وساحل اليمن ، واستعمله عمر على « الكوفة » و« البصرة » .

روي له عن رسول الله ﷺ ثلاث مئة وستون حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم على خمسين ، وانفرد البخاري بخمسة عشر ، وانفرد مسلم بخمسة عشر .

وتوفِّي بمكَّة ، وقيل : بالكوفة سنة : خمسين ، أو إحدى وخمسين (**رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ قَالَ : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا**) أمُّ المؤمنين (**عَائِشَةُ**) ـ الصِّدِّيقة بنت الصديق ، وقد تقدمت ترجمتها ـ (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا كِسَاءً**) ـ بكسر أوله ـ من صوف

مُلَبَّداً وَإِزَاراً غَلِيظاً ؛ فَقَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَـٰذَيْنِ . وَ(ٱلْكِسَاءُ) : مَا يَسْتُرُ أَعْلَىٰ ٱلْبَدَنِ . وَ(ٱلْمُلَبَّدُ) : ٱلْمُرَقَّعُ . وَ(ٱلإِزَارُ) : مَا يَسْتُرُ أَسْفَلَ ٱلْبَدَنِ . وَ(غِلَظُهُ) : . . . . .

(مُلَبَّداً) ـ بتشديد الموحدة بصيغة اسم المفعول ـ أي : مرقَّعاً ، كما قاله النووي في « شرح مسلم » .

(وَإِزَاراً) ـ بكسر الهمزة ـ : الملحفة ، يذكَّر ويؤنَّث ؛ فيقال : هو الإزار ، وهي الإزار ، وربما أُنِّث بالهاء ، والمراد هنا : ما يَسْتُرُ أسفل البَدَنِ ، ويقابله الرِّداءُ : وهو ما يستر أَعلى البدن ، (غَلِيْظاً) ، أي : خَشِناً ، صفة للإزار ، وفي رواية عند مسلم موصولة ، وعند البخاريِّ تعليقاً : أَخْرَجَتْ إِلَينَا عَائِشَةُ إِزَاراً غَلِيْظاً مِمَّا يُصْنَعُ بِاليَمَنِ ، وَكِسَاءً مِنْ هَذِهِ الَّتِي تَدْعُونَهَا المُلَبَّدَة .

(فَقَالَتْ : قُبِضَ) ـ بصيغة المجهول ـ ونائب الفاعل قوله (رَسُوْلُ اللهِ ﷺ) ؛ أي : أماته الله تعالى وهو (فِي هَذَيْنِ) ؛ أي : الكساء والإزار المذكورين ، وأرادت أنَّهما كانا لباسه وقت مفارقته للدُّنيا ﷺ ، مع ما فيهما من الرَّثاثة والخشونة ، فلم يكترث ﷺ بزخرفة الدنيا ، ولا بمتاعها الفاني ، مع أنَّ ذلك كان بعد فتح الفتوح وفي قوَّة الإسلام وكمال سلطانه .

ويؤخذ من ذلك : أنَّه ينبغي للإِنْسان أن يجعل آخر عمره مَحَلاً لترك الزِّينة .

(وَالكِسَاءُ) ـ بكسر الكاف :ـ (مَا يَسْتُرُ أَعْلَىٰ البَدَنِ) ؛ وهو الرداء ، ضدّ الإزار ، وجمعه : أكسية ؛ بلا همز .

(وَالمُلَبَّدُ) ـ بضمِّ الميم وفتح اللاَّم وتشديد الموحدة المفتوحة ـ قال ابن الأثير في « النهاية » : هو (المُرَقَّعُ) ـ بضمِّ الميم وفتح الرَّاء وشَدِّ القاف ـ يقال : لَبَّدتُ القميص ألبده ، ولَبَدْتُه بالتَّخفيف ، ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص : اللِّبدة ـ بالكسر ـ . وقيل : الملبَّد الذي ثخن وسطه وصفق ، حتى صار يشبه اللِّبْدة ـ بالكسر ـ .

(وَالإِزَارُ) ـ بكسر أوَّله ـ: (مَا يَسْتُرُ أَسْفَلَ البَدَنِ) ؛ ضدُّ الرِّداء ، (وَغِلَظُهُ)

خُشُونَتُهُ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ ٱلْعَبْدُ » .

ـ بكسر الغين المعجمة وفتح اللاَّم ـ : (**خُشُونَتُهُ**) .

وفي الحديث ندبُ حفظ آثار الصَّالحين والتَّبرك بها ؛ من ثيابهم ، ومتاعهم ، فقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها حفظت هذا الكساء والإزار اللَّذين قبض فيهما للتبرُّك بهما .

فائدة : ذكر ابن الجوزي في « الوفا » بإسناده ؛ عن عروة بن الزُّبير قال : كان طول رداء رسول اللهِ ﷺ أربعةَ أذرعٍ ، وعرضُه ذراعين ونصفاً .

ونقل ابن القيِّم عن الواقديّ : أن رداء رسول اللهِ ﷺ بُرْدٌ طولُه ستَّة أذرعٍ في ثلاثة أذرعٍ وشبر ، وإزاره من نسج عُمَان طولُه أربعة أذرع وشبر في ذراعين . انتهى « جمع الوسائل » .

(**وَ**) في « المواهب » و« الإحياء » : (**كَانَ لَهُ ﷺ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ**) ؛ أي : مرقَّع ، أو ما ثخن وسطه حتى صار كاللِّبد ، (**يَلْبَسُهُ وَيَقُوْلُ** : « **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ العَبْدُ** ») . قال في « المواهب » : رواه الشَّيخان . قال الزرقاني : لم أره فيهما ولا في أحدهما بهذا اللَّفظ في مظانِّه ! فليراجع .

وقال في « شرح الإحياء » : قال العراقي : روى الشَّيخان ؛ من رواية أبي بردة عن أبيه أبي موسى قال : أخرجت إلينا عائشة كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً ؛ فقالت : في هذين قبض رسول الله ﷺ . وقد تقدم .

وروى البخاريُّ من حديث عمر : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ » . ولعبد الرزاق في « المصنف » من رواية أيوب السختياني **مرفوعاً** معضلاً : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ » .

قلت : وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر : « مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ وَانْتَعَلَ

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ أَسْوَدُ ، فَوَهَبَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا فَعَلَ ذَٰلِكَ ٱلْكِسَاءُ ٱلأَسْوَدُ ؟ فَقَالَ : « كَسَوْتُهُ »، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ بَيَاضِكَ عَلَىٰ سَوَادِهِ.

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَنَّعُ بِرِدَائِهِ تَارَةً وَيَتْرُكُهُ ....

بمَخْصُوفٍ . . . » الحديثُ . وفيه : « أَنَا عَبْدٌ بْنُ عَبْدٍ ، آكُلُ أَكْلَةَ العَبْدِ ، وَأَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ . . . » الحديث . انتهى كلام « شرح الإحياء » ملخصاً . وهو يؤيد كلام الزرقاني رحمه الله تعالى .

(وَ) في « الإحياء » : (كَانَ لَهُ ﷺ كِسَاءٌ أَسْوَدُ فَوَهَبَهُ) لآخر ، (فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ) ـ رضي الله تعالى عنها ـ : (بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ) يا رسول الله ؛ (مَا فَعَلَ ذَلِكَ الكِسَاءُ الأَسْوَدُ ؟ فَقَالَ : « كَسَوْتُهُ » ، فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ) كان (أَحْسَنَ مِنْ بَيَاضِكَ عَلَىٰ سَوَادِهِ) .

قال في « شرح الإحياء » : قال العراقي : لم أقف عليه من حديث أمّ سلمة .

ولمسلم من حديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ : خرج النَّبيُّ ﷺ وعليه مِرْط مرحَّل أسود . ولأبي داود ، والنَّسائي : صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها . . الحديث ، وزاد فيه ابن سعد في « الطَّبقات » : فذَكَرَتْ بياض النَّبيِّ ﷺ وسوادها . ورواه الحاكم بلفظ : جُبة ، وقال : صحيح على شرط الشَّيخين .

(وَ) في « كشف الغمة » للعارف الشَّعراني ـ رحمهُ الله تعالى ـ :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ يَتَقَنَّعُ بِرِدَائِهِ) . قال الوليُّ العراقيُّ في « شرح تقريب الأسانيد » : التقنُّع معروف ؛ وهو تغطية الرَّأس بطرف العمامة ، أو برداء ، أو نحو ذلك .

وقال ابن الحاجِّ في « المَدْخل » : وأما قناع الرجل !! فهو أن يغطِّي رأسه بردائه ويردَّ طرفه على أحد كتفيه . انتهى . واحترز به عن قناع المرأة ؛ فإنَّها خرقة لطيفة تجعلها على رأسها . (تَارَةً) ـ التارة : المرَّة ، وجمعها تارات ـ (وَيَتْرُكُهُ) ـ أي :

أُخْرَىٰ ، وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّىٰ فِي ٱلْعُرْفِ : ٱلطَّيْلَسَانَ .

التقنُّع ـ تارة (أُخرَىٰ ، وَ) التقنُّع قال السيوطي : (هُوَ) التَّطَيْلس . وقال الشَّعراني : الرِّداء : هوَ (الَّذِي يُسَمَّى فِي العُرفِ : « الطَّيْلَسَانُ ») ـ بفتح الطَّاء واللاَّم على الأشهر الأفصح ـ بزنة « فيعلان » ، وحكى القاضي عياض والنَّووي والمجد[1] : كسْرَ اللاَّم وضمَّها ، وفيه لغة : الطَّالسان بالألف ، حكاها ابن الأعرابي .

اعتراض ابن القيم والتعقُّب عليه

قال ابن القيم : ولم يُنْقل عنه ﷺ أنَّه لبسه ، ولا أحد من أصحابه ، بل ثبت في « صحيح مسلم » من حديث النَّواس بن سمعان عن النَّبيِّ ﷺ : أنَّه ذكر الدَّجَّال فقال : « يَخْرُجُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ » .

ورأى أنس جماعة عليهم الطَّيالسة فقال : ما أشبههم بيهود خيبر ! .

قال : ومن ها هنا كرهه جماعة من السَّلف والخلف ؛ لما روى أبو داود ، والحاكم ؛ أنَّه قال : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . وفي « التِّرمذيِّ » : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا » .

وأمَّا ما جاء في حديث الهجرة أنَّه ﷺ جاء إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه متقنِّعاً بالهاجرة ! فإنَّما فعله ﷺ تلك السَّاعة ليختفي بذلك ؛ للحاجة . ولم يكن عادته التقنُّع ، وقد ذكر أنس عنه ﷺ : أنَّه كان يكثر القناع ، وهذا إنَّما كان يفعله للحاجة ؛ من الحرِّ ونحوه . انتهىٰ كلام ابن القيِّم ؛ نقله في « المواهب » .

وتعقَّبه بقوله : أمَّا قوله : إنَّه ﷺ إنَّما فعل ذلك للحاجة ؛ فيردُّ عليه حديث سهل بن سعد : أنَّه ﷺ كان يكثر القناع . رواه البيهقي في « الشعب » ، والتِّرمذيُّ .

وللبيهقيِّ في « الشعب » أيضاً ، وابن سعد في « طبقاته » ؛ من حديث أنس

---

(١) الفيروزأبادي .

. . . .

بلفظ : يكثر التقنع . فهذا وما أشبهه يرد قول ابن القيم أنَّه لم ينقل عنه ﷺ أنَّه لبسه .

الطيلسان ثوب لا يؤدَّى شكره

وفي « طبقات » ابن سعد مرسلاً : ذُكر الطّيلسان لرسول الله ﷺ فقال : « هَذَا ثَوْبٌ لاَ يُؤَدَّىٰ شُكْرُهُ » . وفيه أحاديث كثيرة .

وأما قوله : ولا أحد من أصحابه ! فيردُّه ما أخرجه التِّرمذيُّ وصحَّحه ، والحاكم في « المستدرك » بسندٍ على شرط الشَّيخين ؛ عن مرَّة بن كعب ـ أو كعب بن مرة ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقرَّبها ، فمرَّ رجل مقنَّع في ثوب ـ وفي لفظٍ : « بردائه » ـ فقال : « هذا يومئذ على الهدىٰ » . فقمت فإذا هو عثمان بن عفَّانَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ ؛ فهذا صحابي من أَجِلاَّء الصَّحابة تقنَّع ، ورآه المصطفى كذلك وأقرَّه !

وروى أبو يعلى وابن عساكر : صعد النَّبيُّ ﷺ المنبر ؛ وأصحابه تحت المنبر ، وأبو بكر مقنَّع في القوم . فهذا خير الصحابة تقنَّع بحضرة المصطفى ﷺ ، وأقرَّه ! ورویٰ ابن عساكر : أنَّ عمرَ تقنَّع في خلافته يوم عيد .

وأخرج سعيد بن منصور في « سُننه » ؛ عن أبي العلاء قال : رأيت الحسن بن علي يُصَلِّي وهو مقنَّع رأسه .

وأخرج ابن سعد ؛ عن سليمان بن المغيرة قال : رأيت الحسن بن عليٍّ يلبس الطَّيالسة .

وأخرج ابن سعد أيضاً ؛ عن عمارة بن زاذان قال : رأيت على الحسن بن علي طيلساناً أندقياً . فهؤلاء أربعة من الصَّحابة تطيلسوا .

وأما التَّابعون ! فثبت عن طاوُس ، وعمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ـ أخرجه عنهم ابن سعد ـ ، ومسروق ، وإبراهيم النَّخعي ، وسعيد بن المسيب ـ عند ابن أبي شيبة ـ ، ومحمَّد بن واسع ـ عند ابن عساكر ـ ، وميمون بن مهران

. . . .

ـ عند ابن الإمام أحمد في « زوائد الزهد » ـ وروى البيهقي ؛ عن خالد بن حراش قال : جئت مالك بن أنس ؛ إمام دار الهجرة ، فرأيت عليه طيلساناً ، فقلت : يا أبا عبد الله ؛ هذا شيء أحدثتَه أم رأيتَ النَّاس عليه ؟ قال : لا ؛ بل رأيت النَّاس عليه . والآثار عن السَّلف في ذلك كثيرة .

وأما ما ذكره ابن القيِّم من قصَّةِ اليهود الخارجين مع الدَّجال ويهود خيبر ؛ فقال الحافظ ابن حجر : إنَّما يصلح الاستدلال به في الوقت الَّذي تكون فيه الطَّيالسة من شعارهم ، وقد ارتفع ذلك في هذه الأزمنة ، فصار ذلك داخلاً في عموم المباح ، وقد ذكره العزُّ بن عبد السَّلام في أمثلة البِدْعة المباحةِ . وقد يصير من شعار قوم ؛ فيصير تركه من الإخلال بالمروءة ؛ فيرتقي عن الإباحة إلىٰ الطَّلبِ .

وقيل : إنَّما أنكر أنس ألوان الطَّيالسة ؛ لأنَّها كانت صفراء ، وقد صحَّ النَّهي عن الصفرة .

انتهى كلام « المواهب » مع شيء من الشرح .

قال المناوي في شرح « الشمائل » : وقد كثر كلام النَّاس في الطَّيلَسان ، والحاصل أنَّه قسمان :

١ ـ **محنَّك** : وهو ثوبٌ طويلٌ عريضٌ قريبٌ من الرِّداء ، مربَّع ، يجعل فوق العمامة ، يغطِّي أكثر الوجه ، ثم يدار طرفه ـ والأولى اليمين من تحت الحنك ـ إلى أن يحيط بالرَّقبة جميعها ، ثمَّ يلقى طرفاه على المنكبين .

و ٢ ـ **مُقوّر** : وهو ما عدا ذلك ، فيشمل : المدوَّر ، والمثلَّث ، والمربَّع ، والمسدول ؛ وهو ما يرخى طرفاه من غير ضمِّهما أو أحدهما ؛ ومنه : الطَّرحة المعتادة لقاضي القضاة الشَّافعي المختصَّة به .

والأوَّل ـ يعني : المحنَّك ـ مندوب اتفاقاً ، ويَتأكَّد لصلاة وحضور جمعة وعيد ومجمع . والثَّاني ـ يعني : المقوَّر بأنواعه ـ مكروه ، لأنه من شعار أهل الذِّمَّة . انتهى .

. . . .

وقال السُّيوطي : كُل مَن وقع في كلامه من العلماء كراهةٌ للطيلسان وكونه شعاراً لليهود ؛ إنَّما أراد المقوَّر الَّذي على شكل الطرحة ؛ يرسل من وراء الظَّهر والجانبين من غير إدارة تحت الحَنَكِ ، ولا إلقاء لطرفيه على الكتفين .

وأما المربَّع الذي يدار من تحت الحنك ويغطي الرَّأس وأكثر الوجه ويجعل طرفاه على الكتفين ! فلا خلاف أنه سنة . انتهى . نقله الزرقاني على « المواهب » .

قال المناوي في شرح « الشَّمائل » : ووقع في أكثر الأحاديث التعبير عن التَّطَيلس بالتقنُّع ، وعن الطَّيلسان بالقناع .

ومن ثمَّ قال الحافظ ابن حجر في مجيء المصطفى ﷺ لبيت الصِّدِّيق متقنِّعاً ـ أي : مطيلساً رأسه ـ : هذا أصْلُ لبس الطَّيلسان . قال : والتقنُّع : تغطية الرَّأسِ وأكثرِ الوجه برداءٍ أو غيره ، وصرَّحوا بأنَّ القِناعَ الَّذي يحصل به التقنُّع الحقيقيُّ : هو الرداءُ ، وهو يسمَّىٰ « طيلساناً » ، كما أن الطَّيلسان قد يسمَّى « رداءً » .

ومن ثمَّ قال ابن الأثير : الرِّداء يسمَّى الآن « طيلساناً » . فما على الرَّأس مع التَّحنيك : الطَّيلسان الحقيقي ، ويسمَّى « رداءً » مجازاً . وما على الأكتاف : هو الرِّداء الحقيقي ، ويسمَّى « طيلساناً » مجازاً . وصحَّ عن ابن مسعود ـ وله حكم **المرفوع** ـ : « التَّقَنُّعُ مِنْ أَخلاَقِ الأَنْبِيَاءِ » . وفي خبر أَنَّ : « التَّقَنُّعَ بِاللَّيْلِ رِيْبَةٌ » . وفي خبر : « لاَ يَتَقَنَّعُ إلاَّ مَنِ اسْتَكْمَلَ الحِكْمَةَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ » . وأخذ من ذلك : أنَّه ينبغي أن يكون للعلماء شعارٌ مختصٌّ بهم ؛ ليُعرَفوا فيُسألوا ويُمتَثَل ما أَمروا به ونَهوا عنه .

وللطَّيلسانِ فوائدُ جليلةٌ : فيها صلاح الظَّاهر والباطن ؛ كالاستحياء من الله والخوف منه ، إذ تغطية الرَّأس شأن الخائف الآبق الَّذي لا ناصر له ولا معين ، ولجمعه للفكر لكونه يغطِّي أكثر الوجه ، فتندفع عن صاحبه مفاسدُ كثيرة ، وتجتمع همَّته ؛ فيحضر قلبه مع ربِّه ويمتلىءُ بشهوده وذكره ، وتُصان جوارحه عن المخالفات ، ونفسه عن الشَّهوات ، وهذه أسباب لإفاضة أنواع الجلالة والمهابة ، ولذلك قال بعض الصُّوفية : الطَّيلسان الخلوة الصُّغرى . انتهى .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبُ مَا يَلْبَسُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَا نُسِجَ مِنَ ٱلْقُطْنِ ، وَرُبَّمَا لَبِسُوا مَا نُسِجَ مِنَ ٱلصُّوفِ وَٱلْكَتَّانِ .

وَلَبِسَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلشَّعَرَ ٱلأَسْوَدَ . وَلَبِسَ مَرَّةً بُرْدَةً مِنَ ٱلصُّوفِ . . فَوَجَدَ رِيحَ ٱلضَّأْنِ فَطَرَحَهَا .

(وَ) في « زاد المعاد » لشمس الدِّين ابن القيِّم : (كَانَ) رسول اللهِ (ﷺ **غَالِبُ مَا يَلْبَسُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ**) معطوف على الضمير المستتر في يلبس ، والشَّرط موجود ، على حدِّ قول صاحب « الألفيَّة » :

وَإِنْ عَلَىٰ ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ

(**مَا نُسِجَ**) ـ أي : الثِّياب المنسوجة ـ (**مِنَ القُطْنِ**) ؛ قميصاً أو رداءً أو غيرهما .
والقطن ـ بضمٍّ فسكون ، وبضمَّتين ـ شجرٌ معروف ، قد يعظم ويبقى عشرين سنة .
(**وَرُبَّمَا لَبِسُوا مَا نُسِجَ مِنَ الصُّوْفِ**) لمزيد تواضعه ، ولأنَّ لبسه من سنَنِ الأنبياءِ .

قال ابن مسعود : كان الأنبياء يركبون الحمير ، ويلبسون الصُّوف ، ويحتلبون الشَّاة . رواه أبو داود الطَّيالسيّ . وعنه ﷺ قال : « كَانَ عَلَىٰ مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوْفٍ ، وَكُمَّةُ صُوْفٍ ، وَجُبَّةُ صُوْفٍ ، وَسَرَاوِيلُ صُوْفٍ ، وَكَانَتْ نَعْلاَهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيْتٍ » . رواه التِّرمذيُّ وقال : غريب . والحاكم وصححَه على شرط البخاريِّ كلاهما ؛ عن حميد الأعرج ؛ عن عبد الله بن الحارث ؛ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه . والكُمَّة ـ بضمِّ الكاف وتشديد الميم ـ : القلنسوة الصغيرة . انتهى .

(وَ) ما نسج من (**الكَتَّانِ**) ـ بفتح الكاف وتشديد المثنَّاة الفوقيَّة آخره نون ـ عربي معروف ، وسمِّي بذلك !! لأنَّه يكتنُّ ، أي : يسوَدُّ إذا ألقي بعضه على بعض . والثِّياب المنسوجة من الكتَّان معتدلة الحرِّ والبرْدِ واليبوسة ، ولا تلزق بالبدن ، ويقل قملها .

(وَ) في « كشف الغمَّةِ » للعارف الشَّعراني : (**لَبِسَ**) رسول اللهِ (ﷺ **الشَّعَرَ الأَسْوَدَ**) ، وقد تقدَّم بيانه ، (**وَلَبِسَ مَرَّةً بُرْدَةً مِنَ الصُّوفِ ؛ فَوَجَدَ رِيحَ الضَّأْنِ فَطَرَحَهَا**) . فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء ،

وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاوِيلُ ، . . . .

فلبسها ، فلما عرق فيها ؛ وجد ريح الصُّوف فقذفها . وكانت تعجبه الرِّيح الطيِّبة . أخرجه أبو داود ، والنَّسائي في « سننه » ، وذكره البغوي في « المصابيح » .

(وَ) في « كشف الغمَّةِ » أيضاً : (**كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ سَرَاوِيْلُ**) ؛ قال ابن سيده : فارسيٌّ معرّب ؛ يذكَّر ويؤنَّث . ولم يعرف أبو حاتم السجستاني التذكير ، والأشهر عدم صرفه . قال الحافظ ابن حجر : والتأنيث أكثر ؛ ففي « القاموس » : فارسية معرَّبة ، وقد تذكَّر ، جمعها سراويلات ، أو جمع « سِروال ، وسِراولة ، وسِرويل » ـ بكسرهنَّ ـ وليس في الكلام فعويل غيره ، والسَّراوين ـ بالنّون ـ : لغة في السَّراويل ، والشِّروال ـ بالشين ـ : لغةٌ . وفي « المصباح » : الجمهور على أن السَّراويل أعجميَّة ، وقيل : عربيَّة ؛ جمع سروالة تقديراً ، والجمع سراويلات .

واختُلف ؛ هل لبِسَها النبي ﷺ أم لا ؟! فجزم بعض العلماء بأنَّه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ، ويستأنس له بما جزم به النَّوويُّ في ترجمة عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه من كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » أنَّه رضي الله عنه لم يلبس السَّراويل في جاهليَّة ولا إسلام إلاَّ يوم قتله . فإنَّهم كانوا أحرص شيء على اتِّباعه ﷺ .

لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي بسند ضعيف جداً ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : دخلت السوق يوماً مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البَزَّازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم ، وكان لأَهل السّوق وزَّان يزن ، فقال له رسول الله ﷺ : « اتَّزِنْ وَأَرْجِحْ » .

فقال الوزَّان : إنَّ هذه الكلمة ما سمعتها من أحد !! . قال أبو هريرة : فقلت له : كفى بك من الوهن والجفاء في دينك أن لا تعرف نبيَّك ! فطرح الميزان .

ووثب إلى يد رسول اللهِ ﷺ يريد أن يقبِّلها ، فجذب يده ﷺ منه ، وقال : « يَا هَذَا ؛ إِنَّما تَفْعَلُ هَذا الأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا ، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنكُمْ » ، فوزن وأَرجح ، وأخذ رسول اللهِ ﷺ السَّراويل . قال أبو هريرة : فذهبت لأحمله

. . . .

عنه ، فقال : « صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ ضَعِيْفاً يَعْجزُ عَنْهُ فَيُعِيْنُهُ أَخُوْهُ المُسْلِمُ » .

قال : قلت : يا رسول الله ؛ وإنك لتلبس السَّراويل ؟ قال : « أَجَلْ ! فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ ، وَبِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسَّتْرِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَسْتَرَ مِنْهُ » .

وكذا أخرجه ابن حبَّان في « الضُّعفاء » ؛ عن أبي يعلى ، ورواه الطَّبراني في « الأوسط » ، والدَّارقطني في « الأَفْراد » ، والعقيلي في « الضُّعفاء » ؛ ومداره على يوسف بن زياد الواسطيّ وهو واهٍ لا يحتمل تفرُّده ، بل بالغ ابن الجوزيِّ فذكر الحديث هذا في « الموضوعات » ، وتعقَّبه السُّيوطي ، واقتصر الحافظ ابن حجر وغيره على أنَّه ضعيفٌ .

لكنْ صَحَّ شِرَاءُ النَّبيِّ ﷺ للسَّراويل من غير هذا الطَّريق ؛ فقد روى أحمد ، وأصحاب « السُّنن الأربعة » ، وصحَّحه ابن حبَّان ؛ عن سويد بن قيس قال : جلبت أنا ومخرفَةُ العبدُ بزّاً من هجر ، فأتينا مكَّة ، فجاءنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ، فساومنا سراويل ، فبعناه منه ، فوزن ثمنه ؛ وقال للوزَّان : « زِنْ وأَرْجِحْ » .

وروى النَّسائيُ وأحمد ؛ عن أبي صفوان مالك بن عميرة الأسديّ : أنَّه باع من النَّبيِّ ﷺ قبل أن يهاجر رجل سراويلَ ، فلمَّا وزن له أَرجح له . وهذه القصَّة غير الَّتي في حديث أبي يعلى ؛ لأنَّها بعد الهجرة ، إذ أبو هريرة إنَّما جاء في خيبر .

قال في « الإصابة » : مالك بن عَميرة ـ بفتح العين ـ وقيل عمير ـ مصغَّراً بلا هاء ـ حديثه يشبه حديث سويد بن قيس ، فقيل إنَّهما واحد اختلف في اسمه . انتهى .

وفي « الهدي النبوي » لابن القيِّم : والظَّاهر أنَّه ﷺ إنَّما اشتراه ليلبسه ، وقد روي أنَّه لبس السَّراويل ، وكانوا يلبسونه في زمانه ، وبإذنه ، قال أبو عبد الله الحجازيُّ في حاشيته على « الشفاء » : وما قاله في « الهدي » من أنَّه ﷺ لبس السَّراويل !! قالوا سبق قلم . انتهى . من « المواهب » مع زيادة من شرح الزرقاني .

وَلَبِسَ ٱلنَّعْلَ ٱلَّتِي تُسَمَّىٰ : ٱلتَّاسُومَةَ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلَاءَةٌ مَصْبُوغَةٌ بِٱلزَّعْفَرَانِ ، تُنْقَلُ مَعَهُ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ ، فَتُرْسِلُهَا مَنْ كَانَ نَائِماً عِنْدَهَا إِلَىٰ صَاحِبَةِ ٱلنَّوْبَةِ ، فَتَرُشُّهَا بِٱلْمَاءِ ، فَتَظْهَرُ رَائِحَةُ ٱلزَّعْفَرَانِ ، فَيَنَامُ مَعَهَا فِيهَا .

(وَلَبِسَ) ﷺ (النَّعْلَ الَّتِي تُسَمَّىٰ) في العرف (التَّاسُومَةَ) : هي ما له سير يستر بعض الأصابع ممَّا يلي أصولَها ، وبعضَ ظهر القدمِ من تلك الجِهَةِ .

(وَ)في « كشف الغُمَّة » للعارف الشَّعراني رحمه الله تعالى :

(كَانَ له ﷺ مُلَاءَةٌ) ـ بالضمِّ والمدِّ ـ : الإزار ، يقال : تَمَلأْتُ : لبستُ الملاءة ، وتصْغير الملاءة : مُلَيْئة . ورد في الحديث : « وَعَلَيْهِ أَسْمَالُ مُلَيَّتين » ؛ تصغير « ملاية » ؛ مثنَّاة مخفَّفَة الهمز . والملاءة : قيل إنَّها مرادفة للرَّيطة ـ بالفتح ـ . وقيل : الملاءة الملحفة ذات اللِّفقين ، فإن كانت ليست ذات لفقين ؛ فهي رَيطة . انتهى « شرح القاموس » . (مَصْبُوغَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ) معروف ، يقال : زعفرت الثَّوب : صبغته بزعفران ، فهو مُزَعْفَر ـ بالفَتْحِ اسم مفعول ـ (تُنْقَلُ مَعَهُ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ) بالنَّوبة ، (فَتُرْسِلُهَا مَنْ كَانَ نَائِماً عِنْدَهَا إِلَىٰ صَاحِبَةِ النَّوْبَةِ ؛ فَتَرُشُّهَا بِالمَاءِ) ، الظَّاهر أنَّ القصد برشِّها التَّبريد ، لأنَّ قطر الحجاز في غاية الحرِّ ، ويحتمل أنَّها ترشُّها بماءٍ ممزوج بنحو طيب كما يفعله النِّساء الآن ، أو لأجل أنْ تظهر رائحة الزَّعفران منها ؛ كما قال : (فَتَظْهَرُ رَائِحَةُ الزَّعْفَرَانِ) منها إذا رُشَّت بالماء ، (فَيَنَامُ مَعَهَا)ـ أي : مع صاحبةِ النَّوبةِ ـ (فِيهَا) ؛ أي : الملاءة .

روىٰ الخطيب في « تاريخه » بسندٍ ضعيف ؛ عن أنسِ بنِ مالكٍ : أن النَّبيَّ ﷺ كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزَّعفران ، يدور بها على نسائه ، فإذا كانت ليلة هذه رشَّتها بالماء ، وإذ كانت ليلة هذه رشَّتها بالماء . انتهى .

وفيه حِلُّ لبس المزعفَر والمورَّس ، ويعارضه بالنسبة للمزعفر حديث الشَّيخين : نَهَىٰ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ . وبه أخذَ الشَّافعيُّ ، ولا فرق بين ما صبغ قبل

وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِلْحَفَةٌ مَصْبُوغَةٌ بِٱلزَّعْفَرَانِ ، وَرُبَّمَا صَلَّىٰ بِٱلنَّاسِ فِيهَا وَحْدَهَا ، وَرُبَّمَا لَبِسَ ٱلْكِسَاءَ وَحْدَهُ وَمَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبَّمَا صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلإِزَارِ ، وَٱرْتَدَىٰ بِبَعْضِهِ مِمَّا يَلِي هُدْبَهُ ، وَأَلْقَىٰ ٱلْبَقِيَّةَ عَلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَيُصَلِّي كَذَٰلِكَ .

النَّسْج وبعده . وأما المُوَرَّس ! فذهب جمعٌ من أصحابه لحِلِّهِ ؛ تمسُّكاً بهذا الخبر ، المؤيَّد بما صحَّ : أنَّه كان يصبغ ثيابه بالورس ؛ حتَّى عمامته . لكن ألحقه جمع بالمزعفر في الحرمة . انتهى « مُناوي » .

(وَ) في « كشف الغمة » و« الإحياء » : (**كَانَتْ لَهُ ﷺ مِلْحَفَةٌ**) ـ بكسر الميم ـ : المُلاءة الَّتي تلتحف بها المرأةُ (**مَصْبُوغَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ ، وَرُبَّمَا صَلَّىٰ بِالنَّاسِ فِيْهَا وَحْدَهَا**) . قال العراقيُّ : روى أبو داود ، والتِّرمذيُّ ؛ من حديث قيلة بنت مخرمة قالت : رأيت النَّبيَّ ﷺ وعليه أَسمال ملاءتين كانتا بزعفران . قال التِّرمذيُّ : لا نعرفه إلاَّ من حديث عبد الله بن حَسَّان . قلتُ : ورواته موثَّقون .

ولأبي داود ؛ من حديث قَيْسِ بْنِ سَعدٍ : « فاغتسل ، ثمَّ ناوله أبي سعدٌ ملحفةً مصبوغةً بزعفران أو ورس ، فاشتمل بها . . . » . الحديث . ورجاله ثقات .

(**وَرُبَّمَا لَبِسَ**) ﷺ (**الكِسَاءَ وَحْدَهُ وَمَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ**) . قال العراقي : رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة ؛ من حديث ثابت بن الصَّامت : أن النَّبي ﷺ صَلَّى في بني عبد الأشهل وعليه كِسَاء متلفِّفٌ به . . . الحديث . وفي رواية البزَّار : في كساء . انتهى شرح « الإحياء » .

(وَ) في «الإحياء» : (**كَانَ ﷺ رُبَّمَا صَلَّىٰ بِاللَّيْلِ فِي الإِزَارِ وَارْتَدَىٰ بِبَعْضِهِ مِمَّا يَلِيْ هُدْبَهُ**) ـ بضم الهاء وإسكان الدال ـ: طرف الثوب ، (**وَأَلْقَىٰ البَقِيَّةَ عَلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَيُصَلِّي كَذَٰلِكَ**) .

قال العراقيُّ : روى أبو داود ؛ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّى في ثوب بعضه عليَّ . ولمسلم : كان يصلِّي مَن اللَّيْلِ وأَنَا إلىٰ جنبه ،

وَكَانَتْ ثِيَابُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا مُشَمَّرَةً فَوْقَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَكَانَ إِزَارُهُ فَوْقَ ذَٰلِكَ إِلَىٰ نِصْفِ ٱلسَّاقِ ، . . . .

وأَنَا حائض ، وعَلَيَّ مِرْط وعليه بعضه إلى جنبه .

وللطَّبراني في « الأوسط » ؛ من حديث أبي عبد الرَّحمن حاضنِ عائشةَ رضي الله عنها : رأيت النَّبيَّ ﷺ وعائشةَ يصلِّيان في ثوب واحد ، نصفه على النَّبيِّ ﷺ ونصفُه عَلى عائشَة . وسنده ضعيف .

(وَ) في « كشف الغمة » و« إحياء علوم الدين » : (**كَانَتْ ثِيَابُهُ ﷺ كُلُّهَا مُشَمَّرَةً فَوْقَ الكَعْبَيْنِ**) ـ مثنى كعب ـ ، واختَلف فيه أئمة اللُّغة ؛ فقال أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعي ، وجماعة : هو العظم الناشز في جانب القدم عند ملتقى السَّاق والقدم ، فيكون لكل قدم كعبان ؛ عن يمنتها ويسرتها ، وقد صرَّح بهذا الأزهري وغيره . وقال ابن الأعرابي وجماعة : هو المفصل بين السَّاق والقدم . وقيل غير ذلك .

(**وَكَانَ إِزَارُهُ فَوْقَ ذَٰلِكَ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ**) ، قال العراقي : روى أبو الفضل محمَّد بن طاهر في كتاب « صفوة التصوُّف » ؛ من حديث عبد الله بن بُسْر : « كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره فوق الكعبين ، وقميصه فوق ذلك ، ورداؤه فوق ذلك » وإسناده ضعيف .

وللحاكم وصححه ؛ من حديث ابن عبَّاس : كان يلبس قميصاً فوق الكعبين . . . الحديث ، وهو عند ابن ماجه بلفظ : قميصاً قصير اليدين والطُّول . وسندهما ضعيف .

وللتِّرمذيِّ في « الشمائل » ؛ من رواية الأشعث قال : سمعت عمَّتي تحدِّث عن عمِّها ؛ فذكر النَّبيَّ ﷺ ، وفيه : فإذا إزاره إلى نصف ساقَيْه .

ورواه النَّسائي وسمَّى الصَّحابي : عبيد بن خالد ، واسم عمة الأشعث : رهم بنت الأسود . ولا تُعرَف !! انتهى .

وَكَانَ قَمِيصُهُ مَشْدُودَ ٱلأَزْرَارِ ، وَرُبَّمَا حَلَّ ٱلأَزْرَارَ فِي ٱلصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا .

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِٱلْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي . . . .

(**وَكَانَ قَمِيْصُهُ مَشْدُوْدَ الأَزْرَارِ**) ـ واحدها : زِرٌّ بالكسر ـ (**وَرُبَّمَا حَلَّ الأَزْرَارَ فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا**) . قال العراقي : رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والتِّرمذيُّ في « الشَّمائل » ؛ من رواية معاوية بن قُرَّة بن إياس قال : أتيت النَّبيَّ ﷺ في رَهْطٍ من مُزَينة ، فبايعناه ، وإن قميصَه لمطلَقُ الأزرار . وقد تقدَّم .

وللبيهقيِّ من رواية زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلِّي محلولَ أزراره ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله .

وللطَّبراني ؛ من حديث ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما بإسناد ضعيف : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي محتبياً محلَّل الأَزرار .

(وَ) أخرج التّرمذيُّ في « الجامع » و« الشمائل » ، والنسائي في « السنن » ؛ (**عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ**) ـ ويقال ابن خلف المحاربيّ ، ويقال : عَبيد ؛ بفتح أوله ، ويقال عبيدة ؛ بفتح العين وزيادة هاء . وذكره ابن عبد البرِّ : بضمٍّ أوله وبالهاء ؛ صحابيٌّ يعدُّ في الكوفيِّينَ ـ (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) له حديث في إسبال الإِزار ، ذكره في « الإِصابة » .

(**قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالمَدِيْنَةِ ؛ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي**) ، أي : فاجأني كون إِنسان خلفي بين أزمنة كوني أَمشي في المدينة . فـ« بين »[1] : ظرف للفعل الذي دلَّت عليه «إذا» الَّتي للمفاجأة ، وأصلها : «بين» ، فأشبعت فتحتها فتولَّدت الألف ، وقد تزاد فيها «ما» ، فيقال : بينما . ولا تضاف «بينا» و «بينما» إلا إلىٰ اثنين فصاعداً ،

---

(١) هكذا في الأصل !! والصواب : بينا ؛ بالألف .

يَقُولُ : « ٱرْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَىٰ وَأَبْقَىٰ » ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ ، . . . . . .

أو ما قام مقامهما ؛ كقوله تعالى ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة : ٦٨] . وقدَّم المسندَ إليهِ للتَّخْصيصِ أو للتَّقوِّي . وعَبَّر بصيغة المضارع استحضاراً للصُّورة الماضية ، والباء في قوله بـ« المدينة » بمعنى «في» . وقوله (**يَقُولُ**) خبر المبتدأ الَّذي هو (إنسان) ؛ المخصوص بالوصف ، أي : يقول ذلك الإنسان : (« **ارْفَعْ إِزَارَكَ**) عن الأرض ، وهذا على عادته في نصح أصحابه ، (**فَإِنَّهُ**) ـ أي : الرفع ـ (**أَتْقَىٰ**) ـ بمثنَّاة فوقيَّة ـ أي : أقربُ إلىٰ التَّقْوى ، للبعد عن الكبر والخيلاء ، وفي رواية : « أنقىٰ » بِالنُّونِ ، أيْ : أَنْظَفُ ، فَإِنَّ الإِزَارَ إِذَا جُرَّ عَلَىٰ الأَرْضِ رُبَّمَا تَعْلَقُ بِهِ نَجَاسَةٌ فَتُلَوِّثُهُ ، (**وَأَبْقَىٰ**) ـ بالبَاء الموحَّدة ـ؛ أي : أكثر بقاءً ودواماً .

وفيه إرشاد إلىٰ أنَّه ينبغي للاَّبِسِ الرِّفق بما يستعمله ، واعتناؤه بحفظه ، لأنَّ إهماله تضييعٌ وإسراف ، فقد علَّل النَّبيُّ ﷺ أمْره بالمصلحة الدِّينيَّة ؛ وهي طهارة القلبِ أو القالَبِ أوَّلاً ، لأنَّها المقصودة بالذَّات ، وثانياً بالْمَنْفَعَةِ الدُّنيويَّة ، فإنَّها التَّابعة للأخرىٰ .

وفيه إيماءٌ إلىٰ أنَّ المصالح الأخرويَّةَ لا تخلو عنِ المنافعِ الدُّنيويَّة .

(**فَإِذَا هُوَ**) ـ أي : الإنسان ـ (**رَسُوْلُ اللهِ**) ، هكذا في أكثر نسخ « الشمائل » ، وفي بعضها : فالتفتُّ فإذَا هو رسول اللهِ (ﷺ ، **فَقُلْتُ** : **يَا رَسُولَ اللهِ ؛ إِنَّما هِيَ**) ؛ أيْ : الإزار ـ تؤنَّث وتُذكَّر ـ (**بُرْدَةٌ**) ـ بضمٍّ فسكون ـ كساءٌ صغير مربَّع ، ويقال كساءٌ أسود صغير ، (**مَلْحَاءُ**) ـ بفتح الميم والحاء المهملة وسكون اللاَّم والمدِّ ـ هي في الأَصل : البياضُ يخالطه سوادٌ ، والمراد : بردةٌ سوداءُ فيها خطوطٌ بيضٌ تلبسها الأَعراب .

والظَّاهر أنَّ هذا جواب لقوله « أبْقَىٰ » بموحدة ، أي : إنَّها بردة مبتذلة لا يؤبه لها ليراعيَ ما يقيها ؛ إذْ ليست من الثِّيابِ الفَاخِرةِ ، وكأنَّه يريد أَنَّ هذا ثَوبٌ لا اعتبار

قَالَ : « أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟! » ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ .

وَمَعْنَىٰ (مَلْحَاءُ) : سَوْدَاءُ فِيهَا خُطُوطٌ بِيضٌ يَلْبَسُهَا ٱلأَعْرَابُ ، لَيْسَتْ مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلْفَاخِرَةِ . وَ(ٱلأُسْوَةُ) : ٱلْقُدْوَةُ .

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ ٱلأَكْوَعِ ....

به ، ولا يلبسه في المجالس والمحافل ، وإنَّما هو ثوبُ مهنةٍ ؛ لا ثوبُ زينةٍ ، فأَجابه ﷺ بطلب الاقتداء به حيث :

(**قَالَ** : « **أَمَا**) ـ كلمة «ما» للنفي ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ؛ أي : لَيْسَ (**لَكَ فِيَّ**) ـ بتشديد الياء ـ أي : في أقوالي وأفعالي (**أُسْوَةٌ**) ـ بِضَمِّ الهمزة أفصح من كسرها ـ أيْ : اقتداء واتباع . ومراده ﷺ طلب الاقتداء به ، وإنْ لم يكن في تلك البردة خيلاء ؛ سدّاً للذَّريعة ، وكأنَّه ﷺ علم أنَّه لم يفهم مراده فغيَّر الأسلوب .

(**فَنَظَرْتُ**) ، أَي : تأَمَّلت لبسته ﷺ ؛ (**فَإِذَا إِزَارُهُ**) ينتهي (**إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ**) ﷺ . قال النَّوويُّ : القدرُ المستحبُّ فيما ينزل إلَيْه طرف الإزار : نصف السَّاقين ، والجائزُ بلا كراهة : ما تحته إلىٰ الكعبينِ ، وما نزل عنهما ؛ إنْ كان للخيلاء حرم ، وإلاَّ كره ، وفي معنى الإزار : القميصُ وكلُّ ملبوسٍ ، وهذا في حقِّ الرَّجُل ، أما المرأة ! فيسنُّ لها جرُّهُ على الأرضِ قدرَ شِبْرٍ ، وأكثره ذراع ؛ ذكره الباجوريُّ وغيره .

(**وَمَعْنَىٰ مَلْحَاءُ**) ـ بفتح الميم والمهملة بينهما لام ساكنة ؛ ممدود ـ: تأنيث أملح وهي في الأصل : بياضٌ يخالطه سواد ، والمراد هنا : بُرْدَة (**سَوْدَاءُ** ؛ **فِيْهَا خُطُوطٌ بِيْضٌ يَلْبَسُهَا ٱلأَعْرَابُ** ؛ **لَيَسَتْ مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلفَاخِرَةِ**) ؛ قاله الباجوري .

(**وَ**) معنى (**ٱلأُسْوَةُ**) ـ بضم الهمزة وكسرها ـ : (**ٱلْقُدْوَةُ**) ، أي : الحالة التي يكون عليها الإنسان في اتباع غيره .

(**وَ**) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » ؛ (**عَنْ**) أبي إياس (**سَلَمَةَ**) بن عَمْرِو (**ٱبْنِ ٱلأَكْوَعِ**) ، واسم الأكوع : سنانُ بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن

سلامان بن أسلم الأسلمي ؛ شهد بيعة الرضوان بالحديبية ، وبايع رسولَ الله ﷺ يومئذ ثلاثَ مرَّات : في أول الناس ، ووسطِهم ، وآخرِهم .

وكان شجاعاً رامياً مُحسِناً خيِّراً فاضلاً ، غزا مع رسول الله ﷺ سبعَ غزوات ؛ ويقال شهد غزوة مؤتة ، رُوي له عن النبي ﷺ سبعة وسبعون حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم منها على ستة عشر حديثاً ، وانفرد البخاريُّ بخمسة ، وانفرد مسلمٌ بتسعة .

وتوفِّيَ بالمدينة المنورة سنة : أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة (**رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** ، **قَالَ** :

كَانَ) أبو عَمْرٍو ذو النورين (**عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**) بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي القرشي الأموي المكيُّ ؛ ثم المدني ، أمير المؤمنين وثالثُ الخلفاء الراشدين .

أسلم قديماً ؛ دعاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأسلم ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة . ويقال له « ذو النورين » !! لأنَّه تزوَّج بنتَي رسول الله ﷺ إحداهُما بعد الأخرى ، قالوا : ولا يعرف أحدٌ تزوج بنتي نبيٍّ غيره ، تزوَّج رقية أوّلاً فماتت في أيام غزوة بدر ، ثم تزوَّج أختَها أُمَّ كلثوم وتوفيت عنده سنة : تسع من الهجرة .

وكان حَسَنَ الوجه ، رقيقَ البشرة ، كثَّ اللحية ، وقد قيل فيهما :

أَحْسَنُ شَيْءٍ قَدْ يَرَىٰ إِنْسَانُ   رُقَيَّةٌ وَزَوْجُهَا عُثْمَانُ

وكان محبَّباً في قريش ، واشترى بئر رومة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستَّة أصحابِ الشورى الذين توفِّيَ رسول الله ﷺ ؛ وهو عنهم راض ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد المنفقين في سبيل الله الإنفاقَ العظيم ، وأحد أصهار رسول الله ﷺ .

روي له من الحديث مائة حديث وستة وأربعون حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومسلمٌ

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَأْتَزِرُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَقَالَ : هَـٰكَذَا كَانَتْ إِزْرَةُ صَاحِبِي ؛ يَعْنِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ ٱلْيَمَانِ رَضِيَ ٱللهُ [تَعَالَىٰ] عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَضْلَةِ سَاقِي فَقَالَ : « هَـٰذَا مَوْضِعُ ٱلإِزَارِ » . . . .

منها على ثلاثة ، وانفرد البخاريُّ بثمانية ، وانفرد مسلم بخمسة .

وقتل شهيداً يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة : خمس وثلاثين ؛ وهو ابن تسعين سنة (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ يَأْتَزِرُ**) ـ بهمزة ساكنة ، ويجوز إبدالها ألفاً ؛ كما في « جمع الوسائل » ـ أي : يلبس الإزار ويُرخيه (**إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ**) ، والمراد بالجمع في الأنصاف : ما فوق الواحد بقرينة ما أضيف إليه . والساق : ما بين الركبة والقدم .

(**وَقَالَ**) ؛ أي : عثمان ـ على الأظهر ـ (**هٰكَذَا**) ـ أي : مثل هذا الاتّزار المذكور ـ (**كَانَتْ إِزْرَةُ**) ـ بكسر أوله ـ : اسم لهيئة الاتّزار ؛ أي كانت إزرة (**صَاحِبِيْ**) أي : هيئة ائتزاره هكذا ؛ أي : كهذه الهيئة التي رأيتها مني (**يَعْنِي**) ؛ أي : يريد ويقصد عثمان بقوله « صاحبي » : (**ٱلنَّبِيَّ ﷺ**) . وقائل ذلك سَلَمة رضي الله تعالى عنه .

(**وَ**) أخرج النسائي ، والترمذي في « الجامع » و« الشمائل » ، وابن ماجه ، وابن حبّان كلُّهم ؛ (**عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ ٱلْيَمَانِ**) ـ بكسر النون بلا ياء ـ لقب والده حسل بن جابر اليماني . أسلم هو وأبوه قبل بدر . وتقدَّمت ترجمته (**رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَال**) ـ أي حذيفة ـ:

(**أَخَذَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ بِعَضْلَةِ سَاقِي**) العضلة ـ بفتح العين وسكون الضاد ؛ كطلحة ، أو [عَضَلَة] بتحريكها ـ : كُلُّ عَصَب له لحم بكثرة . قال الحافظ العراقي : وهي هنا اللحمة المجتمعة أسفل من الركبة من مؤخّر الساق .

(**فَقَالَ : « هٰذَا مَوْضِعُ ٱلإِزَارِ**) ـ أي : هذا المحلُّ موضعُ طَرَف الإزار ، أو

فَإِنْ أَبَيْتَ . . فَأَسْفَلُ ، فَإِنْ أَبَيْتَ . . فَلاَ حَقَّ لِلإِزَارِ فِي ٱلْكَعْبَيْنِ » .

وَعَنْ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : رَآنِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْبَلْتُ إِزَارِي فَقَالَ : « يَا ٱبْنَ عُمَرَ ؛ كُلُّ شَيْءٍ لَمَسَ ٱلأَرْضَ مِنَ ٱلثِّيَابِ فِي ٱلنَّارِ » . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ ٱلْكَعْبَيْنِ مِنَ ٱلإِزَارِ . . فِي ٱلنَّارِ » ،

نهاية موضع الإزار ؛ فهو على حذف مضاف ـ (**فَإِنْ أَبَيْتَ**) ! ـ أي : امتنعت من الاقتصار على ذلك وأردت التجاوز ـ (**فَأَسْفَلَ**) ـ أي : فموضعه أسفلَ من العضلة بقليل بحيث لا يصل إلى الكعبين ـ .

(**فَإِنْ أَبَيْتَ ! فَلاَ حَقَّ**) ـ أي : فإن امتنعتَ من الاقتصار على ما دون الكعبين ؛ فاعلم أنَّه لا حقَّ ـ (**لِلإِزَارِ فِي**) وصوله إلى (**ٱلْكَعْبَيْنِ**) .

وظاهره أنَّ إسباله إلى الكعبين ممنوعٌ ، لكن ظاهر رواية البخاريِّ : « **ما أَسْفَلَ مِنَ ٱلْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ** » يدلُّ على جواز إسباله إلى الكعبين ، ويحمل ما هنا على المبالغة في منع الإسبال إلى الكعبين ؛ لئلا يجرَّ إلى ما تحتهما على وزان خبر « **كَٱلرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ ٱلحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ** » .

(**وَ**) أخرج الطبرانيُّ ؛ من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ؛ (**عَنْ**) أبي عبد الرحمن عبد الله (**ٱبْنِ عُمَرَ**) بنِ الخطَّاب (**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا** ، **قَالَ : رَآنِي ٱلنَّبِيُّ ﷺ أَسْبَلْتُ إِزَارِي**) ـ أي : أرخيتُه ـ (**فَقَالَ : « يَا ٱبْنَ عُمَرَ ؛ كُلُّ شَيْءٍ لَمَسَ ٱلأَرْضَ مِنَ ٱلثِّيَابِ فِي ٱلنَّارِ** ») . عقاباً للابسه .

(**وَ**) في البخاري والنسائي ؛ (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ ٱلكَعْبَيْنِ**) من الرجل (**مِنَ ٱلإِزَارِ فِي ٱلنَّارِ** ») . « ما » موصولة وبعض صلته محذوف ؛ وهو « كان » . و « أسفلَ » خبره فهو منصوب ، ويجوز الرفعُ ، أي : ما هو أسفل : أفعل تفضيل ، ويحتمل أنَّه فعل ماض ، ويجوز أنَّ « ما » نكره موصوفة بـ« أسفل » ؛ ذكره الحافظ ابن حجر .

وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَا وَرَدَ مِنْ قَيْدِ ٱلْخُيَلاَءِ ، فَهُوَ ٱلَّذِي وَرَدَ فِيهِ ٱلْوَعِيدُ .

وقال القُسْطُلاَّني : « ما » موصولة في محلٍّ رفع مبتدأ ، و « في النار » الخبر ، و « أسفل » خبر مبتدأ محذوف ؛ وهو العائد على الموصول ، أي : « ما هو أسفل » ، وحذف العائد لطول الصِّلَة ، أو المحذوف « كان » و« أسفل » نصب خبرها ، و « مِنْ » الأُولى لابتداء الغاية ، والثانية لبيان الجنس .

قال الخطَّابي : يريد أنَّ الموضع الذي يناله الإزار من أسفل الكعبين في النار ، فكنَّىٰ بالثوب عن بدنِ لابسه ، ومعناه : أنَّ الذي دون الكعبين من القدم يعذّب بالنار ؛ عقوبة له ، وحاصله : أنَّه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره أو حَلَّ فيه . انتهى ؛ ملخَّصاً .

وهذا استبعادٌ لوقوع الإزار في النار . وأصله ما أخرجه عبد الرزاق ؛ عن عبد العزيز بن أبي رواد : أنَّ نافعاً سئل عن ذلك ، فقال : وَمَا ذَنْبُ ٱلثِّيَابِ !! بل هو مِن القدمين ، لكن في حديث ابن عُمَر المارِّ : « كُلُّ شَيْءٍ لَمَسَ ٱلأَرْضَ مِنَ ٱلثِّيَابِ فِي ٱلنَّارِ » .

وأخرج الطبراني بسند حسن ؛ عن ابن مسعود : أَنَّه رأى أعرابيّاً يصلي قد أسبل ؛ فقال : « المسبلُ في الصلاة ليس من الله في حِلٍّ ولا حرام » .

ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأي ، فعلى هذا لا مانع من حمل الحديث على ظاهره ، فيكون من وادي ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [٩٨/الأنبياء] ، أو يكون من الوعيد لما وقعت به المعصية إشارة إلى أنَّ الذي يتعاطى المعصية أحقُّ بذلك ؛ ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » .

(وَهُوَ) ـ أي : هذا الإطلاق في الأحاديث المارَّة ـ (مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَا وَرَدَ مِنْ قَيْدِ) ـ بالدال ؛ أي : التقييد بحالة ـ (ٱلْخُيَلاَءِ) ـ بضمِّ الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية ؛ ممدود ـ (فَهُوَ ٱلَّذِي وَرَدَ فِيهِ ٱلْوَعِيدُ) بالاتفاق ، ونصَّ الشافعيُّ على أنَّ التحريم مخصوص بالخيلاء ، فإن لم يكن لها ! كره .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْخِي إِزَارَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ .

وقد أخرج أصحاب « السنن » إلاَّ الترمذيَّ واستغربه ، وابنُ أبي شيبة ؛ من طريق عبد العزيز بن أبي رواد ؛ عن سالم بن عبد الله بن عمر ؛ عن أبيه ، عن النبي ﷺ أنَّه قال : « ٱلإِسْبَالُ فِي ٱلإِزَارِ وَٱلقَمِيْصِ وَٱلعِمَامَةِ ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئاً خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ » فبيَّن في هذه الرواية أنَّ الحُكم ليس خاصّاً بالإزار ؛ وإن جاءَ في أكثر طرق الأحاديث بلفظ « الإزار » . قال ابن جرير الطبري : إنَّما ورد الخبرُ بلفظ « الإزار » !! لأنَّ أكثر الناس في عهده ﷺ كانوا يلبسون الأُزُر والأردية ، فلما لبس الناس القميص والدرائع ؛ كان حكمُها حكمَ الإزار في النهي .

قال ابن بَطَّال ؛ تعقُّباً علىٰ ابن جرير : هذا قياس صحيح لو لم يأتِ النصُّ بالثوب ، فإنَّه يشمل جميعَ ذلك ، فلا داعيةَ للقياس مع وجود النصِّ .

وفي تصوير جرِّ العمامة نظرٌ ، إذ لا يتأتَّىٰ جرُّها علىٰ الأرض كالثوب والإزار ، إلا أن يكون المراد ما جرت به عادة العرب من إرخاء العَذَبات !! لأنَّ جرَّ كلِّ شيء بحسبه ، فمهما زاد علىٰ العادة في ذلك كان من الإسبال .

وهل يدخل في الزجر مِن جرِّ الثوب تطويلُ أكمام القميص ونحوه ، أم لا يدخل !؟ محلُّ نظر لعدم النصِّ عليه . والذي يظهر أنَّ مَن أطالها حتَّىٰ خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين وغيرُهم ؛ كفلاَّحي مصر دخل في ذلك .

وقال الزين العراقي : ما مَسَّ الأرض منها لا شكَّ في تحريمه ، بل لو قيل بتحريم ما زاد علىٰ المعتاد لم يَبْعُد . انتهىٰ ؛ من « المواهب » وشرحها .

(وَ) أخرج ابن سعد في « طبقاته » ؛ عن يزيد بن أبي حبيب البصري[1] مرسلاً : (**كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يُرْخِي**) ـ من أرخىٰ ـ (**إِزَارَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ**) حالَ المشي ؛ لئلا يصيبه نحوُ قذر ؛ أو شوك .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله : (المصري).

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً . سَمَّاهُ بِٱسْمِهِ ؛ قَمِيصاً ، أَوْ عِمَامَةً ، أَوْ رِدَاءً ، ثُمَّ يَقُولُ : « اَللَّهُمَّ ؛ لَكَ ٱلْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ » .

(وَ) أخرج أحمد ، والترمذي ، وأبو داودَ ، والحاكم ، والنسائي في « اليوم والليلة » وابن السُّنِّي بسند صحيح كلهم ؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(كَانَ) رسولُ الله (ﷺ إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً) ؛ أي : لبس ثوباً جديداً (سَمَّاهُ) أي الثوب (بِٱسْمِهِ ؛ قَمِيْصاً) ؛ أي : سواء كان قميصاً ، (أَوْ عِمَامَةً ، أَو رِدَاءً) .

كان يقول « رَزَقَنِي ٱللهُ هٰذِهِ ٱلعِمَامَةَ » . (ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ ؛ لَكَ ٱلحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهِ) ـ الضمير راجع إلىٰ المسمىٰ ؛ كما قاله الطيبي .

وهذه الجملة تعليل للجملة السابقة أعني « لك الحمد » (أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ) ـ أي : الخير الذي يصاحب لُبْسه كشكر الله تعالىٰ علىٰ تيسيره ـ (وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ) ـ أي : استعماله في طاعة الله وعبادته ؛ بأن توفِّقني للطاعة فيه كالصلاة ، فقوله « وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ » كالتفسير لقوله « مِنْ خَيْرِهِ » ـ .

(وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ) ـ أي : الشرّ المصاحب للبسه ؛ كالعُجْب به ـ (وَشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ) ؛ ـ أي : استعماله في المعاصي ، أي : لا يقع مني عصيان فيه ؛ كزنا وشربِ خمر ، وليس المرادُ أَنَّه صنع بقصد المعصية كما هو ظاهر الحديث ؛ قاله الحفني علىٰ « الجامع الصغير » .

وقال ابن عَلاَّن في « شرح الأذكار » : والمراد ما صُنع لأجله من خيرٍ كَحِلِّه وصلاحِ نيّة فاعله ، أو شرٍّ كضدِّ ذلك . والخير في المقدِّمات يستدعي الخيرَ في المقاصد، وكذا الشرُّ، وشاهده: «وَإِنَّما يُلَبِّسُ عَلَيْنا صَلاتَنا قَوْمٌ لاَ يُحْسِنُونَ ٱلطُّهُورَ».

وقال ميرك : خيرُ الثوب نقاؤه ، وكونه ملبوساً للضرورة ، والحاجة ؛

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبِسَ ثَوْباً جَدِيداً . حَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ، وَكَسَا ٱلْخَلَقَ .

لا للفخر والخيلاء ، وخير ما صنع له هو الضرورات التي من أجلها يُصنَع اللِّباس ؛ من الحرِّ والبرد ، وستر العورة ، والمراد من سؤال الخير في هذه الأمور أن يكون مبلِّغاً إلىٰ المطلوب الذي لأجله صُنع الثوب من العون علىٰ العبادة والطاعة لمولاه ، وفي الشرِّ عكسُ المذكورات ؛ وهو كونه حراماً ؛ أو نجساً ، أو لم يبق زماناً طويلاً ، أو يكون سبباً للمعاصي والشرور . انتهىٰ .

قال المناوي : وفيه ندبُ الذِّكر المذكور لكلِّ مَن لبس ثوباً جديداً ، والظاهر أنَّ ذلك يستحبُّ لمن ابتدأ لبس غيرِ الثوب الجديد ، بأن كان ملبوساً .

ثم رأيت الزين العراقيَّ قال : يستحبُّ عند لبس الجديد وغيرِه ، بدليل رواية ابن السني في « اليوم والليلة » : إذا لبس ثوباً . انتهىٰ . وفيه دليلٌ علىٰ استحباب افتتاح الدعاء بالحمد لله والثناء عليه ؛ ذكره العزيزي .

(**وَكَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا لَبِسَ ثَوْباً جَدِيْداً حَمِدَ اللهَ تَعَالَىٰ**) ـ كما تقدَّم التصريح به آنفاً في الحديث ـ قال العراقي : روىٰ الحاكم في « المستدرك » ، والبيهقي في « الشُّعَب » ؛ من حديث عمر رضي الله تعالىٰ عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ دعَا بثيابه فلبِسَها ، فلما بلغ تراقيَه ؛ قال : « الحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي كَسَانِي مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي » . قال البيهقي : إسناده غيرُ قويٍّ .

وروىٰ ابن السُّنِّي ؛ من حديث معاذ بن أنس رفعه : « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً ؛ فَقَالَ (الحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هٰذَا وَرَزَقَنِيْهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّر » . انتهىٰ شرح « الإحياء » .

(**وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ**) شكراً لله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة ، (**وَكَسَا ٱلخَلَقَ**) ـ بفتحتين ـ : الثوب البالي للمذكَّر والمؤنث ، جمعه : خُلْقان كعثمان .

روىٰ الترمذيُّ ؛ وقال : غريب ، وابن ماجه ، والحاكم وصحَّحه ؛ من حديث

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً . لَبِسَهُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ .

عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَدِيْداً ؛ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ ٱلثَّوْبِ ٱلَّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ ؛ كَانَ فِي حِفْظِ اللهِ ، وفي كَنَفِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي سَتْرِ ٱللهِ حَيّاً وَمَيْتاً » .

ورواه كذلك ابنُ أبي شيبة ، وابن السنِّي في « عمل اليوم والليلة » ، والطبراني في « الدعاء » كلُّهم ؛ من حديثِ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه .

وروىٰ الترمذيُّ ؛ وقال : حسن غريب ؛ من حديث ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً إِلاَّ كَانَ فِي حِفْظِ ٱللهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ » ، وهو عند ابن النجار : « مَنْ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً كَانَ فِي حِفْظٍ مِنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ » . ورواه الحاكم ؛ وتُعُقِّب .

وروىٰ أبو الشيخ ؛ بلفظ : « مَنْ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً لَمْ يَزَلْ فِي سَتْرِ ٱللهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ خَيْطٌ ؛ أَوْ سِلْكٌ » .

(وَ) أخرج الخطيب في « تاريخه » بسند ضعيف ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **إِذَا ٱسْتَجَدَّ ثَوْباً**) ؛ أي : استحدث ثوباً جديداً (**لَبِسَهُ**) ؛ أي : ابتدأ لُبْسه (**يَوْمَ الجُمُعَةِ**) ، لكونهِ أفضلَ أيَّام الأسبوع ، فتعود بركةُ يوم الجمعة علىٰ الثوب ؛ وعلىٰ لابسه ، فيطلب لبس الجديد فيه حيث كان أبيض ؛ أو غير أَبيض ، وليس عنده أبيض ، وإِلاَّ لبسه لَحظَةً وعمل فيه عملاً صالحاً ، ثم خلعه ولبس الأبيض ؛ قاله الحفني علىٰ « الجامع الصغير » .

(وَ) أخرج البيهقيّ في « سننه » ، وابن خزيمة في « صحيحه » ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدٌ يَلْبَسُهُ فِي ٱلْعِيدَيْنِ وَٱلْجُمُعَةِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ بُرْدَةً حَمْرَاءَ فِي كُلِّ عِيدٍ .

(**كَانَ لَهُ ﷺ بُرْدٌ**) ـ بضم فسكون ـ : قال الحفني : أي رداء يرتدي به ؛ طوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع ، ولونه الخضرة ؛ أي : كما في رواية أخضر .

(**يَلْبَسُهُ**) ـ بفتح الموحدة ـ (**فِي ٱلْعِيدَيْنِ وَٱلْجُمُعَةِ**) وكان يتجمَّلُ به للوفود أيضاً ، وهذا كان منه عبادةً ، لأنَّه مأمور بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ، ولو سقط عن أعينهم لم يرغبوا في اتباعه ؛ فكان يجبُ عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريَه أعينُهم ، فإن أعين العوامِّ تمتدُّ إلىٰ الظاهر ؛ دون السرائر . ولله درُّ مَن قال وأحسن في المقال :

قِيْمَةُ ٱلْمَرْءِ فَضْلُهُ عِنْدَ ذِي ٱلْفَضْـ ـلِ وَمَا فِي يَدَيْهِ عِنْدَ الرَّعَاعِ

فَـإِذَا مَـا حَـوَيْـتَ عِلْمـاً وَمَـالاً صِرْتَ عَيْنَ ٱلزَّمَانِ بِٱلإِجْمَاعِ

وَإِذَا مِنْهُمَـــا غَـــدَوْتَ خَلِيّـــاً كُنْتَ فِي ٱلنَّاسِ مِنْ أَخَسِّ ٱلْمَتَاعِ

وأخذ من ذلك الإمامُ الرافعي أنَّه يسنُّ للإمام يومَ الجمعة أن يزيد في حسن الهيئة واللباس ويتعمَّم ويرتدي ، وأيَّده ابن حجر بخبر الطبراني ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : كان له ثوبان يلبسهما في الجمعة ، فإذا انصرفَ طويناهما إلىٰ مثله .

فائدة : ذكر الواقدي أنَّ طول ردائه ﷺ كان ستَّةَ أذرع في عرض ثلاثة ، وطول إزاره أربعة أذرع وشبرين ؛ لا ذراعين وشبر ، وأنَّه كان يلبسهما في الجمعة والعيدين . انتهىٰ ؛ نقله المناوي في « شرح الكبير ؛ علىٰ « الجامع الصغير » . وسيأتي الكلام علىٰ مقدار ذرعهما .

(**وَكَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَلْبَسُ بُرْدَةً حَمْرَاءَ فِي كُلِّ عِيدٍ**) ليبيِّن حِلَّ لبس ذلك . روىٰ البيهقي في « سننه » ؛ من حديث حفص بن غياث بن الحجاج ؛ عن أبي جعفر ؛ عن جابر رضي الله تعالىٰ عنه أنَّه ﷺ كان يلبَس بُرْدَهُ الأحمر في العيدين والجمعة .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدٌ حِبَرَةٌ يَلْبَسُهُ فِي كُلِّ عِيدٍ .
وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ . . . .

ورواه الطبراني ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالىٰ عنهما بلفظ : كان يلبَسُ يوم العيد بُرْدَة حمراءَ . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

وفي ذلك ردٌّ علىٰ من كَرِهَ لبس الأحمر القاني ؛ وزَعْمُ أنَّ المراد بالأحمر هنا ما هو ذو خطوطٍ حُمْرٍ : تحكُّمٌ لا دليل عليه .

قال في « المطامح » : ومَن أنكر لباس الأحمر ؛ فهو متعمِّق جاهل ، وإسنادُه لمالكٍ باطلٌ ؛ قاله المناوي في « الكبير » .

(وَ) في « كنوز الحقائق » للمناوي : (كَانَ لَهُ ﷺ بُرْدٌ حِبَرَةٌ) ـ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة ؛ بوزن عِنَبَة ـ : ثوبٌ يمانيٌّ من قطن ، أو كتَّان مخطَّط ؛ يقالُ (بُرْدٌ حِبَرَةٌ) علىٰ الوصف ، و(بُرْدُ حِبَرةٍ) علىٰ الإضافة ، وهو أكثر في استعمالهم ، والجمع : حِبَر وحِبَرات ، مثل عنب وعِنَبات .

قال الأزهري : ليس حِبَرة موضعاً ، أو شيئاً معلوماً ، إنَّما هو وَشْي معلوم أُضيف الثوب إليه ، كما قيل « ثوبُ قرمز » بالإضافة ، والقرمز : صِبْغةٌ . فأضيف الثوب إلىٰ الوشي والصبغ للتوضيح . انتهىٰ « مصباح » . ونحوه في « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي .

(يَلْبَسُهُ فِي كُلِّ عِيدٍ) يَتجمل به كعادته في التجمُّل للعيد والوفود .

(وَمَرَّ) أمير المؤمنين سيدنا أبو حفص (عُمَرُ بْنُ ٱلخَطَّابِ) بن نُفَيل بن عبد العُزَّىٰ بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي المدني (رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) .

أسلم قديماً ؛ بعد أربعين رجلاً وإحدىٰ عشرة امرأة ؛ بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ؛ فظهر الإسلام بمكَّة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحدُ أصهار رسول الله ﷺ ، وأحدُ كبارِ علماء الصحابة وزهَّادهم .

مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلسُّوقِ فَرَأَىٰ حُلَّةً مِنْ سُنْدُسٍ . . . . . .

وهو أوَّلُ من سُمِّي أمير المؤمنين ، وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحُداً ، والخندق وبيعةَ الرِّضوان ، وخيبر والفتح وحنيناً والطائف وتبوك وسائر المشاهد .

وكان شديداً علىٰ الكُفَّار والمنافقين ، وأجمع السَّلَف علىٰ كثرة علمه ووفور فهمه ، وزهده وتواضعه ، ورِفقه بالمسلمين وإنصافه ، ووقوفه مع الحقِّ وتعظيمه آثارَ رسول الله ﷺ وشِدَّة متابعته له ، واهتمامه بمصالح المسلمين وإكرامه أهلَ الفضل والخير .

وفضائله أكثر مِن أن تحصىٰ ، ومحاسنه أوفر من أن تستقصىٰ ؛ رضي الله تعالىٰ عنه .

رُوي له عن النبي ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومسلم منها علىٰ ستة وعشرين حديثاً ، وانفرد البخاريُّ بأربعة وثلاثين ، وانفرد مسلم بأحد وعشرين .

وطُعِن رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، ودفن يوم الأحد هلالَ المحرَّم سنة : أربع وعشرين ، فكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحداً وعشرين يوماً .

وقيل غير ذلك في مدَّة الخلافة ، وتاريخِ الطعن والوفاة ، وعمره ثلاثٌ وستُّون سنةً علىٰ الصحيح المشهور ، كما أنَّ سِنَّ النبي ﷺ وسنّ أبي بكر وعليٍّ وعائشة ثلاث وسِتُّون سنة ـ علىٰ الصحيح ـ رضي الله تعالىٰ عنهم . أجمعين .

(**مَعَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِٱلسُّوقِ**) ـ بضمِّ المهملة ؛ مؤنَّثٌ سماعي وقد يذكَّر ، كما أشار إليه الكرماني ـ، سُمِّيت بذلك لسَوْق البضائع إليها ، وقيل : لقيام الناس فيها علىٰ سُوقهم ؛ جمع ساق . وقيل : لتصاكُك السُّوق فيها من الازدحام ؛ ذكره في « شرح الأذكار » . وفي كثير من الروايات : أنَّ ذلك عند باب المسجد .

(**فَرَأَىٰ**) ؛ أي : عمرُ رجلاً يُسمَّىٰ عطارداً التميمي يقيم (**حُلَّةً مِنْ سُنْدُسٍ**)

فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ لَوِ ٱتَّخَذْتَ هَـٰذِهِ لِلْعِيدِ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا يَلْبَسُ هَـٰذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ » .

يعرضُها للبيع ، وكان عطارد رجلاً يغشىٰ الملوك ويُصيب منهم . وفي رواية : حُلَّة من إستبرق . وفي أخرىٰ : من ديباج ، أو حرير . وفي رواية : حُلَّة سِيَراء :

والحُلَّة : ثوبان من جنس . قال في « القاموس » : الحُلَّة ـ بالضم ـ إزارٌ ورداءٌ مِثْلَ بُرْد أو غيره ، ولا تكون إلاَّ من ثوبين ، أو ثوب له بطانة .

وفي « المصباح » : الحُلَّة لا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد ، والجمع حُلَل ، كغرفة وغرف ـ وقد مرَّ الكلامُ علىٰ الحُلَّة ـ .

والديباج : ثوبٌ متَّخذٌ من إبريسم ، والسِيَراء ـ بسين مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية مفتوحة ثم راء ثم ألف ممدودة ـ : بُرود يخالطها حرير متضلِّعة بالحرير . قالوا كأنها شبهت خطوطها بالسُّيور . والإستبرق : غليظُ الديباج .

(**فَقَالَ**) ؛ أي : عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (**يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ لَوِ ٱتَّخَذْتَ هٰذِهِ لِلْعِيْدِ !**) . لفظ الحديث : عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ حلَّة سِيَراء عند باب المسجد ؛ فقال : يا رسول الله ؛ لو اشتريتَ هذه فلبسْتَها للناس يوم الجمعة ، وللوفد إذا قدموا عليك !! وفي رواية : فقال : يا رسول الله ، اِبْتَعْ هٰذه فتجمَّل بها للعيد وللوفد .

(**فَقَالَ**) رسول الله ﷺ : (« **إِنَّمَا يَلْبَسُ هٰذِهِ**) ـ الثياب الحرير ـ (**مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ** ») يعني : مَن لا حظَّ له ولا نصيب له من لبس الحرير في الآخرة ، فعَدَمُ نصيبه كنايةٌ عن عدم دخوله الجنة ؛ ولباسهم فيها حرير . وهذا إن استحلَّ ، وإلاَّ ! فهو تهويلٌ وزجر . وقيل : معناه مَن لا حرمة له . وقيل : من لا دين له . وتمام الحديث :

ثُمَّ جاءت رسولَ الله ﷺ منها حُلَل ، فأعطىٰ عمرَ منها حُلَّة ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ كَسَوْتَنِيْها ؛ وقد قلتَ في حلَّة عطاردٍ ما قلتَ !؟ فقال رسول الله ﷺ

« إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا » . فكساها عمر أخاً له مُشرِكاً بمكَّة . رواه البخاريُّ ، ومسلم ، و« الموطأ » ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ـ واللفظ لمسلم ـ .

وفيه دليلٌ لتحريم الحرير علىٰ الرجال وإباحته للنساء ، وإباحةُ هديَّته ، وإباحة ثمنه ، وجواز إهداء المسلم إلىٰ المشرك ثوباً وغيرَه ، واستحباب لبس أَنفسِ ثيابه يومَ الجمعة والعيد ؛ وعند لقاء الوفود ونحوهم ، وعرض المفضول علىٰ الفاضل ؛ والتابع علىٰ المتبوع ما يحتاج إليه من مصالحه التي قد لا يذكرُها ، وفيه صلةُ الأقارب والمعارف ؛ وإن كانوا كُفَّاراً .

وقد يَتَوَهَّم متوهِّمٌ أنَّ فيه دليلاً علىٰ أن رجالَ الكُفَّار يجوز لهم لبس الحرير !! وهذا وَهَم باطلٌ ، لأن الحديث إنَّما فيه الهدية إلىٰ كافر ، وليس فيه الإذن له في لبسها . وقد بعث النبي ﷺ ذلك إلىٰ عمر وعليٍّ وأسامة رضي الله عنهم ، ولا يلزم منه إباحة لبسِهَا لهم ، بل صرَّح ﷺ كما في بعض الروايات بأنَّه إنَّما أعطاه لينتفعَ بها بغير اللبس .

والمذهبُ الصحيحُ الَّذي عليه المحقِّقُون والأكثرون : أَنَّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ؛ فيحرُم عليهم الحرير كما يحرم علىٰ المسلمين . والله أعلم ؛ قاله النووي في « شرح مسلم » .

(**وَكَانَت ٱلصَّحَابَةُ**) ـ قال في « شرح الأذكار » : بفتح الصاد في الأصل مصدر ، قال الجوهري : ويقال : صحبه وصحب به .

والصحابة : بمعنى الأصحاب واحده « صاحب » بمعنى الصحابي :

وهو مَن اجتمع بنبيِّنا محمد ﷺ مؤمناً به بعد نبوَّته في حال حياة كلٍّ ؛ اجتماعاً متعارفا بأن يكونَ في الأرض على العادة ، بخلاف ما يكون في السماء ، أو بين السماء والأرض ؛ وإن لم يَرَه ؛ أو لم يروِ عنه شيئاً ، أو لم يميِّز ـ على الصحيح ـ .

وأمَّا قولُهم « ومات على الإسلام » !! فهو شرطٌ لدوام الصحبة ؛ لا لأصلها . وقيل في تعريفه غير ذلك .

. . . .

وتُعرَفُ الصحبة : ١ ـ بالتَّواتر ، أو ٢ ـ الاستفاضة ، أو ٣ ـ قول صحابيٍّ ، أو ٤ ـ قوله (أنا صحابي) إذا كان عدلاً ؛ وأمكن ذلك ، فإن ٱدَّعاه بعد مائة سنة من وفاته ﷺ فإنَّه لا يقبل . وزاد ابن حجر ٥ ـ أن يخبرَ آحادُ التابعين بأنَّه صحابيٌّ ؛ بناءً على قبول التزكية من واحد ـ وهو الراجح ـ .

والصحابة كلهم عدولٌ ؛ مَن لابَسَ الفتن وغيرهم بإجماع مَن يعتدُّ به .

وأكثرهم حديثاً أبو هريرة ، ثم ابن عمر ، ثم أنس بن مالك ، ثم عائشة أم المؤمنين ، ثم ابن عبَّاس ، ثم جابر بن عبد الله ، ثم أبو سعيد الخدري . وقد نظمهم مَن قال :

سَبْعٌ مِنَ ٱلصَّحْبِ فَوْقَ ٱلأَلْفِ قَدْ نَقَلُوا ... مِنَ ٱلحَدِيْثِ عَنِ ٱلمُخْتَارِ خَيْرِ مُضَرْ
أَبُو هُرَيْرَةَ سَعْدٌ جَابِرٌ أَنَسٌ ... صِدِّيْقَةٌ وَٱبْنُ عَبَّاسٍ كَذَا ٱبْنُ عُمَرْ

وأكثرهم فتيا ابنُ عبَّاس ؛ قاله أحمد ابن حنبل .

وقال ابن حزم : أكثر الصحابة فتوى مطلقاً سبعةٌ : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عبَّاس ، وزيد بن ثابت ، وعائشة . قال : ويمكن أن يجمع من فتيا كلِّ واحد من هؤلاء مجلَّدٌ ضخم .

قال : ويليهم عشرون : أبو بكر ، وعثمان ، وأبو موسى ، ومعاذ ، وسعد بن أبي وقَّاص ، وأبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله بن عَمرو بن العاص ، وسلمان ، وجابر ، وأبو سعيد ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعِمران بن حصين ، وأبو بَكْرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وأمّ سلمة . قال : ويمكن أن يجمع من فتيا كلِّ واحد منهم جزءٌ صغير .

قال : وفي الصحابة نحو مائة وعشرين نفساً يُقِلُّون في الفتيا جِدّاً ، لا يُروىٰ عن الواحد منهم إلا المسألةُ والمسألتان والثلاث ؛ كأبي بن كعب ، وأبي الدرداء ، وأبي طلحة ، والمقداد. ثَمَّ سَرَد الباقين . انتهى نقله عن السيوطي رحمه الله تعالى .

ومن الصحابة العبادلةُ ؛ وهم ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن

. . . .

عمرو بن العاص. وليس ابن مسعود منهم ، لأنَّه تقدَّم موتُه قبلَ حدوث الاصطلاح ، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم فإذا اجتمعوا على شيء قيل « هذا قولُ العبادلة » ، وكذا ليس منهم مَن يسمَّىٰ عبد الله من الصحابة ، فلا يطلق عليهم العبادلة ؛ وهم جماعة يبلغون نحو ثلثمائة رجل .

قال أبو زرعة الرازي : قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعةَ عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه ، وأفضلهم على الإطلاق أبو بكر الصدِّيق ، ثم عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله تعالى عنهما بإجماع أهل السنة ، ثم عثمان بن عفان ذو النورين ، ثم علي بن أبي طالب ، هذا قول جمهور أهل السنة .

قال أبو منصور البغداديُّ : أصحابنا مجمعون على أنَّ أفضلَهم الخلفاءُ الأربعة ، ثم تمام العشرة المشهود لهم بالجنة : سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عَمْرو بن نفيل ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة : عامر بن الجراح ، ثم أهل بدر وهم ثلثمائة وبضعة عشر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية .

وممَّن له مزيَّةٌ أهلُ العقبتين من الأنصار ، والسابقون الأوَّلون ؛ وهم مَن صلَّىٰ إلى القبلتين .

ووردت أحاديث في تفضيل أعيان من الصحابة مذكورة في كتب السنة ؛ فلتراجع مِن هناك .

وأوَّل الصحابة إسلاماً ! قيل : أبو بكر الصديق ، وقيل : علي ، وقيل : زيد ، وقيل : خديجة ؛ وهو الصواب عند جماعة من المحققين . والأورعُ أن يقال أوَّل من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان علي ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد ، ومن العبيد بلال .

وآخرهم موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي وفضائلهم كثيرة شهيرة نكتفي منها بهذا القدر .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ يُلْبِسُونَ ذُكُورَهُمُ ٱلصِّغَارَ يَوْمَ ٱلْعِيدِ أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحُلِيِّ ، وَٱلْمُصَبَّغَاتِ مِنَ ٱلثِّيَابِ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَانِ لِجُمُعَتِهِ خَاصَّةً سِوَىٰ ثِيَابِهِ فِي غَيْرِ ٱلْجُمُعَةِ ، ....

(**رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ**) أجمعين آمين ، ورزقنا محبَّتهم والأدب معهم ، وحَشَرنا في زمرتهم تحتَ لواءِ صاحب الحوض المورود والمقام المحمود ﷺ .

(**يُلْبِسُونَ ذُكُوْرَهُمُ ٱلصِّغَارَ يَوْمَ ٱلعِيْدِ**) مأخوذٌ من العَوْد ؛ وهو التكرار لتكرُّره كلَّ عام ، أو لعود السرور بعَوْده ، أو لكثرة عوائد الله تعالى ؛ أي : إفضاله على عباده فيه ، أو لعود كلٍّ فيه لقَدْره ومنزلته ، هذا يُضِيف وذاك يُضَاف ، وذا يَرحم وذاك يُرْحم . وأصله : عِوْد ؛ قلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها ، وجُمِع على أعياد ، مع أنَّ كونَ أصله الواو يقتضي جمعَه على أعواد ؛ فرقاً بذلك بينه وبين أعواد الخشب . انتهى شرح الأذكار » .

(**أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلحُلِيِّ**) ـ بضمِّ أوَّله مع كسر اللام وتشديد الياء ـ واحدُه حَلْي ـ بفتح الحاء وإسكان اللام ـ : اسمٌ لكلِّ ما يتزيَّن به من مصاغ الذهب والفِضَّة ، (**وَٱلمُصَبَّغَاتِ**) ـ بتشديد الموحدة ـ (**مِنَ ٱلثِّيَابِ**) ـ مما يجوز لبسُه ؛ كالمصبوغ بالورس والعصفر ـ على الخلاف ـ ، وهي من أحسن الثياب الموجودة في ذلك العصر ، لأنَّه يسنُّ التزيُّن بأحسن الثياب وأرفعها قيمةً في العيدين ، والجديدُ أولى ؛ ولو كان غيرَ أبيض في العيدين ـ بخلاف الجمعة ـ فإنَّ الأبيض فيها أفضلُ من غيره ؛ ولو كان الغيرُ جديداً وذا قيمة . والفرق : أن القصد في العيد : إظهار النعم وإشهار الزينة ؛ وهما بالأرفع قيمة أنسبُ ، والقصدُ في الجمعة : إظهار التواضع .

(وَ) في « كشف الغُمَّة » للعارف الشعراني ، و« إحياء علوم الدين » للإمام حُجَّة الإسلام الغزالي : (**كَانَ لَهُ ﷺ ثَوْبَانِ لِجُمُعَتِهِ خَاصَّةً سِوَىٰ ثِيَابِهِ فِي غَيْرِ ٱلجُمُعَةِ**) .

وَرُبَّمَا لَبِسَ ٱلإِزَارَ ٱلْوَاحِدَ لَيْسَ عَلَيهِ غَيْرُهُ ؛ يَعْقِدُ طَرَفَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَرُبَّمَا أَمَّ بِهِ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ ٱلْجَنَائِزِ ، وَرُبَّمَا صَلَّىٰ فِي بَيْتِهِ فِي ٱلإِزَارِ ٱلْوَاحِدِ مُلْتَحِفاً بِهِ مُخَالِفاً بَيْنَ طَرَفَيْهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ ٱلإِزَارُ هُوَ ٱلَّذِي جَامَعَ فِيهِ يَوْمَئِذٍ .

قال العراقيُّ : رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » ؛ من حديث عائشة ـ بسند ضعيف ـ زاد : فإذا انصرف طويناهما إلى مثله . وقد تقدَّم قريباً في الشرح ، ويعارضه حديثُ عائشةَ عند ابن ماجه : ما رأَيتُه يسبُّ أحداً ، ولا يُطوَىٰ له ثوبٌ .

قلتُ : ويمكن الجمع بينهما بأن يستثنى ؛ أي : غير ثوبي الجمعة . وقد تقدَّم أَنَّه كان له بُرْد أخضر يلبَسُه للجمعة والعيد .

(**وَرُبَّمَا لَبِسَ**) ﷺ (**ٱلإِزَارَ ٱلوَاحِدَ لَيسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، يَعْقِدُ طَرَفَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ**) .

قال العراقي : روىٰ الشيخانِ ؛ من حديث عُمَر في حديث اعتزاله أهله : فإذا عليه إِزاره ، وليس عليه غيره .

وللبخاريِّ ؛ من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابرٌ في إزار قد عَقَده مِن قِبَل قفاه وثيابُه موضوعةٌ على المِشْجَب . وفي رواية له : وهو يصلِّي في ثوب ملتحفاً به ورداؤه موضوعٌ . وفيه : رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا .

(**وَرُبَّمَا أَمَّ بِهِ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ ٱلجَنَائِزِ**) . قال العراقي : لم أقف عليه .

(**وَرُبَّمَا صَلَّىٰ فِي بَيْتِهِ فِي ٱلإِزَارِ ٱلوَاحِدِ مُلْتَحِفاً بِهِ مُخَالِفاً بَيْنَ طَرَفَيْهِ**) ؛ يدلُّ له حديث جابر السابق آنفاً . (**وَيَكُونُ ذَلِكَ ٱلإِزَارُ هُوَ ٱلَّذِي جَامَعَ فِيْهِ يَوْمَئِذٍ**) .

قال العراقيُّ : روى أبو يعلى بإسناد حسن ؛ من حديث معاوية قال : دخلت على أُمِّ حبيبةَ زوجِ النبي ﷺ ؛ فرأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد ، فقلت : يا أُمَّ حبيبة ؛ أَيُصلِّي النبي ﷺ في الثوب الواحد !؟ قالت : نعم ، وهو الذي كان فيه ما كان ـ يعني : الجماع ـ . ورواه الطبراني في « الأوسط » .

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ ٱلْوَفْدُ . . لَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ . وَكَانَ رِدَاؤُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُولُهُ سِتَّةُ أَذْرُعٍ ، فِي ثَلَاثَةٍ وَشِبْرٍ . وَكَانَ إِزَارُهُ أَرْبَعَةً وَشِبْراً ، فِي عَرْضِ ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ .

(وَ) أخرج البغويُّ في « معجمه » ؛ عن جندب بن مَكِيْث ـ بوزن عظيم ؛ آخره مثلثة ؛ ابن عمر بن جَراد ، مديني له صحبة ـ عن النبي ﷺ أَنَّه (**كَانَ** ﷺ **إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ ٱلوَفْدُ**) ـ جمع وافد ؛ كصحب جمع صاحب ، يقال : وَفَد الوافد يَفِدُ وَفْداً ووفادة ؛ إذا خرج إلى نحو مَلك لأمر ـ (**لَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ**) لأنَّه أهيبُ وأدعىٰ لامتثال أمره والعمل بوعظه ، وسيأتي قريباً في الشرح أنَّ ثوبه الذي كان يخرج فيه إلى الوفد القادمين عليه أخضر . (**وَأَمَرَ عِلْيَةَ**) ـ بكسر العين وسكون اللام ـ (**أَصْحَابِهِ**) ؛ أي : معظمهم ؛ وهم : مَن كان عندَه ثيابٌ حَسَنة أمره (**بِذَلِكَ**) ؛ أي : بلبسها ، لأنَّ ذلك يرجِّحُ في عين العدو ويكبتُه ، فهو يتضمَّنُ إعلاءَ كلمةِ الله تعالى ونصرَ دينه وغيظ عَدُوِّه ، فلا يناقض ذلك خبرُ « ٱلبَذَاذَةُ مِنَ ٱلإِيْمَانِ » ، لأنَّ التجمُّل المنهيَّ عنه ثَمَّ : ما كان على وجه الفخر والتعاظم ، وليس ما هنا من ذلك القبيل . انتهى مناوي على « الجامع الصغير » .

وقال في « شرح الشمائل » : ويسنُّ لكلِّ أحد مؤكَّداً حُسْن الهيئة ومزيدُ التجمُّل ، والنظافة في الملبوس ، لكن المتوسِّط نوعاً بقصد التواضع أفضلُ من الأرفع ، فإنْ قَصَد به إظهار النعمة والشكرَ عليها ! ٱحتمل التساوي للتعارض ، وأفضلية الأول !! لكونه لا حظ فيه للنفس بوجه وأفضلية الثاني للخبر الحسن : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ » .

(وَ) في « كشف الغُمَّة » للعارف الشعراني : (**كَانَ رِدَاؤُهُ** ﷺ **طُوْلُهُ سِتَّةُ أَذْرُعٍ فِي ثَلَاثَةٍ وَشِبْرٍ ، وَكَانَ إِزَارُهُ أَرْبَعَةً وَشِبْراً فِي عَرْضِ ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ**) .

قال ابن حجر الهيتمي : وكان إزاره ﷺ أربعةَ أذرع وشبراً ؛ في عرض ذراعين وشبر ، وكان طول ردائه ستَّة أذرع ؛ وعرضه ثلاثة أذرع وشبراً ، أو شبرين .

وَلَبِسَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلأَبْرَادَ ٱلَّتِي فِيهَا خُطُوطٌ حُمْرٌ .
وَكَانَ يَنْهَىٰ أَصْحَابَهُ عَنْ لُبْسِ ٱلأَحْمَرِ ٱلْخَالِصِ .

وقيل : أربعة أذرع ونصف ؛ في عرض ذراعين وشبر . وقيل : أربعة أذرع ؛ في عرض ذراعين ونصف . انتهى ؛ نقله المناويُّ في « شرح الشمائل » .

وتعقَّبه بقوله : « وفي بعض ما ذكره نظرٌ !! فقد روىٰ أبو الشيخ في كتاب « أخلاق المصطفى ﷺ » من رواية عروةَ بنِ الزبير **مرسلاً** : كان طولُ رداءِ النبي ﷺ أربعة أذرع وعرضُه ذراعين ونصف . . . الحديث . قال الحافظ العراقيُّ : وفيه ابن لهيعة .

وفي « طبقات ابن سعد » ؛ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : كان له إِزارٌ من نَسْج عُمَان طوله أَربعةُ أذرعٍ وشبرٌ في ذراعين وشبرٍ .

وفي « الوفا » لابن الجوزي : كان طول إزاره أربعة أذرع وعرضُه ذراعين ونصفاً . وروى الدِّمياطي : أنَّ رداءه الذي كان يخرج فيه للوفود أخضر في طولِ أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر . انتهى كلام المناوي .

(**وَلَبِسَ** ﷺ **ٱلأَبْرَادَ**) ـ جمع بُرْد ؛ وهو عند أهل اللسان : ثوب مخطَّط ، والمراد هنا الأبرادُ (**ٱلَّتِي فِيْهَا خُطُوطٌ حُمْرٌ**) ، لا بحتاً ، إذ لو كانت كذلك لا تكون بُرُوداً .

روى الطبراني ؛ من حديث ابن عبَّاس أَنَّه كان يلبَس يوم العيد بُرْدَةً حمراءَ . قال الحافظ الهيثمي : ورجاله ثقات . وروى البيهقيُّ في « السنن » : أنَّه كان يلبس بُرْدَه الأحمر في العيدين والجمعة . انتهى مناوي ؛ على « الشمائل » .

قال في «جمع الوسائل» : وأمَّا ما رُوي « أَنَّه ﷺ كان يلبس بردَه الأحمر في العيدين والجمعة » !! فمحمول على المخطَّط بخطوط حُمْر ؛ كما يدلُّ عليه البرد . انتهى .

(**وَ**) في « كشف الغمة » للعارف الشعراني : (**كَانَ يَنْهَىٰ أَصْحَابَهُ عَنْ لُبْسِ ٱلأَحْمَرِ ٱلخَالِصِ**) ، ففي « صحيح مسلم » ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

. . . .

قال : رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين مُعَصْفَرين ؛ فقال : « إِنَّ هَٰذَا لِبَاسُ ٱلْكُفَّارِ ، فَلاَ تَلْبَسْهُمَا » .

وفي « صحيح البخاري » من حديث طويل ؛ عن البراء أَنَّه ﷺ نهى عن المَيَاثِر الحُمْر . قال ابن القيِّم : فالأحمر البحت منهيٌّ عنه أشدَّ النهي ، وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخِ وغيرهما نظرٌ ، وأمَّا كراهته ! فشديدةٌ . وأورد الحديثين السابقين .

والجوابُ عن الحديث الأوَّل : أنَّه إنَّما نَهىٰ ابنَ عمر عن ذلك !! لأنَّه لباس الكفار ؛ وكانوا كثيراً ، لا لكونه أحمرَ فمحطُّ النهي التشبُّهُ بهم . وقد ارتفع ذلك فصار داخلاً في عموم المباح .

والجوابُ عن حديث البراء : أنَّه يحتمل أن المياثر من حرير ، فنهى عنها لأجله ، ويحتمل أن يكون النهيُ لحُمْرَتها ، فلا حُجَّة فيه .

قال النووي : اختلف العلماء في الثياب المُعَصْفرة ؛ وهي المصبوغة بعصفر !! فأباحها جميعُ العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم ، وبه قال الإمام الشافعي ، وأبو حنيفة ، ومالك ؛ لكنه قال : غيرُها أفضل منها ، فهي خلافُ الأولى .

وقال جماعة من العلماء : هو مكروه كراهةَ تنزيه ، ومن هؤلاء مالكٌ والشافعي في المعتمد من مذهبيهما ، وحملوا النهي الواردَ في « الصحيحين » عن أنس : نهىٰ النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل !! حملوه على هذا المذكور من كراهة التنزيه ، لأنَّه ثبت أنه عليه الصلاة والسلام لبس حُلَّةً حمراءَ ؛ فلُبْسه لبيان الجواز لا ينافي نهيَه ، لأنَّ النهي للكراهة ، والفعلَ لبيان الجواز .

وفي « الصحيحين » ؛ من حديث ابن عمر أَنَّه ﷺ صَبَغ بالصُّفرة ؛ أي : الورس ، كما في رواية أبي داود . وأمَّا حديثُ عِمران عند الطبراني : « إِيَّاكُمْ وَٱلْحُمْرَةَ ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ ٱلزِّينَةِ إِلَىٰ ٱلشَّيْطَانِ » !! ففي إسناده ضعف ، وحديثُ رافع بن خديج : « أنَّه ﷺ رأىٰ الحمرة قد ظهرت فكَرِهَها » رواه أحمد !! لا يدلُّ

وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلْبَيَاضِ مِنَ ٱلثِّيَابِ ؛ لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ » .

على التحريم لحمل الكراهة على التنزيه ؛ جمعاً بين الأدلَّة . انتهى ملخصاً من « المواهب » للقسطلاني ؛ مع شيء من الشرح .

قلتُ : قال في « بشرى الكريم » : نصَّ أصحابنا ـ معاشرَ الشافعية ـ على حرمة لباس الثوب المزعفر ، وكذا نَصُّوا على حرمة المعصفر ؛ سواءٌ صُبِغ قبل نسجه أم بعده ؛ أخذاً بإطلاقهم كما صحَّت به الأحاديث ، واختاره البيهقي وغيره .

ولم يبالوا بنصِّ الشافعي على حِلِّه ، ولا بكون جمهور العلماء على حِلِّه .

وجرى محمد الرملي والخطيب الشربيني على حِلِّ المعصفر مطلقاً . والمعتمد في المُورَّس حِلُّه ، لما صحَّ أَنَّه ﷺ كان يصبُغ ثيابَه بالورس حتَّى عمامته ، ويحلُّ استعمال الورس والزَّعفران في البدن على خلاف كبير . انتهى كلام « بشرى الكريم » .

(وَ) أخرج الترمذيُّ في « الشمائل » ؛ (**عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ** : « **عَلَيْكُمْ بِٱلبَيَاضِ**) ـ أي : اِلزموا لبس الأبيض ، فـ« عليكم » اسمُ فعلٍ بمعنى « الزموا » . والمراد من البياض الأبيض ، بُولغ فيه حتَّى كأنَّه عينُ البياض على حَدِّ « زيدٌ عدل » كما يرشد لذلك بيانُه بقوله ـ (**مِنَ ٱلثِّيَابِ ، لِيَلْبَسْهَا**) ـ بلام الأمر وفتح الموحدة ـ (**أَحْيَاؤُكُمْ**) ـ أي : البسوها وأنتم أحياء ، فيسَنُّ لبسُها ، ويحسن إيثارها في المحافل كشهود الجمعة وحضور المسجد والمجالس التي فيها مَظَنَّةٌ لقاءِ الملائكة ؛ كمجالس القراءة والذِّكْر ـ (**وَكَفِّنُوا**) ـ أي : لتكفنوا أو هو التفاتٌ ـ (**فِيْهَا مَوْتَاكُمْ**) ـ أي : لمواجهة الميت للملائكة ، وقد تقدَّم أنَّها تطلب لمَظَنَّة لقاء الملائكة ـ (**فَإِنَّهَا**) ـ أي : البيض ـ (**مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ** ») . وهذا بيانٌ لفضل البياض من الثياب ، ويليها الأخضر ، ثم الأصفر .

واعلم أنَّ وجهَ إدخالِ هذا الحديث في باب لباسه ﷺ لا يخلو عن خفاءٍ ، إذ ليس فيه تصريحٌ بأنَّه كان يلبس البياض ، لكن يفهم من حثِّه على لبس البياض أنَّه كان يلبَسه ، وقد ورد التصريح بأنَّه كان يلبسه فيما رواه الشيخان ؛ عن أبي ذر حيث قال : أتيتُ النبي ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضُ . . . الحديث .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحثِّ على لُبْس الأبيض من الثياب ؛

منها : ما أخرجه الترمذي في « الشمائل » ؛ عن سَمُرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « ٱلْبَسُوا ٱلبَيَاضَ ، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ ، وَكَفِّنُوا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ » .

ومنها ما أخرجه أصحاب « السنن » ؛ عن سَمُرة بن جندُب : « عَلَيْكُم بِهٰذِهِ ٱلثِّيَابِ ٱلبِيْضِ ، لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ » وقال الترمذي : حسنٌ صحيح .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد ، وابن سعد ، والروياني ، والطبراني ، والبيهقي ، والضياء بزيادة : « فَإِنَّهَا مِنْ خَيرِ ثِيَابِكُمْ » .

ومنها ما أخرجه ابن ماجه ، والحاكم وغيرهما ؛ من حديث ابن عبَّاس : « خَيْرُ ثِيَابِكُمُ ٱلبِيْضُ ، فَٱلْبَسُوهَا أَحْيَاءً ، وَكَفِّنُوا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ » . قال الحاكم : صحيحٌ على شرط الشيخين . انتهى شرح « الإحياء » ؛ مع زيادة .

(وَفِي « ٱلْمَوَاهِبِ) اللَّدنيَّة » للعلاَّمة القُسْطُلاَّني ؛ (عَنْ) أبي عبد الله (عُرْوَةَ) بنِ الزُّبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصيٍّ القرشي الأسدي المدني ، التابعي الجليل ، فقيه المدينة المنورة ، أحد الفقهاء السبعة .

سمع أباه ، وأخاه : عبد الله ، وأُمَّه أسماء بنت أبي بكر ، وخالته عائشة ، وسعيد بن زيد ، وحكيم بن حزام ، وابنه هشام بن حكيم ، والعبادلة الأربعة . وغيرهم من الصحابة والتابعين .

روى عنه عطاء ، وابن أبي مليكة ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، والزهري ،

أَنَّ طُولَ رِدَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ ، وَعَرْضَهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ . وَفِيهَا : لَطِيفَةٌ : قِيلَ : لَمَّا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَبْدُو مِنْهُ إِلاَّ طِيبٌ . . كَانَ آيَةُ ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ ٱلشَّرِيفِ أَنَّهُ لاَ يَتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ . قِيلَ : وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ .

وَقَالَ ٱبْنُ سَبْعٍ فِي « ٱلشِّفَا » ، وَٱلسَّبْتِيُّ . . . .

وعمر بن عبد العزيز ، وبنوه : هشام ومحمد ويحيى وعبد الله وعثمان ؛ بنو عروة ، وخلائق من التابعين وغيرهم .

وكان بحراً لا يكدَّر ، وكان ثقةً كثير الحديث ، فقيهاً عالماً ، مأموناً ثبتاً ، وهو مجمع على جلالته وعلوِّ مرتبته ووفور علمه . ومناقبه كثيرة مشهورة .

ووفاته سنة : ـ ٩٤ ـ أربع وتسعين من الهجرة في قول الجمهور . وقال البخاري : سنة : ـ ٩٩ ـ تسع وتسعين ، رحمه الله تعالى :

(**أَنَّ طُوْلَ رِدَاءِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ**) وعزاه لتخريج الدمياطي وهو مرسل ، ورواه أبو الشيخ في « الأخلاق النبوية » ؛ عن عروة بلفظ : وعرضُه ذراعان ونصف . قال الحافظ العراقي : وفيه ابن لهيعة .

(**وَفِيْهَا**) ؛ أي « المواهب » : (**لَطِيْفَةٌ**) : ؛ (**قِيْلَ : لَمَّا كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ لاَ يَبْدُو**) : يظهر (**مِنْهُ إِلاَّ طِيْبٌ كَانَ آيَةُ**) : علامةُ (**ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ**) : جسده (**ٱلشَّرِيْفِ أَنَّهُ لاَ يَتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ**) ، فما اتَّسخَ له ثوب قطُّ . (**قِيْلَ : وَلَمْ يَقْمَلْ**) ـ بفتح الميم ـ (**ثَوْبُهُ**) قطُّ ، أي : لم يوجد فيه شيءٌ من قمل ؛ وإن كانت المادة للتكثير .

(**وَقَالَ**) أبو الربيع سليمان (**بْنُ سَبْعٍ**) ـ بإسكان الموحدة وقد تضم ـ (**فِي**) كتاب (« **ٱلشِّفَا** » ، **وَ**) قال (**ٱلسَّبْتِيُّ**) ـ بفتح السين وسكون الموحدة ففوقية نسبة إلى « سبتة » : مدينة بالمغرب . وجزم الرشاطي بأن « سَبتة » بالفتح ، والتي ينسب إليه السِّبتي ـ بالكسر ـ ؛ قاله ابن حجر في « التبصير » .

فِي « أَعْذَبِ ٱلْمَوَارِدِ وَأَطْيَبِ ٱلْمَوَالِدِ » : لَمْ يَكُنِ ٱلْقَمْلُ يُؤْذِيهِ تَعْظِيماً لَهُ وَتَكْرِيماً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ : وَنَقَلَ ٱلْفَخْرُ ٱلرَّازِيُّ : . .

(فِي) كتاب (« أَعْذَبِ ٱلْمَوَارِدِ وَأَطْيَبِ ٱلْمَوَالِدِ »)[1] ؛ قالا :

(لَمْ يَكُنِ ٱلْقَمْلُ يُؤْذِيهِ) لعدم وجوده في ثيابه ؛ (تَعْظِيماً لَهُ ، وَتَكْرِيماً ﷺ) ، ولفظ ابن سبع : لم يكن فيه قملٌ لأنَّه نور ، ولأنَّ أصل الذباب من العفونة ؛ ولا عفونة فيه ، وأكثره من العرق ؛ وعرقه طِيْب !!

لكن يُشكِل عليه ما رواه أحمد والترمذي في « الشمائل » ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله ﷺ يَفْلِي ثوبه ، ويحلُب شاتَه ، ومن لازم التفلِّي وجودُ شيء يؤذيه في الجملة : إمَّا قملاً ؛ أو بُرغوثاً ، أو نحو ذلك .

ويمكن أن يُجاب بأن التفلِّي لاستقذار ما عَلِق بثوبه الشريف من غيره ، ولو لم يحصل منه أذى في حقِّه ﷺ . وهذا فيه بحثٌ ، لأنَّ أذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما أجرى الله العادة ، وإذا امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان عادةً .

(ثُمَّ قَالَ) ؛ أي : القُسْطُلاَّني في « المواهب » : (وَنَقَلَ ٱلْفَخْرُ ٱلرَّازِيُّ) ـ بالراء والزاي بينهما ألف آخره ياء ـ نسبة إلى الري ؛ وهي : مدينة كبيرةٌ مشهورة من بلاد الدَّيْلم بين قومس والجبال ، وألحقوا الزاي في النسب على خلاف القياس .

وهو الإمام المفسِّرُ المتكلِّمُ الأُصولي : محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الشافعي ، أبو المعالي وأبو عبد الله ؛ المعروف بـ« الفخر الرازي » ، ويقال له « ابن الخطيب » ؛ أي : خطيب الري .

وأصله من طَبَرستان ، ومولده في الري سنة : ـ ٥٤٣ ـ ثلاث ـ أو أربع ـ وأربعين وخمسمائة ، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ؛ حتَّى صار أحد الفقهاء الشافعية الفحول ، وأوحدَ زمانه في المعقول والمنقول ، وإمام الدنيا في عصره بلا مدافع ، رئيس المتكلِّمين والمحققين في وقته بلا منازع .

---

(١) هكذا في الأصل . والصواب عكسه ، إذ «الشفاء» للسبتي ؛ و «أعذب الموارد» لابن سبع .

إِنَّ ٱلذُّبَابَ لاَ يَقَعُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ قَطُّ ، وَإِنَّهُ لاَ يَمْتَصُّ دَمَهُ ٱلْبَعُوضُ .

وأَلَّف المؤلفاتِ النافعةَ المشهورة نحو مائتي مصنَّف ؛ منها التفسير الحافل المسمَّى « مفاتيح الغيب » في ثمانية مجلدات ، وكتاب « المحصول في علم الأصول » ، و « المطالب العالية في علم الكلام » .

وأقبل الناس على كُتُبه في حياته يتدارسونها ، وكان يُحسن الفارسية ، وكان معظَّما عند ملوك خوارزم وغيرهم ، وبُنيت له مدارس كثيرة في بلاد شتَّىٰ ، وكان يَعظُ ويحضر في مجلسِ وعظه الملوكُ والوزراء ، والعلماء والأمراء ، والفقراء والعامة .

وكان له عبادات وأوراد ، ولا كلام في فضله ، وكان مع غزارة علمه في فنِّ الكلام يقول : « من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز » .

وكانت وفاته في ذي الحجة ، قيل : بسبب السُّمِّ ، لأن الكرَّامية كانوا يبغضونه لتزييفه مذهبهم وإقامة الحجج والبراهين عليهم ، فدسوا عليه مَن سقاه سُمّاً ، فمات ففرحوا بموته ، وذلك سنة : ـ ٦٠٦ ـ ست وستمائة هجرية رحمه الله تعالى .

(**إِنَّ ٱلذُّبَابَ**) . اسم جنس ؛ واحده ذبابة يقع على المذكَّر والمؤنَّث ، ويجمع الذباب على « ذِبَّان » ـ بالكسر ـ كغِرْبان ، و «ذُبَّان» ـ بالضم ـ كقُضْبان ، وعلى أَذِبَّة كأغربة ، وهو أجهلُ الحيوانات لأنَّه يرمي نفسه في المهلكات ، ومدَّة حياته أربعون يوماً ، وأصل خلقته من العُفُونات ، ثم يتوالد بَعضه من بعض ؛ يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسودَ ، وعلى الأسود يرى أَبيض ، والذباب مأخوذ من ذُبَّ : إذا طرد ، وآبَ : إذا رجع ، لأنَّك تذبُّه فيرجعُ عليك . انتهى « حواشي الجلالين » .

(**لاَ يَقَعُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ قَطُّ ، وَإِنَّهُ لاَ يَمْتَصُّ دَمَهُ ٱلبَعُوضُ**) . وتَعقَّب ذلك كلَّه بعضُهم بعدم ثبوته ؛ قاله الزرقاني .

والبعوض !! قال في «الخازن» : صغار البقِّ ، وهو من عجيب خلق الله

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ .
وَ(ٱلْقَلَنْسُوَةُ) : غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يَسْتُرُ ٱلرَّأْسَ .

تعالى ، فإنَّه في غاية الصِّغَر ؛ وله ستة أرجل وأربعة أجنحة ، وذنب ، وخرطوم مجوَّفٌ ، وهو مع صغره يُغَوِّص خرطومَه في جلد الفيل ، والجاموس ، والجمل ؛ فيبلغ منه الغايةَ حتَّى إنَّ الجمل يموت من قرصته . انتهت عبارته .

(وَ) أخرج الطبرانيُّ في « الكبير » ، وأبو الشيخ ، والبيهقيُّ في « الشعب » ، عن ابن عمر بن الخطاب قال : (كَانَ رَسُوْلُ ٱللهِ ﷺ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً) ـ بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين المهملة وفتح الواو ـ من ملابس الرأس كالبرنس الذي تغطى به العمامة من نحو شمس ومطر ؛ قاله المناوي .

(بَيْضَاءَ) ، وفي رواية لابن عساكر في « التاريخ » ؛ عن عائشة : كان يلبَس قلنسوة بيضاء لاطِئَةً . أي : لاصقة برأسه غير مقبية . أشار به إلى قِصَرها وخِفَّتِها .

وأخرج أبو الشيخ ؛ من حديث ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما :

كان لرسول الله ﷺ ثلاثُ قلانس : قلنسوة بيضاء مضرَّبة ، وقلنسوة بُرْدحِبَرة ، وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر ، وربَّما وضعها بين يديه إذا صلَّى . وإسناده ضعيف .

قال الحافظ العراقي في « شرح الترمذي » : وأجود إسنادٍ في القلانس ما رواه أبو الشيخ ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها : كان يلبس القلانِسَ في السَّفَر ذواتِ الآذان ، وفي الحضر المُضْمرة ـ يعني الشامية ـ .

(وَٱلْقَلَنْسُوَةُ) بوزن : فَعَنْلُوَة ، قال الفَرَّاء في « شرح الفصيح » : هي (غِشَاءٌ) أسودُ ؛ أو أبيض أو غيرهما (مُبَطَّنٌ) ـ بتشديد الطاء المهملة وآخره نون ـ أي : له بطان ، أي : يشتمل على بطانة وظهارة ، وقد لا يكون له بطان .

(يَسْتُرُ ٱلرَّأْسَ) ، أي : يلبس في الرأس وتلفُّ عليه العمامة كالطربوش ونحوه .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ ٱلْقَلاَنِسَ تَحْتَ ٱلْعَمَائِمِ وَبِغَيْرِ ٱلْعَمَائِمِ، وَيَلْبَسُ ٱلْعَمَائِمَ بِغَيْرِ ٱلْقَلاَنِسِ، وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلْقَلاَنِسَ ٱلْيَمَانِيَّةَ؛ وَهُنَّ ٱلْبِيضُ ٱلْمُضَرَّبَةُ ، وَيَلْبَسُ ٱلْقَلاَنِسَ ذَوَاتِ ٱلآذَانِ فِي ٱلْحَرْبِ .

وَكَانَ رُبَّمَا نَزَعَ قَلَنسُوَتَهُ ، فَجَعَلَهَا سُتْرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي ، وَرُبَّمَا لَمْ تَكُنِ ٱلْعِمَامَةُ ، فَيَشُدُّ ٱلْعِصَابَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَلَىٰ جَبْهَتِهِ .

(وَ) أخرج الرُّوياني في « مسنده » ، وابن عساكر في « تاريخه » ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ يَلْبَسُ ٱلقَلاَنِسَ) ـ جمع قلنسوة ـ (تَحْتَ ٱلعَمَائِمِ) ـ جمع عمامة ـ (وَ)تارةً يلبَسُها (بِغَيْرِ ٱلعَمَائِمِ) .

الظاهر أنَّه كان يفعل ذلك في بيته ، وأمَّا إذا خرج للناس ؛ فيظهر أنَّه كان لا يخرج إلاَّ بالعمامة يلفُّها عليها للهيبة الباعثة على امتثال أمره .

(وَيَلْبَسُ ٱلعَمَائِمَ بِغَيْرِ ٱلقَلاَنِسِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلقَلاَنِسَ ٱليَمَانِيَّةَ ؛ وَهُنَّ ٱلبِيْضُ ٱلمُضَرَّبَةُ) ؛ أي : المحشوَّة ، (وَيَلْبَسُ ٱلقَلاَنِسَ ذَوَاتِ ٱلآذَانِ فِي ٱلحَرْبِ) ، حال كونه في الحرب .

(وَكَانَ رُبَّمَا نَزَعَ قَلَنْسُوَتَهُ) من فوق رأسه ؛ (فَجَعَلَهَا سُتْرَةً بَيْنَ يَدَيهِ ؛ وَهُوَ يُصَلِّي) ، الظاهر أنَّه كان يفعل ذلك عند عدم تيسُّر ما يستتر به ، أو بيانا للجواز .

قال بعض الشافعية فيه وفيما قبله : لُبْسُ القلنسوة اللاطئة بالرأس والمرتفعة ، والمضربة وغيرها ؛ تحتَ العمامة وبلا عمامة : كلُّ ذلك ورَد ؛ قاله المناوي .

(وَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ) ؛ أي : لم توجد (ٱلعمَامَةُ ، فَيَشُدُّ ٱلعِصَابَةَ) ـ بكسر العين المهملة ـ : كلُّ ما عُصِب به الرأس من منديل ؛ أو خرقة ونحوهما (عَلَىٰ رَأْسِهِ ؛ وَعَلَىٰ جَبْهَتِهِ) . ذكره في « الإحياء » .

قال العراقي : رواه البخاريُّ ؛ من حديث ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما :

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱعْتَمَّ . سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

صعد النبي ﷺ المنبر قد عصب رأسه بعصابة دسماء . . . الحديث .

(وَ) أخرج الترمذي في « الجامع » و« الشمائل » ؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ـ وقال حسن غريب ـ : (**كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِذَا ٱعْتَمَّ**) ؛ أي : لَفَّ العمامة على رأسه (**سَدَلَ عِمَامَتَهُ**) ـ أي : أرخاها ـ (**بَيْنَ كَتِفَيْهِ**) من خلفه نحوَ ذراع ؛ وفيه مشروعيةُ العَذَبة ، فهي سنَّة .

قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك . قال عبيد الله : ورأيت القاسم بن محمد وسالماً يفعلان ذلك ؛ هذا تمام رواية الترمذي .

قال الحافظ ابن حجر : وأَمَّا مالك ! فقال : إنَّه لم يرَ أحداً يفعله إلاَّ عامرَ بن عبد الله بن الزبير . انتهى . وفي بعض طرق الحديث أنَّ الَّذي كان يرسله بين كتفيه هو الطرف الأعلى ؛ وهو يسمَّى « عذبة » لغة .

ويحتمل أنَّه الطرف الأسفل حتى يكون عذبة في الاصطلاح العرفي الآن .

ويحتمل أَنَّ المرادَ الطَّرفان معا ، لأنَّه ورد أنَّه قد أرخىٰ طرفيها بين كتفيه ؛ بلفظ التثنية ، وفي بعض الروايات «طرفها» بلفظ الإفراد ، ولم يكن ﷺ يسدلُ عمامته دائما ، بدليل رواية مسلم : أَنَّه ﷺ دخل مكَّة بعمامةٍ سوداءَ . من غير ذكر السَّدل .

وصرَّح ابن القيِّم بنفيه ؛ قال : لأنَّه ﷺ كان على أُهبة من القتال والمِغفر على رأسه فلبس في كلِّ موطن ما يناسبه ؛ كذا في « الهدي النبوي » . وبه عرف ما في قول صاحب « القاموس » : لم يفارقها قط !!

وقد استفيد من الحديث أنَّ العَذَبة سنَّةٌ ، وكأنَّ حكمةَ سَنِّها : ما فيها من تحسين الهيئة ، وإرسالُها بين الكتفين أفضل . وإذا وقع إرسالها بين اليدين ـ كما يفعله الصوفية وبعضُ أهل العلم ـ فهل الأفضل إرسالها من الجانب الأيمن ؛ لشرفه ، أو من الجانب الأيسر ؛ كما هو المعتاد !! وفي حديث أبي أمامة ؛ عند الطبراني ما يدلُّ على تعيين الأيمن ، لكنَّه ضعيفٌ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدِيرُ ٱلْعِمَامَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَيَغْرِزُهَا مِنْ وَرَائِهِ ، وَيُرْسِلُ لَهَا ذُؤَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

واستحسن الصوفيةُ إرسالَها من الجانب الأيسر ، لكونه جانب القلب ، فيتذكَّر تفريغه مما سوى ربِّه . قال بعض الشافعية : ولو خاف مِن إرسالها نحوَ خُيَلاء !! لم يؤمَر بتركها ؛ بل يفعلها ويجاهِدُ نفسه ، وأقلُّ ما ورد في طولها أربعُ أصابع ، وأكثر ما ورد فيه ذراعٌ وبينهما شبرٌ ، ويحرم إفحاشها بقصد الخُيَلاء .

وقد جاء في العَذَبة أحاديث كثيرةٌ ـ ما بين صحيح وحَسَن ـ ناصَّةٌ على فعل المصطفى ﷺ لها لنفسه ، ولجماعةٍ من صحبه ، وعلى أمره به ، فهي سنَّةٌ مؤكَّدة محفوظة لم يتركها الصلحاء . انتهى . باجوري على « الشمائل » .

(وَ) أخرج الطبرانيُّ في « الكبير » ، والبيهقيُّ في « شعب الإيمان » ـ بسند قال فيه الحافظ الهيثمي ؛ عقب عَزوه للطبراني : رجالُه رجال الصحيح إلاَّ عبد السلام ، وهو ثقة ـ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ يُدِيْرُ ٱلعِمَامَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَيَغْرِزُهَا) أي : يغرِزُ طرفها (مِنْ وَرَائِهِ) لتكون العَذَبة من خلفٍ ؛ لا من أمام (وَيُرْسِلُ لَهَا ذُؤَابَةً) ـ بذال معجمة مضمومة ، فواوٌ ، فألف ، فموحَّدة ؛ مهموز ـ : ضفيرةُ الشعر المرسلة ، فإن لُوِيَت !! فعقيصةٌ .

وتطلق أيضاً على طَرَف العمامة ؛ وهي العَذَبة المرادةُ هنا .

والأفضلُ جعلُها (بَيْنَ كَتِفَيْهِ) ، فإنَّه أكثر أحواله ﷺ ، وحديثه أصحُّ ، وتارة يجعلُها عن يمينه قريبة من الأُذُن اليمنى .

وقد استدلَّ جمعٌ بكون المصطفى ﷺ أرسلها بين الكتفين تارة ، وإلى الجانب الأيمن أخرى ، على أنَّ كلاً سُنَّةٌ . وهذا الحديث مُصرِّح بأنَّ أصل العذبة سُنَّة ؛ وهو مفاد الأحاديث فإلىٰ سنية أصلِها سنيةُ إرسالها إذا أُخذت من فعله ﷺ .

قال السيوطي : مَنْ عَلِمَ أنَّ العذبة سنةٌ وتركها استِنكَافاً أثم ؛ أو غيرَ مُستَنكِفٍ ؛ فلا .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ٱعْتَمَّ . . سَدَلَ عِمَامَتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَفِي أَوْقَاتٍ كَانَ يَضُمُّهَا وَيَرْشُقُهَا ، وَأَوْقَاتٍ لاَ يُرْخِيهَا جُمْلَةً .

وروى أبو الشيخ ابن حيّان في كتاب «أخلاق النبي ﷺ» من حديث ابن عمر ؛ قال أبو عبد السلام بن أبي حازم : قلت لابن عمر : كيف كان رسول الله ﷺ يعتمُّ ؟! قال : يُدِيرُ كُورَ العمامة على رأسه ، ويغرسها من ورائه ، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه .

قال الحافظ العراقي : هذا الحديث يقتضي أنَّ الذي كان يرسله بين كتفيه من الطرف الأعلى . انتهى « زرقاني » .

(وَ) في « كشف ٱلغُمَّة » للعارف الشعراني : (كَانَ) رسول الله (ﷺ إِذَا ٱعْتَمَّ) ـ بتشديد الميم ؛ أي : لفَّ عمامته على رأسه ـ (سَدَلَ عِمَامَتَهُ) ـ أي : أرخى طرفها الذي يسمى : العذبة ـ (بَيْنَ كَتِفَيْهِ) .

قال الزين العراقي : وهل المراد سدل الطرف الأسفل حتى يكون عذبة ؛ أو الأعلى بحيث يغرزها ويرسل منها شيئاً خلفه !! كلٌّ محتَمِل ؛ ولم أر التصريح بكون المرخيِّ من العمامة عذبة إلا في حديث واحد مرسل ؛ مع أنَّ العذبة لغة : الطرف ، فالطرف الأعلى يسمى «عذبة» لغة ؛ وإنْ تخالفا للاصطلاح العرفي الآن .

وفي بعض طرق الحديث أنَّ الذي كان يرسله بين كتفيه من الطرف الأعلى ، ويحتمل أنّ المراد الطرفان معاً . إلىٰ هنا كلامه ؛ نقله المناوي في « شرح الشمائل » .

(وَفِي أَوْقَاتٍ كَانَ يَضُمُّهَا وَيَرْشُقُهَا ، وَأَوْقَاتٍ لاَ يُرْخِيهَا جُمْلَةً) .

وقد تحصّل ممَّا تقدَّم أن للابس العمامة أن لا يتّخذ عَذَبة ، وله أن يتخذها من خلفه ، أو من بين يديه ، أو من بين يديه ومن خلفه معاً ، وأنّ الأفضل اتّخاذها ، وأن تكون بين الكتفين ؛ ثمّ المنكب الأيمن .

وفي « المدخل » : نقل مالك رحمه الله تعالىٰ أنَّهم كانوا يعتمُّون حتىٰ تطلع

وَكانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يَلْتَحِي بِٱلْعِمَامَةِ مِنْ تَحْتِ ٱلْحَنَكِ كَطَرِيقِ ٱلْمَغَارِبَةِ .

الثريّا ، ومعنىٰ ذلك أنّ طلوعها إنَّما يكون في زمن الحر فيزيلونها . انتهىٰ . قاله جسوس علىٰ « الشمائل » .

(وَ) في « كشف الغمّة » للعارف الشعراني رحمه الله تعالىٰ : (كَانَ) رسول الله (ﷺ كَثِيْراً مَا يَلْتَحِيْ بِالعِمَامَةِ مِنْ تَحْتِ الْحَنَكِ) ـ محركة : ما تحت الذَّقَنِ من الإنسان ، قال السيوطيّ في « مختصر النهاية » : والتحنُّك : التلحِّي ؛ وهو أن يدير العمامة من تحت الحنك ـ (كَطَرِيْقِ الْمَغَارِبَةِ) ، أي : لما فيه من الفوائد التي منها أنَّها تقي العنق الحرّ والبرد ، وتثبتها عند ركوب الخيل وغيرها ، وتغني عما اتّخذه كثيرون من كلاليْب عوضاً عن الحنك ، وهذه اللِّبسة أنفع اللّبسات ، وأبعدها من التكلُّف والمشقَّة ؛ قاله المناوي .

قال الحافظ عبد الحقِّ الإِشْبِيْلِيّ : وسنّة العمامة بعد فعلها : أن يرخيَ طرفها ويتحنّك به ، فإن كانت بغير طرف ولا تحنيك ! فذلك يكره عند العلماء .

وفي « المدخل » : لا بدّ في العمامة من فعل سنن تتعلّق بها ؛ من تناولها باليمين ؛ وقول باسم الله ، والذكر الوارد إن كان ما لبس جديداً ، وامتثال السنّة في صفة التَعَمُّمِ من التحنيك ، والعذبة ، وتصغير العمامة . انتهىٰ .

ومنه أيضاً ؛ عن الغزالي : أَنَّ تَعْتَمَّ قائماً ، وتَتَسَرْوَل قاعداً .

ومنه أيضاً : كان سيّدي أبو محمّد رحمه الله تعالىٰ يقول : إنَّما المكروه العمامة التي ليس فيها تحنيك ولا عذبة ، فإن كانا معاً فهو الكمال في امتثال السنّة ، وإن كان أحدهما ! فقد خرج به عن المكروه . ذكره جسوس ؛ وهو مالكيّ المذهب ـ وقال المناوي : شافعيّ المذهب ـ في « شرح الشمائل » : ولا يسنّ تحنيك العمامة عند الشافعيّة ، واختار بعض الحفّاظ ما عليه كثيرون ؛ أنه يسنّ وهو تحديق الرقبة وما تحت الحنك واللِّحية ببعض العمامة ، وأطالوا في الاستدلال له بما رُدّ عليهم ،

وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِمَامَةٌ تُسَمَّى (السَّحَابَ) ، فَوَهَبَهَا لِعَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، فَرُبَّمَا طَلَعَ عَلِيٌّ فِيهَا فَيَقُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي ٱلسَّحَابِ » .

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : عَمَّمَنِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي ، . . . .

وممّن جرىٰ علىٰ ندبه ابن القيّم ، وقد جاء أنّ النبي ﷺ كان يدخل عمامة تحت حنكه . انتهىٰ كلام المناوي رحمه الله تعالىٰ .

(وَ) في « الإحياء » ، و« كشف الغمّة » : (**كَانَتْ لَهُ ﷺ عِمَامَةٌ**) ـ بكسر العين ـ كما في «القاموس» وغيره ، وحكىٰ بعضهم ضمّها (**تُسَمَّىٰ «السَّحَابَ»**) وله عمائم أخرىٰ غيرها ؛ كما بيّنه الشامي (**فَوَهَبَهَا لِعَلِيٍّ**) بن أبي طالب (**رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ**) وقد تقدّمت ترجمته .

(**فَرُبَّمَا طَلَعَ عَلِيٌّ فِيْهَا ؛ فَيَقُوْلُ ﷺ : «أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ»**) .

قال العراقيّ : رواه ابن عديّ ، وأبو الشيخ ؛ من حديث جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده ، وهو مرسل ضعيف جداً . ولأبي نُعَيْم في « دلائل النبوّة » من حديث عمر ، في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث . انتهىٰ .

ومن هنا اشتبه علىٰ الرافضة ، فزعموا أنّ المراد بالسحاب التي في السماء ؛ فقالوا : هو حيّ ورفع في السحاب ، وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنّة . انتهىٰ « شرح الإحياء » .

(وَ) روىٰ ابن أبي شيبة ، وأبو داود الطَّيالسِيّ ، والبيهقي ؛ (**عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : عَمَّمَنِيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَىٰ مَنْكِبِيْ .**) لم يبيّن أَهُوَ الأيمن أو الأيسر ، لكن سيأتي في الحديث بعده ، ما يؤخذ منه أنّ المنكب هنا الأيمن .

وَقالَ : « إِنَّ ٱللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بِمَلائِكَةٍ مُعَمَّمِينَ هَـٰذِهِ ٱلْعِمَّةَ » .

وقَالَ : « إِنَّ ٱلْعِمَامَةَ حَاجِزٌ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُشْرِكِينَ » .

وَكانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُوَلِّي وَالِياً حَتَّىٰ يُعَمِّمَهُ ، وَيُرْخِي لَهَا عَذَبَةً مِنْ جَانِبِ ٱلأَيْمَنِ نَحْوَ ٱلأُذُنِ .

(وَقال : « إِنَّ اللهَ أَمَدَّنِيْ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بِمَلائِكَةٍ مَعَمَّمِيْنَ هٰذِهِ العِمَّةِ ») ـ بالكسر ـ فأُحِبُّ فعل ما أمدّني به بمن أولّيه أو أعمّمه ،

(وَقَالَ : « إِنَّ العِمَامَةَ حَاجِزٌ) ـ أي : مميّز ـ (بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ) ـ لأنّهم يتعمّمون ـ (وَالْمُشْرِكِيْنَ ») لأنَّهم لا عمائم لهم .

(وَ) روىٰ الطبراني في « الكبير » بسند ضعيف ؛ عن أبي أمامة رضي الله تعالىٰ عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ لا يُوَلِّيْ وَالِياً) ، أي : حاكماً علىٰ جهة من جهات الإسلام (حَتَّىٰ يُعَمِّمَهُ) بيده الشريفة ، أي : يدير العمامة علىٰ رأسه (وَيُرْخِيْ لَهَا عَذَبَةً) ـ بالذال المعجمة ـ من خلفه (مِنْ جانِبِ الأَيْمَنِ نَحْوَ الأُذُنِ) إشارة إلىٰ أنّ من ولي من أمر الناس شيئاً ينبغي أن يراعي مِنْ تجمل الظاهر ما يوجب تحسين صورته في أعينهم ، حتىٰ لا ينفروا عنه وتزدريَه نفوسهم .

وفيه ندب العذبة ، وعدّها السيوطيّ من خصائص هذه الأمة ؛ قاله « المناوي علىٰ الجامع » .

ويؤخذ من هذا الحديث تعيين الجانب الذي تجعل فيه العذبة ، لكن قال الحافظ الزين العراقيّ : وإذا وقع إرخاء العذبة من بين اليدين ؛ كما يفعله الصوفية وبعض أهل العلم !! فهل المشروع فيه إرخاؤها من الجانب الأيسر كما هو المعتاد ، أو الأيمن لشرفه ؟ قال : ولم أر ما يدلّ علىٰ تعيين الأيمن إلاّ في حديث ضعيف عند الطبرانيّ !! وبتقدير ثبوته ؛ فلعلّه كان يرخيها من الجانب الأيمن ، ثم يردُّها إلىٰ الجانب الأيسر ؛ كما يفعله بعضهم ، إلاّ أنّه صار شعار الإماميّة ، فينبغي تجنّبه لترك

وَعَنْ جابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ تعالَىٰ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمامَةٌ سَوْداءُ .

التشبّه بهم . انتهىٰ . نقله الزرقاني وغيره .

(وَ) أخرج مسلم ، والترمذيّ في « الجامع » ، و« الشمائل » ، وأصحاب « السنن » (عَنْ جَابِرٍ) بن عبد الله الأنصاريّ ـ تقدّمت ترجمته ـ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قالَ : دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ) زادها الله شرفاً .

سُمّيت مكة لقلّة مائها ، من قولهم : « امتكّ الفصيل ضَرْع أمّه » إذا امتصّه ، وقيل : لأنّها تمكّ الذنوب ، أي : تذهب بها .

ولها أسماء كثيرة : بكة بالباء ، والبلدة ، والبلَد الأمين ، وأمّ القرىٰ ، وأم رُحْم ، وصَلاَحِ ؛ كَقَطَامِ ، والباسّة ، وغيرها . وكثرة الأسماء تدلّ علىٰ شرف المسمّىٰ ، كما في أسماء اللهِ وأسماء رسوله .

ولا نعلم بلداً أكثر أسماءً من مكة والمدينة ، لكونها أفضل الأرض .

واختلف أيُّهما أفضل !! فعند الشافعيّ والجمهور أنّ مكّة أفضل الأرض وبعدها المدينة ، وعند مالك المدينة أفضل ثم مكّة ، ولكلٍّ من الفريقين دليل ومسلك وتعليل ؛ رضي الله عن الجميع ، ورزقنا الأدب مع الجميع ، وأماتنا بالمدينة بجوار الحبيب الشفيع ، وأحلّنا المحلّ الرفيع ، بفضله ورحمته . آمين .

(يَوْمَ الْفَتْحِ) أي : فتح مكّة الذي أعزّ الله به الإسلام وأهله ، وأظهره علىٰ الدين كلّه (وَعَلَيْهِ) أي : علىٰ رأسه (عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ) زاد مسلم : بغير إحرام .

قال الحافظ العراقيّ : اختلفت ألفاظ حديث جابر هذا في المكان والزمان الذي لبس فيه العمامة السوداء ، فالمشهور أنّه يوم الفتح ، وفي رواية البيهقي : يوم ثنيّة الحنظل ، وذلك يوم الحديبية ! قال : ويجاب بأن هذا ليس اضطراباً ، بل لبسها في الحديبية وفي الفتح معاً ، إذ لا مانع من ذلك ، إلاّ أنّ الإسناد واحد ؛ فليتأمل !! انتهىٰ .

. . . .

وفي رواية البخاريّ ، ومسلم ، و« أصحاب السنن » ؛ من طريق مالك عن الزهري عن أنس رضي الله عنه : أنّ النبيّ ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلىٰ رأسه المغفر .

ويجمع بينهما بأنّ العمامة السوداء كانت فوق المغفر ، أو تحته وقاية من صدأ الحديد ، فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهباً للقتال ، وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم .

وجمع بينهما القاضي عياض بأنّ أوّل دخوله كان علىٰ رأسه المغفر ، ثمّ بعد ذلك كان علىٰ رأسه العمامة بعد إزالة المغفر ، بدليل قوله في حديث عمرو بن حُرَيْث رضي الله تعالىٰ عنه ـ كما في مسلم ، و« السنن » ، و« الشمائل » ـ : أنَّ النبيّ ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء . زاد مسلم : قد أرخىٰ طرفها بين كتفيه ؛ لأنَّ الخطبة إنّما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة ،

قال الوليّ العراقيّ : وهو أولىٰ وأظهر في الجمع من الأوّل ، وتعقّبه بعضهم : بأنّ الصواب الجمع الأول .

قال النووي : وفي الحديث جواز لبس الأسود في الخطبة ، وإن كان الأبيض أفضل منه . انتهىٰ . وصحة لبس المصطفىٰ للسواد ، ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفر لا يعارض عموم الخبر الصحيح الآمر بالبياض ؛ لأنّه لمقاصد اقتضاها خصوص المقام ؛ فقد قال العلماء : إنّ الحكمة في إيثار الأسود يوم الفتح علىٰ البياض الممدوح : الإشارة إلىٰ ما منحه الله تعالىٰ به ذلك اليوم من السُّؤْدُد الذي لم يتّفق لأحد من الأنبياء قبله ، وإلىٰ سُؤْدُد الإسلام وأهله ، وإلىٰ أنّ الدين المحمديّ لا يتبدل ؛ لأنّ السواد أبعد تبدُّلاً من غيره .

وقد لبس السواد جماعة منهم عليّ يوم قتل عثمان وغيره ، والحسنُ فقد كان يخطب في ثياب سود ، وعمامة سوداء ، وابن الزبير كان يخطب بعمامة سوداء ، وأنس ، وعبد الله بن جرير ، وعمّار كان يخطب كل جمعة بالكوفة ؛ وهو أميرها

وعليه عمامة سوداء ، ومعاوية فإنَّه لبس عمامة سوداء ، وجبّة سوداء ، وعصابة سوداء ! وابن المسيّب كان يلبسها في العيدين ، وابن عبّاس كان يعتمّ بها ، والخلفاء العبّاسيّون باقون علىٰ لبس السواد ، وكثير من الخطباء علىٰ المنابر ، ومستندهم ما سبق من دخول المصطفىٰ ﷺ مكة بعمامة سوداء ؛ أرخىٰ طرفها بين كتفيه ، فخطب بها ، فتفاءل الناس لذلك بأنّه نصر وعزّ ، وقد جمع السيوطي جزءاً في لبس السواد ، وذكر فيه أحاديث وآثاراً .

وقد زعم بعض الخلفاء العباسيّين من أَولاد المعتصم : أنّ تلك العمامة التي دخل بها ﷺ مكّة وهبها لعمه العبّاس ، وبقيت بين الخلفاء يتداولونها بينهم ، ويجعلونها علىٰ رأس من تُقَرّر له الخلافة .

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد ، فأجابه بأنّه يكرهه ، لأنه لا تُجْلَىٰ فيه عروس ، ولا يلبِّي فيه محرم ، ولا يكفّن فيه محرم[1] ، والظاهر أنّ مراده غير العمامة .

قال القرطبيّ : وفي هذا الحديث دليل للمسوّدة ، غير أنّه ﷺ لم يكن ذلك منه دائماً ، ولا في كل لباسه ، بل في العمامة خاصة ، لكن إذا أمر إمام بلبس ذلك وجب .

وفي « شرح الزيلعي » : يسنّ لبسه لخبر فيه ، وكيف ما كان الأفضل في لبس الخطبة البياض . وقال ابن القيم : لم تكن عمامة المصطفىٰ ﷺ كبيرة يُؤذي الرأس حملها ، ولا صغيرة تقصر عن وقاية الرأس ؛ من نحو حر أو برد ، بل كانت وسطاً بين ذلك ، وخير الأمور الوسط .

(وَقَالَ) الإمام العّلامة ، شيخ الإسلام ، أبو العبّاس ، شهاب الدين ؛ أحمد بن محمد بن عليّ (بْن حَجَرٍ) الأنصاري السعْدي ، المِصري ، الهَيْتَمِيّ ثمّ

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب « ميت » .

ٱلْمَكِّيُّ : ٱعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّرْ ـ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ ٱلْحُفَّاظِ ـ . . . .

(الْمَكِّيِّ) المشهور بـ« ابن حجر الهيتميّ » ؛ نسبة إلىٰ محلّة « أبي الهيتم » بالمثنّاة الفوقية من إقليم الغربيّة بمصرٍ شيخ الشافعية ، وسلطان الشريعة ، وخاتمة المحقِّقين ، فريد عصره ، ووحيد دهره .

ولد في بلدة محلّة « أبي الهيتم » سنة : ـ ٩٠٩ ـ تسع وتسعمائة ـ بتقديم المثناة علىٰ المهملة فيهما ـ ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، ثمّ انتقل إلىٰ القاهرة .

وتلقّىٰ العلم في الأزهر المعمور ، فحفظ المختصرات ، وأخذ عن جمع من العلماء ؛ منهم شيخ الإسلام زكريّا الأنصاريّ ، وهو أجلّهم ، وقرأ علىٰ الشيخ عُمَيْرَة المصريّ ، والشهاب الرَّمْلِيّ ، وأبي الحسن البَكْرِيّ ، وغيرهم .

وبرع في جميع العلوم ؛ خصوصاً فقه الشافعيّة ، وصنّف التصانيف الحسنة المفيدة ، ثمّ انتقل من مصر إلىٰ مكّة المشرّفة .

وسبب انتقاله أنه اختصر « الروض » لابن المقرىء ، وشرع في شرحه ، فأخذه بعض الحسّاد وفتّته وأعدمه ؛ فعظم عليه الأمر ، واشتد حزنه ، وانتقل إلىٰ مكّة وصنّف بها التصانيف الكثيرة الجليلة ، منها « تُحْفَة المحتاج شرح المنهاج » للإمام النووي ، وهو أجلّ كتبه .

وكان زاهداً متقلِّلاً علىٰ طريقة السلف ، آمراً بالمعروف ؛ ناهياً عن المنكر ، واستمرّ علىٰ ذلك حتىٰ مات [بمكة ودفن] سنة : ـ ٩٧٣ ـ ثلاث وسبعين ـ أو أربع وسبعين وتسعمائة ـ رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة آمين .

قال رحمه الله تعالىٰ : (**اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّرْ ـ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْحُفَّاظِ ـ**) ؛

كالحافظ ابن حجر ، فقد قال في « فتاويه » : لا يحضرني في طول عمامة النبي ﷺ قدر محدود ، وقد سئل عنه الحافظ عبد الغني فلم يذكر شيئاً .

وكالحافظ السيوطي فإنّه قال : لم يثبت في مقدارها حديث ، وفي خبرٍ ما يدلُّ علىٰ أنّها عشرة أذرع ، والظاهر أنّها كانت نحو العشرة ، أو فوقها بيسير .

فِي طُولِ عِمَامَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرْضِهَا شَيْءٌ . وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِرْقَةٌ ، إِذَا تَوَضَّأَ . تَمَسَّحَ بِهَا .

وكالحافظ السخاوي ؛ فإنّه قال في « فتاويه » : رأيت مَن نسب لعائشة : أنّ عمامته في السفر بيضاء ، وفي الحضر سوداء ، وكلّ منها سبعة أذرع ، وهذا شيء ما علمته ! انتهىٰ .

وعلىٰ كلام هؤلاء الحفاظ عوّل ابن حجر المكي في تصريحه بأنه لم يتحرّر (**فِي طُوْلِ عِمَامَتِهِ ﷺ وَعَرْضِهَا شَيْءٌ**) .

وما وقع للطبرانيّ في طولها «أنّه نحو سبعة أذرع»، ولغيره « أنّه نقل عن عائشة : أنّها سبعة أذرع في عرض ذراع ، وأنّها كانت في السفر بيضاء وفي الحضر سوداء من صوف ، وأَنّ عذبتها في السفر من غيرها ، وفي الحضر منها » !! لا أصل له .

وفي « تصحيح المصابيح » لابن الجزريّ : تتبّعت الكتب ، وتطلّبت من السِّيَر والتواريخ لأقف علىٰ قدر عمامة المصطفىٰ ﷺ فلم أقف علىٰ شيء ، حتىٰ أخبرني مَن أثق به أنّه وقف علىٰ شيء من كلام النووي ذكر فيه أنّه كان للمصطفىٰ عمامة قصيرة . وعمامة طويلة ، وأنّ القصيرة كانت ستة أذرع ، والطويلة اثني عشر ذراعاً . انتهىٰ « زرقاني » .

وقد ألّف العلماء رحمهم الله تعالى قديماً وحديثاً في العمامة المؤلفاتِ النافعةَ ، منهم الشيخ ابن حجر المكي ؛ له كتاب : « درّ الغمامة في العذبة والطَيْلَسان والعمامة » ، ومنهم السيّد محمد بن جعفر الكتّاني ، المغربيّ ، له كتاب : « الدعامة لمعرفة أحكام سنّة العمامة » . فمن أراد الاطّلاع على ما فيهما فليراجعهما ؛ خصوصا الأخير منهما، فإنّه مفيد جداً .

(**وَ**) في « كنوز الحقائق » للمناوي (**كانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ خِرْقَةٌ**) ـ بكسر الخاء المعجمة ـ (**إِذَا تَوَضَّأَ تَمَسَّحَ بِهَا**) . رمز له برمز الدارقطني .

وفي « الجامع الصغير » : كان له ﷺ خرقة يتنشّف بها بعد الوضوء ، ورمز له برمز الترمذيّ ، والحاكم عن عائشة .

وَكَانَ مِنْدِيلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنَ قَدَمَيْهِ .

قال المناوي : قال الترمذي عقبَهُ : ليس بالقائم ، ولا يصحّ عن النبيّ ﷺ فيه شيء ، وفيه أبو معاذ : سليمان بن أرقم ضعيفٌ عندهم ، وقد رخّص قوم من أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم في التمندل بعد الوضوء . انتهى .

وقال قبل ذلك : وحينئذ لا يكره التنشُّف ، بل لا بأس به وعليه جمع .

وذهب آخرون إلى كراهته ؛ لأنّ ميمونة أتته بمنديل فردّه ، ولما أخرجه الترمذيّ ؛ عن الزهري : **أنّ ماء الوضوء يوزن .**

وأجاب الأوّلون : بأنّها واقعة حال يتطرّق إليها الاحتمال ، وبأنّه إنّما ردّه مخافة مصيره عادة ، ويمنع دلالته على الكراهة ؛ فإنّه لولا أنّه يتنشّف لما أتته به ، وإنّما ردّه ! لعذرٍ كاستعجال ، أو لشيء رآه فيه ، أو لوسخ ، أو تعسف ريح .

وفي هذا الحديث إشعارٌ بأنّه كان لا ينفض ماء الوضوء عن أعضائه ! وفيه حديث ضعيف أورده الرافعي وغيره ، ولفظه : « لاَ تَنْفُضُوْا أَيْدِيَكُم فِي الْوُضُوْءِ ؛ كَأَنَّها مَرَاوِحُ الشَّيْطانِ » . قال ابن الصلاح وتبعه النووي : لم أجده . وقد أخرجه ابن حبّان في « الضعفاء » ، وابن أبي حاتم في « العلل » . انتهى كلام المناوي في « الكبير » .

(وَ) في « إحياء علوم الدين » ، و« كشف الغمّة » ، و« كنوز الحقائق » : (**كَانَ مِنْدِيْلُهُ** ﷺ) ـ المنديل ـ بكسر الميم وفتحها ، وكمنبر ـ هو الذي يتمسّح به ، وهو مذكّر ، ولا يجوز فيه التأنيث ـ (**بَاطِنَ قَدَمَيْهِ**) .

قال العراقي : لا أعرفه مِن فعله !! وإنّما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه ؛ من حديث جابر رضي الله تعالى عنه : كنّا زمن رسول الله ﷺ قليلا ما نجد الطعام ، فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل إلاّ أَكُفُّنا وسواعِدُنا . والله أعلم .

* * *

اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي
فِي صِفَةِ فِرَاشِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُنَاسِبُهُ

كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ أَوْ نَحْوُهُمَا ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَشِبْرٌ أَوْ نَحْوُهُ .

(الفَصْلُ الثَّانِيْ)

من الباب الثالث

(فِي) بيان ما ورد في (صفَةِ فِرَاشِهِ ﷺ) ،

وقدره ، وخشونته ليُقتدىٰ به في ذلك .

(وَ) في صفة (مَا يُنَاسِبُهُ)

ويتعلّق به ؛ كوسادة .

والفراش ـ بكسر الفاء ـ بمعنى مفروش ، ككتاب بمعنى مكتوب ، وهو : اسم لما يفرش ، كاللباس لما يلبس ، وجمعه فُرُش ، ككتاب وكتب ، ويقال له أيضا : فرش من باب التسمية بالمصدر ، وقد ورد في « صحيح مسلم » : « فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ ، وَفِراشٌ لِزَوْجَتِهِ ، وَفِراشٌ لِلضَّيْفِ ، وَفِراشٌ لِلشَّيطَانِ » .

وَإنّما أضافه إلى الشيطان !! لأنّه زايد على الحاجة مذموم .

قال الإمام الشعراني رحمه الله في « كشفة الغمّة » : (كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِراشٌ مِنْ أَدَم) ـ بفتحتين ـ جمع أَدِيْم ؛ وهوالجلد المدبوغ ؛ (حَشْوُهُ) ـ بالفتح ـ أي : الأدم باعتبار لفظه ، وإن كان معناه جمعاً ، فالجملة صفة لأدم ، أو حالية من « فراش » ، و« كان » تامّة ؛ أي : محشوُّهُ (لِيْفٌ) ـ بكسر اللاّم ـ أي : من ليف النخل كما هو الغالب عندهم .

(طُوْلُهُ ذِرَاعَانِ أَوْ نَحْوُهُمَا ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَشِبْرٌ أَوْ نَحْوُهُ) .

وَكَانَ مُتَقَلِّلاً مِنْ أَمْتِعَةِ ٱلدُّنْيَا كُلِّهَا ، وَقَدْ أَعْطَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ ٱلأَرْضِ كُلِّهَا . . فَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهَا ، وَٱخْتَارَ ٱلآخِرَةَ عَلَيْهَا .

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ .

قال في « تيسير الوصول إلى جامع الأصول » للحافظ الديبع : عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف » أخرجه الخمسة إلاّ النسائي . انتهى .

وهو في « الشمائل » من رواية عروة بن الزبير ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : « إنّما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم حَشْوُهُ ليف » .

(وَ) قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » : (**كَانَ**) ﷺ (**مُتَقَلِّلاً مِنْ أَمْتِعَةِ**) ـ جمع متاع ، وهو في اللّغة : كل ما ينتفع به كالطعام ، والبزّ ، وأثاث البيت . وأصل المتاع : ما يتبلغ به من الزاد ـ (**الدُّنْيَا**) ؛ فُعْلَى ، وسُمِّيت دنيا لدنوها ، والجمع الدُّنَا مثل الكبرى والكُبَر ، وإنّما كان متقلّلا من أمتعة الدنيا (**كُلِّهَا**) ؛ لأَنَّ الله تعالى أمره أن لا يَمُدَّن عينيه إلى الدنيا وزهرتها ، (**وَ**) إلى ما متّع به أهلها ؛ فمِن ثَمَّ اقتصر منها على أقلّ ممكن مع تيسيرها عليه ، فـ(**قَدْ**) عُرِضَتْ عليه كنوزها ، و(**أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَفَاتِيْحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ كُلِّهَا**) روى مسلم في « صحيحه » : « بينا أنا نَائِمٌ أُوتِيْتُ مَفاتِيْحَ خَزَائِن الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِيْ » ؛ (**فَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهَا**) ، وما أرادها ، (**وَاخْتَارَ الآخِرَةَ عَلَيْهَا**) ، ولو أراد الدنيا لكان أشكرَ الخلق بما أخذه منها ، ولأنفقه كلّه في مرضاة الله تعالى وسبيله .

(وَ) أخرج الترمذيّ في « الشمائل » ؛ من حديث محمد الباقر مرسلاً قال : (**سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا**) ، أي : أنّ سائلاً سألها : (**مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيْفٌ**) .

وفيه أنّ النّوم على الفراش المحشوّ ، واتّخاذه لا ينافي الزهد ، هَبْهُ من أدم أو

وَ(ٱلأَدَمُ) ـ جَمْـعُ أَدِيـمٍ عَلَـىٰ غَيْـرِ ٱلْقِيَـاسِ ـ وَهُـوَ : ٱلْجِلْـدُ ٱلْمَدْبُوغُ ، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ : أُدُمٍ .

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَتْ عَلَيَّ ٱمْرَأَةٌ مِنَ ٱلأَنْصَارِ ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ ٱلصُّوفُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَا هَـٰذَا يَا عَائِشَةُ؟! » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ فُلاَنَةُ ٱلأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَـٰذَا، فَقَالَ : « رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ ، فَوَٱللهِ لَوْ

غيره ، حشوه ليف أو غيره ؛ لأنّ عين الأدم والليف ليست شرطاً ، بل لأنّها المألوفة عندهم ، فيلحق بها كل مألوف مباح .

نعم الأولى لمن غلب عليه الكسل ، وميل نفسه إلى الراحة والترفُّه أن لا يبالغ في حشو الفراش ؛ لأنّه سبب ظاهر في كثرة النوم ، والغفلة ؛ والبطء عن المهمّات والخيرات بدليل حديث حفصة الآتي .

(**وَالأَدَمُ**) ـ بفتحتين ـ (**جَمْعُ**) أدمة ، أو جمع (**أَدِيْمٍ عَلَىٰ غَيْرِ الْقِيَاسِ** ، **وَ**) الأديم (**هُوَ الْجِلْدُ الْمَدْبُوْغُ**) أو الأحمر ، أو مطلق الجلد ؛ على ما في « القاموس » .

(**وَيُجْمَعُ**) أيضا (**عَلَىٰ أُدُمٍ**) ـ بضمتين ـ وهو القياس . مثل بريد وبرد .

(**وَ**) أخرج البيهقي ، وأبو الشيخ في كتاب « الأخلاق النبوية » ، وابن سعد في « الطبقات » (**عَنْهَا**) ، أي : عن عائشة (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ** :

دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَطِيْفَةً) ، وفي رواية عباءة (**مَثْنِيَّةً ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوْفُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا هَذا يَا عَائِشَةُ ؟! » قُلْتُ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ؛ فُلاَنَةُ الأَنْصَارِيَّةُ**) ـ مفاده أنّها سمّتها له فنسي الراوي اسمها ، أو أبهمها لغرض فعبّر عنها بفلانة ـ (**دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهٰذَا . فَقَالَ : « رُدِّيْهِ يَا عَائِشَةُ ؛ فَوَاللهِ لَوْ**

شِئْتُ لأَجْرَىٰ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَعِيْ جِبَالَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ » .

وَ(ٱلْقَطِيفَةُ) : دِثَارٌ لَهُ خَمْلٌ .

وَسُئِلَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا : . . . .

شِئْتُ لأَجْرَىٰ اللهُ تَعَالىٰ مَعِيْ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ») . فاتّخاذي لهذا الفراش ليس عجزاً عن غيره ، بل اختياراً لعدم الترفُّه المُشْعِر بالمباهاة وحظِّ النفس ، واتّباعاً لقوله تعالى ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ ، وفي رواية ابن سعد ، وأبي الشيخ : « فلم أردَّه ، وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ثلاث مرات : رُدِّيْهِ يا عائِشَةُ ، فَوَاللهِ . . . الخ . قالت : فَرَدَدْتُهُ » .

وفيه أنّها لم تردّه بمجرد أمره ؛ لأنّها لم تفهم تحتّمه ، بل فهمت أنه أراد إن شئتِ ، ولذا لمّا صرح بتحتُّمه ردّته .

(وَالْقَطِيْفَةُ) ـ بفتح القاف وكسر الطاء المهملة على وزنِ فعيلة ـ هي : (دِثَارٌ) ـ بالكسر ـ ما يتدثّر به الإنسان ؛ وهو : ما يلقيه عليه من كساء ، أو غيره فوق الشعار (لَهُ خَمْلٌ) ـ بفتح الخاء المعجمة وإسكان الميم ـ مثل فلس ، الهدب ، وقد يقال للخمل : قطيفة ، ويقال للقطيفة : طنفسة ، وتجمع القطيفة على قطائف وقُطُف ـ بضمتين ـ

(وَ) أخرج الترمذيّ في « الشمائل » ؛ من طريق محمد الباقر مرسلا قال : سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها : ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك ؟ قالت : من أدم حشوه ليف .

و(سُئِلَتْ) أمّ المؤمنين (حَفْصَةُ) بنت الفاروق ؛ عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين (رَضِيَ اللهُ) تعالى عنه و(عَنْهَا) آمين ، وهي شقيقة عبد الله بن عمر . ولدت وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين ، وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة في شعبان ؛ على رأس ثلاثين شهراً قبل أُحُد .

وكانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خُنَيْس بن

مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : مِسْحاً نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ . . قُلْتُ : لَوْ ثَنَيْتُهُ أَرْبَعَ ثِنْيَاتٍ لَكَانَ أَوْطَأَ لَهُ ، . . . .

حذافة السهمي ، وكان ممّن شهد بدراً ، وتوفي بالمدينة المنورة .

قال ابن سعد : توفي عنها مقدمَ النبي ﷺ من بدر ، ثمّ بعد أن تزوجها النبي ﷺ طلّقها طلقة ، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام ، قال : إنّها صوامة ، قوامة ، وزوجتك في الجنّة ، وأوصى عمر إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله ، قال : قال ابن سعد : قال الواقدي : توفِّيت حفصة في شعبان سنة : ـ ٤٥ ـ خمس وأربعين ، وهي بنت ستين سنة .

وروي لها عن رسول الله ﷺ ستّون حديثا ، رحمها الله تعالى ورضي عنها وعن سائر أزواج رسول الله ﷺ .

(**مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ** : **مِسْحاً**) أي كان مسحاً ـ بكسر الميم وسكون السين ـ وهو : كساء خشن يعدّ للفراش من صوف (**نَثْنِيهِ**) بصيغة المتكلِّم مع الغير من المبني للفاعل (**ثِنْيَتَيْنِ**) ـ بكسر أوّله ـ تثنية : ثِنية كسِدْرة ، وفي رواية : ثنيين بدون تاء ـ بكسر الثاء ـ تثنية ثِنْي كحِمْل ، يقال : ثناه إذا عطفه وردّ بعضَه على بعض . (**فَيَنَامُ عَلَيْهِ** .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ) «كان» تامّة ، وَ«ذات» بالرفع فاعل ، ويروى بالنصب على الظرفية ، وعليه ففاعل «كان» ضمير عائد على الوقت ، وعلى كلّ من الروايتين فلفظة «ذات» مقحمةٌ ، أو صفة لموصوف محذوف ، أي ساعة ذات ليلة .

(**قُلْتُ**) أي : في نفسي ، أو لبعض خدمي : (**لَوْ ثَنَيْتُهُ**) بصيغة المتكلم الواحد (**أَرْبَعَ ثِنْيَاتٍ**) ـ بكسر المثلثة ـ منصوب على أنّه مفعول مطلق ، أي : أربع طبقات (**لَكَانَ أَوْطَأَ**) ، أي : ألين (**لَهُ**) من وَطُؤَ الفراش فهو وَطِيء ؛ كقرب فهو قريب .

فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ . . قَالَ : «مَا فَرَشْتُمُوا لِيَ ٱللَّيْلَةَ؟» .

قَالَتْ : قُلْنَا : هُوَ فِرَاشُكَ ، إِلاَّ أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ ، قُلْنَا : هُوَ أَوْطَأُ لَكَ ، قَالَ : « رُدُّوهُ لِحَالَتِهِ ٱلأُولَىٰ ؛ فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِي وَطْأَتُهُ صَلاَتِيَ ٱللَّيْلَةَ » . و(ٱلْمِسْحُ) : كِسَاءٌ خَشِنٌ مِنْ صُوفٍ يُعَدُّ لِلْفِرَاشِ .

وَمَعْنَىٰ (أَوْطَأُ) : أَلْيَنُ ؛ مِنْ وَطُؤَ ٱلْفِرَاشُ فَهُوَ وَطِيءٌ ، كَقَرُبَ فَهُوَ قَرِيبٌ .

(فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ) ـ بكسر المثلثة ـ بحيث صارت طاقاته أربعاً فنام عليه ، (فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : «مَا فَرَشْتُمُوْا لِيْ) أي : أي شيء فرشتم لي (اللَّيْلَةَ) الماضية ؟

ولعلّه لما أنكر نعومته ولينه ظنّ أنّه غير فراشه المعهود فسأل عنه ، وأتى بصيغة المذكر للتّعظيم ، أو لتغليب بعض الخدم .

(قالَتْ : قُلْنَا : هُوَ فِرَاشُكَ) أي : المعهود بعينه (إِلاَّ أَنَّا) أي : غير أنّا (ثَنَيْنَاهُ بأَرْبَعِ ثِنْيَاتٍ) ـ بكسر المثلثة ـ (قُلْنَا : هُوَ) : أي : المثني بأربع ثنيات (أَوْطَأُ) أي : ألين (لَكَ) وأرفق لبدنك .

(قالَ : « رُدُّوْهُ) ـ أي : فراشي ـ (لِحَالَتِهِ الأُوْلَىٰ) ـ أي : كونه مثنياً ثنيتين ـ (فَإِنَّهُ) ـ أي : الحال والشأن ـ (مَنَعَتْنِيْ وَطْأَتُهُ صَلاَتِي اللَّيْلَةَ ») أي : منعني لينه تهجّدي تلك اللّيلة الماضية ؛ لأنّ تكثير الفراش سبب في كثرة النوم ، ومانع من اليقظة غالباً ، بخلاف تقليله فإنّه يبعث على اليقظة من قرب غالباً .

(وَالْمِسْحُ) ـ بكسر الميم، وإسكان السين المهملة ـ (كِسَاءٌ خَشِنٌ) غير ليّن يُتّخذ (مِنْ صُوْفٍ يُعَدُّ لِلْفِرَاشِ) يشبه كساء، أو ثياب سود من شعر يلبسها الزهاد، والرهبان.

(وَمَعْنَىٰ « أَوْطَأُ ») ـ بالهمز ـ : (أَلْيَنُ) مشتق (مِنْ) مصدر (وَطُؤَ الفِرَاشُ) ـ بالضم ـ بمعنى لان ، من باب حَسُنَ يَحْسن ، يقال : وطؤ الفراش (فَهُوَ وَطِيْءٌ ، كَقَرُبَ) ـ بضم الراء ـ أي : على وزنه . (فَهُوَ قَرِيْبٌ) والوِطاء ككتاب : المهاد الوطيء ، أي : الليّن .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبَاءَةٌ تُفْرَشُ لَهُ حَيْثُمَا ٱنْتَقَلَ ، تُثْنَىٰ طَاقَيْنِ تَحْتَهُ . وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مَا يَنَامُ عَلَىٰ ٱلْحَصِيرِ وَحْدَهُ ، لَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ .

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ

(وَ) في « طبقات الصوفيّة » للعلاّمة المناوي رحمه الله تعالى : (**كانَ لَهُ** ﷺ **عَبَاءَةٌ**) ـ بالمدّ كسحابة ـ: ضرب من الأكسية فيه خطوط . وقيل : هي الجبّة من الصوف . قال الصرفيّون : همزته عن ياء ، وإنَّه يقال : عباءة وعباية ، ولذلك ذكره الجوهريّ في « المعتل » . انتهى « شرح القاموس » . وتجمع العباءة على عباء بحذف الهاء ، وتجمع على عباءآت أيضا . انتهى « مصباح » .

(**تُفْرَشُ لَهُ حَيْثُمَا انْتَقَلَ**) في بيوت أزواجه بعد أن (**تُثْنَىٰ طَاقَيْنِ**) فتجعل (**تَحْتَهُ . وَكَانَ**) رسول الله (ﷺ **كَثِيراً مَا يَنَامُ عَلَىٰ الحَصِيرِ**) .

قال ابن بَطَّال : هي ما صنع من سعف النخل وشبهه ، قدر طول الرجل فأكثر ؛ قاله في « الفتح » . ولعلّ المراد بها : الخصفة المذكورة في حديث الحاكم الآتي .

وكان ينام عليه (**وَحْدَهُ ، لَيْسَ تَحْتَهُ**) ﷺ (**شَيْءٌ غَيْرُهُ**) أي : غير الحصير ، لتواضعه ، وزهده في الدنيا وزينتها .

(**وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ**) الهُذَليّ ، تقدّمت ترجمته (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام ؛ وقد أثر في جنبه ، فبكيت . فقال : «مَا يُبْكِيْكَ ؟» قلت : كسرى وقيصر على الخزّ والديباج ؛ وأنت نائم على الحصير ، هذا يا رسول الله بأبي وأمي ؟! لو كنت أذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك منه ؟ فقال : «ما لِيْ وَلِلدُّنْيا ، ما أَنَا في الدُّنيا إِلاّ كَرَاكِبِ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَها » . رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والترمذيّ ، وقال : حسن صحيح ، وكذا صحّحه الحاكم ، والضياء في « المختارة » .

ورواه الطبرانيّ ، ولفظه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (**قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ**

ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَىٰ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ ، فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ ٱللهِ ؟ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ يَطَؤُونَ عَلَىٰ ٱلْخَزِّ وَٱلدِّيبَاجِ وَٱلْحَرِيرِ ؛ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْحَصِيرِ ، قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ . فَقَالَ : « فَلَا تَبْكِ يَا عَبْدَ ٱللهِ ، فَإِنَّ لَهُمُ ٱلدُّنْيَا وَلَنَا ٱلآخِرَةُ » .

وَعَنْ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَىٰ حَصِيرٍ ، قَالَ : فَجَلَسْتُ . . . .

النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ) ـ بتشديد الميم ـ أي : أنّ فيها من الحرّ والكرب كما في بيت الحمام ، (**وَهُوَ نَائِمٌ عَلَىٰ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ ، فَبَكَيْتُ**) شفقةً عليه . (**فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللهِ ؟»**) .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ كِسْرَىٰ) ملك الفرس ، (**وَقَيْصَرُ**) ملك الرُّوْم (**يَطَؤُونَ**) : يمشون (**عَلَىٰ ٱلخَزِّ**) ـ بخاء وزاي معجمتين ـ (**وَالدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيْرِ**) ، وأراد بالجمع ما فوق الواحد ، أو أراد وقومهما ؛ (**وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَىٰ هٰذَا الْحَصِيْرِ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ ؟!**) ، وأنت رسول الله وأفضل خلقه ، وهما كافران !

(**فَقَالَ :**) أي : رسول الله ﷺ (: « **فَلَا تَبْكِ يَا عَبْدَ اللهِ ، فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا**) ـ وهي فانية كأنّها لم تكن ـ (**وَلَنَا الآخِرَة »**) . وهي باقية ، وهي الحيوان ، ولنا في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهم عُجِّلت لهم طيِّباتهم في حياتهم الدنيا .

(**وَعَنْ**) عبد الله (**بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : حَدَّثَنِيْ**) الفاروق ؛ أبو حفص (**عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**) ؛ أمير المؤمنين (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ** :

دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ حَصِيْرٍ قَالَ : فَجَلَسْتُ ،

فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَلَيْسَ عَلَيهِ غَيْرُهُ ، وَإِذَا ٱلْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوَ ٱلصَّاعِ ، وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ ، فَٱبْتَدَرَتْ عَيْنَايَ ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ؟ » . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ ٱللهِ ؛ وَمَا لِيَ لاَ أَبْكِي وَهَـٰذَا ٱلْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبَيْكَ ، وَهَـٰذِهِ خَزَائِنُكَ لاَ أَرَىٰ فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَىٰ ، وَذَاكَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ فِي ٱلثِّمَارِ وَٱلأَنْهَارِ ، وَأَنْتَ نَبِيُّ ٱللهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَـٰذِهِ خَزَائِنُكَ؟! قَالَ : « يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ ؛ . . . .

فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ ؛ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ) ـ بفتح الشين المعجمة وتكسر ـ (نَحْوَ الصَّاعِ ، وَإِذَا إِهَابٌ) ، جلد لم يدبغ ، أو مطلقاً ، دبغ أو لم يدبغ ، والمراد جنس إهاب ، فلا ينافي رواية « الصحيحين » أُهُب (مُعَلَّقٌ ، فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ) : بادَرَتْ بإرسال الدموع مسرعة ؛ (فَقَالَ : «مَا يُبْكِيْكَ يَا ابْنَ الخَطَابِ ؟». فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ؛ وَمَا لِيَ لاَ أَبْكِيْ ، وَهٰذا الْحَصِيْرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبَيْكَ ، وَهٰذِهِ خَزَائِنُكَ) ؛ أي : الأماكن المعدة للادّخار (لاَ أَرَىٰ فِيْهَا إِلاَّ مَا أَرَىٰ) من شعير نحو صاع ؛ (وَذَاكَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ ، وَأَنْتَ نَبِيُّ اللهِ ؛ وَصَفْوَتُهُ) مختاره ، (وَهٰذِهِ خَزَائِنُكَ) لا أرى فيها إلا ما أرى !! وكرّره مبالغة في إظهار التأسُّف .

(قَالَ : « يَا ابْنَ الخَطَّابِ) ـ وفي رواية البخاريّ ومسلم ـ: « فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يردّ البصر غير أهبة ثلاثة ، فقلت : ادع الله فليوسّع على أمّتك ، فإنّ فارسَ والروم قد وسّع عليهم وأعطوا الدنيا ، وهم لا يعبدون الله . فجلس ﷺ وكان متّكئاً ؛ فقال : « أَوَ فِي هٰذَا أَنْتَ يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ ؟! » ـ بهمزة استفهام وواو عطف على مقدر بعدها ـ قال الكرماني : أي : أنت في مقام استعظام التَّجمُّلات الدنيويّة واستعجالها ؟!.

وفي رواية للشَّيخين أيضا : « أَوَ في شَكٍّ أَنْتَ يا ابْنَ الْخَطَّاب !! » أي : أنت

أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَنَا ٱلآخِرَةُ وَلَهُمُ ٱلدُّنْيَا؟! أُولَـٰئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَهِيَ وَشِيكَةُ ٱلِانْقِطَاعِ ، وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا » .

في شكٌّ أَنّ التوسُّع في الدنيا مرغوب عنه ؟! . فقلتُ : يا رسول اللهِ استغفر لي » . أي : من اعتقادي أنّ تجمّل الدنيا مرغوب فيه ، قال :

(« أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُوْنَ لَنَا الآخِرَةُ) الباقية (وَلَهُمُ الدُّنْيَا ») الفانية ؟ وجمع ضمير لهم !! على إرادتهما ومن تبعهما ، أو كان على مثل حالهما ، بدليل رواية الشيخين . وهذا الحديث رواه ابن ماجه بإسناد صحيح بهذا اللّفظ الذي أورده المصنّف .

ورواه الحاكم بلفظ : قال عمر رضي الله عنه : « استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة ؛ وإنّه لمضطجع على خصفة ، وإنّ بعضه لعلى التراب ، وتحت رأسه وسادة محشوّة ليفاً ، وإنّ فوق رأسه لإهاب[1] عطين ، وفي ناحية المشربة قَرَظٌ ، فسلّمت عليه وجلست ؛ فقلت : أنت نبيّ الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير ؟! .

فقال : («أُوْلَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ وَشِيْكَةٌ) ـ بمعجمة وكاف : قريبة ـ (الاِنْقِطَاعِ) ، أي : الزوال (وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنا») ، وإضافة الآخرة لهم !! لأنّهم المنتفعون بها ، حتّى كأنّها منسوبة لهم ؛ لا لغيرهم .

وفي رواية للشيخين : « أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا » . فقلت : استغفر لي ؛ يا رسول الله .

قال النووي في « شرح مسلم » : وهذا يحتجّ به من يفضِّل الفقر على الغنى ،

---

(١) بالنصب اسم «إن» وكتب بحذف الألف على لغة ربيعة وجرى عليه كثير من المحدثين . وعَطِين أي متغيراً منتناً ا هـ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيرٌ مُرَمَّلٌ بِٱلْبَرْدِيِّ ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدُ ، وَقَدْ حَشَوْنَاهُ بِٱلْبَرْدِيِّ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رآهُمَا . . ٱسْتَوَىٰ جَالِساً ، فَنظَرَا ، فَإِذَا أَثَرُ ٱلسَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالاَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ ما يُؤْذِيكَ . . . .

لما في مفهومه أنّ بمقدار ما يتعجّله من طيّبات الدنيا يفوته من ادّخار الأجر له في الآخرة ، وقد يتأوّله الآخرون بأنّ المراد أنّ حظّ هؤلاء من النعيم ما تعجّلوه في الدنيا ، ولاحظّ لهم في الآخرة لكفرهم .

(وَ) أخرج ابن حبّان في « صحيحه » المسمى بـ« الأنواع والتقاسيم » ؛ (عَنْ) أُمِّ المؤمنين (**عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنهَا قَالَتْ** :

كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ سَرِيْرٌ مُرَمَّلٌ) ـ بضم الميم وفتح الراء وشدّ الميم ـ بالبَرْدِيِّ ـ بفتح فسكون ـ : نبات يعمل منه الحصر على لفظ المنسوب إلى البَرْد ، كما في « المصباح » . فالمعنى أنّ قوائم السرير موصولة مغطّاة بما نسج من ذلك النبات ؛ كذا قال الزرقاني .

وفي حديث عمر في الصحيح : فإذا هو مضطجع على رمال حصير . قال القسطلاني : بكسر الراء وتضم ، أي : سرير مرمول بما يرمّل به الحصير ، أي : ينسج ، ورمال الحصير ضلوعه المتداخلة فيه كالخيوط في الثوب . انتهى .

قال في « النهاية » : والمراد أنّه كان السرير قد نسج وجهه بالسعَف ؛ ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير . انتهى كلامه .

(**وَعَلَيْهِ**) ـ أي السرير ـ (**كِسَاءٌ أَسْوَدُ ، وَقَدْ حَشَونَاهُ بِالبَرْدِيِّ ، فَدَخَلَ أَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنهُمَا عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُمَا اسْتَوَىٰ جَالِسَاً**) إكراماً لهما ، (**فَنَظَرَا فَإِذَا أَثَرُ السَّرِيْرِ فِي جَنْبِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، فَقَالاَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ؛ ما يُؤْذِيْكَ**) ـ بحذف همزة الاستفهام تخفيفاً ـ أي : أما يؤذيك

خُشُونَةُ مَا نَرَىٰ مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ ؛ وَهَـٰذَا كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ عَلَىٰ فُرُشِ ٱلدِّيبَاجِ وَٱلْحَرِيرِ؟! فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « لَا تَقُولَا هَـٰذَا ؛ فَإِنَّ فِرَاشَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِي ٱلنَّارِ ، وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي هَـٰذَا عَاقِبَتُهُ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ » .

وَمَا عَابَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضْجَعاً قَطُّ ، إِنْ فُرِشَ لَه . . ٱضْطَجَعَ ، وَإِلَّا . . ٱضْطَجَعَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ .

ومَعْنَىٰ (مُرَمَّلٍ) : . . . .

(خُشُوْنَةُ مَا نَرَىٰ مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيْرِكَ ؛ وَهٰذا كِسْرَىٰ وَقَيْصَرُ) أتى بالإشارة لتحقّق كونهما (عَلَىٰ فُرُشِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيْرِ ؟!) ، حتّى كأنّهما مشاهدان يشار إليهما .

(فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَا تَقُوْلَا هٰذا ، فَإِنَّ فِرَاشَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِي النَّارِ) ـ كناية عن عذابهما وحقارتهما ؛ بجعل النار ظرفاً لفراشهما محيطة به ـ (وَإِنَّ فِرَاشِيْ وَسَرِيْرِيْ هٰذا عَاقِبَتُهُ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ ») ، لم يقل «في الجنّة» على نمط ما قبله !! إشارة إلى تصرُّفه فيها كيف شاء ، وذلك أبلغ في تعظيمه من مجرّد كون فراشه وسريره بها .

وقد أشار إلى ما تقدّم الحافظ زين الدين العراقي في « ألفيّته في السيرة » فقال :

فِــرَاشُــهُ مِــنْ أَدَمٍ وَحَشْــوُهُ ... لِيْـفٌ فَـلا يُلْهِـيْ بِعُجْـبٍ زَهْـوُهُ
وَرُبَّمَــا نَــامَ عَلَــىٰ الْعَبَــاءَةِ ... بِثِنْيَتَيْــنِ عِنْــدَ بَعْــضِ النِّسْــوَةِ
وَرُبَّمَــا نَــامَ علــى الْحَصِيْــرِ ... مـا تَحْتَـهُ شَـيْءٌ سِـوَىٰ السَّـرِيْـرِ

(وَمَا عَابَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ) ـ عبارة القسطلاّني في « المواهب اللّدنيّة » : ويروى أنّه عليه الصلاة والسلام ما عاب ـ (مَضْجَعاً قَطُّ) ؛ أي : مكانا يضطجع فيه (إِنْ فُرِشَ لَهُ اضْطَجَعَ) على ما فرش له ، (وَإِلَّا) يفرشْ له شيء (اضْطَجَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ) ﷺ .

(وَمَعْنَىٰ مُرَمَّلٍ) ـ بضم الميم وفتح الراء وشد الميم الثانية آخره لام ـ

مَنْسُوجٍ . وَ(ٱلْبَرْدِيُّ) : نَبَاتٌ .

وَتَغَطَّىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱللِّحَافِ ، قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ : « مَا أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافِ ٱمْرَأَةٍ مِنكُنَّ . . غَيْرِ عَائِشَةَ » .

(مَنْسُوْجٍ) بالسعَف كما تقدّم آنفاً .

(وَالْبَرْدِيّ) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الراء آخره ياء مثنّاة على لفظ المنسوب ـ هو (نَبَاتٌ) يعمل منه الحصر كما تقدّم .

(وَتَغَطَّىٰ ﷺ بِاللِّحَافِ) بزنة كتاب : كلّ ثوب يتغطّىٰ به ، والجمع لحف ؛ كما في « المصباح » .

(قَالَ) النّبيّ (عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ) فيما رواه البخاريّ ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : اجتمع صواحبي إلىٰ أمّ سلمة ؛ فقلن : والله ؛ إنَّ النّاس يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة ، وإنّا نريد الخير كما تريد عائشة . فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان ، أو حيثما دار . فذكرت ذلك أمّ سلمة له . قالت : فأعرض عنّي ، فلمّا عاد إليّ ذكرت له ذلك فأعرض عنّي ، فلمّا كان في الثالثة ذكرت له فقال : «يَا أُمَّ سَلَمَةَ ؛ لاَ تُؤْذِيْنِي فِي عَائِشَةَ ، فَوَ ٱللهِ (مَا أَتَانِيْ جِبْرِيْلُ) ـ وفي رواية : « مَا نَزَلَ عَلَيَّ ٱلوَحْيُ » ـ (وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنكُنَّ غَيْرِ عَائِشَةَ») رضي الله تعالىٰ عنها إكراماً من الله لها وسبق عناية بها .

وقيل : لمبالغتها في تنظيف ثيابها ، أو لمكان والدها ، وأنّه لم يفارق النبي ﷺ في أغلب أحواله ، فسرىٰ سرّه إلىٰ ابنته ؛ مع مزيد حبّ المصطفىٰ لها .

وفيه فضلها علىٰ جميع نسائه ، ويحتمل أنّ المراد غير خديجة ؛ لأنها ماتت قبل ذلك فلم تدخل في الخطاب بقوله : مِنكُنَّ ؛ قاله الحافظ ابن حجر ، وجزم السيوطيّ بما أبداه احتمالاً .

ثمّ المصنّف ذكر هذا دليلاً لقوله تغطّىٰ باللّحاف ؛ لأنّ الاستثناء من النفي

وَكَانَ وِسَادُهُ ٱلَّذِي يَتَّكِيءُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئاً عَلَىٰ وِسَادَةٍ عَلَىٰ يَسَارِهِ .

إثبات ، فكأنّه قيل : أتاني وأنا متغطٍّ بلحاف عائشة ، والمتبادر أنّها معه فيه .

(وَ) أخرج الإمام أحمد ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت :

(**كَانَ وِسَادُهُ**) ـ بكسر الواو ـ : المخدّة (**الَّذِيْ يَتَّكِيءُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ**) ـ بفتحتين ـ جمع أدمة أو أديم ، وهو الجلد المدبوغ . (**حَشْوُهُ**) أي الأدم (**لِيْفٌ**) .

والجملة صفة لأدم ، وفيه إيذان بكمال زهده وإعراضه عن الدنيا ونعيمها ، وفاخر متاعها ، وحلّ اتّخاذ الوسادة ونحوها من الفرش .

وقد روىٰ هذا الحديثَ الإمامُ أحمد أيضاً ، وأبو داود ، والترمذيّ ، وابن ماجه ؛ عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها بلفظ : « كان وسادته التي ينام عليها باللّيل من أدم حشوها ليف » .

وفيه حل اتّخاذ الوسادة ونحوها ، والنوم عليها ، وغير ذلك . قالوا : لكن الأولىٰ لمن غلبه الكسل ، والميل للدّعة والترفُّه أن لا يبالغ في حشو الفراش ؛ لأنّه سبب لكثرة النوم والغفلة ، والشغل عن مهمّات الخيرات .

(وَ) أخرج أبو داود ، والترمذي في « الجامع » و« الشمائل » ـ وقال : حسن غريب ـ (**عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ قَالَ** :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ) أي : أبصرته حال كونه (**مُتَّكِئاً عَلَىٰ وِسَادَةٍ**) ـ بكسر الواو ـ كإفادة : ما يتوسّد به من المِخَدّة ـ بكسر الميم وفتح الخاء المعجمة ـ وقد يقال : وساد ـ بلا تاء ـ ، وأساد ـ بالهمزة ـ بدل الواو (**عَلَىٰ يَسارِهِ**) ؛ أي : حال كون الوسادة موضوعة علىٰ يساره . أي : جانبه الأيسر ، فهو صفة لوسادة ، جيء به لبيان الواقع لا للتّقييد ، فيحلّ الاتّكاء يميناً أيضاً .

وقد بيّن الراوي في هذا الخبر التُّكَأَة ، وهي الوسادة هنا ، وكيفيّة الاتّكاء .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَىٰ ٱلْحَصِيرِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَىٰ بِسَاطٍ .

والتُّكَأَةُ بوزن اللُّمَزة : ما يتّكأ عليه من وسادة وغيرها ممّا هيء وأُعدّ لذلك ، فخرج الإنسان فلا يسمىٰ تكأة ؛ وإن اتُّكىء عليه .

(وَ) في « كنوز الحقائق » : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يُصَلِّيْ عَلَىٰ الْحَصِيْرِ**) من غير سجّادة تبسط له فراراً عن تزيين الظاهر للخلق ، وتحسين مواقع نظرهم ، فإنّ ذلك هو الرياء المحظور ، وهو ؛ وإن كان مأموناً منه لكنّ قصده التشريع .

والمراد بالحصير : ما نسج من ورق النخل ، هكذا كانت عادتهم .

ثمّ هذا الحديث رمز له المناوي في « كنوزه » برمز عبد الرزاق ! ورواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم ؛ عن المغيرة بن شعبة بلفظ : كان يصلي علىٰ الحصير ، والفروةِ المدبوغة .

قال المناوي : وعورض هذا الحديث بما رواه أبو يعلىٰ ، وابن أبي شيبة ، وغيرهما من رواية شُرَيْح أنّه سأل عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : أكان النّبيّ ﷺ يصلي علىٰ الحصير ؛ والله سبحانه وتعالىٰ يقول ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾ [الإسراء] ؟! قالت : لم يكن يصلّي عليه . ورجاله كما قال الحافظ الزين العراقي : ثقات .

وأُجيب تارة بأنّ المنفيّ في خبرها المداومة ، وتارة أخرىٰ أجيب بأنّها إنّما نفت علمها ، ومن علم صلاته علىٰ الحصير مقدّم علىٰ النافي ، وبأنّ حديثها ؛ وإن كان رجاله ثقات ؛ لكن فيه شذوذ ونكارة . فإنّ القولَ «بأنّ المراد في الآية الحصير التي تفرش» مرجوحٌ مهجور ، والجمهور علىٰ أنّه من الحَصْرِ ، أي : ممنوعون عن الخروج منها ؛ أفاده الحافظ العراقي قال : وفيه ندب الصلاة علىٰ الحصير ، ونحوه مما يقي بدن المصلي عن الأرض ، وقد حكاه الترمذيّ عن أكثر أهل العلم ؛ ذكره المناوي .

(وَ) أخرج ابنُ ماجه ، والحاكم ، وابن أبي شيبة بسند حسن ؛ عن ابن عبّاس رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

(كَانَ) رسول الله (ﷺ **يُصَلِّيْ عَلَىٰ بِسَاطٍ**) أي : حصير كما في « شرح

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ فَرْوَةٌ مَدْبُوغَةٌ يُصَلِّي عَلَيْهَا .

أبي داود » للوليّ العراقيّ ، وسبقه إليه أبوه في « شرح الترمذيّ » حيث قال : في «سنن أبي داود» ما يدلّ علىٰ أنّ المراد بالبساط الحصير .

قال ابن القيّم : كان يسجد علىٰ الأرض كثيراً ، وعلىٰ الماء ، والطين ، وعلىٰ الخُمرة المتّخذة من خوص النخل ، وعلىٰ الحصير المتّخذ منه ، وعلىٰ الفروة المدبوغة ؛ كذا في « زاد المعاد » . ولا ينافيه إنكاره في « المصايد » علىٰ الصوفيّة ملازمتهم للصلاة علىٰ سجادة . وقول ابن القيّم : « لم يصلّ رسول الله ﷺ علىٰ سجادة قطّ ، ولا كانت السجادة تفرش بين يديه » !! ، مراده السجادة من صوف علىٰ الوجه المعروف ، فإنَّه كان يصلّي علىٰ ما اتّفق بسطه . انتهىٰ ؛ ذكره المناوي في« الكبير » رحمه الله تعالىٰ .

(وَ) أَخرج ابن سعد في « طبقاته » بسند ضعيف ؛ عن المغيرة بن شُعبة رضي الله تعالىٰ عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **يَسْتَحِبُّ**) ؛ أي : يحب (**أَنْ تَكُوْنَ لَهُ فَرْوَةٌ مَدْبُوْغَةٌ**) . الفروة قيل : بإثبات التاء ، وقيل : بحذفها ، والجمع فِراء ؛ كَسَهْم وسهام ، وهو علىٰ أنواع : فمنها السمور ، والأزق ، والقاقون ، والسنجاب ، والنافه ، والقرسق ، وأولاهنّ أعلاهنّ ، وهي جلود حيوانات تدبغ فتخيط ويلبس بها الثياب ، يلبسونها اتّقاء البرد . قال الأزهريّ : الجلدة إذا لم يكن عليها وَبَرٌ ، ولا صوف لا تسمّىٰ « فروة » . انتهىٰ « شرح القاموس » .

(**يُصَلِّيْ عَلَيْهَا**) بيّن به أنّ الصلاة علىٰ الفروة لا تكره ، وأنّ ذلك لا ينافي كمال الزهد ، وأنّه ليس من الورع الصلاة علىٰ الأرض ، لأنّ محلّ ذلك القلب .

وفيه إشارة إلىٰ أنَّ التنزُّه عنها توهّماً لتقصير الدبّاغ عن التطهير ليس من الورع ، وإيماءٌ إلىٰ أنّ الشرط تجنُّب النجاسة إذا شوهدت ، وعدم تدقيق النظر في استنباط الاحتمالات البعيدة ، وقد أخطأ قوم استفرغوا أنظارهم في دقائق الطهارة والنجاسة ، وأهملوا النظر في دقائق الرياء والظلم !! فانظر كيف اندرس من الدين رسمه ؛ كما اندرس تحقيقه وعلمه !! نسأل الله تعالىٰ الهداية والتوفيق إلىٰ أقوم طريق . انتهىٰ . مناوي رحمه الله تعالىٰ .

الْفَصْلُ الثَّالِثُ
فِي صِفَةِ خَاتَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرِقٍ ، . . . .

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

من الباب الثالث :

(**فِي**) بيان ما ورد في (**صِفَةِ خَاتَمِهِ**)

ـ بفتح التاء المثنّاة فوق وكسرها ـ وفي صفة تختّمه (ﷺ) ؛ أي : لبسه الخاتم .

والمراد بالخاتم الطابع الذي كان يختم به الكتب ، لا خاتم النبوّة ؛ فإنّه البَضْعة الناشزة بين كتفيه ، وليس مراداً هنا .

وفي الخاتم عشر لغات نظمها الحافظ ابن حجر في قوله :

خُذْ عَدّ نَظْمِ لُغاتِ الخَاتَمِ انْتُظَمَتْ ... ثَمـانِيـاً مـا حـواهـا قَـطُّ نَظّـامُ
خَـاتَـامُ خَـاتَـمُ خَتْـمٌ خَـاتِـمٌ وَخِتَـا ... مٌ خَـاتِيـامُ وخَيْتـومٌ وخَيتـامُ
وَالهَمْـزُ مَـعْ فَتْـحِ خـاءٍ تـاسِـعٌ وإذا ... سـاغَ القيـاسُ أَتَـمَّ العَشْـر خَـأْتـامُ

قالوا : والخاتم حلقة ذات فصّ من غيرها ، فإنْ لم يكن لها فصّ فهي فَتَخة ـ بفاء ومثناة فوقية وخاء معجمة ـ كقَصَبة .

قال ابن العربي : والخاتم عادة في الأمم ماضية ، وسنّة في الإسلام قائمة . وقال ابن جماعة وغيره : وما زال الناس يتّخذون الخواتيم سلفاً وخلفاً من غير نكير .

(**كَانَ خَاتَمُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْ وَرِقٍ**) ـ بكسر الراء وتسكّن تخفيفاً ـ أي : فضّة ، وأخذ بعض أئمة الشافعيّة من إيثار المصطفىٰ ﷺ الفضّة كراهةَ التختّم بنحو حديد أو

وَكَانَ فُصُّهُ حَبَشِيّاً .

نحاس . وأيّد بما في روايةٍ أنّه رأىٰ بيد رجل خاتماً من صُفْر ؛ فقال : «مالِيْ أَجِدُ مِنْكَ رِيْحَ الأَصْنام ؟» فطرحه ، ثمّ جاء وعليه خاتَم من حديد ؛ فقال : «مالِيْ أَرىٰ عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ » ؟ .

ويؤيّده أيضاً ما في رواية : « أنّه أراد أن يكتب كتاباً إلىٰ الأعاجم يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ » ؛ فقال له رجل : يا رسول الله ؛ إنّهم لا يقبلون كتاباً إلاّ مختوماً . فأمر أن يعمل له خاتم من حديد ، فجعله في أصبعه ، فأتاه جبريل فقال له : اِنْبِذْهُ مِنْ أُصْبُعِكَ . فنبذه من أصبعه وأمره بخاتم آخر يصاغ له ، فعمل له خاتم من نحاس ؛ فجعله في أصبعه ، فقال له جبريل : انبذه ، فنبذه ، وأمر بخاتم يصاغ له من وَرِق ؛ فجعله في أصبعه . فأقرّه جبريل . . . » إلىٰ آخر الحديث .

لكن اختار النوويّ أنّه لا يكره ، لخبر الشيخين : « اِلْتَمِسْ ؛ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيْدٍ » ، ولو كان مكروهاً لم يأذن فيه ، ولخبر أبي داود : كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملويّاً عليه فضّة . قال : وخبر النهي ضعيف .

ويؤخذ من الحديث أنّه يسن اتّخاذ الخاتم ، ولو لم يحتجه لخَتْم وغيره ، وعدم التعرض في الخبر لوزنه !! يدلّ علىٰ أنّه لا تحجير في بلوغه مثقالاً فصاعداً ، ولذلك أناط بعض الشافعية الحكم بالعرف ؛ أي : بعرف أمثال اللاّبس .

لكن ورد النهي عن اتّخاذه مثقالاً في خبر حسن ، وضعّفه النوويّ في « شرح مسلم » ، لكنّه معارض بتصحيح ابن حبّان وغيره له ، وأخذ بعضهم بقضيته .

وللرجل لبس خواتيم ، ويكره أكثر من اثنين .

(**وَكَانَ فَصُّهُ**) ـ بفتح أوّله وكسره ؛ وقد يضمُّ وبتشديد الصاد ـ : ما ينقش فيه اسم صاحبه أو غيره (**حَبَشِيّاً**) ؛ أي : حجراً منسوباً إلىٰ الحبش ، لأنّه معدنه . رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذيّ في « الجامع » و« الشمائل » عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه .

وَ(ٱلْوَرِقُ) : ٱلْفِضَّةُ . وَ(ٱلْفَصُّ) : مَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ ٱسْمُ صَاحِبِهِ.
وَ(ٱلْحَبَشِيُّ) : مَنْسُوبٌ إِلَىٰ ٱلْحَبَشِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَزْعٍ ؛ وَهُوَ : خَرَزٌ فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ، أَوْ مِنْ عَقِيقٍ ، وَمَعْدِنُهُمَا بِٱلْحَبَشَةِ .

(**وَالْوَرِقُ**) ـ بكسر الراء وتسكّن تخفيفاً ـ : (**الْفِضَّةُ**) وهي في الأصل النقرة المضروبة ، وقيل : النقرة مضروبة أوّلاً . (**وَالْفَصُّ**) قال القُسطُلاّني : بفتح الفاءِ والعامّة تكسرها ، وأثبتها بعضهم لغة ، وزاد بعضهم الضمّ ، وعليه جرىٰ ابن مالك في «المثلّث». انتهىٰ .

وفي « القاموس » : الفصّ للخاتم مثلّثة ، ووهم الجوهريّ في جعله الكسر لحناً . نعم قال ابن السكّيت والفارابيّ : إنّه رديء .

وللفصّ معان كثيرة ، والمراد هُنا : (**مَا يُكْتَبُ**) أي : ينقش (**عَلَيْهِ اسْمُ صَاحِبِهِ**) أو غيره . (**وَالْحَبَشِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الْحَبَشِ**) ؛ أي : جيء به من الحبشة ، (**فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَزْعٍ**) ـ بفتح الجيم وسكون الزاي ـ (**وَهُوَ : خَرَزٌ فِيْهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ**) يشبه به الأعين ، (**أَوْ مِنْ عَقِيْقٍ**) كأمير (**وَمَعْدِنُهُمَا بِالْحَبَشَةِ**) . وهذا أقرب ممّا قيل : إنّ معدنهما باليمن ؛ وهي من الحبشة ، أو أنّ لونه حبشيّ ، أي : أحمر يميل إلىٰ السواد ، أو صانعه حبشيّ ، أو مصنوع كصنع الحبشة . هذا عصارة ما في الشروح المشهورة والزُّبُر المتداولة !! لكن الوجه الذي لا محيد عنه ما قاله الجلال السيوطيّ وغيره ؛ اعتماداً علىٰ ما في « مفردات » ابن البيطار : إنّ الحبشيّ نوع من الزبرجد يكون ببلاد الحبش ؛ لونه يميل إلىٰ الخضرة ، من خواصّه أنّه ينقي العين ، ويجلو ظلمة البصر ؛ ذكره المناوي في « شرح الشمائل » .

وَأمّا خاتم العقيق !! فعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « تَخَتَّمُوْا بِالْعَقِيْقِ ، وَالْيَمِيْنُ أَحَقُّ بِالزِّيْنَةِ » . وفي سنده مجهول ، بل قال في « اللسان » : هو موضوع بلا ريب ، لكن لا أدري من وضعه . انتهىٰ .

وروي بلفظ : « تَخَتَّمُوا بِالْعَقِيْقِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ » .

وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَبِسَ خَاتِماً كُلَّهُ عَقِيقاً .

وعن عائشة مرفوعاً : « تَخَتَّمُوْا بِالْعَقِيْقِ فَإِنَّه مُبارَكٌ » أخرجه ابن عَدِيّ ، والبيهقيّ في « الشعب » ؛ من طريق يعقوب بن الوليد وهو متروك ، بل كذّبه أحمد ، وأبو حاتم ، وغيرهما .

وعن فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها مرفوعاً : « مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيْقِ لَمْ يَزَلْ يَرَىٰ خَيْراً » . أخرجه ابن حبّان في « الضعفاء » ؛ من طريق أبي بكر بن شعيب ؛ عن مالك ؛ عن الزهريّ ؛ عن عمرو بن الشَّرِيْد ؛ عن فاطمة . قال ابن حبّان : إنّ ابن شعيب يروي عن مالك ما ليس من حديثه ، لا يحلُّ الاحتجاج به .

قال السخاوي : وهذا الحديث عند الطبرانيّ ، وأبي نعيم ، وغيرهما من طرق سواه ، ومع ذلك فهو باطل ، وكذا ورد في خاتم العقيق أحاديث غير هذا ؛

كحديث عمر : « تَخَتَّمُوْا بِالْعَقِيْقِ ، فَإِنَّ جِبْرِيْلَ أَتَانِيْ بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَقالَ : تَخَتَّمْ بِهِ ، وَأْمُرْ أُمَّتَكَ أَنْ تَتَخَتَّمَ بِهِ » . رواه الديلميّ ؛ وهو موضوع .

وحديث علي : « مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيْقِ ، وَنَقَشَ فِيْهِ : وَما تَوْفِيْقِي إِلاَّ بِاللهِ وَفَّقَهُ اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ ، وَأَحَبَّهُ الْمَلَكَانِ الْمُوْكَلانِ بِهِ » . وهذا كذب ؛ قاله السخاوي .

وكلّ ما ورد في خاتم العقيق من الأحاديث ؛ فإنّه لا يثبت ؛ وإن كثرت طرقه ـ كما قاله الحافظ ابن رجب ـ .

قال القسطلاني في « المواهب » : (وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ لَبِسَ خَاتَمَاً كُلَّهُ) تأكيد لخاتم (عَقِيْقاً) نعت له . قال السيوطي في « مختصر الموضوعات » : وأمثل ما ورد في هذا الباب حديث البخاريّ في « التاريخ » : « مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيْقِ لَمْ يُقْضَ لَهُ إِلاَّ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ » . انتهىٰ . فهذا أصل أصيل فيه . انتهىٰ ؛ نقله الزرقاني رحمه الله تعالىٰ .

والعقيق كأمير : خرز أحمر تتّخذ منه الفصوص يكون باليمن بالقرب من الشِّحر ، يتكوّن ليكون مرجاناً فيمنعه اليبس والبرد .

وَكَانَ خَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِضَّةٍ فُصُّهُ مِنْهُ .

قال التيفاشي : يؤتىٰ به من اليمن من معادن له بصنعاء ؛ ثمّ يؤتىٰ به إلىٰ « عدن » ، ومنها يجلب إلىٰ سائر البلاد ، وذكر « القاموس » في مادة قرأ : أنّ معدن العقيق في موضع قرب صنعاء يقال له « مقرأ » ، وبسواحل بحر روميّة منه جنس كَدِرٌ كماء يجري من اللّحم المملّح ، وفيه خطوط بيض خفيّة ؛ وهو المعروف بالرطبي ؛ قاله التيقاشي .

وأجود أنواعه الأحمر ، فالأصفر ، فالأبيض ، وغيرها رديء ، ومن خواصّ الأحمر منه : أنّ من تختم به سكنت روعته عند الخصام ، وزال عنه الهمّ والخفقان ، وانقطع عنه الدم من أي موضع كان ؛ ولا سيّما النساء اللّواتي يدوم طمثهنّ ، وشربه يذهب الطحال ، ويفتح السدد ، ونحاتة جميع أصنافه تذهب حفر الأسنان ، ومحروقه يثبت متحرّكها ويشدّ اللّثة ، والواحدة «عقيقة» بهاء ، والجمع عقايق . قاله في « شرح القاموس » .

(وَ) أخرج البخاريّ ، وغيره ، وهذا لفظ « الشمائل » ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ خَاتَمُهُ ﷺ مِنْ فِضَّةٍ فَصُّهُ مِنْهُ**) « من » تبعيضية . والضمير للخاتم ؛ أي : فصّه من بعضه ؛ لا أنّه حجر منفصل عنه .

قال العراقيّ : لم ينقل كيف كان فصّ الخاتم : أَمُرَبَّعاً ، أم مثلّثاً ، أم مدوراً ؟ إلاّ أنّ التربيع أقرب إلىٰ النقش فيه . انتهىٰ .

وقد تقدّم في رواية مسلم أنّ فَصَّه كان حبشياً .

قال النوويّ في « شرح مسلم » : قال ابن عبد البرّ رواية « فصّه منه » أصحّ . وقال غيره : كلاهما صحيح ، ويجمع بينهما بتعدّد الخاتم ، فلا تعارض بين رواية مسلم ، والبخاريّ . وبهذا جمع البيهقيّ ؛ فقال في « الشعب » : حديث كان فصّه حبشياً فيه دلالة علىٰ أنّه كان له خاتمان ، أحدهما فصّه حبشيّ ، والآخر فصّه منه .

وقال في موضع آخر : الأشبه بسائر الروايات أنّ الذي كان فصّه حبشياً هو

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱتَّخَذَ خَاتِماً مِنْ فِضَّةٍ ، فَكَانَ يَخْتِمُ بِهِ وَلاَ يَلْبَسُهُ .

الخاتم الذي اتّخذه من ذهب ثمّ طرحه ، والذي كان فصّه منه هو الذي اتّخذه من فضة .

وفي حديث معيقيب : كان خاتمه من حديد ملويٌّ عليه فضّة ، فربّما كان في يده ، وليس في شيء من الأحاديث أنّه ظاهَرَ بينهما ؛ أي : لبسهما معاً .

ووافقه علىٰ هذا الجمع ابن العربيّ ، والقرطبيّ ، والنوويّ ، قال الحافظ ابن حجر : وهو أظهر . وقد ورد في حديث غريب كراهةُ كون فصّ الخاتم من غيره . ففي كتاب « المحدّث الفاصل » ؛ من رواية عليّ بن زيد ؛ عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : أنّه كره أن يلبس خاتماً ويجعل فصّه من غيره ، فالمستحبّ أن يكون فصّ الخاتم منه لا من غيره .

(وَ) أخرج الترمذيّ في « الشمائل » ؛ (**عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ**) أي : اقتنىٰ (**خَاتَماً مِنْ فِضّةٍ**) .

جزم ابن سيّد الناس بأنّ اتّخاذه ﷺ للخاتم كان في السنة السابعة ، وجزم غيره بأنّه كان في السادسة ، وجُمِع بأنّه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة ؛ لأنّه إنما اتّخذه عند إرادة مكاتبة الملوك ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ستّ ، ووجّه الرسل الذين أرسلهم إلىٰ الملوك في المحرم من السابعة ، وكان الاتّخاذ قبيل التوجيه . قال ابن العربي : وكان قبل ذلك إذا كتب كتاباً خَتَمه بظفره .

قال الزين العراقي : ولم ينقل كيف كانت صفة خاتمه الشريف : هل كان مربعاً ، أو مثلثاً ، أو مدوّراً ؟ وعملُ الناسِ في ذلك مختلِفٌ ، لكن التربيع أقرب إلىٰ النقش فيه والختم به .

(**فَكَانَ يَخْتِمُ بِهِ**) الكتب التي يرسلها للملوك (**وَلاَ يَلْبَسُهُ**) ـ بفتح الموحدة ـ . وهذا ينافي الأخبار الآتية الدالة علىٰ أنّه كان يلبسه في يمينه .

وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ فِي يَمِينِهِ .

ويُدفَع التنافي بأنّ له ﷺ خاتمين ؛ أحدهما : منقوش بصدد الختم به ، وكان لا يلبسه ، والثاني : كان يلبسه ليقتدىٰ به ، أو أنّ المراد أنّه لا يلبسه دائماً بل غِبّاً ، فلا منافاة حينئذ . وقد يقال : لم يلبسه أوّلاً بل اتّخذه لضرورة الختم ؛ ولم يلبسه ، فخاف من توهّم أنّه اتّخذه لزينة فلبسه ، والله أعلم .

(وَ) أخرج أبو داود ، والنسائي ، وابن حبّان وصحّحه ، والترمذيّ في « الشمائل » واللّفظ له ؛ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه قال :

(**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ**) ـ بفتح الباء ـ؛ من اللُّبس ـ بضم اللاّم ـ (**خَاتَمَهُ**) ـ بفتح التاء وتُكسرُ ـ (**فِي يَمِينِهِ**) ؛ أي : في خنصر يده اليمنىٰ ، فالتختّم فيها أفضل اقتداءً به ﷺ لكونه أكثرَ أحواله ؛ كما قال ابن حجر ، ولأنّ التختّم فيه نوع تكريم ، وتشريف ، وتزيّن ، واليمنىٰ بذلك أحقّ، وكونه صار شعار الروافض!! لا أصل له.

وتختّمه في اليسار الذي أخذ به مالكٌ ؛ ففضّله علىٰ اليمين !! حمله الشافعيّة علىٰ بيان الجواز ، وقول بعضهم : « التختّم في اليسار مرويّ عن عائشة ، وجميع الصحب ، والتابعين »!! مُعارَض بقول الحافظ الزين العراقيّ في « شرح الترمذيّ » ـ وتبعه تلميذه الحافظ ابن حجر رحمهم الله تعالىٰ ـ: وَرَدَ تختُّمه في اليمين من رواية تسعة من الصحابة ، وفي اليسار من رواية ثلاثة منهم . هكذا قال الحافظان ، وذِكْرُهما الثلاثة فقط يعكّر عليه نَقْل الزين العراقي نفسه التختّم في اليسار عن الخلفاء الأربعة ، وابن عَمرو ، وعَمرو بن حُرَيْث ، لكنّ سنده إلىٰ الخلفاء الأربعة منقطع .

وقول ابن رجب « ورد في حديث أنّ تختُّمه في اليسار آخرُ الأمرين من فعله ﷺ » !!، لا يقاوم نقل الترمذيّ عن البخاريّ أنّ التختّم في اليمين أصحّ شيء عن النبيِّ ﷺ في هذا الباب ، وإذا كان أصحَّ ؛ فلا وجه للعدول عن ترجيح أفضليّته .

ويجمع بين روايات اليمين وروايات اليسار : بأنّ كلاً منها وقع في بعض الأحوال ، أو أنّه ﷺ كان له خاتمان ؛ كلّ واحد في يد علىٰ ما فيه ، كما تقدم

وَٱلتَّخَتُّمُ فِي ٱلْيَسَارِ لَيْسَ مَكْرُوهاً ، وَلاَ خِلاَفَ ٱلأَوْلَىٰ ، بَلْ هُوَ سُنَّةٌ لِوُرُودِهِ فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ ، لَـٰكِنِ ٱلتَّخَتُّمُ فِي ٱلْيَمِينِ أَفْضَلُ ؛ لأَنَّ أَحَادِيثَهُ أَصَحُّ . . . .

الجمع بذلك ، بين ما فصّه حبشيّ ، وما فصّه منه . ذكره المناوي ، والباجوري ؛ قالا : وقد أحسن الحافظ العراقيّ حيث نظم ذلك فقال :

يَلْبَسُـــهُ كمـــا روىٰ البُخـــارِي ... فِــي خِنْصَــرٍ يَمِيْــنٍ أو يَسَـــارِ
كِــلاهُمــا فــي مُسْلِــمٍ وَيُجْمَــعُ ... بــأنّ ذا فـــي حـــالَتَيْـــن يَقـــعُ
أو خـــاتَمَيْـــنِ كـــلّ واحـــدٍ بِيَـــدْ ... كمـــا بِفَـــصٍّ حَبَشِـــيٍّ قَـــدْ وَرَدْ

(وَ) بالجملة فـ (**التَّخَتُّمُ فِي الْيَسَارِ**) ـ بفتح الياء ـ (**لَيْسَ مَكْرُوْهاً**) كراهة تنزيه ؛ (**وَلاَ خِلافَ الأَوْلَىٰ ، بَلْ هُوَ**) ؛ أي : التختُّم في اليسار (**سُنَّةٌ لِوُرُوْدِهِ فِي أَحَادِيْثَ صَحِيْحَةٍ**) منها حديث مسلم ، عن أنس رضي الله عنه :

« كان خاتمه ﷺ في هذه ، وأشار لخنصر يُسْراه . ومنها حديث أبي داود ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما : كان ﷺ يتختّم في يساره .

بل قال في « المواهب » : إنّه نصُّ الإمام أحمد في رواية صالح ؛ قال : التختُّم في اليسار أحبُّ إليَّ . وهو مذهب الإمام مالك .

ويروىٰ أنَّه كان يلبسه في يساره ، وكذلك الإمام الشافعيّ . بل ذكر بعض الحفاظ أنّ التختُّم في اليسار مرويّ عن عامّة الصحابة ، والتابعين ، ومعنىٰ كونه مروياً عن عامتهم أنّهم قائلون بأفضليّته علىٰ اليمين ، لا أنّهم نقلوه عن النبيّ ﷺ .

(**لَكِنِ التَّخَتُّمُ فِي الْيَمِيْنِ أَفْضَلُ**) من التختُّم في اليسار ، بل قال الترمذيُّ في « جامعه » : روي عن أنس : أنَّ النبيّ ﷺ تختّم في يساره ، وهو لا يصح . انتهىٰ .

لكنّ كلام الترمذيّ مردودٌ برواية مسلم السابقة وغيرها ، ولذلك ساغ قوله : (**لأَنَّ أَحَادِيْثَهُ**) ؛ أي : التختم في اليمين (**أَصَحُّ**) ، وأكثره من أحاديث التختُّم في اليسار ، فقد روىٰ البخاريّ ، والترمذي ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما قال :

قَالَهُ ٱلْبَاجُورِيُّ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَتَّمُ فِي يَسَارِهِ .

كان ﷺ يتختَّم في يمينه . ورواه مسلم ، والنسائي ؛ عن أنس رضي الله عنه وهو قول ابن عباس ، وعبد الله بن جعفر .

روىٰ حمّاد بن سلمة قال : رأيت ابن أبي رافع يتختّم في يمينه ، فسألْته عن ذلك ؟ فقال : رأيت عبد الله بن جعفر يتختّم في يمينه . وقال : كان النبيُّ ﷺ يتختَّم في يمينه » . أخرجه الإمام أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذيّ في « الجامع » و« الشمائل » ، وقال الترمذيّ : قال محمّد ـ يعني البخاريّ ـ : هذا أصحُّ شيء رُوِيَ عن النبي ﷺ في هذا الباب .

وفي « الشمائل » للترمذيّ ؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنهما أنّ النبيّ ﷺ كان يتختّم في يمينه .

وروىٰ أبو داود ، والترمذيّ في « الشمائل » ؛ عن محمّد بن إسحاق قال : رأيت علىٰ الصلت بن عبد الله خاتماً في خنصره اليمنىٰ فسألته ، فقال : رأيت ابن عباس يلبس خاتمه هكذا ، ولا إخاله إلاّ قال : كان رسول الله ﷺ يتختَّمُ في يمينه ؛ (**قَالَهُ**) ؛ أي : هذا الكلام الذي نقله المصنّف متصرِّفاً فيه ؛ قاله شيخ الإسلام إبراهيم (**البَاجُوْرِيُّ**) في حاشيته المسماة بـ « المواهب اللدنية علىٰ الشمائل الترمذيّة » .

(**وَ**) في « كنوز الحقائق » للمناوي : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَتَخَتَّمُ فِي يَسَارِهِ**) ورمز له برمز مسلم ، وقد مرّ حديث أبي داود ؛ عن ابن عمر في ذلك . بل قال الحافظ ابن رجب :

وقد جاء التصريح بأنّ تختُّمه عليه الصلاة والسلام في يساره كان آخِر الأمرين ، في حديثٍ رواه سليمان بن محمد بن يحيىٰ بن عُروة بن الزبير ؛ عن عبد الله بن عطاء ؛ عن نافع ؛ عن ابن عمر : أنَّ النبي ﷺ كان يتختَّم في يمينه ، ثمّ إنَّه حوّله

. . . .

إلىٰ يساره . أخرجه ابن عديّ ، وأبو الشيخ ، واعتمد ذلك البغويّ في « شرح السنة » . وجمع بها بين الأخبار .

وتعقّبه الطبريّ : بأنّ ظاهره النسخ وليس بمراد ، وقال الحافظ ابن حجر : لو صحّ هذا لكان قاطعاً للنزاع ! لكنّ سنده ضعيف ، وله شاهد عند ابن عساكر عن عائشة بإسناد ضعيف أيضاً .

وجمع البيهقيُّ بين أحاديث تختُّمه في يمينه ، وأحاديث تختُّمه في يساره ؛ بأنَّ الذي لبسه في يمينه خاتم الذهب ، ثمّ نبذه كما في حديث ابن عمر ، والذي في يساره خاتم الفضَّة . انتهىٰ « زرقاني » .

ولم يبيِّن في هذا الحديث وما قبله من الأحاديث في أيِّ الأصابع وضَعه فيها ، لكنِ الذي في «الصحيحين» : تعيين الخنصر . بل في مسلم ، وأبي داود ، والترمذيّ : النهي عن لبسه في السبابة والوسطىٰ ، ولم يثبت في الإبهام والبنصر شيء عن النبي ﷺ ، ولا عن صحبه !! فثبت ندبه في الخنصر فقط ، فالسنّة إذَنْ جعلُه في الخنصر .

وحكمته : أنَّه أبعد عن الامتهان فيما يتعاطاه الإنسان باليد ، وأنّه لا يشغل اليد عمّا تزاوله من الأعمال ، بخلاف ما لو كان في غير الخنصر . انتهىٰ « مناوي » .

والحاصل : أنّه يجوز التختُّم في اليمين واليسار ؛ ولو لغير ذي منصب ، وتحصل السنَّة بكلٍّ منهما ، كما تحصل السنَّة بلبس الخاتم ؛ ولو مُستعاراً ، أو مُستأجراً ، والأوفق للاتّباع للبسه بالملك ، وكونُه في الخنصر أفضل .

ويجوز تعدّد الخواتيم اتخاذاً . وأمّا الاستعمال : فمفهومُ كلام الرافعي عدمُ الجواز ، وبه صرّح المحبُّ الطبريّ ؛ فقال : المُتَّجِهُ أنّه لا يجوز للرجل أن يلبس خاتمين من فضة في يديه ، أو في إحداهما ؛ لأنّ استعمال الفضّة حرام ، إلا ما وردت به الرخصة ، ولم ترد إلاّ في خاتم واحد .

وفي « التحفة » لابن حجر : ويَتَّجِهُ اعتماد كلام « الروضة » الظاهر في حرمة

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ فُصَّ خَاتِمِهِ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ .

التعدُّد مطلقاً ؛ لأنّ الأصل في الفضة التحريمُ علىٰ الرجل ؛ إلاَّ ما صحّ الإذن فيه ، ولم يصحَّ في الأكثر من الواحد .

ثمّ رأيت المحبَّ الطبريَّ علّل بذلك ، وهو ظاهرٌ جليٌّ . انتهىٰ .

هذا معتمد « التحفة » ، لكنّه صرح في « الإمداد » ، و« النهاية » ، وغيرهما بكراهة لبس خاتمين . انتهىٰ .

ويكره للرجل لبسُه في غير الخنصر ، ويجوز لبسه بفصٍّ ، وبدونه ، وجعله في باطن الكفّ أفضل ، لأنّ حديثه أصحُّ من حديث جَعْلِهِ في ظاهر الكفّ .

ويجوز نقشُه ولو بذِكْر ؛ ولا يكره ، ويسنّ كونه دون مثقال ، فإن بلغ مثقالاً ، وَعَدَّهُ العرف إسرافاً حَرُمَ ، وإلاّ ! فلا علىٰ الأوجَه ، والعبرة بعرف أمثال اللاّبس ـ كما اعتمده في « التحفة » و« النهاية » ـ.

قال في « الإمداد » : ينبغي أنّ العرف لو اختلف باختلاف المحالّ ، أو الحِرَف ، ونحوهما: يقيّد أهل كلّ محلّ أو حرفة بعُرْفِه . انتهىٰ ؛ نقله عنه الكردي .

(وَ) أخرج البخاريّ ، ومسلم ، وغيرهما ؛ عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَجْعَلُ فَصَّ خَاتَمِهِ**) ـ مثلّث الفاء كما تقدَّم ـ (**مِمَّا يَلِيْ كَفَّهُ**) ؛ أي : ما يلي بطن كفّه ؛ كما في مسلم ، فَجَعْلُه كذلك أفضلُ اقتداءً بفعله ﷺ .

قال العلماء : ولم يأمر النبيُّ ﷺ في ذلك بشيءٍ ، فيجوز جعل فصّه في باطن الكفّ وظاهرها ، وقد عمل السلف بالوجهين ، وممّن اتّخذه في ظاهرها الحَبْر ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما ؛ قالوا : ولكن الأفضل الأوّل اقتداءً به ﷺ ، ولأنَّه أصون لفصّه ، وأسلم ، وأبعد عن الزهد والإعجاب ؛ كذا ذكره النووي في « شرح مسلم » .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مُحَمَّدٌ) سَطْرٌ ، وَ(رَسُولُ) سَطْرٌ ، وَ(ٱللهِ) سَطْرٌ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَىٰ ٱلْعَجَمِ . . . .

والكفّ مؤنثة ؛ سمّيت بذلك !! لأنّها تكفّ ؛ أي : تدفع عن البدن .

(وَ) أخرج البخاريّ ، والترمذيّ في « الجامع » و« الشمائل » ؛ عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ** : « **مُحَمَّدٌ** » **سَطْرٌ**) مبتدأ وخبر ، (**وَ« رَسُوْلُ » سَطْرٌ**) مبتدأ وخبر أيضاً ، ويجوز في «رسول» التنوين بقطع النظر عن الحكاية ، وتركُ التنوين نظراً للحكاية .

(**وَ« اللهُ » سَطْرٌ**) مبتدأ وخبر أيضاً ، ويجوز في لفظ الجلالة الرفعُ بقطع النظر عن الحكاية ، والجرُّ بالنظر لها .

وظاهر ذلك أنّ « محمّداً » هو السطر الأوّل ، و« رسول » هو السطر الثاني ، ولفظ « الجلالة » هو السطر الثالث .

ويؤيّده رواية الإسماعيلي : « محمّد » سطر ، والسطر الثاني « رسول » ، والسّطر الثالث « الله » . وفي « تاريخ ابن كثير » عن بعضهم أنّ كتابته كانت مستقيمة ، وكانت تُطْبَعُ كتابةً مستقيمة[1] . انتهىٰ . وهو معجزة ظاهرة .

(وَ) أخرج البخاريّ ، والترمذيّ في « الشمائل » ؛ واللفظ لها :

(**عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ**) حين رجع من الحديبية (**أَنْ يَكْتُبَ**) المكاتيب التي فيها الدعوةُ إلىٰ الله تعالىٰ ، ويرسلها (**إِلَىٰ العَجَمِ**) ؛ أي : إلىٰ عظمائهم وملوكهم ، والمراد بالعجم ما عدا العرب ، فيشمل الروم وغيرهم .

---

(١) هكذا في الأصل !!.

قِيلَ لَهُ : إِنَّ ٱلْعَجَمَ لاَ يَقْبَلُونَ إِلاَّ كِتَاباً عَلَيْهِ خَاتَمٌ . فَٱصْطَنَعَ خَاتِماً ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ فِي كَفِّهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ ،

(**قِيْلَ لَهُ**) ـ أي : قال له رجل ، قيل : من قريش ، وقيل : من العجم ـ (: **إِنَّ الْعَجَمَ لا يَقْبَلُوْنَ**) ـ أي : لا يعتمدون ـ (**إِلاَّ كِتَاباً عَلَيْهِ خَاتَمٌ**) ـ بالفتح والكسر ـ أي : نقش خاتم ، فهو علىٰ تقدير مضاف . وعدم قبولهم له ! لأنّه إذا لم يُختَم تطرّق إلىٰ مضمونه الشكُّ ؛ فلا يعملون به ، ولأنّ ترك ختمه تشعر بترك تعظيم المكتوب إليه ، بخلاف ختمه ، فإنّ فيه تعظيماً لشأنه .

(**فَاصْطَنَعَ خَاتَماً**) ؛ أي : فلأجل ذلك أمر بأن يُصْطَنَع له خاتم ، فالتركيب فيه مجاز عقلي ، علىٰ حد قولهم : بنىٰ الأمير المدينة ؛ والصانع له كان يعلىٰ بن أمية .

(**فَكَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ**) ، أي : بياض الخاتم ، لأنه كان من فضة (**فِي كَفِّهِ**) . ظاهره أنّه من باطن أصبعه ، وفي ذلك إشارة إلىٰ كمال إتقانه ، واستحضاره لهذا الخبر حال الحكاية ، كأنّه يخبر عن مشاهدة .

ويدلّ هذا الحديث علىٰ مشروعيّة المراسلة بالكتب ، وقد جعل الله ذلك سنّة في خلقه ، أَطبق عليها الأوّلون والآخرون . وأوّل من استفاض ذلك عنه نبيّ الله سليمان عليه الصلاة والسلام ، إذْ أرسل كتابه إلىٰ بلقيس مع الهُدْهُدِ .

ويؤخذ منه ندب معاشرة الناس بما يحبّون ، وترك ما يكرهون واستئلاف العدوّ بما لا يضرُّ ، ولا محذور فيه شرعاً ؛ قاله المناوي .

(**وَ**) في « الصحيحين » و« الشمائل الترمذيّة » ، ـ واللّفظ لها ـ : (**عَنْ أَنَسٍ أَيْضاً**) رضي الله تعالىٰ عنه (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ**) ـ أي : أراد أن يكتب ليوافق الرواية السابقة ـ (**إِلَىٰ كِسْرَىٰ**) ـ بكسر أوّله وفتحه ـ : ملك فارس ، وهو معرّب خَسْرَو ـ بفتح الخاء ، وسكون السين ، وفتح الراء ـ أي : واسع المُلْك . والنسبة إليه «كِسْرَوِيّ» ، وإن شئت «كِسْرِيّ» . وعن أبي عمرو : جَمْعُ كِسْرَىٰ : أكاسرة علىٰ غير

وَقَيْصَرَ ، وَٱلنَّجَاشِيِّ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ كِتَاباً إِلاَّ بِخَاتَمٍ ، فَصَاغَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً حَلْقَتُهُ فِضَّةٌ ، وَنَقَشَ فِيهِ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) .

قياس ، فإنَّ قياسه : كسرون ؛ نقله ابن الكمال .

(**وَقَيْصَرَ**) ملك الروم ، (**وَالنَّجَاشِيِّ**) ملك الحبشة ، مخفّف عند الأكثر ، وكان ذلك لقباً لكلِّ من ملك إقليماً من ذلك ، كـ«فرعون» لمن ملك القِبْطَ ، و«العزيز» لمن ملك مصر ، و«تُبَّعْ» لمن ملك حِمْيَر ، و«خاقان» لمن ملك التُّرك . وسيأتي الكلام علىٰ النجاشي في مبحث الخف .

(**فَقِيْلَ لَهُ** :) ـ وعند ابن سعد : فقالت له قريش ـ : (**إِنَّهُمْ**) ؛ أي : هؤلاء الملوك (**لاَيَقْبَلُوْنَ كِتَاباً إِلاَّ**) مختوماً (**بِخَاتَمٍ**) ، لأنه إذا لم يختم تطرّق إلىٰ مضمونه الشكّ كما تقدم ، ولذلك صرّح أصحابنا في « كتاب قاض إلىٰ قاض » بأنّه لا بدّ من ختمه .

(**فَصَاغَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ خَاتَماً**) ؛ أي : أمر بصوغه . والصوغ : تهيئة الشيء علىٰ أمر مستقيم ، وتقدّم أنّ الصايغ كان يعلىٰ بن أميّة (**حَلْقَتُهُ**) ـ بسكون اللام ، وقد تفتح ـ (**فِضَّةٌ**) ، فيه إشعار بأنّه لم يكن فَصُّه فضّة ، بل حبشيّ ـ علىٰ ما تقدّم في بعض الروايات ـ (**وَنَقَشَ**) ببنائه للفاعل ؛ أي : أمر ، أو للمفعول ، وهو عليه حقيقة (**فِيْهِ**) أي: في الخاتم؛ أي: فصّه: (**مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ**)، وختم به الكتب .

فلما جاء كتابه إلىٰ كسرىٰ مزّقه ، فدعا عليه ؛ فَمُزِّق ملكه .

ولما أتىٰ إلىٰ هِرَقْل حفظه فحُفظ ملكه .

ولما أتىٰ الكتاب إلىٰ النجاشي أسلم ، وذلك سنة ستّ ، واسمه أصحمة ، ومات سنة تسع ، وصلّىٰ علىٰ جنازته ، وكتب له كتاباً ثانياً ليزوّجه أمّ حَبِيْبَة رضي الله تعالىٰ عنها .

وفي هذا الحديث وما قبله : حِلُّ نقش اسم الله تعالىٰ علىٰ الخاتم ، والردّ علىٰ من كره ذلك ؛ كابن سِيْرِيْن . وقد كان نقش خاتم عليّ : لله الْمُلْكُ . وحذيفة ؛

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتِمُ ٱلْكُتُبَ وَيَقُولُ : « ٱلْخَاتَمُ عَلَىٰ ٱلْكِتَابِ خَيْرٌ مِنَ ٱلتُّهْمَةِ » .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : اِتَّخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَانَ يَلْبَسُهُ فِي يَمِينِهِ ، . . .

وابن الجرّاح : الحمد لله . وأبي جعفر الباقِر : العزّة لله . وإبراهيم النخعي : الثّقة بالله . ومسروق : باسم الله . فأولىٰ نقش اسم الإنسان ، ونسبه ، ولقبه ؛ ليحصل به تمييزه .

قال ابن جماعة : ونَقْشُ الخواتم تارةً تكون كتابةً ؛ وتارة تكون غيرها ، فإن لم تكن كتابة ؛ بل لمجرّد التحسين ! فهو مقصد مباح إذا لم يقارنه ما يحرّمه ، كنقش نحو صورة ، وإن كان كتابة ! فتارة ينقش من الألفاظ الحِكَمِيَّة ما يفيد تذكُّره كلّ وقت وعدم الغفلة عنه ؛ كما روي أنّ عمر نقش علىٰ خاتمه : كفىٰ بالموت واعظاً . وهذا مقصد صالح ، وتارة ينقش اسم صاحبه للختم به ، وهذا هو المراد هنا . انتهىٰ .

(وَ) في « كشف الغمّة » للعارف الشعراني : (**كَانَ**) رسول الله (ﷺ **يَخْتِمُ الْكُتُبَ**) ـ جمع كتاب ـ (**وَيَقُوْلُ** : « **الْخَاتَمُ عَلَىٰ الْكِتَابِ خَيْرٌ مِنَ التُّهَمَةِ** ») ـ بضمّ المثنّاة الفوقيّة المشدّدة ، وفتح الهاء علىٰ وِزَان : رُطَبَة ، والسكون لغة ، وأصل التاء واو ، يقال : اتّهمتُه في قوله ؛ شككت في صدقه . أي : أنّ الكتاب إذا لم يختم تطرّق إلىٰ مضمونه الشكُّ ـ كما تقدم ـ .

(وَ) أخرج الإمام مالك في «الموطّأ»، والبخاريّ؛ ومسلم في «صحيحيهما» ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذيّ ، في « الجامع » و« الشمائل » ـ واللّفظ لها ـ (**عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ** :

اتَّخَذَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ) ، زاد البخاريّ : « وجعل فصّه مما يلي كفَّه ، ونَقَشَ فيه محمّد رسول الله » . لكن ليس فيه قوله :

(**فَكَانَ يَلْبَسُهُ فِي يَمِيْنِهِ**) ؛ أي : قبل تحريم الذهب علىٰ الرجال . قال

فَٱتَّخَذَ ٱلنَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : « لاَ أَلْبَسُهُ أَبَداً » ، فَطَرَحَ ٱلنَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ أَيْضاً : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ ، . . . .

البيهقيّ : وهذا الخاتم هو الذي كان فصّه حبشياً . (**فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيْمَ**) ؛ جمع خاتم ، والياء فيه للإشباع . (**مِنْ ذَهَبٍ**) تبعاً له ﷺ . (**فَطَرَحَهُ**) ، أي : رمىٰ به رسول الله ﷺ (**وَقَالَ** : « **لاَ أَلْبَسُهُ أَبَداً** ») لِما رأىٰ من زُهُوِّهم بلبسه ، وصادق ذلك نزول الوحي بتحريمه ، ففي « الصحيحين » : قال البراء : فصعد رسول الله ﷺ المِنبَرَ فَأَلْقَاهُ ، ونهىٰ عن التختُّم بالذَّهب .

وفي ذلك التصريح بأنَّه لم يقتصر علىٰ الإلقاء ؛ لأنّه بمجرّده لا يدلُّ علىٰ التحريم . قال القُسْطُلاَّني في « المواهب » : وهو ـ أي : التحريم ـ مذهب الأئمّة الأربعة : مالك ، والشافعيّ ، وأبي حَنِيْفَة ، وأحمد وأكثر العلماء رضي الله تعالىٰ عنهم . (**فَطَرَحَ النَّاسُ خَوَاتِيْمَهُمْ**) ؛ أي : من أيديهم تبعاً له ﷺ . والخواتيم : جمع خاتم ؛ كالخواتم ، والياء فيه للإشباع .

قال ابن حجر : وهذا الحديث هو الناسخ لحِلِّه ؛ مع قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة ، وقد أخذ ذهباً في يد وحريراً في يد ؛ وقال : « هٰذانِ حَرَامٌ علىٰ ذُكُوْرِ أُمَّتِيْ ؛ حِلٌّ لإناثِها » .

ووقع لبعض من لا إلمام له بالفقه هنا تخليط فاجْتَنِبْهُ ، كيف والأئمّة الأربعة علىٰ تحريمه ؟! للنهي عنه في حديث « الصحيحين » وغيرهما ، ورخَّصَتْ فيه طائفة ، واستدلُّوا بأنّ خمسة من الصحابة ماتوا وخواتيمهم من ذهب ، ويُرَدّ بأنّ ذلك إن صحّ عنهم يتعيَّن حملُه علىٰ أنّه لم يبلغهم النهي عنه . انتهىٰ .

(**وَ**) في « مسلم » ، و« الشمائل » ؛ ـ واللّفظ لها ـ: (**عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَيْضَاً**) رضي الله تعالىٰ عنهما (**أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **اتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ**) ؛ أي : للخَتْم به ، وفي رواية : اتَّخذها خاتماً كلّه من فضّة (**وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِيْ كَفَّهُ**) . وفي رواية

وَنقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ ، وَنَهَىٰ أَنْ يَنْقُشَ أَحَدٌ عَلَيْهِ .

لمسلم : مِمَّا يَلِيْ باطِنَ كَفِّهِ . وهي تفسير للأُولىٰ .

وعُوْرِضَ هذا الحديث بما رواه أبو داود ؛ من رواية الصَّلْت بن عبد الله قال : رأيت ابن عبَّاس يلبس خاتمه هكذا ؛ وجعل فصَّه علىٰ ظهرها . قال : ولا إخال ابن عبّاس إلاّ وقد كان يذكر أنَّ رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه كذلك .

وقد يجمع بما قاله الزين العراقيّ من أنه وقع مرّة هكذا ومرّة هكذا ، قال : ورواية جعله ممّا يلي كفّه أصحّ ؛ فهو الأفضل . قال ابن العربي : ولا أَعْلَمُ وَجْهَهُ .

وَوَجَّهَه النوويّ بأنّه أبعد عن الزهو والعجب ، وبأنّه أحفظ للنقش الذي فيه من أن يحاكي أن ينقش مِثْلُه ، أو يصيبه صدمة ، أو عود صلب ، فيغيّر نقشه الذي اتُّخذ لأجله .

(**وَنَقَشَ فِيْهِ**) ـ أي : أمر بنقشه فهو بالبناء للفاعل ، لكن علىٰ المجاز علىٰ حد قولهم : بنىٰ الأمِيْرُ المدينة ـ (**مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ**) ؛ أي : هذه الألفاظ .

قال الزين العراقيّ : وهل قصد به اسمه فقط !؟ فيكون قول «رسول الله» صفةً لقوله «محمّد» لا خبرٌ له ، ويكون كما لو كتب : محمد بن عبد الله ، كما نقش ابن عمر علىٰ خاتمه عبد الله بن عمر ، وعليه فيكون خبرُ المبتدأ محذوفاً ؛ أي : مالكه ، أو صاحبه «محمد رسول الله» ، وكأنّه رمز به إلىٰ صاحبه ، كما رمز في كتب الحديث إلىٰ صاحب تلك الرواية بكتابة اسمه عليها !! أو أراد به الإتيان بإحدىٰ كلمتي الشهادة علىٰ أنّه مبتدأ وخبر ؟ وعليه فهل أُرِيْدَ بعض القرآن ؛ فيكون حجّة علىٰ جواز ذلك ، وَرَدّ علىٰ من كرهه من السلف ، أو لم يقصد به القرآن ؟ كلٌّ محتمل .

ويدلّ على أنّه أريد إحدى كلمتي الشهادةِ ؛ الحديثُ الوارد في نقش كلمتي الشهادة علىٰ الخاتم . انتهىٰ ؛ نقله المناوي .

(**وَنَهَىٰ**) أي : النبيّ ﷺ (**أَنْ يَنْقُشَ**) بضمِّ القاف (**أَحَدٌ عَلَيْهِ**) أي : مثل نَقْشِه ؛ وهو : محمد رسول الله ، كما يدلّ له رواية البخاريّ ، ومسلم ؛ عن أنس :

وَهُوَ ٱلَّذِي سَقَطَ مِنْ مُعَيْقِيبَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ .

وَ(مُعَيْقِيبُ) : هُوَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَلِي خَاتِمَ ٱلْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ .

اتّخذ رسول الله خاتماً من فضّة ، ونقش فيه : «محمّد رسول الله» ، وقال للنّاس : «إنّي اتَّخَذْتُ خاَتَماً مِنْ وَرِقٍ ، وَنَقَشْتُ فِيْهِ : مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ . فَلاَ يَنْقُشْ أَحَدٌ عَلىٰ نَقْشِهِ » .

والحكمة في النهي عن ذلك : أنّه كان يختم به للملوك ، فلو نقش غيره مثله لأدّىٰ إلىٰ الإلباس والفساد .

وما روي أنّ معاذاً نقش علىٰ خاتمه : (محمّد رسول الله) وأقرّه المصطفىٰ ﷺ!! فلم يثبت ، وبفرض ثبوته !! فهو قبل النهي ، ويظهر ـ كما قاله ابن جماعة ، والزين العراقيّ ـ: أنّ النهي خاصٌّ بحياته ﷺ أخذاً من العلّة . انتهىٰ باجوري بزيادة .

(**وَهُوَ الَّذِيْ سَقَطَ مِنْ مُعَيْقِيْبَ**) بن أبي فاطمة الدوسيّ (**فِي بِئْرِ أَرِيْسٍ**) بوزن «أمير» ، وهي الكائنة في قباء ، ويقال لها : بئر الخاتم . (**وَمُعَيْقِيْبُ**) ـ بضمّ الميم ، وفتح العين المهملة ، وسكون التحتيّتين ، وقاف مكسورة بينهما ، وموحدة في آخره ـ تصغير مِعْقابْ كـ«مِفْضال» ، (**هُوَ**) مولىٰ سعد بن أبي العَاص ، وكان (**مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ**) : أسلم قديماً بمكّة ، وهاجر إلىٰ الحبشة الهجرة الثانية ، وأقام بها حتّىٰ قدم علىٰ النبيّ ﷺ بالمدينة .

(**وَكَانَ يَلِيْ خَاتَمَ المُصْطَفَىٰ** ﷺ) بالمدينة المنوّرة ، (**وَ**) يلي خاتم (**الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ**) ، واستعمله أبو بكر ، وعمر ، وعثمان علىٰ بيت المال .

وهو قليل الحديث . قيل : مرويّاته سبعة أحاديث ؛ اتّفق البخاريّ ومسلم علىٰ واحد منها ، وانفرد البخاريّ بواحد . ومات سنة : أربعين هجريّة ، وقيل : في آخر خلافة عثمان ، وقيل : في خلافة عليّ .

قال الزركشيّ وغيره : كان به عِلّة من جُذَام ، فَعُوْلج بأمر عمر بن الخطّاب

وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : اِتَّخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِماً مِنْ وَرِقٍ ، فَكَانَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ، وَفِي يَدِ عُمَرَ ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ . . . .

بالحنظل فوقف ، وكان بأنسٍ طرف من برص . قال بعض الحفّاظ : ولا يعرف في الصحابة من أُصيب بذلك غيرهما .

(وَ) أخرج الشيخان : البخاري ، ومسلم في « صحيحيهما » ، والترمذيّ في « الشمائل » ، وغيرها ؛ (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ**) بن الخطّاب (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : اِتَّخَذَ رَسُوْلُ اللهِ** ﷺ **خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ**) ـ بكسر الراء ـ وفي رواية : من فضّة . وكان اتّخاذه سنة سبع ، كما جزم به ابن سيّد الناس ، وجزم غيره بأنّه في السادسة !! وجمع الحافظ ابن حجر بينهما بأنّه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة ؛ كما مرَّ ، وكان صانع الخاتم يعلىٰ بن منيّة ، وهو اسم أمّه ، واسم أبيه : أميّة ؛ كما تقدَّم .

وروىٰ الدارَقُطْنِيُّ ، وغيره ؛ عن يعلىٰ بن منيّة قال : أنا صنعتُ للنبي ﷺ خاتماً لم يشركني فيه أحد ، نقش فيه : محمد رسول الله .

(**فَكَانَ فِي يَدِهِ**) ؛ أي : في خنصر يده اليمنىٰ ، فهو من باب إطلاق الكلّ وإرادة الجزء ، وهكذا يقال في لاحقه ، (**ثُمَّ**) بعد وفاة المصطفىٰ ﷺ (**كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ**) الصدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه مدّة خلافتهِ ، (**وَ**) بعد أبي بكر كان (**فِي يَدِ عُمَرَ**) بن الخطّاب رضي الله تعالىٰ عنه مدَّة خلافته ، (**ثُمَّ**) بعد موت عمر (**كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ**) بن عفّان رضي الله تعالىٰ عنه ستّ سنين من خلافته ، كما في بعض الروايات ، وثمّ هنا للتراخي في الرُّتْبَةِ .

وظاهر هذا الحديث مخالف لما ورد ، من أنّ أبا بكر جعل الخاتم عند مُعَيْقِيْب ليحفظه ويدفعه للخليفة وقت الحاجة إلىٰ الختم ؛ كما رواه أبو داود ، وغيره . بل في رواية البخاريّ ؛ عن ابن عمر : « فلبس الخاتم بعد النبيّ ﷺ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان » .

حَتَّىٰ وَقَعَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ ، نَقْشُهُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ .

وهو صريح في المخالفة لرواية أبي داود وغيره ، وتُدْفَع المخالفة بأنّهم لبسوه أحياناً للتبرُّك ، وكان مَقَرُّهُ عند معيقيب ؛ جمعاً بين الروايات .

وقيل : المراد من كون الخاتم في أيديهم أنّه كان عندهم في تصرُّفهم ، كما يقال في العرف : هذا الشيء في يد فلان ؛ أي : عنده وفي تصرُّفه ، فلا يلزم منه لبسه ، وهذه تردّه رواية البخاريّ المارّة ، والله أعلم .

ويؤخذ من ذلك : أنّه يجوز للشخص استعمال ختم منقوش باسم غيره بعد موته . لأنّه لا التباس بعد موته ، قال النووي : وفي الحديث التبرُّك بآثار الصالحين ، ولبس ملابسهم . انتهىٰ .

(**حَتَّىٰ وَقَعَ**) ؛ أي : إلىٰ أن سقط في أثناء خلافة عثمان منه ، كما في رواية البخاريّ ، أو من معيقيب ، كما في « الشمائل » ، وبعض طرق مسلم ، ويحتمل ـ كما في «القُسطُلاّني» ـ أنّه لمَّا طلبه من مُعَيْقِيْبَ ليختم به شيئاً استمرّ في يده ، وهو مُتَفَكِّرٌ في شيء يَعْبَثُ به ، ثمّ دفعه في تفكُّره إلىٰ معيقيب ، فاشتغل بأخذه فسقط ، فنُسِبَ سقوطه لكلٍّ منهما ، أحدهما حقيقة ، والآخر مجازاً . هذا غاية ما جمع به ، والراجح من حيث الصناعة الأوّل ، لاتّفاق رواية الشيخين عليه . انتهىٰ .

(**فِي بِئْرِ**) ـ بالهمز ، وتُخفَّف ، وهي مؤنثة ـ (**أَرِيْسَ**) ـ بفتح الهمزة ، وكسر الراء ، وسكون المثنّاة التحتية ، آخره سين مهملة ، بوزن جَلِيْس ، يصرف ولا يصرف ـ وهي بئر بحديقة قريبة من مسجد قُباء ؛ نِسبة إلى رجل من اليهود اسمه أريس ، وهو الفلاّح بلُغَةِ أهل الشام ، ويقال لها : بئر الخاتم أيضاً .

(**نَقْشُهُ**) ؛ أي : نقش ذلك الخاتم أو نقش فصّه : (**مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ**) ، أي : هذه الكلمة علىٰ الترتيب ، زاد في رواية أبي داود ، والنسائي : فاتَّخذ عثمان خاتماً ، ونقش فيه : محمّد رسول الله ، فكان يختم به . وله شاهد من مرسل عليّ بن الحسين عند ابن سعد في « الطبقات » .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (وَفِي وُقُوعِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ أَمْرَ ٱلْخِلاَفَةِ كَانَ مَنُوطاً بِهِ ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ ٱلْفِتَنُ ، وَتَفَرَّقَتِ ٱلْكَلِمَةُ ، وَحَصَلَ ٱلْهَرْجُ ، وَلِذَٰلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ فِي خَاتَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي خَاتَمِ سُلَيْمَانَ مِنَ ٱلأَسْرَارِ ؛ لأَنَّ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ لَمَّا فُقِدَ.. ذَهَبَ مُلْكُهُ ، وَخَاتَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فُقِدَ مِنْ عُثْمَانَ.. ٱنْتَقَضَ عَلَيْهِ ٱلأَمْرُ ،

وفي « الصحيح » ؛ عن أنس : كان خاتم النبيّ ﷺ في يده ، وفي يد أبي بكر بعده ، وفي يد عمر بعد أبي بكر ، فلمّا كان عثمان جلس في بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يَعْبَثُ به فسقط ، فاختلفنا ثلاثة أيّام مع عثمان نَنْزَحُ البئر فلم نجده .

قال الحافظ ابن حجر وغيره : كان ذلك في السنة السابعة من خلافته رضي الله تعالىٰ عنه .

(**قَالَ البَاجُوْرِيُّ**) كالحافظ ابن حجر ، وغيره : (**وَفِي وُقُوْعِهِ**) ؛ أي : سقوطه في البئر (**إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ أَمْرَ الْخِلاَفَةِ**) من حيث جمع الكلمة ، واستقرار الأمور (**كَانَ مَنُوْطاً**) ـ أي : مربوطاً ومعلّقاً ـ (**بِهِ**) ؛ أي : بذلك الخاتم ، لما فيه من السرّ ؛ لأنّه من آثار الرسول الأعظم ﷺ ، (**فَقَدْ تَوَاصَلَتْ**) ـ أي : تتابعت ـ (**الْفِتَنُ**) بعد سقوطه ، (**وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ**) ـ أي : كلمة المسلمين ـ ونقموا علىٰ عثمان أشياء ، واختلّ نظام الطاعة له ، وكان من أمر عثمان ما هو مذكور في التواريخ . ثم أُسْنِدَت الخلافة بعده إلىٰ عليّ بن أبي طالب ؛ مع وجود المنازعين له بسبب قَتَلَةِ عثمان الذين كانوا في جيش عليّ ، ووقعت حروبٌ طاحنة بين الجماعة ؛ التابعين لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وبين الجماعة المخالفين له ، (**وَحَصَلَ**) شِقاقٌ كبير بين الطائفتين ، وكَثُرَ (**الْهَرْجُ**) ؛ أي : القتل بين الفريقين ، (**وَلِذَٰلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ فِي خَاتَمِهِ** ﷺ) شيء من الأسرار ؛ مثل (**مَا**) كان (**فِي خَاتَمِ**) نبيّ الله (**سُلَيْمَانَ**) بن داود عليهما الصلاة والسلام (**مِنَ الأَسْرَارِ**) ، وذلك (**لأَنَّ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ لَمَّا فُقِدَ ذَهَبَ مُلْكُهُ ، وَ**) كذلك (**خَاتَمُهُ** ﷺ) ؛ فإنّه (**لَمَّا فُقِدَ مِنْ عُثْمَانَ**) بن عفّان (**انْتَقَضَ عَلَيْهِ الأَمْرُ**) ، وخرج عليه الخارجون ، ووقع الاختلاف

وَحَصَلَتِ ٱلْفِتَنُ ٱلَّتِي أَفْضَتْ إِلَىٰ قَتْلِهِ ، وَٱتَّصَلَتْ إِلَىٰ آخِرِ ٱلزَّمانِ) ٱنْتَهَىٰ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَشْفَقَ مِنَ ٱلْحَاجَةِ يَنْسَاهَا . رَبَطَ فِي خِنْصَرِهِ ، أَوْ فِي خَاتَمِهِ ٱلْخَيْطَ .

إلىٰ الآن ، (**وَحَصَلَتْ الْفِتَنُ الَّتِي أَفْضَتْ إِلَىٰ قَتْلِهِ**) شهيداً مظلوماً ؛ وهو يقرأ القرآن ، والمصحف بين يديه ، فوقع الدم علىٰ قوله تعالىٰ ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة] .

(وَ) كان ذلك مبدأ الفتن التي (**اتَّصَلَتْ إِلَىٰ آخِرِ الزَّمانِ**) . قال ابن علاّن في شرح «الأذكار» : والناس يعجبون من خاتم سليمان ؛ وكانت المعجزة به في الشام فحسب ! وهذا الخاتم مُذْ عُدِمَ اختلفت الكلمة ، وزال الاتّفاق في جميع بلاد الإسلام ، من أقصىٰ خُراسان إلىٰ آخر بلاد المغرب ! حفظنا الله وإيّاكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن . آمين . (**انْتَهَىٰ**) ؛ أي : كلام الباجوري .

(وَ) أخرج ابن سعد ، والحكيم الترمذيّ ؛ عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (**كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَشْفَقَ مِنَ الْحَاجَةِ يَنْسَاهَا ؛ رَبَطَ فِي خِنْصَرِهِ ، أَوْ فِي خَاتَمِهِ الْخَيْطَ**) . ورواه أبو يعلىٰ ؛ عن ابن عمر بلفظ : كَانَ إِذَا أَشْفَقَ مِنَ ٱلحَاجَةِ أَنْ يَنْسَاهَا رَبَطَ فِي أُصْبُعِهِ خَيْطاً لِيَذْكُرَهَا . وفي سنده سالم بن عبد الأعلىٰ ؛ رماه ابن حبّان بالوضع ، واتّهمه أبو حاتم بهذا الحديث ، وقال : هذا حديث باطل . وروىٰ ابن شاهين في « الناسخ » له النهيَ عنه ، ثم قال : وجميع أسانيده منكرة ، ولا أعلم شيئاً منها صحيحاً . ولابن عديّ بسند ضعيف ؛ عن واثلة : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً أَوْثَقَ فِي خَاتَمِهِ خَيْطاً . وللدارَقُطْني في « الأفراد » ؛ عن رافع بن خَدِيْج قال : رَأَيْتُ فِي يَدِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ خَيْطاً ، فَقُلْتُ : ما هذا ؟! قال : « أَسْتَذْكِرُ بِهِ » . انتهىٰ . ذكر ذلك كلّه في « كَشْفِ الخفا ومُزِيْل الإلْباس » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْخَلاَءَ . . نزَعَ خَاتِمَهُ .

والذكر والنسيان من الله تعالى ، لكنّ رَبْطَ الخيط سبب من الأسباب ؛ لأنه نُصْبَ العين ، فإذا رآه ! ذكر ما نسي . فهذا سببٌ وَضَعَهُ اللهُ تعالى لعباده كسائر الأسباب ، كحوز الأشياء بالأبواب ، والأقفال ، ونحوهما ، وأهلُ اليقين ؛ وهم الأنبياء لا تضرُّهم الأسباب ، بل يتعيّن فعلها عليهم للتشريع . والنسيان ـ كما قال بعض العارفين ـ من كمال العرفان ؛ لأنّ الله تعالى نزّه نفسه عنه ، وجعله من حقيقة العبد .

(وَ) أخرج أبو داود ، والترمذيّ وقال : حسن ، والنسائيّ ، وابن ماجه ، وابن حبّان ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين ، لكن قال النوويّ : ضعّفه أبو داود ، والنسائي ، والبيهقيّ ، والجمهور ، قال : وقول الترمذي : حسن ! مردود . انتهى . وكذا رواه الترمذيّ في « الشمائل » ، واللّفظ لها ، كلّهم ؛ (**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ**) ـ بالفتح والمدّ ـ؛ أي : أراد الدخول إلى المحلِّ الذي يتخلّى فيه لقضاء الحاجة ، ويسمّى بـ«الكَنِيْفِ» ، والحش ، والبَراز ـ بفتح الموحَّدة ـ والغائط ، والمَذْهب ، والمرفق ، والْمرحاض.

وسُمِّي بالخلاء ! لخلائه في غير أوقات قضاء الحاجة ، أو لأنَّ الشيطان الموكَّل به اسمه «خلاء» ، ونصبه بنزع الخافض لا بالظرفيّه ؛ خلافاً لابن الحاجب ، لأنَّ «دخل» عدَّتْه العرب بنفسه إلى كلّ ظرف مكان مختصٍّ ، تقول : دخلتُ الدار ، ودخلتُ المسجد ، ونحوهما ، كما عَدَّتْ «ذهب» إلى الشام خاصَّة ؛ فقالوا : ذهبتُ الشام ، ولا يقولون : ذهبتُ العراق ، ولا اليمن . انتهى « مناوي » .

(**نَزَعَ**)، وفي رواية أبي داود ، وغيرِه : وَضَع (**خَاتَمَهُ**) ـ بفتح التاء ، وتكسر ـ أي : نزعه ووضعه خارج الخلاء ، لاشتماله على اسم مُعظَّم ، بل على جملة من القرآن وهي ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [٤٩/ الفتح] . فاستصحابه في الخلاء مكروه تنزيهاً ، وقيل : تحريماً ! وقد صرّح في رواية الحاكم بأنّ سبب الوضع ما نقش

وَجَاءَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شَبَهٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ : مِنْ صُفْرٍ ؛ وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ ٱلنُّحَاسِ كَانَتِ ٱلأَصْنَامُ تُتَّخَذُ مِنْهُ ، فَقَالَ : « مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ ٱلأَصْنَامِ؟! » ، فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ؛ فَقَالَ : « مَا لِي أَرَىٰ عَلَيْكَ حُلْيَةَ أَهْلِ

عليه ، ففيه : أنّ استصحابَهُ في الخلاء ما نقش عليه معظّمٌ مكروهٌ كراهة تنزيه ، وقيل كراهة تحريم . ولو نقش اسم معظّم كمحمّد ، وجبريل ، وقُصِد به المعظّم ! كُره استصحابه ؛ كما رجحّه ابن جماعة ، فإن لم يقصده ! فلا ؛ أَخذاً من الرافعيّ ، نصَّ الشافعي على حلِّ كتابة «الله» في وَسْمِ نَعَمِ الصدقة[1] ؛ مع كونها تتلطّخ بالخبث ؛ لأنّ المقصود من ذلك إنّما هو التمييز .

(وَ) أخرج الإمام أحمد ، والنسائي ، والترمذيّ ، وأبو داود ، وابن حبّان في « صحيحه » ، والضياء في « المختارة » ، وأبو يَعلى والبزّار في « مسنديهما » ، وغيرهم ؛ باختلاف في بعض الألفاظ ، وكلّهم يروونه عن بُرَيدَة ـ بالتصغير ـ بن الحُصَيْبِ ـ بمهملتين مصغَّراً أيضاً ـ رضي الله تعالى عنهما قال : (**جَاءَ رَجُلٌ**) ، رواية الجماعة المذكورين : أنّه رأى رجلاً جاء (**وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شِبْهٍ**) ـ بفتح الشين المعجمة والموحدة ، وبإسكان الموحدة وكسر المعجمة ؛ لغتان ـ ضَرْبٌ من النحاس كانت الأصنام تُتّخذ منه ، وسمّي بذلك لشبَهه بالذهب لوناً ، (**وفي رِوَايَةٍ**) للترمذيّ : (**مِنْ صُفْرٍ**) ـ بضمِّ الصاد المهملة ، وإسكان الفاء ، وبالراء ، بدلٌ من شَبَه ، وهما بمعنى . (**وَهُوَ**) ـ أي : الصُّفْر ـ (**نَوْعٌ مِنْ**) جيّد (**ٱلنُّحَاسِ كَانَتِ الأَصْنَامُ تُتَّخَذُ**) ـ أي : تصنع ـ (**مِنْهُ**) في الجاهليّة ، (**فَقَالَ :**) ـ أي : النبيّ ﷺ للرّجل ـ (« **مَا لِيْ أَجِدُ**) ـ أشمُّ ـ (**مِنْكَ رِيْحَ الأَصْنَامِ؟!** ») فضمَّن «أجد» معنى «أشمُّ» ، وأَطلق على الأثر الذي يدركه منه : «ريحاً» مجازاً . (**فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيْدٍ ، فَقَالَ**) : ـ أي : النبيّ ﷺ ـ (« **مَا لِيْ أَرَىٰ عَلَيْكَ حُلْيَةَ أَهْلِ**

---

(١) العلامة التي توضع على إبل الصدقة لتتميز عن غيرها وتصرف إلى مصارفها .

ٱلنَّارِ؟! » ، فَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ؟ قَالَ : « مِنْ وَرِقٍ وَلاَ تُتِمَّهُ مِثْقَالاً » .

النَّارِ؟!») ـ أي : زِيَّ الكفّار ـ فكرهه لذلك ، أو لرائحته ؛ (**فَطَرَحَهُ**) ، ثم قال له بعد ما جاءه وعليه خاتم من ذهب فقال : «ما لي أرى عليك حلية أهل الجنّة ؟!». فطرحه .

(**وَقَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ؛ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ ؟ قَالَ : «مِنْ وَرِقٍ**) ـ بكسر الراء ـ وفي رواية : «اتَّخِذْهُ من فضّة ؛ (**وَلاَ تُتِمَّهُ مِثْقَالاً»**) ـ بكسر فسكون ـ درهم وثلاثة أسباع درهم .

قال ابن الأثير : وهو في الأصل مقدار من الوزن أيَّ شيء كان ؛ قلَّ أَو كَثُرَ . فمعنى مثقال ذرة : وزنها . انتهى . وفي رواية : « ولاَ تَزِدْهُ على مِثْقَالٍ » .

وروي عند ابن عديّ ؛ عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما : أراد ﷺ أن يكتب إلى الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالىٰ فقال رجل : إنّهم لا يقرؤون كتاباً إلاّ مختوماً ، فأمر أن يعمل له خاتم من حديد ، فقال له جبريل : انبِذْهُ من أصبعك ! فنبذه ، وأمر بخاتم من نحاس ، فقال له جبريل : انبِذْهُ ! فنبذه ، وأمر بخاتم يُصاغ له من وَرِق ، فجعله في أصبعه ، فأقرَّه جبريل . انتهى .

قال ابن حجر : يجوز التختُّم بنحو : الحديد ، والنحاس ، والرصاص بلا كراهة . وخبرُ : « ما لي أَرَىٰ عَلَيْكَ حِليَةَ أَهْلِ النَّارِ ؟ » لرجل وجده لابساً خاتماً من حديد ! ضعيف ، لكن حسّنه بعضهم ، فالأولى ترك ذلك . انتهى .

وقال النووي في شرح « المهذّب » : قال صاحب « الإبانة » : يكره الخاتم من حديد ، أو شَبَه[1] ، وتابعه صاحب « البيان[2] » فقال : يكره الخاتم من حديد ، أو رصاص ، أو نحاس ؛ لحديث بُرَيْدة المذكور . وقال صاحب « التتمة » : لا يكره

---

(١) الشَبَهُ ـ بفتحتين ـ: من المعادن ، ما يشبه الذهب في لونه ، وهو أرفع النحاس .
(٢) في الفقه الشافعي للعمراني .

. . . .

الخاتم من حديد ، أو رصاص ، أو نحاس ؛ لحديث « الصحيحين » ؛ عن سهل : أنّ رسول الله ﷺ قال للّذي خطب الواهِبَةَ نَفْسَها : « اِلتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمَاً مِنْ حَدِيْدٍ!! » . قال : ولو كان فيه كراهة ! لم يأذن فيه . وفي « سنن » أبي داود بإسناد جيّد ؛ عن مُعَيْقِيْبَ الصحابيّ : كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملويّ عليه فضّة . والمختار أنّه لا يكره ؛ لهذين الحديثين . انتهى .

وقال في « شرح مسلم » في الكلام على حديث المرأة الواهبةِ [نَفْسَها][1] : وفي هذا الحديث جواز اتّخاذ خاتم الحديد ، وفيه خلافٌ للسَّلف حكاه القاضي عِيَاض ، ولأصحابنا الشافعيّة في كراهته وجهان ، أصحُّهما : لا يكره ؛ لأنّ الحديث في النهي عنه ضعيف . انتهى كلام النوويّ .

واعتُرِضَ تضعيفُه للحديث بتصحيح ابن حبّان ، والضياء ، وغيرهما له ، فاعتذر القسطلاّني عن النووي بأنه تضعيف نسبيّ ؛ أي : أنّ تضعيفَه للحديث إنّما هو بالنسبة إلى مقاومة حديث سَهْل بن سعد في « الصحيحين » ، وغيرهما ، في قصة الواهبةِ نفسَها ؛ لا مطلقاً ! فمعنى التضعيف : تقديم حديثهما عليه ، على القاعدة في تقديم مرويّهما عند التعارض على غيره ؛ وإن كان صحيحاً ، أو حسناً ! إذ كيف يتوهّم أنّه ضعّفه مطلقاً ، ـ أي : حقيقة ـ وله في ذلك عدّة شواهد ؛ إن لم ترفعه إلى درجة الصحّة لم تَدَعْهَ ينزل عن درجة الحسن ؟! قال المناوي : وهذا الاعتذار جرى فيه على عادة أهل القرن العاشر من الانتصار لكلام النوويّ كيفما كان .

والإنصاف : أنّ خبر النّهي دليل صالح لكراهة التنزيه ، وحديث «الصحيحين» بيان للجواز معها ؛ فلا معارضة ، ولذا رجَّح المالكيّة كراهة الحديد ونحوه . وإنّما يُقَدَّم خبر الشيخين عند تحقُّق المعارضه . انتهى كلام المناوي رحمه الله تعالى .

---

(١) في الأصل : نفسه . والصواب ما أثبتناه .

اَلْفَصْلُ ٱلرَّابعُ
فِي صِفَةِ نَعْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُفِّهِ

(الْفَصْلُ الرَّابعُ)

من الباب الثالث

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ نَعْلِهِ ﷺ) ،

وكيفية لبسه إيّاها ، وما يتعلّق بذلك .

والنعّلُ : كل ما وقيت به القدم عن الأرض ، وهي مؤنّثة ، والجمع : أَنْعُل ، وَنِعال ؛ مثل سهم وأسهم وسهام ، وربّما ذُكِّرت النعل باعتبار الملبوس ؛ لأنّ تأنيثها غير حقيقي .

ولا تشمل الخفّ عرفاً ؛ ومن ثَمَّ أفردها بترجمة ؛ فقال :

(وَ) في بيان ما ورد في صفة (خُفِّهِ) ﷺ .

والخفُّ معروف ، جمعه : خِفَاف ؛ كرُمح ، ورِماح .

وذكر بعض أهل السيَّر : أنّه كان له ﷺ عِدّة خِفاف ؛ منها أربعة أزواج أصابها من خيبر ، ومع ذلك ؛ فقد كان ﷺ ربَّما مشى حافياً ، لا سيّما إلى العيادات ، تواضعاً ، وطلباً لمزيد الأجر . كما أشار إلى ذلك الحافظ زين الدين العراقيّ رحمه الله تعالى في «ألفيّته» بقوله :

يَمْشِــي بِــلا نَعْــلٍ وَلاَ خُــفٌّ إلــىٰ   عِيَــادَةِ المــرِيْــضِ حَــوْلَــهُ المَــلاَ

قال ابن العربيّ : والنعّل لباس الأنبياء ، وإنّما اتّخذ الناس غيره لما في أرضهم من الطين . انتهى . ولعلّه أخذه من قوله تعالى ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [٢١/طه] مع ما ثبت من لبسه ﷺ ، وفي حديث جابر عند مسلم رفعه : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعالِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لا يَزَالُ راكِباً ما انْتَعَلَ » .

وكان ابن مسعود صاحب النّعلين ، والوِساد ، والسِّواك ، والطَّهور ؛ كما في

«الصحيح»: ، كان يَلِيْ ذلك من رسول الله ﷺ ، وكان يُلْبِسُه نعليه إذا قام ، وإذا جلس جعلهما ابن مسعود في ذراعيه حتّى يقوم ﷺ .

وروى محمّد بن يحيى ؛ عن القاسم بن محمّد قال : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقوم إذا جلس رسول الله يَنْزِعُ نعليه من رجليه ، ويدخلهما في ذراعيه ، فإذا قام أَلْبَسَه إيَّاهما ، فيمشي بالعصا أمامه حتى يدخله الْحُجرَة .

وقد ذكره جماعة ؛ منهم ابن سعد : أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان صاحب نعل رسول الله ﷺ ، وإداوَتِهِ . انتهى من « جمع الوسائل »و« جواهر البحار »للمصنّف .

روى الترمذيّ في « الشمائل » ؛ عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال : (**كَانَ لِنَعْلِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قِبَالاَنِ**) ـ تثنية قِبال ؛ بكسر القاف وبالموحّدة آخره لام ـ .

وفي البخاريّ ، وأبي داود ، والترمذيّ ، وابن ماجه ، والنسائيّ ؛ عن قتادة ؛ عن أنس أنّ نعل النبيّ ﷺ كان لها قِبالانِ بالإفراد . وفي رواية المُسْتَمْلِي والحموي : أنّ نعلَيْ النبيّ ﷺ كان لهما ـ بالتثنية فيهما ـ .

وفي « الشمائل » بإسناد صحيح ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان . انتهى . والمراد أنّ لكلّ فَرْدَة قبالين ، بدليل رواية التثنية في البخاريّ .

وقال الكرماني : أي : لكلٍّ واحد من نعْل كلٍّ رِجْل قِبال واحد .

وردَّه الحافظ ابن حجر بما للطبرانيّ ، والبزَّار ـ برجال ثقات ـ والترمذيّ في « الشمائل » ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان ، ولنعل أبي بكر قِبالان ، ولنعل عمر قِبالان ، وأوّل من عقد عقداً واحداً عثمان رضي الله عنه . انتهى ؛ أي : أَوّل مَنْ اتَّخذَ قِبَالاً واحداً عثمانُ .

ووجه بأنّه أَرادَ أن يُبيِّنَ أنَّ اتخاذَ القِبَالين قبل ذلك ؛ ليس لكراهةِ قبالٍ واحد ، ولا لمخالفة الأَوْلىٰ ؛ بل لكون ذلكَ هو المعتاد .

مُثَنَّىً شِرَاكُهُمَا .

وَ(ٱلْقِبَالُ) : هُوَ زِمَامٌ يُوضَعُ بَيْنَ ٱلأُصْبُعِ ٱلْوُسْطَىٰ وَٱلَّتِي تَلِيهَا ، وَيُسَمَّىٰ شِسْعاً .

وبذلك يعلم أنَّ تركَ النَّعْلَين ولُبْسَ غيرهما ليس مكروهاً ؛ ولا خلاف الأَوْلىٰ .

(مُثَنَّىٰ) ـ بضمِّ الميم ، وفتحِ المُثَلَّثَةِ وتَشْدِيدِ النُّونِ المفتوحةِ ، أو بفتحِ الميم وسكونِ المثَلَّثَةِ وكسر النُّونِ وتشديد الياء ؛ روايتان من التَّثنيةِ ، وهو : جَعْلُ الشَّيءِ اثْنَيْنِ ، ولا يليق جَعْلُهُ من الثَّني ؛ وهو رَدُّ شَيْءٍ إِلى شيء ـ .

(شِرَاكُهُمَا) ـ بكسر الشِّين المعجمةِ : أحد سُيورِ النَّعْلِ يكون على وجهها ، أي : كان شِراكُ نَعْلِهِ مجعولاً اثنينِ ، و« مُثنىٰ » بصيغةِ اسم المفعولِ صفةٌ ، و« شِرَاكُهُما » نائبٌ عن الفاعلِ ، ويَصِحُّ جعل « مثنى » خبراً مُقَدَّماً ، و« شِرَاكُهُما » مبتدأً مؤخَّراً .

وهذا الحديث إسناده صحيح ؛ كما قال الحافظ العراقيُّ ، ورواه ابن ماجه بسند قويٍّ . قال المصَنِّفُ في « جواهر البحار » : صَرَّحَ بعضُ الحفَّاظ بأَنَّ نَعْلَه ﷺ كانت صفراءَ ، قال : وفي رواية أبي الشَّيخ ؛ عن أبي ذَرٍّ رضي الله تعالى عنه : أَنَّ نَعْلَ رسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ مِنْ جُلُودِ البَقَر . وفي لفظِ أبي ذَرٍّ : رأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نَعْلَيْنِ مَخْصوفَتَينِ مِنْ جُلُودِ البَقَرِ .

وروى الحارثُ بن أبي أسامةَ ؛ عن حُمَيْدٍ قال : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ الأَعرابيَّ يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه نعلان من بَقَر . قال : وجَزَمَ بعضُ الحُفَّاظِ بأنَّهُ ﷺ كانَتْ لَهُ نَعْلٌ مِنْ طَاقٍ وَاحِدٍ ، ونَعْلٌ مِنْ أَكْثَر . قالَ : وورَدَ في خبرٍ ضعيفٍ أنَّه ﷺ قال : « أُمِرْتُ بالنَّعْلَيْنِ والخَاتَمِ » .

وروى الطَّبرانيُّ ؛ عن أبي أُمَامَةَ رضي الله تعالى عنه قال : حَمَلَ رسُولُ الله ﷺ نَعْلَهُ بالسَبَّابَةِ مِنْ يَدِهِ اليُسْرَىٰ . انتهى كلام « جواهر البحار » .

(وَالقِبَالُ) ـ بكسر القاف وبالموحَّدَة وَلاَم آخره ـ قال الباجُوريُّ وغيره : (**هُوَ زِمَامٌ يُوْضَعُ بيْنَ الأَصْبُعِ الوُسْطَىٰ وَالَّتِي تَلِيْهَا ، وَيُسَمَّىٰ شِسْعَاً**) ـ بِكَسْرِ الشِّينِ

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ أَحَدَ ٱلْقِبَالَيْنِ بَيْنَ ٱلإِبْهَامِ وَٱلَّتِي تَلِيهَا ، وَٱلآخَرَ بَيْنَ ٱلْوُسْطَىٰ وَٱلَّتِي تَلِيهَا . وَ(ٱلشِّرَاكُ) : ٱلسَّيْرُ .

وَعَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ ٱلنِّعَالَ ٱلسِّبْتِيَّةَ ؛ وَهِيَ ٱلَّتِي لاَ شَعْرَ عَلَيْهَا ، وَ . . . .

المعجمةِ ، وسكونِ السِّينِ المُهمَلَةِ ـ بوزن (حِمْل) ؛ كما في «القاموس» .

(وَ) قال الباجوريُّ ، والمصنِّفُ في « جواهر البحار » ، وَغيرُهُما : أفاد بعض حُفَّاظِ الأئمَّةِ أَنَّهُ (**كَانَ ﷺ يَضَعُ أَحَدَ القِبَالَيْنِ**) أي : الزِمَامَيْنِ (**بَيْنَ الإِبْهَام**) ؛ أي : إِبْهامِ رِجْلِهِ (**وَالَّتِي تَلِيْهَا** ، **وَ**) يَضَعُ الزِّمَامَ (**الآخَرَ بَيْنَ**) الأُصْبُعِ (**الوُسْطَىٰ وَالَّتِي تَلِيْهَا**) ، ويجمعهما ؛ أي : الزِّمَامَيْنِ إِلىٰ السَّيْرِ الَّذي بِظَهْرِ قَدَمِهِ ؛ وَهُوَ الشِّرَاكُ الَّذي على وَجْهِهَا ، وكان مُثَّنىٰ ؛ كما في عدَّة أَحاديث . انتهى .

(**وَالشِّرَاكُ**) ـ بكسر الشِّين المعجمة وخِفَّةِ الرَّاء وكاف آخره ـ هو : (**السَّيْرُ**) الرَّقِيْقُ الَّذي يَكُونُ في النَّعْلِ على ظهر القَدَمِ .

(وَ) أخرج البخاريُّ ومُسْلِمٌ وغيرهما ؛ في حديثٍ طَويل ، والترمذيُّ في « الشَّمائِل » مختصراً ، كلُّهم من طريق الإمَام مالِكٍ ؛ عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ ؛ عن عُبَيْدِ بْنِ جُرَيجٍ .

(**عَنْ**) عبد الله (**بْنِ عُمَرَ**) بنِ الخطاب (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ**) ؛ أي : ابن عمر (**كَانَ يَلْبَسُ**) ـ بفتح الباء الموحَّدة ـ (**النِّعَالَ**) ؛ أي : يختار لبسها (**السِّبْتِيَّةَ**) ـ بكسر السِّين المهملة وسكونِ الموحّدةِ وكسر المثّناةِ الفوقيَّة ـ : (**وَهِيَ الَّتِي لاَ شَعْرَ عَلَيْهَا**) ، نِسبةً للسِّبْتِ ـ بكسر السِّين ـ وهو جلودُ البَقَرِ المدبوغَةِ ، سُمِّيَت بِذَلِكَ ! لأنَّ شعرَهَا سُبِتَ عنها ، أي : حُلِقَ وأُزِيْلَ ، إذ السِّبتُ : القَطْعُ ، أَو لأَنَّها أَسبِتَتْ بالدِّبَاغِ .

(وَ) لفظُ « الشَّمَائِل » ؛ عن عُبَيْد بن جريج : أَنَّهُ قال لابن عمر : رأَيْتُكَ تَلْبَسُ

قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ ٱلنِّعَالَ ٱلَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا .

النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ !! (**قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيْهَا شَعْرٌ**) . وهي السِّبْتِيَّةُ كما علمت .

(**وَيَتَوَضَّأُ فِيْهَا**) ؛ ـ أي ـ لِكونها عاريةً عن الشَّعْرِ ، فتليقُ بالوضُوءِ فيها ، لأنَّها تكون أنْظَفَ ، بخلافِ الَّتي فيها الشَّعر ؛ فإنَّها تَجْمعُ الوَسَخَ .

وظاهر قولِه (ويَتَوَضَّأُ فيها) : أنَّه يَتوَضأُ والرِّجْلُ في النَّعْلِ . وقال النَّوويُّ : معناه أنَّه يَتَوَضَّأُ وَيَلْبَسُها بَعْدُ ورِجْلاَهُ رَطْبَتَانِ ، وفيه بعدٌ لأَنَّه غيرُ المتبادِرِ مِنْ قولِهِ (وَيَتوضَّأُ فيها) .

(**فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا**) ؛ أي : اقتداءً به ﷺ .

قال ابن الأثيرِ وغيره : وجه السُّؤالِ كونُها نِعَالُ أَهلِ النِّعْمَةِ والسَّعَةِ ، ولم تنعلها الصحابة ، ففي صدر الحديث عند الشَّيخينِ ؛ عن عُبَيْدٍ أنَّهُ قال : رأيْتُكَ تصنعُ أربعاً لم أر أحداً من أصحابكَ يَصْنَعُها ؛ وَعَدَّ منها هذه ؟! فأجابه : بأَنَّه لَبِسَها اقتداءً بالمصطفى !! ولعل تَرْكَ الصَّحابةِ لِلُبْسِها أنَّ فَرْضَ صِحَّةِ الاستغراق وأنَّ ما نَفَاه عنهمْ السَّائل هو الواقع ، إذ يحتمل أنَّ نفيهُ باعتبار علمه أنَّهم لم يبلغهم فيه شيءٌ ، وامتاز ابن عمر عنهم بحفظ ذلك عن المصطفى ، فالحجَّة فيما رآه وفعله ؛ لا في تركهم ، وهذا الحديث يدلُّ على طهارتها .

وقد تقرَّر أنَّها كانت مُتَّخذةً من جلدٍ مدبوغٍ ، فيحتمل أَنَّه طَهَّرها بالدَّبغ والغَسلِ ، ويُحتمل أنَّها من مُذَكَّى ، وكان دِبَاغُها لإزالةِ الشَّعرِ فقط .

وفيه جوازُ لبس النِّعال على كل حالٍ . وقال الإمام أحمد : يكرهُ في القُبور ، لقَول المصطفى ﷺ لِمَنْ رَآه يمشي بنعليه فيها : « ٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ » .

وأُجيب باحتمال كونه لأذى فيهما . انتهى « مناوي وزرقاني » .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ ـ أَيْ : مَخْرُوزَتَيْنِ ـ ضُمَّ فِيهِمَا طَاقٌ إِلَىٰ طَاقٍ .

(**وَ**) في « الشَّمائل » أيضا (**عَنْ**) أبي سعيد (**عَمْرو**) ـ بفتح العين ـ (**بْنِ حُرَيْثٍ**) ـ بضمٍّ الحاء ومثلَّثةٍ آخره مصغَّراً ـ ابن عمرو بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، صحابي صغير ، وأمَّا عمرو بن حُرَيْث المصري ! فاختلف في صحبته .

وعمرو بن حريث المخزومي أخرج حديثه السِّتة ، ومات النَّبيُّ ﷺ ؛ وله اثنا عشر سنة ، وسكن الكوفة ، وهو أوَّل قرشيٍّ اتَّخذ بالكوفة داراً ، ومسح النَّبيُّ ﷺ رأسه ودعا له بالبركةِ في صفقتِهِ وبيعتِهِ ؛ فكسب مالاً عظيماً ؛ فكان من أغنى أهل الكوفة ، وولي لبني أميَّةَ بالكوفة ، وشهد القادسيَّة وأبلىٰ فيها .

روى عنه ابنه جعفر ، وخليفة ؛ واصنع ؛ وهارون : مواليه ، وعطاء بن السَّائب ، والوَليدُ بن سُوَيع ، وسُرَاقَةُ بْنُ محمَّد ، وإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالد وجماعةٌ من التَّابِعِينَ ، وتوفِّي سنة : ـ ٨٥ ـ خمس وثمانين هِجْرِيَّة ، وله عقب بالكوفة .

(**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ**) ؛ ولفظ « الشَّمائِل » : حدَّثَنا أحمدُ بن منيع ؛ قال : حدَّثنا أبو أحمد ؛ قال : حدَّثنا سفيان ؛ عن السُدّي قال : حدَّثني من سمع عمرو بن حريث يقول :

(**رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ ـ أَيْ : مَخْرُوزَتَيْنِ ـ**) بحيث (**ضُمَّ فِيْهِمَا طَاقٌ إِلَىٰ طَاقٍ**) ؛ من الخَصْفِ وهو : ضَمُّ شيءٍ إلىٰ شيءٍ وجمعُه إليه ، قال العلاَّمة ابن حجر : قد صحَّ عنه ﷺ أنَّه كان يخصف نعله ، أي : يضع طاقاً فوق طاق ، والمراد من هذا الحديث : أنه رأىٰ النبي ﷺ يصلِّي بالنَّعلين وهما طاهرتان ؛ قاله في « جواهر البحار » .

وفي ذلك ردٌّ على مَن زعم أنَّها كانت من طاقٍ واحدةٍ ، وأنَّ العرب كانت تمتدح به ، وجَعْلِهِ من لباسِ الملوك ، لكن جُمِع بأنَّه كانت له نعلٌ من طاقٍ واحدةٍ ونعلٌ من أكثر ؛ كما دلَّت عليه عدَّة أخبار ! وهو حسن .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ أَنْ يَأْكُلَ ـ يَعْنِي ٱلرَّجُلَ ـ بِشِمَالِهِ ، . . . .

وفي سند هذا الخبر كما ترى مجهولٌ ، لكن صحَّ من غير ما طريق أنَّه كان يخصف نعله بيده الكريمة ، وثبت أنَّ عائشةَ رضي الله تعالى عنها سُئِلت عمَّا كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان بشراً مِن البشر ؛ يَفْلي ثوبَهُ ، ويحلبُ شاتَه ، ويخدم نفسه .

وفي رواية لأَحمدَ وابنِ حبانَ عنها : يخيطُ ثوبَه ويخصفُ نعله .

وفي رواية لابْنِ سعدٍ عنها : يرقَعُ ثوبَه ويعملُ ما يعملُ الرِّجالُ في بيوتهم .

وفِي رواية : يَعْمل عملَ البَيْتِ ، وأَكْثَرُ ما يعمَل الخياطةُ .

وَقَدْ نَظَمَ مَعنىٰ ذلِكَ الحَافظ العِراقيُّ في « أَلفيَّة السِّيرة » بقوله :

يَخْصِفُ نَعْلَهُ يخِيطُ ثَوْبَهُ ... يَحْلِبُ شَاتَهُ وَلَنْ يَعِيْبَهُ
يَخْدِمُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ كَمَا ... يَقْطَعُ بِالسِّكِّينِ لَحْماً قُدِّمَا

وفي هذا الحديثِ جوازُ الصَّلاة في النَّعلَيْنِ ، لكنْ إنْ كانتا طاهرتين . والله أعلم .

(وَ) أخرج التِّرمذيُّ في « الشَّمائل » ؛ (**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَنْ يَأْكُلَ ـ يَعْني الرَّجُلَ ـ**) هذا كلام الرَّاوي ؛ عن جابر أَو مَن قبله . وذكر الرَّجل !! لأَنَّه الأصل والأَشرف ؛ لا للاحتراز .

وقال بعضهم : المرادُ بالرَّجلِ الشَّخصُ ، بطريق عموم المجازِ ، فيصدق على الصَّبيِّ ؛ لأَنَّه مِنْ أَفراده ، وفي البخاريِّ ما يدلُّ له .

(**بِشِمَالِهِ**) ـ متعلِّقٌ بـ « يَأْكُلُ » ، وهو ـ بكسر الشِّينِ المعجمة ـ اليدُ اليسرىٰ ، فالأكل بها بِلاَ ضَرورةٍ مكروه كراهةَ تنزيهٍ عند الشَّافعية ، وكراهةَ تحريمٍ عند كثيرٍ من المالكية والحنابلةِ ، واختاره بعض الشَّافعيَّة ؛ لما في « مسلم » : أنَّ المصطفى ﷺ رَأىٰ رجلاً يأكل بشِمالِه ؛ فقال له : « كُلْ بِيَمِينِكَ » . فقال له : لا أستطيع . فقال

أَوْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا ٱنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ . فَلْيَبْدَأْ بِٱلْيَمِينِ ، وَإِذَا نَزَعَ . فَلْيَبْدَأْ بِٱلشِّمَالِ ، . . . .

له : « لاَ ٱسْتَطَعْتَ » . فَما رفعها إلىٰ فيه بعد ذلك . ولا يخفى ما في الاستدلال بذلك على التحريم من البعد . انتهى « مناوي » .

(أَوْ يَمْشِيَ) ـ عطف على « يأكل » ـ (فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ) ـ بالتأنيثِ ، فالمشيُ في نعلٍ واحدةٍ مكروهٌ تنزيهاً ؛ حيث لا عذر . قال البيهقيُّ :

وجه النَّهي ما فيه من القبح والشُّهرة ومدِّ الأَبصار نحوَ من يفعلُ ذلك ، وكل لباس صار صاحبه شهرة في القبح فحكمه أن يتقىٰ ، لأَنَّه في معنى المثلة . انتهى .

و«أَوْ» للتَّقسيم لا للشَّكِّ كما وهم ، فكلٌّ ممَّا قبلها وما بعدها منهيٌّ عنه على حِدَته ، على حدِّ قوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإنسان] ، وحملُها على الواو يُفسد المعنىٰ ، لأَنَّ المعنى عليه النَّهي عن مجموعهما ؛ لا عن كلٍّ على حدَتِهِ .

(وَ) أخرج البخاريُّ ، وأبو داود ، والتِّرمذيُّ في « اللباسِ » وفي « الشَّمائل » ؛ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

« إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ) ـ أي : إذا أراد أن يلبس أحدكم نعليه ـ (فَلْيَبْدَأْ بِاليَمِيْنِ) ـ أي : بالجانب اليمين ـ لأَنَّ التَّنقُّل من باب التَّكريم ، واليمين لشرفها تقدَّم في كل ما كان من باب التَّكريم ، ولفظ البخاريِّ : « بالرِّجل اليمنىٰ » . وللحمويِّ والمستملي « باليمين » ؛ أي : بالنَّعل اليمنى .

(وَإِذَا نَزَعَ) ؛ أي : أراد خلعهما (فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ) ؛ أي : بالجانب الشِّمال ، لأَنَّ النَّزع من باب التَّنقيص .

والشِّمال لعدم شَرفها تقدَّم في كل ما كان من باب التنقيص ، لكن في إطلاق كون النَّزع من باب التنقيصِ نظرٌ ، إذْ كلٌّ من الحَفَا والانتعالِ له محلٌّ يليقُ بِهِ ، وقد يكونُ الحَفا في بعض المواطن ليس إهانةً للرّجل بل إكراماً .

فَلْتَكُنِ ٱلْيَمِينُ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ .

فالأَولى قولُ الحكيم التِّرمذيِّ : اليمين محبوبُ الله ومختارُه من الأشياءِ ، فأَهل الجنَّة عن يمين العرشِ يومَ القيامةِ ، وأَهل السَّعادة يُعْطَونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وكاتب الحَسَنَاتِ على اليَمِينِ ؛ وكِفَّةُ الحسنات من الميزان عن اليمين ؛ فاستحقَّت أنْ تقدَّم اليمينُ ، وإذا كان الحقُّ في التَّقديمِ لليمين أُخِّرَ نزعُها ليبقى ذلك الحقُّ لَها أكثرَ من اليُسْرى .

(**فَلْتَكُنِ**) الرِّجل (**اليَمِيْنُ**) ـ لفظ البخاريّ والتِّرمذي « فلتكن اليمنى » ـ (**أَوَّلَهُمَا**) ـ منصوبٌ على أنَّه خبر « كان » ـ (**تُنْعَلُ**) ـ بالمثنَّاة الفوقيَّة والتحتيَّة ؛ مبنيّاً للمفعولِ ؛ والجملة حاليَّةٌ ، (**وآخِرَهُمَا**) بالنصب ؛ خبر « كان » (**تُنْزَعُ**) ـ بالمثناة الفوقية والتحتية ـ؛ مبنيّاً للمفعول ، والجملة حالية . ويجوزُ أن يكون « أَوَّلهما » و« آخرهما » بالنَّصبِ على الحالِ ، و« تنعلُ » و« تنزعُ » : خَبَر « كانَ » ، والتَّذكيرُ في ذلك باعْتِبارِ العُضْوِ ، وهذا تأْكيدٌ لما قَبْلَهُ كما لا يخفى .

قال ابن عبد البَرِّ : فمن بدأَ في الانتعالِ باليسرى أساء بمخالفته السنَّةَ ، ولكنْ لا يحرم عليه لبس نعله . وقال غيره : ينبغي أن ينزع النَّعل من اليُسْرى ثم يبدأ باليمين .

وقال الحافظ ابن حجر : ويمكن أنَّ مراد ابن عبد البِّر ما إذا لَبِسَهُمَا معاً ، فبدأ باليُسرىٰ فلا يُشرع له نزعهما ثم لبسهما على التَّرتيب المشروع لفوات محلِّه .

قال القُسْطُلاَّنيّ : وفيه تأَمُّل ؛ لأَنَّ من فعل ذلك فعليه نزعهما معاً ويَسْتَأنفُ لبسهما على ما أُمِرَ به ، فكأنَّه ألغىٰ ما وقع منه أوَّلاً . انتهى ؛ ذكره الزّرقاني على « المواهب » .

قال في « جمع الوسائل » : وأنت تعرفُ أنَّ نزعهما معاً ولبسهما معا ممّا لا يكاد يُتَصَوَّرُ في أَفعال العقلاء . انتهى .

أقول : يُتَصَوَّرُ ذَلك فيما إذا كانَ جالساً على كُرْسيّ مثلاً ؛ أَو أَلْبسه غيرُهُ ،

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ . . يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ .

قَالَ ٱلْبَاجُورِيُّ : (كَانَتْ نَعْلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَصَّرَةً ، مُعَقَّبَةً ، مُلَسَّنَةً ، كَمَا رَوَاهُ . . . .

فيتصوَّر حينئذٍ لبسهما معاً وخلعهما معاً بلا كلفة ؛ والله أعلم ؛ قاله الزرقاني .

ونقل عياض وغيره الإجماع على أنَّ الأمر فيه للاستحباب . انتهى .

وكان عليه الصَّلاة والسَّلام ينهىٰ أن ينتعل الرَّجل قائماً . وفي رواية : وهو قائمٌ. رواه أبو داود ، والتِّرمذيُّ ؛ عن جابرٍ رضي الله تعالى عنه . ورواه التِّرمذيُّ أيضاً ؛ عن أنسٍ .

قال الزّرقاني : لأنَّ لبسها قاعداً أَسهل وأمكن ، فهو نهيُ تنزيهٍ وإرشادٍ ، ولذا أَخَذَ منه الطّيبي وغيرُه تخصيصَ النَّهي بما في لبسه قائماً تعبٌ كالتَّاسومة والخفِّ ؛ لا قبقاب أو سرموجة . انتهى .

(وَ) أخرج البيهقيُّ في « شعب الإيمان » بإسناد ضعيفٍ ؛ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ **إِذَا جَلَسَ يَتَحَدَّثُ يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ**) أي : ينزعهما فلا يلبسهما حتى يقومَ لأجل راحةِ قدميْهِ . وتمامُ الحديث : فخلعهما يوماً وجلس يتحدَّثُ ، فلمَّا انقضىٰ حديثُهُ قالَ لغلام من الأنصار : « يَا بُنَيَّ ؛ نَاوِلْنِي نَعْلِي » . فقال : دعني أنا أنعلك . قال : « شَأْنَكَ فَافْعَلْهُ » . فَقَالَ رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ ؛ إِنَّ عَبْدَكَ يَسْتَجِيبُ[1] إليكَ فَأَحِبَّهُ » . انتهى أي : أنَّه قد تقرَّبَ إليكَ بخدمةِ رسولِكَ . فهنيئاً له بهذه الدَّعْوة من سيِّدِ البشرِ ﷺ .

(قَالَ) العلاَّمة إبراهيم (**البَاجُورِيُّ**) الشَّافعيُّ في كتاب « المواهِبُ اللَّدُنِّيَّة على الشَّمائِل المُحَمَّدِيَّة » : وقد (**كَانَتْ نَعْلُهُ** ﷺ **مُخَصَّرَةً**) ـ بالتَّشديد على صيغة اسم المفعول ؛ كمُعَظَّمَة ، وسيأتي معناها ـ (**مُعَقَّبَةً**) ـ بالتَّشديد كمعظَّمة أيضاً ، ومثله قوله : (**مُلَسَّنَةً** ؛ **كَمَا رَوَاهُ**) الإمام الحافظ المحدِّثُ الثِّقة ، أبو عبد الله محمد

---

(١) يتحبب .

ٱبْنُ سَعْدٍ فِي « ٱلطَّبَقَاتِ ») .

وَ(ٱلْمُخَصَّرَةُ) : هِيَ ٱلَّتِي لَهَا خَصْرٌ دَقِيقٌ .

وَ(ٱلْمُعَقَّبَةُ) : هِيَ ٱلَّتِي لَهَا عَقِبٌ ، أَيْ : سَيْرٌ مِنْ جِلْدٍ فِي مُؤَخَّرِ ٱلنَّعْلِ يُمْسِكُ بِهِ عَقِبَ ٱلْقَدَمِ . وَ(ٱلْمُلَسَّنَةُ) : . . . .

(ابْنُ سَعْدٍ) بن مَنِيعٍ الزُّهري مولاهم .

وُلِدَ في البصرة سنة : ـ ١٦٨ ـ ثمان وستين ومائة ، وصَحِبَ الواقِدَيَّ المُؤَرِّخَ زماناً ، فكتبَ له ، وروى عنه ، وعُرف بـ « كاتب الواقديّ » .

قالَ الخطيب في « تاريخ بغداد » : محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يَدُلُّ على صِدْقِهِ ، فإنَّه يَتَحرَّى في كثيرٍ من رواياتِهِ .

أشهرُ كُتُبِهِ « طبقات الصَّحابة » وقد طُبع في ثمانية مجلَّدات ، ويعرف بـ«طبقات ابن سعد» . وكانت وفاتُه في محلِّ سكناه بغداد ؛ سنة : ـ ٢٣٠ ـ ثلاثين ومائتين هجريَّة رحمه الله تعالى .

(فِي « الطَّبَقَاتِ) الكبرى » ؛ جمع فيها الصَّحابة والتَّابعين فمن بعدهم إلىٰ وقتِهِ ؛ فأَجاد وأَحْسَنَ ، وله طبقاتٌ أخرىٰ صغرى ثالثة وثانية ، وله كتاب « التَّاريخ » رحمه الله تعالى .

قال الحافظ العراقيُّ : روى أَبو الشَّيخ بسنده ؛ عن يزيد بن أَبي زياد قال : رأيت نَعْلَهُ ﷺ مُخَصَّرةً مُلَسَّنَةً ؛ ليس لها عقب خارج . وروىٰ ابنُ سعدٍ عن هشام بن عروة : رأيتُ نعل النَّبيِّ ﷺ مُخَصَّرَةً مُعَقَّبَةً مُلَسَّنَةً ؛ لها قِبالاَنِ .

(وَالمُخَصَّرَةُ) ـ بالتشديد ـ (هِيَ الَّتِي لَهَا خَصْرٌ دَقِيْقٌ) أو : الَّتي قُطعَ خَصْراها حتَّى صار مُسْتَدِقَّيْنِ (وَالمُعَقَّبَةُ) ـ بالتَّشديد أيضا ـ (هِيَ الَّتِي لَهَا عَقِبٌ) ـ بفتح فكسر ـ (أَيْ : سَيْرٌ) ـ واحد السُّيُورِ ـ (مِنْ جِلْدٍ فِي مُؤَخَّرِ النَّعْلِ) يضمّ به الرِّجْلَ و(يُمْسِكُ بِهِ عَقِبَ القَدَمِ) كما يفعل في كثير من النِّعال .

(وَ) النَّعْلُ (المُلَسَّنَةُ) ـ بتشديد السِّين على صيغة اسم المفعول ؛ كمُعَظَّمة ـ

هِيَ ٱلَّتِي فِي مُقَدَّمِهَا طُولٌ عَلَىٰ هَيْئَةِ ٱللِّسَانِ .

قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱلْكَبِيرُ زَيْنُ ٱلدِّينِ ٱلْعِرَاقِيُّ ....

(هِيَ الَّتِي فِي مُقَدَّمِهَا طُوْلٌ) ولطافة (عَلَىٰ هَيْئَةِ اللِّسَانِ) العضو المعروف . وقيل : التَّي جُعل لها لسان ، ولسانُها : الهيئةُ النَّاتئةُ في مُقَدَّمها ؛ كما في « النهاية » .

وذلك لأنَّ سَبَّابَةَ رجله ﷺ كانت أَطول أَصابعه ، فكان في مقدم نعله بعضُ طول يناسب طول تلك الأصبع .

وروىٰ ابن سعدٍ ؛ عن جابر رضي الله تعالى عنه أنَّه قال : إنَّ محمد بن علي أخرج لي نعل رسول الله ﷺ فَأَرانيها معقَّبةً مثل الحضرميَّة ، لها قِبالان . وهُوَ يوافق ما قاله هشام بن عروة .

قال العراقيُّ : والجمع بين قول يزيد « ليس لها عقب » ؛ وقول هشام « معقَّبةً » !! ممكن بأنَّ يزيد لم يطلق العقب ، وإنَّما قال « ليس لها عقب خارج » وهشام أثبت كونها معقَّبة !! فيكون لها عقب غير خارج . والله أعلم .

(قَالَ) العلاَّمة المناوي في « شرح الشمَّائل » : لم أرَ أحداً من الشُّرَّاحِ تعرَّض لصفة النَّعل ؛ ولا لمقدارها . انتهى .

وقال المصنِّفُ رحمه الله تعالى في « جواهر البحار » : قال الشَّيخ الإمام الحافظ العلقمي في حاشيته على « الجامع الصغير في أحاديث البشير النَّذير » : ورد أنَّ طول نعله ﷺ شبرٌ وإصبعانِ ، وعرضها مِمَّا يَلي الكعبان سبع أصابع ، وبطن القدم خمسٌ وفوقها ستٌّ ، ورأسها محدد ، وعرض ما بين القبالين إصبعان . انتهى .

وهو عين ما قاله (الحَافِظُ الكَبِيْرُ) الشَّيخ (زَيْنُ الدِّينِ) أبو الفضل ؛ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن إبراهيم ، الكردي الأصل ، الشافعي ، المعروف بـ « الحافظ (العِرَاقِيّ ») ولد سنة : ـ ٧٢٥ ـ خمس وعشرين وسبعمائة ، وكان عالماً بالنَّحو واللُّغةِ ، والغريبِ والقراءات ، والفقه وأُصوله ، غير

رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي « أَلْفِيَّةِ ٱلسِّيرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ » عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ :

أنَّه غلب عليه الحديث فاشتهر به وانفرد بمعرفته ، وكان منوَّر الشَّيبة جميلَ الصورة ، كثيرَ الوقارِ نزر الكلامِ ، طارحاً للتكلف ضيِّقَ العيشِ ، شديد التوقي في الطهارة ، لا يعتمد إلاَّ على نفسه ؛ أو على رفيقه الهيثمي ، وكان كثير الحياء متجمعاً عن النَّاس ، حسن النادرة والفكاهة .

قال الحافظ ابن حجر : وقد لازمته مدَّةً فلم أَرَهُ تَرَكَ قيام اللَّيلِ ؛ بل صار كالمألوف عنده ، ويتطوَّع بصيامِ ثلاثة أَيَّام من كل شهرٍ .

وقد رزق السَّعادة في ولده الولي العراقيِّ ، فإِنَّه كان إماماً وفي رفيقه الهيثمي فإِنَّه كان حافظاً كبيراً .

ورزق أيضاً السَّعادة في تلامذته ؛ فإِنَّ منهم الحافظ ابن حجر وطبقته ، وتصدَّىٰ للتَّصنيف والتَّدريس . ومات عقب خروجه من الحمَّام ليلة الأَربعاء ؛ ثامن شهر شعبان سنة : ـ ٨٠٦ ـ ستٍّ وثمانمائة بالقاهرة ودفن بها (**رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ**) . آمين .

(**فِي « أَلْفِيَّةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ »**) الَّتي بَيَّنَ فيها بعض الأَحوال المحمَّديَّه (**عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ**) ، فأتىٰ به الحافظ العلقمي بنصِّه وسَلَّمه ، وناهيك به !! وإنْ كان بعض الحفَّاظ قال : إنِّي لم أَقف على هذا التَّحديد إلاَّ لِلعراقيّ ، وكفى به حجَّة !! وقد اعترف بثقته الأنام ووصفوه بأنَّه حافظ مصر والشَّام وخادم سنَّة النَّبي عليه الصلاة والسَّلام .

إذَا قَـالَـتْ حَـذَامِ فَصَـدِّقُـوهَـا   فَـإِنَّ القَـوْلَ مَـا قَـالَـتْ حَـذَامِ

مع أنَّ صاحب « سبل الهُدىٰ والرَّشاد » ذكر ذلك التَّحديد غير معترضٍ عليه ، بل أقرَّه وناهيك باطِّلاعه الوافِر المديد ، ونص ما في « ألفيَّةِ السِّيرة » قوله رحمه الله

وَنَعْلُـهُ ٱلْكَـرِيمَـةُ ٱلْمَصُـونَـهْ   طُـوبَـىٰ لِمَـنْ مَـسَّ بِهَـا جَبِينَـهْ
لَهَـا قِبَـالاَنِ بِسَيْـرٍ وَهُمَـا   سِبْتِيَّتَـانِ سَبَتُـوا شَعْـرَهُمَـا
وَطُـولُهَـا شِبْـرٌ وَإِصْبِعَـانِ   وَعَـرْضُهَـا مِمَّـا يَلِـي ٱلْكَعْبَـانِ
سَبْـعُ أَصَـابِـعٍ وَبَطْـنُ ٱلْقَـدَمِ   خَمْسٌ ، وَفَوْقَ ذَا فَسِتٌّ فَٱعْلَمِ

تعالى : (**وَنَعْلُهُ الكَرِيمَةُ**) ؛ أي : المكرَّمة المحترمة ، لتشرفها بأخمص خير الخلق ﷺ ، ويطلَقُ الكريمُ على النَّفيسِ ، ومنه : كرائم الأَموال .

(**المَصُونَةُ**) عن الأدْناس ، (**طُوبىٰ**) ـ فُعْلىٰ ـ من الطِّيبِ ، و«طُوبىٰ» كلمة عربيَّة ، تقول العرب : طُوبىٰ لك إنْ فعلت كذا وكذا ، ولا تقول : طوبَاكَ ، وهذا قول أكثر النَّحويِّين إلاَّ الأخفش ، وقيل : إنَّ «طوبىٰ» تأْنيث «الأطْيب» ؛ أي : راحةٌ وطيبُ عيشٍ (**لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِيْنَهُ**) . والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة النَّزعة إلىٰ الصُّدغِ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكونُ الجبهة بين جبينين ، وجمعه جُبُنٌ ، مثل بريدٍ وبُرُدٌ .

(**لَهَا قِبَالاَنِ**) ـ بكسر القاف ـ تثنية قبال ؛ وهو زمام النَّعل ، أي : لكل واحدةٍ قِبالان بينهما نحو أصبعين ، (**بِسَيْرٍ**) ؛ أي : من سير ، (**وَهُمَا**) ؛ أي : النَّعلان (**سِبْتِيَّتَانِ**) ، مثنَّى سبتيَّة ـ بكسر السِّين المهملة وسكون الموحَّدة وكسر المثنَّاة الفوقيَّة ـ نسبة للسِّبت ـ بكسر السِّين ـ وهو : جلودُ البقر المدبوغة ، سُمِّيتا بذلك !! لأنَّهما (**سَبتُوا شَعْرَهُمَا**) ، أي : أزالوه .

(**وَطُولُهَا شِبْرٌ وَإِصْبِعَانِ ، وَعَرْضُهَا**) ـ مبتدأ ـ (**مِمَّا يَلِي الكَعْبَانِ**) ؛ أَي : مِمَّا يليه الكعبانِ ، فالكعبان فاعل لا مفعول .

(**سَبْعُ أَصَابِعٍ**) ـ خبر مبتدأ ـ (**وَ**) عرضها مما يلي (**بَطْنَ القَدَمِ ، خَمْسٌ**) من الأَصابع ، (**وَفَوْقَ ذَا ، فَسِتٌّ**) ؛ أي : وعرضها مما فوق بطن القدم مما يلي الأَصابع فستٌّ من الأَصابع .

(**فَاعْلَمْ**) هذا ولا يلتبس عليك .

وَرَأَسُهَا مُحَدَّدٌ وَعَرْضُ مَا بَيْنَ ٱلْقِبَالَيْنِ ٱصْبعَانِ ٱضْبِطْهُمَا
وَهَـٰذِهِ مِثَالُ تِلْكَ ٱلنَّعْلِ وَدَوْرُهَا أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ
فَائِدَةٌ : قَالَ فِي « ٱلْمَوَاهِبِ » : ذَكَرَ ٱبْنُ عَسَاكِرَ ....

(ورأسُهَا مُحَدَّدٌ) على هيئة اللِّسان .

(وَعَرْضُ مَا بَيْنَ القِبَالَيْنِ أَصْبَعَانِ ؛ اضْبِطْهُمَا) ، فلا تنقص ولا تزد على هذا التَّحديد .

(وَهَذِهِ) الصِّفة المذكورة (مِثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ) الشَّريفة ، (وَ) هذا (دَوْرُهَا) ؛ أي : تحديدُها . (أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلٍ) ، تشرَّفت بموطئ سيِّد الوجود ﷺ .

(فَائِدَةٌ :) ـ مشْتَقَّة من الفَيْدِ ، بمعنى : استِحْداثِ المَالِ والخَيْرِ ، فهي يائيَّةَ ، وقيل : واوية ؛ من الفود ، كما نقله الدَّماميني في « حواشي المغني » .

وقيل : من فَأَدْتُهُ ؛ إذَا أَصَبْتَ فؤادَهُ ، لكونها تؤثِّر في الفؤاد ؛ أي : القلب سروراً ، أو لتعلُّقه بها ، معنويَّة كانت أو حسِّيَّة ، وإدراكه لها إنْ كانت ؛ معنويَّة .

وهي لغة : ما يستفاد من علم أو مالٍ . وقيل : الزِّيادة الَّتي تحصل للإنْسانِ ، وقيل : ما حصل لك ممَّا لم يكن عندك . وقيل : ما يكون الشَّيء به أحسن حالاً منه بغيره .

واصطلاحاً : كلُّ مصلحةٍ تترتَّب على فعلٍ ، فهي من حيثُ إنَّها نتيجة له تسمَّى « فائدة » ، ومن حيث إنَّها طرفٌ له تُسمَّى « غاية » ، ومن حيث إنَّها مطلوبة للفاعل بإقدامه على الفِعل تسمَّى « غرضاً » ، ومن حيث إنَّها باعثةٌ له بذلك تسمَّى « علَّة غائية » ؛ قاله شيخ الإسلام زكريا مع « حواشي الشرقاوي » .

(قَالَ) أي : العلاَّمة القسطلاني (فِي) كتاب (« المَوَاهِبِ » اللَّدنِّيَّة ») :

(ذَكَرَ) أبو اليُمن ـ بضمِّ الياء التَّحتيَّةِ وإسكان الميم ـ عبد الصَّمد بن عبد الوهّاب بن الحسن بن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين (بْنُ عَسَاكِرَ) .

الإمام العلاَّمة ، الحافظ الزاهد ، أمين الدِّين الدِّمشقي ؛ ثمَّ المكِّي .

تِمْثَالَ نَعْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِٱلتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ ٱلسُّلَمِيُّ ٱلأَنْدَلُسِيُّ ، وَكَذَا غَيْرُهُمَا .

مولده في سنة : ـ ٦١٤ ـ أربع عشرة وستمائة ، وكان قويَّ المشاركةِ في العلوم ، لطيف الشَّمائل ، بديع النظم ، خيِّراً صالحاً ، صاحب صدقٍ وتوجه .

اعتنى من صغره بالعلم ؛ خصوصاً الحديث ، وأخذ عن جده ، والحسين الزبيدي ، والموفق ابن قدامة وغيرهم .

وأجاز له جمعٌ ؛ منهم : عبد الرَّحيم بن السَّمعاني ، والمؤيَّد الطُّوسِي ، وأبو رَوْحٍ الهَرَوي . وله التَّآليفُ الحَسَنَةُ ؛ منها جزء في تِمْثَالِ نعلي النَّبِيِّ ﷺ .

وانقطع بمكَّة المكرَّمة نحواً من أَربعين سنة ، ومات بالمدينة المنوَّرة علىٰ الحالِّ بها أفضل الصَّلاة والسَّلام ، في جمادى الأولىٰ سنة : ـ ٦٨٦ ـ ست وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى آمين .

(**تِمْثَالَ**) ؛ أي : صفة تمثال ؛ (**نَعْلِهِ**) المكرَّم (ﷺ) ، أي : ما يؤخذ منه صفة تصويره ، وإلاَّ فهو لم يذكر تمثاله (**فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ**) ؛ نحو ثمان ورقاتٍ في النصف .

(**وَ**) كذا (**أَفْرَدَهُ بِالتَّأْلِيفِ**) الإمام الوليُّ الصَّالح ؛ (**أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ السُّلَمِيُّ**) ، المشهور بـ « ابن الحاجِّ » (**الأَنْدَلُسِيُّ**) ، من أهل المُرْيَةَ كَغُنْيَةَ .

(**وَكَذَا غَيْرُهُمَا**) كـ « مُسْنِدِ أَفريقية » ، بل « مُسْنِدِ المغرب » : المعمر الأديب ؛ أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن هارون ، الطَّائي ، القرطبي ، التونسي ، يكنَّىٰ أبا محمَّد .

المولود سنة : ـ ٦٠٣ ـ ثلاث وستمائة ، والمتوفَّىٰ سنة : ـ ٧٠٢ ـ اثنتين وسبعمائة ، بـ « الزّلاج » من تونس . وفي « تذكرة الحفاظ » للذَّهبي : أنَّه مات عن ـ ٩٩ ـ تسع وتسعين سنة رحمه الله تعالى ؛ فإنَّه أَلَّف كتاب « اللآلي المجموعة من

. . . .

باهر النِّظام وبارع الكلام في وصف مثال نعلي رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام » . وسبب جمعه ـ على ما قال ـ : أَنَّه سُئِلَ منه نظم أبيات تكتب على مِثال النَّعل المُشرَّفة ؛ فكتب في ذلك قطعةً وندب أدباء قطر الأندلس لذلك فأجابوا ، وكتب عن ذلك ما وصل إليه ، وجملة ما فيه من المقطوعات ما ينيف على مائة وثلاثين ؛ بين صغيرة وكبيرة ، ولم يطَّلع على هذا التَّأليف الحافظ المقرىء ، مع سعة حفظه وكثرة اطلاَّعه ومبلغه من التَّنقير والتَّفتيش عما قيل في النعل ، ولم يطَّلع لمن قبله إلاَّ علىٰ عدد أقَّل من هذا بكثير ، وغالبُ ما أودعه في « فتح المتعال » كلامُه وكلام أَهل عصره ، ولو اطَّلع عليه لاغْتَبَطَ بِهِ كثيراً . انتهى ؛ من « فهرس الفهارس » للشَّريف عبد الحي الكتَّاني رحمه الله تعالى .

وكالشِّهاب المقَّري ـ بتشديد القاف ـ صاحب كتاب « نفح الطيب » المتوَّفىٰ سنة : ـ ١٠٤١ ـ إحدى وأربعين وألف هجريَّة ، فإِنَّه أَلَّف كتابه « فتح المتعال في مدح النِّعال الشَّريفة النَّبَوِيَّةِ » ، قال المصنِّف :

وقد اختصرته بمختصر سمَّيته « بلوغ الآمال من فتح المتعال » أثبتُّ فيه ما لا بدَّ منه ولا غنى عنه ، فجاء مختصراً نافعاً جامعاً لكلِّ المقصودِ من ذلك الكتاب وعلمه ؛ مع كونه في نحو خُمس حجمه ، لأَنِّي حذفت منه كلَّ الفوائد الاسْتِطْرَادِية الَّتي ذكرها لمناسَبةٍ ، أو غير مناسَبة من معانٍ شتَّى لا دخل لها في المقصودِ بالكلِّيَّة ، كما حذفت معظم الأشْعار الَّتي ذكرها في مدح المثال الشَّريف ، قال :

وقد كنتُ منذ سنين أفْردتُ مثالاً هو الأَصحُّ والمعتمدُ من أمثلة النِّعال الَّتي ذكرها في الأَصْلِ في ورقة مخصوصة ، وذكرت حوله فيها فَوَائِد نَافعة تتعلَّق به ، وطبعتُ منه أربعين ألف نسخة ونشرتها في البلاد الإسلاميَّة ، فمن شاء فليتطلَّبْه . انتهى .

وهذا المؤلَّف الَّذي في النِّعال قد أدرجه المصنِّف في كتابه « جواهر البحار في فضائل النبي المختار » المطبوع في أربعة أجزاء ؛ فليطلبه من أراده . ومما ذكره المصنِّف في مؤلَّفه المذكور قولُه :

قال الإمام المقَّري في « الأصل » : أعلم ـ أرشدني الله وإيَّاك إلىٰ سواء

قَالَ : وَلَمْ أُثْبِتْهَا ٱتِّكَالاً عَلَىٰ شُهْرَتِهَا ، وَلِصُعُوبَةِ ضَبْطِ تَسْطِيرِهَا إِلاَّ عَلَىٰ حَاذِقٍ .

السَّبيل ، وأوردنا مع الرَّعيل الأَوَّل مناهل الرحيق والسَّلسبيل ـ أنَّ جماعة من الأَئِمَّة المغاربة ، المقتدىٰ بهم تعرضوا للمثال الطَّاهر ، وحسنه الباهر ، وأقرُّوا بمشاهدته عين النَّاظر ؛ منهم الإمام أبو بكر بن العربي ، والحافظ أبو الرَّبيع بن سالم الكلاعي ، والكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأَبَّار ، والرَّحَّالة أبو عبد الله بن رشيد الفِهْري ، والرَّاوية أبو عبد الله محمَّد بن جابر الوادياشيْ ، وخطيب الخطباء أبو عبد الله بن مرزوق ، والمفتي الإمام أبو عبد الله محمد الرّضاع التَّونسي ، والوليّ الصّالح الشَّهير ؛ أبو إسحاق إبراهيمُ بن الحاج السُّلمي الأنْدلسي المُرِّيي ، وعنه أخذ ابن عساكر المثال ، وغَيْر هؤلاءِ ممَّن يطول تعدادُهم : كأبي الحَكَمِ مَالِك بْن المُرَحِّل ، وابْنِ أبي الخصال ؛ وهم القدوة ولنا بهم أسوة . .

وتلاهم من أهل الشَّرق جماعة ؛ كالحافظ ابن عساكر وتلميذه البدر الفارقي ، والحافظ العراقي ، وابنه ؛ أي : الوليّ العراقيّ ، والشَّيخ القسطلاني في « مواهبه اللَّدُنِّيَّة » وغيرهم .

قال الإمام المقَّري : وقد بلغني عن بعض الأَغمار ممَّن هو كمثل الحمار أنَّه أنكر تصويري الأمثلة الشَّريفة ذات الظِّلال الوريفة ؛ قائلاً : كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها ؟!! فقلت لمن بلغني عنه ذلك : قل له : وأنتم لم تتكلَّمون في الأمور التي تجهلونها ، وليس هذا من تلك الصُّور ، لا في ورد ولا صدر . انتهى .

ثمَّ ذكر في كتابه المذكور ستَّة أَمثلة للنَّعل الشَّريفة ؛ منها مثالان عليهما المعوَّل والاعتماد ، وأربعة أمثلةٍ دونهما في القوَّة .

(قَالَ) ؛ أي : القُسطُلاّني : (وَلَمْ أُثْبِتْهَا) هنا (اتِّكَالاً عَلَىٰ شُهْرَتِهَا ، وَلِصُعُوبَةِ ضَبْطِ تَسْطِيْرِهَا إِلاَّ عَلَىٰ حَاذِقٍ) ـ بالحاء المهملة والذَّال المعجمة آخره قاف ـ أي : ماهر ، وقد ذكر الحافظ العراقيّ صفتها نظماً في أبيات تقدَّمت قريباً .

وَمِنْ بَعْضِ مَا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهَا ، وَجُرِّبَ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَحمَدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَجِيدِ ـ وَكَانَ شَيْخاً صَالِحاً ـ أَعْطَىٰ مِثَالَهَا لِبَعْضِ ٱلطَّلَبَةِ ، فَجَاءَهُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ ٱلْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هَـٰذَا ٱلنَّعْلِ عَجَباً ؛ أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ ٱلنَّعْلَ عَلَىٰ مَوْضِعِ ٱلْوَجَعِ ، وَقُلْتُ : ٱللَّهُمَّ أَرِنِي بَرَكَةَ صَاحِبِ هَـٰذَا ٱلنَّعْلِ . فَشَفَاهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ لِلْحِينِ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : قَالَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَمِمَّا جُرِّبَ مِنْ بَرَكَتِهِ : أَنَّ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكاً بِهِ . . كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنْ بَغْيِ ٱلْبُغَاةِ ،

(وَمِنْ بَعْضِ مَا ذَكَرَ) أبو اليُمن ، ابن عساكر في جُزئِهِ المذكور (مِنْ فَضْلِهَا ، وَجَرَّبَ مِنْ نَفْعِهَا ، وَبَرَكَتِهَا ؛ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ ؛ أَحمَدَ بْنَ عَبْدِ المَجِيْدِ ؛ وَكَانَ شَيْخاً صَالِحاً) ورعاً (أَعْطَىٰ مِثَالَهَا لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ ، فَجَاءَهُ) ؛ أي : ذلك البعض (وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ البَارِحَةَ) ـ بالحاء المهملة ـ ؛ أي : اللَّيلة الماضية قبل يومك الَّذي أَنْتَ فيه . وعادة العرب تقول ؛ قبل الزَّوال : فعلنا اللَّيلة كذا لقُربها مِن وقت الكَلام ، وتقول بعد الزَّوال : فعلت البارحة كذا . انتهىٰ .

(مِنْ بَرَكَةِ هَذَا النَّعْلِ) الشَّريف (عَجَباً) .

قال الشَّيخ أبو جعفر : فقلت له : وما رأيتَ ؟ قال : (أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيْدٌ كَادَ يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ النَّعْلَ عَلَىٰ مَوْضِعِ الوَجَعِ ، وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ ؛ أَرِنِي بَرَكَةَ صاحِبِ هَذَا النَّعْلِ . فَشَفَاهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْحِيْنِ) ، أي : سريعاً . (وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ) إبراهيم بن محمَّد ؛ الشَّهير بـ « ابن الحاجِّ » ، السَّابق قريباً : (قَالَ أَبُو القَاسِمِ) القاسم (بْنُ مُحَمَّدٍ) ؛ شيخ أبي إسحاق المذكور :

(وَمِمَّا جُرِّبَ مِنْ بَرَكَتِهِ : أَنَّ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكاً بِهِ كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنْ بَغْيِ

وَغَلَبَةِ ٱلْعُدَاةِ ، وَحِرْزاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ ، وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ ٱلْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدْ ٱشْتَدَّ عَلَيْهَا ٱلطَّلْقُ . . تَيَسَّرَ أَمْرُهَا بِحَوْلِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ ٱلْقُرْطُبِيِّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ :

البُغَاةِ ، وَغَلَبَةِ العُدَاةِ) ـ بضم العين المهملة فقط لثبوت الهاء ـ فهو كقضاة ؛ قاله ابن القاصح وغيره .

(**وَحِرْزاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**) : عاتٍ خارج عن الطَّاعَةِ ، (**وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ ، وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ**) المرأة (**الحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الطَّلْقُ**) ـ بفتح الطَّاء المهملة وسكون اللاَّم ـ: وجع الولادة ، يُقال : طُلِّقَتِ المرأةُ ، مبنيّاً للمفعول طلقاً ، فهي مطلوقةٌ ؛ إذا أخذها المخاضُ : وهو وجع الولادة . انتهىٰ ؛ قاله في « المصباح » .

(**تَيَسَّرَ أَمْرُهَا**) ؛ أي : سَهُل خلاصها وتيسَّرت ولادتها ، قال المقَّري : قلتُ : وقد جربته فصَحَّ (**بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ**) ؛ لا رب غيره ولا معبود سواه لبريته .

ومن خواصِّ مثال النَّعل الشَّريف أيضاً ، ومنافعه المنقولة عن الثِّقات الَّذين لا يُمترىٰ في صِدْقِ أَخبارِهِمْ : أنَّه أَمانٌ مِنَ النَّظرةَ والسِّحْرِ ، وإِنَّ من لازَمَ حمله كان له القَبول التَّامُّ من الخلق ، ولا بدَّ أنْ يزور النَّبيَّ ﷺ ؛ أَو يَرَاهُ في منامِهِ ، وإنَّه لم يكن في جيشٍ فهزِمَ ، ولا في قافلةٍ فَنُهِبَتْ ، ولا في سفينة فَغَرِقَتْ ، ولا في بيت فأُحْرِقَ ، ولا في متاع فَسُرِقَ ، وذلك ببركة النَّبِيِّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وكَرَّم . انتهىٰ ؛ من مختصر « فتح المتعال » للمصنف رحمه الله تعالىٰ .

ومن أراد المزيد فليراجع « جواهر البحار » في رسالة « بلوغ الآمَال » .

(**وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ**) ـ « ما » تعجُّبيَّة ، بمعنىٰ : شيءٌ عظيم ، و« أحسن » فعل تعجُّبٍ وفاعله مُسْتَتر فيه وجوباً ، و« قول » منصوبٌ علىٰ المفعوليةِ لفعل التَّعجُّب ـ والتقدير : شيءٌ عظيمٌ حَسَّنَ قَوْلَ (**أَبِي بَكْرٍ**) أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله بن الحسين الأنصاري، المدعو بـ «حميد» (**القُرْطُبِيِّ**) شهرةً، وهو مالَقي (**رَحِمَهُ اللهُ**

وَنَعْـلٍ خَضَعْنَـا هَيْبَـةً لِبَهَـائِهَـا وَإِنَّا مَتَىٰ نَخْضَعْ لَهَا أَبَداً نَعْلُو

فَضَعْهَا عَلَىٰ أَعْلَىٰ ٱلْمَفَارِقِ إِنَّهَا حَقِيقَتُهَـا تَـاجٌ وَصُـورَتُهَـا نَعْـلُ

بِأَخْمَصِ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ حَازَتْ مَزِيَّةً عَلَىٰ ٱلتَّاجِ حَتَّىٰ بَاهَتِ ٱلْمَفْرِقَ ٱلرِّجْلُ

تعالَىٰ) كان مُقرئاً مُجوِّداً فقيهاً ، محدِّثاً ضابطاً ، نحويّاً ماهراً ، أديباً كاتباً بارعاً ، متينَ الدِّينِ صَادِقَ الوَرَعِ ، سَريعَ العَبْرَةِ ، كثيرَ البُكَاءِ ، معرضاً عن الدُّنيا ، لا يضحك إلا تبسُّماً نادراً، ثمَّ يعقبه بالبكاء والاستغفار، مقتصداً في مطعمه وملبسه، معاناً علىٰ ذلك ، مؤيَّداً من الله حتىٰ بلغ من الوَرع رتبةً لم يزاحم عليها ، أَقرأَ ببلدهِ « مالَقة » القرآنَ ، ودرسَ الفِقْهَ وأسمَعَ الحديثَ وأَدَّب بالعربيّة ، ثمَّ رحل قاصداً الحجَّ؛ فلمَّا وصلَ مِصْر عظم صِيْتُهُ بِهَا ، فمرض وتعذَّر عليه الحجُّ ، فطلب السُّلطان زيارته فَأَبىٰ ؛ فألحَّ عليهِ حتىٰ أذن له ، فعرض عليه جائزة سَنيَّة فلم يقبلها ، وتوفِّيَ فحضر جنازتَه السُّلطان ومن لا يحصىٰ سنة : ـ ٦٥٢ ـ اثنتين وخمسين وستمائة. ومولده سنة ـ ٦٠٧ ـ سبع ـ بتقديم السِّين علىٰ الموحَّدة ـ وستمائة رحمه الله تعالىٰ . آمين .

(**وَنَعْلٌ**) ـ بالرَّفع أو الجر علىٰ ما قبله ؛ إن كان قبله شيء ، أو خبر مبتدأ محذوف ـ أي : وهذه نعل (**خَضَعْنَا**) : ذللنا ، (**هَيْبَةً**) : إجلالاً (**لِبَهَائِهَا**) : حسنها حين أبصرناها .

(**وَإِنَّا**) ـ بتشديد النُّون ـ (**مَتَىٰ نَخْضَعْ لَهَا أَبَداً**) في كل زمانٍ (**نَعْلُوُ**) ، نرتفع .

(**فَضَعْهَا**) ؛ أي : النَّعل أَيُّها الظَّافر بها (**عَلَىٰ أَعْلَىٰ المَفَارِقِ**) ، الرَّأس (**إِنَّهَا حَقِيقَتُهَا تَاجٌ**) تُزَيِّنُ الرَّأس كالتَّاج ، وهو الإكليل (**وَصُورَتُهَا نَعْلُ**) ، أي : كصورته .

(**بِأَخْمَصِ خَيْرِ الخَلْقِ حَازَتْ**) : ضمَّت واكتسبت ؛ (**مَزِيَّةً**) : فضيلةً (**عَلَىٰ التَّاجِ**) الَّتي تتزيَّنُ به الملوك ، (**حَتَّىٰ بَاهَتِ المَفْرِقَ**) ؛ بزنة « مَسْجِد » حيث يفرق الشَّعر (**الرِّجْلُ**) ـ بكسر الرَّاء وإسكان الجيم ـ.

شِفَاءٌ لِذِي سُقْمٍ ، رَجَاءٌ لِبَائِسٍ   أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ، كَذَا يُحْسَبُ ٱلْفَضْلُ

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّجَاشِيَّ . . . .

(**شِفَاءٌ لِذِي سُقْمٍ**) ـ بضمٍّ فسكون ـ : مرض (**رَجَاءٌ**) ـ بالمدِّ ، أيْ : مرجوة ـ (**لِبَائِسٍ**) ، من أصابه الضمر ـ اسم فاعل من بئس ـ .

(**أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ ، كَذَا يُحْسَبُ**) : يعد (**الفَضْلُ**) ، من قولهم : حسَبت المال ـ بفتح السِّين ـ أحصيتُه عدداً . هٰذا ما جاء في نعليه ﷺ .

(**وَ**) أمَّا ما جاءَ فِي خُفِّه !! فقد ذكر بعض أهل السِّير أنَّه كان له ﷺ عدَّة خِفافٍ ؛ منها : أربعةُ أزواجٍ أَصابها في خيبر ، وقد ثبت في «الصَّحيح» من حديثِ المغيرة رضي الله تعالىٰ عنه ، ورواه جمع من الصَّحابة رضي الله تعالىٰ عنهم أنَّه ﷺ مسح علىٰ خفَّيهِ .

وروىٰ جماعة من المحدِّثين ؛ منهم الإمام أحمد ، وأبو داود ، والتِّرمذي وحسَّنه ؛ (**عَنْ بُرَيْدَةَ**) بن الحصيب الأسْلميّ (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ**) :

أَنَّ النَّجَاشِيَّ) ـ بفتح النُّون علىٰ المشهور ، وتكسر ، وتخفيف الجيم وكسر الشِّين المعجمة وتخفيف الياء أفصح من تشديدها ، فهي أصليّة ؛ لا ياء النِّسبة ـ وتشديد الجيم خطأ ، وهو لقب ملوك الحبشة كـ « تُبَّع » لليمن ، و« كسرىٰ » للفُرسِ ، و« قيصر » للروم والشَّام ، و« هرقل » للشَّام فحسب ، و« فرعون » لمصْر ، وهذه ألقابُ جاهلية .

واسم هذا النَّجاشي : « أَصْحمة » ـ بالصَّاد والحاء المهملة ـ والسِّين تصحيف ، وقيل : اسمه مكحولُ بْنُ صَعْصَعَة ، والنِّجَاشة بالكَسر : الإِنْفَاذُ ، فلعلَّه سمِّي به لإِنفاذ أمرِهِ !! .

أرسلَ إِليه النَّبيُّ ﷺ عمرو بن أميَّة الضَّمري ، وكتب إليه يدعوه إلىٰ الإسلام فأسلم ، ومات سنة تسع ؛ فأخبرهم النَّبِيُّ ﷺ بموته يومَهُ ، وخرج بهم وصلَّىٰ وصلَّوا معه ، وكبَّر أربعاً . وقد تقدَّم كلام يتعلَّق بالنَّجاشي . فراجعه .

أَهْـدَىٰ لِلنَّبِـيِّ صَلَّـى ٱللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَ خُفَّيْـنِ أَسْـوَدَيْـنِ سَـاذَجَيْـنِ ، فَلَبِسَهُمَا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا .

وَمَعْنَىٰ (سَاذَجَيْنِ) : لَمْ يُخَالِطْ سَوَادَهُمَا شَيْءٌ آخَرُ .

(أَهْدَىٰ) ـ من الإهداء ، بمعنىٰ : إرسالِ الهَدِيَّةِ ، ويتعدَّىٰ باللاَّم وبـ « إلىٰ » ـ (لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ) ؛ أي : وقميصاً وسراويلَ وطيلساناً ـ كما في البَاجوري ـ (أَسْوَدَيْنِ) ؛ نعت للخفَّين وكذا قوله: (سَاذَجَيْنِ) ـ بفتح الذَّال المعجمة وكسرها ؛ أي : غير منقوشين ، أو لا شعر عليهما ، أو على لونٍ واحد .

(فَلَبِسَهُمَا) ـ بفاء التفريع ؛ أو التعقيب ـ ففيه أن المهدىٰ إليه ينبغي له التصرف في الهديَّةِ عَقِبَ وصولها بما أُهديت لأجْلِهِ ؛ إظهاراً لِقَبُولِهَا ووقوعها الموقع ، ووصولها وقت الحاجة إليها ، وإشارةً إلىٰ تواصل المحبَّةِ بينه وبين المُهدي ، حتَّىٰ أنَّ هديته لها مزيَّة علىٰ ما عنده ؛ وإنْ كان أَعلىٰ وأَغْلىٰ .

ولا ينحصر ذلك في التألُّف ونحوه ، بل مثله من يعتقد صلاحه أو علمه أو يقصد جَبْرَ خَاطِرِهِ ، أَو دفع شرِّهِ ، أو نفوذ شفاعَتِهِ عنده في مهمَّات النَّاس ، وأشباه ذلك .

ويؤخذ من الحديث أنَّه ينبغي قَبولُ الهديَّةِ حتَّىٰ مِن أَهْلِ الكتاب ، فإنَّه كان وقت الإِهداء كافراً ؛ كما قاله ابن العربيِّ ، ونقله عنه الزَّين العراقي . وفيه أيضاً : عدم اشتراط صيغةٍ ، بل يكفي البَعث والأَخذ .

(ثُمَّ تَوَضَّأَ ؛ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا) ، فيه أنَّ الأَصل في الأشياء المجهولةِ الطَّهارة ، وفيه جواز المسح علىٰ الخُفَّين ، وهو إجماع من يُعْتَدُّ به ، وقد رَوىٰ المسحَ علىٰ الخفَّينِ سَفَراً وَحَضراً ثمانون صحابياً ، وأحاديثهُ متواترةٌ ، ومن ثَمَّ قال بعض الحنفيَّةِ : أخشىٰ أن يكون إنكارُهُ ، أي : من أَصْلِهِ كفراً . انتهىٰ « مناوي » .

(وَمَعْنَىٰ سَاذَجَيْنِ) ـ بفتح الذَّال المعجمة وكسرها ـ: (لَمْ يُخَالِطْ سَوَادَهُمَا شَيْءٌ) أي : لونٌ (آخَرُ) . قال المحقِّقُ أبو زرعة ؛ وليُّ الدِّين العراقي الحافظ ابن الحافظ : وهذه اللَّفظةُ تستعملُ في العُرْفِ لذلك المعنىٰ ، ولم أجدها في كتب اللُّغة بهذا المعنىٰ ، ولا رأيتُ المصنِّفينَ في غريب الحديث ذكروهَا ؛ وقال القسطلاني :

وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : أَهْدَىٰ دِحْيَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ ، فَلَبِسَهُمَا .

السَّاذج : معرَّب شاذةٌ[1] .

(**وَعَنِ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ**) الثَّقفي الصَّحابي الجليل ـ وتقدَّمت ترجمته ـ (**رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، قَالَ : أَهْدَىٰ دِحْيَةُ**) ـ بكسر الدَّال عند الجمهور ، وقال ابن ماكولا بالفتح ، ذكره في «جامع الأصول» ـ .

وهو دحيةُ بن خَلِيفَةَ بْنِ فُضَالة بن فَرْوَة الكلبي ، أسْلَم قديماً وَشَهِد مع رسول الله ﷺ مَشاهِدهُ كلّها بعد بدر ، وأرسله رسول الله ﷺ بكتابٍ إلىٰ عظيمِ بُصْرىٰ ليدفعه إلىٰ هِرَقْلَ .

وحديثه في «الصَّحيحينِ» ، وكانَ جبريلُ يأتي النَّبيَّ ﷺ في صورته ، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، وحكي أنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ لم تبق مُعْصِرٌ إلاَّ خرجت تَنْظُر إِلَيْهِ . والمعصر : الَّتي بلغت سِنَّ المحيضِ .

روىٰ عنِ النَّبيِّ ﷺ ثلاثَةَ أَحاديثَ ، روىٰ عنه خالد بن زيد ، وعبد الله بن شدَّاد ، والشَّعبي ، وغيرهم ، وشهد اليرموك ، وسكن المِزَّة القرية المعروفة بَجَنْبِ دِمشق ، وبقي إلىٰ خلافة معاويةَ رضي الله تعالىٰ عنهما .

(**لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا**) . وهذا الحديثُ رواه التِّرمذي عن شيخهِ قتيبة بن سعيد ؛ عن يحيى بن زكريَّا ؛ عن الحسن بن عيَّاش ؛ عن أبي إسحاق الشَّيباني ؛ عن الشَّعبي ؛ عن المغيرة . . . فذكره ، وعقَّبه بقوله : وقال إسرائيل : عن جابر ؛ عن عامر : وَجُبَّةً فَلَبِسَهُمَا حَتَّىٰ تَخَرَّقَا لاَ يَدْرِي النَّبيُّ ﷺ أَذَكِيٌّ هُمَا أَمْ لاَ .

قال في « المواهب » وشرحِها : رواه التِّرمذي في « الجامع » و« الشمائل » والطَّبراني . انتهىٰ .

---

(١) والعامَّة تصحِّفه إلى « سادة » .

وَرَوَىٰ ٱلطَّبَرَانِيُّ فِي « ٱلأَوْسَطِ » عَنِ ٱلْحَبْرِ : . . . .

قال الباجوري ، وملا علي قاري في « جمع الوسائل » : (وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ) ، الحافظ : سليمان بن أحمد اللخمي ، المحدِّث الكبير ، (فِي) «معجمه (الأَوْسَطِ)» .

والمعجم في اصطلاحهم : ما تُذْكر فيه الأَحاديث علىٰ ترتيب الصَّحابة أو الشُّيوخ أو البُلدانِ أو غير ذلك ، والغالب أن يكون مرتَّباً علىٰ حروف الهجاءِ ؛ والطَّبرانيُّ له ثلاثةُ معاجمِ : « كبير » ، و« صغير » ، و« أوسط » .

فالكبير : مؤلَّفٌ في أَسْماءِ الصَّحابةِ علىٰ حروف المعجمِ عدا مسند أبي هريرة ، فإِنَّه أَفرده في مصنَّف ، يقالُ : إِنَّه أورد فيه ستِّين ألف حديث في اثني عشَر مجلَّداً ، وفيه قال ابن دحية : هو أَكْبر مَعَاجم الدُّنيا ؛ وإِذَا أُطلق في كلامهم « المعجم » فهو المراد ، وإذا أريد غيره قُيِّد .

والأوسط : أَلَّفه في أسماء شُيوخه ، وهم قريب من ألفي رجل ، حتَّى أنَّه روىٰ عمَّن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه ، وأكثره من غرائب حديثهم ، قال الذَّهَبِيُّ : فهو نظير كتاب «الأفراد » للدَّارقطني ؛ بيَّن فيه فضيلته وسعة روايته ، ويُقال : إنَّ فيه ثلاثين ألف حديثٍ ، وهو في ستِّ مجلَّدات كبارٍ ، وكان يقول فيه : هذا الكتاب روحي ؛ لأَنَّه تعبَ فيه ؛ قال الذهبي : وفيه كلُّ نفيسٍ وعزيز ومنكر .

والصغير : وهو في مجلَّد ، يشتمل علىٰ نحو من ألفٍ وخمسمائةِ حديث بأسانيدها ، لأنَّه خرَّج فيه عن ألف شيخٍ ، كلُّ شيخٍ حديثاً أو حديثين . انتهىٰ . من « الرسالة المستطرفة » .

ورواه البيهقي في « الدعوات الكبير » بإسناد صحيح كلاهما ؛ (عَنِ الحَبْرِ) ـ بفتح الحاء وكسرها ؛ لغتان ، ـ أي : العالِم ؛ سمِّي بذلك !! لأَنَّه يحبر في عبارته ، أي : يحسّنها ، والمراد به هنا الصَّحابي الجَليل عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب ابن عمِّ رسول الله ﷺ حَبْرُ الأمَّةِ وتُرْجُمَانُ القُرآن ـ وتقدمت ترجمته ـ رضي الله تعالىٰ عنه .

قَالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ ٱلْحَاجَةَ . . أَبْعَدَ ٱلْمَشْيَ ، فَٱنْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَتِهِ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَبِسَ خُفَّهُ ، فَجَاءَ طَائِرٌ أَخْضَرُ فَأَخَذَ ٱلْخُفَّ ٱلآخَرَ فَٱرْتَفَعَ بِهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ أَسْوَدُ سَالِخٌ ـ أَيْ : حَيَّةٌ ـ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَـٰذِهِ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا ، ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ ، وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ » .

(**قَالَ : كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ الحَاجَةَ**) ، ـ أي : قضاء الحاجةِ ، يعني البراز ـ (**أَبْعَدَ المَشْيَ**) ؛ أي : ذهب بعيداً مستتراً عن أعينِ النَّاس كما هو معروف في آداب قضاءِ الحاجةِ (**فَانْطَلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ**) فقعد تحت شجرةٍ (**لِحَاجَتِهِ**) فنزع خفَّيْه (**ثُمَّ تَوَضَّأَ ، وَلَبِسَ خُفَّهُ**) ، أي : أحدهما (**فَجَاءَ طَائِرٌ أَخْضَرُ فَأَخَذَ الخُفَّ الآخَرَ فَارْتَفَعَ بِهِ**) فِي السَّماء وحلّق به ، (**ثُمَّ أَلْقَاهُ**) إلىٰ الأرض ، (**فَخَرَجَ مِنْهُ**) ؛ أي : الخفّ ، أي : انسلَّت منه (**أَسْوَدُ سَالِخٌ**) ـ الخاء المعجمة آخره ـ وهو من أسماء الحيَّات ، كما قال المصنِّف ؛ (**أَيْ : حَيَّةٌ**) . قال في « شرح القاموس » : والأنثىٰ أسوده ، ولا توصف بـ « سالخةٍ » ، ويقال : أسود سالخ ، وأسودان سالخ ، وأساود سالخة ، وسوالخُ ، وسُلَّخٌ ، وسُلَّخةٌ ، كما في « القاموس » .

(**فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَذِهِ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا**) ثمَّ قال : (**اللَّهُمَّ**) ـ أي : يا الله ـ (**إِنِّي أُعُوْذُ**) ـ أي : اعتصم ـ (**بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ**) ـ كالحيَّات والثَّعابين ـ (**وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ**) ـ كالآدمي ـ (**وَمِنْ شَرِّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ »**) ـ كالأنعام ـ .

وأخرج الطَّبراني في « الكبير » ؛ عن أبي أُمَامَةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال : دعا رسول الله ﷺ بخفَّيه فلبس أحدهما ، ثمَّ جاء غُراب فاحتمل الآخر فرمىٰ به ، فخرجت منه حيَّةٌ ؛ فقال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَلْبَسْ خُفَّيْهِ حَتَّى يَنْفُضَهُمَا » . انتهىٰ . وهذا من علامات نبوَّته ﷺ وقد عُدَّ ذلك في معجزاته .

ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ
فِي صِفَةِ سِلاَحِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنِ ٱبْنِ سِيرِينَ . . . .

(الفَصْلُ الخَامِسُ) ،

من الباب الثَّالث

(فِي) بيان ما ورد في (صِفَةِ سِلاَحِهِ ﷺ) :

والسِّلاحُ آلةُ الحرب ، فكلُّ عُدَّة للحربِ فهو سلاحٌ ، وفي « المصباح » ؛ السِّلاح : ما يقاتَلُ به في الحرب ، ويدافع به . والتذكير أغلب من التَّأنيثِ ، فيجمع على التَّذكير : أسلحةٌ ، وعلى التَّأنيثِ : سِلاحاتٌ . انتهى .

ويطلق السِّلاح على السَّيف وحده ؛ كما في « القاموس » .

قال التِّرمذيُّ في « الشَّمائِل » : حدَّثنا محمد بن شجاع البغدادي ؛ قال : حدَّثنا أبو عبيدةَ الحدادُ ؛ عن عثمان بن سعد ؛ (عَنْ) محمد (بْنِ سِيْرِيْنَ) ـ (الأنصاري ، مولاهم ، أبو بكر البصْري التَّابعي ، الإمام في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعبر الرؤيا ، والمقدَّم في الزُّهد والورع ؛ قال محمد بن سعد : كان ثقةً ، مأموناً ، عالياً ، رفيعاً ، فقيهاً ، إماماً كثيرَ العلم ، ورعاً .

وأولاد سيرين ستَّةٌ : محمَّد ومعبد وأنس ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهمُ رواةٌ ثقات ، وكان أبوهم من سبي عين التَّمر ، وهو مولى أنس بن مالك ؛ كَاتَبَهُ على عشرين ألف درهم فأداها وعتق .

وكانت أمُّ ابن سيرين اسمها صفيَّة مولاة لأَبي بكر الصِّديق ، رضي الله تعالى عنه ، طَيَّبها ثلاثٌ من أزواج النَّبيِّ ﷺ ودعونَ لها وحَضَر إمْلاكَها ثمانيةَ عشرَ بدريّاً منهم : أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يدعو وهم يُؤَمِّنونَ .

وكان سيرين يُكَنَّى : «أبا عمرة» ، وولد لمحمَّد بن سيرين ثلاثون ولداً من امرأة

قَالَ : صَنَعْتُ سَيْفِي عَلَىٰ سَيْفِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، وَزَعَمَ سَمُرَةُ أَنَّهُ صَنَعَ سَيْفَهُ عَلَىٰ سَيْفِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ حَنَفِيّاً ؛ نِسْبَةً لِبَنِي حَنِيفَةَ ؛ لأَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ بِحُسْنِ صَنْعَةِ ٱلسُّيُوفِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ قَبِيعَةُ سَيْفِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِضَّةٍ .

واحدة ، زوجة له عربيَّة ، ولم يبق منهم غير عبد الله بن محمَّد .

واتفقوا على أنَّ ابن سيرين تُوفِّي بالبصرة سنة : ـ ١١٠ ـ عشر ومائة ، بعد الحسن بمائة يوم . قال حمّاد بن زيد : مات الحسن أوَّل رجب سنة : ـ ١١٠ ـ عشر ومائة ، وصَلَّيتُ عليه ، ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوَّال سنة : ـ ١١٠ ـ عشر ومائة رحمهما الله تعالى .

(**قَالَ : صَنَعْتُ**) ـ من الصُّنع ، أي : أمرتُ بأَن يُصْنَع ؛ وفي بعض نسخ « الشمائل » : صُغْت ـ (**سَيْفِيَ عَلَىٰ سَيْفِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ**) رضي الله تعالى عنهما ؛ أي : على تمثال سيفه في الشَّكل والوضع وجميع الكيفيَّات . (**وَزَعَمَ سَمُرَةُ**) يعني : قال : فَإِنَّ الزَّعْمَ قد يأتي بمعنى القَوْل المحقَّق (**أَنَّهُ صَنَعَ**) ـ بناؤه للفاعل ؛ أو للمفعول ـ (**سَيْفَهُ**) ـ مرفوع أو منصوب ـ (**عَلَىٰ**) هيئة (**سَيْفِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ**) ؛ أي : على تمثاله في الشَّكل والوضع وجميع ٱلكيفيَّات .

قال : (**وَكَانَ**) ، أي : سيفُ رسول الله ﷺ (**حَنَفِيّاً**) . والحنفيُّ : قال الباجوري : (**نِسْبَةً لِبَنِي حَنِيْفَةَ**) ؛ قبيلة مُسَيْلَمَة الكذَّاب ، (**لأَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ بِحُسْنِ صَنْعَةِ السُّيُوفِ**) ، فيحتمل أنَّ صانعه كان منهم ، ويحتمل أنَّه أتىٰ به من عندهم ، وهذه الجملة : يعني قوله « وكان حنفيًّا » من كلام سَمُرَة فيما يظهر ، ويحتمل أنَّها من كلام ابن سيرينَ على الإرْسَالِ . انتهى .

(وَ) أخرج التِّرمذيُّ في «الجامع» و«الشَّمائِلِ»، وأبو داود والنَّسائي والدَّارمي ؛ (**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ قَبِيْعَةُ سَيْفِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْ فِضَّةٍ**) .

وَ(ٱلْقَبِيعَةُ) ـ بِوَزْنِ ٱلطَّبِيعَةِ ـ : مَا عَلَىٰ طَرَفِ مِقْبَضِ ٱلسَّيْفِ ، يَعْتَمِدُ ٱلْكَفُّ عَلَيْهَا لِئَلاَّ يَزْلَقَ .

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ . . . .

والمراد بالسَّيفِ هنا : ذُو الفقَارِ ، وكان لا يكاد يفارِقه ، ودخل به مكَّة يوم الفتح ، واقتصر في هذا الخبر على القبيعةِ ، وفي رواية ابن سعد ؛ عن عامر قال : أخرج إلينا علي بن الحسين سيفَ رسول الله ﷺ ؛ فإذا قَبِيعَتُهُ مِنْ فضَّة ، وإذا حَلْقَتُهُ الَّتي يكون فيها الحمائِل من فضَّة .

(**والقَبِيْعَةُ**) ـ بفتح القاف وكسر الموحَّدة ـ (**بِوَزْنِ الطَّبِيْعَةِ**) ؛ قال الباجوري وغيره : هي (**مَا عَلَىٰ طَرَفِ مِقْبَضِ السَّيْفِ**) فوق الغمد يمسكه من فِضَّة أو حديد أو غيرهما ، (**يَعْتَمِدُ الكَفُّ عَلَيْهَا ؛ لِئَلاَّ يَزْلَقَ**) .

وفي الحديث دليل على جواز تحلية السَّيف وسائر آلاتِ الحرب بالفِضَّة . قال العلاَّمةُ ابن حجر الهيتمي : الحاصل أنَّ الذَّهبَ لا يحل للرِّجال مطلقاً ؛ لا استعمالاً ، ولا اتِّخاذاً ، ولا تضبيباً ، ولا تمويهاً ، لا لآلةِ الحرب ولا لغيرها ، وكذا الفضّة إلاَّ في التضبيب ، والخاتم ، وتحلية آلة الحرب ، وما وقع في بعض الرِّوايات من حلِّ التمويه تارة وحرمته أُخرى !! محمولٌ على تفصيلٍ عُلِم من مجموع كلامهم ؛ وهو أنَّه إنْ حصل شيءٌ ما بالعرض على النَّارِ من ذلك المموَّه حرمت استدامته كابتدائِه ، وإنْ لم يحصل منه شيء حرم الابتداءُ فقط .

أمَّا نفس التَّمويه الذي هو الفعل والإعانةُ عليه والتسبُّب فيه !! فحرام مطلقاً ، ويأتي هنا التَّفصيل في تمويه الرِّجال الخاتَم وآلةَ الحرب الذَّهب . انتهى .

(**وَ**) أخرج ابن سعدٍ ؛ من طريق سليمان بن بلال ؛ (**عَنْ جَعْفَرٍ**) الصادق أبي عبد الله الإمام (**ٱبْنِ**) الإمام (**مُحَمَّدٍ**) الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السِّبط بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ، الهاشميّ المدنيّ .

أمّه فروة بنت القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصِّديق رضي الله تعالى عنهم .

عَنْ أَبِيهِ : كَانَ نَعْلُ سَيْفِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَيْ : أَسْفَلُهُ ـ وحَلْقَتُهُ وقَبِيعَتُهُ . . مِنْ فِضَّةٍ .

روى عن أبيه ، والقاسم بن محمد ، ونافع ، وعطاء ، ومحمَّد بن المنكدر ، والزُّهري وغيرهم . روى عنه محمد بن إسحاق ، ويحيى الأنصاري ، ومالك ، والسُّفيانان ، وابن جريج ، وشُعبة ، ويحيى القطَّان ، وآخرون .

واتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته . قال عمرو بن المقدام : كُنتُ إذا نظرت إلىٰ جعفر بن محمَّد علمت أنَّه من سلالة النَّبِيِّين .

ولد سنة : ـ ٨٠ ـ ثمانين هجرية ، وتوفِّي سنة : ـ ١٤٨ ـ ثمان وأربعين ومائة هجريَّة . رحمهُ الله تعالى .

(عَنْ أَبِيْهِ) محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، القُرشي الهاشمي المدني ، أبي جعفر ، المعروف بـ«البَاقر» ، سمِّي بذلك !! لأنَّه بقَر العلم ، أي : شقَّه فعرف أصله وعلم خفيَّهُ .

وأُمُّه أمُّ عبد الله بنت حسن بن علي بن أبي طالب .

وهو تابعيٌّ جليل ، إمام بارع ، مجمع على جلالته ، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم ، سمع جابراً وأنساً ، وسمع جماعات من كبَار التابعين ، كابن المسيِّب وابن الحنفيَّة وغيرهما .

روى عنه أبو إسحاق السّبيعي ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، والأعرج ؛ وهو أسنُّ منه ، والزُّهري ، وربيعة ، وخلائق آخرون من التَّابعين وكبار الأَئِمَّة .

وروى له البخاريُّ ومسلمٌ ، وتوفِّي سنة : ـ ١١٤ ـ أربع عشرة ومائة ، وقيل : ثمانية عشرة ، وقيل : سبعة عشرة ، وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقيل : ابن ثلاث وسبعين ، وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة ، والله أعلم رحمه الله تعالى .

قال (كَانَ نَعْلُ سَيْفِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ؛ أَي : أَسْفَلُهُ) ، يعني : أسفل غمده ، وهذا تفسير للنَّعل . وفي « المصباح » : نعل السَّيف الحديدةُ الَّتي في أسفلِ جفنه ، مؤنَّثة ، (وَحَلْقَتُهُ) ـ بإسكان اللاَّم وفتحها لغة في السُّكون ـ وهي ما في أعلاه ، تجعل فيه العلاقة . (وَقَبِيْعَتُهُ) الثلاثة (مِنْ فِضَّةٍ) .

وَقَدْ كَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُيُوفٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ : سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْمَأْثُورُ) ؛ وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَنْ أَبِيهِ .

وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْقَضِيبُ) .

وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱلْقُلَعِي) ـ نِسْبَةً إِلَىٰ قَلَعٍ ـ مَوْضِعٌ . . . . . .

وأخرج ابن سعد أيضاً ؛ من طريق جرير بن حازم ؛ عن قتادةَ ؛ عن أنسٍ قال : كانت نَعْلُ سَيْفِ رسول الله ﷺ فضَّة ، وقبيعتُه وما بين ذلك حلق فضة .

قال الباجوريُّ في حاشية « الشَّمائل » : (**وَقَدْ كَانَ لَهُ** ﷺ **سُيُوفٌ مُتَعَدِّدَةٌ**) ، ذكر في « المواهب » أنَّها تسعة ؛ (**فَقَدْ كَانَ لَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : « **المَأْثُورُ** ») ـ بهمزة ساكنة ومثلَّثة ـ (**وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَنْ أَبِيهِ**) ؛ أي : ورثه منه ؛ ذكره اليعمري .

وهي مسألة نزاع ، حتَّى قال بعضهم : ليس في كون الأنبياء يرثون نقلٌ .

وبعضهم قال : لا يرثون كما لا يُورثون، وإنَّما ورث أبويه قبل الوَحْي، وصرَّح شيخ الإسلام زكريّا في « شرح الفصول » بأنَّهم يرثون ، وبه جزم الفَرَضيُّون .

وذكر الوَاقديُّ أنَّه ﷺ وَرِثَ من أبيهِ أمَّ أيمنَ وخمسةَ أَجمالٍ وقطعةً من غنمٍ ومولاهُ شقْرَان وابنه صالحاً ، وقد شهد بدراً ، ومن أمِّه دَارَها بالشِّعْبِ ، ومن زوجته خديجة دَارَها بمكَّة بين الصَّفا والمروة ، وأموالاً .

(**وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : « **القَضِيبُ** ») ـ بفتح القاف وكسر الضَّاد المعجمة وسكون التَّحتيَّةِ وموحَّدة آخره ـ يطلق بمعنى اللَّطيف من السُّيوف ، وبمعنى السَّيفِ القاطعِ ؛ كما في «النور» ، وقيل : إنَّ القضيبَ ليس بسيفٍ ، بل هو قضيبُه المَمْشُوق . قال العراقي في « ألفيَّة السِّيرة » :

وَقِيلَ : ذَا قَضِيبُهُ المَمْشُوقُ   كَانَ بِأَيْدِي الخُلَفَا يَشُوقُ

(**وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : **القُلَعِي**) ـ بضم القاف وفتحها ، وبفتح اللاَّم ثمَّ عين مهملة ـ (**نِسْبَةً إِلَىٰ قَلَعٍ**) ـ بفتحتين فعين مهملة آخره ـ : (**مَوْضِعٌ**) هو قلعة

بِـٱلْبَـادِيَـةِ . وَلَـهُ سَيْـفٌ يُقَـالُ لَـهُ : (ٱلْبَتَّـارُ) . وَسَيْـفٌ يُـدْعَـىٰ : (ٱلْحَتْفَ) . وَسَيْفٌ يُدْعَىٰ : (ٱلْمِخْذَمَ) ، بِكَسْرِ ٱلْمِيمِ .
وَسَيْفٌ يُدْعَىٰ : (ٱلرَّسُوبَ) .

(بالبَادِيَةِ) ، يقال لها : مرجُ ـ بالجيم ـ قريبٌ من حلوان على طريق همذان ؛ كما في « العيون » .

(وَلَهُ سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : « البَتَّارُ ») ـ بفتح الباء وتشديد التَّاء ، ثمَّ راء آخره ـ أي : القاطع .

(وَ) له (سَيْفٌ يُدْعَىٰ : الحَتْفَ) ـ بفتح الحاء المهملة وسكون التَّاء ، ثمَّ فاء ـ وهو الموت ، ومن قال : الحيف ؛ بالتَّحتيَّةِ !! فهو سبقُ قلمٍ ، إذ الحيف هو الجَورُ ، ولا معنى له هنا .

(وَ) له (سَيْفٌ يُدْعَىٰ : « المِخْذَمَ » ـ بِكَسْرِ المِيْمِ) الأولى وسكون الخاء المعجمة وفتح الذَّال المعجمة ثمَّ ميم آخره ـ وهو القاطع .

(وَ) له (سَيْفٌ يُدْعَىٰ : « الرَّسُوْبَ ») ـ بفتح الرَّاء وضمِّ السِّين المهملة وسكونِ الواو فموحَّدة آخره ـ أي : يمضي في الضريبة ، ويغيب فيها ، وهو فعول من رسب يرسب ، بضمِّ السِّين ؛ إذا ذَهب إلى أسفل واستقرَّ ، لأنَّ ضربته تغوصُ في المضروبِ به وتثبت فيه . قيل : إنَّه من السُّيوفِ السَّبْعةِ الَّتي أهدتْ بلقيس لسُلَيْمَانَ ؛ كما في « النور » .

قال في « المواهب » مع الشرح : والمخذم والرّسُوب أصابهما من الفُلْس ـ بضمِّ الفاء وإسكان اللاَّم ـ: صَنَم كان لـ«طي» ، كان الحارث قلَّده إيَّاهما ، فبعث المصطفى ﷺ عليّاً سنة تسعٍ فَهدَمَهُ وغنم سَبْياً وشاءً ونعماً وفضة ، فعزل علي له ﷺ صفيا السَّيْفَيْنِ . وذكر ابن هِشام عن بعضِ أهل العلم أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام وهبهما لِعَلِّي ، وذكر أبو الحسن المدائني أنَّ زيد الخيل أهداهما للمصطفى ﷺ لمَّا وفد عليه . والله أعلم . انتهى .

وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (اَلصَّمْصَامَةُ) . وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (اَللَّحِيفُ).
وَسَيْفٌ يُقَالُ لَهُ : (ذُو ٱلْفِقَارِ) . وَ(ٱلْفُقَرُ) : اَلْحُفَرُ .

(وَ) له (**سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : « **الصَّمْصَامَه** ») ـ بالهاء ـ ذكره اليَعمري ، ويقال له : الصَّمْصَام ، بدونها ـ بفتح الصَّاد المهملة وإسكان الميم فيهما ـ: السَّيف الصَّارم الَّذي لاَ يَنْثني ، كان سيفَ عمرو بن معد يكرب ، وكان مشهوراً فوهبه ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص .

(وَ) له (**سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : « **اللَّحِيْفُ** ») ، سيفٌ مشهورٌ ؛ ذكره اليعمريُّ .

(وَ) له (**سَيْفٌ يُقَالُ لَهُ** : « **ذُو الفَقَارِ** ») ـ بفتح الفاء وكسرها ـ لأَنَّه كان في وسطه مثل فقرات الظَّهر . وقيل : سمِّي بذلك ، لأنَّه كان فيه حفر صغار حسان ، والفُقْرة بالضمِّ : الحُفْرَةُ في الأرض الَّتي فيها الوَدِيَّة .

(**وَالفُقَرُ**) ـ بضمِّ الفاء وفتح القاف ـ كعُمَر ؛ جمع فقرة بضمٍّ فسكونٍ ، وهي (**الحُفَرُ**) ـ بضمٍّ ففتحٍ جمع حفرة ـ بضمِّ الحاء ـ وهو أشهر أَسْيافِهِ ﷺ وهو الَّذي رأَىٰ فيه الرُّؤيا يومَ أحد ، وهو سيف سليمانَ بنِ داودَ ـ عليهما السلام ـ أَهدته بلقيس مع ستَّة أَسْيافٍ ، ثمَّ وصلَ إلى العاصِ بنِ مُنَبِّه بنِ الحجَّاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، المقتولِ كافراً ببدرٍ قتله عليُّ بن أبي طالبٍ وأَخذَ سيفه هذا ، ثمَّ صار إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يومَ بدرٍ من الغنيمةِ ، وكان هذا السَّيفُ لا يفارقه ﷺ بعد أن ملكه ، يكون معه في كلِّ حرب يشهدها ، وكانت قائمته ـ أي : مقبضه ـ وقبيعتُهُ وحَلْقَتُهُ وذُؤَابَتُهُ ـ أي : علاَّقته ـ وبكراته ونعله كلّها من فضَّة ، ويقال : إنَّه صار لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في الجنَّة ، ولعلَّه كان يأخذه منه في الحروب ، أو أنَّه أعطاه له عند موته ، وفيه قيل : لا فتىً إلاَّ عليّ ، ولا سيف إلاَّ ذو الفقار .

ومن الغريب ما رواه الطَّبراني في « الكبير » ، وابن عدي في « الكامل » : أنَّ الحجَّاج بن علاط أهداه لرسول الله ﷺ ثمَّ كان عند الخلفاء العبَّاسيين . والله أعلم . وسيأتي مزيد كلام يتعلَّق بذي الفقار في الفصل السادس .

وَقَدْ ذَكَرُوا فِي مُعْجِزَاتِهِ : أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ لِعُكَّاشَةَ جِذْلَ حَطَبٍ ؛ ....

(وَقَدْ ذَكَرُوا) ـ أي : العلماء في كتبهم ، أي : عَدُّوا ـ (فِي مُعْجِزَاتِهِ) الدَّالة على نبوَّته وصدق رسالَتِهِ ، جمع معجزة ؛ وهي الأمر الخارق للعادة ، المقرون بالتَّحدي ، الدَّال على صدق الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام .

وسمِّيت معجزة !! لعجز البشر عن الإتيان بمثلها .

وللمعجزة أركان أربعةٌ لا بدَّ منها ؛

أحدها : أنْ تكون خارقةً للعادة .

ثانيها : أن تكون مقرونة بالتَّحدي ، وهو طلب المعارضة .

وقال المحقِّقون : التَّحدِّي : هو دعوى الرِّسالة ، فما جاء بعدها من الخوارق فهو معجزة ، وإن لم يطلب الإتيان بالمثل الَّذي هو المعنى الحقيقي للتَّحدِّي .

وثالثها : أن لا يأتي أحد بمثل ما أتىٰ بهِ المتحدِّي .

ورابعها : أن تقع على وفق دعوىٰ ٱلمتَحدِّىٰ بها .

(أَنَّهُ ﷺ دَفَعَ لِعُكَاشَةَ) ـ بضمِّ العينِ مع تخفيفِ الكاف وتشديدها ، والتشديد رواية الأكثرينَ ـ وهو أبو محصن ؛ عكَّاشة بن مِحصَن ـ بكسر الميم وفتح الصاد ـ ابن حُرْثان ـ بضم الحاء المهملة وسكون الرَّاء وثاء مثلثة ـ ابن قيس بن مرة بن بكير ـ بالموحَّدة ـ ابن غنم بن دُودان ـ بدالين مهملتين ، الأولىٰ مضمومة ـ ابن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدي ، حليف بني عبد شمس . الصَّحابي الجليل .

وهو من السَّبعين ألف الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب ؛ كما في « الصحيحين » رضي الله عنه . وشهد بدراً وأبلىٰ فيها بلاءً حسناً .

قالوا : وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ (جِذْلَ) ـ بكسر الجيم وفتحها وسكون الذَّال المعجمة ـ واحد الأجذال ؛ أي : أصل (حَطَبٍ) . قال الشَّامي : والمراد هنا : العُرجُونِ ـ بضمِّ المهملة ـ أصل العِذق ـ بكسر العين ـ الذي يفرج

حِينَ ٱنْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَالَ : « اِضْرِبْ بِهِ » ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً طَوِيلاً أَبْيَضَ شَدِيدَ ٱلْمَتْنِ ، فَقَاتَلَ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ ٱلْمَشَاهِدَ إِلَىٰ أَنِ ٱسْتُشْهِدَ .

وينعطف ؛ ويقطع منه الشَّماريخ فيبقى على النخلة يابساً .

(حِيْنَ انكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ) ، قال ابن هشام ، في « شرح بانت سعادُ » : اليومُ يطلق على أربعة أمور :

أحدها : مقابل اللَّيلة ، ومنه ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ [٧/ الحاقة] .

الثَّاني : مطلق الزَّمان كقوله تعالى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [١٦/ الأنفال] ، ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [١٤١/ الأنعام] ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ ﴾ [القيامة] . المراد : ساعة الاحتضار ، وتقول : فلان اليومَ يعملُ كذا .

والثَّالث : مدة القِتال ؛ نحو : يومُ حنين ؛ ويومُ بُعاثٍ : وهو يومُ للأوسِ والخزرجِ ـ وهو بضمِّ الباء الموحَّدَة وبالعين المهملة وبالثَّاء المثلَّثة ؛ أي : ومنه يوم بدرٍ المذكور في المتْنِ .

الرَّابع : الدَّولة ، ومنه ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١٤٠/ آلِ عِمران] . انتهى كلام ابن هشام .

(**وَقَالَ**) له : (« **اَضْرِبْ بِهِ** ») ؛ أي : قاتل به يا عكاشة ، فأخذه منه فهزه ؛ (**فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِمَاً**) أي : ماضياً (**طَوِيْلاً**) ؛ أي : طويل القَامة ، (**أَبْيَضَ**) الحديدة (**شَدِيْدَ المَتْنِ**) ؛ أي : الظَّهر ، من إضافةِ الوَصْفِ إلىٰ فاعله ؛ أي : شديداً متنه ، أو المراد بالمتن هنا : الذَّاتُ ، تسميةً للكلِّ باسم جُزْئِهِ .

(**فَقَاتَلَ بِهِ**) حتَّى فتح الله على رسوله ﷺ ، وكان ذلك السَّيف يسمَّى : العَوْن ـ بفتح المهملة وإسكان الواو وبالنون ـ (**ثُمَّ لَمْ يَزَلْ**) السَّيف (**عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ المَشَاهِدَ**) ، وشهد أُحداً والخندقَ وسائِرَ المشاهِدِ مَعَ رسول الله ﷺ ؛ وكان من أَجمل الرِّجال ، واستمر ذلك السَّيف معهُ (**إِلَىٰ أَنِ ٱسْتُشْهِدَ**) في قتالِ المرتدِّينَ زمنَ

وَدَفَعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ ـ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ ـ عَسِيبَ نَخْلٍ ، . . . .

أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ؛ قتله طلحةُ بن خويلد الأسدي ـ وله أربع وأربعون سنة ـ رضي الله تعالى عنه ؛ روى عنه أبو هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(وَ) عدُّوا في معجزاته ﷺ أنَّه (دَفَعَ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ) ـ بتقديم الجيم علىٰ الحاء المهملة ـ وهو أبو محمَّد ؛ عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرَّة بن كثير بن غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة الأسدي .

أُمُّه آمنة بنت عبد المطَّلب ، عمَّة رسول الله ﷺ ، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دَار الأَرقم ، وهاجر الهجرتين إلىٰ أرضِ الحبشة ؛ هو وأخوه أبو أحمد وعبيد الله وأختهم زينب بنت جحش أمُّ المؤمنين ، وأمّ حبيبة وحمنة بنات جحش ، فأمَّا عبيد الله فتنصَّر ؛ ومات بالحبشة نصرانياً .

وهاجر عبد الله ، وأخوه أبو أحمد ، وأهله إلىٰ المدينة ، وأمَّره رسول الله ﷺ علىٰ سريَّة ، وهو أوَّلُ أمير أمَّره ، وغنيمتُه أوَّل غنيمةٍ في الإسلام .

ثمَّ شهد بدراً واستشهد يوم أُحد ، وكان من دعائه يوم أُحد : أن يقاتل ويستشهد ويقطع أنفه وأذنه ويُمثَّل به في الله ورسوله ﷺ ، فاستجاب الله دعاءَه فاستشهد وعَمِلَ الكُفَّارُ به ذلك ، وكان يقالُ لَهُ : المجَدَّعُ في الله تعالىٰ ، وكان عمره حين اسْتُشْهِدَ نَيِّفاً وأربعينَ سنةً ، ودُفِنَ هو وخالُهُ حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد ، رضي الله تعالىٰ عنهما .

قال الزُّبَيْرُ بن بكَّار : وأعطاه رسول الله ﷺ (يَوْمَ أُحُدٍ ـ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ ـ) ؛ أي : انقطع في أثناء القِتال وانكسر ؛ أعطاه (عَسِيْبَ نَخْلٍ) ؛ أي : عرجون نخلة ، وإنْ كان العسيبُ هو الجريدَةُ من النَّخل ، مستقيمةٌ دقيقةٌ يُكْشَطُ خَوْصُهَا ، لكنَّ المرادَ هُنَا العُرْجُونُ ، كما ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بكَّارٍ .

فَرَجَعَ فِي يَدِهِ سَيْفاً . وَكَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْبَةٌ يُمْشَىٰ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَإِذَا صَلَّىٰ . . رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَايَتُهُ سَوْدَاءُ ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضُ .

(فَرَجَعَ) ؛ أي : فعاد (فِي يَدِهِ سَيْفاً) فقاتل به حتى قُتِلَ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قتله أبو الحكم بن الأَخْنَسِ بْنِ شريْقٍ الثَّقَفِي ، ثمَّ قَتَله عليُّ بن أبي طالب بعده ، وكان ذلك السَّيف يُسَمَّىٰ العُرْجُون ، باسم أصله قبل الآية الباهرة ، ولم يزل يتوارث حتىٰ بِيعَ من « بُغَا » التُّرْكِي من أُمَراءِ المُعْتَصِم بِاللهِ إبراهيم ، الخليفة العبَّاسيّ في بغداد ، بمائتي دينار ، وهذا نحو حديث عكَّاشة ؛ لأنَّ سيفَ عكَّاشةَ يسمَّى العَوْنُ ، وهذا يسمَّىٰ العُرْجُون .

(وَ) أخرج الطَّبراني في « الكبير » ، عن عصمة بن مالك قال :

(كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَرْبَةٌ) ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الرَّاء ، ثمَّ باء موحّدة ، آخره هاء ـ: رمح قصير يشبه العُكَّازة ، وهي المسمَّاة بـ« العَنَزة » ، (يُمْشَىٰ بِهَا) ـ بالبناء للمفعول ـ (بَيْنَ يَدَيْهِ) ، أي : يحملها شخص علىٰ عاتقه ، (فَإِذَا صَلَّىٰ رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ) فيتخذها سترة يصلي إلَيْها إذَا كان في غير بِنَاءٍ ، فإذا رآها شخصٌ مَرَّ مِنْ خَلْفِها ، وكان يمشي بها ، أي : يتوكَّأ عليها أَحياناً ، وكان له حراب غيرها أيضاً .

(وَ) أخرج التِّرمذيُّ ، وابن ماجه ، والحاكم ؛ في « الجهاد » ؛ عن ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال : (كَانَ) رسول الله (ﷺ رَايَتُهُ) تسمَّىٰ : العقاب ، كما ذكره ابن القيِّم . وكانت (سَوْدَاءَ) ؛ أي : غالب لونِها أسود ، بحيث ترىٰ من بُعدٍ سوداء ، لا أنَّ لونها أسود خالص ، (وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضُ) قال ابنُ القيِّم : ربما جعل فيه السَّواد . انتهىٰ .

وهذا الحديث رواه الحاكم وسكت عنه ولم يصحِّحه، لأنَّ فيه يزيدَ بن حبَّان، مضعَّفٌ ؛ وقيل : بل هو مجهول الحال . وساقه ابن عدي من مناكير حبَّان بن عبيد الله .

نعم ؛ رواه التّرمذيُّ في «العِلَلِ» ؛ عن البراء ، من طريق آخر بلفظ : كانت سوداء مربَّعة من نمرة ، ثمَّ قال : سألت عنه محمَّداً ـ يعني : البخاري ـ فقال : حديث حسن . انتهىٰ .

ورواه الطَّبرانيُّ باللَّفظ المذكورِ من هذا الوجْهِ وزاد : مكتوبٌ عليه : لا إله إلاَّ الله ؛ محمَّد رسول الله . انتهىٰ .

والرَّاية : العَلَم الكبير ، واللِّواء : العلم الصَّغير ، فالرَّاية هي الَّتي يتولاَّها صَاحبُ الحَرب ويقاتل عليها ، وإلَيْها تميل المقاتلة .

واللِّواء : علامةُ كبكبة الأمير تدور معه حيث دار ؛ ذكره جمعٌ .

وقال ابن العربي : اللِّواء : ما يعقد في طرف الرُّمح ويكون عليه . والرَّاية : ما يُعقد فيه ويترك حتَّى تصفِّقه الرِّياح . انتهىٰ « مناوي » .

وفي « الحفني ؛ علىٰ الجامع » : الراية : ما يربط في الرُّمح ، تضربه الرياح ، وهي إلىٰ النِّصف أو أكثر ، بخلاف اللِّواء ؛ فهو ما يربط صغيراً في أعلىٰ الرُّمح ، ويكون مع السُّلطان أو أمير الجيش ليجتمع له الجيش عند القِتال . انتهىٰ .

(وَ) أخرج التِّرمذي في « الجامع » و« الشمائل » ؛ (عَنْ) أبي عبد الله (الزُّبَيْرِ) ـ بضمِّ الزَّاي مصغَّراً ـ (بْنِ العَوَّامِ) ـ بتشديد الواو ـ بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّىٰ بن قصي القرشيّ الأَسديّ المدنيّ ، يلتقي مع رسول الله ﷺ في قصّي .

أُمُّه صفيَّة بنت عبد المطَّلب ؛ عمَّة رسول الله ﷺ ، أسْلَمت وهاجرت إلىٰ المدينة ؛ أسلم الزُّبَيْرُ قديماً في أوائل الإسلام ؛ وهو ابن خمس عشرة سنة في قول . وكان إسلامه بعد إسلام أبي بكر الصِّديق بقليل ، فكان رابعاً أو خامساً .

وهو أحد العَشْرة المشْهُود لهم بالجَنَّة ، وأحد السِّتَّة أصحاب الشُّورىٰ ، وهاجر إلىٰ الحبشة ثمَّ إلىٰ المدينة ، وآخىٰ النَّبِيُّ ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخىٰ بين المُهَاجِرينَ بمكَّة ؛ فلما قدمَ المدينةَ وآخىٰ بين المهاجرينَ والأَنصارِ آخىٰ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وَقْش .

رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : كَانَ عَلَىٰ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ ، فَنَهَضَ إِلَىٰ ٱلصَّخْرَةِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ . . .

وكان الزُّبيرُ أوَّل من سلَّ سيفاً في سبيل الله ، وشهد بدراً وأُحداً والخندقَ والحديبيةَ وخيبرَ وفتحَ مكةٍ وحصارَ الطَّائِفِ والمشَّاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ ، وشهد اليَرموك وفتحَ مصر ، ومناقِبُه كثيرةٌ جَمَّةٌ .

وكان الزبير رضي الله عنه يوم الجَمَل قَدْ ترك القِتَال وانصرفَ ، فلحقه جماعةٌ من الغُوَاةِ ؛ فَقَتَلُوهُ بوادي السِّبَاعِ بناحية البصرة ـ وقبره هناك ـ في جمادىٰ الأولىٰ سنة : ـ ٣٦ ـ ستٍّ وثلاثين ، وكان عمره حينئذ سبعاً وستِّينَ سنة . وقيل : ستّاً وستِّينَ . وقيل : أربعاً وستِّينَ .

(رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ) وأرضاه ، وعَنْ سائر أصحاب رسول الله ﷺ .

(قَالَ : كَانَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ) ـ أي : في يوم وقعة أُحُد ـ (دِرْعَانِ) . زاد في رواية : درعه ذات الفضول ، ودرعه فضَّة ، وكان عليه يومَ حنين دِرعان : ذات الفضُولِ والسُّغدية ، ولم يظاهر بين درعين إلاَّ في هذين اليومين .

(فَنَهَضَ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ) ، أي : أَسْرع متوجِّهاً نحوها ليعلوَها فيراه المُسْلمون ؛ فيعلمون حياته ؛ فيجتمعون عليه . يُقَالُ : نهض عن مكانه ؛ إذا قام عنه ، ونهض إلىٰ العدو ؛ أَسْرَعَ إِلَيْهِ ، وَنَهَضَ إلىٰ فلانٍ ؛ تَحرَّكَ إِلَيْهِ بالقيام .

(فَلَمْ يَسْتَطِعْ) ؛ أي : فلم يقدر علىٰ الارتفاع علىٰ الصَّخرة لضعفٍ طرأ عليه بسبب ما حصلَ له من شجٍّ رأسِهِ وجبينه الشَّريفِ ، واستفراغِ الدَّمِ الكثيرِ منهُما . وقيل : لثقلِ دِرْعِهِ الدَّالِّ عَلىٰ نَفَاسَتِهِ وَقُوَّتِهِ ومزيد مَنْعِهِ لِمَا يَحْصُل لصاحِبِهِ . وقيل : لعلوِّ الصَّخرة . والأظهر : الأوَّل .

(فَأَقْعَدَ) ؛ أي : أجلس (طَلْحَةَ) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعدِ بن تيم بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب ؛ أبو محمد القرشي ، التيمي ، المكِّي ، المدنيّ .

تَحْتَهُ ، وَصَعِدَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ ٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ ٱلصَّخْرَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَوْجَبَ طَلْحَةُ » ـ أَيْ : فَعَلَ فِعْلاً أَوْجَبَ لِنَفْسِهِ بِسَبَبِهِ ٱلْجَنَّةَ .

أحد العشرة الَّذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنَّة ، وأحد الثَّمانية السَّابقين إلىٰ الإسلام ، وأحد الخَمسةِ الَّذين أسلموا علىٰ يد أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ الله عنه ، وأحد السِّتَّة أصحاب الشُّورىٰ .

وسَمَّاه رسول الله ﷺ : « طَلْحَة الخَيْر » ، و« طَلْحَة الجُود » ، وهو من المهاجرين الأَوَّلين ، ولم يَشْهَد بدراً ، ولكنْ ضَرَبَ له رسول الله ﷺ بِسَهْمِهِ وأجره كَمَنْ حَضَر . وَشَهِدَ أُحداً وما بعدها مِنَ المشَاهد .

وروي له عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثونَ حديثاً ؛ اتفق البخاريُّ ومُسْلِمٌ على حديثينِ ، وانفرَد البخاريُّ بحديثينِ ، وانفردَ مسلمٌ بثلاثةٍ .

وَقُتِلَ يومَ الجُمُعَةِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ من جمادىٰ الأُوْلىٰ سنة : ـ ٣٦ ـ ستٍّ وثلاثينَ . وهذا لا خلاف فيه ، وكان عمره أربعاً وستِّين سنَةً ، على خلاف في ذلك ، وقبره بالبَصرة مشهورٌ يزارُ ويتبرَّك به ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

(**تَحْتَهُ**) فصار طلحة كالسُّلَّم ؛ (**وَصَعِدَ**) ـ بكسر العين ـ (**النَّبِيُّ** ﷺ) ؛ أي : فوضع رجله فوقه وارتفع (**حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ**) ؛ أي : استقرَّ عليها .

(**قَالَ**) ـ أي : الزُّبير ـ : (**سَمِعْتُ النَّبِيَّ** ﷺ **يَقُولُ** : « **أَوْجَبَ طَلْحَةُ** ») ـ رضي الله تعالى عنه ـ (**أَي : فَعَلَ فِعْلاً**) هو إعانتَه له ﷺ على الارتفاع على الصَّخرة الَّذي ترتَّب عليه جَمْعُ شمل المسلمين وإدخال السُّرور يومئذٍ على كلِّ حزينٍ .

و(**أَوْجَبَ لِنَفْسِهِ بِسَبَبِهِ الجَنَّةَ**) ، ويحتمل أنَّ ذلك الفعل هو جعله نفسه فداءً له ﷺ ذلك اليومِ حتَّى أُصيب ببضعٍ وثمانينَ طعنةً ، وشَلَّتْ يده في دفع الأَعداء عنه ، ولا مانع من إرادة الجميع ؛ وكان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إذا ذكر أُحداً

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةُ أَدْرُعٍ ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ :
دِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْفُضُولِ) ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِطُولِهَا .
وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْوِشَاحِ) . وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْحَوَاشِي) . وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (فِضَّةَ) . وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ٱلسُّغْدِيَّةَ)؛

قال : ذلك يوم كان كلُّه لطلحة رضي الله تعالى عنه .

(**وَكَانَ لَهُ ﷺ سَبْعَةُ أَدْرُعٍ**) ؛ جمع درع ـ بكسر الدَّال المهملة وسكون الرَّاء ، وفي آخره عين مهملة ـ: جبَّةٌ من حديدٍ تُصْنَعُ حِلَقاً حِلَقاً ، وتلبس للحرب ، وهي الزَّرْديَّة ؛ كما قال ابن الأَثير .

والدِّرع مؤنَّثَةٌ في الأكثر ، وقد تُذَكَّر ، وتجمع على أدرع ، ودروع ، وأدراع ، (**فَقَدْ كَانَ لَهُ دِرْعٌ تُسْمَىٰ** : « **ذَاتَ الفُضُولِ** ») ـ بالضَّاد المعجمة قبلها فاء مضمومتين ـ (**سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِطُولِهَا**) ؛ من الفضل : الزِّيادة .

أرسل بها إليه سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حينَ سار إلى بدر ، وهي الَّتي رَهَنها عند أبي الشَّحم اليهودي ، على ثمن شعير اشتراه لأهْله ، وكان ثلاثين صاعاً ، وكان الدَّينُ إلىٰ سنة .

(**وَ**) كان له (**دِرْعٌ تُسْمَىٰ** : « **ذَاتَ الوِشَاحِ** ») ـ بكسر الواو وخفَّة الشِّين المعجمة ، فألف فمهملة ـ

(**وَ**) كان له (**دِرْعٌ تُسْمَىٰ** : « **ذَاتَ الحَوَاشِي** ») ـ جمع حاشية ـ وهي في الأصل جانب الثوب .

(**وَ**) كان له (**دِرْعٌ تُسْمَىٰ** : « **فِضَّةَ** ») ـ بكسر الفَاء ـ أصابها من بني قَيْنُقَاعٍ ؛ بطنٌ من يهودِ المدينة .

(**وَ**) كان له (**دِرْعٌ تُسْمَىٰ** : « **السُّغْدِيَّةَ** ») ـ بضمِّ السِّين والغين المعجمة السَّاكنة ودال مهملة ، ويقال : بفتح السِّين وإسكان العَيْن ودال مهملات ، قال بعضهم : بالعَين المهملة ، منسوبةٌ للسَّعْد ؛ وهي جبال معروفةٌ .

قِيلَ : هِيَ دِرْعُ سَيِّدِنَا دَاوُودَ ٱلَّتِي لَبِسَهَا لِقِتَالِ جَالُوتَ .

وَدِرعٌ تُسْمَىٰ : (ٱلْبَتْرَاءَ) . وَدِرْعٌ تُسْمَىٰ : (ٱلْخِرْنِقَ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ .

وفي « معرَّب » الجواليقي : إنَّه بالسين والصّاد لأنَّه قياس في كلِّ سين معها حرف استعلاء ـ وقد أَصابها النَّبيُّ ﷺ من بني قَيْنُقَاعٍ ـ وهي درع عكبر القَيْنُقَاعِي .

و(قِيْلَ : هِيَ دِرْعُ سَيِّدِنَا دَاودَ الَّتِي لَبِسَهَا لِقِتَالِ جَالُوتَ) الكافر ؛ كما حكاه اليَعمري ومُغْلطاي .

(وَ) كان له (دِرْعٌ تُسْمَىٰ : « البَتْراءَ ») ـ بفتح الموحَّدة وسكون الفوقيَّة والمدّ ـ سُمِّيت بذلك لقصرها .

(وَ) كان له (دِرْعٌ تُسْمَىٰ : « الخِرْنِقَ ») ـ بكسر الخاء المعجمة وإسكان الرَّاء وكسر النُّون وقاف ـ سميت باسم ولد الأَرْنب ؛ كما في « العيون » وغيرها .

(وَ) أخرج البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والتِّرمذي والنَّسائي وابْنُ ماجه والتِّرمذيُّ في « الشَّمائِل » ـ واللفظ له ـ كلُّهم ؛ من طريق مالك ؛ عن الزُّهري .

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) ـ وتقدمت ترجمته ـ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ) يوم الفتح (وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ) ، ولا يعارضه ما مرَّ من أنَّه دخل مكَّة وعليه عِمامةٌ سوداء !! لأنَّه لا مانع من أنَّه لَبِسَ العمامة السَّوداء فوق المِغْفر ، أو تحته ؛ وقايةً لِرأسِهِ من صدأ الحديد ، ففي روايةِ « المغفر » الإشارةُ إلىٰ كونه مُتأَهِّباً للقِتَالِ ، وفي رواية « العمامةِ » الإشارة إلىٰ كونه دخل غيرَ محرم ؛ كما صرَّح به القُسْطُلاَّني .

فَإِنْ قلتَ : دخولُ مكَّة وعليه المغفر يشكل عليه خبر « لاَ يَحِلُّ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاَحَ » . رواه مسلم ؛ عن جابر رضي الله تعالى عنه !!

وَ(ٱلْمِغْفَرُ) ـ بِوَزْنِ مِنبَر ـ زَرَدٌ مِنْ حَدِيدٍ يُنْسَجُ بِقَدْرِ ٱلرَّأْسِ يُلْبَسُ تَحْتَ ٱلْقَلَنْسُوَةِ .

قُلْتُ : لا إِشكالَ ؛ لأنَّه محمولٌ على حمله في قتالٍ لغيرِ ضرورةٍ ، وهذا كان لضرورة ، على أنَّ مكَّة أحِلَّت لَهُ ساعةً من نهارٍ ، ولم تحلّ لأَحد قبله ولا بعده . أمَّا حمله فيها في غير قتالٍ ! فهو مكروهٌ . والله أعلم .

(**وَالمِغْفَرُ**) ـ بكسر الميم وفتح الفاء ـ (**بِوَزْنِ مِنْبَر**) ؛ من الغَفْر ، وهو السَّتر ، والمراد به هنا : (**زَرَدٌ مِنْ حَدِيْدٍ يُنْسَجُ بِقَدْرِ الرَّأْسِ يُلْبَسُ تَحْتَ القَلَنْسُوَةِ**) ، وفي « المغرب » : ما يُلْبَس تحت البيضة ، ويطلق على البيضة أيضاً .

وفَرَّق بعضهم بين المِغفر والبيضة ؛ بِأَنَّ المِغفر يُشْبِه القَلَنْسُوَة ، وربَّما يكون في حديدة تنزل على الأنف ، وفي البيضة طول .

زاد الدَّارقطني في « الفوائد » والحاكمُ في « الإكليل » : من حديد ، وفي طرفها الأَعلىٰ احديداب قريبَ بيضة النَّعامة ، ولها حِلَق تنزل إلىٰ العنق والكَفَّيْنِ والصَّدرِ .

وزعم بعض أهل السِّيَرِ أنَّ لِلنَّبي ﷺ مِغفرين يقال لأحدهما : الوشح ، وللآخر : السّبوع . وقال بعضهم : كانت له بيضة ، وكانت في رأسه يوم أُحد .

وينبغي أن يعلمَ أن الدُّروع والبيضة والمِغفر من جملة السِّلاح ؛ لأنَّ السِّلاح يُطْلق على ما يقتل به ، وعلى ما يدفع به ، وهؤلاء مما يدفع بها ؛ كما تقدم في أوَّل الباب . والله أعلم .

* * *

اَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

كَانَ مِنْ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَمِّيَ سِلاَحَهُ وَدَوَابَّهُ وَمَتَاعَهُ

كَانَ ٱسْمُ رَايَتِهِ : (اَلْعُقَابَ) ، وَكَانَتْ سَوْدَاءَ ، . . . .

(الفَصْلُ السَادِسُ)

من الباب الثَّالث :

(كَانَ مِنْ خُلُقِهِ ﷺ)

- الخُلُق - بضمَّتين -: الصُّورة الباطنة مِنَ النَّفْسِ وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها .

(**أَنْ يُسَمِّيَ سِلاَحَهُ**) : (كل عدَّة في الحرب . (**وَدَوَابَّهُ**) - جمع دابَّة ؛ وهي لغةً : كل ما يَدِبُّ على الأَرْضِ . وعرفا : اسم لِذات الأربع ؛ كما قال المحلي - (**وَمَتَاعَهُ**) المتاع - في اللُّغة -: كل ما يُنْتَفَعُ بِهِ كالطَّعام والبَزِّ وأثاثِ البَيْتِ ؛ وأَصْلُ المتاع ما يتبلغ به من الزَّاد ؛ وهو اسمٌ من مَتَّعْتُهُ بِالتَّثْقِيْلِ إِذا أَعْطَيْتَهُ ذَلِكَ ، والجمعُ : أَمْتِعَةٌ ؛ ذكره في « المصباح » . وهذه التَّرجمةُ قطعةٌ من حديث رواه الرُّوياني ، وابن عساكر ؛ عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما : كان يلبس القَلانس تَحتَ العَمائِم . . . الحديث . وفي آخره : وكان من خُلُقِهِ أَنْ يُسَمِّي سلاحه ودوابَّه ومتاعَهُ ؛ أي : كما كان يسمِّي قميصَه ورداءه وعمامته ؛ قال في « شرح الإحياء » .

قال الإمام الشَّعراني في « كشف الغُمَّة » كالغزالي في «الإحياء» :

(**كَانَ اسْمُ رَايَتِهِ** ﷺ « **العُقَابَ** ») - بضمِّ العين المهملة - رواه ابن عدي ؛ من حديث أبي هريرة بسندٍ ضعيفٍ : كانت راية رسول الله ﷺ سوداءَ تسمَّى العُقاب . ورواه أبو الشَّيخ ؛ من حديث الحسن مرسلاً ؛ قاله العراقيُّ . **قلت** : وكذلك رواه ابن سعد في « الطبقات » . انتهى شرح « الإحياء » .

(**وَكَانَتْ سَوْدَاءَ**) مربَّعة ؛ أي : غالب لونها أَسودُ ، بحيث تُرىٰ من بعيد

وَمَرَّةً كَانَ يَجعلُهَا صَفْرَاءَ ، وَمَرَّةً بَيْضَاءَ فِيهَا خُطُوطٌ سُودٌ .

وَكَانَ ٱسْمُ خَيْمَتِهِ : (ٱلْكِنَّ) . وَقَضِيبِهِ : (ٱلْمَمْشُوق) .

وَٱسْمُ قَدَحِهِ : (ٱلرَّيَّانَ) . وَرَكْوَتِهِ : (ٱلصَّادِرَ) . وَسَرْجِهِ : (ٱلرَّاجَّ) . وَمِقْرَاضِهِ : (ٱلْجَامِعَ) .

سوداء ؛ لا أَنَّها لونها أسودُ خالصٌ ؛ كما قاله الطيبي .

(**وَمَرَّةً كَانَ يَجْعَلُهَا صَفْرَاءَ**) . روىٰ أبو داود ؛ عن رجل : قال رأيْتُ رَايةَ رسول الله ﷺ صفراءَ ، (**وَمَرَّةً بَيْضَاءَ فِيهَا خُطُوطٌ سُودٌ**) تسمَّى الزِّينة .

وقد تقدَّم في الفصل الخامس من حديث ابن عبّاس أنَّ رايته سوداء ، ولواءَه أبيضُ ، وهناك مزيد كلام علىٰ الرَّاية واللِّواء ، والفَرْقِ بينهما .

(**وَكَانَ اسْمُ خَيْمَتِهِ** : « **الكِنَّ** ») ـ بكسر الكاف ـ لأنّه يسْتُرُ مِنَ الحرِّ والبرد ، كما أشار له اليعمري .

(**وَ**) كان اسم (**قَضِيبِهِ**) ـ وهو غصنٌ مقطوعٌ من شجرة شوحط ـ يُسمَّىٰ : (« **المَمْشُوقَ** ») ، قيل : وهو الَّذي كان الخلفاء يتداولونه ، وسيأتي ذكره في حديث ابن عبّاس الآتي .

(**وَ**) كان (**اسْمُ قَدَحِهِ**: «**الرَّيَّانَ**») ـ بفتح الراء وشد التَّحتيَّة ـ وله عدة أقداح .

(**وَ**) كان اسم (**رَكْوَتِهِ**) ـ بفتح الرَّاء وسكون الكاف ، بعدها مثنَّاةٌ فوقيَّةٌ ، وحي كسرُ الرَّاء ، وحكي ابن دحيَةَ تثليثَ الرَّاء ـ (« **الصَّادِرَ** ») ؛ لأنه يصدر عنها الريُّ ، أي : رِيُّ الشَّارب منها ، وسيأتي ذكرها في حديث ابن عبَّاس الآتي .

(**وَ**) كان اسم (**سَرْجِهِ**) ـ بالجيم ـ وهو رحل الدَّابة معروف ، وهو عربي ، وفي « شفاء العليل » : إنَّه معرَّب سرك ، (« **الرَّاجَّ** ») ـ بالرَّاء المهملة والجيم آخره ـ وسيأتي في حديث ابن عباس .

(**وَ**) كان اسم (**مِقْرَاضِهِ**) ـ بكسر الميم وضاد معجمة ـ وهو المسمَّىٰ بالمقص (« **الجَامِعَ** ») ، وسيأتي في حديث ابن عبَّاس .

وَسَيْفِهِ ٱلَّذِي كَانَ يَشْهَدُ بِهِ ٱلْحُرُوبَ : (ذُو ٱلْفِقَارِ) .
وَكَانَتْ لَهُ أَسْيَافٌ أُخَرُ .

(وَ) كان اسم (سَيْفِهِ الَّذِيْ كَانَ يَشْهَدُ بِهِ الحُرُوبَ : « ذَو الفِقَارِ) ـ بفتح الفاء وكسرها ـ قال ابن القيِّم : تَنَفَّلَهُ من بدرٍ ، وهو الَّذي أُرِيَ فيهِ الرُّؤْيا ، ودخل به يوم فتحِ مكَّة ، وكانتْ أَسْيَافُهُ سبعةً ، وهذا أَلْزَمُهُ لَهُ .

وقال الزَّمخشري : سمِّي ذَا الفِقَارِ ؛ لأَنَّه كانت في إِحدىٰ شَفْرَتَيْهِ حُزوز شبِّهت بفقار الظَّهْرِ ، وكان هذا السَّيف لمنبِّه بن الحجَّاج ، أو منبِّه بن وهب ، أو العاص بن منبِّه ، أو الحجَّاج بن علاط ، أو غيرهم ؛ ثمَّ صار عند الخلفاء العبَّاسيين .

قال العراقي : روىٰ أبو الشَّيخ ؛ من حديث عليٍّ بن أبي طالب : كان اسم سيفِ رسول الله ﷺ ذَا الفِقارِ . ولِلتِّرمذيّ ، وابن ماجه ؛ من حديث ابن عبّاس أنَّه ﷺ تنَفَّل سيفه ذَا الفقار يوم بدرٍ . ولِلحاكم ؛ من حديث علي ؛ في أثناء حديثٍ : وسيفه ذو الفقار . وهو ضعيفٌ . انتهىٰ .

قال الأصمعيُّ : دخلت علىٰ الرَّشيد فقال : أريكم سيف رسول الله ﷺ ذَا الفَقار ؟ قلنا : نعم ، فجاء به ، فما رأيت سيفاً أَحسنَ منه إِذا نصب لم يُرَ فيه شيءٌ ، وإِذَا بُطِحَ عُدَّ فيه سَبْعُ فِقَرٍ ، وإِذَا صَفِيحَتُهُ يَمانِيَّةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فيه من حُسْنِهِ .

وقال قاسم بن ثابت بن حزم الأَندلسي الفقيه المالكي المتوفَّىٰ سنة : ـ ٣٠٢ ـ اثنين وثلاثمائة في « الدلائل » :

إنَّ ذلك كان يُرىٰ في رونقه شبيهاً بفقار الحيَّة ، فإذا التمس لم يوجد ، وله ذِكر في حديث ابن عبّاس الطَّويل ، وسيأتي في المتن . وقد تقدَّم في الفصل الخامس كلام في ذي الفِقار بعضُه غير مذكور هنا .

(وَكَانَتْ لَهُ) ﷺ (أَسْيَافٌ) سِتَّةٌ (أُخَرُ) ـ بضمِّ الهمزة وفتح الخاء ـ ممنوعٌ من الصَّرْفِ للصفة وَالعَدْلِ ، كما قال ابن مالك :

ومَنْـعُ عَـدْلٍ مَـعَ وَصْـفٍ مُعْتَبَـر   فِـي لَفْـظِ مَثْنَـىٰ وَثُـلاَثَ وَأُخَـر

وَكَانَتْ لَهُ مِنْطَقَةٌ مِنْ أَدَم ، فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ .

وَكَانَ ٱسْمُ جَعْبَتِهِ : (ٱلْكَافُورَ) .

وَٱسْمُ نَاقَتِهِ : (ٱلْقَصْوَاءَ) ؛ . . . .

وبذي الفِقار تَصير أَسيافُه ﷺ سبعةً ، وقد تقدَّمت مفصلةً في الفصل الخامس .

(**وَكَانَتْ لَهُ**) ﷺ (**مِنْطَقَةٌ**) ـ بكسر الميم ـ: اسم لِما يسمِّيه النّاس الحياصة . ويقالُ له : العَرَقة ـ بعين مهملة مفتوحة وراء مفتوحة وقاف مفتوحة آخره تاء مربوطة ـ (**مِنْ أَدَمٍ**) ـ بفتحتين ـ جلد (**فِيْهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ**) ، والإبزيمُ من فضَّةٍ ، والطرف الَّذي يدخل في الإبزيم من فضَّة .

وقد ذكر ابن سعد وغيره : أنَّه ﷺ يومَ أُحُدٍ حزم وسطه بمنطقة ؛ وأَقَرَّهُ اليعمري وغيره ، فقول ابن تيمية « لم يبلغنا أنَّه شَدَّ علىٰ وسطه منطقةً » !! تقصيرٌ ، فابن سعدٍ ثِقَةٌ حافظٌ ، فهو حُجَّةٌ علىٰ النَّافِي ، ولا سيَّما أنَّما نَفىٰ أنَّه بلغه ، ولم يطلق النَّفيَ ؛ فدع عنك قيل وقال . انتهىٰ « زرقاني » .

(**وَ**) في « الإحياء » و« المواهب » و« كشف الغمة » : (**كَانَ اسْمُ جَعْبَتِهِ**) ـ بفتح الجيم والموحّدة بينهما عين مهملة ساكنة ـ وهي الكنانة يجمع فيها نبله : (« **الكَافُورَ** ») .

قال العراقي : لم أجد له أصلاً ، وفي حديث ابن عبّاس عند الطَّبراني أنَّه كان له قوسٌ يسمَّى : «السَّداد» ، وكانت له كنانة تسمَّىٰ : «الجمع» ؛ ذكره في « شرح الإِحياء » . وسيأتي حديث ابن عبّاس الذي أشار إليه العراقي .

(**وَ**) كان (**اسْمُ نَاقَتِهِ**) ﷺ : (« **القَصْوَاءَ** ») ـ بفتح القاف والمدِّ علىٰ غير قياس ، والقياس القصرُ ؛ كما وقع في بعض نسخ أبي ذر في البخاري ـ قيل : وهي الَّتي هاجرَ عليها .

والقَصْوَاءُ : النَّاقَةُ الَّتي قُطِعَ طرف أُذُنِهَا ؛ وكل ما قطع من الأُذن فَهو : جدعٌ ،

وَهِيَ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا : (اَلْعَضْبَاءُ) .

فَإِذَا بَلَغَ الرُّبُعَ فَهُو : قَصْوَىٰ ، فَإِذَا جَاوَزَ فَهُوَ : عَضْبٌ ، فَإِذَا اسْتُؤْصِلَتْ فَهُوَ : صَلْمٌ .

قال ابن الأثير : ولم تكن ناقة النَّبيِّ ﷺ قَصْوا بهذا المعنىٰ ، وإنَّما هُوَ لقبٌ لَهَا ، لُقِّبت بِهِ !! لأنَّها كانت غاية في الجري ، وآخرُ كلِّ شيء أقصاه .

وجاء في خبر أنَّ له ناقةً تسمَّىٰ : العَضْباءَ ، وهي : الَّتي كانت لا تُسْبَق ، فجاء أَعرابيٌّ علىٰ قَعودٍ له فسبقها ، فَشقَّ ذلك علىٰ المسلمين ، فقال عليه الصلاة والسَّلام : « إِنَّ حَقّاً عَلىٰ اللهِ أَنْ لاَ يَرْفعَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ » .

وجاء في خبر أنَّ له ناقةً تُسَمَّىٰ : الجَدْعَاءَ ـ بفتح الجيم وإسكان الدَّال المهملة بعدها عين مهملة ـ: هي المقطوعة الأَنْفِ ، أو الأُذُنِ ، أو الشَّفَةِ .

فقول الشَّامي : إنَّ الجذْعاء ـ بالذَّال المعجمة ـ سبق قلم ؛ والعَضْبَاءُ وَالجَدْعَاءُ لَقَبٌ لَهُمَا ، ولم يكن بهما عَضْبٌ وَلاَ جَدْعٌ .

وهذه الأَوصاف الثَّلاثَةُ يُحْتمل أَنْ تكون صِفَةً لناقةٍ واحدةٍ فسمَّىٰ كلٌّ بما تخيَّل إليه فيها ، ويحتمل أنَّ كلَّ واحدة صفةُ ناقةٍ مفردةٍ .

(وَ) قال المصنِّف تبعاً لأصله « الإحياء » و« كشف الغمة » : إنَّ القَصْوَاءَ (**هِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا** : « **العَضْبَاءُ** ») ـ بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها موحَّدة ومدٌّ ـ هي المقطوعة الآذان أو المشقوقتها .

وقال ابن فارس : كان ذلك لقباً لها ، وقال الزَّمخشريُّ : العَضْبَاء : منقولٌ مِنْ قولِهم « نَاقَةٌ عَضْبَاءُ » ؛ أي : قصيرةُ القَدِّ .

قال في « الفتح » : اخْتُلِفَ ؛ هل العضباء هي القَصْوَاء أو غيرها ؟

فجزم الحربيُّ بالأَوَّل ، وقال تسمَّىٰ العضباء والقصواء والجدعاء . وروىٰ ذلك ابن سعد ؛ عن الواقديّ ، وقال غير الحربي بالثَّاني ، وقال : الجَدْعَاءُ كانت شَهْبَاءَ ، وكان لا يحملها[1] عند نزول الوحي غيرها . انتهىٰ .

---

(١) هكذا الأصل !! ولعل الصواب : يحمله .

وَكَانَ ٱسْمُ بَغْلَتِهِ : (دُلْدُلَ) . وَٱسْمُ حِمَارِهِ : (يَعْفُوراً) .

وعلىٰ القول الأوَّل جرىٰ العراقي في « أَلْفِيَّتِهِ » حيث قال :

عَضْبَاءُ جَدْعَاءُ هُمَا القَصْوَاءُ ....

لَكِنْ رَوَىٰ البَزَّارُ عَنْ أَنَسٍ : خَطَبَنا النَّبِيُّ ﷺ عَلىٰ العَضْبَاءِ ؛ وَلَيْسَتْ بِالجَدْعَاءِ . قَال السُّهيلي : فهذا من قول أنس أنَّها غير الجدعاء ، وهو الصَّحيح . انتهىٰ « زرقاني ومناوي » .

(وَكَانَ اسْمُ بَغْلَتِهِ : « دُلْدُلَ ») ـ بدالين مهملتين مضمومتين ولامين أولاهما ساكنةٌ ـ وكانت شهباءَ ؛ أي : بياضُها غالبٌ علىٰ سوادِها ، أَهداها له المقوقس ، قيل : وهي أول بغلةٍ رُؤيَتْ في الإِسلام ، وكان ﷺ يَرْكَبُهَا فِي السَّفر ، وعاشت بعده حتَّى كَبِرَتْ وسقطت أسنانُها ؛ وكان يجيش لها الشَّعير ، وعَمِيَتْ وَمَاتَتْ بِـ « يَنْبُعَ » ؛ ذكره الزَّرقاني علىٰ « المواهب » . وسيأتي لها ذكر في حديث ابن عبَّاس .

(وَ) كان (اسْمُ حِمَارِهِ : « يَعْفُوراً ») ـ بسكون العين المهملة وضمِّ الفاء مصروفٌ ـ قال الحافظ ابن حجر وغيره : هو اسم ولد الظَّبْي ، كأنَّه سُمِّي بذلك لسُرْعته ، وقِيل : تشبيهاً في عَدْوِهِ باليَعفورِ ؛ وهو الخشف ، أي : ولد الظَّبْي وولد البَقَرةِ الوحشيَّة .

ومات يعفور منصرفَ رسول الله ﷺ من حجَّة الوَداعِ ، وبه جزم النَّوويُّ ؛ عن ابن الصَّلاح . وقيل : طرح نفسه في بئرٍ لأبي الهيثم بن التَّيِّهان يوم مات ﷺ ، فكانت قبرَه ، وقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في « الضعفاء » وقال : لا أَصل له ، وليس سنده بشيء . وفيه : أنَّه غَنِمَه من خيبر ، وكان اسمه يزيد بن شهاب ، وقد ساقه القُسْطُلاَّنيّ في المعجزات :

وكان لرسول الله ﷺ حمار يقال له : عُفَير ، ثمَّ المشهورُ ؛ كما في « الألفيَّة » ـ وهو قول الجمهور ـ أنَّهما اثنان ، وقيل : هما واحد . قال في « الفتح » : زعمه ابن عبدوس ، وقَوَّاهُ صاحب « الهدي » ، وردَّه الدمياطي ؛ فقال : عفير أهداه

وَٱسْمُ شَاتِهِ ٱلَّتِي كَانَ يَشْرَبُ لَبَنَهَا : (غَيْثَةَ) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفٌ مُحَلًّى ، قَائِمَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَنَعْلُهُ ....

المقوقس ، ويعفور أهداه فَروة بن عمرو الجذامي ، وقيل : بالعكس . والله أعلم .

(وَ) قال المناوي في شرح « الجامع الصَّغير » ؛ عن العراقي : وفي حديث للطَّبراني : كان (**اسْمُ شَاتِهِ ٱلَّتِي كَانَ يَشْرَبُ لَبَنَهَا** : « **غَيْثَة** ») ـ بغين معجمة ومثلَّثة ، وقيل : غَوْثَة ؛ بواوٍ بدلَ الياءِ ـ.

وأخرج ابنُ سعدٍ في « طبقاته » : كانت منايحَ رسولِ الله ﷺ مِنَ الغنم سَبْعٌ : عَجوة ، وَسقيا ، وَبرَكَة ، وَزَمْزَم ، وَوَرْسَة ، وأَطْلَال ، وأَطْرَاف . وفي سَنده الواقديُّ . وله ؛ عن مكحول مرسلاً : كانت له شاة تسمَّى : قمر .

وذكر في « العيون » : أنَّ له شاةً تسمَّى : اليمن ؛ بل روى أبو داود : أنَّ له مائة شاةٍ لا يريد أنْ تزيد على ذلك كلَّما ولدت بُهَيمة دمج الرَّاعي مكانها شاةً .

(**وَفِي حَدِيْثٍ آخَرَ**) رواه الطَّبراني في « الكبير » ؛ من طريق عثمان بن عبد الرحمن ؛ عن علي بن عذرة الدِّمشقيّ ؛ عن عبد الملك بن أبي سليمان ؛ عن عطاء وعمرو بن دينار ؛ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما ـ.

وعليُّ بن عُذرة الدِّمشقي ! قال : الهَيثميُّ : متروك . وقال العراقيُّ : إنَّه نُسِبَ إلىٰ وَضْعِ الحَديثِ . وأَوْرَدَهُ ابن الجَوْزِي في « الموضوعاتِ » ، وقَالَ : عبد المَلكِ وعليّ وعثمان متروكون، ونُوزِعَ في عبد الملك بأنَّ الجماعة سِوَى البخاريِّ رَوَوا له ـ.

وهذا هو حديث ابنِ عبَّاس الموعودُ به ، وهو جامعٌ لكثيرٍ مما تقدَّم ؛ قال : (**كَانَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ سَيْفٌ مُحَلًّى**) بفضَّة ؛ أي : مُزَيَّنٌ بها لأَن التَّحْلِيةَ لم تَكُنْ عامةً لجميعهِ ؛ كما بَيَّنَهُ بقوله :

(**قَائِمَتُهُ**) ؛ أي : مقبضه (**مِنْ فِضَّةٍ ، وَنَعْلُهُ**) ؛ أي : الحديدةُ الَّتي في أسفل

مِنْ فِضَّةٍ ، وَفِيهِ حِلَقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَكَانَ يُسْمَىٰ : (ذَا ٱلْفِقَارِ) .

وَكَانَ لَهُ قَوْسٌ تُسْمَىٰ : (ذَا ٱلسَّدَادِ) .

وَكَانَتْ لَهُ كِنَانَةٌ تُسْمَىٰ : (ذَا ٱلْجُمْعِ) .

وَكَانَ لَهُ دِرْعٌ مُوَشَّحَةٌ بِنُحَاسٍ تُسْمَىٰ : (ذَاتَ ٱلْفُضُولِ) .

قرابه (مِنْ فِضَّةٍ ، وَفِيهِ حِلَقٌ) في وسطه (مِنْ فِضَّةٍ) . قال مرزوق الصَّقال : أنا صَقَلْتُه ؛ فكانت قبيعته من فضَّة وحلق في قيده ، وبكر في وسطه من فضه .

وجاء بسند حسن أنَّ قبيعة سيفه ونعله وحلقاً بينهما كانَتْ مِنْ فِضَّةٍ . انتهى «زرقاني» .

والقبيعةُ ـ بالقاف ـ: ما على طرف مقبضه . والبكر : الحلق الَّتي في حليته ، وهي ما يكون في وسطه .

(وَكَانَ يُسْمَىٰ : « ذَا الفَقَارِ ») ـ بفتح الفاء وفتح القاف ـ سُمِّيَ بِهِ !! لأنَّه كان فيه حُفَرٌ متساويةٌ .

(وَكَانَ لَهُ قَوْسٌ تُسْمَىٰ) ـ بمثناة فوقية مضمومة وسكون السِّين المهملة ؛ وكذا ما يأتي ، قاله المناوي ـ: (« ذَا السَّدَادِ ») ـ بفتح السِّين المهملة ـ علم منقولٌ ؛ لأَنَّه الصَّوابُ من قولٍ أو عملٍ .

قال ابن القَيِّم : وكان له ستَّةُ قِسِيٍّ ؛ هذا أَحدُها ، والزَّورَاء ، والكتوم كُسِرَتْ يَوْمَ أُحِدٍ ، وثلاثٌ مِنْ سلاح بَني قَيْنُقَاعٍ ؛ قوْسٌ تدعى : الرَّوْحَاءُ ، وقوس شَرْحَطُ تدعى : البَيْضَاءُ ، وقوس تدعى : الصَّفراء .

(وَكَانَتْ لَهُ كِنَانَةٌ) ـ بكسر الكاف ـ: جعبةُ السِّهام، وبها سُمِّيَت القبيلة ـ (تُسْمَىٰ: « ذَا الجُمْعِ ») ـ بضم الجيم وسكون الميم ـ. (وَكَانَ لَهُ دِرْعٌ) ـ بكسر الدَّالِ وسكونِ الرَّاء المهملتين ـ: هو القميص المتَّخذ من الزَّرد ـ (مُوَشَّحَةٌ) ـ بتشديد الشِّين المعجمة بعدها حاء مهملة ـ (بِنُحَاسٍ) ـ بضمِّ النُّون ـ؛ أي : موضوع فيها نحاس (تُسَمْىٰ : « ذَاتَ الفُضُولِ ») ، وهي التي رهنها عند أبي الشَّحم ، وكان له سبعة دروع هذه

وَكَانَ لَهُ حَرْبَةٌ تُسْمَىٰ : (اَلنَّبْعَاءَ) .

وَكَانَ لَهُ مِجَنٌّ يُسْمَىٰ : (اَلذَّفْنَ) .

وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَشْقَرُ يُسْمَىٰ : (اَلْمُرْتَجِزَ) .

وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يُسْمَىٰ : (اَلسَّكْبَ) .

أَحَدُها . وقد تقدَّم الكلام على أَدْرَاعِهِ في آخِرِ الفَصْلِ الخَامِسِ .

(**وَكَانَ لَهُ حَرْبَةٌ تُسْمَىٰ** : « **النَّبْعَاءَ** ») ـ بنون مفتوح فموحَّدة ساكنة فعين مهملة ، وقيل : بباء موحَّدة ، ثم نون ساكنة ، فعين مهملة ، وبالمدِّ ـ : شجر يُتَّخذ القِسِيُّ منه . قال ابن القَيِّم : وكان له حربةٌ أخرىٰ كبيرة تدعىٰ : البيضاء .

(**وَكَانَ لَهُ مِجَنٌّ**) ـ بكسر الميم وفتح الجيم ـ أي : ترسٌ ، سُمِّي به ! لأنَّ صاحبه يَستَتِرُ به ، وجمعه مجانٌ ككتاب (**يُسْمَىٰ** : « **الذَّفْنَ** ») ـ بفتح الذال وسكون الفاء وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء ـ .

(**وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَشْقَرُ**) ؛ أي : أحمر ، في حمرته صفاء ، (**يُسْمَىٰ** : « **المُرْتَجِزَ** ») ـ بضم الميم وسكون الرَّاء وفتح المثنَّاةِ الفوقيَّةِ وكسر الجيم بعدها زايٌ ـ سمِّي به لحسنِ صهيلِه ، مأخوذٌ من الرَّجْزِ الَّذي هو ضرب من الشِّعر .

قال في « العيون » : كأنَّه يُنْشِدُ رجزاً ؛ وكان أبيضَ .

قال النَّوويُّ في « التَّهذيب » : وهو الَّذي اشتراه من الأعرابي الَّذي شَهِدَ عليه خزيمةُ بن ثابت الأنصاري الأوسي ؛ فجعل شهادته شهادة رجلين .

(**وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ**) ؛ أي : أسود (**يُسْمَىٰ** : « **السَّكْبَ** ») ـ بفتح السِّين المهملة وإسكان الكاف ، وبالموحَّدةُ ـ سُمِّي به لأنَّه كثيرُ الجَرْي . وأَصْلُ السَّكْبِ : الصَبُّ ، فَاسْتُعِيرَ لِشِدَّةِ الجَرْيِ . قيل : وهذا أوَّلُ فَرَسٍ مَلَكَهُ ؛ كما في « تهذيب النووي » . قال : وكان أغرَّ مُحَجَّلاً طلق اليمين . وهو أوَّل فرَسٍ غزا عليه . وله عدة أفراس .

وَكَانَ لَهُ سَرْجٌ يُسْمَىٰ : (اَلرَّاجَّ) .

وَكَانَ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ تُسْمَىٰ : (اَلدُّلْدُلَ) .

(**وَكَانَ لَهُ سَرْجٌ يُسْمَىٰ** : « **الرَّاجَّ** ») ـ بالرَّاء المهملة والجيم آخره ـ ذكره في « شرح الراموز » .

(**وَكَانَ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ**) ـ بالمدِّ ـ أي : يغلب بياضها سوادها ، ومن ثمَّ أَطلق عليها عمرو بن الحارث الصَّحابيُّ أنَّها بيضاء ؛ كما في «الصَّحيح» ، وغيره .

وقال بعضهم : كانت بيضاء ، وقيل : شهباء .

(**تُسْمَىٰ** : « **الدُّلْدُلَ** ») ـ بدالين مهملتين مضمومتين ولامين أولاهما ساكنةٌ ؛ كقُنْفُذ ـ أهداها له المقوقس ، وعاشت بعده ﷺ حتى كَبِرت وسقطت أسنانها .

وفي « تاريخ ابن عساكر » من طرق أنَّها بَقِيت حتى قاتل عليها عليٌّ الخوارج في خلافته .

وفي البخاري وغيره عن عمرو بن الحارث : مَا ترك رسول الله ﷺ إلاَّ بغلتَه البيضاء وسلاحه ، وأرضاً تَرَكها صَدَقةً . قال شرَّاحه : هي دُلْدُلُ ، لأَنَّ أهل السِّيَر لم يذكروا بغلة بقيت بعده سواها ، وهل هذه البغلة المسمَّاة دُلْدُلَ أُنثى ؟ كما أجاب به ابن الصَّلاح ، أو ذكَرٌ ؛ كما نُقل عن إجماع أهل الحديث .

ويدلُّ له قوله ﷺ : « أُبْرُكْ دُلْدَلَ » . ولم يقل : ابركي ؛ قَاله الزرقاني .

وكان له بغلةٌ تسمَّى فضَّة ؛ أهداها له فروة بن عمرو الجذامي ، فوهبها لأبي بكر ؛ رواه ابن سعد ؛ وكانت بيضاء .

وهي الَّتي كان عليها يومَ حنين ؛ كما في « مسلم » ؛ عن العبَّاس : أنَّه ﷺ كان على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي .

وعند « مسلم » ؛ عن سَلمة : وكان على بغلتِه الشَّهباء . ولا منافاة ؛ وقيل : كان على دُلْدُلَ ؛ ذكره ابن سعد وغيره ؛ وجمع القطب الحلبي باحتمال أنَّه ركب كلاً

وَكَانَ لَهُ نَاقَةٌ تُسْمَىٰ : (اَلْقَصْوَاءَ) .

منهما يومئذٍ إنْ ثبت أنَّها كانت صحبته ، وإلاَّ فما في « الصَّحيح » أَصَحُّ .

وأغرب النَّوويُّ ؛ فقالَ : البيضاءُ والشَّهباء واحدةٌ ، ولا يعرف له بغلة غيرها . وتعقبوه بِدُلْدُل ، فقد ذكرها غير واحدٍ ، لكنْ قيل : إنَّ الاسْمَيْنِ لِوَاحِدَةٍ ، وهذا القيل زعمه ابن الصَّلاح ، وهو مردود ؛ بأَنَّ البيضاء الَّتي هي الشَّهباءُ أهداها له فروة بْنُ نفاثة ، ودُلْدُل أهداها له المقوقس . انتهى « زرقاني » .

وله ﷺ بغال غيرها ذكرها في « المواهب » ، و« فيضِ القدير » للمناوي و« شرح الإحياء » .

(**وَكَانَ لَهُ نَاقَةٌ تُسْمَىٰ** : « **القَصْوَاءَ** ») ـ بفتح القاف والمدِّ على غير قياس ، والقياس القصر ؛ كما وقع في بعض نسخ البخاريِّ روايةُ أبي ذر ـ والقَصْو : قطع طرف الأُذن . وقد قيلَ : كان طرف أُذنها مقطوعاً . وزعم الدَّاوودي شارح البُخاريّ : أنَّها كانت لا تُسبق ، فقيل لها : القصواءُ لأَنَّها بلغت من السَّبق أقصاه .

قال القاضي عياض : ووقع في رواية العذري في « مسلم » بالضَّمِّ والقصر [قُصْوَا][1] !! وهو خطأ . وقال الخطَّابي : أكثر أصحاب الحديث يقولون بالضمِّ والقصر ، وهوخطأٌ فاحشٌ . إنَّما القصوى تأنيثُ الأَقْصَى ؛ كالسُّفلى تأنيث الأَسْفل ، وهي الَّتي هاجَرَ عليها ؛ كما قاله الواقدي وتبعه غير واحد من الحفَّاظ .

اشتراها من أبي بكر بثمانمائة درهم ، وكانت من نَعَم بني قشير ، وعاشت بعده ﷺ وماتت في خلافة أبي بكر ، وكانت مرسلَةً ترعى بالبقيعِ ؛ ذكره الواقديُّ .

وعند ابن إسحاق أنَّ الَّتي هاجر عليها الجَدْعاء ، وكانت من إبل بني الحريش ؛ وكذا في رواية « البخاري » في غزوة الرَّجيع . وابنِ حبّان ؛ عن عائِشَةَ ؛ وهو أقوىٰ إن لَمْ نقل إِنَّهما واحدة ، وكان على القصواء يوم الحُدَيبية ويوم الفتح ، ودخل عليها مردفاً أسامة .

---

(١) إضافة للإيضاح ليست في الأصل .

وَكَانَ لَهُ حِمَارٌ يُسْمَىٰ : (يَعْفُوراً) .

وَكَانَ لَهُ بِسَاطٌ يُسْمَىٰ : (اَلْكَزَّ) .

وَكَانَ لَهُ عَنَزَةٌ تُسْمَىٰ : (اَلنَّمِرَ) .

وَكَانَ لَهُ رَكْوَةٌ تُسْمَىٰ : (اَلصَّادِرَ) .

(**وَكَانَ لَهُ حِمَارٌ يُسْمَىٰ** : « **يَعْفُوراً** ») ـ بمثنَّاة تحتيَّة وعين مهملة ساكنَةٍ ، وفاء مضمومةٍ ـ اسم ولد الظَّبيَةِ ، كَأَنَّه سُمِّيَ به لسرعته . قال الواقدي : نفق يعفورٌ منصرفَ رسول الله ﷺ من حجَّة الوداع . وقيل : طَرَحَ نفسه في بئر يومَ ماتَ المصطفى ﷺ .

قال الزَّمخشريُّ : وإنَّما سُمِّيَ به لِعَفْرَةِ لونه . والعَفْرَةُ : بياض غير ناصع كلون عفر الأرض ؛ أي : وجهها . قال : ويجوز كونه سُمِّي به تشبيهاً في عدوه باليعفور ؛ وهو الظَّبيُ . انتهى .

ويعفورُ غير عُفير ـ بعين مهملة مصغراً ـ ووهَّموا القاضي عياضاً في ضبطِهِ بغينٍ معجمةٍ !! وزعم ابن عبدوس أنَّهما واحد . لكن ردَّه الدِّمياطي ؛ فقال : عفير أهداه له المقوقس ، ويعفور أهداه فروة بن عمرو ، وقيل : بالعكس . انتهى « مناوي » .

(**وَكَانَ لَهُ بِسَاطٌ**) ـ بكسر الباء الموحّدة ـ (**يُسْمَىٰ** : « **الكزَّ** ») ـ بكافٍ مفتوحة وزايٍ معجمةٍ مشددة ـ . (**وَكَانَ لَهُ عَنَزَةٌ**) ـ بفتح العين المهملة وبفتح النُّونِ والزَّاي آخرها تاء مربوطة ـ : عصا ذات زُجّ ـ بزاي مضمومة ثمَّ جيم مشددة ـ أي : سنان ؛ وهي الحربة الصغيرة دون الرُّمح بنصفه ، عريضة النَّصل ، لكن سنانها في أسفلها بخلاف الرُّمح فإنَّه في أعلاه ؛ قاله القُسطُلاَّني ، (**تُسْمَىٰ** : « **النَّمِرَ** ») بفتح النُّون وكسر الميم .

(**وَكَانَ لَهُ رَكْوَةٌ**) يُشْرَبُ منها ـ بتثليث الرَّاء ، والفتحُ أفصحُ ، وسكونِ الكافِ ـ وهي الَّتي للماء ، شبه تَوْر من أَدَم ، وفي «المصباح» : دَلْوٌ صغير . وفي « النِّهاية » : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء ؛ (**تُسْمَىٰ** : «**الصَّادِرَ**») ؛ لِصُدُور الرّي عنها .

وَكَانَ لَهُ مِرْآةٌ تُسْمَىٰ : (ٱلْمُدِلَّةَ) .

وَكَانَ لَهُ مِقْراضٌ يُسْمَىٰ : (ٱلْجَامِعَ) .

وَكَانَ لَهُ قَضِيبُ شَوْحَطٍ يُسْمَىٰ : (ٱلْمَمْشُوقَ) .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبْعَةٌ ....

(**وَكَانَ لَهُ مِرْآةٌ**) يُرَىٰ فيها وجهه الشَّريف ـ وهي بالمّدِّ علىٰ وزان مفتاح ـ (**تُسْمَىٰ** : « **المُدِلَّةَ** ») ـ بضمٍّ الميم وكسر الدَّال المهملة وشد اللاَّم ـ. (**وَكَانَ لَهُ مِقْرَاضٌ**) ـ بكسر الميم وقاف وضاد معجمة آخره ، والجمع : المقاريض والمقراض هو المقص ؛ (**يُسْمَىٰ** : « **الجَامِعَ** ») ـ بالجيم وآخره عين مهملة ـ.

(**وَكَانَ لَهُ قَضِيْبُ**) ـ فعيل بمعنىٰ مفعول ـ أي : غصن مقطوع من شجرة (**شَوْحَطٍ**) ـ بفتح الشِّين المعجمة وإسكان الواو فحاء مفتوحة فطاء مهملتين ؛ هكذا ضبطه الزرقاني . قال في « شرح القاموس » : وهو ضرب من شجر الجبال تُتَّخذ منه القِسيُّ ، والمراد بالجبال : جبال السَّراة ، فإنَّها هي الَّتي تنبته ، قال الأَعْشَىٰ :

وَجِيــاداً كَــأَنَّهَــا قُضُــبُ الشَّــوْ ... حَــطِ يَحْمِلْــنَ شِكَّــةَ الأبْطَــالِ

وقال أبو حنيفة : أخبرني العالم بالشَّوحط أن نباته نبات الأرز قضبان تسمو كثيرة من أَصلٍ واحدٍ ، قال : وَوَرَقُهُ فيما ذُكِرَ رِقاقٌ طِوالٌ ، وله ثمرةٌ مثلُ العِنَبَةِ الطَّويلة إلاَّ أَنَّ طرفَها أَدَقُّ ، وهي ليِّنَة تُؤْكَلُ . انتهىٰ . « ذكره في مادة شحط » .

وبه تعلم أَنَّ ما قاله العزيزي علىٰ « الجامع الصغير » : إنَّ الشُّوحظ ـ بضم الشِّين المعجمة وفتح الحاء المهملة فظاء معجمة آخره ـ خلافُ المعروف ، والله أعلم ، (**يُسْمَىٰ** : « **المَمْشُوقَ** ») لطوله ودقَّته ـ وهو بميمين فشينٌ معجمةٌ آخره قاف ، علىٰ زنة اسم المفعول ـ .

(وَ) في « المواهب » وَ« كشف الغمَّة » : (**كَانَ لَهُ** ﷺ **رَبْعَةٌ**) ـ بفتح الرَّاء وإسكان الموحَّدة وعين مهملة ، كجؤنة العطار بإسكان الواو وربَّما همزت ـ وهي

يَجْعَلُ فِيهَا ٱلْمِرْآةَ وَٱلْمُشْطَ وَٱلْمِقْرَاضَيْنِ وَٱلسِّوَاكَ .

وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (ٱللَّحِيفُ) .

جلْدٌ يجعل فيه العطار الطِّيب ، وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب الإسكندريَّة مع مَارِيةَ في جِملة ما أَهداه ، وفي «الأَلْفِيَّة» لِلعراقي رحمه الله تعالىٰ :

كَانَتْ لَهُ رَبْعَةٌ ، أَيْ : مُرَبَّعَهْ كَجُؤْنَةٍ يُجْعَلُ فيها أَمْتِعَهْ

(**يَجْعَلُ فِيْهَا المِرْآةَ**) الَّتي كان ينظر فيها ، فلم تبد أوسم من وجهه ﷺ ، (وَ) يجعل فيها (**المُشْطَ**) ـ بضمِّ الميم مع إِسكان الشِّين وضمِّها وكسر الميم مع إسكان الشِّين ـ، ويقال مِمشط ـ بميمين الأُولىٰ مكسورة ـ؛ وكان من عاجٍ ، وهو ظهر السُّلَحفاة البَّحريَّة ؛ كما في « المصباح » قائلاً : وعليه يحمل أنَّه كان لفاطمة سِوَارٌ من عاجٍ ، ولا يجوز حمله علىٰ أنياب الفيلة ؛ لأَن أَنيابها ميِّتة بخلاف السُّلَحفاة . انتهىٰ . وعليه يحمل المِشْطُ النَّبويُّ بالأَوْلىٰ .

(وَ) يجعل فيها المكحلة الَّتي كان يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين ، ويجعل فيها (**المِقْرَاضَيْنِ**) ـ بكسر الميم ـ وهو المسمَّىٰ الآن بـ« المقص » ، (وَ) يجعل فيها (**السِّوَاكَ**) ـ بكسر السِّين ـ علىٰ الأَفْصحِ ؛ كما قاله الحافظ ابن حجر والكرماني ، يطلق علىٰ الفعل والآلة ، وهو المراد هنا .

(وَ) أخرج البخاريُّ في « صحيحه » ؛ عن سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ الله عنه قال : (**كَانَ لَهُ ﷺ فَرَسٌ**) ـ يُذكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ـ (**يُقَالُ لَهُ** : « **اللَّحِيفُ** ») ـ بحاء مهملة ، كرغيف ، وقيل : بالتَّصغير . سُمِّي به لطولِ ذَنَبِهِ ، فعيل بمعنىٰ فاعل ، كأنَّه يَلْحَفُ الأَرْضَ بذنبه ، وقيل : هو بخاءٍ معجمةٍ ، وقيلَ : بجيم ، وعند ابن الجوزيِّ : بالنُّون بدلَ اللاَّمِ مِنَ النَّحافَةِ ـ أهداها له ربيعة بن أبي البراء ؛ واسمه عامر بن مالك العامري ، يعرف عامر بـ«مُلاَعِبِ الأَسِنَّةِ» ؛ ذكره ابن سعد عن الواقدي . انتهىٰ .

وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (اَلظَّرِبُ) .

وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : (اَللِّزَازُ) .

(وَ) أخرج البيهقيُّ في « سُنَنِهِ » بإِسْنَادٍ صحيحٍ ؛ عن سهل بن سعد :

كان لرسول الله ﷺ (**فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : « الظَّرِبُ »**) ـ بفتح الظَّاء المعجمة وكسر الرَّاء وبالموحَّدة ، ويقال : بكسر أوَّله وسكونِ الرَّاء ، واحد الظِّراب ـ وهي : الجبالُ الصِّغارُ ، سُمِّي الفَرسُ به لكبره وسُمْنِهِ . وقيل : لِقُوَّتِهِ وصَلاَبَةِ حَافِرِهِ .

أهداها له فروة بن عمرو ـ علىٰ الأشهر ـ ويقال : ابن عامر ، ويقال : ابن نفاثة الجذامي « عامل قيصر علىٰ من يليه من العرب » ، وكان منزله « معان » وما حولها من الشَّام ، أسلم لما بَعث ﷺ إليه يدعوهُ ، وكتب إلَيْهِ بإسلامه ، ولم يُنْقَل أنَّه اجتمع به ، فلمَّا بلغ الرُّومَ إسلامَهُ قَتَلُوهُ ، ذكره ابن إسحاق ؛ وجَزَم به في « الإصابة » .

(وَ) كان له (**فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : « اللِّزَازُ »**) ـ بكسر اللاَّمين وزايين معجمتين خفيفتين ـ سُمِّيَ به لشدَّة تلزُّزه أو اجتماع خلقه ، والمُلزَّز المجتمع ، ولزَّ بِهِ الشَّيء ؛ أي : لَزَق بِهِ كأنَّه يلتزق بالمطلوب لسرعته .

قال السُّهيلي : معناه : لا يُسَابق شيئاً إلاَّ لزَّهُ ؛ أي : أثبته ـ وهذه أهداها له المقوقس ، جريح بن ميناء القبطي في جملة ما أهدىٰ قبل . وكان ﷺ معجباً به .

وروىٰ ابن منده ؛ من رواية عبد المهيمن بن عبَّاس بن سهل ؛ عن أبيه ؛ عن جده سهل قال : كان لرسول الله ﷺ عند سعد « والد سهل » ثلاثة أفراس ، فَسمعتُ النَّبيَّ ﷺ يُسَمِّيهنَّ : لزاز والظَّرب واللَّخيف ؛ أي : بالخاء المعجمة . قال المناوي : وجملة أفراسه ﷺ سبعةٌ متفق عليها ، جمعها ابن جماعة في بيت فقال :

وَالخَيْلُ سَكْبٌ لَحِيْفٌ سَبْحةٌ ظَرِبٌ ... لِزَازُ مُرْتَجِزٌ وِرْدٌ لَهَا أَسْرَارُ

وقيل : كانت له أفراس أُخَرُ خمسة عشر . انتهىٰ .

وَكَانَ لَهُ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا : (اَلْغَرَّاءُ) ؛ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ .
وكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ تُسْمَىٰ : (خَضْرَةَ) .

(وَ) أخرج الإمام أحمد ، وأبو داود ؛ عن عبد الله بن بُسْرٍ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال : (**كَانَ لَهُ**) ﷺ (**قَصْعَةٌ**) ـ بفتح القاف ولا تكسرها ـ. ومن اللَّطائف : لاَ تَكْسِرِ القَصْعَةَ وَلاَ تَفْتَحِ الخِزَانَةَ . وبعضهم يقول : ولاَ تَفْتَحِ الجِرَابَ ، بَدَلَ الخِزَانَةِ ، والكلُّ صحيح .

(**يُقَالُ لَهَا** : « **الغَرَّاءُ** ») ؛ أي : تسمَّىٰ الغرّاء ؛ قال ابن رسلان في « شرح سنن أبي داود » : الغرّاء تأنيث الأغرّ ؛ مشتقٌّ من الغرَّة ، وهي بياض الوجه وإضاءته ، ويجوز أن يُراد أنَّها من الغرة ؛ وهي : الشَّيء النَّفيس والمرغوب فيه ، فتكون سُمِّيت بذَلِكَ لِرَغْبَةِ النَّاس فيها ، لنفاسة ما فيها أو لكثْرة ما تشبعه . وقال المنذري : سمِّيت غَرَّاء !! لبياضِهَا بِالألية والشَّحم . انتهىٰ ؛ ذكره الزُّرقاني علىٰ « المواهب » .

قال : وكانت كبيرة بأربع حلق ، (**يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ**) بينهم ؛ لعظمها . وتمام الحديث ؛ كما في أبي داود : فلمَّا أضحوا وسجدوا الضُّحىٰ ؛ أي : صلّوها ، أُتِي بتلك القَصْعةِ وَقَد ثُرد فيها ؛ فَالتفُّوا عليها ، فلما كثرُوا جَثَا رسول الله ﷺ فقال أعرابيٌّ : ما هذه الجِلْسة ؟ قال : « اللهُ تَعالىٰ جَعَلَنِي عَبْداً كَرِيماً ؛ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً » . ثمَّ قال : « كُلُوا مِنْ جَوانِبِهَا وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا » . انتهىٰ .

وفيه دلالة علىٰ سعة كرمِ المصطفىٰ ﷺ .

(وَ) أخرج البيهقي في «سننه» ؛ عن جعفر الصَّادق ؛ عن أبيه محمد الباقر مرسلاً قال : (**كَانَ لَهُ**) ﷺ (**جَارِيَةٌ تُسْمَىٰ** : « **خَضْرَةٌ** ») ـ بفتح الخاء وسكون الضاد المعجمتين ـ كما ضبطه العزيزي علىٰ « الجامع الصغير » . وقال المناوي ؛ وتبعه الحفني : إنَّه بكسر الضَّاد . ولفظُ الحديث ؛ كما في « الجامع الصغير » : كانت ناقته تسمىٰ العَضْباء ، وبغلته الشَّهْبَاء ، وحِمَارُهُ يَعْفُور ، وجارِيَتُه خَضْراء . وانتهىٰ . والله أعلم .

. . . .

انتهىٰ الجزء الأوَّل

من كتاب « مُنْتَهىٰ السُّول »

شرح كتاب « وسائل الوُصول إلىٰ شَمائِل الرَّسول »

تأليف الشَّيخ يوسف النَّبهاني رحمه الله تعالىٰ

جمع الفقير إلىٰ الله تعالىٰ

عبد الله بن سعيد محمَّد عبادي اللَّحْجي اليماني المراوعي ،

ثمَّ المكّي الشَّافعي ـ وفقه الله تعالىٰ ـ.

وكان الفراغ من تبييضه ضحوة نهار يوم الخميس الموافق ١١ شهر محرَّم الحرام سنة ـ ١٣٩٥ ـ خمس وتسعين وثلثمائة وألف هجريَّة ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكىٰ التَّحيَّة ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم ، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً ، باطناً وظاهراً آمين ، وفَّقَنا الله لِمَرْضَاتِهِ . . آمين .

كتبه مؤلفه الفقير إلىٰ الله تعالىٰ عبد الله بن سعيد محمَّد عبادي اللَّحْجي اليماني

ويليه الجزء الثاني وأوَّله :

الباب الرَّابع

في صفة أَكْلِ رسول الله ﷺ .

فهرسة الجزء الأول

من كتاب منتهىٰ السول إلى شمائل الرسول ﷺ